القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة

مُقَوِّمَات الصُّعُود في العلاقات الدَّوْلِيَّة

Türkiye'nin yumuşak gücü, Uluslararası İlişkiler tırmanış ve temeller



يَحيَى السَّيِّد عُمَر

دار الأصول العلمية
İLMİ USÜLLER YAYINEVİ

القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة

مُقَوِّمَات الصُّعُود في العلاقات الدَّوْلِيَّة

يحيى السَّيِّد عمر

1440 هـ – 2019 م

القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة

مُقَوِّمَات الصُّعُود في العلاقات الدَّوْلِيَّة

ISBN : 978-605-7896-18-6

تأليف: يحيى السيد عمر

الطبعة الأولى: 2019

قياس الكتاب: 17×24



دار الأصول العلمية

İLMÎ USÛLLER YAYINEVİ

Fb: daralusool - Tw: daralusool

www.dar-alusool.com - info@dar-alusool.com

Balabanağa Mah. Büyük Reşitpaşa Cad. 16B/15، Fatih-ISTANBUL

هاتف : 83 77 816 0090537 - جوال : 04 61 514 0090212

Basım / Cilt: Step Ajans Matbaa Ltd $

Goztepe Mah. Bosna Cod. No : 11 Baclar / ISTANBUL

Tel: (212) 446 88 46 / Sertifika No 12266

www.yahyaomar.com | info@yahyaomar.com Yahya Omar يحيى عمر



﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

[سورة طه: 114]

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنســـان ما لم يعلم؛ أحمدُه ســـبحانه حَمْدَ الشـــاكرين، وأُثني عليه بما هو أهله تبارك وتعالى، والصلاة والسلام على مُعَلِّم الناس الخير؛ نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، وكل مَن دعا بدعوته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أهدي هذا الكتاب

لوالدي ووالدتي

جزاهما الله عني خير الجزاء

ولزوجتي الحبيبة ورفيقة دربي

سندس كيالي

وأبنائي لجين، براء، شهد ورُسْل

خالص الدعوات بالحفظ والسداد

شكر وعرفان

بعد رحلة بحثٍ وجهد واجتهاد، أحمد الله عزّ وجلّ على نِعَمه التي لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى، فهو وحده جلّ شأنه صاحب الفضل والمنّة..

ثُمَّ لا يسعني إلا أن أشكرَ كل من أعانني على إتمام هذه الدراسة ..
كما أشكر جميع أساتذتي الفضلاء، وكلّ من كل له دور وفضل سواءً بنصحٍ أو معلومة أو ملاحظة

فجزاهم الله عني خير الجزاء، ولهم مني خالص التقدير

مقدمة

تســـتأثر الدولة التُّرْكيَّة باهتمام كبير، عَرَبيّـــاً وإقْليمِياً ودَوْلِياً، على كافَّة الأصعدة، السِّيَاسِـــيَّة والاقتِصَادِيَّة والاستِرَاتِيجِيَّة، لا سِـــيَّمَا على صعيد النجاحات الاقتِصَادِيَّة والتَنْمَوِيَّة الَّتِي قَفَزَتْ بالبلاد قفزات واســـعة نحو التَّقَدُّم إلى مصافّ الدول الأكثر تقدُّماً خلال السنوات الـ15 الماضِيَة، ما جعل الاقتصاد التُّركيّ يَحْتَلّ المرتبة الأولى في قائمة دول مجموعة العشرين G20 (1) **؛ من حيث سرعة النُّمُوّ، وَفْقاً لتقديرات الربع الأخير من العام 2017م،**(2) **بالإضافة إلى النجاحات الاستِرَاتِيجِيَّة الَّتِي حقَّقتها تركيا الإقْلِيمِيَّة لتصبح أحد أبـــرز الفاعلين المُهِمِّينَ واللاعبين المحوريِّينَ بمنطقة الشرق الأوسط؛ الأمر الَّذِي جعَلها في بؤرة استقطابات التحالفات الإقْلِيمِيَّة الرَّاهِنَة، وصولاً إلى جُنُوح تركيا إلى مدِّ نفوذها الخَارِجِيّ من خلال اســـتِرَاتِيجِيَّة القواعد العَسْكَرِيَّة الثابتة في نقاط تَمَاسّ مِحْوَرِيَّة من خريطة الشرق الأوسط.**(3)

ولعل ما شَهِدَتْهُ تركيا خلال شهر يوليو 2016م من محاولة انقَلابِيَّة فاشلة يُؤَكِّد بشكلٍ لافتٍ على مدَى أَهَمِّيَّة الدولة التُّرْكِيَّة، اسْـــتِرَاتِيجِيّاً، وتفرُّد خبرتها على الصعيد الإقْلِيمِيّ والدَّوْلِيّ،

1. مجموعة العشرين هو منتدى تأسَّـس سـنة 1999م بسـبب الأزمات المَالِيَّة في التسـعينيَّات. يُمَثِّل هذا المنتدى ثُلُثَي التجارة في العالم، وأيضاً يُمَثِّلُ أكثر من 90% من الناتج العالميّ الخام. أُنْشِـئَتْ المجموعة في اجتماع لوزراء ماليَّة مجموعة العشرين بهدف تعزيز الاستقرار المالي الدَّوْلِيّ، وإيجاد فُرَص للحوار ما بين البلدان الصِّنَاعِيَّة والبلدان الناشئة، والتي لم تتمكَّن اجتماعات وزراء المَالِيَّة مع مجموعة السبعة من حلّها. للمزيد يُنْظَر: "مجموعة العشرين"، الدبلُومَاسِـيَّة الفرنسـيَّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 5 أغسطس 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/cmcHih
2. الاقتصـاد التُّرْكِيّ يحقق أعلى نُمُوّ بـين دول مجموعة العشرين 2017، وكالة أنباء الأناضول، 29 مارس 2017م، تاريخ الزيارة 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/rSb9ud
3. انظـر الفصل الخامس من كتاب: محمد صادق إسـماعيل، التجربة التُّرْكِيَّة من أتاتورك إلى أردوغان، القاهرة، دار العربي للنشر، 2013م

حتى فيما يَتَعَلَّق بإفشال الانقلابات العَسْكَرِيَّة الَّتِي ربما كانت بعض القُوَى الإِقْلِيمِيَّة والدَّوْلِيَّة تَطْمَح إلى جَعْلها نموذجاً جديداً للالتفاف على إرادة الشُّعُوب، لتمرير مُخَطَّطات تهدف إلى إعادة تقسيم الشرق الأوسط على أُسُسٍ جديدةٍ بين عددٍ من الفاعلين الدَّوْلِيِّينَ والإِقْلِيمِيِّينَ، القُدَامَى منهم والجُدُد، وَفْقاً لمصالح وأهداف واستحقاقات جديدة في سياق إعادة الفكِّ والتَّركيب والصُّعُود والهبوط على صعيد النِّظَام الدَّوْليّ والعلاقات الدَّوْلِيَّة بِصِبْغَتِها الرَّاهِنَة. وتستند استرَاتِيجِيَّة الصُّعُود التُّرْكيّ في العلاقات الدَّوْلِيَّة على جُمْلَةٍ من المُرْتَكَزَات والمُنْطَلَقَات، تمُثِّل في مُجْمَلِهَا مُكَوِّنَات القُوَّة التُّرْكِيَّة، بمفهومها الاسْترَاتِيجِيّ الشامل، وإذا كانت مباحث القُوَّة من المُقْتَرَبَات الرئيسة في دراسة العلاقات الدَّوْلِيَّة، فإنَّ هذه الدراسة تَتَعَمَّق في التَّوْظِيف الاسْترَاتِيجِيّ التُّرْكيّ لمفردات القُوَّة النَّاعِمَة، والَّتِي ستلقي الضوء على مفهومها، تعريفاً وتأطيراً، وتطبيقاً وتأثيراً، ذلك التَّوْظِيف الَّذِي اكتسب خُصُوصِيَّته من هُوِيَّة البلاد الحَضَارِيَّة الإِسْلَامِيَّة، بمنطلقاتٍ تبدو قَوْمِيَّة براجماتيَّة، تُوازِنُ بينَ مُحَدِّدات الهُوِيَّة القَوْمِيَّة والمصلحة الوَطَنِيَّة من جهة، ومقتضيات البيئتين، الإِقْلِيمِيَّة والدَّوْلِيَّة، وبِنْيَةِ النِّظَام الدَّوْليّ والعلاقات الدَّوْلِيَّة الرَّاهِنَة من جهة أخرى.
ولفترةٍ طويلةٍ، كان اللجوء إلى استخدام القُوَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة عَمَلِيَّة مشروعةً، وعملاً نابعاً من التقدير السِّيَادِيّ للدول المَعْنِيَّة، لكنْ مع التَّطَوُّر في الزمن الَّذِي وضَع جرائم الحرب مَحَلّ تعريضٍ وتنديدٍ، ظهرت مبادراتٌ عديدةٌ للحدِّ من سُلطة القُوَّة المُدَمِّرَة لدى الدول، وذلك في سبيل حِفْظ السِّلْم والنِّظَام الدَّوْلِيِّينَ. وعليه، فإنَّ الحقَّ في استعمال القُوَّة صار مُقَنَّناً ومُقَيَّداً بضوابط رَسْمِيَّة وأُمَمِيَّة (1).
مفهوم القُوَّة إذن، يبقى أحد المفاهيم المُهِمَّة والمُؤَثِّرَة في العلاقات الدَّوْلِيَّة؛ كونه أحدَ وسائل التفسير الأَسَاسِيَّة الَّتِي يمكن الاعتمادُ عليه في فَهْم التفاعلات الدَّوْلِيَّة، والمواقف الَّتِي تَتَّخِذهَا الدول الفاعلة على السَّاحَة العَالَمِيَّة.

1. عبدالحكيم سليمان وادي،بحث قانونيّ بعنوان "الاستثناءات الواردة على مبدأ عدم اللُّجُوء لاستخدام القُوَّة في القانون الدوليّ"، موقع "الحوار المُتَمَدِّن"، 10 يونيو 2013، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/a5jQks.

وتظهر أهَمِّيَّة مفهوم القُوَّة كذلك في فَهْم الصِّرَاعات الدَّوْلِيَّة، وكَيْفِيَّة تجاوب الأطراف فيها بناءً على قُوَّتهَا المَادِيَّة والمَعْنَوِيَّة.

وقد تطوَّر مفهوم القُوَّة، وتعدَّدت اتِّجَاهَاته على مَرِّ التاريخ، فيما بين القُوَّة العَسْكَرِيَّة، والقُوَّة الاقتِصَادِيَّة، وأيضاً قُوَّة الإقناع والتَّأثِير في الآخرين.(1)

وفي عصرنـــا الحالي، أظهرت التكنولوجيا الحديثة تأثيرها الكبير وانعكاســها المُهِمّ على مفهوم القُوَّة بِشِـــقَّيْهَا؛ ســـواءً منها الصَّلْبَة أو النَّاعِمَة، فهناك المفهوم التَّقْلِيدِيّ السائد لِلْقُوَّةِ الَّذِي يرتكز على خاصِّيَّة الصَّلَابَة؛ بما يشمله من القُوَّة العَسْكَرِيَّة، والقُوَّة الاقتِصَادِيَّة أساساً، مُعْتَمِداً في ذلك على مُقَدَّرَات الدولة المَادِيَّة، وقدرتها على توظيفها لإجبار خصومها على اتِّبَاع ما تريده، والانصياع لما تُقَرِّرُه، وبالتَّالِي تســـتطيع الدولة من خلال القُوَّة الصَّلْبَة أن تُحَقِّق أهدافها ومصالحها.

وفي المقابل، تبنَّى آخرون مفهوم القُوَّة النَّاعِمَة كردٍّ فعلٍ تجاه جَسَامَةِ التَّبِعَات المُتَرَتِّبَة على القُوَّة الصَّلْبَة، وصعوبة اســـتمرار الدول في اســـتخدامها لفتراتٍ طويلةٍ؛ حيث الفواعل الدَّوْلِيَّة المختلفة الَّتِي صارت في الآونة الأخيرة، تســـتند على القُوَّة النَّاعِمَة بوصفها المقوِّم الأهم من مُقَوِّمَات القُوَّة.

ولقد لعب مفهوم القُوَّة النَّاعِمَة، منذ تقديم جوزيف ناي (2) Joseph Samuel Nye له، دوراً مُهِمّاً في السِّيَاسَـــة الخَارِجِيَّة الأَمْرِيكِيَّة، لكنَّ المفهوم المذكور توسَّع بعد ذلك بشـــكلٍ كبيرٍ، واعتمدت عليه كثيرٌ من الدول بشكلٍ أكبر، وأصبحت القُوَّة النَّاعِمَة ركناً أَسَاسِيّاً من أركان القُوَّة لدى كثيرٍ من الدول الَّتِي تَسْعَى لخَلْقِ مكانٍ لها على السَّاحَة الدَّوْلِيَّة؛ مثل الصين، الهند، تركيا وغيرها من الدول.

1. يمنى سليمان،" القُوَّة الذَّكِيَّة- المفهوم والأبعاد : دراسة تَأْصِيلِيَّة" 12 يناير 2016م، المعهد المصري للدراسات السِّيَاسِيَّة والاستِرَاتيجِيَّة، تاريخ الزيارة، 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/3mpeU
2. جوزيف صموئيل ناي (ولد في 19 يناير 1937م) أمْرِيكِيّ وأســـتاذ العلوم السِّيَاسِـــيَّة وعميد سابق لمدرسة جون كينيدي الحكوميَّة في جامعة هارفارد. أَسَّـــسَ بالاشـــتراك مع روبرت كوهين، مركز الدراسات الليبراليَّة الجديدة في العلاقات الدَوْلِيَّة. وتَوَلَّى عدة مناصب رسميَّة، منها مساعد وزير الدفاع للشؤون الأمنيَّة الدَوْلِيَّة في حكومة بيل كلينتون ورئيس مجلس الاســـتخبارات الوطني. اشْـــتَهَرَ بابتكاره مصطلحي القُوَّة النَّاعِمَة والقُوَّة الذَّكِيَّة، وشَـــكَّلَتْ مؤلَّفَاته مصدراً رئيساً لتطوير السياسة الخَارِجِيَّة الأَمْرِيكِيَّة في عهد باراك أوباما. (About، Joseph Nye، available at: goo.gl/zhQUtp)

مع الأخذ في الاعتبار استـمرار القُوَّة الصَّلْبَة كعنصر أَسـاسيٍّ لِلْقُوَّة. بل إنَّ امتلاك القُوَّة النَّاعِمَة يلي القُوَّة الصَّلْبَة العَسْـكَرِيَّة والاقتِصَادِيَّة من حيث الأهَمِّيَّة؛ حيث إنَّ القُـوَّة النَّاعِمَة تعتمد على جَاذِبِيَّة الدولة، وبالتَّالي لا يمكن لدولةٍ ضعيفةٍ أو مُتَهَالِكَةٍ اقْتِصَادِيّاً أن يكون لها جَاذِبِيَّة وتأثير على غيرها من الدول. (1)

وبناءً عليه، أصبحت القُوَّة النَّاعِمَة وسـيلةً مُهِمَّة لإدارة الأزمات سِلْمِيّاً، دون الوقوع في أَتُونِ نزاعاتٍ مُسَـلَّحَة، وذلك بالاعتماد على وسـائل القُوَّة النَّاعِمَة وإِمْكَانِيَّاتها، بالإضافة إلى حُسْـنِ إدراك التَحَوُّلاَت في طبيعة الهيمنة السِّيَاسِيَّة للدول الكبرى؛ إذ تحوَّلت مُؤَخَّراً من الاسـتعمار المباشر أو حتى التَّدَخُّل العَسْكَرِيّ المحدود، إلى هيمنةٍ ناعمةٍ، سـواءً الثَّقَافِيَّة منها أو الاقتِصَادِيَّة.. إلخ، دون الحاجة إلى تكبُّد الخسـائر الكبيرة الَّتِي يُسَبِّبها التَّدَخُّل العَسْكَرِيّ؛ حيث تَمَّ استخدام الدَّمْج بين القُوَّتَيْنِ الصَّلْبَة والنَّاعِمَة للوصول لأهداف أكثر منفعة وأقل تكلفة في الأرواح والمال.
وفي خِضَـمّ التفاعلات الدَّوْلِيَّة، نَتَج مفهومٌ ثالـث لِلْقُوَّة، وهو مفهوم القُوَّة الذَّكِيَّة؛ الَّذِي يُعْتَبَر من المفاهيم الحديثة نِسْبِيّاً في العلاقات الدَّوْلِيَّة، ويُمَثِّل محوراً مُهِمّاً من محاور القُوَّة المعاصرة؛ حيث إنَّ هذه الأخيرة تُعْتَبَر المقياس الجديد لأيّ قُوَّة صاعدة عَقِب امتلاكها لِلْقُوَّة الصَّلْبَة. (2)
ومن هنا نَخْلُصُ إلى أنَّ نجاح واستمرار أيِّ قُوَّة حَضَارِيَّة في الهيمنة غير مرتبطٍ كُلِّيّاً بقُوَّتهَا الصَّلْبَة، بل بقُوَّتهَا الثَّقَافِيَّة بتَصَوُّر أنطونيو غرامشي Antonio Gramsci الَّتِي يقصد بها أساليب نشر وتعميم هذه الثقافة، أي بِمَعْزِلٍ عن المضمون الفِكْرِيّ والقِيَمِيّ والدِّينِيّ (3).

1. Joseph S. Nye, "Soft Power", Foreign Policy, No. 80, Twentieth Anniversary (Autumn، 1990) , pp. 153- 171, Published by: Washington post Newsweek Interactive, LLC، Article DOI: 10.2307/1148580, Article Stable URL: Link
2. يمنى سليمان،" القُوَّة الذَّكِيَّة- المفهوم والأبعاد : دراسة تَأْصِيلِيَّة" 12 يناير 2016م، المعهد المصري للدراسات السِّيَاسِيَّة والاستراتيجِيَّة، تاريخ الزيارة، 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/3mpeU
3. خالص جلبي، "غرامشي والهيمنة الثَّقَافِيَّة"، صحيفة الاتِّحَاد الإماراتيَّة، 24 ديسمبر 2003م، تاريخ الزيارة: 2 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/p72Um3

الإِشْكَالِيَّة البَحْثِيَّة:

امتدَّ اســـتخدام تركيا الحديثة لِلْقُوَّةِ الصَّلْبَة في سياساتها الدَّاخِلِيَّة والخَارِجِيَّة لأكثر من تسعين عاماً، وقد نشأ عن استخدام القُوَّة الصَّلْبَة وَحْدَها أزماتٌ سِيَاسِيَّة واقْتِصَادِيَّة شديدة، مسَّـــت تركيا حكومةً وشعباً. فلم تعرف تركيا اســـتقراراً سِيَاسِيّاً ولا نُمُوّاً اقْتِصَادِيّاً حينها، وشهدت انحساراً في أدوارها الدُبْلُوماسِيَّة وَضَعْفاً في التَّأثِير على محيطها الخَارِجِيّ. ولم تشـــهد نهضةً حقيقيَّة إلا مع تفعيل القُوَّة النَّاعِمَة جَنْباً إلى جَنْب مع القُوَّة الصَّلْبَة المعتدِلَة، وذلك بعد تولّي حزب العدالة التَّنْمِيَة مقاليد السُّلْطَة في تركيا بعد عام 2002م.

وفي هـــذا الإطار، تبـــدو الدولة التُّرْكِيَّة منذ وصول حزب العدالـــة والتَّنْمِيَة(1) إلى الحُكْم، في مستهلِّ الألفيَّة الثالثة؛ حالةً بَحْثِيَّة مثيرة للاهتمام على المستوى الأكادِيمِيّ التنظيريّ في المجتمع البحثي، كمادة ثريَّة للنقاش والجدل العلميّ حول مفهوم القُوَّة

1. العدالة والتَّنْمِيَة حزب سِـيَاسِيّ تركي، تأسـس في 14 أغسطس 2002م مِن قِبَل مجموعةٍ من الأعضاء السابقين لحزب الفضيلة الذي تَعَرَّضَ لِلْحَلِّ. بلغ عدد الأعضاء المُؤَسِّسِين للحزب 63 بقيادة الرئيس أردوغان ورفيقه عبدالله جول. وهو حزب إسلامي ذي اتجاه معتدل مؤسَّس على التسامح والحوار، وقائم على احترام الحُرِّيَّات الدِّينِيَّة والفكريَّة، ورَفْض كل أشكال التمييز، في غير تعارُض مع العلمانِيَّة والمبادئ التي قامت عليها الجمهوريَّة التُّرْكِيَّة الحديثة. كما يُؤَيِّد الحزب انضمام تركيا إلى الاتِّحَاد الأوروبي. وهو الحزب الحاكم حالياً في البلاد. تَوَلَّى رئاسـته أَحمد داود أوغلو بعد الرئيس أردوغان، ثم بن علي يلدرم منذ 22 مايو 2016م. ويرأس الحزب حالياً الرئيس أردوغان. وصل الحزب إلى الحكم في تركيا عام 2002م. تمكَّن حزب العدالة والتَّنْمِيَة الحاكم في تركيا منذ تأسيسـه أن يُحَقِّق 12 فوزاً سِيَاسِـيّاً، وأن يَحْظَى بثقة شَعْبِيَّة. ويُعرِّف الحزب نفسه بأنه حزب سِيَاسِيّ ديمقراطي محافظ يُراعِي القوانين التُّرْكِيَّة .
ويُشَـكِّل حزب العدالة والتَّنْمِيَة الجناح الإسـلامي المعتدل في تركيا، ويحرص على ألا يسـتخدم الشـعارات الدِّينِيَّة في خطاباته السِّيَاسِيَّة، ويُؤَكِّد أنه لا يحبِّذ التعبير عن نفسه بأنه حزب إسلامي، فهو حزب يحترم الحُرِّيَّات الدِّينِيَّة والفكريَّة ومنفتح على العالم ويبني سياسـاته على التسـامح والحوار، ويُؤَكِّد عدم معارضته للعلمانِيَّة والمبادئ التي قامت عليها الجمهوريَّـة التُّرْكِيَّـة ، كما يُؤَيِّد انضـمام تركيا إلى الاتِّحَاد الأوروبي. كما يُؤَكِّد أنه سـيواصل تطبيق برنامج الإصلاح الاقتصادي الذي يجري تطبيقه في تركيا تحت إشراف صندوق النقد الدَّوْلِيّ مع نقده لبعض جوانبه.
دخل الحزب الانتخابات البرلمانيَّة عام 2002، وحَصَد 363 مقعداً من أصل 550. وشكّل حكومات منفردة متعاقبة منذ تأسيسه وحتى عام 2016م. وفاز في الانتخابات المحليَّة البلديَّة بأكثر من 40 في المئة عام 2004، وحصل على غالبيَّة المقاعد بنسـبة 43 في المئة عام 2014. واحتفظ برئاسـة كبرى البلديَّات، بينها إسـطنبول وأنقرة. برزت لحزب العدالة والتَّنْمِيَـة إنجـازات كبرى، من بينها تحقيق طفرة اقتصَاديَّة وسِيَاسِـيّة واجْتِمَاعِيّة في تركيا، وإحباط محاولة الانقلاب العسـكري في الخامـس عـشر من تموز/ يوليو عام 2016م. وأهم إنجازاتـه: تحويل النِّظَام في البلاد من برلماني إلى رئـاسي عام 2017م. فاز مرشـح الحزب الرئيس رجب طَيِّب أردوغان برئاسـة الجمهوريَّـة بنحو 52 في المئة في أول انتخابات مباشرة في تاريخ تركيا عام 2014م، وبنحو هذه النتيجة فاز الرئيس أردوغان وحزبه في الانتخابات الرِّئَاسِيَّة والتشريعيَّة المبكرة في يونيو 2018م. للمزيد يُنْظَر الرابط التالي: http: //cutt.us/N4WYK

Concept Power ومُقْتَرَبَات التَّنْمِيَة Development Approaches الرئيسة الَّتِي سادت في المنظومة الدَّوْلِيَّة منذ انتهاء الحرب العَالَمِيَّة الثانيَة، منتصف القرن الفائت، في ظِلِّ سـجالات عَرَبِيَّة كبيرة متصاعدة، لا سِيَّمَا بعد موجة ثورات الربيع المُنْحَسِرَة، حول ما دَرَجَ بعض الباحثين على تسميته بـ«النموذج التُّرْكِيّ Turkey's Paradigm»، ومدَى صلاحيَّة تطبيق ذلك النموذج للتطبيق والاستلهام في البلدان العَرَبِيَّة.

وبالنظر إلى ظاهرة الصُّعُود التُّرْكِيّ في العلاقات الدَّوْلِيَّة، فإنَّ ثمَّة اتجاهيْن نَظَرِيَّيْن لتفسـير ظَاهِرَتي التَّنْمِيَة والتَّخَلُّف في المجتمعات الإنْسَـانيَّة الحديثة(1)، يتنافران منهجيّاً وأدواتيّاً لاعتبارات الحاضنة الأيدُيولوجيَّة لكل منهما، يندرجان تحت عنوانين جامعين؛ هـما: التَّحْدِيث Modernization والتَّبَعِيَّـة Dependency، وقد يكون الاتجاه الثاني ردَّة فعل بالأسـاس على مقولات الاتجاه الأول، والَّتِي نَبَتَتْ في سياق التفسيرات اللِّيبرَالِيَّة الغَرْبِيَّة للتَّنْمِيَة المُجْتَمَعِيَّة، وربطها بسياقات قِيَمِيَّة لافتةٍ، تعتمد على خطاب ومقولات المَرْكَزِيَّة الأوروأمْرِيكِيَّة السائدة خلال المائة عام الماضية.

تسـتند نَظَرِيَّات التَّحْدِيث إلى التصنيفات الثُّنَائِيَّة الكبرى، والَّتِي ظهرت في القرن الماضي، والَّتِي قَسَّمَتْ المجتمعات وعناصرها البيئيَّة والاجْتِمَاعِيَّة إلى مجتمعات حديثة Modern، وأخـرى تَقْلِيدِيَّة Traditional، انتظمت تحتهـا مُؤَشِّرَات ديموغرافيَّة واقْتِصَادِيَّة وتِكْنُولُوجِيَّة وسِيَاسِيَّة وقِيَمِيَّة وثَقَافِيَّة عِدَّة(2)، تَمَّ اعتمادها كأساس لهذا التصنيف على الدول والمجتمعات الإنْسَانِيَّة، وقد نشأ وَتَطَوَّرَ الاتجاه التَّحْدِيثي للتَّنْمِيَة

1. for more details; Bill Hopwood, Mary Mellor and Geoff O'Brien, Sustainable Development: Mapping Different Approaches, Sustainable Cities Research Institute, University of Northumbria, Newcastle on Tyne, UK, 2005, pp. 38- 52.

2. لمزيـد مـن التفصيـل انظر: محمود الذوادي، "حركـة التغيير الاجْتِمَاعِيّ في فكـر ابن خلدون وعلماء الاجتـماع الغَرْبِيِّـينَ الأوائل"، ورقة بحثيَّة مُقَدَّمَة لمؤتمر: عبدالرحمن بن خلدون قراءة معرفيَّة منهجيَّة، كليَّة الآداب جامعة عين شمس، القاهرة،5-6 أغسطس 2000م.

في خمسينيَّات وستينيَّات القرن العشرين على يد عددٍ من علماء الاجتماع والاقتصاد الأمريكيين؛ أبرزهم تالكوت بارسونز (1) Talcott Parsons.

وتَتَلَخَّص مقولات نَظَرِيَّات التَّحْدِيث في إعطاء أهَمِّيَّةٍ كبيرةٍ للجوانب السوسيولوجيَّة والسيكولوجيَّة والاقتِصَادِيَّة في التَّنْمِيَة، مع التَّأْكِيد على أنظمة القِيَم والدوافع الفرديَّة، وتراكم رأس المال كشروط لازمة للتَّغَـيُّرِ الاجْتِمَاعِيّ والتَّحَوُّل من مجتمع تَقْلِيدِيّ إلى مجتمع حديث، وَفْقاً لمُؤَشِّرَات التصنيع والتحضُّر والحُرِّيَّات الفرديَّة، واقتصاد السوق، وتشجيع القطاع الخاص وبناء المجتمع المَدَنِيّ، ومن ثَمَّ فإن انتشار خصائص التَّحْدِيث، والَّتِي تمتاز بها المجتمعات الغَرْبِيَّة المُتَقَدِّمَة، وانتقالها إلى البلدان النَّامِيَة، هو شرطٌ لحصول تلك الدول على الفُرْصَة المناسبة للتحوُّل إلى مجتمعات حديثة، واللِّحَاق برَكْبِ الحداثة الغَرْبِيَّة، كُلّ ذلك في سياق سِيَاسِيّ يقوم على المشاركة الشعبيَّة في الحكم، واستبدال أنماط السُّلْطَة التَّقْلِيدِيَّة بنظام عقلانيّ قانونيّ وإيجاد حكومات وطنيَّة قائمة على الانتخابات البرلمانيَّة كضمانة لتداول السُّلْطَة، وتمثيل كافَّة أطياف المجتمع(2).

أما نَظَرِيَّات التَّبَعِيَّة، فقد انطلقت من سياقات بَحْثِيَّة وفِكْرِيَّة في أمريكا اللاتينيَّة خلال ستينيَّات القرن العشرين، قبل أن تنتقل إلى فَعَالِيَّات بَحْثِيَّة وأَكَادِيمِيَّة وفِكْرِيَّة في أوروبا والولايات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة ودول أخرى، كَرِدَّةِ فعل ونتيجة منطقيَّة لعدم نجاح نموذج نَظَرِيَّات التَّحْدِيث في تقديم تفسير حقيقيّ كاشِف لظاهرة التَّخَلُّف في دول العالم

1. تالكوت بارسونز (13 ديسمبر 1902م- 8 مايو 1979م) عالم اجتماع أَمْرِيكِيّ عمل في هيئة التدريس في جامعة هارفارد منذ عام 1927 حتى عام 1973م. وضع بارسونز نظريَّة عامة لدراسة المجتمع تسمى بنظريَّة السلوك، استناداً إلى المبدأ المنهجي التَّطَوُّعِيّ ومبدأ المعرفيَّة من الواقعيَّة التحليليَّة. حاولت النَّظَرِيَّة إنشاء توازن بين اثنين من التقاليد المنهجيَّة الرئيسة: التقاليد النفعيَّة- الوضعيَّة والتقاليد التفسيريَّة- المثاليَّة. بالنسبة لبارسونز، أنشأ المنهج التَّطَوُّعِيّ بديلاً ثالثاً بين هذين الاثنين. قدم بارسونز نَظَرِيَّات أخرى غير نظريَّة المجتمع، مثل نظريَّة التَّطَوُّر الاجْتِمَاعِيّ وتفسير ملموس لـ "محركات" واتجاهات تاريخ العالم. للمزيد يُنْظَر الرابط التالي: http: //cutt.us/QHPvt
2. Adam Przeworski and Fernando Limongi, “Modernization: Theories and Facts”, World Politics, Vol. 49, No. 2 (Jan., 1997) , pp. 155- 183

الثالث؛ حيث حاولت دراسات التَّنْمِيَة القائمة على المدخل التَّحْدِيثيّ أن تُبَرْهِنَ على أن التَّخَلُّف هو حالة ذاتيَّة متأصِّلة في تلك الدول، ناتجة عن طبيعة الْبِنَى الاجْتِمَاعِيَّة فيها، ولم تَنْتُج عن الاستعمار، بل هي موجودة قُبَيْلَ الاستعمار ومُسْتَمِرَّة بعده كذلك، ومِن ثَمَّ فقد جاءت اقترابات التَّبَعِيَّة كردَّة فعل على مقولات وأطروحات اقترابات التَّحْدِيث.

وتنطلــق مقولات مُقْتَرَبَات التَّبَعِيَّة من فَرْضِيَّةٍ مفادها أنَّ حالة التَّخَلُّف، وما ينتج عنها من إشـــكاليَّات وأزمات في الدول المتخلِّفَة والأَقَلّ نُمُوّاً، هي بالأساس إحدى منتوجات الْحِقْبَة الاستعماريَّة، تُفَسِّر حالةَ التَّخَلُّف الاقْتِصَادِيّ والسِّيَاسِيّ من منطلق الظروف التَارِيخِيَّة الَّتِي مَرَّت بها بلدان العالم الثالث، ووقوعها تحت السَّيْطَرَة الاستعماريَّة للنظام الرأسمالي العالميّ، كما أنها تَعْتَبِر أنَّ هناك علاقة جدليَّة بين التَّنْمِيَة والتَّخَلُّف، وبين الحداثة والتَقْلِيدِيَّة، وبين مختلف الظواهر بشـــكل عام، بمعنى آخر؛ اعتبرت مقولات التَّبَعِيَّة أن التَّنْمِيَة الَّتِي حدثت في العالم الرأســـماليّ المتقدِّم، كانت على حســـاب الدول المُسْتَعْمَرَة، وأنَّ الوجه الآخر لتلك التَّنْمِيَة هو تخلُّف دول العالم الثالث، ووقوعها في براثن التَّبَعِيَّة والسَّيْطَرَة الرَّأْسْمَالِيَّة(1).

وفقاً لذلك الاقـــتراب، فإنَّ الدول الغَرْبِيَّة، دول المركز، تمَـــارِسُ هيمنتها على الدول غير المَرْكَزِيَّة، الدول الأطراف، ســـواءً من خلال حكوماتها التابعة، سِيَاسِيّاً وعَسْكَرِيّاً واقْتِصَادِيّاً، أو من خلال المُؤَسَّسَات المَالِيَّة العَالَمِيَّة، الَّتِي تُعَدُّ بمثابة الأَذْرُع المَالِيَّة لِلْقُوَى الغَرْبِيَّة المُهَيْمِنَـــة، مثل البنك الدَّوْلِيّ وصندوق النقد الدَّوْلِيّ، وغيرهما من المُنَظَّمَات، وكذلك الشركات المُتَعَدِّدَة الجنســـيَّات، الَّتِي تعمل باتجاه تعطيل الإرادة الوَطَنِيَّة للدول التابعة، وفقدانها لشروط إعادة تكوين ذاتها، والتَّوَجُّه نحو التَّقَدُّم، والخروج من براثن التَّخَلُّف والتَّبَعِيَّة؛ الأمرُ الَّذِي يؤدِّي إلى اســـتمرار وديمومة سيطرة الدول المُتَقَدِّمَة على الدول النَّامِيَة، وإبقاء الأخيرة في دائرة التَّبَعِيَّة للهيمنة الغَرْبِيَّة(2).

1. Vincent Ferraro, "Dependency Theory: An Introduction," in The Development Economics Reader، Giorgio Secondi, (ed.) , London, Routledge, 2008, pp. 58- 64.
2. Emeh Ikechukwu Eke Jeffrey, "A Discourse on Andre Gunder Frank's Contribution to the Theory and Study of Development and Underdevelopment; Its Implication on Nigeria's development situation", in: Greener Journal of Biological Sciences, Vol. 2 (3) , November 2012, p. 52- 60.

ربمـــا تكون تركيا الكَمَالِيَّة، مثالاً جَيِّداً لبحث ماهيَّـــة التَّنْمِيَة في تركيا بين مقولات اقترابي التَّحْدِيث والتَّبَعِيَّة؛ حيـــث عَمَدَ كمال أتاتورك (1) وخلفاؤه إلى النَّأي بتركيا

1. مُؤَسِّس تركيا الحديثة، تَمَكَّنَ في سنين قليلة من البروز كقائد عسكري ثم كزعيم سِيَاسِيّ، ألغى الخلافة العُثْمَانِيّـــة، وأَسَّـــسَ مكانها تركيا المعاصرة التي أصبحت كما أراد دولـــة علمانِيَّة غَرْبِيَّة الطابع والقوانين والهـــوى. وُلِدَ مصطفى علي رضا عام 1881 بمدينة ســـالونيك اليونانيَّـــة التي كانت تابعة آنذاك للدولة العُثْمَانِيّة، وكان أبوه موظفاً بســـيطاً، انخرط في البدء في مدرســـة دينيَّة تقليديَّة، ثم دخل مدرسة حديثة فالمدرســـة العَسْـــكَرِيَّة العليا في عام 1893م وهو صبيّ صغير، وهناك لقَّبه أحد مُدَرِّســـيه بكمال لنبوغه الدراسي؛ فأصبح اسمه مصطفى كمال.
تخرَّج برتبة نقيب في العام 1905م، ثم خاض حروباً عِدَّة ضمن الجيش العُثْمَانيّ في ألبانيا وطرابلس، وذلك قبل أن تشارك الدولة العُثْمَانِيّة في الحرب العالميَّة الأولى إلى جانب دول المحور؛ حيث برز نجم الضابط مصطفى كمال كقائد عسكري من طراز رفيع لِيَرْقَى إلى رتبة جنرال في عام 1916م وهو في الـ35 من عمره فقط.
قبل تلك الأحداث بسنوات وبعد تخرُّجه من المدرسة العَسْكَرِيَّة مباشرة كان مصطفى كمال قد أنشأ خلال خدمته في دمشـــق خَلِيَّة سِرِّيَّة أطلق عليها الوطن والحُرِّيَّة ضد ما يصفه مريدوه (اســـتبداد الســـلطان العُثْمَانيّ)، وعلى الرغم من أنه لم يعرف لهذه المُنَظَّمَة نشاط سِيَاسِيّ يذكر مثل جمعيَّة الاتِّحَاد والتَّرَقِيّ، فإن التنظيمين ينطلقان من مبدأ واحد حتى قيل: إن مصطفى كمال التحق فعلاً بالجمعيَّة الأخيرة بعد انكشاف أمر مُنَظَّمَتِهِ للسُّلُطَات.
وبغضِّ النظر عن المرجعيَّة السِّيَاسِيَّة للضابط الصاعد بقُوَّة، فإن اسم مصطفى كمال عُرِفَ في إسطنبول واشتهر بعد ما حقَّقه مع قوَّاته في فلسطين وحلب وأنطاكيا خلال الحرب، لكن أهميَّة الجنرال مصطفى كمال تعاظمت بعد هذه الأحداث حينما انتهت الحرب العالميَّة الأولى بهزيمة بلاده واحتلال أجزاء واسعة منها من قبل جيوش الحلفاء، حينها قُدِّرَ لهذا الضابط أن يمارس دور المُحَرِّر الذي كرَّســـه بطلاً قوميّاً في عموم الدولة العُثْمَانِيّة التي كانت لا تزال تستقطب عطف كثير من المسلمين.
تزعَّـــم مصطفى كمال ما سُـــمِّيَ بحرب الاســـتقلال لتحرير الأناضول المحتل، وظهـــرت كاريزما الرجل بصـــورة واضحـــة حينما رفض أوامر الســـلطان بالتَّخَلِّي عن الواجب والعودة إلى إســـطنبول المحتلة من البريطانيِّينَ، فاستقال من الجيش ونظم منذ مايو/أيار عام 1919م قُوَّات التحرير التي قاتلت اليونانِيِّينَ والبريطانيِّينَ والفرنسيِّينَ والإيطاليِّينَ تحت قيادته، حتى تمكَّن قبل نهاية صيف عام 1922م مِن طَرْد القُوَّات المحتلة من بلاده.
أكْسَـــبَتْ هذه الانتصارات الجنرال مصطفى كمال شـــهرةً ملأت آفاق العالم الإســـلامي الذي نظر إليه كبطلٍ لا سِـــيَّمَا، وأنه اســـتعان بالرموز الدِّينِيَّة وعلماء الدين في حَشْـــد الناس للقتال معه، وانهالت عليه برقيات التهاني من البلدان الإِسْلَامِيَّة، وتنبَّه إليه الغرب وكتب عنه الإعلام هناك ما زاده شهرةً وتأثيراً.
خـــلال معارك التحرير وتحديداً في ربيع عام 1920م أسَّـــس مصطفى كـــمال المجلس الوطني العظيم في أنقرة من مُمَثِّلي القُوَى الشَّـــعْبِيَّة المشـــاركة في حرب التحرير لِيَتَحَوَّل إلى حكومة موازيَّة لســـلطة الخليفة=

بعيداً عن هُويّتهَا الإسْــلاميَّة باتجاه التغريــب Westernization، باعتباره مُنْطَلَقاً للانتقـــال بتركيا ما بعد العُثْمَانِيَّة، مـــن مجتمع تَقْلِيدِيّ إلى مجتمعٍ عصريٍّ متحضِّرٍ، لكنَّ هذا الأمر لم يُخَلِّف إلا تغييرات بِنْيَوِيَّة، مفروضة فوقيّاً، على قِيَم وتقاليد المجتمع التُّرْكِي، بعيداً عن هُوُيَّتِهِ الحَضَارِيَّة الإسْلاَمِيَّة، من دون أن ينتقل ذلك إلى السياقات الاقتِصَادِيَّة والسِّيَاسِــيَّة السائدة في الغرب، فلم تصبح تركيا الكَمَالِيَّة قُوَّة اقتِصَادِيَّة كبرى، كما لم تصبح ديمقراطيّتها وبِنْيَتها السِّيَاسِــيَّة ليبراليَّة كُلِّيَّةً، فســاد التَّوْظِيف

=العُثْمَاني في إســطنبول، وفي عام 1921م أصدر المجلس ما سَــمَّاه القانون الأساسي الذي تَزَامَنَ صدوره مع إعلان النصر وتحرير الأراضي التُّرْكِيَّة في صيف عام 1922م، وأَعْلَن فيه مصطفى كمال إلغاء السلطنة. في يوليو/تموز من عام 1923م وقَّعت حكومة مصطفى كمال معاهدة لوزان التي كرَّسَتْ قيادته لتركيا باعــتراف دولي، فأعلــن في 29 أكتوبر/تشرين الأول من نفس العــام ولادة الجمهوريَّة التُّرْكِيَّة وألغى الخلافة، وأُعْلِنَ رئيســاً، وجعل أنقرة عاصمة للدولة الجديدة بدلاً من إســطنبول، وبدأ سلســلة إجراءات استمرَّت بِضْعَ سنوات، غيَّر من خلالها وَجْه تركيا بالكامل.

بــدأ مصطفى كمال إجراءاته بِتَغْيِيرِ أشــكال الناس؛ حيث منــع اعتمار الطربوش والعمامة وروَّج لِلِّبَاس الغــربيِّ، منــع المدارس الدِّينِيَّة وألغى المحاكم الشَّرْعِيَّــة، أزال التكايا والأضرحة، وألغى الألقاب المذهبيَّة والدِّينِيَّة، وتبنَّى التقويم الدَّوْلِيّ، كتب قوانين مستوحاة من الدستور السويسري، وفي عام 1928م ألغى اســتخدام الحرف العربي في الكتابة، وأمر باســتخدام الحرف اللَّاتيني؛ في محاولة لقطع ارتباط تركيا بالشرق والعالم الإسلامي.

تحوَّلــت تركيــا خــلال 15 عاماً من حكم مصطفى كمال بشــكلٍ جوهريّ، ويذكر له الأتراك أنه أسَّــس دولــة قويَّــة حديثة، لكنَّ خصومه يشــدِّدون على أنه لم يكتفِ بإزالة آخر دول الخلافة الإسْــلاَمِيَّة لكنه حــارَب الديــن والتديُّــن من خلال النِّظَــام العلماني الذي شرَعَــهُ في تركيا، بل إنه ربــط تقدُّم البلاد وتطورها بالتَّخَلِّي عن الهُوُيَّة الإسْــلاَمِيَّة تاريخاً وممارســةً، ولذلك فالعلمانِيَّة الكماليَّة لم تكتفِ بفصل الدين عن الدولة، لكنها ســيطرت على الممارســة الدِّينِيَّة ومنعت كل مظاهر التَّدَيُّن بإجراءات قانونيَّة تحميها مؤسَّسات الدولة، وأبرزها الجيش.

تُــوُفيِّ مصطفــى كمال بعد مرضــه في نوفمبر عام 1938م، وبعد وفاته بخمســة أعوام، منحه البرلمان الــتُّرْكِيّ لقــب أتاتورك (أبو الأتراك) اعتزازاً به وتخليداً لــه، وحتى اليوم ما زالت القواعد التي وضعها أتاتورك تحكم تركيا، لكن هذه القواعد ظَلَّتْ موضع جَدَل داخليّ مُعْلَن أو غير مُعْلَن؛ لأنها مَسَّت التديُّن الذي يُمَثِّل جوهر روح المجتمع، كما أن هذه القواعد تعرَّضت للانتهاك أكثر من مَرَّة، وهي اليوم تواجه تساؤلات جديَّة ببقائها مع انتشار التَّيَّار الإسلامي في تركيا. (مصطفى كمال أتاتورك، الجزيرة نت، 13 نوفمبر 2006م، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4Mureu).

الخَشِـــن أو الصَّلْب لِلْقُوَّةِ Hard Power من خلال الانقلابات العَسْــكَرِيَّة وهيمنة الجيش على الدولة والمجتمع على حدٍّ سواءٍ، باعتباره حامي العَلْمَانِيَّة وقِيَمِ الجمهوريَّة التُّرْكِيَّة الحديثة.

مع وصول حزب العدالة والتَّنْمِيَة إلى سُــدَّةِ الحُكْم منذ العام 2002م، تغيَّر المشـــهد التُّركيّ تدريجيّاً، سِيَاسِيّاً واقْتِصَادِيّاً، وقبل ذلك ثقافِيّاً وهوياتِيّاً، من خلال التَّوْظِيف الاسْــتِرَاتِيجِيّ لِلْقُوَّةِ النَّاعِمَة Soft Power؛ حيث عَمَدَتْ خبرةُ العدالة والتَّنْمِيَة فيما يَتَعَلَّـــق بالتَّنْمِيَـــة الاقتصَاديَّة وبناء الديمُقْرَاطِيَّة والعلاقـــة بين الدولة والدين، إلى الانتقـــال الهادئ من النموذج التَّحْدِيثي الَّـــذِي تقوده الدولة، ويحميه الجيش، بناءً على أفكار كمال أتاتورك الَّتِي تقوم على الحداثة بواسطة التغريب الثَّقَافِيّ والعَلْمَانِيَّة الراديكاليَّة، إلى نموذج آخر يجمع بين استحقاقات الديمُقْرَاطِيَّة الانتخابِيَّة والعَلْمَانِيَّة المتســـامحة غير التَّدَخُّلِيَّة، من جهة، والهُويَّة الوَطَنِيَّة المســـتندة على جذور حَضَارِيَّة إسْلامِيَّة من جهة أخرى. (1)
وإذا كانت الخبرة النيوليبراليَّة التُّرْكِيَّة الَّتِي انطلقت في بدايَة الثمانينيَّات من القرن الماضي على يَدِ تورجوت أوزال(2)، قد قادت إلى تنمية اقْتِصَادِيَّة مُتَسارِعَة، فإنَّ خبرة

1. فـؤاد العمــري، تركيا: مفاعيل الهيمنة والتحكُّم، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/xPTgt

2. اقتصادي ليبراليّ، بدأ حياته العمليَّة مهندساً للسدود في سِتِّينيَّات القرن الماضي، قبل أن يأخذه العمل السِيَاسِيّ إلى قِمَّة هرم السلطة في الدولة التُّرْكِيَّة عام 1980م وسط مناخ إقليمي ودولي مُضْطَرِب، وكان عهده زمن هدنة في صراع الهُوُيَّة بين الإسلاميِّينَ والعلمانيِّينَ. أسَّس أوزال حزب الوطن الأُمّ عام 1983م، وقبل نهاية ذلك العام فاز هذا الحزب في الانتخابات العامة ليتَوَلَّى السِيَاسِيّ الجديد تشكيل الحكومة منفرداً، في الوقت الذي كان فيه الجنرال كنعان إيفرين قائد الانقلاب رئيساً للجمهوريَّة، وخلال حُكْمِهِ أظهر أوزال تعاطفاً شديداً مع النشاطات الإسْلاَمِيَّة، لكنه نفى وجود حركة إسْلاَمِيَّة مُنَظَّمَة في تركيا ليقلِّل من مخاوف الجيش والأوساط العلمانيَّة. حرص أوزال على أداء صلاة الجمعة بحضور عدد من وزرائه، واستقطب إلى جانب حزبه مريدي الطرق الصوفيَّة الذين كان لهم دورٌ مؤثِّر في فوزه للمرة الثَّانِيَة في انتخابات عام 1987م، وهو لم يكتف بأنه أفْسَـح المجال للحركات الإسْلاَمِيَّة بالانتشار العلني، بل ضمَّ في قيادات حزبه الحاكم وُجُوهاً إسْلاَمِيَّة سِيَاسِيَّة معروفة كان بعضها جزءاً من حزب السلامة الوطني. للمزيد: يُنْظَر الرابط التالي: https: //www.turkpress.co/node/13644

حزب العدالة والتَّنْمِيَة قد بُنِيَتْ على تلك النجاحات الاقتِصَادِيَّة، وعَزَّزَتْهَا لتصبح بعد 15 عاماً من حُكْمِ الحزب بمثابة الدِّعَامَة الأَسَاسِــيَّة لنموذج القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة، لتصبح تركيا -وهي الدولة ذات الأغلبيَّة المسلمة- هي الدولة الوحيدة في المنطقة الَّتِي نجحت في خَلْق اقتصادٍ تَنْمَوِيّ ذاتي مستدام، يقوم على حُرِّيَّة السوق، ولا يعتمد على اقتصادات رِيعِيَّة، وإنما يعتمد على قطاعات إنتَاجِيَّة حديثة تقوم على التصنيع، وَفْقاً لمقولات اقترابات التَّحْدِيث، من دون أن يَصْطَلِي بالآثار السَــلْبِيَّة للتحديث من قبيل الارتهان السِّيَاسِيّ لِلْقُوَى الغَرْبِيَّة وَفْقاً لمقولات اقترابات التَّبَعِيَّة(1).

ومِــنْ ثَمَّ؛ فإنَّ خبرة العدالــة والتَّنْمِيَة في تركيا قد قادت البلاد إلى نموذج جديد أو طريق ثالث، يجمــع بين مقولات التَّحْدِيث لبلوغ التَّنْمِيَة المُجْتَمَعِيَّة، وينأى بنفســه عن آثارها السَــلْبِيَّة وَفْقاً لمقولات التَّبَعِيَّة، هذا على صعيد المُقْتَرَبَات النَّظَرِيَّة لظاهرة الصُّعُود التُّرْكِيّ في الشرق الأوسط.

أما على الصعيد الاسْــتِرَاتِيجِيّ العَمَلِيَّاتِيّ، فإنَّ الدراسة سوف تبحث في مَاهِيَّة القُوَّة التُّرْكِيَّــة النَّاعِمَة، كإطار إجْرَائِيّ، ودورها في الصُّعُود بتركيا كقطب إقْلِيمِيّ واعِد في العلاقات الدَّوْلِيَّة؛ من خلال تســاؤل رئيس يتمحور حول: **كيف وظّفت استِرَاتِيجِيَّة الحكومة التُّرْكِيَّة الْحَالِيَّة مفردات القُوَّة النَّاعِمَة لتركيا في سياق التفاعلات الدَّوْلِيَّة والإقْلِيمِيَّــة للوصول إلى القُطْبِيَّة الإقْلِيمِيَّة في الشرق الأوســط، ما جعلها خبرة مُتَفَرِّدَة ونموذجاً ذا نَكْهَةٍ خاصَّة باتت مُلْهِمَةً لكثيرٍ من الدول والشُّــعُوب، لا سِيَّمَا في الدول النَّامِيَة والعالم الإسْلاَمِيّ؟**

1. التقريــر الاسْــتِرَاتِيجِيّ الارتيادِيّ، الأمَّــة والخروج من التَّبَعِيَّة، مجلة البيان اللندنيَّــة بالتعاون مع المركز العربي للدراسات الإنسانيَّة بالقاهرة، الإصدار الرابع عشر 1438هـ، ص ص 85-86.

تساؤلات الدراسة:

تثير الإِشْــكَالِيَّة البَحْثِيَّة الرئيسة للدراسة عدداً من التساؤلات الفرعيَّة، تسعى للبحث عن إجابات لها، تكتمل، من خلالها منظومة الإجابة عن الإِشْــكَالِيَّة الرئيســة مَحَلّ البحث، ولعل أبرز هذه التساؤلات ما يلي:

- ما هو مفهوم القُوَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة، وما هي أشــكال القُوَّة وتجليَّاتها على الصعيد الدَّوْلِيّ، تنظيراً وتطبيقاً؟
- كيف يمكن قراءة مُحَفِّزَات تطوير القُوَّة النَّاعِمَة لتركيا، تلك الَّتِي مكَّنَتْهَا من خَلْق نموذجها الخاص على الصعيد الدَّوْلِيّ كقطبٍ إِقْلِيمِيّ مُتَفَرِّد؟
- ما هي أبرز مُكَوِّنَات القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة، وكيف نجحت خبرة العدالة والتَّنْمِيَة في توظيف تلك المُكَوِّنَات لصالح الدولة التُّرْكِيَّة اسْتِرَاتِيجِيّاً، داخِلِيّاً وخارجيّاً؟
- مـــا هي حدود القُـــوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة، نطاقِيّاً، وَفْقاً لدوائر اهتمام السِّيَاسَـــة الخَارِجِيَّة للدولة التُّرْكِيَّة؟
- كيف يمكن تحليل الآثار الاسترَاتِيجِيَّة لتوظيف القُوَّة النَّاعِمَة لتركيا في العلاقات الدَّوْلِيَّـــة، وما هي أبرز التَّحَدِّيَات الَّتِـــي تُجَابِه قُوَّة تركيا النَّاعِمَة، ومن ثَمَّ كيف يمكن اســـتشراف مستقبل القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة لا سِـــيَّمَا في ظِلِّ استرَاتِيجِيَّة 2023م، الَّتِي تُوَاكِب الذِّكْرَى المئويَّة لقيام الجمهوريَّة التُّرْكِيَّة؟
- ما أبرز التعديلات الَّتِي تَمَّ إضافتها للدستور التُّرْكِي؟ وما أهم الآثار المُتَرَتِّبَة على تحويل نظام الْحُكْمِ في تركيا من النِّظَام البرْلَمَانِيّ إلى النِّظَام الرِّئَاسِيّ؟
- كيف ستنعكس الانتخابات الرِّئَاسِيَّة والتشرِيعِيَّة المُبَكِّرَة على مسيرة تركيا حكومةً وشعباً، وعلى محيطها الجُغْرَافِيّ ومسيرتها التَّنْمَوِيَّة والاقتِصَادِيَّة؟

أهداف الدراسة:

تُعَدُّ النهضة التُّرْكِيَّة الحديثة أحد أهم النماذج المُشْرِقَة على المستوى الإِقْلِيمِيّ والدَّوْلِيّ، فقد شهد العَقْد الأَوَّل من الألفيَّة الثالثة طفرةً تعليمِيَّة واقْتِصَادِيَّة، واجْتِمَاعِيَّة وسِيَاسِيَّة

هائلة، بعد فوز حزب العدالة والتَّنْمِيَة ذي التَوَجُّهَات الإِسْلامِيَّة بالانتخابات العَامَّة في تركيا ســـنة 2002م، بقيادة السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان(1) الرئيس الحالي للجمهوريَّة التُّرْكِيَّة.

1. السيد رجب طَيِّب أردوغان (مواليد 26 فبراير 1954م)، عضو حزب العدالة والتَّنْمِيَة الذي يملك غَالِبِيَّة مقاعد البرلمان التُّرْكِيّ ورئيس تركيا الثاني عشر والحالي منذ 28 أغسطس 2014م. ويُعَدُّ أول رئيس تركي اختاره الشعب بطريق الاقتراع المباشر.
عُرف السيّد أردوغان باهتمامه بِصُلْبِ الحياة الاجْتِمَاعِيّة والسِّيَاسِيَّة وانشغاله بها منذ أوّل شبابه؛ حيث تعلَّــم روح العمــل مع الفريق والانضباط بالعمل الجماعــي في الفترة ما بين 1969 و1982، حين اتَّخَذَ كرة القدم هِوَايَّة لنفســه. وفي الفترة نفســها بدا اهتمامه الجادّ بقضايا بلاده وما تعاني من مشــكلات اجْتِمَاعِيّــة؛ لأنه كان شــاباً ذا فكر ثاقب ونَظَرٍ بعيدٍ، وقد أَيْقَــنَ أنّ نَفْعَهُ الكبير لمجتمعه وبلده لا يَتِمّ إلا بالولوج في الحياة السِّيَاسِيَّة، فدخلها بقُوَّة وصورة فعّالة.
بدأ رجب طَيِّب أردوغان يَتَوَلَّى دوراً بارزاً في المُنَظَّمَة الطلابيَّة للاتِّحَاد الوطني للطلبة الأتراك والمُنَظَّمَات الشَّــبَابِيَّة. ففي ســنة 1976م، انتُخِبَ رئيساً للمُنَظَّمَة الشَّــبَابِيَّة لحزب السلامة الوطني بمنطقة بايوغلو التابعة لمدينة إســطنبول. وفي الســنة نفســها أصبح رئيساً للمُنَظَّمَة الشــبابيَّة في مدينة إسطنبول. وبقي أردوغــان في هذيــن المنصبين وغيرهما إلى عام 1980. وعندما حُلّت الأحزاب السِّيَاسِــيَّة في 12 أيلول (سبتمبر) من السنة نفسها عمل مستشاراً وإدارياً رفيعاً في القطاع الخاص.
عاد رجب طَيِّب أردوغان إلى الحياة السِّيَاسِــيَّة بقُوَّة مع تأســيس حزب الرفاه عام 1983، وأصبح رئيس الحزب في فرع بايوغلو بإسطنبول عام 1984، ثمّ رئيساً للحزب في مدينة إسطنبول، وعضواً في اللجنة الإداريَّــة للقرارات المركزيَّة لحزب الرفاه عام 1985. وفي أثناء رئاســته لفرع حزبه بمدينة إســطنبول وضع هيكلاً تنظيميّاً جديداً للحزب، وكان ذلك بمثابة نموذج مثالي لسائر الأحزاب السِّيَاسِيَّة أيضاً. بذل أردوغان في تلك الفترة جهوداً سِيَاسِيّة كبيرة، ولا سِيَّمَا في تشجيع ضمّ النساء والشباب إلى السياسة؛ إذ اتَّخَذَ خطوات مهمّة في نشرها في أصول المجتمع، وتَبَنِّيهَا من الكُتَل الشعبيَّة. وكان لهذا التنظيم الجديد فضــلاً ظاهــراً على حزب الرفاه الذي حقّق نجاحاً كبــيراً في انتخابات بايوغلو المحليَّة عام 1989، كما أصبح نموذجاً يحتذى به في فَعَالِيَّات الحزب على الصعيد الوطني.
شَــغَلَ منصب عُمْدَة إســطنبول من 1994م إلى 1998م ثم تَوَلَّى رئاســة وزراء تركيا من مارس 2003م حتى أغســطس 2014م. عَمِلَ على اسْــتِتْبَاب الاستقرار والأمن السِــيَاسِيّ والاقْتِصَادِيّ والاجْتِمَاعِيّ في تركيا. تَصَالَحَ مع الأرمن بعد عَدَاءٍ تاريخيّ مُتَجَذِّر، وكذلك فعل مع اليونان. فتح جسوراً بين تركيا وبين أذربيجان وبقيَّة الجمهوريات الســوفييتيَّة الســابقة، وأرسى تعاوناً مع العراق وسوريا، وفتح الحدود مع عدد من الدول العَرَبِيَّة، ورفع تأشــيرة الدخول، وفتح أبواباً اقْتِصَادِيّة وسِيَاسِــيّة واجْتِمَاعِيّة وثَقَافِيَّة مع عدد من البلدان العالميَّة. لمزيد من التفاصيل: انظر الســيرة الذَّاتِيَّة للرئيس التُّرْكِيّ الســيد رجب طَيِّب أردوغان، موقع رئاســة الجمهوريَّة التُّرْكِيَّة على شــبكة الإنترنت، تاريخ الزيارة، 5 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/EEvFeU

وقد كَثُرَ الحديث عن التجربة التُّرْكِيَّة ذات التَوَجُّهَات الإسْــلامِيَّة في الحُكْم، والَّتِي بَرْهَنَتْ على نجاحها في الصعيدين الاقْتِصَادِيّ والسِّيَاسِيّ بشكلٍ مثيرٍ للدَّهْشَةِ، خُصُوصاً أنَّ هذا يحدث في دولة ترسَّــخَت فيها العَلْمَانِيَّة(1)، وسيطرت على العنصرين المَادِّيّ والبَشَرِيّ لأَزْيَدَ مِن تِسْعَة عُقُودٍ من الزَّمَن، منذ أن قام مصطفى كمال أتاتورك بتبنِّي العَلْمَانِيَّة عام 1923م كثقافةٍ وهُوِيَّةٍ جديدة للشــعب التُّركِيّ، وجعل الجيش حارسها الَّذِي لا ينام. مســتخدماً في ذلك القُوَّة الصَّلْبَة وســيلةً للسيطرة على الدولة، وحَلِّ الأحزاب، وتَحَكَّمَ الجيش في تداول السُّلْطَة. وبذلك أصبحت المُؤَسَّسَة العَسْكَرِيَّة القُوَّة الَّتِي لا ينازعها أحدٌ في أمور السُّلْطَة وإدارة شؤون البلاد؛ حيث استخدمت القُوَّة في دكِّ حصون الأكراد، ومعاقبة كُلّ مَن سَوَّلَتْ له نفسه معارضة النِّظَام العلماني التُّرْكِيّ. فضلاً عمَّا أحْدَثَتْهُ القُوَّة الصَّلْبَة من اســتئصالٍ ومَسْخٍ للهُوِيَّتَيْنِ الثَّقَافِيَّة والدِّينِيَّة في أوساط المجتمع التُّرْكِيّ، حتى أصبح لا يَعْرِفَ من الدِّين إلا القليل.

وَعَقِــبَ وصول حزب العدالـــة والتَّنْمِيَة إلى الحُكْم في تركيا بقيادة الرئيس السَّـــيِّد رجب طَيِّب أردوغان، توجَّه نحو اســتخدام القُوَّة النَّاعِمَة في سياساته الدَّاخِلِيَّة منها والخَارِجِيَّة؛ حيث يُعتَبر الوعي والانفتاح السِّيَاسِيّ من أسباب نجاح الرئيس أردوغان وحزب العدالة والتَّنْمِيَة في قيادة تركيا نحو النهوض والتَّقَدُّم، ومما يُحسَــب للرئيس أردوغان وحزب العدالة والتَّنْمِيَة إيمانهم بأهَمِّيَّة اســتثمار قِيَم المســاواة والحُرِّيَّة والعدالة الاجْتِمَاعِيَّة الَّتِي يحتاجها أيُّ مجتمع لبناء نهضته وتقدُّمه.

1. العلمانِيَّة في الأصل: هي فصلُ الدِّين عن الدولة. وقد بدأت العلمانِيَّة في تركيا عام 1928م، مع تعديل الدستور التُّرْكِيّ (1924م) بحذف مادة "دين الدولة هو الإســلام"، بعدها أدخل أتاتورك مجموعة من التغييرات الإداريَّة والسِّيَاسِــيَّة لِخَلْقِ التحديث وتأســيس دولة ديمُقْرَاطِيَّة علمانِيَّة تتماشى والأيديولوجيَّة الكماليَّة (مصطفى كمال) الصارمــة في هــذا الصدد. بــدأت تلك الإجراءات بتغيير أشــكال اللباس عند الأتراك (منــع اعتمار الطربوش والعمامة والترويج للباس الغربي)، مروراً بمنع المدارس الدِّينِيَّة، وإلغاء المحاكم الشَّرْعِيَّة، وإزالة التكايا والأضرحة والألقاب المذهبيَّة والدِّينِيَّة، وانتهاء بتَبَنِّي التقويم الدَّوْلِيّ وســنّ قوانين مســتوحاة من الدستور السويسريّ. كما ألغى استخدام الحرف العربي (1928م) وأمر باستخدام الحرف اللاتينيّ، في محاولة لقطع ارتباط تركيا بالشرق والعالم الإسلامي نهائياً. للمزيد يُنْظَر: https: //noonpost.org/content/11881

ورغم التَّحَدِّيَات الكبرى الَّتِي وَاجَهَهَا الحزب، والَّتِي كان أشدّها مُحَاوَلَتَي استخدام القُوَّة الصَّلْبَة للقيام بانقلاب عَسْـــكَرِيّ ضِـــدَّ حكومة أردوغان، لكنه كان في كُلّ مَرَّة يتعامل مع الأزمات والخَطَر المُحْدِق به بِضَبْطِ نَفْسٍ وحِنْكَةٍ سِيَاسِيَّة فَذَّة؛ حيث يتَبَنَّى موقفاً لا يبدو ضِدَّ العَلْمَانِيَّة بشـــكل كامل، ولكنه في المقابل لا يُبْدِي انصياعه لها، ولا يَقبل فَرْض أيّ شروطٍ تضعها حَجَر عثرة أمام حكومته، ما دام أنه جاء بإرادة شَعْبِيَّة وَفْقَ انتخابات حُرَّة. بل عَمِلَ على تقليص نفوذ المحكمة الدُّسْتُورِيَّة لِيَأْمَنَ جانِبَ الجيش الـــتُّرْكِيّ. وتَمَّ كُلّ هذا، عبر خطوات تدلُّ على الْحِنْكَةِ والمقدرة على اســـتخدام القُوَّة النَّاعِمَة والذَّكِيَّة، ومعها الأدوات الديمُقْرَاطِيَّة المتاحة.

أما من ناحية العلاقات الخَارِجِيَّة فقد ضرب حزب العدالة والتَّنْمِيَة أروع الأمثلة في التعامـــل مع القُـــوَى الكبرى الَّتِي لم تكن يوماً راضيَّة عن فوزه، ولا تَقبل التعامل مع أيِّ حزبٍ يحمل مشروعاً إسلاميّاً نَهْضَويّاً، ولكنه بصلابة مواقفه وحزمه السِّيَاسِيّ مع معارضي الداخل أقنَـــع مُعَارِضِي الخارج بأنه جاء ليبقى، فلم يَجِدْ بُدّاً من التصريح بأنَّ النِّظَام القائم في تركيا يُعتبر حالة استثناء، وأنه يمكن التعايش معه(1).
وهذا في حَدِّ ذاتِهِ يُمَثِّـــلُ نجاحاً للتجربة التُّرْكِيَّة، الَّتِي أَكَّدَتْ قدرة القِيَم الحَضَارِيَّة الإِسْلامِيَّة على المساهمة في بناء الدولة، وصياغة مشروع مُجْتَمَعِيّ ناجح.

وقد ســـلك الحزب في ذلك سياســـات احترَافِيَّة ذكيَّة؛ فلـــم يصطدم حزب العدالة والتَّنْمِيَة بالقوانين ولا بالدُّسْـــتُور التُّرْكِيّ وعَلْمَانِيَّتِهِ، بل نصَّ عليها في برنامجه وأقَرَّ بِعَلْمَانِيَّـــةِ تركيا، وضرورة احترامها والتعامل معها؛ كونها أحد مُكَوِّنَات تركيا الحديثة وقواعدها الرَّاســـخة. وهو ما ساعده على احتواء العديد من قُوَى العَلْمَانِيَّة، واحتواء

1. نبيـــل الهتـــاري، لماذا نجحت التجربة التُّرْكِيَّة ؟، صحيفة القدس العربي اللَّنْدَنِيَّة، 24 أغســـطس 2013م، تاريخ الزيارة 2 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/PXlTUC

ســـطوة الجنرالات، حتى ذهب البعض من مراكز القُـــوَى التُّرْكِيَّة إلى اعتبار حزب العدالة والتَّنْمِيَة أحد أجنحة الديمُقْرَاطِيَّة التُّرْكِيَّة الَّتِي أصبحت توازي الديمقراطيَّات الغَرْبِيَّة، وأن هذه التجربة احتوت تيارات الإسلام السِّيَاسِيّ بامتيازٍ.
هـــذا على صعيد الجبهة الدَّاخِلِيَّة، الَّتِي اســـتطاع الرئيس أردوغان فهمها وقراءتها بمنطق العقل والوَاقِعِيَّة السِّيَاســـيَّة. أما على صعيد سياسته الخَارِجِيَّة، فقد سار على نفس المنوال المتوازن أيضاً، والَّتِي أعلن فيها، عبر الخطوط العَامَّة لبرنامجه السِّيَاسِي، بأنَّ تركيا تســـعى للانضمام للاتحاد الأُورُوبِيّ، وستعمل على تحقيق ذلك، عكس رؤيَة أستاذه نجم الدين أربكان(1) الَّذِي ابتعد عن المجموعة الأُورُوبِيَّة. (2)
لقد اســـتطاعت الحكومة التُّرْكِيَّة أن تنهـــض باقتصاد تركيا نهضةً كبيرةً، وأن تُحَقِّقَ آمال الشـــعب في الحُرِّيَّات السِّيَاسِيَّة والرَّفَاهِيَّة الاقتِصَادِيَّة. واستخدام هذه الطفرة الاقتِصَادِيَّة كَقُوَّةٍ ناعمةٍ في ســـبيل تحقيق الاســـتقرار السِّيَاسِي، والقُدْرَة على القيام بأدوار رئيسةٍ في محيطها الجُغْرَافِيّ، ووضع تركيا على خريطة الرِّيَادة على المستويَيْنِ الإِقْلِيمِيّ والدَّوْلِيّ، حتى أصبح عهد حزب العدالة والتَّنْمِيَة صفحةً جديدةً غير مسبوقةٍ في التَّطَوُّر التَّارِيخِيّ لتركيا.

1. نجـــم الديـــن أربكان (29 أكتوبر 1926 -27 فبراير 2011م) مهندس وسِـــيَاسِيّ تركي تَوَلَّى رئاســـة حزب الرفاه ورئاســـة وزراء تركيا من الفترة بين 1996 و1997م، حاصل على الدكتوراه في هندســـة المُحَرِّكَات من جامعة آخن الألمانيَّة (1956م) . أنشـــأ حزب النِّظَام الوطني عام 1970م، كأول تنظيم سِـــيَاسِيّ ذي هُوُيَّةٍ إِسْلاَمِيَّة في الدولة التُّرْكِيَّة الحديثة. وانتخب عضواً في مجلس النواب عن مدينة قونيَّة، وتَمَّ بعدها حلّ حزبه، فقام أربكان بتأسيس حزب السلامة الوطني عام 1972م، وشارك في الانتخابات العامة وفاز بـــ 50 مقعداً، وشـــارك مطلع 1974م في حكومة ائتلافيَّة مع حزب الشـــعب الجمهـــوري، تَمَّ حَظْر حزب الرفاه وأُحِيلَ أربكان إلى القضاء بِتُهَمٍ مختلفة، فأَسَّـــس حزباً جديداً باســـم الفَضِيلة، تَعَرَّضَ أيضاً للحظر في 2000م. أَسَّـــس أربكان حزب السَّـــعادة في 2003م، لكنَّ خصومه من العلمانيين تربَّصُوا به، ليجري اعتقاله ومحاكمته في نفس العام بِتُهْمَةِ اختلاس أموال من حزب الرفاه المُنْحَلِّ، وحُكِمَ عليه بسنتين سجناً، وهو في عمر يناهز 77 عاماً. (ضياء طارق، «المُعَلِّم» أربكان: أبو الإســـلام السِـــيَاسِيّ التُّرْكِيّ "بروفايل"، إضاءات، 8 مارس 2017، تاريخ الزيارة 25 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Gn7GWv).
2. ســـامي الأخرس، لماذا أفلت حزب العدالة والتَّنْمِيَة التُّرْكِيّ من أنياب المحكمة الدُّسْـــتُورِيَّة؟ موقع بيتنا، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/RRRFm

أهَمِّيَّة الدراسة:

لما كان البحث العِلْمِيّ بطبيعته هو عَمَلِيَّة منطقيَّة ومُنَظَّمَة، ويهدف إلى ضَبْط الظَّاهِرَة الَّتِي يقوم الباحث بدراســتها بطريقةٍ عِلْمِيَّة، وَوَفْقــاً لأدوات عِلْمِيَّة منضبطة، تأتي أهَمِّيَّة هذه الدراســة مُسْتَنِدَة بالأســاس على بُعْدَيْنِ رئيسين؛ أحدهما عِلْمِيّ والآخر عَمَلِيّ؛ وإن كان الفصل بين كلا البُعْدَيْنِ من الناحية الوَاقِعِيَّة قد يبدو أمراً تَعَسُّــفِيّاً، باعتبار أن كليهما مُكَمِّل للآخر ومُتَقَاطِعٌ معه بشكل كليٍّ أو جُزْئِيٍّ؛ ويمكن إلقاء الضوء على كلا النوعين من الأهَمِّيَّة على النحو التالي:

الأهَمِّيَّة العِلْمِيَّة:

1. تُعَدُّ الدراســة محاولة تَحْلِيلِيَّة مَنْهَجِيَّة لدراســة أبعاد ومرتكزات القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَــة الَّتِي ســاهمت في صعود تركيا كقطب إِقْلِيمِــيّ له وزنه على الصعيد الاسْترِاتِيجِيّ في الشرق الأوسط.
2. التَّأصِيل المفاهيمّي لِلْقُوَّةِ النَّاعِمَة في ظِلِّ الخبرة التَّطْبِيقِيَّة التُّرْكِيَّة؛ حيث اعتادت الأدبيَّات العِلْمِيَّة، لا سِيَّمَا الغَرْبِيَّة منها، على ربط القُوَّة النَّاعِمَة بالدول الكبرى، وخَاصَّــة الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة، وَفْقاً لمُقْتَرَبَات العولمة الَّتِي يعتبرها البعض مرادفاً للأمركة في جوهرها وأهدافها الغائيَّة.
3. تقديم رؤيَــة عِلْمِيَّة كليَّة حول مســتقبل القُوَّة التُّرْكِيَّــة النَّاعِمَة ذات الأهَمِّيَّة الاسترِاتِيجِيَّة البالغة في منطقة الشرق الأوسط.
4. تمحيص مقولات مُقْتَرَبي التَّحْدِيث والتَّبَعِيَّة بشكل تطبيقيّ، وَفْقاً للخبرة التُّرْكِيَّة في التَّنْمِيَة المســتدامة؛ حيث تُمَثِّل حالة تركيا إطاراً تطبيقيّاً ملائماً لاختبار تلك المقولات الَّتِي لا تخلو من تَسْيِيس، ومن ثَمَّ الخروج عن الْحَدِّيَّة الاستقطابيَّة بين أنصار كلا المدرســتين، ببيان أنَّ ثمَّة طريقاً ثالثاً للتَّنْمِيَة، تُمَثِّلُهُ الخبرة التُّرْكِيَّة؛ الأمر الَّذِي يُمَثِّل تراكماً معرفيّاً في نَظَرِيَّات التَّنْمِيَة واسْترِاتِيجِيَّات النهضة.

الأَهَمِّيَّة العَمَلِيَّة:

1. تأتي الدراسة لِتُحَلِّل أبعاد قُوَّة تركيا النَّاعِمَة في سياقٍ مُحايد، بعيداً عن تناقضات التهوين والتهويل، لا سِــيَّمَا فيما يَتَعَلَّق بالتَّحْذِير من التَّحَدِّيَات الَّتِي من شأنها المساس بفاعليَّة القُوَّة النَّاعِمَة للدولة التُّرْكِيَّة، جنباً إلى جنب مع الآثار الإِيجَابِيَّة للتطبيق التُّرْكيّ الناعم لِلْقُوَّةِ في العلاقات الدَّوْلِيَّة.
2. الاقـــتراب من وَصْفة النجاح التَنْمَوِيَّة الَّتِـــي خاضتها الخبرة التُّرْكِيَّة، لا بهدف استنســـاخها عَرَبِيّاً أو إِسْـــلَامِيّاً، اقتناعاً بأن لكل مجتمع خُصُوصِيَّته، ولكل دولة خبرتهـــا الذَّاتِيَّـــة الخَاصَّة، ولكن بهدف الخروج من نَفَـــق الوصفات الجاهزة للتَّنْمِيَة ذات المَشْرُوطِيَّة السِّيَاسِـــيَّة، الَّتِي تفرضها مُؤَسَّسَات الرَّأْسْمَالِيَّة الدَّوْلِيَّة، مثل صندوق النقد الدَّوْليّ والبنك الدَّوْليّ، على الأمم الضعيفة بهدف دَمْجِها في قاطرة الاقتصاد الدَّوْليّ الَّتِي تَصُبُّ بالأَخير في مصلحة القُوَى الكبرى الدَّوْلِيَّة.
3. التَّأْكِيد على أَهَمِّيَّة الإرادة السِّيَاسِـــيَّة الَّتِي تُعْتَـــبَرَ قاطرةَ النجاح الحقيقيَّة لأيِّ اســـترَاتِيجِيَّة تَنْمَوِيَّة، والَّتِي بدونها تَتَحَوَّل الجهود الرامية إلى التَّنْمِيَة إلى مُجَرَّد إجراءات جُزْئِيَّة، ربما تُحَقِّقُ بعض النجاحات الوقْتِيَّة أو الظَّرْفِيَّة، لكنها قطعاً لن تُحَقِّق التَّنْمِيَة بمفهومها الشامل المستدام.
4. بيان أَهَمِّيَّة التدرُّج في تغيير الأمم والمجتمعات، والَّذِي يُعَدُّ جوهر القُوَّة النَّاعِمَة؛ حيث تُجَسِّـــدُ خبرةَ العدالة والتَّنْمِيَة في تركيا تأكيداً على هذه الأَهَمِّيَّة، لا سِـــيَّمَا مع انتهاج الحزب اسْـــترَاتِيجِيَّات متوازنة للتغيـــير داخِلِيّاً وخارِجِيّاً؛ حيث مثَّلت نجاحات الداخل منطلقاً لنجاحات الخارج، كما مَثَّلَتْ النجاحات الخَارِجِيَّة لتركيا بدورها في تدعيم وإسراع وتيرة التغيير القِيَمِيّ والمؤَسَّسِيّ على الصعيد الدَّاخِلِيّ.

فترة إعداد الدراسة

اســـتغرق إعداد هذا الكتاب قرابة ثلاثة أعوام؛ بدايةً من مطلع العام 2016م وحتى مطلع العام 2019م؛ واستمرَّ المُؤَلِّف في مُعَايَشَة قضايا هذا الكتاب طوال هذه المدة؛

تأليفًا ودراسةً ومتابعةً للأحداث عن كَثَبٍ؛ نظرًا لطبيعة الكتاب الوصفيَّة التَّحليليَّة. والحقيقة أنَّني كنتُ كُلَّمَا هَمَمْتُ بدَفْع الكتاب للطباعة؛ يحدث في الأجواء التركيَّة وقائع مهمَّة؛ فأرى لزامًا عليَّ التريُّث قبل دَفْعه للنشر؛ نظرًا لسخونة تلك الأحداث وأهمِّيَّتها، وتطوُّرَاتها المتتابعة، وتسارعها وترابطها، وتأثيرها على فحوى الكتاب وقضاياه؛ فمن الانقلاب العسكري الفاشل، مرورًا بالعديد من الاستحقاقات الانتخابيَّة التركيَّة المهمَّة والمؤثِّرَة، والتَّحَدِّيَات الاقتصاديَّة، وكذا نظرًا للتأثيرات المستمِرَّة للأزمة السُّوريَّة، وتفاعلات علاقات تركيا المحليَّة والإقليميَّة والدوليَّة.

مما فرض عليَّ في كثيرٍ من الأحيان التمهُّل للإحاطة بنتائج تلك الأحداث الساخنة التي شهدتها تركيا خلال فترة إعداد الدراسة؛ لأني شعرتُ بأنَّ عدم تَضْمِين هذه الأحداث ونتائجها في طيَّات الكتاب يُخِلّ بنتائجه، ويُغْفِل عَرْض أحداثٍ مُهِمَّةٍ. وحيث إنني أسعى لتقديم كتاب مُتَمَيِّز وبحث أكاديميّ مُحْكم ودقيق يبقى مُؤَثِّرًا لأزمان طويلة، وباكورة الإنتاج الفكري في هذا المجال، وليصبح مرجعًا للباحثين من بعدي؛ عسى أن أكون قد وفقت في دراسة وتحليل تلك الأحداث وتقديمها بصورة موضوعية.

الدِّرَاسَات السابقة:

ثمَّة مجموعة من الدِّرَاسَات السابقة الَّتِي تناولت بالرَّصْد والتحليل مفهوم القُوَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة، وعناصر ومحدِّدات قُوَّة الدولة، ومناهج قياس قُوَّة الدولة، كما تعدَّدت الدِّرَاسَات الَّتِي تناولت الدولة التُّرْكِيَّة، وعناصر القُوَّة الَّتِي تمتلكها واستراتيجيتها في توظيف تلك العناصر على الصَّعِيد الدَّوْلِيّ، والدور القياديّ الَّذِي لعبه حزب العدالة والتَّنْمِيَة في نهضة تركيا.

ويمكن بشكل عامّ الإشارة إلى بعضٍ من هذه الدِّرَاسَات وَفْقاً للتصنيف التالي:

- **دراسات حول مفهوم القُوَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة:**

وتعالج هذه الدِّرَاسَات مفهوم القُوَّة وتَطَوُّره، وأنواع القُوَّة ما بين مَادِّيَّة ومَعْنَوِيَّة، وتطبيقات القُوَّة ما بين الصَّلْبَة والنَّاعِمَة والذَّكِيَّة، وكذلك مُؤَشِّرَات القُوَّة كَمِّيّاً وكَيْفِيَّة قياسها، **ومن هذه الدِّرَاسَات:**

- **منهج قياس قُوَّة الدولة واحتمالات تطوُّر الصِّرَاع العَرَبيّ الإسرائيلي،** للدكتور جمال زهران، من منشورات مركز دراسات الوحدة العَرَبِيَّة، بيروت، 2006(1)، وهي دراسة كَمِّيِّة تطبيقيَّة اضطلع فيها الباحث ببناء مقياسٍ كمِّيٍّ يستند إلى مقولات اقتراب قياس قُوَّة الدولة، لبيان الفجوة الحاصلة في موازين القُوَى بين الدول العَرَبِيَّة ودولة الاحتلال الصُّهْيُونيّ؛ إسرائيل، ويبدو الإطار النَّظَرِيّ لهذه الدراسة هو الأبرز باعتبار أن عَمَلِيَّة بناء المقاييس الكَمِّيِّة ليست بالأمر الهيِّن، لا سِيَّمَا مع كون المقياس الَّذِي بناه الباحث قائماً على استطلاع رأي لعددٍ كبيرٍ من الخبراء والأكادِيمِيّينَ المَعْنِيِّينَ بالعلاقات الدَّوْلِيَّة والدِّرَاسَات الصِّرَاعيَّة ودراسات توازن القوى.

- **دراسات في النَّظَرِيَّة السِّيَاسِيَّة، للدكتور مصطفى كامل السيِّد،** وهو كتاب يَتِمّ تدريسه في مقرَّرات كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، جامعة القاهرة، ومن منشوراتها كذلك، لعام 2006(2)، ويشرح فيه الباحث التَّطَوُّرَات الجديدة في حقل النَّظَرِيَّة السِّيَاسِيَّة، وخَاصَّة ما يَتَعَلَّق بمفهوم القُوَّة، وهي مفهوم رئيس في الدِّرَاسَات الاجْتِمَاعِيَّة بشكل عام، وخَاصَّة حقل النُّظُم السِّيَاسِيَّة، وحقل العلاقات الدَّوْلِيَّة، على حدٍّ سواءٍ.

1. جمال زهران، منهج قياس قُوَّة الدولة واحتمالات تَطَوُّر الصراع العربي الإسرائيلي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العَرَبِيَّة، 2006م.
2. مصطفى كامل السيد، دراسات في النَّظَرِيَّة السِّيَاسِيَّة، جامعة القاهرة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، 2006م.

- **مفهوم تحوُّل القُوَّة في نَظَرِيَّات العلاقات الدَّوْلِيَة**: دراسة الحالة الصِّينِيَّة، للباحث أحمد عبدالله الطحلاوي، وهي رســـالة ماجســـتير، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِـــيَّة، جامعة القاهرة، 2009(1)، وهي دراسة أَكَادِيمِيَّة يناقش فيهـــا الباحث مفهوم تحوُّل القُوَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة، والَّذي يشـــير إلى دِينَامِيَّـــة بناء القُوَّة للدول وقدرة كُلّ دولة على بناء قدراتها الذَّاتِيَّة للصعود في سُلَّم النِّظَام الدَّوْليّ بشكل مُتَدَرِّج، مع التطبيق على حالة الصُّعُود الصِّينِيّ في النِّظَام الدَّوْليّ كَقُوَّةٍ بـــدأت إقْلِيمِيَّة، ثم غَدَتْ عَالَمِيَّة كبرى، على كافَّة الأصعدة؛ السِّيَاسِيَّة والاقتِصَادِيَّة والعَسْكَرِيَّة وحتى الثَّقَافِيَّة والعِلْمِيَّة.

- **القُوَّة النَّاعِمَة، لعالم السِّيَاسَة الأمْرِيكِيَّة الشهير**؛ والخبير في شؤون الأمن القومي، جوزيف ناي، وهي دراســـة بالإنجليزيَّة ترجَمَتْهَا مكتبة العبيكان، 2007(2)، وفيها قدَّم ناي رؤيته بشأن التَّطَوُّرَات الَّتِي طالت مفهوم القُوَّة في العلاقـــات الدَّوْلِيَّة، والَّتِي حوَّلت مفردات القُوَّة التَقْلِيدِيَّة من الصِّيَغ الصَّلْبَة القائمة على الأبعاد العَسْـــكَرِيَّة بالأســـاس، إلى الصِّيَغ النَّاعِمَة القائمة على مفردات غير عَسْكَرِيَّة تســـتند إلى جَاذِبِيَّة نموذج الدولة اقْتِصَادِيّاً وثَقَافِيّاً وعِلْمِيّاً وحَضَارِيّاً بشكل رئيس.

- **القُـــوَّة الذَّكِيَّة في السِّيَاسَـــة الخَارِجِيَّة**، للباحثة ســـماح عبدالصبور، من مطبوعات دار البشير، بمصر، 2014م، وهي في الأصل أطروحة عِلْمِيَّة بكليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِـــيَّة، جامعة القاهـــرة(3)، وقد أصَّلَت فيها الباحثة

1. أحمـــد عبداللـــه الطحلاوي، مفهوم تَحَوُّل القُوَّة في نَظَرِيَّات العلاقات الدَوْلِيَّة.. دراســـة الحالة الصِّينِيَّة، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، 2009م.
2. جوزيف ناي، القُوَّة النَّاعِمَة، ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، مكتبة العبيكان 2007م.
3. سماح عبدالصبور عبدالحي، القُوَّة الذَّكِيَّة في السياسة الخَارِجِيَّة، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، 2014م.

لتطوُّر جديد في دراســـات القُوَّة، ألا وهي القُـــوَّة الذَّكِيَّة، وهي الَّتِي تعني القُـــدْرَة على الجمع بين مفردات القُـــوَّة النَّاعِمَة مع القُوَّة الصَّلْبَة التَقْلِيدِيَّة للوصول إلى مزيجٍ فَعَّالٍ من مركَّبَات القُوَّة تعمل على تحقيق أهداف الدولة الحَيَوِيَّة ومصالحها الاستراتِيجِيَّة في تفاعلاتها الخَارِجِيَّة وعلاقاتها الدَّوْلِيَّة.

- **سياسات القُوَّة الذَّكِيَّة ودورها في العلاقات الدَّوْلِيَّة**، للباحث كريم أبو حلاوة، من مطبوعات مركز دمشـــق للأبحاث والدِّرَاسَات، 2015(1)، وقد حلَّل فيها الباحث الأدوار الَّتِي تضطلع بها القُوَّة الذَّكِيَّة في السِّيَاسَـــة الخَارِجِيَّة للدول، وتأثير سياسات القُوَّة الذَّكِيَّة على العلاقات الدَّوْلِيَّة القائمة؛ إِقْلِيمِيّاً وعَالَمِيّاً.

- **دراسات حول القُوَّة التُّرْكِيَّة واسْتراتِيجِيَّاتها في العلاقات الدَّوْلِيَّة:**
وتُعْنَى هذه الدِّرَاسَـــات بدراسة مفردات القُوَّة التُّرْكِيَّة، والاسْتراتِيجِيّات التُّرْكِيَّة المُرَكَّبَة في العلاقات الدَّوْلِيَّة، **ومن هذه الدِّرَاسَات:**

- **تعاظم الدور الإِقْلِيمِيّ لتركيا**، للباحث عبدالله تركماني، من مطبوعات دار نقوش عَرَبِيَّة، تونس، 2010(2)، وفي هذه الدراســـة يناقش الباحث، مُبَكِّراً، ظاهرة صعود الدور التُّرْكِيّ في محيطها الإِقْلِيمِيّ، وذلك بعد نحو 8 سنوات من وصول حزب العدالة والتَّنْمِيَة إلى سُدَّة الحكم في أنقرة، وإعادة هندسة السِّيَاسَـــة التُّرْكِيَّة؛ خَارِجِيّاً ودَاخِلِيّاً على أُسُـــسٍ جديدة، تَتَّسِق مع تَطَوُّرَات النِّظَام الدَّوْلِيّ، وتستند إلى الرصيدِ التَّارِيخِيِّ للدولةِ التُّرْكِيَّة العريقةِ.

---

1. كريم أبو حلاوة، سياسات القُوَّة الذَّكِيَّة ودورها في العلاقات الدَوْلِيَّة، مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2015م.
2. عبدالله تركماني، تعاظم الدور الإِقْلِيمِيّ لتركيا، الناشر: دار نقوش عَرَبِيَّة، تونس، الطبعة الأولى، 2010م.

- **العُمْق الاسْـــتراتِيجِيّ.. موقع تركيا ودورها في السَّـــاحَة الدَّوْلِيَّة**، لمهندس السِّيَاسَـــة الخَارِجِيَّـــة التُّرْكِيَّة المعاصرة، الدكتور أحمـــد داوود أوغلو، من ترجمات ومطبوعات مركز الجزيرة للدراســـات، الدوحة، 2010(1)، وهي دراســـة تَنْظِيرِيَّة رائدة قدَّم خلالها داوود أوغلو رؤيته حول الدور الإِقْلِيمِيّ والدَّوْلِيّ لتركيا، والمرتكزات الَّتِي يستند إليها صانع القرار التُّرْكِيّ في حركته الخَارِجِيَّة، وفي هذه الدراســـة لفت داوود أوغلو نَظَر صانع القرار التُّرْكِيّ إلى البُعْد الشرق أوسطي الحيوي؛ العَرَبِيّ والإِسْلاَمِيّ، للدولة التُّرْكِيَّة كعمقٍ اسْتِرَاتِيجِيّ للبلاد، كما قدَّم مفهوم "صفر مشاكل" أو "تصفير المشكلات"، مع دول الجوار كَمُرْتَكَزٍ رَئِيسٍ لحركةِ السِّيَاسَـــة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة الجديدة، كما ناقش فيها داوود أوغلو مُقَوِّمَات القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة بقلم رشيق جعل هذا الكتاب إطارَ عَمَلٍ لحكومةِ العدالة والتَّنْمِيَة في أنقرة لسنوات.

- **القُـــوَّة النَّاعِمَـــة في المنطقة العَرَبِيَّة (السُّـــعُودِيَّة - إيران - تركيا) دراســـة في الاسْـــتراتِيجيّات والتَّأْثِـــير**، لمجموعة من الباحثين، مـــن مطبوعات مركز الفكر

1. صدرت الطبعة الأولى من كتاب "العُمْق الاسْتِرَاتِيجِيّ" باللغة التُّرْكِيَّة عام 2001م، قبل أن تصدر الطبعة الأولى من ترجمته العَرَبِيَّة في العام 2010م، وهو من أهم الكتب السِّيَاسِيَّة التي انطلقت منها رؤية حزب العدالـــة والتَّنْمِيَـــة، ينطلق أحمد داوود أوغلو في كتابه المرجعـــيّ من اعتبار أن قيمة الدولة في العلاقات الدَوْلِيَّة تَتَحَدَّدُ بشـــكلٍ رئيسٍ من موقعها الجيواســـتراتيجيّ، ومن عُمْقِهَا التاريخيّ. وعليه فإن تركيا ذات الهويَّة المُرَكَّبَة من هويَّة شرق أوســـطيَّة وبلقانيَّة وآســـيويَّة عليها أن تَنْهَج سياسة خَارِجِيَّة تهدف إلى إرساء دعائم اســـتقرار داخلي وإقليمي، لأنه بواســـطتهما يَتَحَقَّق الأمن القوميّ التركيّ، الأَمر الذي يَتَرَتَّب عليه ضرورة أن توظِّف تركيا، موروثها التاريخيّ والجغرافيّ في سياســـتها الخَارِجِيَّة بالشـــكل الأمثل. وإذا كان مفهوم "العُمْق الاسْـــتِرَاتِيجِيّ" يجري تداوله عادةً في الأدبيات العَسْـــكَرِيَّة، إلا أنَّ أوغلو قام بتوظيفه في ميدان العلوم السِّيَاسِـــيَّة، وبالتحديد في علاقات بلاده الدَوْلِيَّة؛ من خلال رَصْد مظاهر هذا العُمْق الذي تتمتع به تركيا، ساعياً إلى إخراجها من حالة الطرفيَّة والهامشيَّة، التي عاشتها خلال مرحلة الحرب الباردة لتصبح بلداً مركزياً فاعلاً يضطلع بأدوار محوريَّة ومُؤَثِّرَة في مختلف القضايا الإِقْلِيمِيّة والدَوْلِيَّة. للمزيد يُنْظَر: أحمد داوود أوغلو، العُمْق الاسْتِرَاتِيجِيّ موقع تركيا ودورها في الساحة الدَوْلِيَّة، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبدالجليل، الدار العَرَبِيَّة للعلوم ناشرون ومركز الجزيرة للدراسات، الطبعة الثَّانِيَة، 2011م.

الاسْتِرَاتِيجِيّ للدراسات، إسطنبول، تركيا، 2018(1)، ويناقش الكتاب في إطار مُقَارِن مفردات واسْتِرَاتِيجِيّات القُوَّة النَّاعِمَة الَّتِي تحوزها وتُطَبِّقها كُلّ من السُّعُودِيَّة وإيران وتركيا؛ كبرى الدول الإِقْلِيمِيَّة في منطقة الشرق الأوسـط، وكيف تقوم هذه الدول الثلاث بتطبيق ما تَحُوزُه وتَمْلِكُهُ من مفردات القُوَّة النَّاعِمَة في تفاعلاتها الإِقْلِيمِيَّة والدَّوْلِيَّة، وما هـي الثَّغَرَات ونقاط الضَّعْف التَّطْبِيقِيَّة الَّتِي تقع فيها الدول الثلاث أثناء حركتها لتوظيف مفردات القُوَّة النَّاعِمَة في علاقاتها الدَّوْلِيَّة بشكلٍ فَعَّالٍ.

- **دراسات حول حزب العدالة والتَّنْمِيَة ودوره في نهضة تركيا:**

وتقدم هذه الدِّرَاسَـات تحليلاً لِلْبِنْيَةِ الفِكْرِيَّة والسِّيَاسِيَّة لحزب العدالة والتَّنْمِيَة التُّرْكِيّ الحاكم ودوره في تقدُّم ونهضة تركيا، والتأسـيس للتَّنْمِيَة المستدامة في تركيا وصيغة سياسـاتها الخَارِجِيَّة كقطـب إِقْلِيمِيّ له حضوره ووزنه على صعيد العلاقات الدَّوْلِيَّة، **ومن هذه الدِّرَاسَات:**

- **التجربـة التُّرْكِيَّة من أتاتـورك إلى أردوغان**، للباحـث؛ محمد صادق إسـماعيل، من منشورات العَرَبِيّ للنشر والتوزيع بالقاهرة، 2013(2)، وهي دراسة مقارنة قدَّم فيها الباحث إطاراً تَقْيِيمِيّاً لسياسات الدولة التُّرْكِيَّة منذ حِقْبَة مؤسِّس تركيا الحديثة مصطفى كمال أتاتورك وصولاً إلى حِقْبَة العدالة والتَّنْمِيَة بزعامة رجب طَيِّب أردوغان، مع التَّأْكِيد على التَّطَوُّرَات الَّتِي حدثت في السِّيَاسَة التُّرْكِيَّة على الصَّعِيد الدَّاخِلِيّ، وعلى الصعيد الخَارِجِيّ، مُتَمَثِّلاً في دور تركيا الإِقْلِيمِيّ والدَّوْلِيّ، خلال فترة حكم حزب العدالة والتَّنْمِيَة.

1. أحمد حسـين، سـعد القحطاني، مظهر الصفوي، علي جار الله، القُوَّة النَّاعِمَة في المنطقة العَرَبِيَّة (السُّعُودِيَّة-إيران- تركيا) دراسة في الاسْتِرَاتِيجِيّات والتأثير، مركز الفكر الاسْتِرَاتِيجِيّ للدراسات، إسطنبول، تركيا، 2018م.
2. محمد صادق إسـماعيل، التجربة التُّرْكِيَّة من أتاتورك إلى أردوغان، "العربي" للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2013م.

- **التجربة النَّهْضَوِيَّة التُّرْكِيَّة، للباحث محمد زاهد جول**، من منشـــورات مركز نماء للبحوث والدِّرَاسَـــات، ببـــيروت، 2013(1)، ويُحَلِّل الباحث في هذه الدراســـة خبرة النهضة التُّرْكِيَّة خلال فترة العشر سنوات الأولى من حكـــم العدالة والتَّنْمِيَة، ويرصد فيها الباحث أبرز التَّطَوُّرَات النهضويَّة الَّتِي شـــهدتها تركيا؛ داخِليّاً وخارِجيّاً، خلال تلك الفترة الزمنيَّة القصيرة؛ نِسْبِيّاً، في عمر الأمم والشُّعُوب.

الدراسة مَحَلّ البحث:

وسوف تستفيد دراســـتنا هذه من الدِّرَاسَات السَّابِقَة، على تنوُّع مُقْتَرَبَاتها البَحْثِيَّة، وتعـــدُّد مجالات اهتمامها، بما يخدم أهداف الدراســـة وتصميمها البحثيّ ورؤيتها التَحْلِيلِيَّة الكُلِّيَّة، مع التَّأْكِيد على شـــموليَّة هذه الدراســـة واســـتغراقها لتغطِّي كافَّة مســـتجدَّات الحالة التُّرْكِيَّة الرَّاهِنَة بما يَخْدِمُ المنطلق التَّحْلِيلِيّ للدراســـة، والمَعْنِيّ بجوهر ومُقَوِّمَات وآثار تطبيق القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة، وسُـــبُل توظيفها، مع إبراز كَوْنِ الخبرة التُّرْكِيَّة شـــاملة في استخدام القُوَّة النَّاعِمَة بمفهومها الشامل، والذي يشمل قوًى متعدِّدة، لِتُشَـــكِّل في النهاية قُوَّةً واحدةً مُؤَثِّرَة؛ لتكون الدراســـة أكثر شمولاً لما تَحُـــوزُه الدولة التُّرْكِيَّة تحت قيادة العدالـــة والتَّنْمِيَة والرئيس رجب طَيِّب أردوغان من مفردات مُتَعَدِّدَة لِلْقُوَّةِ النَّاعِمَة بما يُكْسِـــب اسْتِرَاتِيجِيّات الصُّعُود التُّرْكِيّ؛ إِقْلِيمِيّاً ودَوْلِيّـــاً، أكثر مرونةً وجاهزيةً وقدرةً على تحقيق مصالح وأهداف واسْـــتِرَاتِيجِيّات الدولة التُّرْكِيَّة؛ إِقْلِيمِيّاً ودَوْلِيّاً.

ومع عناية دراستنا هذه بالجوانب التَّنْظِيرِيَّة المَفَاهِيمِيَّة المُتَعَلِّقَة بالقُوَّة؛ من صَلْبَةٍ إلى نَاعِمَـــةٍ إلى ذَكِيَّة، فإنها لا تُغْفِل الجوانب التَّطْبِيقِيَّة المُتَعَلِّقَة بالحالة التُّرْكِيَّة، كنموذجٍ

1. محمـــد زاهـــد جول، التجربة النهضويَّة التُّرْكِيَّة ، مركز نماء للبحوث والدراســـات، الطبعة الأولى، بيروت 2013م.

صاعدٍ فيما يَتَعَلَّق بتطبيقات القُوَّة النَّاعِمَة في العالم، ومِن ثَمَّ تُنَاقِشُ الدراسة بتحليلٍ معمَّـــق كافَّة التَّطَوُّرَات الرَّاهِنَة الَّتِي مرَّت بهـــا الخبرة التُّرْكِيَّة لِلْقُوَّةِ النَّاعِمَة، وكيف أثَّرَت، وتأثَّرَت بتلك التَّطَوُّرَات؛ داخِليّاً، وخارِجيّاً.

فعلى الصعيد الدَّاخِليّ ناقشت الدراسة عدداً من القضايا المُهِمَّة في هذا الإطار، لعل أبرزها؛ محاولة الانقلاب الفاشـــلة يونيو 2016م، والاستفتاء على التعديلات الدُّسْتُورِيَّة لتحويل النِّظَام السِّـــيَاسِيّ التُّرْكِيّ إلى النِّظَام الرِّئَـــاسِيّ، أبريل 2017م، وصولاً إلى الانتخابات الرِّئَاسِيَّة والتشريعِيَّة المُبَكِّرَة، يونيو 2018م، والَّتِي أسفرت عن فوز كبير للرئيس أردوغان ولحزب العدالة والتَّنْمِيَة؛ ما يَعْنِي مزيداً من الرُّسُـــوخ والتجذُّر للخبرة التُّرْكِيَّة في مجال التَّحَوُّل الدِّيمُقْرَاطِيّ واســـتدامة التَّنْمِيَة، وخارِجِيّـــاً؛ وخَاصَّة ما يَتَعَلَّق بتطور الأحداث السُّورِيَّة وتَطَوُّرَات المشهد في العراق وإيران ومنطقة الشرق الأوسط ككل.

حدود الدراسة:

تنطلق الدراســـة من حدودٍ زمانيَّة ومكانيَّة مُعَيَّنَة، تَتَّسِق وطبيعة الدراسة وتساؤلاتها البَحْثِيَّـــة ورؤيتها التَّحْلِيلِيَّة وأهدافها الكُلِّيَّة، فهي زمانيّاً تُغطِّي الفترة الَّتِي صَعَدَ فيها الرئيس أردوغان وحزب العدالة والتَّنْمِيَة إلى سُدَّة الحكم في البلاد منذ مطلع الأَلْفِيَّة الجديدة وحتى العام 2018م، وهي مَكَانِيّاً تُعْنَى بالدولة التُّرْكِيَّة مَحَلّ البحث والتَّحْلِيل والرَّصْد، وتشريح ظاهرة صعود القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة؛ إقْلِيمِيّاً ودَوْلِيّاً.

ومع ذلك فإنَّ الدراسة تَتَّسِم بالمرونة البَحْثِيَّة اللازمة لإنجاز أهداف العمل، فلا يمنعها جمـــود المكان من تغطيَّة التفاعلات الخَارِجِيَّة الَّتِي تُلْقِي بظلالها؛ تأثُّراً وتأثيراً، على النموذج التُّرْكِيّ في القُوَّة النَّاعِمَة، ومن ثَمَّ فهي تَمْتَدّ مكانيّاً لتحلِّل تأثير الســـياقات الإِقْلِيمِيَّـــة الرَّاهِنَة على الدولة التُّرْكِيَّة، وخَاصَّة في ظِـــلِّ الحالة الصِّرَاعيَّة المعقَّدة لجوارها المباشر، والَّذِي تُمَثِّله الأزمة السُّورِيَّة المُنْبَثِقَة من حِقْبَة الربيع العَرَبِيّ الآفِلَة. كما لا يمنعها مَحْدُودِيَّة الزمان من أنْ تســـتفيد من التاريخ التُّرْكِيّ المعاصِر، مقارنةً واســـتدلالاً، لبيان تَطَوُّرَات المشهد التُّرْكِيّ الراهن مقاربةً ومناظرةً مع نظيره التُّرْكِيّ حتـــى قبيل شروق حِقْبَة العدالة والتَّنْمِيَـــة الَّتِي تزامنت مع بدايَة ألفيةٍ جديدةٍ قطعاً

لن تكون مُشـــابِهَة لما سبَقَها مِن عُقُودٍ وقرون خَلَت، كما لا يمنعها المَحْدُودِيَّة الزمانيَّة كذلك من الحديث عن اســـتشراف مآلات تركيا المستقبل، وخَاصَّة في ضوء ما رسمته القيادة التُّرْكِيَّة للبلاد في اسْـــتِرَاتِيجِيَّة 2023م الَّتِـــي تُمَثِّل حلقةً من حلقات تطوُّر الدولة التُّرْكِيَّة الحديثة الَّتِي اســـتطاعت عبر نموذجها الفريد لِلْقُوَّةِ النَّاعِمَة الجامِع بين الأصالة والمُعَاصَرَة؛ استلهام روح التاريخ والخُرُوج من أَسْرِ البقاء فيه بما تجاوزه الزمن وتَخَطَّاه العصر، والمَزْج بين القِيَمِيّ والبراجماتيّ، الهويَّاتيّ والعَقَدِيّ، الأُورُوبيّ والشرق أوســـطيّ، الغَرْبيّ والشرقيّ، وغير ذلك مما تَتَفَرَّد به تركيا كجِسْرٍ حَضَارِيّ عريقٍ يجمع بين متناقضات الجُغْرَافِيَا وتَشَعُّبات التاريخ.

منهج الدراسة:

ثمَّة اقترابان رئيسان في الأَدَبِيَّات الَّتِي تتناول بالتَّحْلِيل والدراسة، مفهوم قُوَّة الدولة بتَجَلِّيَاتها المختلفة؛ الأول: يوازي بين قُوَّة الدولة والحَجْم، أي السَّيْطَرَة على أكبر قَدْرٍ مـــن الموارد (الاقتراب الكَمِّيّ). والثاني: يـــرى أن قُوَّة الدولة تُتَرْجَمُ إلى القُدْرَة على صناعة سياسات أو قرارات مُسْتَقِلَّة أو ذات اسْتِقْلَالِيَّة (الاقتراب الكَيْفِيّ).

وغالباً ما تكون الموارد المقصودة في الاقتراب الأول موارد اقْتِصَادِيَّة تَخْتَصّ بالموارد الطَّبِيعِيَّـــة، وحجم الإنتاج، وهيكلة وحجم القُوَى العاملة ونَوْعِيَّتها. ولقد تَبَنَّى البعض معيـــار حجم القطاع العام مُعَبِّراً عن حجم الدولة، وتخصيـــص الموارد والَّتِي تُقَدَّر خلال نصيب الدولة في الناتج المَحَلِّيّ الكُلِّيّ والاستهلاك، وذلك بالإضافة إلى الإنفاق الحكومي في مجالات مُخْتَارَة مثل الإنفاق العَسْـــكَرِيّ أو على التعليم، وتستخدم هذه النَّوْعِيَّة من البيانات كمُؤَشِّر لقوة الدولة أو القُدْرَة السِّيَاسِيَّة (1).

1. باكينام الشرقاوي، قُوَّة الدولة وبرامج التَّكَيُّف الهيكلي: دراسة مقارنة للحالتين التُّرْكِيَّة والإيرانيَّة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، 2000م، ص 32.

بالنظر إلى طبيعة الدراســـة، واتِّسَاقاً مع أهدافها الكُلِّيَّة ورؤيتها التَّحْلِيليّة، تستخدم الدراســـة اقتراباً مُرَكَّباً يتكون من مقتربين اثنين، **أولهما وَصْفِيّ:** يَتَمَثَّل في اقتراب دراســـة الحالة، والَّذِي يعـــرف بأنه "المنهج المُعْتَمِد على دراســـة حالةٍ مُعَيَّنَة بهدف جمـــع معلومات متعمِّقَة عنها"(1)، وهي هنا خبرة القُـــوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة وتوظيفها اسْتِرَاتِيجِيّاً لخدمة المصالح العليا للبلاد ورؤيتها التَنْمَوِيَّة؛ حيث يكون اقتراب دراسة الحالة مناسباً للاستخدام والتَّوْظِيف المنهجيِّ عندما يكون تركيز البحث على ظاهرةٍ مُعاصِرةٍ ضِمْنَ سياقِ الحياة الوَاقِعِيَّة.

وثانيهـــما تَحْلِيـــلِيّ: يَتَمَثَّل في اقتراب قياس قُوَّة الدولـــة، وهو اقتراب يجمع بين مقولات المدرســـتين الكَمِّيَّة والكَيْفِيَّة في دراسات القُوَّة، ويتيح التعاطي الإجرائيّ مع دراسات القُوَّة بأوجهها المختلفة؛ الصَّلْبَة، النَّاعِمَة، والذَّكِيَّة(2).

وينهض الاقترابان معاً كإطارين؛ أحدهـــما وَصْفِي والآخر تَحْلِيلِيّ للبحث في القُوَّة النَّاعِمَة ودورها في النهضة التُّرْكِيَّة الاقتِصَادِيَّة الحديثة، والأدوات الَّتِي اســـتخدمها حزب العدالة والتَّنْمِيَة في تطويع العَلْمَانِيَّة التُّرْكِيَّة، وترويضها، وأيضاً وسائله في كسب تأييد الشـــعب التُّرْكِيّ. وكذلك أسباب فَاعِلِيَّة الدُبْلُوماسِيَّة التُّرْكِيَّة وقُوَّتهَا الخَارِجِيَّة، وكيف أَثَّرَ كُلّ ما سبق على نهوض وتَطَوُّر الاقتصاد التُّرْكِيّ، ولماذا أصبحت تركيا جاذبة لرؤوس الأموال والمســـتثمرين حول العالم، ودور القُوَّة النَّاعِمَة في تحقيق هذا النُّمُوّ الاقتِصَادِيّ.

1. For more details; Russell K. Schutt، Making Sense of the Social World: Methods of Investigation, University of Massachusetts, Boston، 1996.
2. جمال علي زهران، مناهج قياس قُوَّة الدول مع التطبيق على توازن القوى بين الدول العَرَبِيَّة وإسرائيل، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، 1988م.

الفصل الأول

مفهوم القُوَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة.. المُقْتَرَبَات والاتِّجَاهَات

- **مقدمة**
- **المبحث الأول: التَّطَوُّرَات المَفَاهِيمِيَّة لِلْقُوَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة**
  - أولاً: القُوَّة النَّاعِمَة والقُوَّة الصَّلْبَة
  - ثانياً: القُوَّة الصَّلْبَة
  - ثالثاً: القُوَّة النَّاعِمَة
  - رابعاً: القُوَّة الذَّكِيَّة

- **المبحث الثاني: القُوَّة بين الفِعْل والكُمُون**
  - تَحَوُّل القُوَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة
  - مفهوم توازن القُوَى
  - القُوَّة والعلاقات الدَّوْلِيَّة الاتِّجَاهَات والمُكَوِّنَات والقياس
  - القُوَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة المحددات ومناهج القياس

الفصل الأول

مفهوم القُوَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة.. المُقْتَرَبَات والاتِّجَاهَات

مقدمة

يُعَدُّ مفهوم القُوَّة The Power من المفاهيم الجَوْهَرِيّة والجدليَّة في آنٍ واحد، فعلى الرَّغْم من قِدَم المفهوم، وتَعَدُّد تَنَاوُلِه على مَدَى عصور مختلفة من تاريخ الإِنْسَانيَّة على أيدي فلاســفة وعلماء ومُفَكِّرينَ شتَّى، باعتباره أحد المفاهيم الأَسَاسِيَّة الَّتِي قامت عليها العلاقات البَشَرِيَّة منذ الأزل سواءً على مستوى الأفراد أو الجماعات، إلا أن ذلك لم يحقِّق اتفاقاً أو إجماعاً بشأن تعريف القُوَّة كمفهوم "as a consept" ، إلا أنه يمكن القول: إن الاختلافات القائمة بين العلماء والمُفَكِّرينَ لم تكن جَوْهَرِيّة بالقَــدْرِ الكبير، وذلــك من الناحية العَمَلِيَّة على الأَقَــلّ والَّتِي تختلف كثيراً في طبيعتها عن المداولات البَحْثِيَّة الأَكَادِيمِيَّة دون التَّقْلِيل من أَهَمِّيَّة الأخيرة.

ويُعْتَــبَرَ مفهوم القُوَّة أحد المفاهيم المَرْكَزِيَّة المُهِمَّة الَّتِي يرتكز عليها عددٌ من العلوم الإِنْسَانِيَّة، مثل الاجتماع والفلسفة وعلم النفس، إلى جانب علم السِّيَاسَة، ويكاد معنى المفهــوم ومدلوله يكون واحداً في معظم العلــوم الاجْتِمَاعِيَّة؛ حيث يدور في إطار القُدْرَة على الفِعْل والاســتطاعة والطَّاقَة -وهي ضِدَّ الضَّعْف- ويَمْتَدّ ليشمل التَّأْثِير والنُّفُوذ والسُّلْطَة (1).

---

1. مصطفى كامل السيد، دراسات في النَّظَرِيَّة السِّيَاسِيَّة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، جامعة القاهرة، 2006م، ص 11.

والقُوَّة، كَلَفْظٍ كثيراً ما يَتِمّ تداولها عند وَصْف الأحداث الْجَارِيَة في العالم كله؛ إذ تشمل معاني كثيرة تتوارد في الأذهان، وتعريفات شَتَّى تنحو مناحي التَّخَصُّصات. فإذا كانت القُوَّة تُعرف في الفيزياء على أنها فاعل مُؤَثِّر على الأجسام بعوامل التغيير في الحالة أو الاتجاه، في الموضع أو الحركة (1)، فإنَّ المعنى التَّقْلِيدِيّ لِلْقُوَّةِ يلزم صورة البطش والإرغام أو القَسْر وسُلْطَة إصدار الأوامر، وأيضاً القُدْرَة على فعل الأشياء وتغييرها. وبتعبير أدقّ، فإن القُوَّة هي القُدْرَة على التَّأثِير في سلوك الآخرين للحصول على النَّتَائِج الَّتِي يتوخَّاها الفرد أو الجماعة. وهو ما يتجلَّى في فَرْض دولٍ على أخرى، أو في ما بينها، ضُغُوطٌ سِيَاسِيَّة واقْتِصَادِيَّة بل ونفسيَّة أيضاً، ناهيك عن القُوَّة العَسْكَرِيَّة الحاسمة.

وإذا كان التَّصْنِيف يسمح لنا بتقسيم القُوَّة دلاليّاً وإجرائيّاً إلى قُوًى مُتَعَدِّدَة الأشكال، فإنَّ تعريف مفهوم القُوَّة اصطلاحِيّاً ولُغَوِيّاً لا يستكين للتفسير الواحد، ولا يَسْتَقِرّ في منهج أوحد، فالقُوَّة في المعنى المُعْجَمِيّ خلاف الضَّعْف والوَهَن والانهزام، وتشمل مرادفاتها اللغويَّة معاني الصلابة والبأس والشِّدَّة والجبروت والسلطان والمناعة والْغَلَبَة والتمكُّن إلخ.. ولها مادة غَنِيَّة في لسان العرب وغيره من المعاجم العَرَبِيَّة التراثيَّة (2).

كما أفرد لها ابن خلدون مادةً خاصَّة في مُقَدَّمَتْه، الَّتِي تناول من خلالها بالتَّحْلِيل عصر الذُّرْوَة أو التَّفَكُّك في الوحدات السِّيَاسِيَّة الكبرى، وتمَكُّن العَصَبِيَّة القَبَلِيَّة فيها،

1. Power Concept, The Physics Hypertextbook, available at: goo.gl/T0vv1g

2. ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد الحَضْرَمِيّ)، مقدمة كتاب العِبَر، وديوان المبتدأ والخَبَر في أيام العرب والعجم والبَرْبَر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الباب الثالث: الكتاب الأول في الدول العامَّة والمُلْك والخلافة والمراتب السلطانيَّة وما يَعْرِض في ذلك كُلِّه من الأحوال، وفيه قواعد ومُتَمِّمَات، الفصل الثامن عشر في أن آثار الدولة كلها على نسبة قُوّتها في أصلها، الدار التونسيَّة للنشر، 1984م.

يقول فيها: "والسبب في ذلك أنَّ الآثار إنما تَحَدَّثَ عن القُوَّة الَّتِي بها كانت أولاً، وعلى قَدْرِهَا يكون الأَثَر، فمن ذلك مباني الدولة وهياكلها العظيمة"(1).

وإجمالاً، فإنَّ القُوَّة مهما كان تصنيفها فهي ليست هدفاً في حدٍّ ذاتها، بخلاف مقولات المدرسة الوَاقِعِيَّة الَّتِي تَعْتَبِر القُوَّة غايةً في حدّ ذاتها (2)، بل هي وسيلة وأداة تأثير ونفوذ لتحقيق أهداف الدول في ما يَتَعَلَّق بمصالحها الوَطَنِيَّة والاقتِصَادِيَّة أو أمنها القَوْمِيّ وحفظ استقلالها السِّيَاسِيّ أو رَدْع قُوَّة مهدِّدَة، وغير ذلك من الأسباب، في جَدَلِيَّة ترتكز على ثُنَائِيَّة القُوَّة وتحقيق المصالح، والَّتِي تعني زيادة أحدهما بِقَدْرٍ مُعَيَّنٍ؛ تقوية للآخر تتناسب مع ما زاد في الأَوَّل.

ومن ثَمَّ يُعنَى هذا الفصل بدراسة أقسام القُوَّة بالتفصيل، وماهيَّة خصائص ومظاهر القُوَّة بالتحديد، وأبرز التَّطَوُّرَات المَفَاهِيمِيَّة لِلْقُوَّة على صعيد العلاقات الدَّوْلِيَّة، وتحليل أبرز اتِّجَاهَات القُوَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة، وأخيراً؛ وسائل وطريق قياسها كَمِّيّاً وكَيْفِيّاً.

1. انظر: لسان العرب لابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) ، مادة قُوَّة، وقاموس المعاني، ومعاجم أخرى.
2. جوليان لايدر، حول طبيعة الحرب، مركز الدراسات العَسْكَرِيَّة، دمشق، الطبعة الأولى، 1981م، ص 75.

المبحث الأول

التَّطَوُّرَات المَفَاهِيمِيَّة لِلْقُوَّةِ في العلاقات الدَّوْلِيَّة

في العلاقـــات الدَّوْلِيَّة يمكن تعريف القُوَّة بأنهـــا قُدْرَة أحد الأطراف الدَّوْلِيَّة في التَّأْثِير على ســـلوك طرف دَوْليّ آخر ليقوم الأخير بما يرغب فيه الطرف الأول، وعليه فإنَّ القُوَّة باختصار هي القُدْرَة الكامِنَة على التَّأْثِير في سلوك الآخرين(1). وعـــلى صعيد الدولة القَوْمِيَّة، يمكن القول بأن القُوَّة هي الإمكانيَّة أو القُدْرَة الَّتِي يمكن أن تســـتخدمها الدولة للوصول إلى أهدافهـــا القَوْمِيَّة في الصِّرَاع الدَّوْليّ، إذن فالقُوَّة هي الطَّاقَة العَامَّة للدولة لكي تســـيطر وتَتَحَكَّم في تَصَرُّفَات وسلوك الفاعلين الدَّوْلِيِّينَ الآخرين (2).

وعلى الصعيد الاسْـــتِرَاتِيجِيّ؛ فإنَّ قُوَّة الدَّوْلَة هي فَاعِلِيَّتهَا ووزنها في المجال الدَّوْليّ النَّاتِجَـــيْنِ عن قدرتها على توظيف مصادر القُـــوَّة المتاحة لديها في فَرْض إرادتها، وتحقيق أهدافها ومصالحها القَوْمِيَّـــة والتَّأْثِير في إرادة الدول الأخرى ومصالحها وأهدافها(3)، ومِن ثَمَّ فإنَّ قُوَّة الدَّوْلَة بهذا المعنى تَتَحَدَّد في ضوء مُحَدِّدَيْنِ رئيسين؛ هـــما: حيازة مصادر القُوَّة، والقُدْرَة على إدارة وتوظيـــف تلك المصادر، الأمر الَّذِي

1. مصطفى كامل السيد، دراسات في النَّظَرِيَّة السِّيَاسِيَّة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، جامعة القاهرة، 2006م، ص 12.
2. بتصرف، محمد ربيع وإســماعيل صبري مقلد، موســوعة العلوم السِّيَاسِــيَّة، الكويــت، جامعة الكويت، 1993م، ص 174.
3. محمد علي الحلبي، قراءة في الفكر الأمريكي، 18 يناير 2008م، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/kZlYp

يعني في الأخير أن حيازة أيّ من مصادر القُوَّة لا يكتسب وزناً وتأثيراً بمُجَرَّد وجوده وامتلاكه، فحســـب، وإنما يرتبط هذا الوزن والتَّأثِـــير بالتَّدَخُّل تأثيراً وإدارةً لذلك المصدر وتحويله إلى سلوك فعَّال على الصعيد الدَّوْليّ.
ومن المناســـب هنا، أن نُقَدِّم إطلالةً مَفَاهِيمِيَّة حول أبرز المفاهيم المُرْتَبِطَة والمُتَعَلِّقَة بالقُـــوَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة، والَّتِي أبرزها؛ القُـــوَّة النَّاعِمَة والقُوَّة الصَّلْبَة، والقُوَّة الذَّكِيَّة، وتَحَوُّل القُوَّة، وتوزان القُوَى، والرَّدْع، ونحو ذلك من المفاهيم ذات الصِّلَة.

أولاً: القُوَّة النَّاعِمَة والقُوَّة الصَّلْبَة:

كمفهوم ضمن مفاهيم قديمة وعديدة، تناولها الباحثون بالشرح والتَّحْلِيل عبر عصور التاريخ المدوَّن، أفضى تَطَوُّر النَظَرِيَّات والممارسات السِّيَاسِيَّة الدَّوْلِيَّة، وكذلك تَعَاظُم آثار وتكلفة تطبيق القُوَّة العَسْكَرِيَّة، إلى تجاوز المعنى التَّقْلِيدِيّ لِلْقُوَّةِ الصَّلْبَة، مع ظهور تطبيقات جديدة لها، في إطار التَّجديد أو التطوير. تَحَوُّلٌ أدَّى إلى ظهور مصطلح آخر يُزَاوِج بين "الصلابة" و"النُّعومة" في بدايَة التسعينيَّات من القرن الماضي.
وتعنـــي القُـــوَّة النَّاعِمَة Soft power قُدْرَة الدَّوْلَة عـــلى التَّأثِير والنُّفُوذ عبر أدوات الاستقطاب والإقناع، وتَتَأَتَّى من جَاذِبِيَّة تلك الدَّوْلَة الثَّقَافِيَّة أو السِّيَاسِيَّة أو الإِعْلاَمِيَّة وغيرها. في حين أن القُوَّة الصَّلْبَة أو الخَشِـــنَة Hard Power تعني قُدْرَة الدَّوْلَة على التَّأثِير أيضاً، ولكن عبر أدوات الإجبار والإكراه المُتَأَتِّيَة من القُوَّة العَسْكَرِيَّة للدولة أو من تَفَوُّق قدراتها الاقتِصَادِيَّة وملاءتها المَالِيَّة(1).

ثانياً: القُوَّة الصَّلْبَة:

وإذا كانت القُوَّة لدى الدول تَسْـــتَمِدّ مُسَـــمَّاهَا من مصادرها وقدراتهـــا، بما تَتَضَمَّنُه من عوامل عِدَّة؛ منها: الموقع الجُغْرَافِيّ، تَعْدَاد السُّـــكَّان، الموارد الاقتِصَادِيَّة، القُدُرَات الصِّنَاعِيَّة،

1. Joseph S. Nye, Soft Power, Hard Power and Leadership, John F. Kennedy School of Government, available at: goo.gl/ggdlU

الإمكانات العِلْمِيَّة والتِّكْنُولُوجِيَّة، إضافةً للقيم الثَّقَافِيَّة، وطبيعة النِّظَام السِّـــيَاسِيّ في حدود اســـتقراره السِّـــيَاسِيّ والإدَارِيّ في مدى اندماجه. فإن القُدُرَات العَسْكَرِيَّة المُسَلَّحَة ومعها الأجهزة الأَمْنِيَّة والاســـتخباراتيَّة من جهة، والاحتياط النَّقْدِيّ والقُوَّة الدُبْلُوماسِيَّة من جهة ثانيَة، تمنح مفهوم القُوَّة الصَّلْبَة مرونة واتِّسَاعاً يتجاوز المفهوم التَقْلِيدِيّ لِلْقُوَّةِ، والَّذي يُعَرِّفُهَا على أنها القُدْرَة على فَرْض السَّيْطَرَة على الآخرين عن طريق الإكراه أو الحوافز المَادِّيَّة.

وبما أن المصادر الأَسَاسِـــيَّة لِلْقُـــوَّةِ الصَّلْبَة تَتَمَثَّل في القُوَّة العَسْـــكَرِيَّة والقُوَّة الاقتِصَادِيَّة، فإنَّ إمْكَانِيَّة ممارستها تعتمد ثلاثة طرق رئيسة:

- الإكراه بالتَّهْدِيدَات: (التلويح بالعصا) عبر نشر قوات مُسَلَّحَة، التَّهْدِيد بالمقاطعة أو العقوبات.
- التَّحْفيز بالإغراءات (التلويح بالجَزَرَة) عبر المِنَح والامتيازات والمساعدات الاقتِصَادِيَّة.
- الإخضاع باســـتعمال القُوَّة عبر التَّدَخُّـــل أو الحِصَار العَسْـــكَرِيّ، فَرْض العقوبات الاقتِصَادِيَّة، وغيرها.

ويمكن التمييز في هذا السياق بين مُكَوِّنَيْنِ أَسَاسِيَّيْنِ لِلْقُوَّةِ الصَّلْبَة؛ **المُكَوِّن الأَوَّل**، ويَتَمَثَّل في القُوَّة العَسْكَرِيَّة الَّتِي تُعَدُّ من أكثر أشكال القُوَّة الصَّلْبَة تَقْلِيدِيَّة، واستخداماً لتحقيق أهداف الدَّوْلَة؛ إذ تَتَعَدَّد صور وأشـــكال اســـتخدام القُوَّات المُسَلَّحَة، فمنها قُوَّة الرَّدْع؛ وتعني إصدار دولة ما تهديدات مُتَكَرِّرَة لمنع عدوٍّ ما من الشروع في عملٍ غير مرغوب فيـــه. والَّذي يَتَفَرَّع بدوره إلى نَوْعَيْنِ؛ الرَّدْع التَقْلِيدِيّ عن طريق التَّهْدِيد باســـتخدام الأسلحة التَقْلِيدِيَّة، والرَّدْع النَّوَوِيّ عن طريق التَّهْدِيد باستخدام سلاح الدمار الشامل. وأيضاً مهاجمة أهداف في أرض دولة معاديَّة أو تنفيذ اسْتِرَاتِيجِيَّة دفاع عبر سلسلة من الإجراءات الفَعَّالَة، مثل نشر بَطَّارِيَّات الصواريخ وأنظمة الدِّفَاع الجوي(1).

1. يمكن أن نذكر مثالاً واحداً على ذلك يَتَمَثَّل فيما قامت به قُوَّات حلف شمال الأطلنطي "الناتو" بنشر أنظمة الدفاع الجَوِّيّ وبَطَّارِيَّات صواريخ "باتريوت" جنوبي تركيا؛ ففي 21 يونيو 2016م بدأت قُوَّات حلف شمال الأطلسي بنشر بَطَّارِيَّات نظام الدفاع الجوي "باتريوت"، في ولايَّة قهرمان مرعش جنوب تركيا، وذلك للتصدِّي للهجمات المحتملة من الأراضي السوريَّة نحو تركيا. (للمزيد يُنْظَر: تركيا بوست، "الناتو" ينشر بطاريات صواريخ "باتريوت" جَنُوبِي تركيا؛ 21 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 19- 9- 2018م، الخبر متاح على الرابط التالي: https: //www.turkey- post.net/p- 138316/)

فيـــما **المُكَوِّن الثاني** لِلْقُوَّةِ الصَّلْبَة يتجلَّى في القُوَّة الاقتِصَادِيَّة للدولة، الَّتِي تعتمد على ارتفاع الناتج المَحَلِّيّ، ونصيب الفرد من الدخل، ومستوى التَّقَدُّم التكنولوجي، والموارد الطَّبِيعِيَّة والبَشَرِيَّة، ومُؤَسَّسَات السوق. واستخدامها يعني استخدام الدَّوْلَة (أ) لأدوات اقتصادهـــا المُتَطَوِّر، بقصد جَعْلِ الدَّوْلَة (ب) تقوم بإجراءات لصالحها، أو تخضع في غير رغبة منها لشروطها. وهنا يأتي دور ســـلاح العقوبات الاقتِصَادِيَّة عبر مقاطعة الواردات والحظر على الصادرات أو فَرْض القيود على الاســـتثمار ومنع السفر؛ كما يجري مع السودان حالياً. (1)

وينتج عن فَرْض العقوبات الاقتِصَادِيَّة آثارٌ جِدّ سَـــلْبِيَّة على اقتصاد الدَّوْلَة المعَرَّضَة للعقوبات من حيث ضَعْف النُّمُوّ الاقْتِصَادِيّ وهبوط العُمْلَة. بل وقد يُؤَدِّي إلى انهيار الدَّوْلَة، وتقسيم ترابها الوَطَنِيّ في حالة تحوُّله إلى حصار دَوْلِيّ كامل، بواسطة قرار من مجلس الأمن الدَّوْلِيّ(2)، كما وقع في حالة العراق عَقِب حرب الخليج الأُوَّلى(3)،

1. خـــلال الفـــترة من 1988 وحتى العـــام 2017م فرضت الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة على الســـودان عقوبات ماليَّة وتجاريَّة؛ لاعتبارات تَتَعَلَّق باتِّهَامَات برعايَة الإرهاب وانتهاكات تَتَعَلَّق بحقوق الإنسان، تَمَّ بموجبها تجميد الأصول المَالِيَّة السودانيَّة، ومنـــع تصديـــر التكنولوجيا الأمْرِيكِيَّة له، وَأَلْزَمَـــتْ الشركات الأمْرِيكِيَّة، والمواطنين الأمريكِيِّينَ، بعدم الاســـتثمار والتعاون الاقْتِصَـــادِيّ مـــع هذا البلد، ومع مطلع يناير 2017م، أعلن البيت الأبيض رفعاً جُزْئِيّاً لبعض العقوبات الاقْتِصَادِيّة المفروضة على الخرطوم منذ نحو ثلاثة عقود؛ نتيجة للتقدُّم الذي أحرزه السودان في بعض القضايا الحقوقيَّة، لكن الإدارة الأمْرِيكِيَّة، مـــع ذلك، أَبْقَتْ الســـودان عـــلى لائحة الدول الداعمة للإرهاب. يُنْظَر: العقوبات الأمْرِيكِيَّة على الســـودان.. خريطة زمنيَّة، صحيفة الشرق الأوسط، الأحد 17 محرم 1439هـ- 8 أكتوبر 2017م رقم العدد 14194.
2. مجلس الأمن التابع للأمم المُتَّحِدَة (UNSC)، هو أحد الأجهزة الرئيســـة التابعة للأمم المُتَّحِدَة، والمســـؤولة عن حفظ الأمن والسلام الدَّوْلِيّ. وتَتَضَمَّن سلطاتها طبقاً لميثاق الأمم، أنشئ مجلس الأمن وفقاً للمادة 23 من ميثاق الأمم المُتَّحِدَة بغرض الحفاظ على الســـلام والأمن الدَّوْلِيِّين، وهو الجهاز الوحيد الذي له ســـلطة اتخاذ قرارات تلتزم بتنفيذها الدول الأعضاء. للمزيد يُنْظَر الرابط التالي: http: //www.un.org/ar/sc/
3. حرب الخليج الأولى هي الحرب العراقيَّة الإيرانيَّة، صراع مُسَـــلَّح نشـــب بين العراق وإيران؛ بدأت منذ شـــهر أيلول 1980م حتى شـــهر آب 1988م. نشـــبت شرارة حرب الخليج الأولى منذ بدء الخلافات الناشـــئة بين البلدين العراق وإيران حول ترســـيم الحدود بينهما، واســـتمرّت هذه الخلافات معلّقة غير قابلة للحل مما أدَّى إلى توّتر العلاقات الثنائيَّة بين الدولتين وخاصة فيما يتعلق بمنطقة شـــطّ العرب، إذ كانت تســـعى كل منهما إلى فرض الســـيادة الكاملة على منطقة شط العرب بعد أن تَقَاسَـــمَتَاهَا على خلفيَّة اتفاقيَّة الجزائر المبرمة ســـابقاً ســـنة 1975م. ازدادت العلاقات تَوَتُّراً بين البلدين عندما تَوَقَّفَ الطرفـــان عـــن مـــدّ يد العون كل منهما للآخر، وأعلن الرئيس العراقي الراحل صدام حســـين الحرب بمجرد إلغائه اتفاقيَّة الجزائر اســـتعداداً لخوض المعركة وســـعياً للمطالبة بالاعتراف التَّامّ بســـيادة العراق على المناطق العراقيَّة من تراب ومياه وبحار وأنهار، والحّدّ من التدخل الإيراني في الشأن العراقي. (للمزيد يُنْظَر: إيمان الحياري، أسباب حرب الخليج، موقع موضوع، 29 يونيو 2018م، النص متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/LJ8F9

والَّتِي تُعْتَبَرَ نموذجاً لتطبيق القُوَّة الصَّلْبَة المزدوجة: الاقتِصَادِيَّة والعَسْـــكَرِيَّة، والَّتِي عادت بالعراق "الْقَـــوِيّ" إلى حِقْبَة "العصر الحَجَرِيّ أو عصر ما قبل الصناعة"(1)، حسب تعبير جيمس بيكر(2) وزير خَارِجِيَّة أمريكا آنذاك (3).

فطبيعـــة المُتَغَيِّرَات وتشـــابُك المصالح في العلاقات الدوليَّة فَرَضَـــتْ مركزيَّة القُوَّة وأهَمِّيَّتها؛ الأمرُ الذي مَنَحَ أَهَمِّيَّة كبرى لســـيادة القانون، وهي "مبدأ للحَوْكَمَة يكون

1. وردت هـــذه المقولـــة خلال اجتماع بين جيمس بيكر وزير الخَارِجِيَّة الأمْرِيكِيّ الأســـبق وطـــارق عزيز وزير خَارِجِيَّة العراق خلال حِقْبَة الرئيس صدام حســـين؛ حيث كان الاجتماع في العاصمة الســـويسريَّة جنيف عام 1991م، قُبَيْلَ شَـــنّ الولايات المُتَّحِـــدَة وحلفائهـــا حرب تحرير الكويت، انظر في ذلك، كمال ديـــب، موجز تاريخ العراق من ثورة العشرين إلى الحروب الأمْرِيكِيَّـــة والمقاومـــة والتحرير وقيام الجمهوريَّة الثَّانِيَة، دار الفارابي، الطبعـــة الثَّانِيَة، 2012، ص 215. وانظر: عبدالإله مجيد، جيمس بيكر يســـتذكر اجتماع الفرصة الأخيرة مع طارق عزيز، صحيفة إيلاف الإلكترونيَّة، 10 يونيو 2015م. متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/5PbE7
2. جيمس أديســـون بيكر الثالث 28 (James Addison Baker)أبريل 1930م، هو محامي وســـياسي أمريكي. شَـــغَلَ منصب رئيـــس موظفـــي البيت الأبيض ووزيـــر الخزانة في عهد الرئيس رونالد ريجان، وكان وزيـــر الخارجيَّة ورئيس أركان البيت الأبيض مُجَدَّداً في إدارة الرئيس جورج بوش الأب. وُلِدَ بيكر في مدينة هيوســـتن، ودخل مدرســـة هيل وجامعة برينســـتون قبل أن يخدم في مشاة البحريَّة الأمْرِيكِيَّة. وبدأ مسيرته القانونيَّة بعد تخرُّجه من كليَّة الحقوق بجامعة تكساس. عمل بيكر في حملة بوش غير الناجحة لنيل ترشـــيح الحزب الجمهوري للرئاســـة عام 1980م، لكنه ترك انطباعاً إيجَابِيّاً لدى المرشـــح الجمهوري رونالد ريجان. وقام ريغان بتعيينه رئيساً لموظفي البيت الأبيض، وظلَّ بيكر في هذا المنصب حتى عام 1985م، عندما أصبح وزير الخزانة. وقام بيكر في منصبه الجديد بوضع اتفاق بلازا وخطة بيكر للديون. وقد استقال من منصب وزير الخزانة ليدير حملة بوش الناجحة للرئاســـة عام 1988م. عَيَّنَهُ بوش عقب الانتخابات لمنصب وزير الخارجيَّة. ســـاعد بيكر في منصبه على الإشراف على السياســـة الخارجيَّة الأمْرِيكِيَّة خلال نهاية الحرب الباردة وتَفَكُّك الاتِّحَاد السُّـــوفييتيّ، وكذلـــك خلال حرب الخليج الثانية. شَـــغَلَ بيكر بعد الحرب منصب رئيـــس موظفي البيت الأبيض في الفترة من 1992 إلى 1993م. ظَلَّ بيكر نَشِـــطًا في مجال الأعمال والشـــؤون العامة بعد هزيمة بوش في انتخابات الرئاســـة عام 1992م. وعَمِلَ مبعوثـــاً للأمم المُتَّحِدَة في الصحراء الغربيَّة ومستشـــاراً لشركة إنرون. كـــما أدار الفريق القانوني للرئيس جورج دبليو بوش في ولايَّة فلوريدا خلال عمليَّة إعادة فرز الأصوات في الولايَّة عقب الانتخابات عام 2000م. شَغَلَ منصب الرئيس المشارك لمجموعة دراســـة العراق، التي شَـــكَّلَهَا الكونغرس لدراســـة العراق وغزو العراق. وهو يعمل الآن في مشروع العدالة العالميَّة ومجلس قيادة المناخ. للمزيد يُنْظَر الرابط التالي: http: //cutt.us/F71iV
3. حصار شامل دام قرابة 13 سنة، والذي انتهى عَمَلِيّاً بسقوط نظام صدام حسين، البعثي العربي الاشتراكي، سنة 2003م؛ فترة ســـوداء عانى العراق فيها ويلات عُزْلَة شـــديدة من معظم دول العالم، سِيَاسِـــيّاً ودبلوماســـيّاً واقْتِصَادِيّاً، لينهار بعدها ويحتلّ أدنى مراتب النُّمُوّ والخدمات بين دول المنطقة. وتَأَزَّمَ الوضع خاصة بعد الســـنوات التي تَلَتْ حرب الخليج الثانية؛ حيث تَمَّ تدمير بِنْيَتِه التحتيَّة من مصانع ومصافي نفط ومَحَطَّات توليد الكهرباء ومَحَطَّات التزويد بالمياه وشبكة المجاري، ناهيك عن تدمير قُوَّته العَسْكَرِيَّة واحتلاله وفَصْل أجزاء منه لفائدة الأكراد وأيضاً زرع بذور العصبيَّة الاِثْنِيَّة والدِّينِيَّة فيه (الصراع الســـني- الشـــيعي نموذجاً) . تسلســـل زمني لأهم الأحداث في العراق، موقع بي بي سي عربي، 28 أبريل 2014م، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/pZqDU

فيه جميع الأشخاص والمؤسَّسَـــات والكيانات، العامَّة والخاصَّة، بما في ذلك الدولة ذاتها، مسؤولين أمام قوانين صادرة علناً، وتُطبَّق على الجميع بالتَّساوي، ويُحتكم في إطارها إلى قَضاءٍ مُسْتَقِلّ، وتتَّفِق مع القواعد والمعايير الدوليَّة لحقوق الإنسان".(1)
وتعمل الدول الداعية إلى جهود الســـلام وتغليب القانـــون والميثاق الأُمَمِيّ، بموازاة ذلك على صناعة وتطوير قُوَّتهَا بوزنها القليل أو الكثير؛ تَحَسُّـــباً لأيِّ ظرفٍ تَغيب فيه السُّلْطَة الدَّوْلِيَّة، باعتبارها الضمان الحقيقيّ وصِمَام الأمان لبقائها واستقرار نظامها ومصالحها. وشواهد الانزلاق إلى مهاوي الهيمنة وتوسيع المجال الْحَيَوِيّ لا تزال ماثلة في صفحات تاريخ الحرب العَالَمِيَّة الثانية(2)، عبر النموذج الألماني والياباني.
فيـــما تُبْرِز الولايـــات المُتَّحِدَة الأمْريكِيَّة قبل وبعد انهيار الاتِّحَاد السُّـــوفييتِيّ، ومعه انهيار الثُّنَائِيَّة القُطْبِيَّة، كأكثر دولة تَسْتَخْدِم القُوَّة الصَّلْبَة في حلّ نزاعاتها وتحقيق أهدافها، وغالباً ما تكون نهايات هذه القُوَّة دماراً وعدواناً، كما في أمثلة الحرب الكُورِيَّة(3)، وحرب فيتنام(4)، بنما(5)، العراق.. ولو تحت مِظلَّة وشعارات حماية العالم الْحُرّ والشَّرْعِيَّة الدَّوْلِيَّة، وغيرها.

1. "تقرير الأمين العام للأمم المتحدة: سيادة القانون والعدالة الانتقاليَّة في مجتمعات الصِّرَاع ومجتمعات ما بعد الصِّرَاع "، موقع مُنَظَّمَة "الأمم المتحدة"، 2004م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/8BTxmR.
2. الحرب العالميَّة الثَّانِيَة هي حرب دَوْلِيَّة بدأت في الأول من سبتمبر من عام 1939م في أوروبا وانتهت في الثاني من سبتمبر عام 1945م، شاركت فيه الغالبيَّة العظمى من دول العالم منها الدول العظمى في حِلْفَيْن عَسْكَرِيَّيْن مُتَنَازِعَيْن هما: قُوَّات الحلفاء، ودول المِحْوَر، كما أنها الحرب الأوســـع في التاريخ، وشـــارك فيها بصورة مباشرة أكثر من 100 مليون شـــخص من أكثر من 30 بلداً، وقد وضعت الدول الرئيســـة كافة قدراتها العَسْـــكَرِيَّة والاقْتِصَادِيّة والصِّنَاعِيَّة والعلميَّة في خدمة المجهود الحربي. تمَيَّزَتْ الحرب العالميَّة الثَّانِيَة بعدد كبير من القتلى المدنيين. (قســـم الدراســـات والبحوث، الحرب العالميَّة الثَّانِيَة، الجزيرة نت، 3 أكتوبر 2004، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/dUlYu
3. بدأت الحرب الكوريَّة حرباً أهليَّة في شبه الجزيرة الكوريَّة بين عامي 1950- 1953م. كانت شبه الجزيرة الكوريَّة مُقَسَّمَة إلى جُزْأَيْنِ شمالي وجنوبي؛ الجزء الشمالي يقع تحت سيطرة الاتِّحَاد السُّوفييتِيّ، والجزء الجنوبي خاضع لسيطرة الأمم المُتَّحِدَة بقيادة الولايات المُتَّحِدَة. كانت بداية الحرب الأهليَّة في 25 يونيو 1950م عندما هاجمت كوريا الشـــماليَّة كوريا الجنوبيَّة، وتوسَّـــع نطاق الحرب بعد ذلك عندما دخلت الأمم المُتَّحِدَة بقيادة الولايات المُتَّحِدَة، ثم الصين أطرافاً في الصراع. انتهي الصراع عندما تَمَّ التَّوَصُّل إلى اتفاق وقف إطلاق النار في 27 يوليو 1953م. للمزيد يُنْظَر موقع بي بي سي العَرَبِيَّة، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/9YbcY
4. حـــرب فيتنام: نزاعٌ مُسَـــلَّح بين جمهوريَّة فيتنام الديمُقْرَاطِيَّة (شـــمال فيتنام)، متحالفة مع جبهـــة التحرير الوَطَنِيَّة، ضِدّ جمهوريَّة فيتنام (جنوب فيتنام) مع حلفائها (وكانت الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة إحداهنّ) بين 1 نوفمبر 1955 و30 أبريل 1975م. واستَمَرَّ التورُّط الأمْرِيكِيّ في هذه الحرب حتى عام 1973م، وانتهى الغزو الأمْرِيكِيّ في 17 يونيو 1975م باتِّحَاد شمال فيتنام مع جنوبها. للمزيد يُنْظَر الرابط التالي: http: //cutt.us/ZiO79
5. حرب بنما كانت عبارة عن غزو الولايات المُتَّحِدَة لِبَنَمَا في عهد جورج بوش الأب، في الفترة من 20 ديســـمبر 1989 – 31 يناير 1990م، وكان ذلك بدعوى الحفاظ على حياة المواطنين الأمريكيِّينَ في بَنَمَا، ومكافحة تجارة المخدرات. للمزيد يُنْظَر الرابط التالي: http: //cutt.us/iWqak

وإذا كانت القُوَّة العَسْكَرِيَّة تستند إلى التصنيع وحيازة أسلحة دمار كَمِّيِّة ونَوْعِيَّة؛ فإنَّ القُوَّة الاقتِصَادِيَّة تقوم على عناصر وشروط إنْمَائِيَّة مختلفة، مثل: الحكومة الجَيِّدَة، التدبير الرشيد، وتحقيق التَّنْمِيَة المستدامة. وضَعْفُهَا أو تخلُّفُها يعني ضَعْفَ القُدْرَة على تمويل وتطوير الجانب العَسْكَرِيّ، أي علاقة لازمة بمُسْتَتْبَعَاتِهَا. بمعنى "النُّفُوذ" مقابل "الرخاء"، "التَّوَسُّع" يساوي "الاستثمار"، و"القُدْرَة" بموازاة مع "الإنتاج".

ثالثاً: القُوَّة النَّاعِمَة:

"القُوَّة النَّاعِمَة" مصطلح ظهر في بدايَة تسعينِيَّات القرن الماضي على يد جوزيف ص. ناي Joseph S. Nye، عميد مُؤَسَّسَـــة كيندي للدراسات الحُكُومِيَّة بجامعة هارفارد، ورئيس مجلس المخابرات الوَطَنِيّ ومســـاعد وزير الدِّفَـــاع أيضاً، وتعني من وجهة نظـــره: "قُدْرَة دولة مُعَيَّنَة على التَّأثِير في دول أخرى وتوجيه خياراتها العَامَّة، وذلك اســـتناداً إلى جَاذِبِيَّة نظامها الاجْتِمَاعِيّ والثَّقَافِيّ ومنظومة قِيَمها ومُؤَسَّسَاتها، بدلاً من الاعتماد على الإكراه أو التَّهْدِيد"(1).

ويُرْجِعْ ناي أهَمِّيَّة اعتماد القُوَّة النَّاعِمَة إلى خمسة تَحَوُّلاَت دَوْلِيَّة ساهمت في تراجع دور القُوَّة الصَّلْبَة أو قَلَّلَتْ من فَاعِلِيَّتها على الأَقَلّ، وتَتَمَثَّل في (2):

- **صعوبة استخدام القُوَّة في صورتها القَهْرِيَّة**؛ لما يُمَثِّله ذلك من خَطَر على النُّمُوّ الاقْتِصَادِيّ والمصالح المَالِيَّة.
- **قُدْرَة الفاعلين غير النِّظَامِيِّين**، الشركات مُتَعَدِّدَة الجنسيات، المُنَظَّمَات الدَّوْلِيَّة ســـواءً الحُكُومِيَّة منها أو غير الحُكُومِيَّة، وحتى الجماعات المُسَلَّحَة على ممارسة أنواع من القُوَّة كانت مقصورة في الســـابق على الـــدول القَوِيَّة. ما يعني انتهاء احتكار الدَّوْلَة الرَّسْمِيَّة لأدوات وحق استخدام القُوَّة.

1. Joseph S. Nye, "Decline of America Soft Power", Foreign Affairs, New York, May/June 2004, Vol. 83, Iss.3; Pp16- 20.
2. Joseph S. Nye, "Soft Power"، Foreign Policy, No.80، Autumn 1990, Pp 153- 171.

- **انبعاث النَّزَعَات القَوْمِيَّة الَّذِي صعَّب كثيراً من اســتخدام القُوَّة**، فعلى ســبيل المثال، كانت بعض المواقع العَسْــكَرِيَّة الصغيرة قادرة على إدارة إمْبَرَاطُورِيَّة مثل الإمْبَرَاطُورِيَّــة البريطانيَّة، لكن في الوقت الحاضر، فإنَّ الولايات المُتَّحِدَة على ســبيل المثال، وجدت أنه من الصعب إخضاع العشائر الصوماليَّة أو حتى تهدئة الوضع في العراق، ولو مع زيادة عدد قُوَّاتها.
- **عولمة التكنولوجيا، خاصة في مجال تطوير الأسلحة التَقْلِيدِيَّة وغير التَقْلِيدِيَّة**، ســاهم في تعادل قُوَّة الأطراف المُتَحَارِبَة عــلى أرض المعركة، بغضِّ النظر عن التفاوتات والاختلافات الحقيقيَّة في القُوَّة بينهما.
- **التَّغَيُّرَات الطارئة في القضايا السِّيَاسِــيَّة (العلاقات الدَّوْلِيَّة)**، جعل من القُوَّة العَسْــكَرِيَّة أقلّ قُدْرَة وكفاءة على حَلّ المشكلات المعاصرة، فامتلاك أقوى جيش لن يحلّ على ســبيل المثال قضايا مثل الفقر والتَّلَوُّث أو انتشــار الأوبئة. كما أنَّ استخدام القُوَّة العَسْكَرِيَّة أصبح مُكَلِّفاً جداً مقارنة بتكاليفها في القرون الماضية.

لبناء القُوَّة النَّاعِمَة وتدعيمها، تعتمد الدول على ثلاثة مصادر رئيسة (1):

- **الثقافة**: وتعني القِيَم والعوائد والممارســات الَّتِي تُضفي معنًى أصيلاً وحَضَارِيّاً على مجتمع ما.
- **القِيَم السِّيَاسِــيَّة**: ويُقْصَدُ بها حُرِّيَّة التعبير والصحافة والنشر والتصويت وغيره من الحُرِّيَّات الفرديَّة والجماعيَّة الأَسَاسِيَّة.
- **السِّيَاسَــات الخَارِجيَّة**: وتُمَثِّلُ مُكَوِّناً مُهِــمّاً من مُكَوِّنَات القُوَّة النَّاعِمَة، وتعتمد على قُدْرَة التخطيط المُعَقْلَن والنَّتَائِج الجَيِّدَة لجعل الدول الأخرى تأخذ بها كنموذج ناجح.
- **المِصْدَاقِيَّة والشَّرْعِيَّة**: ويعتبر أهم هذه العناصر، بناءً على مطابقة بين ما تقوله الدَّوْلَــة وما تفعله. فبالكاد تُقْبَل الاختلافات بــين الثَّقَافَات والقِيَم مع المبادئ

1. Joseph S. Nye, "Decline of America Soft Power", Foreign Affairs, New York, May/June 2004, Vol. 83, Iss.3; Pp. 162.

المقبولــة عَالَمِيّاً، فكيف بتَنَاقُــضٍ صارِخٍ بين أقــوال وأطروحات دولة وبين ممارساتها على أرض الواقع.

وفي هــذا الإطار، يمكــن قياس حجم ومقدار القُوَّة النَّاعِمَــة لدولة مُعَيَّنَة، وكذلك تأثيراتها على دولة أخرى، من خلال أدوات اســتطلاع الــرأي، الَّذِي تُنْجِزُهُ مراكز دراســات مَوْضُوعِيَّة ومُتَخَصِّصَة، تنتشر غالباً في الدول المُتَقَدِّمَة. لهذا نجد أن هذه الاستطلاعات المذكورة تُشَكِّل موضوع مُتابعة رَسْمِيَّة دقيقة وإنفاق كبير؛ نظراً لأَهَمِّيَّتها البالغة في اتِّخَاذ القرارات، بل ورسم السِّيَاسَات الدَّوْلِيَّة أيضاً. (1)

مــن جهة أخــرى، ترتكز القُوَّة النَّاعِمَة على القُدْرَة على إعادة تشــكيل رؤى وميول الآخريــن. وترتبط باعتناق الآخرين للقيم الَّتِــي تدعو لها دولة ما أو عبر ثقافة ما. وتَتَجَــلَّى في تَبَنِّي رغبات الآخرين وتحويلها إلى رغبة داخليَّة في تفكير المســتهدف. وتعتمد في هذا على عامل الجَاذِبِيَّة الَّتِي كثيراً ما يكون لها تأثير واســع الانتشــار، ويَخْلُقُ أثراً عامّاً أكثر مما يُنْتِجُه عملٌ محدَّد يمكن ملاحظته وانتقاده بســهولة. وفي هذا الســياق نكون بصدد الحديث عن آلِيَّات عمل القُوَّة النَّاعِمَة، وتظهر من خلال الجَاذِبِيَّة الثَّقَافِيَّة، والْبَعَثَات الأَكَادِيمِيَّة، الدُبْلُوماسِــيَّة الإنْسَــانِيَّة، إضافة إلى الفعل الاحتجاجي والمقاطعة الاقتِصَادِيَّة (2).

ومما لا شَــكَّ فيه أن الجَاذِبِيَّة الثَّقَافِيَّة والعقيدة الأيدُيولوجِيَّة لبلدٍ ما تُشَــكِّل نقطة اســتقطاب مِثَالِيَّة للعديد من المعجبين والمبهورين كي يَتَّبِعُوا هذا النموذج الجاذب، ويدافعوا عن أطروحاته باستعداد أكبر. فالكثير من القُوَّة الأَمْرِيكِيَّة النَّاعِمَة والمُهَيْمِنَة في آنٍ واحد أنتجتها مصادر معروفة في شَــتَّى المجالات: أفلام هوليود، محاضرات

1. بدون مؤلف، القُوَّة النَّاعِمَة، 5 سبتمبر 2014م، النص متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/gCh4N
2. Joseph S. Nye, "Decline of America Soft Power", Op.Cit. p. 20.

هارفرد، بَرْمَجِيَّات مايكروسوفت، ومشاهير الرياضات، فضلاً عن التَّقَدُّم التكنولوجي، العلامات التِّجَارِيَّة الرائدة، المواقع الإلكترونيَّة الرائدة، المزارات الروحيَّة الشـــهيرة، المواقع السِّيَاحِيَّة المُتَمَيِّزَة والأكلات الشَّعْبِيَّة المعروفة... إلخ.

ولعل الصورة الشـــهيرة المُعَبِّرَة، الَّتِي تناقلتها الوسائط ووسائل الإعلام العَالَمِيَّة يوم 9 نوفمبر من عام 1989م، لســـقوط جدار برلين باستخدامِ المطارق والجَرَّافَات(1)، بعد عقود من الفصل بين العالم الرأســـماليّ ونظيره الشيوعيّ بِسِتَارٍ حديديٍّ مُغْلَق، خيرُ مثالٍ يدل على مدى التَّأْثِير الدعائي للتلفزيون والســـينما، وما ينتج عنهما من ســـطوة القُوَّة النَّاعِمَة في جانبها الثَّقَافِيّ التواصلي. وثقافة الغرب الْمَبنية على الْمَيْلِ إلى الحُرِّيَّـــة والكرامة والعيش اللائق نجدها قـــد اخترقت ومهَّدت قبلاً لهذا اليوم التَّارِيخِيّ بوسائل التواصل المذكورة. (2)

فيما تُشَـــكِّل البعثات الثَّقَافِيَّة والأَكَادِيمِيَّة مصدراً آخر مـــن مصادر القُوَّة النَّاعِمَة الأَسَاسِيَّة. فكثيراً ما أثَّر خريجو البعثات المذكورة المُتَأَثِّرُون بالقِيَم الأَمْرِيكِيَّة والحاملون لتقدير أكبر لمُؤَسَّسَـــاتها، وخَاصَّة أن كثيراً من هؤلاء الطلبة الســـابقين، ينتهي بهم الأمر إلى احتلال مراكز مُهِمَّة في بلادهم، يســـتطيعون من خلالها التَّأْثِير على نتائج السِّيَاسَة الَّتِي تصبُّ في صالح أمريكا ومصالحها القَوْمِيَّة.

---

1. أُقِيمَ جدار برلين قبل 57 عاماً، وتحديداً في العام 1961م، بعد انشقاق ألمانيا عن حلفائها نهاية الحرب العالميَّة الثانية، وذلك من أجل تقســيم العاصمة الألمانيَّة برلين إلى شِــقَّيْنِ؛ برلين الشرقيَّة الشــيوعيَّة، وبرلين الغربيَّة الديمقراطيَّــة، مــع مَنْع المواطنين الشرقيِّينَ الذين كانوا يعانون من الحكم الشــيوعي مــن الفرار إلى الجانب الغربي، خاصةً بعد هروب أكثر من 2.5 مليون شخص إلى ألمانيا الغربيَّة.
وفي العام 1989م أُجْبِرَ رئيس الحزب الشيوعي في ألمانيا الشرقيَّة على تحسين العلاقة مع الجانب الغربيّ، ونتيجةً للضغوط المستمِرَّة عليه بسبب الحرب الباردة، قرَّر الرئيس السماح للألمان في الجانبين الشرقيّ والغربيّ بالتَّنَقُّل بحُرِّيَّة عبر الحدود، وبعد هذا الإعلان احتَشَدَ عددٌ كبيرٌ من المواطنين على الجانِبَيْنِ حَامِلِينَ معهم أدوات ثقيلة لهَــدْمِ الجــدار، وبدأ الهدم الفعلي للجدار في 13 يونيو 1990 وانتهى العام 1992م، وتُعتبر هذه الخطوة الأولى في طريــق توحيد ألمانيا. للمزيــد يُنْظَر: تعريف جدار برلين، موقع "موضوع"، 28 مارس 2018م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/VTa33v.
2. محمد خالد، النجاح الاقْتِصَادِيّ والصروح الثَّقَافِيَّة والمساعدات نماذج تأثير فاعلة، جريدة البيان الإماراتيَّة، 6 مايو 2017م، تاريخ الزيارة 24/9/2017م، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/ONTrQ

ناهيك عن المُؤَسَّسَـــات غير الهادفة للربح والعاملة في مجالات إنْسَانِيَّة شتَّى، تمتلك إمْكَانِيَّــات قُوَّة ناعمة كبــيرة خاصة بها، يمكنها من عرقلة وتعقيد أعمال أيِّ حكومة مهما علا شـــأنها. ومن أمثلة هذه المُؤَسَّسَات المُؤَثِّرَة في القرار المَحَلِّيّ والأُمَمِيّ نجد: مُنَظَّمَة مراقبة حقوق الإنسان(1)، مُنَظَّمَة العفو الدَّوْلِيَّة(2)، مُنَظَّمَة الصليب الأحمر(3)، مُنَظَّمَة الســـلام الأخضر (غرين بيس) (4) وغيرها... ومن هنا تَنْبُع أَهَمِّيَّة مد الجسور مع مثل هذه المُنَظَّمَات؛ لما لها من تأثيرات تحذّر منها حتى الدول العظمى.

1. هي مُنَظَّمَة دوليَّة غير حكوميَّة تهتم بالدِّفاع عن حقوق الإنســان والدعوة للحفاظ عليها، يقع مقرُّها في مدينة نيويورك الأمريكيَّة، وقد تأسَّست العام 1978م بهدف التحقُّق من احترام الاتحاد السوفييتيِّ لاتِّفاقات هلسنكي، لذلك حملت في البداية اسم "هلسنكي ووتش".
تأسَّــس فــرع للمُنَظَّمَة حمل اســم "أميركا ووتش" العــام 1981م خلال الحروب الأهليَّة التــي اجتاحت أمريكا الوســطى، وبعد نجاح هذه التجربة تَمَّ تأســيس فروع أخرى في آســيا وإفريقيا والشرق الأوسط، حتى تَمَّ دَمْج جميع هذه الفروع لتُشــكِّل ما يُعْرَف اليوم باســم "هيومن رايتس ووتش"، وينضوي تحت عضويّتها أكثر من 180 شــخصاً من مختلف الجنســيَّات لمراقبة حقوق الإنسان في شَتَّى بقاع العالم. للمزيد يُنْظَر: منظمة هيومن رايتس ووتش، موقع "الجزيرة"، 31 أغسطس 2007م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/fQhw2u.
2. مُنَظَّمَة غير حكوميَّة تأسَّســت في لندن العام 1961م، وتهتم بالقضايا التي تتعَلَّق بحقوق الإنســان، تُؤَكِّد المُنَظَّمَة ذاتها أن لديها أكثر من 7 ملايين عضو ومُؤَيِّد حول العالم، وقد حصلت العام 1977م على جائزة نوبل للسلام؛ تكريمــاً لعملهــا الدؤوب في الدفاع عن كرامة الإنســان ضِدَّ التَّعذِيب، كما نالــت جائزة الأمم المُتَّحِدَة في مجال حقوق الإنسان في العام 1978م. للمزيد يُنْظَر: ما هي منظمة العفو الدولية، موقع "موضوع"، 21 يونيو 2017م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/qe1Snj.
3. تَأَسَّسَــتْ اللَّجْنَة الدوليَّة للصليب الأحمر منذ قرابة قرن ونصف، يقَع مقرُّها الرئيس في جنيف، وتنتشر مراكزها الأخرى في نحو 80 بلداً، وأُنشئت بهدف تقديم المساعدة لضحايا الحروب والعُنْف المُسَلَّح والحفاظ على المبادئ والأخلاق الإنسانيَّة في هذه الظروف، وتستند في عملها إلى القانون الدوليّ الإنسانيّ الذي تُشَكِّل اتِّفاقات جنيف حَجَر أساسه، لذلك تتمتَّع بالاستقلاليَّة والحياد التَّامّ في المهامّ الموكَلة إليها. للمزيد يُنْظَر: اللجنة الدولية للصليب الأحمر، موقع "اللجنة الدولية للصليب الأحمر- icrc"، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/dZH7J6.
4. مُنَظَّمَــة بيئيَّــة عالميَّــة غير حكوميَّة، تملك فروعاً في أكــثر من 40 دولة حول العالم مع هيئة تنســيق دوليَّة في أمستردام، لديها مركز استشاريّ عامّ في مجلس الأمم المُتَّحِدَة الاقتصاديّ والاجتماعيّ، وهي عُضوٌ مؤسِّسٌ في ميثاق مسألة المُنَظَّمَات الدوليَّة غير الحكوميَّة INGO.
تَأَسَّسَتْ المُنَظَّمَة بهدف حماية الأرض، وضمان استمرار قدرتها على تغذية الكائنات الحَيَّة بكافَّة أنواعها، فتَتَبَنَّى حملات بيئيَّة تُرَكِّز على قضايا ذات أَهَمِّيَّة بيئيَّة عالميَّة، مثل: الاحتباس الحراريّ، والتَّعدِّي على الغابات، والصيد الجائر، وجميع القضايا النوويَّة، وتتبع في ذلك وســائل ســلميَّة، مثل: التَّحَرُّك المباشر للدعم والإنقاذ، والاحتجاج المباشر غير العنيف، وحَشْــد مؤيدين حول القضايا البيئيَّة وإجراء بحوث ودراســات عِلْمِيَّة. للمزيد يُنْظَر: منظمة الســلام الأخضر، موقع "dictionnaire.sensagent"، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/hXRsqX.

ثمَّــة مصادر أخــرى لِلْقُــوَّةِ النَّاعِمَة لدى الشُّــعُوب، يُمَثِّلُها أســلوبا "المقاطعة" و"الاحتجاجات" الشَّعْبِيَّة؛ لأنها تضرب في عُمْق الْعَصَبَ الاقْتِصَادِيّ للدول الصِّنَاعِيَّة، الَّتِي يُعْتَبَرَ الرواج التِّجَارِيّ والمال شريان حياتها، وغالباً ما تسعى في سياساتها لتنمية اقتصاداتها والسَّيْطَرَة على الموارد، حتى لو تَطَلَّبَ الأمرُ استخدام القُوَّة الصَّلْبَة.

ومــن الأمثلة على ذلك حدوث حالات مقاطعــة للمنتجات الأمْرِيكِيَّة، وهبوط حصة مُهِمَّة من البضائع الأمْرِيكِيَّة المصدَّرة إلى الشرق الأوســط من 18% إلى 13%، في أواخر تســعينيَّات القرن العشرين إلى أواخر 2001م. والســبب راجعٌ في ذلك إلى فقدان المواطن العَرَبِيّ لِلثِّقَةِ في سياســات أمريكا الخَارِجِيَّة، وتناقضها مع شعاراتها البَرَّاقَة. نفس الأمر ينطبق على خسارة الدنمارك حصة كبيرة من مبيعاتها في الأسواق العَرَبِيَّة والإِسْــلاَمِيَّة؛ احتجاجاً على نشر الرسوم المسيئة للنبيّ محمد صلى الله عليه وسلم بإحدى منابرها الإِعْلاَمِيَّة.(1)

أما فيما يَخُصّ المظاهرات والحشــود عبر المســيرات السِّلْمِيَّة والاعتصامات وغيرها، فثورات الربيع العَرَبِيّ تُعْتَبَرَ أفضل بيان وتُغْنِي عن كُلّ مثال، لما يمكن أن تُحْدِثَهُ نتائجها وتداعياتها من آثار سَلْبِيَّة وحتى مُدَمِّرَةٍ، ليس على المستوى المَحَلِّيّ بل والعَالَمِيّ أيضاً.

---

1. الرســوم الكاريكاتوريَّة المســيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم هي رسوم قامت صحيفة يولاندس بوستن الدانماركيَّة بنشرها في 30 ســبتمبر 2005م؛ حيث نشرت 12 صورة كاريكاتيريَّة للرســول محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، وبعد أقلّ من أسبوعين، وفي 10 يناير 2006م قامت الصحيفة النرويجيَّة Magazinet والصحيفة الألمانيَّة دي فيلت والصحيفة الفرنسيَّة France Soir وصحف أخرى في أوروبا بإعادة نشر تلك الصور الكاريكاتيريَّة.
قُوبِلَ نشر هذه الصور الكاريكاتيريَّة بموجةِ غَضَبٍ عارمة بين صفوف المســلمين على الصعيدين الشــعبي والسِــيَاسِيّ في العالم الإســلامي، وعلى إثر ذلك بدأت في كثير من بلدان العالم الإســلامي الدعوة لمقاطعة المنتجات الدانماركيَّة.
وقال مسؤولون دانماركيُّونَ: إن مقاطعة عدد من الدول الإِسْلاَمِيَّة للمنتجات الدانماركيَّة عَقِبَ قيام صحيفة بنشر الرســوم الكرتونيَّة المســيئة تَسَبَّبَتْ في خســائر تُقَدَّر بملايين الدولارات للاقتصاد الدانماركي. للمزيد يُنْظَر خسائر لصادرات الدانمارك بسبب أزمة الرسوم موقع bbc العَرَبِيَّة، 9 سبتمبر 2006م، تاريخ الزيارة 24/9/2017م، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/ek4U1

ولا ننسى في هذا السـياق، ذكر التَّحَرُّكات الشَّـعْبِيَّة العَالَمِيَّة الَّتِي رافقت العدوان الإسرائيلي على غَزَّة(1)، وكيف كان لها أثر بالغ على رفع مَعْنَوِيَّات الشعب الفلسطيني، وتشـويه صورة الكيان الصُّهْيُونيّ الَّذِي دفَع ملايين الدولارات لتحسين صورته على مدى العقود السـابقة(2)؛ فَحُشُـودُ المتظاهرين باتت تُؤَثِّر على القرارات، ومواقف كُتّـاب الافْتِتَاحِيَّات، وتَدَخُّلاَت البَرْلَمَانِيّينَ وغيرهم من ذوي النُّفُوذ المُؤَثِّر في بلدان مُهِمَّة حول العالم. وهي في هذا خيرٌ من ألف فُوَّهَة ومصدر نار. **ولهذا يمكن القول:** إنه وَفْقاً لِلْقُوَّةِ النَّاعِمَة من هذا الصنف، فالطفل الشـهيد المُضَرَّج بدمائه اليوم في فلسـطين أو سـوريا أو اليمن أصبح أقوى تأثيراً من عناصر القُوَّة الصَّلْبَة: الدَّبَّابَة والطائرة المُقَاتِلَة وغيرها، على المستوى المَحَلِّيّ فحسب، بل وعلى المستوى العَالَمِيّ (3).

1. شَـنَّتَ قُوَّات الاحتلال الإسرائيليّ عُدْوَاناً على قطاع غَزَّة الفلسـطينيّ خلال الفترة بين ديسـمبر 2008 ويناير 2009م، وقـد حصـل أهل القطاع على تعاطُفٍ شَـعْبِيٍّ كبيرٍ على المسـتويَيْنِ الإقليميِّ والعالميِّ، وعمَّـتْ التَّظاهرات الشـعبيَّة الدولَ العربيَّة وفي مقدِّمتهـا؛ مصر والأردن، بالإضافة إلى مظاهرات في أوروبا وآسـيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينيَّة؛ للمطالبة بوقف الأعمال العسـكريَّة، وتنديداً بالعدوان الغاشم على القطاع، واسـتخدام القوات الإسرائيليَّة أبشـع وسائل العُنْف والقمع ضد الأطفال والنساء والعجائز، خاصـةً بعد أن نقلت وسـائل الإعلام العالميَّة صـور القتل والدمار الذي لحق بالقطاع، وضحايا الجرائم العسـكريَّة من المدنيِّينَ، مما كان له أكبر الأثر في حَشْـدِ التعاطف الدوليّ للفلسـطينيِّينَ، وإعادة البُعْد النِّضَاليّ والإنسانيِّ للقضيَّة الفلسطينيَّة.
   ولم تكن التَّحَرُّكات خارج فلسـطين فقط، بل في الداخل أيضاً؛ إذ شـهدت السَّـاحة الفلسطينيَّة المُحتَلَّة تظَاهُرَ الآلاف من فلسطينييِّ 48، وإضراباً شاملاً عن العمل تَخَلَّلَتْهُ مظاهر احتجاج وغَضَب، مثل: رفع الرايات السـوداء والأعلام الفلسـطينيَّة في مختلف المسيرات. للمزيد يُنْظَر: دراسة "العدوان الإسرائيلي عـلى غزة (2008/12/27- 2009/1/18م)"، الناشر "مركز الزيتونة للدراسـات والاستشـارات" بيروت، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/TBz9XL.
2. أوري بلاو، اسـتراتيجيَّة إسرائيل لتحسـين صورتها في العالم، صحيفة الأيَّام، 27 مارس 2017م، تاريخ الزيارة 2017/9/24م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hY57vr
3. إيمان مصطفى، "القُوَّة النَّاعِمَة في السياسة الخَارِجِيَّة"، فكر أونلاين، 3 مارس 2016م. متاح على الرابط التالي: goo.gl/G7EZxF

رابعاً: القُوَّة الذَّكِيَّة:

ومـــن رَحِم مَفْهُومَيْ القُوَّة الصَّلْبَة والقُـــوَّة النَّاعِمَة، ظهر مصطلح **"القُوَّة الذَّكِيَّة**(1) **Smart Power"**، كمفهـــوم ثالث يجمع بينهما، بل ويجعل من الصعب على صانعي القرار في السِّيَاسَات الخَارِجِيَّة أن يفصلوا عَمَلِيّاً بين هذه القوى؛ لأنّها مرتبطة بشكل كبير بالقُوَّة العَسْـــكَرِيَّة، ولا يمكنها فَكُّ ارتباطهـــا معها إلا أن تكون جزءاً من عَمَلِيَّة القُوَّة النَّاعِمَة. وفي المقابل يصعب على الدول أن تكتفي باستخدام القُوَّة النَّاعِمَة دون استخدام أو حتى استعراض القُوَّة الصَّلْبَة عَسْكَرِيّاً واقْتِصَادِيّاً لدعم مكانتها الدَّوْلِيَّة. وقد تأخذ مَنْحًى اسْتِرَاتِيجِيّاً في سعيها للجمع بين القُوَّة الصَّلْبَة والقُوَّة النَّاعِمَة.

فقد روَّج العديد من المُفَكِّرِينَ الأمريكيِّينَ أمثال جوزيف ناي، زبيغنيو بريجنسكي(2)، وريتشـــارد أرميتاج(3)، لمفهوم القُوَّة الذَّكِيَّة Smart Power، في بداية فترة رئاســـة باراك أوباما(4)، كســـبيل لتأسيس اسْـــتِرَاتِيجِيَّة أمْرِيكِيَّة عَالَمِيَّة جديدة، تهدف إلى

1. حمزة السلامات، "مصطلح القُوَّة الذَّكِيَّة نهج جديد في السياسة الخَارِجِيَّة الأمْرِيكِيَّة خلال رئاسة أوباما"، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستِرَاتيجِيَّة، 03 نوفمبر 2014م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/852UBI
2. زبيغنيو بريجينســـكي (28 مارس 1928- 26 مايو 2017م) مُفَكِّر اســـتراتيجِيّ ومستشار للأمن القوميّ للرئيس الأمْرِيكِيّ الأسبق جيمي كارتر بين عامي 1977 و1981م. كما عَمِلَ مستشاراً في مركز الدراسات الاستِرَاتيجِيَّة والدَّوْلِيَّة، وأستاذاً (بروفسوراً) لمادة السياسة الخَارِجِيَّة الأمْرِيكِيَّة في كليَّة بول نيتز للدراسات الدَّوْلِيَّة المُتَقَدِّمَة بجامعة جون هوبكينز في واشنطن.
3. ريتشـــارد أرميتاج سِـــيَاسِيّ أمْرِيكِيّ من كبار المختصين في شـــؤون الشرق الأوســـط وجنوب شرق آسيا، عَمِلَ مستشـــاراً للرئيس الأمْرِيكِيّ الأسْـــبق جورج دبليو بوش أثناء حملته الانتخابيَّة، وبعد فوز الأخير عُيِّن ريتشـــارد أرميتاج نائباً لوزير خارجيّته كولن باول. شَـــغَلَ منصب النائب المســـاعد لوزير الدفاع لشرقي آســـيا والمحيط الهادئ، ومنذ عام 1983 حتى 1989م كان مســـاعداً لوزير الدفاع لشـــؤون الأمن الدَّوْلِيّ، وتَوَلَّى أرميتاج في عهد الرئيس بوش الأب منصب نائب لوزير الدفاع في مكتب شؤون الأمن الدَّوْلِيّ. وتَوَلَّى عام 2001م منصب مساعد وزير الخَارِجِيَّة الأمْرِيكِيّ قبل أن يُقَدِّمَ استقالته من منصبه في نوفمبر/تشرين الثاني 2004م، وكان يُعَدُّ واحداً من صقور البيت الأبيض حينها.
4. بـــاراك أوبامـــا (4 أغســـطس 1961م) هو الرئيس الرابع والأربعون للولايات المُتَّحِـــدَة الأمْرِيكِيَّة من 20 يناير 2009م وحتـــى 20 ينايـــر 2017م، وأول رئيس من أصول إفريقيَّة يصل للبيت الأبيض. حقق انتصاراً ســـاحقاً عـــلى خَصْمِـــهِ جون ماكين؛ وذلـــك بفوزه في بعض معاقل الجمهوريِّينَ مثـــل أوهايو وفيرجينيا في 4 نوفمبر 2008م. حصل على جائزة نوبل للســـلام لعام 2009م نظير جهوده في تقويَّة الدبلُومَاسِـــيَّة الدَّوْلِيَّة والتعاون بين الشعوب، وذلك قبل إكماله سنة في السلطة.

تحســـين صورة الولايات المُتَّحِدَة الأمْريكِيَّة كدولة لها القُدْرَة على الإقناع، وبثّ الأمل، والبســـمة في دول العالم، بدلاً من الصورة المتداولة حول اســـتخدامها المنفرد لِلْقُوَّةِ المطلقة.(1)

وبالتَّالِي يمكن القول: إنّ أنجح الدول في سياساتها وتَدَخُّلاَتها، هي تلك الَّتِي تعتمد التوازن والذكاء في اســـتخدام قُوَاهَا ومصادرها لحفظ مصالحها وحقوقها وأمان شـــعبها واستقرارها الدَّاخِلِيّ والخَارِجِيّ. فاســـتخدام القُوَّة الصَّلْبَة المَحْض لا يكفي ليردع الأعداء، ولن يُشَـــكِّل حَلاً نَاجِعاً ودائماً، لما تُسَبِّبُهُ مثل هذه التَّدَخُّلاَت العَسْكَرِيَّة والحربيَّة من خسائر وردود فعل وأضرار في بِنْيَة الدَّوْلَة التَّحْتِيَّة، واستنزاف لطاقات شعبها وأرضها. فالدَّوْلَة الحكيمة هي الَّتِي تحاول حفظ حقوقها بما لديها من مدَّخَرات وطاقات، وتحاول توجيهها بما يردع غيرها عن التَّدَخُّل فيها والمساس بسيادتها، ولكن إن لزم الأمر، فإنَّ لديها من القُدْرَة الصَّلْبَة الكافيَّة لجعلها تقف عند حدودها.

1. حمزة الســـلامات، "مصطلح القُوَّة الذَّكِيَّة نَهْجٍ جديدٍ في السياســـة الخَارِجيَّة الأمْريكِيَّة خلال رئاسة أوباما"، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاسترَاتيجِيَّة، 03 نوفمبر 2014م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/852UBI

المبحث الثاني

القُوَّة بين الفِعْل والكُمُون

يُقْصَدُ بالقُوَّة الفِعْلِيَّة الوجه الْمُعْلَنُ لِلْقُوَّةِ في حين يُقصَد بالقُوَّة الكامنة أو المســتبطنة الوجــهُ الْخَفِيّ منها، ومن ثَم فإن القُــوَّة الفِعْلِيَّة هي الَّتِي تُفْصِحُ بها الدَّوْلَة عن قُدراتها في العلاقات السِّيَاسِيَّة وقت نشوب الصِّرَاعات والحروب المُسَلَّحَة، بينما القُوَّة الكامنة هي قُوَّة الرَّدْع الَّتِي قد تُلَوِّح بها الدَّوْلَة في تفاعلاتها الدَّوْلِيَّة دون أن تستخدمها بالفعل. وفي العلاقات الدَّوْلِيَّة يمكن القول: إنَّ استخدام الدَّوْلَة لقُوَّتهَا الكامنة أو أدوات الرَّدْع قد يفوق بكثير لجوؤها إلى استخدام قُوَّتهَا الفِعْلِيَّة (1).

تَحَوُّل القُوَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة:

يشــير مفهوم تَحَوُّل القُوَّة إلى فقدان الدَّوْلَة المُهَيْمِنَةِ موقعَها القيادي لصالح قادم جديــد سريع التنامي، ولكي يحدث هذا التَّحَوُّل فإنه يَتَعَيَّن على هذا القادم الجديد أن يحصل على مصادر لِلْقُوَّةِ أكبر مما لدى الدَّوْلَة المُهَيْمِنَةِ أو على الأَقَلّ يُحْدِثُ تعادلاً مــع المُقَدَّرَات القَوْمِيَّة للدولة القائد الآفلة. وهذا يعني أنه يَتَعَيَّن على القادم الجديد أن يحاول اللّحَاق بالدَّوْلَة القائد بالشكل الَّذِي يجعل من المُقَدَّرَات القَوْمِيَّة لكل منهما تقترب من حَدِّ التساوي. (2)

---

1. بيتر تيلور، كولن فيلت، الجغرافيا السِّيَاسِــيَّة لعالمنا المعاصر، ترجمة عبدالســلام رضوان وإســحاق عبيد، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 282، ص73.
2. مِنَّة الله محمد طاهر عبدالهادي، " القدرات النسبيَّة والصراع الدَّوْليّ.. دراسة للعلاقات الصِّينِيَّة الأَمْرِيكِيَّة بعد انتهاء الحرب الباردة "، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، 2011م.

ويُبَيِّن مفهوم تَحَوُّل القُوَّة أن الدَّوْلَة المُسَيْطِرَة تبدأ في فقدان سيطرتها لصالح مُتَحَدٍّ صاعِـــدٍ جديد. وهذا الفقدان والتَّحَوُّل في ميزان القُوَّة من طرف لصالح طرف آخر يحدث بالأســـاس بسبب التَّغَيُّرَات الَّتِي تطرأ على المُكَوِّنَات القَوْمِيَّة لكل من القُوَّتَيْنِ الآفلة والصاعدة، شريطة أن توجد حالة من عدم الرضا الشـــديد عن الوضع الدَّوْلِيّ القائم من قبل القُوَّة الصاعدة، ومن ثَم فإن احتماليَّة نشوب حرب بين القُوَّتَيْنِ تبقى قيد الاحتمال.

وجدير بالذكر أن مفهوم تَحَوُّل القُوَّة ليس قاصراً على اســـتعلاء دولة على أخرى أو مُجَرَّد محاولة السَّـــيْطَرَة عليها أو التَّحَكُّم فيها عبر أدوات القُوَّة الصَّلْبَة، وإنما يَتَّسِع ليشمل أيضاً انتشار ثقافة مُعَيَّنَة مغايرة وصعودها في مجتمع ما على حساب الثَّقَافَات والعـــادات والتقاليد الأصيلة في ذلك المجتمع، ومثـــال ذلك عولمة الثقافة الأَمْرِيكِيَّة وانتشارها حول العالم(1).

مفهوم توازن القُوَى:

يُقْصَدُ بتوازن القُوَى في العلاقات الدَّوْلِيَّة(2) تلك الحالة الَّتِي تتعادل أو تتكافأ عندها المُقَدَّرَات الْبِنَائِيَّة والسُّلُوكِيَّة والقِيَمِيَّة لدولة ما منفردة أو مجموعة من الدول المُتَحَالِفَة مع غيرها من الوحدات السِّيَاسِـــيَّة المُتَنَافِسَة معها، بحيث تضمن تلك الحالة للدولة

1. انظر في مفهوم تَحَوُّل القُوَّة وتطبيقاته المَرْجِعَيْنِ الآتِيَيْنِ:
- أحمـــد عبداللـــه الطحلاوي، مفهوم تَحَوُّل القُوَّة في نَظَرِيَّات العلاقات الدَوْلِيَّة دراســـة الحالة الصِّينِيَّة، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، 2009م، ص ص 24-29.
- Lemke، Douglas، The Continuation، of History: Power Transition Theory and The End of The Cold War، Journal of Peace Research، Vo. 34، No. 1، 1997.

2. لمزيد من التفاصيل حول مفهوم توازن القوى انظر المَرْجِعَيْنِ الآتِيَيْنِ:
- إســـماعيل صبري، العلاقات السِّيَاسِـــيَّة الدَوْلِيَّة: النَّظَرِيَّة والواقع، جامعة أســـيوط: مركز نشر الكتاب الجامعي، أسيوط، الطبعة الرابعة، 2004م.
- Richard Little، Balance of power in international relations، Cambridge University Press، 2007.

أو لمجموعة الدول المُتَحَالِفَة معها رَدْع أو مُجَابَهَة التَّهْدِيدَات المُوَجَّهَة ضدَّها من دولةٍ أخرى أو أكثر، وبما يُمَكِّنُها أيضاً من التَّحَرُّك السريع وحُرِّيَّة العمل في جميع المجالات للعودة إلى هذه الحالة عند حدوث أيّ خلل فيها بما يُحقِّق الاستقرار.

ويُوصَفُ توازن القُوَى بأنه سياسة ترمز إلى المدرسة الوَاقِعِيَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة(1)، وهي المدرسة الَّتِي تُعنَى بظاهرة القُوَّة، والَّتِي تُؤَكِّد في تحليلها الأخير أنَّ الدول تسعى للحفاظ على أمنها ووجودها القَوْمِيّ ومركزها الدَّوْلِيّ من خلال الصِّرَاع على اكتساب القُـــوَّة، وتحقيق توازن القوى، وإن كان الأخير ليـــس هدفاً في حَدِّ ذاته، فالدول لا تســـعى إلى التوازن بقَدْرِ ما تَسْعَى إلى الهيمنة والتَّفَوُّق، الأمرُ الَّذِي يُؤَدِّي في لحظةٍ ما إلى نشوء توازن القُوَى، ومِنْ ثَمَّ فإن توازن القُوَى ليس حالة مقصودة لذاتها، بل إنها حالة يُتَوَصَّلُ إليها بشـــكل عَرَضِيٍّ؛ من خلال السعي نحو اكتساب القُوَّة، فالدَّوْلَة الَّتِي تسعى إلى التَّفَوُّق والهيمنة قد تجد نفسها في لحظة تَارِيخِيَّة ما في وضع توازن القُوَى مع الدول المُتَنَافِسَة معها.(2)

وتزيـــد أهَمِّيَّة مفهوم توازن القُـــوَى في الأطر الإقْلِيمِيَّة الَّتِـــي تُلْقِي بظلالها على التفاعلات الدَّوْلِيَّة في حالة ســـعي أحد طَرَفَيِ المعادلـــة في إقليم ما نحو بناء قُوَّتِهِ النَّوَوِيّة الَّتِي قد تُخِلُّ بميزان القُوَى في ذلك الإقليم.

---

1. لمزيد من التفاصيل عن مقولات المدرسة الواقعيَّة بشأن توازن القوى، انظر المَرْجِعَيْنِ الآتِيَيْن:

- John J. Mearsheimer, "Structural Realism," in Tim Dunne, Milja Kurki, and Steve Smith, eds., International Relations Theories: Discipline and Diversity, 3rd Edition (Oxford: Oxford University Press، 2013) , pp. 77- 93.
- Stephen M. Walt, “The Progressive Power of Realism”, American Political Review, Vol 91, No. 4, December 1997.
- Jake Donnelly, Realism and International Relations, Cambridge University Press, 2010, pp. 6- 10.

2. علي محمد أمنيف الرفيعي، القُوَّة النَّاعِمَة وأثرها في مســتقبل الهيمنة الأمْرِيكِيَّة، 2014م، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م النص متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/yNpzL

وكخلاصـــة، يمكن القـــول: إنَّ ميزان القُوَى بات اليـــوم مختلفاً عن ذي قبل، على الأَقَلّ من الناحية المَعْرِفِيَّة، بدخول مفهوم القُوَّة النَّاعِمَة وتفريعات أخرى إلى الحقل الاصطلاحي والتطبيق العملي في السِّيَاسَات الدَّوْلِيَّة. وباتت القُوَّة النَّاعِمَة مصدراً من مصادر التغيير على المســـتوى المَحَلِّيّ والدَّوْلِيّ، تَتَفَوَّق في ذلك على نظيراتها الصَّلْبَة فوائد واقتصاد موارد وحفظ أرواح.

والجديـــر بالذكر أن القُـــوَّة النَّاعِمَة لم تَعُدْ حِكْراً على الدول المُتَقَدِّمَة، أو الدول الَّتِي تمتلك قُوَّة عَسْـــكَرِيَّة مُهِمَّة، بل أصبحـــت نموذجاً ينتشر مداه أكثر فأكثر في العالم النَّامِي، كما خرجت القُوَّة النَّاعِمَة أيضاً عن السَّـــيْطَرَة الحُكُومِيَّة لتُصْبِح شأناً شعبياً، كناتج عَرَضِي لمشكلات سِيَاسِيَّة واجْتِمَاعِيَّة واقْتِصَادِيَّة. (1)

القُوَّة والعلاقات الدَّوْلِيَّة: الاتِّجَاهَات والمُكَوِّنَات والقياس

على صعيد الرؤى الإِطَارِيَّة لتوصيـــف مَاهِيَّة القُوَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة، ثَمَّة ثلاثة اتِّجَاهَات رئيســـة، وَفْقاً للأدبيَّات التَّحْلِيلِيّة لعِلْم العلاقات الدَّوْلِيَّة، تَتَمَثَّل في؛ الاتِّجَاه المُحَافِظ، والاتِّجَاه الليبراليّ، والاتِّجَاه الراديكاليّ. فالاتِّجَاه المُحَافِظ، ينظر إلى القُوَّة باعتبارها ليســـت غاية في حَدّ ذاتها، بل هي أداة لتحقيق غايات مُعَيَّنَة، ومن أنصار هذا الاتِّجَاه عَالِم السِّيَاسَة الأَمْرِيكِيّ تالكوت بارسونز (2) Talcott Parsons.

أما الاتِّجَاه الليبرالي، فيُؤَكِّد على أن القُوَّة هي قُدُرَات يمارســـها البعض على الآخرين للقيام بأعمال مُعَيَّنَة ما كانوا ليقوموا بها لولا ممارســـة القُوَّة تِجَاههم من جانب المجموعة الأَوَّلى، ويُعَدُّ عالِم السِّيَاسَة الأَمْرِيكِيّ الأبرز روبرت دال Robert Dahl من أهم رموز هذا الاتِّجَاه (3).

1. أســـس توازن القوى، بدون مؤلف، موســـوعة مقاتل من الصحراء، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م النص متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/7jFei
2. Angus Stewart, Theories of Power and Domination, London، Sage Publication, 2003، P 12.
3. روبرت أ. دال: التحليل السِـــيَاسِيّ الحديث، ترجمة: علا أبو زيد، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، 1993م، ص ص 42-44.

وأخيراً؛ الاتِّجَاه الراديكالي، وتُعَبِّر عنه المدرسة الوَاقِعِيَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة؛ حيث تنظر إلى القُوَّة باعتبارها القُدْرَة على التَّأثِير في سـلوك الآخرين، سـواءً كان ذلك التَّأثِير باستخدام المكافآت أو العقوبات أو ما يُطْلَق عليه سياسة العصا والجزرة، وهنا يبرز مفهوم الهيمنة أو السَّـيْطَرَة Domination كمرادف لمفهوم القُوَّة. ومن أبرز روّاد هذا الاتِّجَاه عالم السِّيَاسَة الأَمْرِيكِيّ ستيفن ليوكس(1) Steven Lukes .

القُوَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة: المحددات ومناهج القياس

ثمَّة اقترابان رئيسان في الأدبيات المُعَالِجَة لِقُوَّة الدَّوْلَة؛ الأَوَّل: يوازي بين قُوَّة الدَّوْلَة والحجم، أي السَّـيْطَرَة على أكبر قدر من المـوارد (الاقتراب الكَمِّيّ). والثَّاني: يرى أن قُوَّة الدَّوْلَة تُتَرْجَم إلى القُدْرَة على صناعة سياسـات أو قرارات مُسْـتَقِلَّة أو ذات اسْتِقْلَالِيَّة (الاقتراب الكَيْفِيّ).

وغالباً ما تكون الموارد المقصودة في الاقتراب الأَوَّل موارد اقْتِصَادِيَّة تَخْتَصّ بالموارد الطَّبِيعِيَّة وحجم الإنتـاج، وهيكلة وحجم القُوَى العاملة ونَوْعِيَّتها. ولقد تبنَّى البعض معيار حجم القطاع العـام مُعَبِّراً عن حجم الحكومة، وتخصيص الموارد والَّتِي تُقَدِّر نصيب الحكومة في الناتج المَحَلِّيّ الكلي، والاسـتهلاك، وذلك بالإضافة إلى الإنفاق الحكوميّ في مجالات مختارة؛ مثل الإنفاق العَسْـكَرِيّ أو التعليم، وتسـتخدم هذه النَّوْعِيَّة من البيانات كمؤشِّر لقوةِ الدَّوْلَة أو القُدْرَة السِّيَاسِيَّة (2).
وهناك تباينات بين علماء السِّيَاسَـة بشـأن قياس القُوَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة، بناءً على اختلافهم في مَاهِيَّة العناصر أو المُكَوِّنَات الَّتِي تحدّد مدى قُوَّة الدَّوْلَة ومكانتها

1. Steven Lukes, Power: A Radical View، London, Macmillan, 1974, P. 25.
2. باكينام الشرقاوي، قُوَّة الدولة وبرامج التكيُّف الهيكلي: دراسة مقارنة للحالتين التُّرْكِيَّة والإيرانيَّة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، 2000م، ص 32.

العَالَمِيَّة[1]، وإذا كان ديفيد ويلكنســـون[2] David O. Wilkinson قد حصرها في ثلاثة مُحَدِّدَات؛ هي: الأساس الجيوديمغرافي، والوسائل الفاعلة، والقُدْرَة على العمل، فإنَّ هانز مورجنثاو[3] Hans Morgenthau قد وسَّــعها **إلى تسعة مُحَدِّدَات لا بُدَّ مــن اعتبارها عند النظر إلى قياس قُوَّة الدَّوْلَــة، وهي:** العامل الجُغْرَافيّ، والموارد الطَّبِيعِيَّة، والطَّاقَة الصِّنَاعِيَّة، والاســتعداد العَسْكَرِيّ، والسُّكَّان، والشَّخْصِيَّة القَوْمِيَّة، والروح المَعْنَوِيَّة، ونَوْعِيَّة الدُبْلُوماسِيَّة، ونَوْعِيَّة الحكم.

وبين ويلنكســون ومورجنثاو، هناك من تَوسَّــطَ بينهما في مُحَدِّدَات قُوَّة الدَّوْلَة؛ إذ يرى الخبير السِّــيَاسِيّ كينيث والتــز[4] Kenneth Waltz صاحب نظريَّة الوَاقِعِيَّة

1. انظر في ذلك: مصطفى شفيق علام، قياس قُوَّة الدولة الإيرانيَّة وتوازن القوى في منطقة الخليج العربي2003 -2010م، رسالة ماجستير، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، جامعة القاهرة، 2012م.
2. ديفيد أورموند ويلكينسون (من مواليد 1939م) هو أستاذ العلوم السِّيَاسِيَّة في قسم العلوم السِّيَاسِيَّة في جامعة كاليفورنيــا، عَمِــلَ محرراً لمراجعة مجلة الحضــارات المقارنة، ومجلــة World- Systems Research، لمزيد من التفاصيل انظر:

   -David Wilkinson, UCLA Department of Political Science, Los Angeles، available at: goo.gl/56qks1

   -David O. Wilkinson, Comparative Foreign Relation; Framework and Methods, -Comparative Foreign Relation Series, Belmont, CA: Dickenson Pub. CO.,1969.
3. هانز يواخيم مورغنثاو (17 من فبراير 1904م – 19 من يوليو 1980م) هو أحد روّاد القرن العشرين في مجال دراسة السياسة الدَوْلِيَّة. فقد كانت له إسهامات بارزة تَتَعَلَّق بنظريَّة العلاقات الدَوْلِيَّة، فضلاً عن دراسة القانون الــدَّوْليّ، إلى جانب تأليفه كتاب السياســة بين الأمــم (Politics Among Nations). وقد نُشِرَ هذا الكتاب في عــام 1948م، وطُبِــعَ عــدة مرات؛ وكان الكتاب الدراسيّ الأكثر تداولاً في هذا المجــال في الجامعات الأَمْرِيكِيَّة لعقود عديدة.

   (Hans Morgenthau, Encyclopedia Britannica, available at: goo.gl/ksxVVd)
4. كينيث نيل والتز (8 يونيو 1924 -12 مايو 2013) عالم سِيَاسِيّ أَمْرِيكِيّ كان عضواً في هيئة التدريس في جامعة كاليفورنيــا، بــيركلي وجامعة كولومبيا، ويعتبر واحداً من أبرز العلماء في مجال العلاقات الدَوْلِيَّة . كان مخضرماً في الحرب العالميَّة الثَّانِيَة والحرب الكوريَّة. ويُعتبر فالز مُؤَسِّساً للواقعيَّة الجديدة، أو الواقعيَّة البِنْيَوِيّة في نظريَّة العلاقات الدَوْلِيَّة . وكان أحد "العمالقة" الذين ساعدوا في تحديد مجال العلاقات الدَوْلِيَّة كنظام أكاديمي.
   (Kenneth N. Waltz, Encyclopedia Britannica, available at: goo.gl/BypVUW).

الجديدة أنّ هناك خمسة معايير مختلفة لقياس وتقييم قُوَّة الدَّوْلَة، يمكن حصرها في: عدد السُّــكَّان، والامتداد الجُغْرَافِيّ، والموارد الطَّبِيعِيَّة الَّتِي تحوزها الدَّوْلَة، ووضعها الاقتِصَادِيّ، واستقرار نظامها السِّيَاسِي، وقُوَّتهَا العَسْكَرِيَّة. (1)

في حين يرى يري المؤرّخ البريطاني بول كينيدي(2) Paul Kennedy أن عوامل القُوَّة في القرن العشرين تَكْمُنُ في: حجم السُّــكَّان، ومستوى التَّمَدُّن والمستوى الصِّنَاعِيّ، واستهلاك الطَّاقَة، وحجم الناتج الصناعي، القُوَّة العَسْكَرِيَّة (3).

وأيّاً كانت التباينات السَّــابقة بين علماء السِّيَاسَــة بشــأن العناصر الَّتِي تندرج في مُكَوِّنَات قُوَّة الدَّوْلَة؛ فإنَّ الأهم من مُجَرَّد حَصْر تلك العناصر أو المُحَدِّدَات هو كَيْفِيَّة تحويلها إلى مُؤَشِّرَات يمكن قياســها كَمِّيّاً للتعرُّف على مدى قُوَّة الدول ومكانتها في النِّظَــام الدَّوْلِيّ. وهذا ما فَعَلَــه راي كلاين Ray S. Cline الَّذِي جمع بين الجوانب المَادِّيَّــة والجوانب المَعْنَوِيَّة لمُحَــدِّدَات القُوَّة، وتَمَكَّنَ من الخروج عن منطق التجريد النَّظَرِيّ لتلك المُحَدِّدَات إلى وضع مُؤَشِّرَات لها يمكن قياســها كَمِّيّاً Quantitative بإعطائه أوزاناً نِسْبِيَّة تَقْدِيرِيَّة لكلِّ مُحَدِّد من مُحَدِّدَات القُوَّة والَّتِي جمعها في خمسة

1. مناهج وأساليب قياس قُوَّة الدولة الشاملة، موسوعة مقاتل من الصحراء، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/F1Br2

2. بــول مايــكل كينيــدي CBE FBA (وُلِدَ في 17 يونيو 1945م) هو مُــؤَرِّخ بريطاني مُتَخَصِّص في تاريخ العلاقات الدَوْلِيَّة والقُوَّة الاقْتِصَادِيّة والاســتراتيجيَّة الكبرى . قام بنشر كتب بارزة عن تاريخ السِّياسَــة الخَارِجيَّة البريطانيَّة ونضالات القُوَّة العظمى. ويُشَــدِّد على قاعدة القُوَّة الاقْتِصَادِيّة المُتَغَيِّرَة التي تدعم القُوَّة العَسْكَرِيَّة والبحريَّة، مشيراً إلى أن انخفاض القُوَّة الاقْتِصَادِيّة يؤدي إلى تخفيض الوزن العسكريّ والدبلوماسيّ.

(Paul Kennedy, Encyclopedia Britannica, available at: goo.gl/XQSLmq).

3. Michael Schiffer, The U.S. and rising powers، http: //www.stanleyfdn.org/resources/US__Rising_Powers_Great_Decisions_Chapter.pdf

عناصر رئيسة هي:

- **الكُتْلَة الحَيَوِيَّة للدولة:** الأرض - السُّكَّان Critical Mass C،
- **القُوَّة الاقتِصَادِيَّة** Economic Capability E،
- **القُوَّة العَسْكَرِيَّة** Capability M Military،
- **الهدف الاسْتِرَاتِيجِيّ** Strategic Purpose S،
- **الإرادة الوَطَنِيَّة**[1] Will to Pursue National Purpose W .

1. لمزيد من التفاصيل حول نظريَّة راي كلاين لقياس قُوَّة الدولة انظر:
Ray S. Cline, World Power Trends and U.S. Foreign Policy for the 1980's, Boulder CO, Westview Press, 1980.

الفصل الثاني
القُوَّة التُّركِيَّة النَّاعِمَة

- **مقدمة**
- **المبحث الأَوَّل: القُوَّة النَّاعِمَة في ميزان التَحَوُّلاَت الدَّوْلِيَّة**
  - القُوَّة النَّاعِمَة.. النماذج الجديدة في عصر العولمة
  - القُوَّة النَّاعِمَة.. النسخة الرُّوسِيَّة

- **المبحث الثاني: القُوَّة النَّاعِمَة.. تطبيق "صفر مشاكل" التُّرْكِيّ**
  - القُوَّة النَّاعِمَة.. العُمْق الاسْترِاتِيجِيّ
  - القُوَّة النَّاعِمَة التُّرْكِيَّة في ميزان التَحَوُّلاَت العَرَبِيَّة

- **المبحث الثالث: التجربة التُّركِيَّة النَّاعِمَة**
  - السِّيَاسَة بتطبيقاتها الأخلاقيَّة والديمُقْرَاطِيَّة
  - اقتصاد تَنَافُسِيّ مُتَعَدِّد الأقطاب
  - السِّيَاسَة الخَارجِيَّة على أُسُس عقلانيَّة وشراكة بنَّاءَة
  - عُمْق حَضَارِيّ وهُويَّة ثَقَافِيَّة مُتَنَوِّعَة
  - التَّأثير التُّرْكِيّ الكبير عَرَبِيّاً
  - الدِّرَامَا والسينما.. قُوَّة ناعمة فاعلة في السِّيَاسَة الخَارجِيَّة التُّركِيَّة
  - السِّيَاحَة التُّركِيَّة.. تجربة عريقة وعوامل جذب مِثَالِيَّة

- **المبحث الرابع: سياسة وأحداث.. تراجع السِّيَاحَة التُّركِيَّة في 2016م**

الفصل الثاني

القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة

مقدمة

تمتلك تركيا من مزايا القُوَّة النَّاعِمَة ما لا تَتَمَتَّع به أيَّة دولة أخرى في المنطقة، وذلك بمزايا التَّنَوُّع الطَّبِيعِيّ والتمازج الإثني والْغِنَى الحَضَارِيّ والتَّارِيخِيّ. أي مجمل مصادر وأنواع القُوَى غير الصَّلْبَة الَّتِي تُبرز قضايا هذا الفصل وتُفِيدُ أطروحة البحث كَكُلٍّ.

ونعني بالقُوَّة النَّاعِمَة مجموع المصادر، الفواعل والعوامل، الَّتِي ساهمت إلى حَدٍّ كبير في تعزيز مكانة تركيا الإِقْلِيمِيَّة خلال السنوات الـ15 الماضِيَة، وتحديداً مع وصول حزب العدالة والتَّنْمِيَة AK Parti بقيادة السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان إلى السُّلْطَة في العام 2002م، وذلك في شِبْه قَطِيعَةٍ مَنْهَجِيَّةٍ مع الفترات السِّيَاسِيَّة السابقة، والَّتِي كان الجيش التُّرْكِيّ حارساً لعَلْمَانِيَّتِها ولمنهج القُوَّة الصَّلْبَة، المُؤَطِّر الأوحد لعقيدة تركيا السِّيَاسِيَّة، داخِلِيّاً وخارِجِيّاً على مدى عقود.

وتشير العديد من المُؤَشِّرَات إلى تنامي الطموحات التُّرْكِيَّة نحو زيادة القُوَّة، وترقية المكانة الدَّوْلِيَّة والانطلاق نحو مزيد من التَّأثِير في النِّظَام العَالَمِيّ والإِقْلِيمِيّ وَفْقاً لاسْتِرَاتِيجِيَّة تركيا 2023م (1).

1. "أردوغان: ستواصل تركيا المُضِيّ بخطًى واثقةٍ نحو أهدافها المنشودة لعام 2023"، ترك برس، 7 مايو 2016م، متاح على الرابط التالي: http: //goo.gl/mePw2w

وانســـجاماً مع ما سبق، وأيضاً في إطار حُسْـــن تقدير إمكانات تركيا أولاً، والقراءة الجَيِّدَة والمُتَأَنِّيَة لظـــروف الجوار والمحيط الجُغْرَافِيّ ثانياً، فقد تبنَّى حزب "العدالة والتَّنْمِيَة" التُّركِيّ منذ وصوله لِلْحُكْمِ مجموعة من السِّيَاسَـــات الَّتِي من شـــأنها أن تســـاعده على تحقيق هذه الطموحات، في غير لجوء إلى الطرق الصَّلْبَة لِلْقُوَّةِ. وذلك من خلال عِدَّة سياسات حقَّقت نجاحاً كبيراً بعد إطلاقها. ومن بينها سياسة "تصفير المشاكل"(1)، والسِّيَاسَة الخَارِجِيَّة المُتَعَدِّدَة الأقطاب والدُبْلُوماسِيَّة المتناغمة.

غير أن أهم تأثير لحزب العدالة والتَّنْمِيَة في المنطقة العَرَبِيَّة هو إعادة تشـــكيل منظومة الكثـــير من الحركات الإسْـــلامِيَّة وتوجيهها نحو العمل المَدَنيّ والاعتدال، ومما ســـاعد "العدالة والتَّنْمِيَة" على ذلك نظرة الحركات الإسْلامِيَّة له في العالم العربي، على أنه "حزب إسلامي" رغم تأكيد أدبيَّاته وتصريحات قياداته على أنه حزب ديمقراطي محافظ. (2) إضافةً إلى القبول الإقْلِيمِيّ والدَّوْليّ الَّذِي حَظِيَ به في سنوات حكمه الأُولَى تحديداً، وهذا هو "النموذج" الَّذِي مَثَّلَه العدالة والتَّنْمِيَة بالنسبة للإسلامِيِّينَ العرب، أي: جَمْعَهُ بين الإسلام كمرجعيَّة والديمُقْرَاطِيَّة كآليَّة. (3)
وباتِّبَاع التَّوَجُّه الجديد في الاهتمام بالدول العَرَبِيَّة الإسْـــلاَمِيَّة، باشرت تركيا العدالة والتَّنْمِيَة آنذاك، اســـتعادة علاقاتها مع سوريا بشار الأسد، حسني مبارك في مصر، حَرَكَتَي فتح وحماس في فلســـطين، ومع الانفتـــاح اقْتِصَادِيّاً على العديد من الدول

1. "صفر مشـــاكل" اســـترَاتيجِيَّة أعلنها أحمد داود أوغلو تَتَّجه فيها تركيا لإنهاء الخلافات مع الدول التي لها مشاكل مع أنقرة، وتُعْتَبَر إعلاناً عن دخول الدبلُومَاسِيَّة التُّرْكِيَّة مرحلة جديدة تَتَّسِم بالخروج من المشاكل الإقْلِيمِيّـــة، والانتقال إلى تحســـين علاقات تركيـــا بالدول المَعْنِيَّة، بعد تحقيق هـــدف الوصول إلى "صفر مشاكل".
2. راشد الغنوشي، الديمُقْرَاطِيَّة وحقوق الإنسان في الإسلام، (دار المجتهد، تونس، 2015م) ، ط2، ص263-265.
3. Remarks By President Obama to Turkish Parliament, The White House, 6 April 2009, (Visited on 3 September 2016) : http: //goo.gl/jcKC3U

العَرَبِيَّة، إضافة إلى التَّدَخُّل في الصِّرَاعات الَّتِي تواجه المنطقة العَرَبِيَّة، وخَاصَّة في عام 2008م، من خلال تقديم اقتراحات تسوية سِلْمِيَّة لقضيَّة بناء المستوطنات الإسرائيليَّة. كما شجَّعت المحادثات بين إسرائيل وسوريا، وكذلك العمل مع الفصائل العراقيَّة المختلفة ومع الطوائف اللبنانيَّة المتشرذمة.. إلخ.

في الواقع، كانت اسْتِرَاتِيجِيَّة حقيقيَّة تَتَبَنَّى دوراً مُسَهِّلاً ووسيطاً يرفع تركيا إلى وَضْعِيَّة قُوَّة محايدة تُمَثِّل دور «الخير» و«الراعي» أو «الأخ الأكبر» لدول «صغيرة» في شرق البحر المتوسط؛ حيث يمكن لتركيا أن تستند في هذا على شبكة دُبْلُوماسِيَّة جَيِّدَة وقُوَّة عَسْكَرِيَّة مُعْتَبَرَة، لتعزيز تأثيرها في كافَّة أزمات الشرق الأوسط، بما أنها قُوَّة مِحْوَرِيَّة تَتَمَوْضَعُ بين الشرق والغرب.

ومع بدايَة انتفاضات "الربيع العربي" تَدَخَّلَتْ تركيا بشكلٍ مُكَثَّفٍ في قلب تلك التَحَوُّلاَت، محاولةً اقتراح سياستها الدَّاخِلِيَّة كـ«نموذج» ناجع. الشيء الَّذِي أَسَالَ الكثيرَ من المِدَادِ، وأثار الكثير من التساؤلات، حول الدوافع الحقيقيَّة والاسْتِرَاتِيجِيَّة للسياسة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة في العالم العربي، والَّتِي تعتمد أدوات الإقناع والتَّأْثِير والشراكة في تطبيقاتها لِلْقُوَّة النَّاعِمَة، ولا تتوانى في عرض واستعمال قُوَّتهَا الصَّلْبَة إن دعت الحاجة لذلك.

تركيا الَّتِي اختارت خلال الفترة الماضِيَة ترجيح أدوات القُوَّة النَّاعِمَة والدُبْلُوماسِيَّة الشَّعْبِيَّة لتطبيق تصوراتها واسْتِرَاتِيجِيّتها، ونجحت على إثْرِهَا في ارتقاء المرتبة العشرين ضمن تصنيف (1)"Monocole" لِلْقُوَى النَّاعِمَة عام 2012م، سترى نفسها

1. Monocole Quality of Life Survey هو استطلاع سنوي تُجْرِيه مجلة Monocole اللندنيَّة منذ العام 2007م، عن جودة الحياة في المدن الكبرى حول العالم وَفْقَ عِدَّة معايير صارمة، بعضها معايير ملموسة مثل؛ معدل الجريمة، البنيَّة التحتيَّة للصحة، التعليم، البيئة الطبيعيَّة، والوصول إلى المكتبات العامة، ومنها معايير غير ملموسة؛ ثَقَافِيَّة اجْتِمَاعِيّة، مثل درجة التواصل داخل المدن، وكيفيَّة العلاقات الاجْتِمَاعِيَّة فيها، ودرجة التسامح لأنماط مغايرة من المعيشة كي تعيش في سلام ووئام اجْتِمَاعِيّ بين أبناء المدن وزائريها وحتى الأجانب المقيمين فيها، ويقيس الاستطلاع كذلك نوعيَّة الحياة الثَّقَافِيَّة في المدن من مسارح ودور سينما، وندوات وحفلات ثَقَافِيَّة واجْتِمَاعِيّة، ونحو ذلك. (Monocle Quality of Life Survey, Monocle Magazine, UK, available at: goo.gl/HxFpqH).

أيضاً مُضْطَرَّة لتغيير تَوَجُّهها مَرَّات عِدَّة؛ مخافةَ حدوث مشـــاكل لتركيا بسبب حالة عدم الاستقرار الَّذِي يطبع الدول المجاورة لها.

هي إذن، مخاوف عَبَّرَ عنها نائب رئيس الوزراء التُّرْكِيّ محمت شيمشك(1) Mehmet Simsek، في معرض حديثه عن تركيا الَّتِي تصبو إلى أن تكون القُوَّة النَّاعِمَة للاتحاد الأُورُوبِيّ، بقوله: "إن الأحداث الجيوسِيَاسِـــيَّة الْجَارِيَة في المنطقة؛ حيث تقع تركيا، يمكـــن أن تُقَوِّض أهـــداف النُّمُوّ في البلاد، خصوصاً إذا ما ارتفعت حِدَّة التَّوَتُّر وإذا ما الإصلاحات المرتقبة لم تُنفَّذ"، وذلك خلال تدشين ملتقى إسطنبول 2016م (2).

1. محمد شيمشـك هو سِـيَاسِيّ تركي من أصل كردي، شَغَلَ شيمشك منصب وزير المالية ونائب رئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية في حكومة رئيس الوزراء رجب طَيِّب أردوغان في عام 2009م، وكذا في حكومة أحمد داوود أوغلو حتى 2015م. ثم عمل مستشاراً لرئيس الوزراء في حكومة بن علي يلدرم. ودخل قائمة فورين بوليسي لأكثر 500 شخص مُؤَثِّر في عام 2013م، للمزيد يُنْظَر الرابط التالي: http: //cutt.us/cvQnh
2. Nur Gülsoy، تركيا ستصير "القُوَّة النَّاعِمَة" للاتِّحَاد الأُورُوبِيّ La Turquie deviendra la "puissance douce" de l'UE، وكالـة Andalou, 06- 05- 2016م/ http: //aa.com.tr/fr/turquie/la- turquie- deviendra- la- puissance- douce- de- lue- /567721

المبحث الأول

القُوَّة النَّاعِمَة في ميزان التَحَوُّلاَت الدَّوْلِيَّة

لا أحــد يُنكِر أهَمِّيَة القُــوَّة النَّاعِمَة في عصرنا الحالي، المُتَّسِــم بعولمة المعلومات والانتشار السريع للقيم الإنْسَــانِيَّة والاستهلاكيَّة، بمختلف مصادرها ومشاربها. فالقُوَّة النَّاعِمَة في اصطلاحها السِّــيَاسِيّ المعاصر، تنهل أيضاً من حقول الفلسفة والأدب والسِّيَاسَــة عند القدماء، بما أنها تشير إلى أفعال ومعاني التَّأْثِير والإقناع والمثاقفة، وإعطاء النموذج الجَيِّد، على سبيل المثال لا الحصر. وهو ما يدعم طرح مُنَظِّرها المعاصر جوزيف ناي Joseph Nye، الَّذِي منحها الإطار النَّظَرِيّ والمبرِّر التطبيقي(1).

القُوَّة النَّاعِمَة.. النماذج الجديدة في عصر العولمة:

فإذا كانت الكيانات السِّيَاسِــيَّة التَقْلِيدِيَّة عبر التاريخ، قد بنت مكانتها الدَّوْلِيَّة على مدى القُدْرَة في تشــكيل جيوش قَوِيَّة وقادرة على القيــام بمختلف المهام الدِّفَاعِيَّة والتَّوَسُّــعِيَّة المنوطة بها، من جهة أولى. وبناء اقتصاد ديناميكي مُنْتِج للثروة وفوائض الإنتــاج والرفاه الاجْتِمَاعِيّ، من جهة ثانيَة، وأيضــاً التَّوَفُّر على نموذج وَطَنِيّ ذي إشــعاع ثَقَافِيّ وحَضَارِيّ مُتَمَيِّز، من جهة ثالثة. أي كُلّ ما يُؤَسِّس ويُفَعِّل القُوَّة الصَّلْبَة (Hard power)، فــإن عصر القرية الكَوْنِيَّة أو العولمة الشَّــامِلَة، يَتَزَامَنُ مع ارتفاع التكلفة السِّيَاسِــيَّة والبَشَرِيَّة والاقتِصَادِيَّة للعمل العَسْــكَرِيّ، وانفتاح الحدود أمام

1. إيمان مصطفى "القُوَّة النَّاعِمَة في السياسة الخَارِجِيَّة"، فكر أونلاين، 3 مارس 2016م. متاح على الرابط التالي: goo.gl/G7EZxF.

تدفُّق المعلومات والصور، قد قام بترجيح كِفَّةِ العوامل غير المَادِّيَّة في حسابات القُوَّة والهيمنة، والَّتِي باتت أكثر تَعَدُّدِيَّة، بدل أُحَادِيَّة أو ثُنَائِيَّة الأقطاب المعروفة.(1)
إنه اللجوء إذن إلى إنتاج نماذج سِيَاسِيَّة جَذَّابَة، وإرادة تفعيل الإبداع الثَّقَافِيّ والفَنِّيّ لدى القائمين على دوائر صنع القرار ومراكز البحث. وذلك اعتماداً على فَرْضِيَّة تحقيق المصلحة الوَطَنِيَّة بوسائل غير عَسْكَرِيَّة وأدوات تَدَخُّل غير مباشرة، في إدارة العلاقات مـــع الكيانات الأخرى في المحيط الإِقْلِيمِيّ والدَّوْلِيّ. فالتَّدَخُّل أو التَّهْدِيد العَسْـــكَرِيّ، وتوقيع عقوبات اقْتِصَادِيَّة أو شـــنّ حروب دُبْلُوماسِـــيَّة، غير مُجدٍ على المدى الطويل، كَحَـــلّ لأزمات طارئة أو التعامل مع تهديدات فوريَّة، وفق مُنَظِّرِي القُوَّة النَّاعِمَة (Soft Power)، الَّذِين يلخصونها في القُدْرَة على التسخير الجَيِّد لمجموعة أدوات تجعل الفاعل المُسْـــتَهْدَف يلبِّي المطلوب منه دون أن يشعر بالبُعد القَسْرِيّ الَّذِي يضع العلاقات تحت ضغط الفعل وَرَدّ الفعل، ومُسْـــتَتْبَعَاته من حسابات الثأر والاحتراس والنفور والتَّقَوْقُعِ والعَدَاءِ، خصوصاً في عالم يُشَكِّل أكثر فأكثر فضاءً تواصليّاً مفتوحاً بامتياز (2).

القُوَّة النَّاعِمَة.. النسخة الرُّوسِيَّة:

ولقـــد برزت مُقدِّمات القُوَّة النَّاعِمَة مباشرة بعد ســـقوط الاتِّحَاد السُّـــوفييتِيّ عام 1991م (3)، كنمـــوذج دَالٍّ في هـــذا الباب؛ فرغم امتلاك هذا الأخير لمخزونٍ ضَخْمٍ من الأسـلحة التَّقْلِيدِيَّة، ومعها أسـلحة الدمار الشامل، إلا أن الاحتفاظ بالتَّفَوُّق في مجال القُوَّة العَسْكَرِيَّة بدا مُستحيلاً، بالنظر إلى التكاليف الباهظة والمخاطر المُتَرَتِّبَة،

1. نـزار الفـراوي، الثقافة والقُـوَّة النَّاعِمَة، حروب الأفكار في السياسـة الخَارِجِيَّة، مركز برق للدراسـات والأبحاث، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م النص متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/FsXx7
2. المرجع السابق
3. كان تفـكُّك الاتِّحَاد السـوفييتيّ إشـارة لانتهاء الوجود القانـوني لدولة اتِّحَاد الجمهوريَّات السـوفييتيَّة الاشـتراكيَّة. وقـد حدث ذلك التفـكُّك في 26 ديسـمبر 1991م. عَقِب إصدار مجلس السـوفييت الأعلى للاتِّحَاد السوفييتيّ الإعلان رقم (142 -H) والذي أُعلِن فيه الاعتراف باستقلال الجمهوريات السوفييتيَّة السابقة، وإنشاء رابطة الدول المُسْتَقِلَّة لتحلّ مَحَلّ الاتِّحَاد السوفييتيّ. (غادة الخلايقة: كيف سقط الاتِّحَاد السُّوفييتِيّ، موضوع. كوم، 7 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/kgVuf2)

في ظِلِّ تَدَهْوُر القُدْرَة الاقتِصَادِيَّة السُّــوفييتِيَّة نتيجة عجز آلِيَّات الاقتصاد الشيوعي الموجَّه، وكذلك قصور الأساليب المُتَّبَعَة في الإدارة والتنظيم عن مسايرة إيقاع الحداثة والتكنولوجيا المتلاحقة، الَّتِي تؤمن بتسريع وتيرة التَّنْمِيَة ورفع الإنتَاجِيَّة (1).

وعلى النقيض من ذلك، تَمَيَّزَ عهد الرئيس الرُّوسِيّ فلاديمير بوتين(2)في بداياته بتفعيل القُوَّة النَّاعِمَة لروسيا الاتِّحَاديَّة، عبر عِدَّة اسْتِرَاتِيجِيَّات متعاضدة تمثلت في(3):

- تَقَمُّص روســيا دور راعيَة من رعاة الســلام العالمي، وخَاصَّة في قضايا الشرق الأوسط من جهة، وربط علاقات صداقة مع دول العالم، وخَاصَّة الصين وروسيا وإيران ومصر ودول الشرق الأوسط وآسيا، الشيء الَّذِي مكَّنها من استعادة نفوذها في العالم من جديد.
- إعادة إنتاج ثقافة روسيَّة جديدة في احترام لعقائد وأيديولوجيَّات الشُّعُوب، كما في مثال الصُّلْح الكبير بين بطريرك الكنيسة الرُّوسِيَّة الأرثوذكسيَّة (كيريل) وبابا الكنيسة الكاثوليكيَّة الرومانيَّة (فرنسيس)، بهافانا الكوبيَّة في عام 2016م. (4)

1. "تدهور قُوَّة الاتِّحَاد السوفييتيّ وأسباب الانهيار"، موسوعة مقاتل، الرياض، د.ت، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/r9mQNV
2. فلاديمير بوتين الرئيس الحالي لجمهوريَّة روســيا الاتِّحَاديَّة. ولد في 7 تشرين الأول (أكتوبر) عام 1952م، خريج كليَّــة الحقــوق مــن جامعة لنينغراد في عام 1975م، تَرَقَّى في المناصب حتــى أصبح نائباً أول لمدير ديوان الرئيس الروسي. وعُيِّنَ في يوليو 1998م مديراً لخدمة الأمن الفيدراليَّة في روسيا الاتِّحَاديَّة. وفي أغسطس 1999م أصبح رئيســاً لحكومة روســيا الاتِّحَاديَّة وذلك باختيار من الرئيس بوريس يلتســن. وبعد اســتقالة الرئيس بوريس يلتسن انتُخب بوتين في 26 مارس 2000 رئيســاً لروســيا الاتِّحَاديَّة. وأعيد انتخابه للرئاســة في 14 مارس 2004م، وشَغَلَ منذ 8 مايو عام 2008م منصب رئيس وزراء روسيا الاتِّحَاديَّة. (Vladimir Putin، Encyclopedia Britannica, available at: goo.gl/Ji1RBq)
3. حســني عماد حســني، "القُوَّة الصلبة والقُوَّة النَّاعِمَة الرُّوسِــيَّتَان"، مركز بيروت لدراسات الشرق الأوسط، 6 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/bg617o
4. التقى بطريرك موســكو وســائر روســيا كيريل البابا فرنســيس يوم 12/ 2/ 2016م في هافانا، في خطوة تاريخيَّة لمحاولة تســوية الخلافات القائمة بين الكنيســتين الكاثوليكيَّة والأرثوذكسيَّة التي نشــبت بينهما بعد تَفَكُّك الاتِّحَاد السُّــوفييتيّ، في عام 1991م، عندما اســتَوَلَّى أتباع الكنيســة الكاثوليكيَّة اليونانيَّة في أوكرانيا على مئات الكنائس الأرثوذكســيَّة التابعة لبطريركيَّة موسكو وسائر روســيا. وقد اتَّهَمَتْ الكنيسة الأرثوذكسيَّة الرُّوسِيَّة الفاتيكان برعايَة نشاط هؤلاء، ولسياسة التبشير على المناطق التابعة تقليديّاً للكنيسة الأرثوذكسيَّة الرُّوسِيَّة. وكذلك لإقامة الكاثوليك أبرشياتهم في الشرق الأقصى الروسي وسيبيريا وفي كثير من المناطق الرُّوسِيَّة. وجاء هذا اللقاء في محاولة لرأب الصدع بين الطرفين. (لقاء تاريخي بين البابا فرنسيس وبطريرك روسيا للأرثوذكس، فرانس 24، 13 فبراير 2016، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/f69XKv).

- الاهتمام بالإعلام على غرار قناة "روســـيا اليوم"، والَّتِي اســـتطاعت أن تفرض نفســـها بين مختلف القنوات العَالَمِيَّة المُوَجَّهَة للعـــالم العربي، وقَدَّمَتْ خطاباً إعلامياً جَذَّاباً يُعَبِّرٌ عن روسيا بِعِدَّة لغات دَوْلِيَّة واسعة الانتشار.
- ترقية الجامعات الرُّوسِيَّة، وخَاصَّة جامعة موسكو، الَّتِي بزغ إشعاعها من جديد، كإحدى أفضل الجامعات في العالم ومركز اســـتقطاب للعديد من الدارسين من كافَّة دول العالم.
- تزايد الاهتمام بالعوامل الثَّقَافِيَّة والمبادئ الإِنْسَانِيَّة الكَوْنِيَّة في المقاربة الرُّوسِيَّة الجديدة للعلاقات الدَّوْلِيَّة، والتَّأْكِيد على رغبة روســـيا في نشر الســـلام ومنع الأزمات والحروب.

وعموماً فإن العالم يَدِينُ لِلْقُوَّة النَّاعِمَة في إنهاء الحرب الباردة، بانتصار قيم الحُرِّيَّة والديمُقْرَاطِيَّة واللِّيبرَالِيَّة على قيم الاســـتبداد والتَّسَـــلُّط. بل فسَّر انتصار الولايات المُتَّحِدَة والمعســـكر الغَرْبِيّ على القطب الشيوعيّ، في صراع اسْتِرَاتِيجِيّ مرير، بكونه انعكاساً في الجوهر لانتصار ثَقَافِيّ فِكْرِيّ باهر [1].

في حـــين زادت ثورة الاتِّصَالات والتفاعلات البَشَرِيَّة من صعود نجم القُوَّة النَّاعِمَة؛ حيث تراجعت الحدود بمفهومها التَقْلِيدِيّ، واختارت كثير من المفاهيم درب الحداثة، في غير قطيعة مَنْهَجِيَّة مع التراث. مما كان له التَّأْثِير البالغ على كافَّة مناحي الحياة الإِنْسَـــانِيَّة، والَّتِي تتجاوز التعليم والثقافة بمفهومهما الكلاسيكيّ المحدود إلى بُعْدٍ لا يَعْتَرِفُ باختلاف اللغات والثَّقَافَات والتقاليد إلى غير ذلك.

1. نـــزار الفـــراوي، الثقافة والقُـــوَّة النَّاعِمَة، حروب الأفكار في السياســـة الخَارِجِيَّة، مركز برق للدراســـات والأبحاث، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م النص متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/FsXx7

المبحث الثاني

القُوَّة النَّاعِمَة.. تطبيق «صفر مشاكل» التُّرْكِيّ

بالنظر إلى أن التَّنْمِيَة والتَّقَدُّم من حيث قيمتهما الحقيقيَّة، لا يمكن أن يَتَحَقَّقا إلا من خلال السلام المستدام في بيئة مُسْتَقِرَّة، فإن تركيا وضعت نُصْبَ أعينها تحقيق هدف "صفر مشــاكل" الَّذِي احْتَلَّ مركز الرؤيَة المســتقبليَّة للسياسة الخَارِجيَّة التُّرْكِيَّة، وذلك منذ صعود العدالة والتَّنْمِيَة إلى السُّلْطَة عبر صناديق الاقتراع في 2012م. وهــذا النهج هو خلاصة المثال الَّذِي حدَّده مؤسِّــس الجمهوريَّة التُّرْكِيَّة العَلْمَانِيَّة أتاتورك، بمقولته: "السلام في الوطن، السلام في العالم. وبالإضافة إلى ذلــك، فإن هذا النهج هو نتيجة طَبِيعِيَّة للمســؤوليَّة بصورتها المعاصرة والرؤيَة الإنْسَانِيَّة في السِّيَاسَة الخَارِجيَّة (1).

فالسِّيَاسَــة الخَارِجيَّة التُّرْكِيَّة القائمة على تقاليد مُتَجَذِّرَة تَسْتَمِدّ قُوَّتَهَا من خصائص الدَّوْلَة الديمُقْرَاطِيَّة، العَلْمَانِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة، القائمة على سيادة القانون. ففي فترتنا الرَّاهِنَــة الَّتِي تَحْدُثُ فيها تغييرات كبيرة في العالم، يَتِمّ تدبير السِّيَاسَــة الخَارِجيَّة التُّرْكِيَّة في قلبِ منطقةٍ مُفْعَمَةٍ بالمشاكل والتَّطَوُّرَات السريعة. لذا فإن ترسيخ السلام والاستقرار والأمن على أُســس صلبة، في مثل هذه البيئة الإِقْلِيمِيَّة والعَالَمِيَّة الَّتِي لا تخلو من تَشَــنُّجَات وعدوانيَّة، يصبح أكثر صعوبة. لكن مع كُلّ هذا توجد إمْكَانِيَّات أكبر للتعاون والشراكة الَّتِي أصبحت ضرورة أيضاً (2).

1. Zero Problems in a New Era, Turkey Ministry of Foreign Affairs, available at: goo.gl/dLZsZm
2. Zero Problems in a New Era, Ibid.

وفي مواصلة الالتزام الصارم بهذه السِّيَاسَة، فإنَّ تركيا لا تضع أبداً الوَاقِعِيَّة جانباً، ولا تنسى أن مقاربة " صفر مشاكل" يعني هدفاً ومِثَالِيَّة في نفس الوقت. ففي الواقع، يكاد يكون من المستحيل أن نعتبر أن كُلّ مشاكل الجوار والمحيط الَّتي لها جذور عميقة في التاريخ يمكن حَلّها في وقتٍ قصير. وهو ما تبيَّن في السنوات الأخيرة، بعد استعمال القُوَّة الصَّلْبَة ضِدَّ روسيا (إسقاط المقاتلة الرُّوسِيَّة)(1)، كمثال واستثناء أَمْلَتْهُ الظروف والأحداث المُرْتَبِطَة بها.

في هذا السياق، سَعَتْ الاسْتِرَاتِيجيَّة التُّرْكِيَّة الجديدة إلى تدبير حوار معقَّد مُتَعَدِّد الأبعاد مع الأطراف التاليَّة، والَّتي تُعْتَبَر من أَلَدِ أعداء الأمس، أي إِبَّانَ الحرب الباردة وما قبلها لأسباب مُتَجَذِّرَة في التاريخ، وتعود إلى حِقْبَة الإمْبَرَاطُورِيَّة العُثْمَانِيَّة، من خلال حوارات ثُنَائِيَّة أهمّها(2):

- **تركيا وإيران**، والَّتِي أعربت الأُولَى عن رغبتها في تطوير علاقاتها مع بلد يجمعها في الماضي معه تاريخ طويل، كما لم تُخْفِ تَتَبُّعَهَا عن قُرْبٍ للبرنامج النَّوَوِيّ الإيرانيّ موضع انتقاد وعقوبات من الغرب.
- **تركيا والعراق**، والَّتِي أعلنت الأُولَى أنها تبذل جهوداً مُكَثَّفَة لكي يستعيد الطرف الثاني وحدته السِّيَاسِيَّة وسيادته الترابيَّة والاندماج كُلِّيّاً مع المجتمع الدَّوْلِيّ، مع محاولة تفعيل توصيات "مجلس التعاون الاسْتِرَاتِيجِيّ"(3) على مستوى عالٍ وصعيد مُتَعَدِّد الأبعاد.

1. وقعت حادثة إسقاط المقاتلة الرُّوسِيَّة عندما أَطْلَقَتْ قُوَّات الدفاع الجويَّة التُّرْكِيَّة في 24 نوفمبر 2015م النار على مقاتلة روسيَّة من طراز سوخوي سو- 24 اخترقت المجال الجَوِّيّ التُّرْكِيّ فوق ولايَّة هاتاي، مما أدى إلى سقوطها قرب الحدود السوريَّة التُّرْكِيَّة . (تركيا "تُسْقِط طائرة حربيَّة" روسيَّة على حدود سوريا، بي بي سي عربي، 24 نوفمبر 2015م، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Z7udXt).
2. مصادر مختلفة، وكالات أنباء.
3. إطار تعاوني ناجم عن اتفاقيَّة ثنائيَّة لتدشين المجلس الأعلى للتعاون الاسْتِرَاتِيجِيّ بين تركيا والعراق تَمَّ توقيعها عام 2008م، بين رَئِيسَي وزراء البلدين، آنذاك، العراقي نوري المالكيّ، والتُّرْكِيّ رجب طَيِّب أردوغان، يجتمع المجلس مرة واحدة على الأقل سنوياً برئاسة مشتركة لرئيسي وزراء البلدين، ويجتمع ثلاث مَرَّات سَنَوِيّاً على المستوى الوزاريّ، وتُعْقَد اجتماعات رسميَّة رفيعة المستوى مَرَّة كلّ ثلاثة أشهر في عاصِمَتَي البلدين، بعضويَّة الوزراء المعنيين بمجالات الطاقة والتجارة والاستثمار والأمن والموارد المائيَّة، مع إمكانيَّة أن يُقَرِّر رَئِيسا الحكومتين توسيع المجلس ليضمَّ وزراء ومسؤولين في مجالات مُعَيَّنَة مع تطور التعاون الثنائي ليشمل كافة المجالات ذات الاهتمام المشترك. (نص الإعلان السِيَاسِيّ المشترك لتأسيس المجلس الأعلى للتعاون الاسْتِرَاتِيجِيّ بين العراق وتركيا، حكومة إقليم كوردستان العراق، 10 يوليو 2008، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3CwucE).

- **تركيا وســـوريا**، عبر علاقات حســـن الجوار، واتِّفَاقِيَّات للتعاون الثنائي، والَّتِي توقفت لســـوء الحظ، بســـبب تداعيات رَدّ فعل النِّظَام العنيف على المظاهرات الشَّعْبِيَّة في مارس 2011م، وبالتَّالِي الانزلاق إلى هُوَّة حَرْبٍ أهليَّة اختلطت فيها تَحَدِّيَات الداخل، وأحلام الشـــعب في الحُرِّيَّة والكرامة مع قسوة النِّظَام وأطماع الخارج.
- **تركيا واليونان**، منذ عام 1999م. من خلال آليَّات مُهِمَّة مثل الاتِّصَالات السِّيَاسِيَّة العاديَّة، محادثات استكشـــافيَّة حول قضايا بحر إيجه، إجـــراءات بناء الثقة، اجتماعات مجلس التعاون على مستوى رفيع.
- **تركيا والاتِّحَاد الرُّوسِيّ**، منذ انهيار الدُّبِّ السُّوفِيِيتِيّ سنة 1990م، والَّتِي تعزَّزت باتفاق شراكة متعدِّد الأبعاد، إضافة إلى مجلس تعاون رفيع المســـتوى أنشئ عام 2010م لتطوير العلاقات الثُّنَائِيَّة، مع تعميق أُسُس التعاون المتبادل والحوار الَّذِي تُوِّج بالإعفاء من تأشيرات الدخول بين البلدين.
- **تركيا وأوكرانيا**، بإنشاء "مجلس رفيع المستوى الاسْتِرَاتِيجِيّ" وزيادة حجم التِّجَارَة الثُّنَائِيَّة بخمســـة أضعاف مقارنة بالعقد الماضي، مع السعي لإبرام اتِّفَاق للتجارة الحُرَّة الَّتِي بدأت مفاوضاتها في ديســـمبر (كانون الأَوَّل) عام 2011م، في سبيل التكامل بين هذين السوقين الرئيسيَّيْنِ في حوض البحر الأسود.
- **تركيا وجيرانها في منطقـــة البلقان:** بلغاريا ورومانيا، الَّذِي أدَّى إلى حَلّ جزء كبير من المشكلات الأَسَاسِيَّة معهما.

وبما أن العالم لا يُسَـــيَّرُ بالنوايا الحسنة والأســـاليب النَّاعِمَة فقط، والأمور بدورها تحتاج بين الفَيْنَة والأخرى إلى دَفْعَة قُوَّة صلبة لإزاحة العوائق المرحليَّة عن الطريق، فقد وصل الأمر إلى وصف صَحَفِيِّـــينَ متعاطفين مع وَضْعِيَّة تركيا الحاليَّة (التَّدَخُّل العَسْكَرِيّ في سوريا، ورفع اللهجة مع بعض دول الغرب) بترك هذه الأخيرة مَحَلّ عزلة في مواجهة بيئة عدوانيَّة، مُؤَلَّفَة (حسب نَعْتِهِمْ) من لفيف ما سَمُّوه بـ"الدِّوَل المارقة"، وهـــي مجموعة من الـــدول، يقولون بأنها دون إيمـــان، ولا قانون، ويقصدون بها:

روســـيا وإيران والعراق وسوريا. وَصْفٌ وإن كان يمتلك جزءاً من الحقيقة، فهو يُغفل وضع تركيا المُتَمَيِّز كعضو في حلف الناتو، والحارس المُتَقَدِّم أمام الجهة الجنوبيَّة من روســـيا. فضلاً عن دورها كما وصفه البعض الآخر بالقاعدة الخَلْفِيَّة للجهاد العَالَمِيّ في الحرب السُّورِيَّة(1).

القُوَّة النَّاعِمَة.. العُمْق الاسْتِرَاتِيجِيّ.. موقع تركيا ودورها في السَّاحَة الدَّوْلِيَّة:

يُسَـــلِّط أحمد داود أوغلو(2) Ahmet Davutoglu الضــــوء في كتابه، على "العُمْق الاسْـــتِرَاتِيجِيّ.. موقع تركيا ودورها في السَّـــاحَة الدَّوْلِيَّة"، الَّذِي يَمُرّ بالضرورة عبر "العُمْق التَّارِيخِيّ" و"العُمْق الجُغْرَافِيّ". وفي هذا الاتِّجَاه، يقترح داوود أوغلو تدابير مُحَدَّدَة تسمح لبلاده بأن تصبح "قُوَّة على السَّاحَة الدَّوْلِيَّة"؛ فالإرث العُثْمَانِيّ باعتباره الماضي التَّارِيخِيّ لتركيا، يمكن أن يســـاعد هذه الأخيرة على استعادة دفء العلاقات مع جيرانها العرب، من خلال ما هو مشترك. ونعني به هنا: التراث الإِسْلاَمِيّ.

في هذا السياق، نجد أيضاً التعويل على أهَمِّيَّة الموقع الجُغْرَافِيّ لتركيا، كمفترق طُرُق بين عِدَّة مناطق وثقافات، تتقاطـــع فيما بينها وتتوازى، وهو ما يُعْتَبَر قيمة مضافة أخرى لهذا البلد الكبير؛ حيث تتيح له فرصة للانتشار في العديد من البلدان حولها.

---

1. Mehmet Ertuğ Ulusoy , Turkey: From the "Zero Problem" Policy to the "Zero Friend" Policy, Ertug Ulusoy, 03 January 2014, available at: goo.gl/yPsMiF

2. أحمد داوود أوغلو (ولد في 26 فبراير 1959م) سِـيَاسِيّ تركِيّ وخبير في العلاقات الدَوْلِيَّة وسـفير ورئيس وزراء تركيا والرئيس الثاني لحزب العدالة والتَّنْمِيَة في الفترة ما بين 2014- 2016م خَلَفاً للرئيس أردوغان سابقاً، وقد خَلَفَه بن علي يلدرم في رئاسة الحزب ورئاسة الحكومة. وعُيِّنَ في الحكومة السِّتِّين والواحدة والسِّـتِّين كوزير خَارِجِيَّة من قِبَل الرئيس أردوغان. وعمل كمستشـار في السياسـة الخَارِجِيَّة لعبدالله غل وأردوغان في الفترة من عام 2003 إلى عام 2009م. ودخل البرلمان التُّرْكِيّ كنائب عن قُونِيَّة وعضو في حزب العدالة والتَّنْمِيَة في فترة 2011 و2015م. واسـتقال من منصب رئيس الوزراء في 22 مايو 2016م. (أحمـد داوود أوغلـو، الجزيرة نت، 22 سـبتمبر 2014، تاريخ الزيـارة 25 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/TRTZv7).

وفي هذا يعطي داود أوغلو، الأَوَّلويَّة لشرق المتوسط، عبر "زيادة حضورها ونفوذها في شرق البحر المتوسط، شمال إفريقيا والشرق الأوسط"، والَّتِي من شأنها أن تكون بمثابة نقطة انطلاق نحو تنصيب تركيا "قُوَّة إِقْلِيمِيَّة ومن بعد عَالَمِيَّة"(1).

فتركيا، وَفْقاً لنظريَّة العُمْق الاسْتِرَاتِيجِيّ، دولة مُتَعَدِّدَة الأحواض القارِّيَّة بما يمنحها عمقاً اسْتِرَاتِيجِيّاً في الشرق الأوسط، بالتوازي مع إِمْكَانِيَّات واعدة للتأثير في كُلّ من قارَّتِي أوروبا وآسيا، ومِنْ ثَمَّ فإن تركيا، وَفْقاً لهذا الاقتراب، دولة "أفروأوروآسيويَّة"، فهي دولة أوروبيَّة آسيويَّة بِحُكْمِ الجُغْرَافِيَا، لكنها قريبة من إفريقيا بحكم التاريخ والجيوبولوتيك، عبر بَوَّابَة شرق المتوسط الَّتِي تمنحها إطلالة مُتَمَيِّزة على شواطئ إفريقيا الشماليَّة(2).

ويتجلى هذا، من خلال حرص المسؤولين الأتراك على تطوير خطابهم الموجَّه للعالم الثالث، وشَجْب الظلم الممارَس من طرف النِّظَام الدَّوْلِيّ الجديد، الَّذِي تُشكِّل إسرائيل جزءاً كبيراً منه، وقد تَزَامَنَ تنفيذُ هذا النهج الجديد مع الثورات العَرَبِيَّة. مما أعطى لتركيا وزناً كبيراً في إعادة بناء نموذج جديد للشرق الأوسط. وفي محاولة لتسليط الضوء على نقاط قُوَّتهَا، وجدت تركيا أردوغان نفسها تواجه العديد من المآزق الَّتِي شكَّلت تدريجيّاً تحدِّياً نَظَرِيّاً قَوِيّاً لطروحات أحمد داود أوغلو، على غرار ما يُضْمِرُهُ ميزان القُوَى في العلاقات الدَّوْلِيَّة والمُتَضَمِّن للقليل من النوايا الحسنة أو المشاعر(3).

1. أحمد داوود أوغلو، العُمْق الاسْتِرَاتِيجِيّ موقع تركيا ودورها في الساحة الدَوْلِيَّة، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبدالجليل، الدار العَرَبِيَّة للعلوم ناشرون ومركز الجزيرة للدراسات، الطبعة الثَّانِيَة، 2011م، ص ص 232- 234.
2. أحمد داوود أوغلو، المرجع السابق.
3. Mehmet Ertuğ Ulusoy , Turkey: From the "Zero Problem" Policy to the "Zero Friend" Policy, Op.Cit

فالحكومة في أنقرة كانت قد تعهَّدَتْ بمباشرة المســاعي الحميدة، والوساطة بين الولايات المُتَّحِدَة وإيران، وبين إسرائيل وسوريا، وبين العراق وسوريا، وبين إسرائيل والفلسطينيِّينَ، وبــين حماس وفتح. هــذه المبادرات، حتى لو كانت موضع تقدير مــن قِبل جميع الشركاء الدَّوْلِيِّينَ، وإن لم تكن قد خَلُصَتْ في الاتِّجَاه المطلوب، بسبب التعقيدات السِّيَاسِيَّة في الشرق الأوسط، إلا أنها أعطت تركيا الوزن الإِقْلِيمِيّ المهم. تركيا الَّتِي ترى في الشرق الأوسط الخَلْفِيَّة الَّتِي لا غِنَى عنها. وبصورة غير علنيَّة أيضاً، تَحَدَّثَ داود أوغلو عن "التضامن الإِسْلاَمِيّ"، من منطلق أن الإسلام والماضي العثمانيّ، يُعتبر من الينابيع الرئيسة لـ"القُوَّة النَّاعِمَة" التُّرْكِيَّة. لكن لا يزال الشرق الأوســط قضيَّة جيوسِيَاسِيَّة كبرى في القرن الحادي والعشرين، كما كان الحال عليه في القرون الســابقة. فالرهانات على الموارد الحَيَوِيَّة للمنطقة تزداد مع تراجع احتياطيات المياه والنفط. كما تَتَعَلَّق بالزيادة المُتَوَقَّعَة في عدد السُّكَّان، بناء على الدِّرَاسَات المُتَعَلِّقَة بالأفراد والجماعات المتواجدين بمنطقة الشرق الأوسط.

ويبدو أن قضيَّة الشعب الفلسطيني ليس لديها أي حلول إضافيَّة مُشَجِّعَة في المستقبل القريب. وســوف يُترك الأمر للوقت والســنوات تَتَحَكَّم في ذلــك، كما كان الأمر عليــه دائماً، وبالأخصّ في التطبيق الطويل والملتوي لخارطة الطريق الفلســطينيَّة / الإسرائيليَّة. ولو في ظِلِّ إبرام اتِّفَاقات سِيَاسِــيَّة محتملة، وظهور قُوَّتين أُخْرَيَيْنِ غير عربيَّتَيْنِ بالشرق الأوسط بعد إسرائيل، وهما إيران وتركيا.

هاتان الأخيرتان يمكن أن تُغَيِّرَا من موازين القُوَى في المنطقة. والنتيجة يمكن أن تكون في صورة بناء قُوَّة إِقْلِيمِيَّة عَرَبِيَّة سُــنيَّة حقيقيَّة، مثل مصر والمملكة العَرَبِيَّة السُّــعُودِيَّة. وهذا يمكن أن يُؤَدِّي أيضاً إلى صراعات جديدة، ربما أكثر عنفاً. بين هذه القُوَى الإِقْلِيمِيَّة الَّتِي تدعمها جهات خَارِجِيَّة لها احتياجاتها المُبَرِّرَة من الطَّاقَة والأعمال التِّجَارِيَّة (1).

1. مصطفى شـفيق علام، تحالفات القوى الإِقْلِيمِيّة وآثارها على مسـتقبل المنطقة، مجلة البيان اللندنيَّة، 23 يناير 2017، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hWgXcF

القُوَّة الترُّكِيَّة النَّاعِمَة في ميزان التَحَوُّلاَت العَرَبِيَّة:

في زمن "الكَمَالِيَّة"، أدارت تركيا ظهرها للعرب بصفة كاملة، مُرَكِّزَة في اتجاه الغرب لما يقرب من نصف قرن. لكن مع نهاية الحرب الباردة، أخذت في التَّوَجُّه نحو العالم العَرَبِيّ وبلدان حوض المتوسط. هذا المُعْطَى أو التَّطَوُّر الجديد في سياسة تركيا الخَارِجِيَّة تَمَّ تأكيده مع وصول حزب العدالة والتَّنْمِيَة (Adalet ve Kalkınma Partisi) إلى السُّلْطَة؛ لتنكبَّ حكومة أنقرة في نُسختها المنفتِحَة، على:

- تسوية النزاعات القائمة في بيئتها المجاورة، وتقديم مساعيها الحميدة لمساعدة الدول العَرَبِيَّة المجاورة، أولاً.
- التَّدَخُّل في الصِّرَاعات الناتجة عن الثورات العَرَبِيَّة لسنة 2011م، بتقديم حَلّ عَمَلِيّ لمختلف الأطراف الفاعلة في هذه البلدان، من خلال تجربتها السِّيَاسِيَّة، باعتبارها "نموذجاً" يمكن الاقتداء به للخروج من الأزمة، ثانياً(1).

ومنذ ذلك الحين، هَزَّتْ العديد من الأحداث هذا الجزء من العالم (سقوط عِدَّة أنظمة والحروب الأهليَّة والإرهاب وأزمات اللَّاجئين)، مما أدَّى إلى انهيار عدد من الدول العَرَبِيَّة، وحتى اختفاء بعض مُكَوِّنَاتها.
وباختصار، عَمَلِيَّة إعادة تشكيل المنطقة كما هو مطلوب من قبل الأمريكيين. والأحداث الأخيرة الَّتِي هَزَّتْ المشهد السِّيَاسِيّ الترُّكِي، وعلى رأسها الانقلاب الفاشل الأخير(2)،

1. Mehmet Ertuğ Ulusoy , Turkey: From the "Zero Problem" Policy to the "Zero Friend" Policy, Op.Cit
2. هي محاولة انقلاب عسكري فاشلة لمجموعة من ضباط القُوَّات المُسَلَّحَة الترُّكِيَّة، دبَّرَها فصيل داخل القُوَّات المُسَلَّحَة الترُّكِيَّة في 15 يوليو 2016 وأعلن مدبرو الانقلاب إنشاء مجلس السِّلْم من أجل أن تكون الهيئة الحاكمة في البلد. ودعا الرئيس أردوغان في حديث له عبر مواقع التواصل الاجْتِمَاعِيّ الشعب الترُّكِيّ للنزول إلى الشوارع لصدِّ محاولة الانقلاب، وشهدت المدن الترُّكِيَّة مظاهرات حاشدة دعما للحكومة الشَّرْعِيَّة وللرئيس رجب طَيِّب أردوغان، ورفضًا لمحاولة الانقلاب، لاقت محاولة الانقلاب رفضاً من قيادات حزبيَّة وعَسْكَرِيَّة وبرلمانيَّة تركيَّة. (كيف بدأت محاولة الانقلاب بتركيا وكيف انتهت؟، الجزيرة نت، 16 يوليو 2017، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/1Ap9TN).

الاشتباك مع روسيا، والتَّدَخُّل العَسْكَرِيّ التُّرْكِيّ في شمال سوريا، وما إلى ذلك، تذهب بالاعتقاد إلى أن المرحلة الثالثة في اسْتِرَاتِيجِيَّة تركيا تسير من جديد في اتجاه الدول العَرَبِيَّة، عبر دُبْلُوماسِيَّة حزب العدالة والتَّنْمِيَة، وبدءاً من سوريا.

"سَقَطَ الانقلاب فَعَلَتْ أَسْهُمُ القُوَّة النَّاعِمَة لتركيا في العالمين العَرَبِيّ والإِسْلاَمِيّ"(1)، عنوان بليغ لمنبرٍ إعلاميٍّ، تَبِعَهُ في ذلك كثيرٌ من وســـائل الإعلام؛ حيث فشلت القُوَّة العَسْكَرِيَّة التُّرْكِيَّة الحارســـة لإرث "العَلْمَانِيَّة الكَمَالِيَّة" أمام مُكَوِّنَات القُوَّة النَّاعِمَة حسب الوصفة التُّرْكِيَّة، الَّتِي يرى الخبراء والمراقبون أنها تزاوج بين عناصر الثقافة التُّرْكِيَّة المتغلغلة في المنطقة من جهة، وبين المواقف التُّرْكِيَّة "الأخلاقيَّة" القائمة على المبادئ والْمُثُلِ ومساندة القضايا العَرَبِيَّة والإِسْلاَمِيَّة، من جهة أخرى.
وتُعْتَبَرَ نجاحات تركيا في الآونة الأخيرة، أهم تبرير لاســـتعمال مصادر القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة؛ كونها عنصر جذب يدفع كثيرين إلى اكتشـــاف معالم التجربة الَّتِي دفعت حكومة حزب العدالة والتَّنْمِيَة إلى الارتقاء بهذه السرعة، وتجاوز كُلّ العقبات وتحقيق الأهداف بطرق هادئة.

1. وكالة الأناضول، 19 يوليو 2016م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KpgUUY

المبحث الثالث

التجربة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة

تَسْـــتَمِدّ التجربة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة قُوَّتهَا من النمـــوذج الَّذِي قدَّمه حزبُ العدالة والتَّنْمِيَة خلال فترة حكمه، في السِّيَاسَـــة والاقتصاد والخَارِجيَّة والتعاون، والَّذِي انتقـــل بالبلاد إلى مصافّ القُوَى الكبرى، على الصعيـــد الإقْلِيمِيّ، والقُوَى ذات الوزن الكبير، على الصعيد الدَّوْلِيّ، وأبرز معالم هذا المشروع، تَتَجَلَّى في ما يلي:

- **السِّيَاسَة بتطبيقاتها الأخلاقيَّة والديمُقْرَاطِيَّة:**

من خلال تعزيز قيم الحُرِّيَّة والعدالة والشفافيَّة، والنزاهة والاستقامة، وانتهاج حكم المُؤَسَّسَات والقانون والاحتكام إلى الشعب، وإلى صناديق الاقتراع. والاستناد كذلك إلى برنامج سِـــيَاسِيّ متكامل هدفه أولاً وأخيراً خدمة المواطن، والنهوض بالدَّوْلَة دون تسرُّعٍ في التنفيذ وبِبُعْدِ نَظَرٍ ونَفَسٍ طويلين.

ويكتســـب هذا النمـــوذج قُوَّتَه من خلال ما أثبته من قُـــدْرَة على مَزْجِ مفاهيمَ ظـــلّ كثيرون يُصِرُّونَ على وجود تضادّ فيما بينهـــا، مثل مفاهيم "الديمُقْرَاطِيَّة والإسلام"، "الانفتاح والاستقلال"، "الإصلاح والاعتدال"، "التسامح والبراجماتيَّة"، "العَلْمَانِيَّة والدين".

إن الديمُقْرَاطِيَّة المحافظة الَّتِي يســـتند عليها برنامج حزب العدالة والتَّنْمِيَة في تركيا، ترتكز على مفهوم التغيير على مراحل، وبشـــكل تَدْرِيجِيّ في هيئة عَمَلِيَّة طَبِيعِيَّة تبتعد عن مفهـــوم التغيير الفوقي الَّذِي يأتي من القِمَّـة، وتعتمد التغيير الاجْتِمَاعِيّ، وتَعْتَبِرُهُ شَكْلَ التغيير الأساسي والدائم.

كما أنَّ أهم ميزة لِلْهُوِيَّة السِّيَاسِيَّة الَّتِي يعمل حزب العدالة والتَّنْمِيَة على تطويرها هي بناء شـــخصيَّة تركيا؛ من خلال تجاوز تأثير السدود النابعـــة من الثُّنَائيَّات الَّتِي تبدو متناقِضَة مثل؛ الدين - السِّيَاسَـــة، الأصالة - المعاصرة، الدين - الدَّوْلَة، الدَّوْلَة - المجتمع - الفرديَّة (1).

- **اقتصاد تَنَافُسِيّ مُتَعَدِّد الأقطاب:**

وذلك بتوظيف كافَّة قُدُرَات البلاد ومواردها الطَّبِيعِيَّة والبَشَرِيَّة، والاعتماد على التصنيـــع والتصدير، والمزج بين الزِّرَاعِيّ لتحقيـــق الاكتفاء الذَّاتيّ، والصِّنَاعِيّ لتصدير تَنَافُسِيّ يحمل علامة الجودة التُّرْكِيَّة (ســـادس أكبر مُنْتِج للإســـمنت والألبســـة الجاهزة على سبيل المثال)، والخدماتيّ بقطاع سِيَاحِيّ مؤهَّل ومُتَطَوِّر يجلب ما يزيد عن الـ 20 مليار دولار.(2)

ناهيـــك عن زيادة القُدْرَة الإنتَاجِيَّة والتِّجَارِيَّة، ورفع الناتج المَحَلِّيّ الإجمالي من حـــوالي 470 مليـــار دولار عام 2003م إلى أكثر من تريليـــون ومئة مليار عام 2010م، وهو ما انعكس على رفع مستوى دخل الفرد في تركيا، من حوالي 3300 دولار عام 2002م إلى حوالي 13300 دولار ســـنة 2010م(3)؛ قبل أن يصل إلى نحو 20 ألف دولار وَفْقاً لتقديرات البنك الدَّوْلِيّ لعام 2017 (4)، هي إذن نموذج نهوض ببلاد كانت على حافة الانهيار الاقتِصَادِيّ، واســـتطاعت تَسَـــلُّق المراتب المُتَقَدِّمَة إلى غاية المرتبة 15 عَالَمِيّاً، في ظرف 9 سنوات فقط.

1. انظر البرنامج السِيَاسِيّ لحزب العدالة والتَّنْمِيَة التركي، متاح على موقع الحزب على شبكة الإنترنت، على الرابط التالي: goo.gl/MxvA3l
2. الرابط التالي: http: //goo.gl/iuJ0sK
3. إسراء محمود، "الاقتصاد التركي: 13 عاماً من النجاح"، المرجع السابق.
4. نصيب الفرد من إجمالي الدخل القومي (بالأســعار الثابتة للعملة المحليَّة)، مؤشرات البنك الدَّوْلِيّ، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8EoVsJ

- **السِّيَاسَة الخَارِجِيَّة على أُسُس عقلانيَّة وشراكة بنَّاءَة:**

وذلك بتبنّي سياســـة خَارِجِيَّة عقلانيَّة مدروسة، تقوم على رؤيَة واضحة وقراءة عميقة لمعطيات المنطقة ومُتَغَيِّرَاتها؛ تأخذ بعين الاعتبار قُدُرَات تركيا ومعطياتها الجيواسْتِرَاتِيجِيَّة، وتراعي في الآن نفسه التزاماتها الخَارِجِيَّة، بما يحقّق مصالحها أولاً، دون وجود عُقْدَة التعامل مع القُوَى الكبرى، وذلك على أســـاس من النِّدِّيَّة والاحترام المتبادل.

ولا يجب أن ننسى أنَّ جدليَّة الإســـلام والنِّظَام الديمقراطيّ اكتسبت حَيِّزاً مُهِمّاً فيما يراه الآخر (الإِسْـــلاَمِيّ) عن النموذج الـــتُّرْكِي، وعن تجربة "حزب العدالة والتَّنْمِيَة"، والمُوَفَّقَة أيضاً بين "الالتزام" العقائديّ و"تمييز" الديني عن السِّيَاسِيّ في الممارســـة. بحيث يوجد فَصْل للأجندة الدِّينِيَّة في برنامجه السِّيَاسِي، ولكن هناك ثبات على القِيَم الإِسْلاَمِيَّة: الحُرِّيَّة، العدالة، الشفافيَّة، النزاهة، الاستقامة، الأخلاق، إلخ، المتأصِّلَة في مراحل إنجاز هذا البرنامج. (1)

- **عُمْق حَضَارِيّ وهُوِيَّة ثَقَافِيَّة مُتَنَوِّعَة:**

لا يخفى على الجميع ذلك التاريخ الثريّ بالأمجاد والبطولات، الَّذِي جعَل من بلاد الأناضول مَهْد حضارة عريقة، إضافة إلى الموقع المُهِمّ الَّذِي تَحْتَلُّه تركيا، والَّذِي يحوي الكثير من المَمَرَّات الْبَرِّيَّة والبَحْرِيَّة التَّارِيخِيَّة منها والاسْتِرَاتِيجِيَّة. فهناك المئات من الدِّرَاسَـــات والأبحاث الَّتِي تناولت هـــذا التاريخ الأثيل، لكن تجدر الإشـــارة إلى أن هذه الحضارة قد أنشـــأت إمبراطوريَّات عديدة خَلَّدَتْهَا سطور الكتب، وجعلت منها نموذجاً لكَيْفِيَّة إدارة شـــؤون الدول، كالدَّوْلَة الســـلجوقيَّة

1. القُـــوَّة التُّرْكِيَّـــة النَّاعِمَة في ميزان التحولات العَرَبِيَّـــة، 20 مارس 2011م، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي : https: //goo.gl/EtSxA2

القَوِيَّة الَّتِي قامت في إيران والعراق وســـوريا وآسيا الصغرى؛ حيث كانت هذه الدَّوْلَة من دروع الأُمَّة الإسْلاَمِيَّة، وحصناً من حصونها المنيعة(1).
لتأتي بعدها الدَّوْلَة العُثْمَانِيَّة، الَّتِي تُعْتَبَرَ الأقوَى سُـــلْطَةً والأَطْوَلَ عُمُراً على هذه الأرض؛ إذ ســـاهمت بتوسيع رقعة الأرض الإسْـــلاَمِيَّة، وواجهت الغزو الصليبي بشراسة على مختلف الجبهات. فضلاً عن حمايتها العديد من الدول العَرَبِيَّة من خطر الاســـتعمار؛ حيث يمكننا القول هنا: إن العثمانيِّينَ كانت لهم رؤيَة عميقة أهَّلتهم لبناء دولة سيطرت على أهم المناطق في العالم، الأمر الَّذِي أدَّى لتأثيرها في التوازنات الدَّوْلِيَّة، ما جعل من تركيا ورقةً رابحةً لجميع القُوَى الَّتِي تســـعى لزيادة قُوَّتهَا في هذه المنطقة الحَسَّاسَـــة. لـــذا لا يوجد تَحَالُف إلَّا وكانت تركيا فيه(2).

وقد بلغ هذا العُمْق الحَضَارِيّ لتركيا ذروته؛ مع بروز الدَّوْلَة العُثْمَانِيَّة(3) الَّتِي ورثت تراكمات حَضَارِيَّة قديمة في منطقة الأناضول، وعرفت كيف تُوَظِّف هذه التراكمات المذكورة الَّتِي تعود الى فترة الفتوحات الإسْـــلامِيَّة في الدَّوْلَة الأُمَوِيَّة والعبَّاسِيَّة،

1. أيهم أبازيد، "تركيا بين الحضارة والاستراتيجيَّة"، أورينت. نت، 15 فبراير 2016م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/p9kpNg
2. المرجع السابق.
3. تعود أصول الدولة العثمانية إلى "عشـــائر الغز" التي ســـكنت مناطق ما وراء النهر، وتُعرف اليوم باســـم "تركستان"، فبعد هجوم جيوش التتار على هذه المناطق هاجرت القبائل التركية إلى أذربيجان، ونجح القائد "عثمان بن أرطغرل" الذي يرجع إليه تشكيل الدولة العثمانية، في قتالهم فاتخذ مدينة "أفيون قره حصار" عاصمـــةً لـــه، وأصبحت دولته ملاذاً للمســـلمين الذين هربوا من جيوش التتار، وبعـــد وفاته عام 727هـ، توسَّـــعت الدولة العثمانية فيّ أوروبا وآســـيا وإفريقيا، وظهرت كدولة عام 699هـ لكنّها لم تتســـلم الخلافة الإســـلامية إلا عام 923 هـ، وقد اســـتمر حُكم الدولة العثمانية أكثر من ستة قرون، وتتابع على إدارتها 36 حاكمًا من آل عثمان، كان آخرهم عبدالمجيد الثاني، الذي جرّد من السلطة وظلّ الحاكم رسميًّا حتى إلغاء الخلافة عام 1924، وطَرْد الســـلطان من البلاد. [للمزيد يُنْظَر: تاريخ الدولة العثمانية، موقع "موضوع"، 8مارس 2018، تاريخ الاطلاع 23 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/pb6vf9. ويُنْظَر: تاريخ سقوط الدولة العثمانية، موقع "موضوع"، 31 ديسمبر 2015، تاريخ الاطلاع 23 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LQoybN.

مروراً بالدَّوْلَة السلجوقيَّة(1)، ثم الدَّوْلَة البيزنطيَّة(2) الَّتِي قامت على أنقاضها الدَّوْلَة العُثْمَانِيَّة. ولم تَعْمِد الأخيرة إلى إلغاء هذا المزيج الحَضَارِيّ التَّرَاكُمِيّ، بل نجحت في إعادة تشكيله وترسيخه داخل هُوِيَّة الدَّوْلَة وهُوِيَّة المجتمع التُّرْكِيّ العثماني؛ حيث كان الإسلام هو الحاضن لمختلف هذه التمازجات الحَضَارِيَّة بصَهْرِها في مسار واحد، دون أن يَتِمّ إقصاء أيّ طرف أو إلغاء أي هُوِيَّة.

فكانت الحضارة العُثْمَانِيَّة ثَرِيَّةً بجملة من الثَّقَافَات وغنيَّة بمختلف الفنون والعلوم والتصوُّرَات، ولقد أفرز هذا التَّنَوُّع الثَّقَافِيّ والعِرقي والديني داخل الدَّوْلَة العُثْمَانِيَّة نموذجاً حَضَارِيّاً عَالَمِيّاً ساهم في تشكيل عمق حَضَارِيّ لتركيا بالتزامن مع العُمْق الاسْتِرَاتِيجِيّ. وأصبحت تركيا لعصور طويلة مركز العالم حَضَارِيّاً واسْتِرَاتِيجِيّاً(3)، الأمر الَّذِي يعتبر أول رافد من روافد القُوَى النَّاعِمَة الَّتِي لا تزال ثابتة لتركيا الحديثة طالما كان التاريخ مكتوباً.

1. تعود أصول دولة السلاجقة إلى قبيلة "قنق" التركمانيَّة، والتي تُعَدُّ جزءاً من قبائل "الغُزّ" التركيّة، ويُنسَب اسمها إلى زعيمهم "السلجوق بن دقاق"، وضمّت إمبراطوريتها الكبيرة بلاد ما بين النهرَين، وسوريا، وفلسطين، ومعظم أراضي إيران ثمّ توسَّعت حتى حدود مصر، وانقسم السلاجقة لفروع رئيسة، هي: السلاجقة العظام، وسلاجقة العراق، وسلاجقة كرمان، وسلاجقة الشام، وسلاجقة الروم، وكان سقوطها عام 485هـ. [للمزيد يُنْظَر: دولة السلاجقة، موقع "قصة الإسلام"، 15 يوليو 2008، تاريخ الاطلاع 23 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/BrfypT.- دولة السلاجقة، موقع "موضوع"، 3 أكتوبر 2016، تاريخ الاطلاع 23 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YRWPH4.
2. تَأَسَّسَتْ الإمبراطورية البيزنطية في عهد "هرقل" الذي حَكمها طوال ثلاثة عقود تقريباً، وعمل على تأسيس أركان الدولة الجديدة، وقد امتدت هذه الدولة لأكثر من ألف عام، فكانت تُعتبر بذلك واحدةً من أقوى الإمبراطوريات في أوروبا، ومن جميع النواحي العسكرية والاقتصادية والثقافية رغم تعرُّضها للكثير من الهزائم خلال فترة الحروب العربية والرومانية الفارسية، حتى أتت الحرب مع الدولة العثمانيّة على بقاياها فاستولى العثمانيون على العاصمة القسطنطينية وما تبقى من أراضي الإمبراطوريّة في القرن الخامس العشر للميلاد، معلنةً بهذا سقوط الإمبراطورية البيزنطيَّة. [للمزيد يُنْظَر: الدولة البيزنطية، موقع "موضوع"، 25 فبراير 2016، تاريخ الاطلاع 23 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/RoK5g5].
3. الزبير خلف الله، "تركيا من العُمْق الاسْتِرَاتِيجِيّ إلى العُمْق الحضاريّ"، ترك برس، 24 فبراير 2016م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YXIQHw

ويمكن القول هنا: إن هذا العُمْق والثِّقَل الحَضَارِيّ لتركيا - على سبيل المثال - هو ما أعاد إليها نهضتها من جديد، بعد ذبولها وانكفائها إبَّانَ الحكم العَسْكَرِيّ والتاريخ الطويل من الانقلابات الَّتِي بدأت منذ 1960م، وظَلَّتْ ظاهرة مُسَيْطِرَة إلى عام 2007م(1)، حتى استعادت تركيا دورها ومكانتها داخِلِيّاً وخارِجِيّاً مع وصول حزب العدالة والتَّنْمِيَة لِلْحُكْمِ في عام 2002م، عندما اعتمد مؤسِّسوه على استحضار العُمْق التَّارِيخِيّ لشخصيَّة الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة، الضاربة جذورها في الحضارة الإِسْلاَمِيَّة، وهو النجاح الَّذِي مهَّدت له تجارب أخرى سابقة، سَعَتْ نحو إعادة إحياء تركيا بواسطة عُمْقهَا الاسْتِرَاتِيجِيّ والحَضَارِيّ.

• التَّأْثِير التُّرْكِيّ الكبير عَرَبِيّاً:

هذا النجاح في حلِّ كُلّ المعادلات الصعبة، يعطي اللاعب التُّرْكِيّ مِصْدَاقِيَّة وأهليَّةً للتحدُّث عن تبادل الآراء والخبرات. فالتَّأْثِير الَّذِي تركته القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة في الوسط العَرَبِيّ بدا واضحاً قبل وأثناء وبعد الانتفاضات الشَّعْبِيَّة العَرَبِيَّة.

وعلى سبيل المقارنة، ففي بدايَة العام 2002م، وقبل استلام حزب العدالة والتَّنْمِيَة الحكم في تركيا، أظهر استطلاع للرأي أجرته مُؤَسَّسَة "زغبي إنترناشونال" في كُلّ من مصر والأردن والسُّعُودِيَّة والمغرب ولبنان والكويت والإمارات العَرَبِيَّة المُتَّحِدَة، حلولَ تركيا في المرتبة الثالثة للدول الأكثر سَلْبِيَّة بعد إسرائيل وأمريكا من المنظور العربي، بناءً على سؤال حول نظرة العرب إلى 13 بلداً غير عربي.(2)

---

1. "تركيا.. تاريخ من الانقلابات"، روسيا اليوم، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QlDeZx
2. القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة في ميزان التحولات العَرَبِيَّة، 20 مارس 2011م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/lxtUY

وبعد ســـبع ســـنوات من حكم العدالة والتَّنْمِيَة في تركيا، أظهر استطلاع للرأي أجرته "المُؤَسَّسَـــة التُّرْكِيَّة للدراســـات الاقتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة" (TESEV) في يوليو 2009م، بكل من مصر والأردن والأراضي الفلســـطينيَّة ولبنان والسُّعُودِيَّة وسوريا، والعراق نظرة إيجَابِيَّة إلى تركيا، وكان من نتائجه (1):

- احتلال تركيا المرتبة الثانيَة إقْلِيمِيّاً، مع تســـجيل نسبة 75% من المستجوَبِينَ الَّذِين ينظرون إليها بإيجَابِيَّة كبيرة أو بإيجَابِيَّة فقط.
- اعتبار تركيا فاعلاً أَسَاسِيّاً يمارس تأثيراً قويّاً في العالم.
- تأييد قيام تركيا بلعب "دور أكبر في العالم العربي".
- موافقة 61% من المستجوَبِينَ على كون تركيا نموذجاً للدول العَرَبِيَّة، يُحْتَذَى به من حيث الانسجام بين الإسلام والديمُقْرَاطِيَّة.

وقـــد بدا هذا التَّأثِـــير الإيجابي واضحاً أيضاً أثناء ثـــورة 25 يناير 2011م (2) الشـــبابيَّة في مصر؛ من خلال الطريقة الَّتِي استقبَل بها المُنْتَفِضُونَ في ميدان التحرير، من مختلف التَوَجُّهَات والانتماءات، كلمة رئيس الحكومة التُّرْكِيَّة السَّيِّد رجـــب طَيِّب أردوغان الَّتِي تضمَّنت نصيحة للقيادة المصريَّة. وذلك مقارنة بالرَّدِّ

1. احتجاجات شعبيَّة ذات طابع اجْتِمَاعِيّ سِيَاسِيّ انطلقت في 25 يناير 2011م للاحتجاج على سلوك الشرطة العنيف ضد فئات المجتمع، والأوضاع المعيشيَّة والسِّيَاسِيَّة والاقْتِصَادِيّة السَّيِّئَة، وتنامي الفساد خلال فترة حكم الرئيس محمد حســـني مبارك، وانطلقت المظاهرات بدعوة من بعض الحركات الاحتجاجيَّة القوى الشـــبابيَّة، وتصاعدت الأحداث حتى أجبر الرئيس مبارك على التَّنَحِي عن الحكم في 11 فبراير 2011، وتكليف المجلس الأعلى للقُوَّات المُسَـــلَّحَة بإدارة شـــؤون البلاد لحين تنظيم انتخابات رئاســـيَّة وبرلمانيَّة. (تاريخ الثورة المصريَّة، الهيئة العامة للاســـتعلامات، مصر، د. ت، تاريخ الزيارة: 19 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xLuxgc).
2. العلاقات الإيرانية - التُّرْكِيَّة في ظِلِّ الثورات العَرَبِيَّة، علي حســـين باكير، الراصد نت، 3 يوليو 2011م، تاريخ الزيارة 16 نوفمبر 2017م، النص متاح على الرابط التالي : http: //cutt.us/af1w3

العنيف الَّذِي قاموا به عَقِب كلمة المرشـــد الأعلى للثورة الإيرانيَّة علي خامنئي، على سبيل المثال، أو على كلمة أمين عام حزب الله اللبناني حسن نصر الله الَّتِي وجهها إلى الثوّار.[1]

ومـــا يفسِّر الاختلاف في الـــردود على هذه التَوَجُّهَات بـــين النموذج الإيراني والتُّرْكِيّ، هو أنّ تركيا منســـجمة مع نفســـها فيما يَتَعَلَّق بالديمُقْرَاطِيَّة، والتداول السِّلْمِيّ للسلطة، والشفافيَّة والتعدديَّة الحزبيَّة، وعمل المُؤَسَّسَات، وحكم القانون. ومـــا يُفضي إلى رفض الديكتاتوريَّة وقمع الحُرِّيَّات وعمليَّات التَّزْوِير، وهي كلها قِيَمٌ كان ينادي بها شباب الربيع العَرَبيّ أيضاً.
ومن مُـــؤَشِّرَات التَّأَثُّر بالنموذج الـــتُّرْكِيّ أيضاً: تَعَامُل بعض الإســـلامِيِّينَ مع الانتفاضات الشَّعْبِيَّة بمســـؤوليَّة عالية وبوعي كامل، والسعي إلى إقامة أحزاب على شـــاكلة حزب العدالة والتَّنْمِيَة التُّرْكِيّ، كـــما في النموذج المغربيّ وحكومة الإسْلاَمِيّ المعتدل عبدالإله بن كيران[2] السابقة. [3]
لقـــد كان هذا النموذج ركناً من أركان القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة الَّتِي أســـهمت في إعادة تشكيل المنظومة الفِكْرِيَّة - المَفَاهِيمِيَّة للحركات الإسْلامِيَّة العَرَبِيَّة، خصوصاً

1. العلاقات الإيرانية- التُّرْكِيَّة في ظِلِّ الثورات العَرَبِيَّة، علي حســـين باكير، الراصد نت، 3 يوليو 2011م، تاريخ الزيارة 16 نوفمبر 2017م، النص متاح على الرابط التالي : http: //cutt.us/af1w3
2. عبدالإله بن كيران (1954م) رئيس الحكومة للمملكة المغربيَّة السابع عشر بين 29 نوفمبر 2011- 5 أبريل 2017م والأمين العام لحزب العدالة والتَّنْمِيَة المغربي منذ 20 يوليو 2008م وعضو مجلس النُّوَّاب المغربيّ عن ســـلا (المدينة) منذ 14 نوفمبر 1997م، لثلاث ولايات. عُيِّن رئيســـاً للحكومة بعد فوز حزبه الانتخابات المغربيَّة ســـنة 2011م خلال الربيع العربي. وفاز أيضاً في الانتخابات المغربيَّة ســـنة 2016م ليكون أول رئيس مغربي يقود الحكومة لولايتين مُتَتَالِيَتَيْن. (بن كيران.. "إسلامي" أُعْفِيَ من تشكيل حكومته الثَّانِيَة، الجزيـــرة نـــت، 16 مارس 2017م، تاريخ الزيارة: 25 يوليـــو 2018م، متاح على الرابط التالي: /goo.gl bv1ksD).
3. القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة في ميزان التَّحَوُّلات العَرَبِيَّة، 20 مارس 2011م، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/EtSxA2

في بـــلاد الثورات العَرَبِيَّة وفي مقدمتها تونس ومصر والمغرب الَّتِي كانت تخضع لمراجعات فِكْرِيَّة مُسْـــتَمِرَّة، أولاً على مستوى تعريف الذات والهُوِيَّة، وثانياً على مستوى بعض الأطروحات الإِشْكَالِيَّة في تاريخها، مثل: الديمُقْرَاطِيَّة والعَلْمَانِيَّة، والمواطنة والدَّوْلَة المَدَنِيَّة، والعلاقة بين الدين والدَّوْلَة أو بين الدين والسِّيَاسَة. (1)

وعليـــه يمكن القول بأنَّ النموذج التُّرْكِيّ قد تَرَكَ تأثيراً إيجَابيّاً كبيراً في العالم العَرَبِيّ والإِسْلاَمِيّ، وخَلَقَ نقاشاً إيجَابيّاً على الأَقَلّ حول عدد من القضايا المُتَعَلِّقَة بالديمُقْرَاطِيَّة والإســـلام في النموذج السِّيَاسِي، الاعتدال الإِسْلاَمِيّ في النموذج الدينيّ، تعايـــش الحضارات والأديان في النموذج الثَّقَـــافِيّ، الإصلاح والعمل في النموذج الاقتِصَادِيّ، علـــماً بأنَّ الدول العَرَبِيَّة تمتلك من المُقَوِّمَات والموارد والخبرة التَّارِيخِيَّة ما يخوّلها أن تكون نموذجاً لغيرها، شرط أن تُحْسِنَ استغلال فرصة التَّحَوُّل الديمقراطيّ الحاصل(2)، والاستفادة من النماذج المشرقة في هذا السياق، ومِنْ ثَمَّ تقديم خبرتها الخَاصَّة في هذا الإطار.

• الدِّرَامَا والســـينما.. قُوَّة ناعمة فاعلة في السِّيَاسَـــة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة:

على السَّاحَة السِّيَاسِـــيَّة الخَارِجيَّة هناك وسيلتان لإقناع الآخرين - سواءً كانوا دُولاً أم أفراداً - بمواقفك وآرائك؛ هما القُوَّة القاسية، ويُقْصَد بها القُوَّة العسكريَّة

1. سعيد الحاج، تأثيرات النموذج التُّرْكِيّ على تَحَوُّلات الحركات الإِسْلاَمِيَّة العَرَبِيَّة، موقع الجزيرة نت، 21 ســبتمبر 2016م، تاريـخ الزيـــارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابـــط التالي: https: //goo.gl/GwqUCk
2. عــلي حســين باكير، "القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَــة في ميزان التحولات العَرَبِيَّة"، إســلام أونلاين، 18 مارس 2011م، متاحة على صحفة الباحث الشخصيَّة، لوجود إشكاليَّة في مصدر النشر الرئيس، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/OTjA1C

والقُـــوَّة الاقتصاديَّة، والنوع الثاني هو القُوَّة النَّاعِمَة، وهي طريقة غير مباشرة للجَذْب والإقنـاع والبرهنـة، وتُؤْتِي نَفْعَها فتفوز بالتأثير على الآخرين ورضوخهم إليك، فهي قُوَّة الإغـــراء والجَـذْب عبر الصورة المُبْهِجَة وأنماط الحياة الراقية والموسيقى الرومانسيَّة، وغالباً ما تتوافر جميع هذه العناصر في المجالات الفَنِّيَّة، لا سيّما الدِّرَاما والسِّينَما.

لقـــد أدركت تركيا في العَقْد الأخير أَهَمِّيَّة هذا البُعْد في الوصول إلى مكانةٍ لائقةٍ بها بين مختلف الدول، ليس على المستوى الرسميّ فقط بل وعلى المستوى المَدَنيّ؛ إذ أظهرت الكثير من المؤســـسات التُّرْكِيَّة المجتمعية - ذات النَّشَـــاطات المَحَلِّيَّة والخَارِجيَّـــة - اهتماماً كبيراً بما يُنْتِجُه المجتمع الـــتُّرْكِيّ المَحَلِّيّ للترويج للبلاد وقِيَمِها وثقافتها وتاريخها ومستقبلها.

واتَّضَح ذلك فيما شـــهدته السِّيَاسَة الخَارِجيَّة التُّرْكِيَّة - على السَّاحَتَيْنِ الإقليميَّة والدوليَّة - من جهود مؤسَّســـات تُرْكِيَّة عَرِيقَة عَكَسَـــت مَـــدَى التقدُّم والرُّقِيّ الحَضَارِيّ، الَّذي جعل البلاد نموذجاً إيجابيّاً يُحتَذَى به، ومن هذه المؤسســـات؛ مُنَظَّمَة Tika للتَّنْمِيَة الإنسانيَّة، ومراكز الثينك ثانكس Seta، وبرامج المِنَح الطُّلَّابِيَّة وتَبَادُل الطُّـــلَّاب والباحثين (Bursları Türkiye)، وحتى المســـاجد العثمانية والمتاحف القديمـــة، ومتاجر الملابس التُّرْكِيَّة التي باتت من العلامات التجارية الشهيرة، مثل: آلسي وايكيكي LC Waikiki ، وكوتون Koton، ومافي Mavi.

لكن رغم أَهَمِّيَّة ما ســـبق، تعتبر الدِّرَاما مِن أَهَمّ مصادر القُوَّة النَّاعِمَـــة، ومن أبرز السُّـــبُل لتصدير القِيَم والثَّقَافات، لذا ليس من الغريب أَنْ تُولي تركيا قَدْراً كبيراً من الاهتمام والدَّعْم للأعمال الدِّرَامِيَّة والسِّـــينمائيَّة التي تُقَدِّمهَا وتنتقل عبر السماوات المفتوحة إلى أرجاء العالم كافةً، حتى صارت السِّـــينَما والدِّرَاما التُّرْكِيَّة في مُقدِّمَة الأعمال الأكثر شَـــعْبِيَّة عالميّاً، وعلى المســـتوى العربيّ بشكلٍ خَاصٍّ؛ فقد وَجَدَ المُشَـــاهِد العربيّ في هذه الأعمال مُتَنَفَّساً مشروعاً عن أحلامه وطموحاتـــه دون التَّخَلِّي عن قِيَمِهِ الدِّينِيَّـــة المُحافِظَة، فأدْرَك إمكانيَّة أن يكون مُسْـــلِماً وفي الوقت ذاته معتدلاً يعيش حياةً مُتَفَتِّحَةً، وبنَمَطٍ حديثٍ مُبْتَكَرٍ يَعتمد

على التكنولوجيا ولغة العصر(1).

وفي لقاء موقع أورونيوز Euro News الإخباري(2) مع عدد من السُّـــيَّاح العرب في إســـطنبول، لاستطلاع رأيهم حول الأعمال التلفزيونيَّة التُّرْكِيَّة، تقول سائحة عراقيَّة: "في هذه المسلسلات نشاهد إمكانيَّة أن تكون مسلماً ومعتدلاً. مع عرض لما حُرم منه بعض العرب من: التكنولوجيا والحياة الجميلة والحديثة. نشاهد ما لا يوجد في بعض الدول"، بينما تشـــير سائحة مصريَّة إلى أنه "في هذه المسلسلات نشـــاهد بأن المســـلمين لهم القُدْرَة على أن يكونوا متفتحين، وأن يعيشـــوا حياة متفتحة وبنمط حياة حديثة".

وقبلهم، يُؤَكِّد الســـائح أحمد من الأردن: "أشـــاهد المسلسلات التُّرْكِيَّة: صكاريا فرات، وأبطال كمراد علمدار في مسلســـل رائع عن فلســـطين. بالنسبة لي، إنه بطل".(3)

وهي شهادات لا تحتاج إلى شرح أو تأويل لتبيان مدى الأثر العميق الَّذِي تخلّفه الأعمال التُّرْكِيَّة في نفوس المتتبعين العرب، على عِدَّة مستويات، منها الحَضَارِيّ والجمالي والبطولي وأيضاً التَّارِيخِيّ.

وهنا، لا ينبغي الخلط في هذا المستوى بين الإنتاج التُّرْكِيّ المُرْتَبِط بِخَطِّ العدالة والتَّنْمِيَة السِّـــيَاسِي - القِيَمِيّ، وبين الإنتاج الآخر المُرْتَبِط بجهات تَتَبَنَّى التحرُّر بمفهومه الغَرْبِيّ المُنْطَلِق والمُتَمَثِّل في مسلسلات العشق والغرام (على شاكلة العشق

1. جلال خشيب، السنيما.. قوة ناعمة فاعلة في السياسة الخارجية التركية، تاريخ الاطلاع 23 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hnC6fC.
2. تأثير المسلســـلات التُّرْكِيَّة في الشرق الأوســـط، موقع أورونيوز عربي، 29 يونيو 2012م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Rh57Va
3. تأثير المسلسلات التُّرْكِيَّة في الشرق الأوسط، موقع أورونيوز عربي، المرجع السابق.

الممنوع(1)، والدِّرَامَا الاجْتِمَاعِيَّة القديمة، كسلعة استهلاكيَّة رائجة في تلفزيونات العالم العَرَبِيّ منذ سنوات. لكن يمكن الاستدلال بأحد عناصرها، على اعتبار أن السينما والمسلسلات التُّرْكِيَّة بشكل عام، تُشَكِّل أحد أهم أدوات القُوَّة النَّاعِمَة وتأثيرها الأكيد في العالم العَرَبِيّ تحديداً.

ذلك أنه في سنة 2008م تابع حوالي 85 مليون مشاهد عربي الحلقة الأخيرة من المسلسل التُّرْكِيّ الشهير "نور"، والَّذِي عرضته قناة MBC الَّتِي كانت السبَّاقة إلى عرض الإنتاج التُّرْكِيّ(2). ولا تزال المسلسلات التُّرْكِيَّة تَحْتَلّ أوقات الذروة في جدول برامج المحطات العَرَبِيَّة، في إطار من التنافس الشديد لجذب عدد أكبر من المتابعين من خلال بَثّ المزيد من الدِّرَامَا التُّرْكِيَّة.

وفي المقابل عَرَفَ الاتِّجَاه الأَوَّل ما يشبه «الثورة» على القديم والمُتَدَاوَل والمُبْتَذَل في السينما التُّرْكِيَّة. ففي كُلّ عام يَتِمّ طرح أعمال فَنِّيَّة جديدة ذات دلالة سِيَاسِيَّة أو قِيَمِيَّة واضحة جداً، نَسْتَدِلّ عليها بثلاثة عناوين، تُمَرِّرُ من خلالها تركيا العدالة والتَّنْمِيَة خطاباتها الضمنيَّة للعالم. ويَتَعَلَّق الأمر هنا، بكل من مسلسل: قيامة أرطغرل Diriliş، مسلسل ردّة فعل Reaksiyon، وفيلم Kod Adı K.O.Z الَّذِي يُسوّق فيه لسيناريو مُتَخَيَّل حول محاولة لاغتيال الرئيس السَّيِّد رجب طيّب أردوغان. (3)

1. العشق الممنوع (باللغة التركية: Aşk- i Memnu) هو مسلسل تلفزيونيّ تُرْكِيّ ميلودرامي رومانسيّ اجتماعيّ مُقْتَبَس من رواية تركيَّة شهيرة بنفس الاسم للكاتب هاليد زيا اوشاكليجيل كُتِبَتْ ما بين عامي 1899 و1900م، وقد تمَّ تصوير الرواية كمسلسل لأول مرة عام 1970م بالأبيض والأسود في 6 حلقات فقط. لتتم إعادة تصويرها عام 2008م بميزانية ضخمة، وقد حقَّق المسلسل نجاحاً جماهرياً ونَقْدِيّاً ساحقاً حاصداً عشرات الجوائز، أبرزها أفضل مسلسل دراميّ في العالم لعام 2009م، وأرباحاً ضخمة من خلال توزيعه ودبلجته لأكثر من 12 لغة. يُعتبر المسلسل أشهر مسلسلات العام 2010م في العالم العربي بسبب الضجَّة الكبيرة التي أحدثها. للمزيد يُنْظَر الرابط التالي: http: //cutt.us/3DS3j
2. آيَّة عبدالواحد، "بينها نور ومهند.. 5 مسلسلات تركيَّة فَشَلَتْ في بلدها وحقَّقَتْ نجاحاً هائلاً في الوطن العربي"، هافنجتون بوست عربي، 28 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/dZB3Qi
3. سوف نأتي للحديث حول كلٍّ منها بشيءٍ من التفصيل في فصول مُتَقَدِّمَة من هذا الكتاب.

وإضافة إلى العناصر الاجْتِمَاعِيَّة المأســاويَّة، الجماليَّـــة الحَضَارِيَّة، والبطوليَّة التَّارِيخِيَّة في المسلسلات والأفلام التُّرْكِيَّة، فإن فحوى العلاقات والقِيَم الأُسَرِيَّة الَّتِي تجمع الأفراد في عمل فَنِّيّ ما، يشبه إلى حَدٍّ كبيرٍ واقع المجتمعات العَرَبِيَّة، بدليل النَّجاح الَّذِي حقَّقته المسلســلات التُّرْكِيَّة مقارنةً بالمسلســلات المكسيكيَّة الَّتِي اجتاحت القنوات العَرَبِيَّة في تســعينيَّات من القرن الماضي مثل "كساندرا" و"روزاليندا" وغيرهما.

فقد تمَّت دَبْلَجَة المسلسلات المكسيكيَّة باستخدام العَرَبِيَّة الفُصْحَى، وحافظت فيها الشخصيَّات على أســمائها الأصليَّة. إلا أن اختلاف العادات والتقاليد المكسيكيَّة تماماً عن نظيراتها العَرَبِيَّة، لم يجعل المشاهد العَرَبِيّ يَتَعَلَّق طويلاً بهذا النوع من الدِّرَامَا. فيما شكَّل تاريخ الدَّوْلَة العُثْمَانِيَّة والدين الإِسْلامِيّ، مادةً خِصْبَة للتخيُّل وإعادة إنتاج الأمجاد الســابقة، على غرار مسلســل "القرن العظيم"، أو "حريم الســلطان" ســليمان القَانُونِيّ. فالعمل الفَنِّيّ يُعْتَبَر أداةً رئيسة من أدوات القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة، بحُكْمِ النجاح والانتشــار اللامحدود في أرجاء الوطن العربي، بما أنه يعكس للشعوب العَرَبِيَّة حزمة من الأفكار والعادات والتقاليد الَّتِي تتشابه في غالبها مع طبيعة المجتمع العَرَبِيّ (1).

- **السِّيَاحَة التُّرْكِيَّة.. تجربة عريقة وعوامل جذب مِثَالِيَّة:**

تُعْتَبَر صناعة السِّــيَاحَة، وعوامل الجذب السياحي، أحد مُقَوِّمَات القُوَّة النَّاعِمَة؛ لكونها مجالاً أُمَمِيّاً يربط بين الشُّــعُوب ويُقَرِّب ما بين الثَّقَافَات، يختزل الأزمنة ويُقَرِّب بين المســافات المختلفة. وبســبب دورها المُهِمّ في تعزيز قُدُرَات الدَّوْلَة مَعْنَوِيّــاً ومَادِّيّــاً، بدأت حتى تلك الدول الَّتِي توصف بالمُنْغَلِقَة على نفســها في

1. تالا حلاوة، "المسلســلات التُّرْكِيَّة وفقاعة الاختراق والتأثير في الوطن العَرَبِيّ"، موقع جدليَّة، 26 يونيو 2013م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/K9mWxR

الاهتمام بالمقاصد السِّـــيَاحِيَّة، كإيران الَّتِي بدأت على سبيل المثال في استثمار بُعْدِهَا الثَّقَافِيّ والتَّارِيخِيّ لدعم السِّـــيَاحَة وجذب 20 مليون ســـائح بحلول عام 2025م، بموازاةٍ مع تشجيع انتشـــار الفنون والاحتفالات والمسرحيَّات والأفلام السينمائيَّة، لنشر الثقافة الفارسيَّة (1).

وفي تجربة تركيا السِّـــيَاحِيَّة، حتى نهاية عام 2015م، ظَلَّتْ واحدة من أهم أكبر عشر وُجْهَاتٍ سِـــيَاحِيَّة على مســـتوى العالَم. وهذا ما تُسَطِّرُهُ إحصاءات مُنَظَّمَة السِّـــيَاحَة العَالَمِيَّة. ففي أحدث إصدارات المُنَظَّمَة تحت عنوان "الملامح العَامَّة للسياحة عام 2016م" رصدت نصيب تركيا من السِّيَاحَة الوافدة بنهاية 2015م، نحو 39.8 مليون سائح، وعائدات تقدر بنحو 26.6 مليار دولار (2).

ويأتي ارتفاع نســـبة الإشغال السِّـــيَاحِيّ بتركيا إلى عددٍ من العوامل تعتمد عليها أنقرة، منها تَطَوُّر أنماط ســـياحيَّة غير تَقْلِيدِيَّة، واتِّبَاع سياسات تشجيعيَّة للزُّوَّار، وعامل تعثر السِّيَاحَة في الدول المجاورة لأسباب عدم الاستقرار والحروب؛ إذ إن هناك ثلاثة عوامل رئيسة تجعل السِّيَاحَة التُّرْكِيَّة مزدهرة، وهي(3):

أ- تسويق أنماط مختلفة:

فكثـــير من زوَّار تركيا باتوا يقصدونها على وجه الخصوص لأهداف تجاريَّة وثَقَافِيَّة وعلاجيَّة، وللمشـــاركة في لقاءات ومؤتمرات ومنتديات تُعقَد على

1. فـــواز العلمـــي، مفهومنا الخاطئ للقُوَّة النَّاعِمَـــة، العَرَبِيَّة نت، 20 أكتوبر 2015م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/PKpMMB
2. عبدالحافظ الصاوي، "الســـياحة التُّرْكِيَّة وســـهام السياســـة"، الجزيرة نت، 9 يناير 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/vgslUf
3. خليل مبروك، "عوامل داخليَّة وخَارِجِيَّة وراء صعود السياحة التُّرْكِيَّة "، الجزيرة نت، 17 أغسطس 2014م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/CSmG2b

مدار العام؛ الأمر الَّذي يجعل هذه الزيارات تُجَاوِزُ النظرة للسـياحة على أنهـا بحار ورمال ومناظر طَبِيعِيَّة. وكانت التقارير الحُكُومِيَّة قد أوردت أن ما يفوق عشرة ملايين و967 ألف سائح زاروا تركيا في الربع الثاني من عام 2014م، وبلغ متوسط ما صرَفه كُلّ سائح منهم نحو 818 دولاراً. (1)

ب- دعم السِّيَاسَات الحُكُومِيَّة:

ســاهمت السِّيَاسَــات الحُكُومِيَّة في دفع تركيا قُدُماً لِتَحْتَلّ المرتبة السادسة عَالَمِيّاً في استقطاب السُّيَّاح، إذ تسمح قوانينها للزوار من 67 جنسيَّة بدخول البلاد دون تأشيرة، وتمنح أنقرة تأشيرتها على بوابات الموانئ الجَوِّيَّة والْبَرِّيَّة والبَحْرِيَّة لحَمَلَة العشرات من الجنســيَّات الأخرى، فضلاً عن تفعيلها نظام التأشيرات الإلكترونيَّة لرجال الأعمال والسُّيَّاح، وأيضاً تَطَوُّر قطاع الخدمات في الموانئ والقطارات والفنادق والأسـواق شـجَّع كثـيراً من الزوَّار على تفضيـل تركيا، فضلاً عن الامتيازات الَّتِي بات قطاع الخدمات التَّخَصُّصيَّة كالمستشفيات والمراكز الطبيَّة يقدّمها لزوّاره من طالبي العلاج. (2)

ت- الإقبال العربي:

بات الوجه العَرَبيّ من أكثر الوجوه حضوراً في المناطق السِّـيَاحِيَّة التُّرْكِيَّة، بَعْدَ السـائح الألمانيّ والرُّوسِيّ والبريطانيّ، ومن بين أسباب زيادة السِّيَاحَة العَرَبِيَّة إلى تركيا: وسـائل الدعاية، وانتشـار الدِّرَامَا التُّرْكِيَّة في الإعلام العربي، ما شـجَّع كثيراً مـن العائلات العَرَبِيَّـة والخليجيَّة بالتحديد على الاحتكاك بالثقافة التُّرْكِيَّة من خلال الرحلات السِّيَاحِيَّة. (3)

1. خليل مبروك، "عوامل داخليَّة وخَارِجِيَّة وراء صعود السياحة التُّرْكِيَّة "، الجزيرة نت، 17 أغسطس 2014م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/CSmG2b
2. خليل مبروك، "عوامل داخليَّة وخَارِجِيَّة وراء صعود السياحة التُّرْكِيَّة "، المرجع السابق.
3. المرجع السابق.

المبحث الرابع

سياسة وأحداث..
تراجع السِّيَاحَة التُّرْكِيَّة في ٢٠١٦م

جاء عام 2016م بمعطيَّات أخرى بشـــأن السِّيَاحَة في تركيا؛ حيث تواترت مجموعة مـــن العوامل الدَّاخِلِيَّة والخَارِجيَّـــة، أدَّت إلى تراجع أداء هذا القطاع الْحَيَوِيّ في تركيا. فأرقام معهد الإحصاء التُّرْكِيّ رصدت تراجع السِّيَاحَة في الشهور الـ9 الأُولَى مـــن عام 2016م، ليصل عائدها إلى 17.2 مليار دولار مقارنة بـ24.8 مليار دولار في الفترة نفســـها من عام 2015م(1)، أيْ أنَّ نِسْبَة التَّرَاجُع في الإيرادات السِّيَاحِيَّة تصل إلى 44.1%.(2)

وبلا شَكَّ فإنَّ تراجع عائدات قطاع السِّيَاحَة مُرتَبِط بِعِدَّة أَزَمَات عانت منها السِّيَاحَة التُّرْكِيَّة بَدْءاً من منتصف 2015م وحتى نهايته مع حادث إســـقاط المقاتلة الرُّوسِيَّة. بالإضافة إلى عوامل أخرى، أَلْقَتْ بظلال سَـــلْبِيَّة على الأزمة الَّتِي تعيشها تركيا (حتى توقيت كتابة هذه الدراسة) بشأن انخفاض قيمة عملتها المَحَلِّيَّة(3).

1. Tourism- Tourism expenditures (Thousand $) (Quarterly), Turkish Statistical Institute, available at: goo.gl/mYgT2A
2. عبدالحافظ الصاوي، "السياحة التُّرْكِيَّة وسهام السياسة"، الجزيرة نت، 9 يناير 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/vgslUf
3. سَـجَّلَتْ اللِّـيرَة التُّرْكِيَّة انخفاضاً قياســياً لتصل 3.8950 ليرة للدولار قبل أن تنتعــش قليلاً إلى 3.8691 ليرة، كما هبطت إلى مستوى قياسيّ عند 4.1089 ليرة مقابل اليورو، وفقدت اللِّيرَة ربع قيمتها تقريباً أمام الدولار، منذ محاولة الانقلاب الفاشلة في يوليو/ تموز 2016م؛ وذلك بسبب قَلَق المستثمرين وتخوُّفهم من المستقبل السِيَاسِيّ والاضطرابات الأمنيَّة في البلاد. وفي المقابل دعا الرئيس أردوغان الشعب التُّرْكِيّ إلى تحويل العملات الأجنبيَّة التي يملكونها إلى ذهب أو إلى اللِّيرَة التُّرْكِيَّة لتحفيز اقتصاد البلاد، مع استمرار انخفاض سعر اللِّيرَة أمام الدولار. وقد استجاب الشعب التُّرْكِيّ لطلب الرئيس رجب طَيِّب أردوغان تحويل العملات الأجنبيَّة التي بحوزتهم إلى ليرة تركيَّة، لإنقاذ عملة بلادهم من انخفاض قيمتها. (تفاعل تركي واسع مع نداء أردوغان بخصوص اســتبدال العملات الأجنبيَّة باللِّيرَة التُّرْكِيَّة ، ترك برس، 7 ديســمبر 2016، تاريخ الزيارة 25 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/fE5sws).

من جَانِبٍ آخَر؛ فقد اسْتُخْدِمَتْ السِّيَاحَة الوافدة التُّرْكِيَّة كورقة ضغط مِن قِبَل قُوًى خَارِجِيَّة عدة، على رأسها روسيا، وكذلك الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ. فمع حادثة إسقاط الطائرة الرُّوسِيَّة في 24 نوفمبر 2015م، فَرَضَتْ روسيا مجموعة من العقوبات الاقتِصَادِيَّة على تركيا، كان من بينها وَقْفُ الرحلات السِّيَاحِيَّة الرُّوسِيَّة لتركيا، وإن كان هذا الحَظْرُ قد رُفِعَ مُؤَخَّراً بعد عودة العلاقات السِّيَاسِيَّة والاقتِصَادِيَّة بين البلدين في شهر يوليو 2016م (1).

وكخلاصة لكل ما سبق، يمكن القول: إن اتِّجَاه تركيا الأخير نحو تفعيل قُوَاهَا الصَّلْبَة مُجَدَّداً، سواءً في ما يَتَعَلَّق بأزمةِ الطائرة الرُّوسِيَّة، أو الأحداث الدَّاخِلِيَّة الَّتِي ميَّزَتْهَا التَّطَوُّرَات السَّلْبِيَّة لعلاقات الحزب الكُرْدِيّ بالدَّوْلَة، وتزايد أعمال العُنْفِ على الحدود السُّورِيَّة والعِرَاقِيَّة مِن قِبَل الفصائل الكُرْدِيَّة، واندلاع أعمال الْعُنْفِ والإرهاب داخل تركيا، وبخاصَّةٍ في إسطنبول، وخَاصَّةً في القلب منها عبر مطار أتاتورك الدَّوْلِيّ، الَّذي أَثَّرَ وقوع التفجير(2) فيه على سُمْعَة الأمن والاستقرار بالبلاد كَكُلٍّ، وكذلك نَفَّذَتْ جماعات العنف الكُرْدِيَّة، بالإضافة إلى عناصر من تنظيم "داعش"، مجموعة من التفجيرات في أماكن سيَاحِيَّة أخرى خارج إسطنبول، كَرَدٍّ على موقف أنقرة من الأزمة السُّورِيَّة. كُلّ هذه الأمور، الَّتِي ابتعدت من خلالها أنقرة عن القُوَّة النَّاعِمَة في إدارة الأزمات، تركت بصماتها السَّلْبِيَّة على تدفُّقات السِّيَاحَة الوافدة لتركيا(3)؛ الأمر

1. عبدالحافظ الصاوي، "السياحة التُّرْكِيَّة وسهام السياسة"، الجزيرة نت، 9 يناير 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/vgslUf
2. أَسْفَرَ هجومٌ استُخْدِمَت فيه مُتَفَجِّرَات وأسلحة ناريَّة عن مقتل 41 شخصاً في مطار أتاتورك الدَّوْلِيّ في مدينة إسطنبول التُّرْكِيَّة يوم 29 يونيو/ حزيران 2016م. وقد نَفَّذَ هذا الهجوم ثلاثة انتحاريِّينَ، باشروا بإطلاق النار قُرْب مدخل مبنى المسافرين الدَّوْلِيِّينَ في المطار، ثم فجَّروا أنفسهم بعد أن تصدَّت لهم الشرطة، وأَطْلَقَتْ النار عليهم. "41 قتيلاً في تفجيرات مطار أتاتورك في إسطنبول، بي بي سي عربي، 29 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ZbpZL7.
3. عبدالحافظ الصاوي، "السياحة التُّرْكِيَّة وسهام السياسة"، مرجع سابق.

الَّذِي يُقَوِّي ويُعَزِّز من أهَمِّيَّة اســـتخدام القُوَّة النَّاعِمَة في تحقيق الأهداف، والبُعْد كلما أمكن عن مثيلاتها الصَّلْبَة ذات التداعيات غير مأمونة المخاطر.

وبنـــاءً عليه، يمكن القول: إنَّ الدَّوْلَـــة التُّرْكِيَّة، تحت حكم حزب "العدالة والتَّنْمِيَة"، لا يمكـــن أن تَتَخَلَّى عن قُوَاها النَّاعِمَة تماماً لصالح نظيراتها الصَّلْبَة؛ إذ إن الخَلْفِيَّة التَّارِيخِيَّـــة والحَضَارِيَّة لتركيا، الَّتِي تُمَثِّل أحد أهم مصـــادر القُوَّة النَّاعِمَة لأحفاد العثمانيِّينَ، تَمَّ تصديرها مع بزوغ نجم الرئيس التُّرْكِيّ السَّـــيِّد رجب طَيِّب أردوغان، لتكون هي مســـتقبل الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة في المنطقة. لكـــن، ومن جانب آخر فإنّ طبيعة التَّوَتُّرات والتجاذبات الإِقْلِيمِيَّة بالمنطقة، الَّتِي تكاد تخلو تماماً من أي مشروع عَرَبِيّ - سُـــنِّيّ حقيقيّ في مواجهة المشروع التَّوَسُّعي الإيراني - الشيعي، الَّذِي ترفضه دول المنطقـــة، تجعل من التمدُّد الإِقْلِيمِيّ لتركيـــا ضرورة في الوقت الحالي على نحو ما توضِّحه بعض أجزاء هذه الدراسة.

وللتذكير، فالعثمانيُّونَ هَيْمَنُوا لعدة قرون (قبل القرن العشرين) على منطقة شاسعة، من شرق أوروبا إلى ما يُعرف اليوم بالجزائر (كما شَـــكَّلَها الاستعمار الفرنسيّ) على حـــدود المملكة المغربيَّـــة، وجعلوا من المنطقة (الحوض المتوســـطيّ) فضاءً للتعايش والتمازج؛ وهو إِرْثٌ لا يزال حاضراً اليوم في عادات الدول المجاورة.

لكنَّ الْوَضْعِيَّة ســـتتغير في القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاســـع عشر، والَّتِي ســـيتلقَّى فيها العُثْمَانِيُّونَ الهزيمة تِلْو الأخرى، وسيعانون تَبِعَات الهيمنة الأُورُوبِيَّة، وســـيتجلَّى ذلك عبر معاهدة سيفر(1) ســـنة 1920م (عَقِبَ هزيمة الحرب العَالَمِيَّة

1. معاهدة ســـيفر [وتســـمى أيضاً معاهدة الصلح] تَمَّتْ بين تركيا العُثْمَانِيّة في 10 أغســـطس/آب عام 1920م عَقِبَ الحرب العالميَّة الأولى بين الدولة العُثْمَانِيّة وقُوَّات الحلفاء، وتُمَثِّل بنودها ظُلْماً وإجحافاً بالدولة التُّرْكِيَّة ، وذلك لأنها أُجْبِرَتْ على التنازل عن مســـاحات شاســـعة من الأراضي التي كانت واقعة تحت نفوذها، وقد نصَّتْ هذه المعاهـــدة عـــلى: منح تراقيا والجزر التُّرْكِيَّـــة الواقعة في بحر إيجه لليونان. الاعتراف بكل من ســـوريا والعراق كمناطق خاضعة للانتداب. الاعتراف باستقلال شبه الجزيرة العَرَبِيَّة. الاعتراف باستقلال أرمينيا. اعتبار مضائق البسفور والدردنيل مناطق مُجَرَّدَة من السلاح وتحت إدارة عصبة الأمم. للمزيد يُنْظَر: سيفر، معاهدة، موسوعة السياسة، عبدالوهاب الكيالي، ص 403، المجلد 3، المُؤَسَّسَة العَرَبِيَّة للدراسات والنشر، بيروت ط 2 سنة 1993م.

الأُولَى)، الَّتِي ســـتعمل على إضعاف تركيا وتفكيك إمبراطوريَّتها، وبثّ صورة سَلْبِيَّة عن الأتراك بين حوض البحر الأبيض المتوسط والعالم العربي، للانتقال بعيداً عنها، والبحث عن بديل آخر قريب، ألا وهي أوروبا، كمكان للتَّقَدُّم والتَّطَوُّر.

فيما مُنِحَتْ تركيا العضويَّة في مُنَظَّمَة حلف شمال الأطلسيّ[1] بتاريخ أكتوبر 1951م، يراهـــا البعض غـــير كاملة، بما أنها لا تمْنَح إلا دوراً تَكْمِيلِيّاً في إطار الاسْـــتراِتِيجِيَّة الشَّـــامِلَة للحلف الأطلسي، الَّذِي جعلها حارس البَوَّابَة الجنوبيَّة لمنع انتشـــار النِّظَام السُّـــوفِيِيتِيّ. ولكن على الرَّغْم من انتهاء الحرب الباردة، بقيت تركيا لفترة حبيســـة التقسيم المتجاوز والقديم للعالم، في انتظار سِيَاسِيِّين أَكْفَاءَ وذوي نظرة اسْتراِتِيجِيَّة ثاقبة مثل أحمد داود أوغلو لكي تَتَحَرَّك المواقف، بل لِتَتَغَيَّر وتَتَطَوَّر.

ورغم كونها عضواً في مجموعة العشرين، فقد عانت تركيا من تجاهل أعضاء الاتِّحَاد الأُورُوبيّ لطلباتها في الاندماج ضمن المنظومة الأُورُوبِيَّة، بعد أن بذلت جهوداً هائلة للانضمام إليها، مَا جعلَها تَتَحَوَّل إلى منطقة آسيا الوسطى والعالم العَرَبِيّ والإِسْلاَمِيّ، وأيضـــاً إفريقيا كقَارَّةٍ تَتَوَفَّرُ فيها تركيا هناك على 30 قنصليَّة وســـفارة. فتركيا الَّتِي دعمـــت بسرعة الربيع العربي، واندفع رئيس وزرائها إلى تونس وليبيا ومصر لتقديم المشورة بشأن السِّيَاسَات المُتَّبَعَة، وكذلك المساعدات المَالِيَّة. سافر كذلك إلى الصومال؛ حيـــث لا أحد يجرؤ على الذهاب إلى هناك. أدار ظهـــره لإسرائيل بعد 60 عاماً من علاقاتٍ وُصِفَتْ بما يقرب الكمال، اســـتقبل قادة حـــماس، ودعا إلى رحيل الرئيس السوري بشار الأسد عن السُّلْطَة.

1. مُنَظَّمَة حلف شـــمال الأطلسي: هي مُنَظَّمَة تَأَسَّسَـــتْ عام 1949م بناءً على معاهدة شـــمال الأطلسيّ التي تَمَّ التوقيع عليها في واشـــنطن في 4 أبريل ســـنة 1949م. يُشَكِّل الناتو نظاماً للدفاع الجماعي تَتَّفِق فيه الـــدول الأعضـــاء عـــلى الدفاع المُتَبَادَل ردّاً على أيّ هجوم مِن قِبَل أطـــرافٍ خَارِجِيَّة. ويقع المَقَرّ الرئيس للناتو في هارين، بروكسل، بلجيكا. ويضم الناتو 29 بلداً من أمريكا الشماليَّة وأوروبا. وتشارك 21 دولة أخرى في برنامج الشراكة من أجل السلام التابع لمُنَظَّمَة حلف شمال الأطلسي، مع مشاركة 15 بلدا آخر في برامـــج الحوار المُؤَسَّـــسِي. (حلف شـــمال الأطلسي، الجزيرة نت، 13 يوليـــو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/RgdF8k).

يبقى إذن، الانتقاد المُسْــتَمِرّ من بعض المُحَلِّلِينَ السِّيَاسِيِّينَ الغَرْبِيِّينَ لموقفِ الحكومة التُّرْكِيَّة إزاءَ قَضِيَّة كُرْدستان من جانبٍ، وتَعاطِيها مع أصواتِ المُعارَضَة السِّيَاسِيَّة في الشَّــارع التُّرْكِيّ من جانبٍ آخر؛ إذ يصفونه بـ"السُّلْطَوِيّ"، مُؤَكِّدِينَ أنَّه ليس بالشَّيءِ الجديدِ؛ وذلك رجوعاً لمسيرة مصطفى كمال أتاتورك الَّذِي حَكَمَ البلادَ بِقَبْضَةٍ حَدِيدِيَّةٍ عَبْرَ إِسْكَاتِ أصواتِ المُعارَضَةِ في سنوات العشرينيَّات والثلاثينيَّات من القرن الماضي، وفَرَضَ مســيرةً إجباريَّة للتَّحْدِيثِ والتَّطَوُّرِ، ويتســاءلون إنْ كانتْ تركيا تَشْهَدُ اليومَ وَضْعاً مُمَاثِلاً لذلك أم لا.

وتُمَثِّــلُ هذه الاتِّهَامات المُوَجَّهَة للحكومة التُّرْكِيَّــة وَرَقَة ضَغْطٍ كُبْرَى عليها لِتَحْجِيمِ دَوْرِهَا في منطقةِ الشَّرْقِ الأَوْسَــطِ، وبخَاصَّةً فيما يَتَعَلَّقُ بالقَضِيَّةِ الفلسطينِيَّة، ومَنْعِها مِن أنْ تكونَ رُمَّانَة الميزانِ بين القُوَى الغربيَّة الدَّاعِمَة للكِيَانِ الصُّهْيُونيّ وبين الدول العربيَّة، وفي الوقت ذاتــه تضعُها هذه الأقاويل في موقفٍ حَرِجٍ للغايَة بدعوى أنها تَكِيل بِمِكْيَالَيْنِ في قضايا تقرير المصير.

وبعيداً عمَّا تُمَثِّلُهُ قضيَّة كردســتان للأَمْنِ القَوْمِيِّ التُّرْكِيّ، فإنَّها واحدةٌ مِن القضايا الإقليميَّة المَوْرُوثَة عن قرارات تَقْسِــيمٍ غَرْبِيَّةٍ منذ أوائــل القرن العشرين، والمُغَلَّفَة بالمَآسِي والدَّم والدُّخَان، وستكون لها ولا شَكَّ مزيدٌ مِن العَوَاقِبِ والتَّدَهْوُرِ الأَمْنِيِّ لا يمكن إغْفَالُها عَلَى المنطقةِ والعَالَم بأَسْرِهِ. وهو ما يَضَعُ القُوَّةَ النَّاعِمَةَ لتركيا أمام مَحَكٍّ تَارِيخِيٍّ وسِــيَاسِيٍّ صَعْبٍ، يَسْتَلْزِم أيضاً الاستفادَة مِن مساحات القُوَّة الذَّكِيَّة، كاتِّجَاهٍ جَدِيدٍ لتَحْقِيق المصالح وَحَلّ المَشَاكِل المَطْرُوحَة أمام الأمنِ القَوْمِيّ.

الفصل الثالث

القُوَّة الذَّكِيَّة وسياساتها

- **مقدمة**
- **المبحث الأَوَّل: مفهوم القُوَّة الذَّكِيَّة**
  - القُوَّة الذَّكِيَّة.. نماذج وتطبيقات
  - القُوَّة الذَّكِيَّة.. تمظهرات وخلاصات
  - تَطَوُّر مفهوم القُوَّة الذَّكِيَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة

- **المبحث الثاني: الدول الَّتي تَتْبَع سياسة القُوَّة الذَّكِيَّة**
  - أولاً: الولايات المُتَّحِدَة
    - » عوامل نجاح القُوَّة الذَّكِيَّة في الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة
  - ثانياً: روسيا
  - ثالثاً: الاتِّحَاد الأُورُوبيّ
  - رابعاً: الصين
  - خامساً: إيران
  - سادساً: تركيا
  - سابعاً: قطر
  - ثامناً الإمارات العَرَبِيَّة المُتَّحِدَة

- **المبحث الثالث: تَحَدِّيَات استخدام القُوَّة الذَّكِيَّة**
  - أولاً: التَّحَدِّي المُؤَسَّسَاتي
  - ثانياً: التَّحَدِّي السِّيَاسِيّ

الفصل الثالث

القُوَّة الذَّكِيَّة وسياساتها

مقدمة

القُــوَّة الذَّكِيَّــة Smart Power كوافد نَظَرِيّ جديد على حقل العلوم السِّيَاسِــيَّة والاسْــتِرَاتِيجِيَّة، تمُثِّله تطبيقات إدارة الرئيس الأمْرِيكِيّ السابق باراك أوباما في تعاملها، وتَدَخُّلها في أزمات العالم.

وهـــي بمثابة ذلك الزواج المثمر من جهة، بـــين المفاهيم المعروفة عن القُوَّة الصَّلْبَة، في صورة السُّـــلْطَة القَسْرِيَّة بالقُوَّة أو التَّهْدِيد الَّذِي يتجسَّـــد في البنتاجون (أيقونة رمزيَّة وفِعْلِيَّة لقُوَّة أمريكا)، والقُوَّة النَّاعِمَة من جهة أخرى، في صورةٍ جذَّابَة ومُقْنِعَة تُجسِّـــدها مؤسستا هوليوود وهارفارد، الفَنِّيَّة والأَكَادِيمِيَّة على التوالي. وبالتَّالي فإن نتيجة هذه الإضافة، تُفرِز مزيجاً من المهارة والخبرة الَّتِي تُبْنَى عليها قُوَّة الذكاء، أو القُوَّة الذَّكِيَّة.

وتُعْتَبَر القُوَّة بأنواعها: سِيَاسِيَّة كانت، أم اقْتِصَادِيَّة، ثَقَافِيَّة أو عَسْكَرِيَّة.. إلخ، من أهم عنـــاصر الدَّوْلَة ومُكَوِّنَاتها، فالقُوَّة في إطـــار جدليَّة "العصا والجزرة". إمَّا أن تكون صَلْبَة تُجيز استعراض القُوَّة على سبيل التَّهْدِيد أو استعمالها. وإمَّا ناعمة تعتمد الإقناع والجَاذِبِيَّة أو المكافأة، كما وَرَدَ في الفصلين السابقين.

وفي هذا تَعتَمِد كُلّ دولةٍ من الدول العظمى في العالم أو حتى النامية منها، الَّتِي تسعى إلى إيجاد مكان لها بين الكبار، إلى استعراض واستعمال القُوَّة حسب الظروف والمستجدَّات، مع التَّوَجُّه الواضح في عصرنا الحالي نحو سياســـات مُعْتَدِلَة في أغلب جوانبها، وابتكار أساليب جديدة في هذا السياق، مما أدَّى إلى ظهور مفهوم "القُوَّة الذَّكِيَّة".

وفي مبحث الدراســـة الثالث هذا سنتطرَّق لمفهوم القُوَّة الذَّكِيَّة؛ مظاهرها الخَاصَّة، وتطوُّرها في العلاقات الدَّوْلِيَّة، إضافة إلى بعض النماذج الَّتِي تَتَّبِعُهَا جملةٌ من الدول في تدبـــير علاقاتها الخَارِجِيَّة؛ الإِقْلِيمِيَّة والدَّوْلِيَّة، وكذلك التَّحَدِّيَات المطروحة أمام اســـتخدام هذا النوع من القُوَّة، وذلك بُغْيَةَ فَهْمٍ أكثرَ واستيعابٍ أفضلَ لمُقَوِّمَات قُوَّة تركيا النَّاعِمَة، الَّتِي هي أساس أطروحتنا في هذا البحث.

المبحث الأول

مفهوم القُوَّة الذَّكِيَّة

تُعَرَّفُ القُوَّة الذَّكِيَّة على أنها القُوَّة الَّتي تجمع ما بين نظيرتيها: النَّاعِمَة والصَّلْبَة، أي: الربط بين السلاســة والشِّــدَّةِ لتحقيق أهداف مُعَيَّنَة في إطار توازن مُحَدَّد لِلْقُوَّتَيْنِ معاً. فبواســطة القُوَّة النَّاعِمَة يمكن تحقيق الأهداف المرجُوَّة عن طريق الترغيب والجَذْب والقُدْرَة على الاســتقطاب والإقنــاع، من خلال جَاذِبِيَّة الدَّوْلَة الثَّقَافِيَّة أو السِّيَاسِيَّة أو الإعْلاَمِيَّة.. إلخ، في تدبير علاقاتها مع الحلفاء أو غيرهم، وأيضاً تقديم المســاعدات الاقتِصَادِيَّة، والاســتثمار في التبادل الثَّقَافِيّ مع الدول الأخرى، وَخَلْق رأي عامٍّ مُوَالٍ.

في حين تجد القُوَّة الصَّلْبَة ترجمتها في ما يلي من مظاهرها (1):

- **العَسْــكَرِيَّة**، عبر لغة الحرب والقُــوَّة المباشرة، وما يرتبط بها من أفعال التَّدَخُّل والتَّهْدِيد على العموم.
- **السِّيَاسِــيَّة**، بواســطة لغة المضايقة والتعرُّض للمصالح عبر الهيئــات الدَّوْلِيَّة والإِقْلِيمِيَّة.
- **الاقتِصَادِيَّــة**، من خلال لغة الضغط والمقاطعة والحصــار، مع التلويح الدائم بإمكانيَّة استخدام القُوَّة.

---

1. إيمان مصطفى "القُوَّة النَّاعِمَة في السياسة الخَارِجِيَّة"، فكر أونلاين، 3 مارس 2016م. متاح على الرابط التالي: goo.gl/G7EZxF

القُوَّة الذَّكِيَّة كمفهوم تَعَرَّضَ له ضِمْنَ آخرين، بالشرح والتوضيح أيضاً، عالِمُ السِّيَاسَة الأَمْرِيكِيّ الشهير جوزيف ناي Joseph Nye، مُعَرِّفاً إيَّاها بأنها القُوَّة الَّتِي تجمع بين القُوَّتَيْنِ: النَّاعِمَة والصَّلْبَة في اسْـــتِرَاتِيجِيَّة واحدة ناجحة؛ إذ يمكن تحقيق الأهداف المرجوَّة عن طريق الترغيب والجَذْب، والقُدْرَة على الاستقطاب والإقناع، لا عن طريق الشراء (الفساد) أو الإكراه والإجبار(1).

ما طرحه جوزيف ناي عن مفهوم "القُوَّة الذَّكِيَّة" يصبّ في فكرة أن تحقيق الأهداف على صعيد السِّيَاسَـــة الخَارِجِيَّة، لا يَتَأَتَّى من خلال تَبَنِّي أداة القُوَّة النَّاعِمَة وحدها؛ إذ لا بُدَّ من ضرورة الانتقال إلى مفهوم أوســـع للاسْـــتِرَاتِيجِيّات المُتَّبَعَة في سياسات الدول، في ارتباط وثيق مع مفهوم القُوَّة الصَّلْبَة الَّتِي لها دورها الحاســـم أيضاً في السِّيَاسَات الدَّوْلِيَّة.

في حين، يُعَرِّف إرنست ويلسون Ernest Wilson القُوَّة الذَّكِيَّة على أنها "قُدْرَة الفاعل الدَّوْلِيّ على مَزْج عناصر القُوَّة الصَّلْبَة والقُوَّة النَّاعِمَة بطريقة تضمن تدعيم تحقيق الأهداف بكفاءة وفَاعِلِيَّة"(2).

وخلال القـــرن العشرين تَمَّ الترويج لجملة مفاهيم تَنْضَـــوِي تحتها دلالات ترتبط بفلســـفة مُنَظِّرِيهَا لها علاقة بعناصر وتطبيقات القُوَّة الصَّلْبَة ونظيرتها النَّاعِمَة، في تَطَوُّر زَمَنِيّ ومَنْهَجِيّ مَوْضُوعِيّ إلى غاية ظهور الحاجة إلى قُوَّة جديدة تعتمد الذكاء

1. شريف علي محمد، القُوَّة الذَّكِيَّة في الفكر الأَمْرِيكِيّ "جوزيف ناي: القُوَّة الذَّكِيَّة"، مجلة كليَّة الملك خالد العَسْكَرِيَّة الإلكترونيَّة، الرياض، 1 أكتوبر 2009م.
2. يمنى سليمان، "القُوَّة الذَّكِيَّة: المفهوم والأبعاد دراسة تأْصِيلِيَّة"، المعهد المصري للدراسات السِّيَاسِيَّة والاستِرَاتيجِيَّة، 12 يناير 2016م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/gyr2dw

في الْمَزْجِ بين هذين المُكَوِّنَيْنِ الأَسَاسِــيَّيْنِ المَذْكُورَيْنِ، والمُسْتَهْلَكَيْنِ في إطار مفاهيم مُتَنَقِّلَة، شَــكَّلت مادةً للاستعمال الانتقائيّ في إطار ما يمكن تسميته بالمدِّ والجَزْرِ في العلاقــات الدَّوْلِيَّة، على غِرَار عناوين: الحرب الباردة(1)، وحرب النجوم(2)، وحرب التحالف لأجل إعادة الشَّرْعِيَّة(3)، والحرب على الإرهاب(4)، وغيرها.

1. أول مَن استخدَم هذا المصطلح الكاتب الإنجليزيّ جورج أورويل في مقال نشره العام 1945م، ويُقْصَد به مواجهة سياسيَّة وأيديولوجيَّة مُسْتَتِرة حدثت بعد انتهاء الحرب العالميَّة الثَّانِيَة خلال الفترة بين العامَيْنِ 1947- 1991م، وانقســمت القُــوَى العُظْمَى إلى قِسْــمَيْنِ؛ الليبراليّ بقيادة الولايــات المُتَّحِدَة الأمريكيَّة وحلفائهــا، والشــيوعيّ بزعامة الاتحاد الســوفييتيّ وحلفائه، بحيث يقود كلُّ طــرف حرباً غير مباشرة للســيطرة على الطرف الآخر، باســتخدام القُوَّة الناعمة مثل: وسائل الإعلام والفنّ. للمزيد يُنْظَر: ما هي الحرب الباردة؟، موقع "موضوع"، 21 يناير 2018م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/euapzd.
2. ظهَر هذا المصطلح في الثمانينيَّات خلال فترة الحرب الباردة بين الولايات المُتَّحِدَة الأمريكيَّة والاتِّحاد الســوفييتيّ، ويُقْصَد به مبادرة الدفاع الاســتراتيجيّ التي تمَّ تدشــينها بمبادرة مــن الرئيس الأمريكي رونالد ريجان؛ لاستخدام الأرض والنُّظُم الفضائيَّة لحماية بلاده من هجوم الصواريخ البالستيَّة النوويَّة الاســتراتيجيَّة، ورصدت واشــنطن لهذه المبادرة موازنةً ضخمةً وأحاطتها بأقصى درجات السِّرِّيَّة، لكنها سمحت لحلفائها، مثل: بريطانيا وألمانيا وفرنسا وإسرائيل، بالاشتراك معها. للمزيد: ينظر: حرب النجوم، موقع "شــبكة الأخبار العربية"، 5 أغســطس 2015م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/UwPhJ1
3. هي الحرب التي شَــنَّتْهَا دولٌ عربيَّة بقيادة المملكة العربيَّة الســعوديَّة في اليمن؛ حيث شملت (السعوديَّة ومصر والمغرب والأردن والسودان والإمارات العربيَّة المُتَّحِدَة والكويت وقطر والبحرين) ائتلافاً عسكريّاً ضِدَّ القوات الحوثيَّة المعارضة للرئيس اليمني عبد ربّه منصور هادي، استجابةً لطلب الأخير بعد هجوم الحوثيِّينَ على العاصمة المؤقَّتَة عدن، وقد بدأت الحرب بتنفيذ هجمات جويَّة على الحوثيِّينَ في مارس 2015م، تحت مســمى "عمليَّة عاصفة الحزم". للمزيد يُنْظَر: القوى العســكرية المشــاركة في "عاصفة الحــزم" ، موقع "دويتشــه فيله"، 26 مارس 2015م، تاريخ الزيــارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/hjNmry.
4. أطلقَــتْ الولايــات المُتَّحِدَة الأمريكيَّــة هذا المصطلح عقب هجمات 11 ســبتمبر 2001م، بهدف القضاء على الإرهاب ومحاربة الدول التي تدعمه، وقد شَــنَّتْ واشــنطن - في إطار هذه الحرب- حملة عسكريَّة واقتصاديَّة وإعلاميَّة مع حلفائها الأوروبيِّينَ، وشكَّلت هذه الحرب انعطافة غير مسبوقة وبالغة الخطورة في التاريــخ العالمــيّ بأَسْرِه؛ كونها غير واضحــة المعالم وتختلف عن الحــروب التقليديَّة بتعدُّد أبعادها وأهدافهــا. للمزيــد يُنْظَر: الحرب على الإرهاب ،موقع "المعرفــة"، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/hmDHYW.

إجـــمالاً، ترتكز القُوَّة الصَّلْبَة Hard power إذن، على مفهوم الضغط بمعناه المادي. فعندما نكون في موقع قُوَّة مثلاً، يمكن إكراه وإجبار الآخرين على الخضوع لأوامرنا ورَغَبَاتِنَا، وذلك عبر كَمٍّ مُتَنَوِّع من الأســلحة؛ النارِيَّة منها والمَالِيَّة، والسَّــيْطَرَة على التَّدَفُّقَات المَادِّيَّة، وأيضاً إخضاع القادة إلى غير ذلك من تلك الوســائل، وفي المقابل تســتند القُوَّة النَّاعِمَة Soft power على أسس التكييف والتَّحَكُّم في المعلومة، وباقي أســاليب التَّأْثِير. وذلك في حال الوجود في وَضْعِيَّة سلطة مَعْنَوِيَّة مُعْتَرَفٍ بها ضِمْنِيّاً، حتى ولو كانت محل تنديد صريح. أي كَيْفِيَّة إدخال الآخرين دون وعي منهم بالخَلْفِيَّات الحقيقيَّة، إلى ترتيباتك وخططك وفق الأهداف المُسَــطَّرَة لحماية وتنمية مصالحك. وتحتمل القُوَّة المُؤَثِّرَة والفاعلة في هذا الصدد، عِدَّة رموز أمْرِيكِيَّة كلاسيكيَّة على سبيل المثال: هوليوود، هارفارد، مارلبورو، شوينغ غام chewing - gum، جينز.

القُوَّة الذَّكِيَّة.. نماذج وتطبيقات:

"القُوَّة الذَّكيَّة" كمفهوم قديم حديث، إذن، تؤطِّر مبادرة حركة الرؤساء الديمقراطيِّينَ في الولايات المُتَّحِدَة ما بعد الحرب العَالَمِيَّة، ابتداءً من هاري ترومان (1) Harry Truman من خلال توفير المســاعدات الأمْرِيكِيَّة لإعادة بناء الديمقراطيَّات على أنقاض الدمار الهائل في أوروبا، إلى غاية تَوَجُّهَات بِيل كلينتون(2) Bill Clinton في البوسنة وكوسوفو

1. هاري ترومان (8 مايو 1884- 26 ديسمبر 1972)، هو الرئيس الثالث والثلاثون للولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة، تَوَلَّى المنصب من 12 أبريل 1945 حتى 20 يناير 1953م، كان ترومان يشـغل منصب نائب الرئيس الأمْرِيكِيّ لمدة 82 يوماً ثم تَوَلَّى الرئاسة خلفاً للرئيس فرانكلين روزفلت الذي تُوُفِّيَ في المنصب، أشرف ترومان على إنهاء الحرب العالميَّة الثَّانِيَة واستسلام كلٍ من ألمانيا النازيَّة واليابان، كما أمر بإطلاق قُنْبُلَتَي هيروشيما وناجازاكي في أغسطس 1945م، وعمل على إنشــاء مُنَظَّمَة حلف شــمال الأطلسي في عام 1949م، كذلك بدأت في عهده الحرب الباردة بين الولايات المُتَّحِدَة والاتِّحَاد السُّــوفييتِيّ، كما ســاهم في التَّدَخُّل العَسْــكَرِيّ في الحرب الكوريَّة عام 1950م. (Harry S. Truman, Encyclopaedia Britannica, available at: goo.gl/GKaiun)
2. بيل جيفرسون كلينتون (19 أغسطس 1946م)، رئيس الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة الثاني والأربعون، انتخب لفترتين رئاسيتَيْنِ متتاليتَيْنِ بين عامي 1993 و2001م، يُعَدُّ ثالث أصغر رئيس للولايات المُتَّحِدَة بعد ثيودور روزفلت وجون كينيدي. تَوَلَّى الرئاسة بعد نهاية الحرب الباردة. (Bill Clinton, Encyclopaedia Britannica, available at: goo.gl/fxbbsF).

والشرق الأوســط، ومروراً بجون كينيدي(1) John Kennedy مع هيئات السلام Peace Corps. علماً بأنه عبر خلق فضاء للاتِّحَاد الأُورُوبيّ، تَمَّ ابتكار القُوَّة الذَّكِيَّة عَمَلِيّاً دون تسميتها. وبالتَّالِي تَمَّ وضعها موضع التنفيذ في حِقْبَة الخمسينيَّات إلى غاية السبعينيَّات من القرن الماضي، قبــل العودة القَوِيَّة للدول الْمَعْنِيَّة للحديث عن أوروبا قَوِيَّة موحَّدَة بعملتها وجيوشها وسياساتها ورؤيتها الجيوسِيَاسِيَّة الخَاصَّة.

وفي ســياق القطيعة مع السِّيَاسَات الَّتِي ينادي بها المحافظون الجُدُد، فإن مفهوم القُوَّة الذَّكِيَّة الَّذِي ابتكرته ســوزان نوســيل(2) Suzanne Nossel بعقليَّة "الأُمَمِيَّة اللِّيبرَالِيَّة" كوصفة لإعــادة تأهيل الأُحَادِيَّة والتحالفات، والحذر في قلــب الفعل الدبلوماسيّ، قد توفَّرت له عوامل التجريب الحقيقيّ عبر النِّزَاع الأخير في غَزَّة. وشكَّلَ ذلك فرصةً للرئيس باراك أوباما Barack Obama لتنفيذ هذه العقيدة السِّيَاسِيَّة الجديدة؛ نداءً لاستعادة مُنَاخ الثقــة والاحترام المتبادَل بين العرب والإسرائيليين، والعمل على إقامة شراكةٍ جديدةٍ بين الولايات المُتَّحِدَة والعالم العربيّ، وكذلك الإعلان عن عودة وشيكة لمفاوضات السلام(3). أما هيلاري كلينتون(4) Hillary Clinton ، سكرتيرة الدَّوْلَة، وزيرة الخَارِجِيَّة (2009 - 2013م) المُعَيَّنَة من طرف أوباما في بيانها الافتتاحي خلال جلســة اســتماع أمام لجنة العلاقات الخَارِجِيَّة بمجلس الشيوخ، فقد قالت بوجوب استخدام ما يُسَمَّى القُوَّة

1. جــون فيتزجيرالــد "جاك" كينيــدي (29 مايو 1917- 22 نوفمبر 1963)، سِــيَاسِيّ أمْرِيكِيّ تَوَلَّى منصب الرئيس الخامــس والثلاثــين للولايــات المُتَّحِــدَة من 20 يناير 1961م حتــى اغتياله في 22 نوفمــبر 1963م. (John F. Kennedy, Encyclopaedia Britannica, available at: goo.gl/4zRJrZ).
2. المدير التنفيذي لمُنَظَّمَة مركز «القلم الأدبيَّة» الأمْرِيكِيَّة، وشغلت منصب مديرة مُنَظَّمَة العفو الدَوْلِيَّة في الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة.(SUZANNE NOSSEL, PEN America, available at: goo.gl/8SXEtj).
3. Hendrik Hertzberg, "SMART POWER", The New Yorker, JANUARY 26, 2009, available at: goo.gl/CBj12F
4. هيلاري كلينتون (26 أكتوبر 1947م) سِيَاسِيّة أمْرِيكِيَّة، تَوَلَّتْ منصب وزير الخَارِجِيَّة الأمْرِيكِيّ السابع والستين، وذلك في عهد الرئيس باراك أوباما في الفترة منذ عام 2009 وحتى عام 2013م. وهي زوجة بيل كلينتون، رئيس الولايات المُتَّحِدَة الثاني والأربعين، عَمِلَتْ كلينتون في مجلس الشيوخ الأمْرِيكِيّ بمدينة نيويورك في الفترة من عام 2001 وحتى عام 2009م. وكانت مرشــحة الحزب الديمقراطي للانتخابات الرِّئَاســيَّة الأمْرِيكِيَّة 2016م، والتي خسرتها لصالح دونالد ترامب. (Hillary Rodham Clinton, Encyclopaedia Britannica, available at: goo.gl/w7usrx)

الذَّكيَّة، كمجموعة أدوات كاملة في متناول الإدارة الأمْريكيَّة، ســـواءً الدُبْلُوماسِـــيَّة، الاقتِصَادِيَّة، العَسْكَرِيَّة، السِّيَاسِيَّة، القَانُونيَّة أو الثَّقَافيَّة منها.(1)

وبالتَّالِي اختيار الأداة المناســـبة، أو مجموعة الأدوات الملائمة، حســـب ما تمليه كُلّ حالة أو ظرفيَّة، فالقُوَّة الذَّكيَّة بمعيَّة الدُبْلُوماسِيَّة إذن (دائماً حسب السيدة كلينتون)، ســـتكون طليعة سياسة واشنطن الخَارِجيَّة. وهي ليست فكرة راديكاليَّة بحسبها؛ حيث تضيـــف كلينتـــون في موضع آخر: "إنَّ التَّهْدِيدَات الأَمْنِيَّـــة اليوم لا يمكن معالجتها بمَعْـــزِلٍ عن غيرها، فالقُوَّة الذَّكيَّـــة تَتَطَلَّب الوصول إلى كُلٍّ من الأصدقاء والأعداء، وتعزيز التحالفات القديمة وإنشـــاء تحالفات جديدة. وهذا يعني تعزيز التحالفات الَّتِـــي صمَدَت أمام اختبار الزمن - خاصة مع شركائنا في حلف الناتو وحلفائنا في آسيا".(2)

القُوَّة الذَّكِيَّة.. تمظهرات وخلاصات:

القُوَّة الذَّكِيَّة الَّتِي أعلنت عنها إدارة الرئيس الأمْريكِيّ الســـابق باراك أوباما، كعقيدة جديدة لتَدَخُّلاَت للولايات المُتَّحِدَة في الخارج وتدبير علاقاتها مع دول العالم، اعتبرت قطيعة وانفصالاً جَوْهَرِيّاً عن الأُحَادِيَّة العدوانيَّة الَّتِي تميَّزت بها فترة رئاســـة جورج بوش الابن. أما بالنســـبة لأوروبا، فقد مثَّلت بالنســـبة إليهـــا فرصة جديدة للتفاعل والتعاون مع هذا البلـــد الَّذِي لا يزال الفاعل المُهَيْمِن في العلاقات الدَّوْلِيَّة، وخَاصَّة في المنطقة الأكثر اضْطِرَاباً في العالم؛ الشرق الأوسط.

1. مصطلح "القُوَّة الذَّكِيَّة" نهج جديد في السياسة الخَارِجيَّة الأمْريكِيَّة خلال رئاسة أوباما، مركز الروابط للبحـــوث الاســـتِرَاتيجِيَّة، 3 نوفمبر 2014م، تاريـــخ الزيارة 16 نوفمبر 2017م ، النص متاح على الرابط التالي: http: //rawabetcenter.com/archives/977
2. "القُوَّة النَّاعِمَة" وحدود التغيير، 28 يناير 2009م، الســـير ســـيريل تاونســـيند، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/5Vsmx

وقد كان المؤتمر السنويّ حول الأمن المنعقد في ميونيخ[1] خلال شهر فبراير 2009م، أول فرصة للأمريكيين لتقديم رؤيتهم الجديدة في هذا الموضوع، وبالنسبة للأوروبيين فرصة للردِّ عليهم. كما شــكَّلت قِمَّة حلف شــمال الأطلسي في أبريل من نفس السنة، موعداً أَسَاسِيّاً لإعادة بناء العلاقات بين ضِفَّتَيِ الأطلسي[2].

إجمالاً، إذن، تأخذ القُوَّة الذَّكِيَّة في حسبانها أن المستقبل لا ينتمي بالضرورة إلى الدول ذات النماذج الاقتِصَادِيَّة، الثَّقَافِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة الأكثر جَاذِبِيَّة، بل تملكه أيضاً الإدارات المتسلِّحة بروح التعاون والبراجماتيَّة؛ حيث الاعتقاد في سلطة الشجاعة والذكاء أكبر. فإذا كان الكثير من الناس في زوايا العالم الأربع، قد سئموا الجانب البلاغِيّ في الخطاب الواصــف لعبارة "القُوَّة النَّاعِمَة" المُفرَّغَة من محتواها في كثيرٍ من تطبيقات القُوَّة لدى واشنطن أو باقي القُوَى الكبرى في العالم، من حيث تكراره كمصطلح في جميع الصور النمطيَّة إلى حَدّ السَّلْبِيَّة، والَّتِي لها كمٌّ كبير من الاستياء والسَّخَط لدى الجمهور الأمريكي، حــول أداء الديمقراطيين والأمن القَوْمِيّ أيضاً. فقد جــاءت "القُوَّة الذَّكِيَّة" للتخفيف والتعويض بإِيجَابِيَّة (بتَحَفُّظٍ) عن ما سبَق من استخدام سيئ لِلْقُوَى السابقة.

وفي مقابــل الانتقادات الكثيرة لتطبيقات القُوَّتَيْنِ الصَّلْبَة والنَّاعِمَة معاً (خصوصاً فيما يَتَعَلَّق بفَاعِلِيَّة الخيار الثاني)، يُبَلْوِرُ جوزيف ناي تقييماً خَاصّاً به حول مســتقبل القُوَّة / السُّــلْطَة كَرَدٍّ عَمَلِيٍّ على تَقَهْقُر النُّفُوذ الأمْرِيكِيّ دون المساس بثوابت القُوَّة في صيغتها

1. مؤتمــر سَــنَوِيّ يُعْقَــدُ في فندق بايريشر هوف في مدينــة ميونخ الألمانيَّة، ويناقش تَحَدِّيَات السِّياسَــة الخارجيَّة والأَمنيَّة العالميَّة، خاصةً فيما يتَعَلَّقُ بالعلاقات الأوروبيَّة والأمريكيَّة، بحضور نحو 250 مشاركاً مــن 40 بلــداً حول العالم، تَمَّ إطلاقُه للمَرَّة الأولى في العــام 1963م، وكان يُطلَق عليه آنذاك "اجتماع العلوم العســكريَّة الدولي"، ثم تَحَوَّلَ إلى "مؤتمر الدَّبَّابَات والصواريخ المضادَّة"، وأخيراً "مؤتمر ميونيخ للأمن". للمزيد يُنْظَر: مؤتمر ميونخ الأمني، موقع "المعرفة"، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/dSyHsD.
2. Steve Benen, "Smart Power", washington monthly, January 13, 2009, available at: goo.gl/4ENSpp

الرَّدْعِيَّة الداعمة. نظريّاً: فالدَّوْلَة المعتَمِدَة على قُوَّة ناعمة تَمَّ تطويرها دون قُدْرَة دِفَاعِيَّة عَسْكَرِيَّة عند الحاجة مثلاً، لا يمكن اعتبارها قُوَّة كبرى. وعلى النقيض، فالدَّوْلَة الَّتِي تمتلك مؤهلات مُهِمَّة في مجال القُوَّة الصَّلْبَة يمكن أن تنجح في تَدَخُّلاَتها العَسْكَرِيَّة، تفادي نزاعات مُعَيَّنَة أو فَرْض وُجْهَات نظرها على الواجهة الدَّوْلِيَّة لِمُدَّةٍ محدَّدَةٍ فقط، وستجد صعوبةً كبيرة في تحويل انتصاراتها إلى "رأسمال" سِيَاسِيّ مثمر!

والأمثل في هذه الحالة، حسب ناي دائماً، هو المَزْج بين الصلب والناعم بصورة واعيَّة في استثمار لقُوَّة الذكاء غير المحدودة كبديل مستقبلي جدّ إيجابي. ففي كتابه "The Future of Power مستقبل القُوَّة"، لا يثور ناي على الأساليب المكتسبة في السِّيَاسَة والعلاقات الدَّوْلِيَّة، في هذا السياق، بل يقتصر فقط على تلخيص واستخلاص المفيد في نماذج ممارسات القُوَّة بأنواعها المعروفة، وبالتَّالِي الانخراط في تمرين استشرافي مستقبلي.

فالكثير من القُوَّة، من ناحية الموارد، يمكن أن تصبح نقمة أكثر منها نعمة، إذا كان هذا يُؤَدِّي إلى الثقة المفرطة في اسْتِرَاتِيجِيّات التحويل في قُوَّة غير ملائمة. فبدايَة القرن الحادي والعشرين، الَّذِي تَمَيَّزَ بتوزيع غير متكافئ لموارد القُوَّة، كان بطبيعة الحال يصبُّ في مصالح الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة، لكن ليس في صالحها إلى الأبد. وبالتَّأْكِيد، لا تزال القُوَّات المُسَلَّحَة والاقتصاد ضرورة لتثبيت تطبيقات القُوَّة الصَّلْبَة، ولكنَّ العصر الحالي هو للتأثير. وهذا التَّأثِير، إذا كان في جزء منه ثَقَافِيّ، وفي آخر سِيَاسِيّ ومتعدِّد الأطراف؛ فالقُوَّة النَّاعِمَة تستغرق وقتاً طويلاً في مراحل تنفيذها، وخصوصاً عندما تمسّ جانب القِيَم السِّيَاسِيَّة الأَسَاسِيَّة، على غِرَارِ الديمُقْرَاطِيَّة. وهذا الوقت الطويل هو ضمانة النجاح وَفْقاً لجوزيف ناي، خلافاً لمحاولات الفَرْضِ القَسْرِيّ الَّتِي انتهجتها إدارة جورج بوش الابن(1)، الَّتِي لم تستوعب أن القضايا النبيلة يمكن أن يكون لها عواقب وخيمة.

1. ولد جورج ووكر بوش في 6 يوليو 1946م، بنيو هافن، ولايَّة كونيتيكت، الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة، هو الرئيس رقم 43 للولايات المُتَّحِدَة خلال الفترة من 2001- 2009م، قاد سلسلة حروب أمْرِيكِيَّة رداً على هجمات 11 سبتمبر 2001م، تمثلت في الحرب على أفغانستان 2001م، والحرب على العراق في عام 2003م. قبل انتخابه رئيساً كان بوش رجل أعمال، وعمل حاكماً لولايَّة تكساس خلال الفترة (1995- 2000م). George W. Bush, Encyclopaedia Britannica, available at: goo.gl/D7vE39

تَطَوُّر مفهوم القُوَّة الذَّكِيَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة:

ظهر فشل الاعتماد على سياسات القُوَّة الصَّلْبَة والنَّاعِمَة جَلِيّاً فيما سُمي بالحرب ضِدَّ الإرهاب. وكان لا بُدَّ من التَّوَجُّه إلى مفهوم "القُوَّة الذَّكِيَّة" لمواجهة خطر هذا الوافد الجديد، جماعات متطرفة وذئاباً منفردة.

وترتكز القُوَّة الذَّكِيَّة على سياسات الإدماج والدعم، سواءً في بناء العلاقات مع كُلّ من الأصدقاء والأعداء، التحالفات القديمة والشراكات الجديدة، حتى لو كان الاختلاف قائماً مع تَوَجُّهَات بعض الحكومات في هذه الدول. في ظِلِّ تراجع القُوَّة العَسْكَرِيَّة، وعدم نجاعة الفصل بين القُوَّة الصَّلْبَة ونظيرتها النَّاعِمَة في السياق الدَّوْلِيّ الحالي، لا سِيَّمَا مع ظهور "فواعل" غير دَوْلِيَّة عَرَفَتْ كيف تدمج بين القُوَّتَيْن النَّاعِمَة والصَّلْبَة. من جانب آخر، أصبح عصر العولمة يفرض قيوداً على استخدام القُوَّة، ومعها الاسْتِرَاتِيجِيَّة المُتَّبَعَة لتحقيق المصالح والأهداف المنشودة في السِّيَاسَة الدَّوْلِيَّة. ويرجع ذلك إلى التغيير الَّذِي طال طبيعة النِّظَام الدَّوْلِيّ، قضايا وموضوعات، كما مسَّ طبيعة الأمم والشُّعُوب، دون إغفال كثافة وسرعة تنقل المعلومات ما أدَّى إلى خَلْق مُنَاخ مختلف على صعيد العلاقات الدَّوْلِيَّة، وأصبحت المعلومات هي مركز القُوَّة لمن يملكها، ويحسن توظيفها، وقد ظهر ذلك جَلِيّاً فيما عُرِفَ بالحروب الإلكترونيَّة ومثيلاتها الخَاصَّة بشبكات الاتِّصَالات (1).

وبناءً عليه، أصبح هناك اقتناع عامّ في أوساط "الثمانيَّة الكبار" إلى عدم اعتماد القُوَّة العَسْكَرِيَّة كحَلٍّ وحيد لإنفاذ سياساتها الخَارِجِيَّة، وأصبح التَّوَجُّه نحو السِّيَاسَة الاقتِصَادِيَّة أكثر من أيّ وقت مضى مُلْهِماً لحلول جديدة وبدائل مقبولة، تُبْرِزُ قُدْرَة الدول العظمى على تسخير وخلق المعرفة والمعلومات حول العالم لزيادة قُوَّتهَا.

1. سماح عبدالصبور، القُوَّة الذَّكِيَّة في السياسة الخَارِجِيَّة: دراسة في أدوات السياسة الخَارِجِيَّة الإيرانيَّة تِجَاه لبنان منذ 2005م، رسالة مُقَدِّمَة لنيل درجة الماجستير، كَلِيَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، جامعة القاهرة، 2013م.

كما أنَّ امتلاك المصادر الصَّلْبَة والنَّاعِمَة، مع المزج بينهما، لا يكفي لإنتاج قُوَّة ذكيَّة فاعلة، بل هناك القُدْرَة على التَّوْظِيف الجَيِّد، مع اختيار الظرفيَّة الزمنيَّة الصحيحة والنَّوْعيَّة المحدِّدة في هذا الموقف أو ذاك، مع الوعي بتوقيت وكَيْفِيَّة الدمج بين عناصر القُوَّة الصَّلْبَة والنَّاعِمَة في اتجـــاه مركَّب، نُمَثِّل لها بجميع المبادرات السِّيَاسِـــيَّة الَّتِي أُطلقت خلال وَلَايَتَي أوباما، الَّتِي اتَّخَذَتْ شكل "التَّحَرُّكات الذَّكِيَّة" تجاه روسيا، إيران، وكذلك مع الحكومة الإسرائيليَّة، لاستعادة المِصْدَاقِيَّة الأمْرِيكِيَّة المفقودة في ميزان الصِّرَاع العَرَبِيّ الإسرائيلي.

ويمكن القول: إنَّ ثمَّة بِضْعَة شروط واجبة لتحقيق مفهوم "القُوَّة الذَّكِيَّة" بطريقة صحيحة، لعل أهَمّهَا(1):

1. إدارة الأدوات القابلة للاســـتخدام، بالإضافة إلى وقت وكَيْفِيَّة توظيفها، ســـواءً منفصلة أم مشتركة مع غيرها.
2. تحديد الهدف من ممارســـة القُوَّة، فالقُوَّة لا يمكن أن تكون ذكيَّة دون أن يعرف ممارسوها الهدف من استخدامها والشُّعُوب والمناطق المستهدَفة بهذه القُوَّة.
3. تحديد السياق الإقْلِيمِيّ والدَّوْلِيّ الَّذِي سيتم فيه تحقيق الهدف المرسوم.
4. الْفَهْم الذاتي والإدراك الشامل للأهداف، في انسجام مع القُدُرَات والإمْكَانِيَّات المتاحة داخل الدَّوْلَة. فلا يمكن لِلْقُوَّة الذَّكِيَّة أن تعتمد على الأهداف دون التحديد لعنصري الإرادة والقُدْرَة على الإنجاز.

أما جملة الأسباب الَّتِي ربما أدَّت إلى نشأة مفهوم "القُوَّة الذَّكِيَّة" وسياستها الدَّوْلِيَّة المختلفة على الصعيد التطبيقي، فيمكن تلخيصها في(2):

1. يمنى سليمان، "القُوَّة الذَّكِيَّة ـ المفهوم والأبعاد: دراسة تَأْصِيلِيَّة"، مرجع سابق.
2. إيمـــان مصطفـــى "القُوَّة النَّاعِمَة في السياســـة الخَارِجِيَّة"، فكر أونلاين، 3 مـــارس 2016م. متاح على الرابط التالي: goo.gl/G7EZxF.

- القُدْرَة على تحقيق مردود في الشـــؤون الدَّوْلِيَّة من خلال الاستقطاب، أكثر مِمَّا يمكن تحقيقه عبر الإكراه.
- الحاجة لاستقطاب الدول النامية من طرف الدول المُتَقَدِّمَة، للعمل معها كشريك دولي، لمواجهة التَّحَدِّيَات العَالَمِيَّة المشتركة، الَّتِي لا تستطيع أيَّة دولة التصدي لها بمفردها مثل التَّغَيُّرَات المُنَاخيَّة، وانتشار الأمراض المستعصيَّة، وتصاعد خطورة "الدول الفاشلة" على الأمن العالمي، وغيرها.
- الإرهاق السائد بعد مرحلة الحرب الباردة بين الدولتين العُظْمَيَيْنِ؛ نتيجة الدخول في سباق للتسلُّح جِدّ مُكَلِّف، ولا نهايةَ له.
- ظهور تهديدات أخرى مِن قِبَل دولٍ لها قُوَّة نَوَوِيَّة وغير خاضعة للهيمنة الغَرْبِيَّة، مثل كوريا الشماليَّة وإيران.
- إدراك الغرب أيضـــاً، عبثيَّة الدخول في المواجهة العَسْـــكَرِيَّة مع قُوًى تحرريَّة غير رَسْـــمِيَّة، خصوصاً بعد التجارب العَسْكَرِيَّة المريرة، ولعل آخرها ما حدث في العراق(1) وأفغانستان(2).

1. بدأت عمليَّة غزو العراق في شـــهر مارس من عام 2003م، بقيادة الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة على رأس تحالف دولي ضَمَّ بريطانيا ودولاً أخرى بهدف الإطاحة بنظام الرئيس العراقي الســـابق صدام حســـين بدعوى حيازة بغداد لأســـلحة دمار شـــامل، وفقاً لمعلومات الاستخبارات المركزيَّة الأمْرِيكِيَّة، وهي الحرب التـــي كَلَّفَـــتْ مئات الآلاف من الضحايا، وأوقعت الشرق الأوســـط في حالة من الفوضى، قبل أن يتبين لاحقـــاً أنها بُنِيَتْ عـــلى مجموعة من الأكاذيب والمعلومات المُضَلِّلَة. (حرب العراق- بدأت بكذبة وآلت إلى فوضى، دويتش فيله، 9 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Ysci4c).
2. في أعقـــاب هجمات الحادي عشر من ســـبتمبر 2001م، أقدمت الولايات المُتَّحِـــدَة الأمْرِيكِيَّة على غزو أفغانســـتان للإطاحـــة بِحُكْمِ حركـــة طالبان والقضاء على معاقل تنظيم القاعدة الذي اتَّهَمَتْهُ واشـــنطن بالمســـؤوليَّة عن هجمات ســـبتمبر الشـــهيرة. وتعتبر عمليَّة غزو أفغانســـتان أول عمليَّة عَسْكَرِيَّة في إطار اســـتِرَاتيجيَّة الحرب على الإرهاب التي تَبَنَّتْهَا واشـــنطن عقب هجمات 11 سبتمبر، وشاركت فيها قُوَّات الولايات المُتَّحِدَة والمملكة المُتَّحِدَة وقُوَّات التحالف الأفغاني الشمالي التي كانت عبارة عن مجموعة من القُـــوَّات الأفغانيَّة المختلفـــة المُعَارِضَة لحكومة طالبان، ثم انْضَمَّتْ فيـــما بعد قُوَّات حلف الناتو وبعض الـــدول الأخـــرى الحليفة للولايات المُتَّحِدَة. (حقيقة الغزو الأمْرِيكِيّ لأفغانســـتان، الجزيرة نت، 19 مارس 2016م، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9VaSNP).

- التعويـــل على ثورة المعلومات والنِّظَام الإعلامي الجديد لاختراق، ونقل المنظومة القِيَمِيَّـــة الغَرْبِيَّة إلى كُلّ أرجاء العـــالم، بعد أن كانت محصورة إلى حَدّ كبير في الغرب.(1)

لقـــد أضرَّت القُوَّة الصَّلْبَة مثلاً أيَّمَا ضررٍ بصورة الولايـــات المُتَّحِدَة، وقبلها الاتِّحَاد السُّوفييتيّ، في حالَّتي التَّدَخُّل العَسْـــكَرِيّ في أفغانستان والعراق على التوالي. ولم تســـتطع القُوَّة النَّاعِمَة المُمَثَّلَة في سطوة الإعلام الغَرْبيّ تحديداً في تمرير خطاباته المشَرْعِنَةِ لسلوك القُوَّة المحتلة، ولو تحت غطاء الشَّرْعِيَّة الدَّوْلِيَّة، أو القضاء على أسلحة الدمار الشامل أو غيره، مما أدَّى إلى تنامي شعور الرفض للازدواجيَّة الَّتِي تتعامل بها القُوَى الكبرى مع بقيَّة العالم، من شعارات السلام وحقوق الإنسان وغيرها، وتأليب القُوَى المُنَاهِضَة للغرب ضِدَّ هذه السِّيَاسَات الصَّلْبَة الغاشمة.

ويبدو أن إدارة الرئيس الأَمْرِيكِيّ الســـابق باراك أوباما استوعبت جَيِّداً درس القُوَّة بأنواعها، بما يفيد تغيير تَوَجُّهِهَا في السِّيَاسَـــة الأَمْرِيكِيَّة (تدارك أخطاء جورج بوش الابن)؛ حيث واجه أوباما وفريقه الرِّئَاسِيّ تَحَدِّيَات كبيرة في السِّيَاسَة الخَارِجِيَّة بسبب الصِّرَاعات الدَّوْلِيَّة المُسْـــتَمِرَّة، وتَقَلُّب الاقتصاد الأَمْرِيكِيّ بســـبب الأزمة الاقتِصَادِيَّة العَالَمِيَّة، وتفاوت أســـعار العملات، وانهيار أســـعار النفـــط في العالم، إضافة إلى إشـــكالِيَّات تغير المُنَاخ وتفشّي الفقر والأمراض الوبائيَّة والتَّهْدِيدَات المُحْدِقَة بالأمن الغذائيّ.

1. للمزيد يُنْظَر المرجعين الآتيين :
أ- أمنيَّة محسن عمر أحمد الزيات، السياسة الخَارِجِيَّة الصِّينِيَّة تجاه إفريقيا 1991- 2015م، المركز الديمقراطي العربي، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/rs7NT
ب- كريم أبو حلاوة، سياسات القُوَّة الذَّكِيَّة ودورها في العلاقات الدَوْلِيَّة، مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2016م، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/yMZTnU

وبالنسبة لجوزيف ناي، إذن، فمن وراء هذه العلامة (القُوَّة الذَّكِيَّة)، تستطيع الولايات المُتَّحِدَة أن تدفع بسياسة استثمار في الممتلكات العَالَمِيَّة؛ تطوير بِنْيَات الصِّحَّة العَامَّة، البيئة والمُنَاخ وغيرها، الَّتِي من شأنها أن تعود بالفائدة على الجميع.

وبهذا تستعيد الزعامة الأمْرِيكِيَّة جاذبيّتها في عقول الدول والشُّعُوب الَّذِين ليس لديهم وسيلة للحصول على هذه البِنْيَات. ففي بيئة دَوْلِيَّة صعبة، يجب أن يكون هناك ما هو أكثر من مُجَرَّد سلطة للرئيس الأمْرِيكِيّ قصد استعادة زعامة أمريكا على الصعيد الدَّوْلِيّ[1].

1. Limits of American Power, Joseph S. Nye, Jr. الناشر "The Academy of Political Science"، 2016، تاريخ الزيارة 15 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/hXzuac.

المبحث الثاني

الدول الَّتِي تَتْبَع سياسة القُوَّة الذَّكِيَّة

إذا كان مفهوم "القُوَّة الذَّكِيَّة" قد وجد صَدَاه في عدد من الدول الكبرى والعظمى حول العالم، ذات الدور المِحْوَرِيّ المُهِمّ في العديد من الأزمات والتفاهمات السِّيَاسِيَّة والاقتِصَادِيَّة والثَّقَافِيَّة وغيرها. فإن تنزيل "القُوَّة الذَّكِيَّة" عبر تطبيقات مقبولة وفاعلـــة، يُعَدُّ مِن أولويات الدول الْمَعْنِيَّـــة وإداراتها الحاليَّة أو حتى القادمة. بل أصبح من أساسيات البقاء والتفاعل مع الداخل والدول الأخرى على حَدٍّ سواء.

وســـنعرض في هذا المبحث لعدد من التجارب والخـــبرات لبعض الدول الَّتِي اتَّبَعَتْ سياســـة القُوَّة الذَّكِيَّة في إدارة أمورها الدَّاخِلِيَّة وسياساتها الخَارِجِيَّة، لتعميق دراسة المفهوم وتَجَلِّيَاته التَّطْبِيقِيَّة على صعيد العلاقات الدَّوْلِيَّة بشكلٍ ملموسٍ، بالتَّرْكِيز على كُلٍّ من؛ الولايات المُتَّحِدَة، روسيا، الصين، الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ، قطر، تركيا.

أولاً: الولايات المُتَّحِدَة:

تُعْتَبَر الولايات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة من أُولَى دول العالم في تَبَنِّي المفهوم الجديد لِلْقُوَّة عَالَمِيّاً والمعروف بـ"القُوَّة الذَّكِيَّة"، ويأتي هذا الاعتماد - كما أســـلفنا - بعد الإفلاس الأَخْلاقِيّ والعَسْكَرِيّ الَّذِي أحاط بالقُوَّات العَسْكَرِيَّة الأَمْرِيكِيَّة في كُلّ من أفغانستان والعراق، تحت شعار "الحرب ضِدَّ الإرهاب".

ويأتي هذا أيضاً بعد دراســـة الجدوى في ظِلِّ الظروف الإِقْلِيمِيَّة، وخَاصَّة في المنطقة العَرَبِيَّة، والدور الأَمْرِيكِيّ فيها. وقد وصلت الإدارة الأَمْرِيكِيَّة في عصر "إدارة أوباما" - بعد شرح جوزيف ناي لهذا المفهوم الجديد وغيره من كبار المسؤولين مثل هيلاري كلينتون - للاقتناع بالجمع بين القُوَّة العَسْـــكَرِيَّة والقُوَّة الثَّقَافِيَّة الأَمْرِيكِيَّة. إذ يُؤَكِّد ميشيل كوكس، أستاذ العلاقات الدَّوْلِيَّة والمحلل السِّيَاسِي، على صحة الاختيار والدمج

بين القُوَّتَيْنِ "الصَّلْبَة" و"النَّاعِمَة"، بعد تَبَنِّي باراك أوباما وإدارته نظريَّة جوزيف ناي، الَّتِي أصبحت أساس "مبادرة القُوَّة الذَّكِيَّة" الَّتِي رعاها مركز الدِّرَاسَات الاسْتِرَاتِيجِيَّة والدَّوْلِيَّة في واشنطن لتطويرها والترويج لها.(1)
وذلك مع افـــتراض "إدارة أوباما" أن الولايات المُتَّحِدَة لا تزال قادرة ومُؤَهَّلَة لقيادة العالم ووضع بصمتها في كُلّ صراع أو مشكلة حول العالم، فكان لا بُدَّ من هذا التَّوَجُّه لتحقيق الصدارة الأمْرِيكِيَّة في العالم (كما ترى إدارة أوباما ووزارة خارجيَّته)، والَّتِي وجدت أن أفكار ناي واقعيَّة، ولاقت صدىً كبيراً في المجتمع السِّيَاسِيّ الأمريكي.

وحســـب تصريح هيلاري كلينتون - الَّذِي ذكرناه آنفاً - أنَّ "إدارة أوباما" قادرة على السَّيْطَرَة واستخدام هذه السِّيَاسَة الجديدة على الوجه الصحيح، وبالطريقة المناسبة. وفي هذا، تختلف "إدارة أوباما" ذات الأقطاب المُتَعَدِّدَة في علاقاتها وسياســـاتها عن ســـابقتها، إدارة بوش الابن، أُحَادِيَّة القطب، في مفردات العمل على فَرْض السَّيْطَرَة والهيمنة الأمْرِيكِيَّة في العالم بالطُّرُق العَسْـــكَرِيَّة والقُوَّة الصَّلْبَة (الخشـــنة) فقط، والتَّفَرُّد بالقرار لوحدها، وفَرْض اتِّبَاع الدولِ الأخرى لها.
وهـــذا ما أكَّدَ عليه خطاب أوباما (2) للتنصيب كرئيـــس للولايات المُتَّحِدَة، بأنه "عبر التَّاريخ كانت قيـــم العمل الجادّ والتفاني والأمانة والإخلاص والشـــجاعة، والأداء

1. عادل عامر، اســتعمال القُوَّة في العلاقات الدَوْلِيَّة بين قُوَّة القانون وهيمنة القُوَّة، 2015/7/8م، تاريخ الزيارة 16 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي:
www.adelamer.com/vb/archive/index.php/t- 19037.html
2. الرئيــس الرابــع والأربعون للولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّــة 2009- 2017م، أول أمْرِيكِيّ من أصول إفريقيَّة يصل إلى رئاسة الولايات المُتَّحِدَة، وهو من مواليد عام 1961م في ولايَّة هاواي الأمْرِيكِيَّة من أبٍ كينيّ وأُمّ أمْرِيكِيَّةٍ بيضاء، درس العلوم السِّيَاسِــيَّة بجامعة كولومبيا في نيويورك ثم انتقل الى جامعة هارفارد المرموقة لدراســة القانون، تَمَرَّسَ في مهنة المحاماة بشــيكاغو، وتخصَّص في مجال الدفاع عن الحقوق المدنيَّة، شَــغَلَ منصب ســيناتور في مجلس ولايَّة الينوي ما بين 1996 و2004م. (من هو باراك أوباما؟، صحيفــة الحيــاة اللندنيَّة، 16 نوفمبر 2016، تاريخ الزيارة: 26 يوليــو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/n7G8Wc).

النزيه، والتسامح وحُبّ الفُضُول والولاء والبطولة والوَطَنِيَّة، هي القُوَّة الكامنة بهدوء وراء تقدُّمنـــا. إنَّ ما هو مطلوب منَّا الآن هو العودة إلى تلك الحقائق والقِيَم ، والبدء بعهد جديد من الشـــعور والإحساس بالمسؤوليَّة، والاعتراف بالفضل وتقدير الجهود، وذلك على مستوى وصعيد كُلّ أمريكي"(1).

إدراك الإدارة الأَمْرِيكِيَّة، آنذاك، بأنَّ القُوَّة العَسْـــكَرِيَّة وحدها لا تفرض هيمنةً دَوْلِيَّة، خصوصاً في عصرنا الحالي، فبعد هجمات الحادي عشر من ســـبتمبر 2001م على ســـبيل المثال، أصبحت الولايات المُتَّحِدَة مصدراً للخوف والغضب والعنف بعيداً عن التفاؤل ونشر السلام(2)، كما تراجعت الهيمنة الأَمْرِيكِيَّة أمام المجتمع الدَّوْلِيّ خطوات لا بأس بها إلى الوراء(3).

وبما أن الولايات المُتَّحِدَة كانت تنادي، وعلى كافَّة الأصعدة وفي جميع المحافل الدَّوْلِيَّة، أنها تسعى إلى تحقيق الديمُقْرَاطِيَّة والأمن والسِّلْم المجتمعيّ، عن طريق نشر مفاهيم عِدَّة؛ كحقوق الإنســـان وتنمية المجتمعات المَدَنِيّـــة في مختلف دول العالم، وهذا لن يتحقق لها إلَّا عن طريق القُوَّة العَسْكَرِيَّة وفرض الهيمنة.

فالحرب على العراق مثلاً، جاءت لفرض الديمُقْرَاطِيَّة والقضاء على نظام صدام حســـين، ولكن المفاجأة كانت أن الديمُقْرَاطِيَّة اندثرت أكثر فأكثر ودَمَّرَتْ العراق، ولم تَستطع الهيمنة الأَمْرِيكِيَّة السَّيْطَرَة عليها كما تريد، على الرَّغْم من تحقيق هدفها بإنهاء النِّظَام العراقي.

---

1. خطاب الرئيس أوباما لدى تنصيبه، بي بي سي عربي، 20 يناير 2009، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QeAgAV
2. مـــن دلائل هذا التحـــوُّل في الصورة المُدْرَكَة عن الولايات المُتَّحِـــدَة الأَمْرِيكِيَّة، خطاب الرئيس الأَمْرِيكِيّ الأســـبق جورج دبليو بوش عَقِبَ هجمات الحادي عشر من ســـبتمبر 2001م. يُنْظَر: خطاب الرئيس بوش عقب هجمات 11 سبتمبر، الجزيرة نت، مكتبة التقارير، 31 مايو 2016، متاح على الرابط التالي: goo.gl/W2spoK
3. أيمن الدسوقي، "القُوَّة الذَّكِيَّة وسياسة أوباما الخَارِجِيَّة"، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجيَّة، 15 فبراير 2009م، تاريخ الزيارة 6 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/fU9Svn

فقد خسرت الولايات المُتَّحِدَة في حربها على العراق الَّذِي سُـــمي لاحقاً (الحرب ضِدَّ الإرهاب)، تَرْسَانَة عَسْكَرِيَّة كبيرة من عتاد وأعداد من جنودها سقطوا قتلى في هذه الحرب(1)، وقد كَلَّفَتْ هذه الحرب الولايات المُتَّحِدَة قُوَّتهَا النَّاعِمَة؛ حيث إنها خسرت سمعتها وقيمتها تقريباً أمام المجتمع الدَّوْليّ.

وزارة الدِّفَـــاع الأمْرِيكِيَّة و"إدارة أوباما" ســـعيا، إذن، إلى تَفَهُّم الوضع الَّذِي آلت إليه آلة السِّيَاسَـــة العَالَمِيَّة للعمل نحو طرق مُبْتَكَرَة لِفَرْض الهيمنة والسَّـــيْطَرَة الأمْرِيكِيَّـــة، من خلال لجنة القُـــوَّة الذَّكِيَّة الَّتِي أوصت بالتَّرْكِيز على أهم خمس نقاط يجب الالتزام والعمل عليها ضمن إطار السِّيَاسَة الخَارِجِيَّة لواشنطن: (2)

- استعادة دور التحالفات، والشراكات، والمُؤَسَّسَات التَّعَدُّدِيَّة الَّتِي انزلق أغلبها إلى الفوضى في الأعوام الأخيرة بسبب التَوَجُّهَات الأُحَادِيَّة.
- إعلاء دور التَّنْمِيَة الاقتِصَادِيَّة لمساعدة الولايات المُتَّحِدَة في التوفيق بين مصالحها ومصالح الشُّعُوب الأخرى في كُلّ أنحاء العالم، بدايَةً بمبادرة كبرى خاصة بتنمية الصِّحَّة العَامَّة على مستوى العالم.
- الاستثمار في الدُبْلُوماسِيَّة العَامَّة الَّتِي تُرَكِّز بصورة أقَلّ على الأضواء الإعْلَامِيَّة، وتَهْتَمّ بالاتِّصَالات المباشرة، والتعليم، وأشكال التبادل المختلفة الَّتِي تَضُمّ المجتمع المَدَنِيّ وتستهدف الشباب بصورة خاصة.
- مقاومة النزوع إلى فرض إجراءات الحماية، ودعم المشاركة المُسْتَمِرَّة في الاقتصاد العالمي، وهو الأمر الَّذِي يُشَكِّل أهَمِّيَّة كبرى للنمو والرخاء في الداخل والخارج.

1. حرب العراق بالأرقام، بي بي سي عربي، 15 ديسمبر 2011م، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/iQGRZQ
2. كريم أبو حلاوة، سياســات القُوَّة الذَّكِيَّة ودورها في العلاقات الدَوْلِيَّة، مركز دمشــق للأبحاث والدراسات، 2016م، ص ص 10- 11.

- الحرص على إشراك أولئك الَّذِين تُركوا وراء الرَّكْبِ بسبب التَّغَيُّرَات الَّتِي أحدثها الاقتصاد الدَّوْليّ المفتوح.
- العمل على إيجاد وتشـــكيل الإجماع العالمي، وتنمية التِّقْنِيَات الإبداعيَّة اللازمة للتَّعَامُلِ مع التَّحَدِّيَات العَالَمِيَّة المتصاعدة الأهَمِّيَّة في مَجَالَيِ أمن الطَّاقَة وتَغَيُّرُ المُنَاخ.

ومن الأســـباب الرئيسة الَّتِي وجَّهت دفَّة سياســـة الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة نحو تَبَنِّي اسْتِرَاتِيجِيَّة "القُوَّة الذَّكِيَّة" أيضاً:

- حالة من التراجع الملحوظ للسياســـة الخَارِجِيَّة الأمْرِيكِيَّة في الآونة الأخيرة، على المســـتوى الدَّوْليّ، كتأزم الوضع الأمْرِيكِيّ في العراق؛ حيث تزايدت الخســـائر الأمْرِيكِيَّة البَشَرِيَّة والمَالِيَّة هناك(1)، فضلاً عن تدهور العَمَلِيَّة السِّيَاسِيَّة. بالإضافة للإخفاق الأمْرِيكِيّ في أفغانستان، والَّذِي يشبه الإخفاق والخسائر في العراق من حيث تزايد حجم الخسائر ونوعيتها(2).

1. خلال الفترة من بَدْءِ عمليات عزو العراق في مارس عام 2003م وحتى انســحاب القُوَّات الأمْرِيكِيَّة من بغداد في أغســطس عام 2010م، مع تطبيق اســتِرَاتيجِيَّة أوباما للانسحاب من العراق، بلغ عدد القتلى في صفوف القُوَّات الأمْرِيكِيَّة 4421 عســكرياً، قضى 3492 منهم خلال مشــاركتهم في الأعمال القتاليَّة، بينما بلغ عدد الذين أُصيبوا جرَّاء العمليات 32000 شــخص. لمزيد من التفصيل، يُنْظَر: حرب العراق بالأرقام، بي بي سي عربي، 15 ديســمبر 2011م، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/iQGRZQ
2. حتــى عــام 2017م، بلغ عــدد قتلى القُوَّات الأمْرِيكِيَّة في أفغانســتان 2350 جُنْدِيّاً إلى جانب 20092 من المصابين، في حين بلغت الكلفة المباشرة للحرب في أفغانستان بما في ذلك المبلغ المخصص لها لعام 2018م نحو 841 مليار دولار. كما يعاني 320 ألف جندي أمْرِيكِيّ ســابق خدموا في العراق وأفغانســتان من آثار الإصابــة في الــرأس من بينهم، 8237 جُنْدِيّاً ســابقاً يعانون من إصابات شــديدة في الدماغ، إضافة إلى 1645 جندياً فقدوا جميع أو أحد الأطراف. (الكلفة الفلكيَّة للحرب الأمْرِيكِيَّة في أفغانســتان، بي بي سي عربي، 22 أغسطس 2017م، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/1Tfimb).

- عدم تحقيق الأهداف من تلك الحربين المُتَمَثِّلة في نشر الديمُقْرَاطِيَّة في منطقة الشرق الأوسـط، والقضاء على تنظيم القاعدة[1] والمُنَظَّمَات الإرهَابِيَّة؛ بل زاد عددهـا بعد أحداث الحادي عشر من سـبتمبر؛ بمقارنتها بتلك الَّتِي كانت قبل هذا الحدث المِفْصَليّ في التاريخ الأمريكي، وهذا يدحض مقولة أمْرِيكِيَّة مفادها أن العالم بعد الحادي عشر من سبتمبر سوف يكون أكثر أمناً عن مثيله قبل تلك الأحداث[2].
- عدم وجود سياسات أمْرِيكِيَّة للتعامل مع صعود قُوًى جديدة على السَّاحَة الدَّوْلِيَّة (الصـين والهند)، وقوى أخرى تسـتعيد قُوَّتهَا من جديد بعد فترة من التراجع (روسيا).
- هنـاك العديد من التَّحَدِّيَـات الَّتِي تواجه الولايات المُتَّحِـدَة الأمْرِيكِيَّة، وهي ليسـت ذات طبيعة عَسْكَرِيَّة مثل تَحَدِّيَات حماية البيئة وفتح أسواق جديدة أمام الصِّناعات الأمْرِيكِيَّة الَّتِي باتت مُهَدَّدة بفعل الآلة الصِّنَاعِيَّة الصِّينِيَّة المتدفقة.[3]

1. تأسَّـس تنظيم القاعدة عام 1987م، على يَدِ عبدالله عزام وتلميذه أسـامة بن لادن، لكنه أصبح ذائع الصيت عقـب اضطلاعه بتفجيرات السـفارة الأمْرِيكِيَّة في كينيا وتنزانيا في عـام 1998م، والتي راح ضَحِيَّتَهَا أكثر من ثلاثمائة شخص، نَفَّذَ التنظيم العديد من أشهر التفجيرات والعمليَّات الإرهابيَّة حول العالم، أبرزها إلى جانب هجمات 11 سبتمبر 2011م بالولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة، تفجيرات الدار البيضاء في المغرب 2003م، تفجيرات مدريد 2004م، تفجيرات لندن 2005م، هجوم شارلي إبدو بباريس 2015م. وبعد هجوم الحادي عـشر من سـبتمبر 2001م أعلنت الولايات المُتَّحِـدَة الأمْرِيكِيَّة الحرب على أفغانسـتان للقضاء على تنظيم القاعدة. (تنظيم القاعدة إلى أين؟، يورونيوز، 9 سـبتمبر 2016، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/EHVTa8).
2. وردت هذه المقولة بهذا المعنى في طيّات تقرير برينسـتون للأمن القومي الأمْرِيكِيّ الذي اضطلع بإعداده 40 خبيراً أمريكياً مرموقاً لرسـم معالم الرؤية الاسـترَاتيجيَّة للولايات المُتَّحِدَة عقب هجمات 11 سـبتمبر 2001م. للمزيد حول التقرير يُنْظَر: Princeton University, The Princeton Project on National Security, available at: goo.gl/AdswP4
3. كريـم أبو حلاوة، سياسـات القُوَّة الذَّكِيَّة ودورها في العلاقات الدَوْلِيَّة، مركز دمشـق للأبحاث والدراسـات، 2016م، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/yMZTnU، وينظر أيضـاً: يحيـى اليحيـاوي، أوباما وأطروحة "القُوَّة الذَّكِيَّة"، الجزيرة نـت، 18 نوفمبر 2013م، تاريخ الزيارة 6 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Y24c6m

عوامل نجاح القُوَّة الذَّكِيَّة في الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة:

رأى كُلّ من جوزيف ناي وريتشـــارد أرميتاج في مقال نشر لهما بصحيفة "واشنطن بوست "Washington Post" في التاسع من سبتمبر عام 2007م والمُعَنْوَنَة بـ "تَوَقَّف عن الجنون، أمريكا أصبحت ذكيَّة""Stop Getting Mad. America. Get Smart"، أنه يجب على الولايات المُتَّحِدَة وإداراتها أن تُرَكِّز على عوامل نجاح هذه السِّيَاسَـــة، والَّتِي حدَّدَاها في النقاط التالية(1):

- إعـــادة تقوية التحالفات والشراكات الَّتِي تتيح للولايات المُتَّحِدَة مواجهة مصادر الخطر المُتَعَدِّدَة، وعدم الحاجة إلى بناء تحالف جديد عند مواجهة كُلّ تحدٍّ جديد.
- أن يكون هناك اهتمام على مســـتوى الإدارات الأمْرِيكِيَّة المتعاقبة بالتَّنْمِيَة على المستوى الدَّوْليّ، مما يساعد واشنطن على تطوير برامج المساعدات، بحيث تكون أكثر تكاملاً وتوحداً، والَّذِي يربط المصالح الأمْرِيكِيَّة مع تطلعات الأفراد في كافَّة أنحاء العالم، والَّتِي تبدأ بالاهتمام بالصِّحَّة العَالَمِيَّة.
- إعادة استثمار الدُبْلُوماسِـــيَّة الشَّعْبِيَّة، وإنشاء مُؤَسَّسَات لا تسعى إلى الربح في الخارج؛ بهدف خَلْق روابط بين الأفراد، والَّتِي تَتَضَمَّن مضاعفة الاعتماد السنوي لبرنامج "فولبرايت" (2)"Fulbright Program"، الَّذِي ترعاه الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة لتعزيز التفاهم والتبادل العلمي والثَّقَافِيّ بين شـــعبها وشـــعوب دول العالم.

1. Richard L, Armitage and Joseph S. Nye Jr., "Stop Getting Mad, America. Get Smart.",Washington Post, December 9, 2007, available at: goo.gl/1GCczL
2. برنامــج ثقافي للمِنَح الدراســيَّة والتبادل الطلابي تأســس في الولايات المُتَّحِــدَة الأمْرِيكِيَّة عام 1947م، تحت إشراف مكتب الشؤون التعليميَّة والثَّقَافِيَّة (ECA) التابع لـوزارة الخَارِجِيَّة الأمْرِيكِيَّة، ويعمل برنامج فولبرايت للطُّلَّابِ الأجانب في أكثر من 155 بلداً في جميع أنحاء العالم. ويقبل البرنامج ما يقرب من 4000 طالب أجنبي كل عام. ويَتَكَفَّلُ البرنامج للطالب بالرسوم الدراسيَّة، وبالكتب الدراسيَّة، وبمصاريف السفر وبالتأمين الصحي، وبالراتب، وبتكاليف المعيشــة خلال فترة الدورة الدراســيَّة. (About CIES, Fulbright Scholar Program, available at: goo.gl/KcYCRo)

- الارتباط بالاقتصاد العَالَمِيّ بالتفاوض حول مناطق التِّجَارَة الحُرَّة مع دول مُنَظَّمَة التِّجَارَة العَالَمِيَّة الراغبة في التَّحَرُّك تِجَاه تحرير التِّجَارَة، استناداً إلى القاعدة الدَّوْلِيَّة، وتوسيع مناطق التِّجَارَة الحُرَّة لتشمل الدول الَّتِي لم تلحق بركب العولمة.
- أخذ موقع الصدارة في قضايا التَّغَيُّرَات المُنَاخيَّة، وغياب الأمن لمصادر الطَّاقَة، من خلال الاستثمار أكثر في مجالات التِّقْنِيَة والإبداع.

ويمكن تقييم السِّيَاسَة الخَارِجيَّة للرئيس باراك أوباما، الَّذِي تَمَيَّزَ بمجموعة من الأعمال خلال فترة ولايتيه الأُولَى والثانيَة، وأهمها:

- ضَمّ الولايات المُتَّحِدَة لاتِّفَاقيَّة الأمم المُتَّحِدَة المبدئيَّة بشأن التَّغَيُّرَات المُنَاخيَّة (كيوتو) (1).
- إصدار قانون الضمان الصحي في الولايات المُتَّحِدَة.(2)

---

1. يقوم بروتوكول كيوتو على أساس اتفاقيَّة قِمَّة الأرض التي انعقدت في مدينة ريو دي جانيرو البرازيليَّة عام 1992م. وكان المجتمع الدَّوْليّ قد أجمع في تلك الاتفاقيَّة على الحَدّ من انبعاث الغازات الضَّارَّة بالبيئة لكي تتيح بذلك للنظام البيئي التكيُّف وبشكل طبيعي مع التَّغَيُّرَات التي تطرأ على المُنَاخ، وتضمن عدم تعرض إنتاج الأغذيَّة للخطر. وفي 11 كانون الثاني عام 1997م تَمَّ اعتماد هذه الاتفاقيَّة والتزمت الدول الصِّنَاعِيَّة في مدينة كيوتو اليابانيَّة بخفض انبعاث الغازات الضَارَّة بالبيئة في الفترة ما بين عامي 2008 و 2012م بمُعَدَّل لا يقل عن 5 بالمئة مقارنة بمستويات عام 1990م. ودخلت الاتفاقيَّة حيز التنفيذ في 16 شباط 2005م، وفي تشرين الثاني 2009م وَقَّعَتْ 187 دولة وصَدَّقَتْ على البروتوكول. تاريخ الزيارة 19 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: http: //kawngroup.com/kyoto- protocol/
2. قانون الرعايَة الصحيَّة الأَمْرِيكِيّ «أوباما كير Obamacare» هو اسم تَمَّ إطلاقه في الولايات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة على قانون وضعه الرئيس باراك أوباما، وذلك لإصلاح نظام الرعايَة الصحيَّة، هدفه أن يوفِّر تأميناً صِحِّيّاً شاملاً لكل أَمْرِيكِيّ بتكاليف منخفضة، وتَمَّ إطلاقه عام 2010م، وافقت عليه الحكومة العليا في الولايات المُتَّحِدَة في 2012م، وهو أَهَمّ إنجاز من إنجازات رئيس الولايات المُتَّحِدَة باراك أوباما، وهو أول قرار له بعد استلام رئاسة أمريكا والاسم المطلق عليه عَالَمِيّاً هو "أوباما كير"، ومعناه هو : الرعايَة الصحيَّة وحمايَّة جميع المرضى وبأسعار معقولة. تاريخ الزيارة 19 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/Hw3C8
يذكر أن الرئيس دونالد ترامب استهل ولايته بمرسوم ألغى فيه قانون الرعايَة الصحيَّة الذي أقره الرئيس السابق باراك أوباما، لمزيد من التفصيل يُنْظَر: مجلس النواب يلغي "أوباما كير" ويقر مشروع ترمب، الجزيرة نت، 5 مايو 2017م، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/kPXTz5

- تطبيق حُزْمَة من سياسات التحفيز الاقتِصَادِيَّة على المستوى الدَّاخِلِيّ والخَارِجِيّ كمحاولة لمواجهة تداعيات الأزمة الاقتِصَادِيَّة العَالَمِيَّة.
- الانخراط في فَعَالِيَّات مجموعة العشرين(1) لتصبح أعرض وأوسع بِنْيَةٍ مُؤَسَّسِيَّة تشـــمل قُوًى اقْتِصَادِيَّة ناشـــئة، وبهذا تحقّق مطلباً عَالَمِيّاً كَثُرَتْ المطالبة به منذ زمن طويل.
- اســـتئناف المفاوضات مع روسيا لإتاحة الفرصة لإعادة إحياء معاهدة الْحَدّ من الأسلحة الاسْتِرَاتِيجِيَّة(2)، وتوسيع إطار الاجتماعات الاقتِصَادِيَّة مع الصين إلى حَدّ وصلت فيه لحوار اسْـــتِرَاتِيجِيّ حول قضايا عِدَّة منها التَّغَيُّرَات المُنَاخِيَّة، كما سعى لإقامة علاقات طَيِّبَة مع كُلّ من الهند واليابان وأستراليا.
- زيادة عدد القُوَّات العَسْكَرِيَّة في أفغانستان إلى 100 ألف جندي، على أن تُسْحَب القُوَّات العَسْكَرِيَّة منها بعد زيادة القُوَّات بـ 18 شهراً.

1. مجموعة العشرين G20، منتدى اقْتِصَادِيّ تأســس في العام 1999م على خلفيَّة الأزمات المَالِيَّة في تســعينيَّات القرن الماضي، وذلك على هامش قمة مجموعة الثمانيَّة في 25 ســبتمبر 1999م في واشــنطن، بهدف تعزيز الاســتقرار المالي الدَّوْلِيّ وإيجاد فُرَص للحوار ما بين البلدان الصِّنَاعِيَّة والبلدان الناشـئة. (إنفوغرافيك.. من G7 إلى G20، سكاي نيوز عَرَبِيَّة، 4 سبتمبر 2016م، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/qJCy6y).
2. وُقِّعَتْ اتفاقيَّة الحدّ من الأســلحة الاســتِرَاتيجيَّة المعروفة باســم "ســتارت 1" في يوليو 1991م، بين الرئيس الأَمْرِيكِيّ الأســبق جورج بوش الأب ورئيس الاتِّحَاد السُّــوفييتِيّ الســابق ميخائيل جورباتشوف، بعد نحو عشر سنوات من المحادثات المُتَقَطِّعَة بين واشنطن وموسكو في السنوات الأخيرة من الحرب الباردة. وتنص الاتفاقيَّة عــلى أنــه لا يمكن لأي من الدولتين نشر أكثر من ســتَّة آلاف رأس نووي، وما لا يزيد عن 1600 من مركبات الإطــلاق الاســتِرَاتيجيَّة بما فيها الصواريخ ذاتيَّة الدَّفْع العَابِرَة للقَــارَّات والغوَّاصَات والقاذفات. ولكن تطبيق المعاهــدة تَعَقَّــدَ جرَّاء انهيار الاتِّحَاد السُّــوفييتِيّ نهاية عام 1991م، كما أن الولايــات المُتَّحِدَة لم تُصَدِّق على الاتفاقيَّة في ذلك الحين. (حقائق رئيسيَّة عن معاهدة ستارت 1 للأسلحة بين أمريكا وروسيا، رويترز، 2 يوليو 2009م، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ZFBTZ).

فمــــن خلال تلك الأعمال الَّتِي أنجزها أوباما يَتَّضِح لنا إلى أيّ مدًى يمضي في اتِّبَاع سياسة خَارِجِيَّة ذكيَّة (خشنة - ناعمة). بالرَّغْم من أن البعض يعتبر أوباما رجلاً كثير الكلام قليل الأفعال، هذا بمقارنتهم بين ما وَعَدَ به وبين ما حقَّقه من تلك الوعود. (1)

وبناءً على ما سبق نستطيع الحُكْم على سياسة باراك أوباما الخَارِجِيَّة من ناحيتين:

- **الأَوَّلى:** عند فوزه بالانتخابات الرِّئَاسِيَّة للولايات المُتَّحِدَة، وعَدَ بشكلٍ جادٍّ بالعمل على تفعيل سياســـة "القُوَّة الذَّكِيَّة"، واحتاج لوقتٍ بعد فوزه لتحقيق شيءٍ واضح المعالم ضمن هذه السِّيَاسَـــة الجديدة، بسبب ما كانت فيه الولايات المُتَّحِدَة من وقـــوع في دَوَّامة الأزمـــة الاقتِصَادِيَّة العَالَمِيَّة، والعمل عَسْـــكَرِيّاً خِصِّيصاً في أفغانستان والعراق، اللَّتَيْنِ وُصفتا بأنهما حالتان مُعَقَّدَتَان في السِّيَاسَة الخَارِجِيَّة. كذلك الإخفاق في منع انتشار السلاح النَّوَوِيّ في إيران وكوريا الشماليَّة، والعمل على فَرْض عقوبات عليهما طوال الاجتماعات والتصريحات الرَّسْمِيَّة من الإدارة الأَمْرِيكِيَّة، بالإضافة لتدهور عَمَلِيَّة الســـلام في الشرق الأوسط، تَتَطَلَّب الوقت الطويل لِحَلِّهَا (2).
- **الثانية:** إذا كانت سياسة القُوَّة الذَّكِيَّة مُجَرَّد وسيلة لتلميع صورة الولايات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة الَّتِي شُـــوِّهَتْ في عهد الرئيس الأسبق جورج بوش الابن، وكانت غطاءً للاستمرار في رسم سياسات تحقق المصالح القَوْمِيَّة للولايات المُتَّحِدَة (بالإضافة للدول الكبرى في العالم) على حســـاب مصالح شعوب العالم الثالث، هنا تكون سياســـة أوباما تسير في طريق النجاح؛ حيث صورة أمريكا تحسَّنت لدى العديد

1. كريم أبو حلاوة، سياسات القُوَّة الذَّكِيَّة ودورها في العلاقات الدَوْلِيَّة، مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2016م، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/yMZTnU
2. جوزيف ناي، "اختبار سياسة أوباما الخَارِجِيَّة"، بروجيكت سنديك، 14 ديسمبر 2009م.

من بلدان العالم وَفْقَ اســتطلاع للرأي أجرته مُؤَسَّســة "بيو"(1)بعد تَوَلِّي أوباما للرئاسة الأَمْرِيكِيَّة.(2)

وقد اكتسبت الولايات المُتَّحِدَة لمستقبلها عدداً من المصالح الدَّوْلِيَّة، نتيجة استخدامها لـ "القُوَّة الذَّكِيَّة"، وهي(3):

- الحفــاظ على الحَيَوِيَّــة الاقتِصَادِيَّة؛ وهو ما يَتَطَلَّب جهــوداً جادَّة من طرف الحزبــين؛ الجمهوريّ والديمقراطيّ، لخفض الدَّيْن الوطني؛ والاســتثمار في الإنتَاجِيَّة والقُدْرَة التَّنَافُسِيَّة، وتوسيع التِّجَارَة الحُرَّة في جميع أنحاء العالم.
- دعم الحلفاء والشركاء؛ فإنَّ أوروبا وحلف شــمال الأطلسي لهما الدور الحاسم هنا. ولكن في منطقة آســيا والباســيفيك أو في الشرق الأوسط، يدعو المُخَطَّط إلى اســتمرار الجهود من أجل شراكة أمنيَّة أفضل، وهو ما يدعو كذلك إلى رفع مستوى علاقات التعاون مع البلدان الديمُقْرَاطِيَّة الصاعدة مثل: تركيا والبرازيل وإندونيسيا والهند.
- استخدام المســاعدات الخَارِجِيَّة كوسائل سِيَاسِيَّة وأداة للضغط؛ وذلك بطريقةٍ تُعَزِّز وتُوَثِّق الارتباط مع أهدافٍ واسْتِرَاتِيجِيَّات أوسع للولايات المُتَّحِدَة.

1. مركز بحثيّ أمريكيّ، مســتقلٌّ، أُنْشِــئَ عام 1990م، يقوم باســتطلاعات رأي ودراســات معمَّقة حول القضايا السِّيَاسِــيَّة والاقْتِصَادِيّــة والديمغرافيَّة، وتحليل المحتوى والبحوث العلميَّــة الاجْتِمَاعِيّة الأخرى التي تعتمد على البيانات، التي تَهُمُّ صانع القرار الأمريكي، ويُؤَكِّد المركز على عدم تبنّيه أيّ مواقف سِيَاسِــيّة مســبقة، ويُقَدِّمُ بُحُوث رأيٍ مستقلة حول المواقف الأَمْرِيكِيَّة في قضايا السياسة الرئيسة ودراسة تَوَجُّهَات النَّاخبين الأمريكيين من خلال قياس الاتجاهات طويلة الأجل لفهم القِيَم السِّيَاسِيَّة وأولويات السياسة العامة في الولايات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة. (About Pew Research Center, Pew Research Center, available at: goo.gl/HhSEjp).
2. "صورة أمريكا تَتَحَسَّــن مع أوباما"، الجزيرة نت، 24 يوليو 2009م، تاريخ الزيارة 1 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jdSxx4
3. سيد العزَّازِيّ، الفَهْم الصَّحِيح للدبلُومَاسِيَّة ما بين القُوَّة الصلبة والنَّاعِمَة والذَّكِيَّة "رؤية تطبيقية"، مرجع سابق.

- الحفاظ على تفوُّق الولايات المُتَّحِدَة العَسْــكَرِيّ عَالَمِيّاً؛ وهو ما يَتَطَلَّب عَدَم التَّغَاضِي أبداً عن المصالح الأَمْنِيَّة طويلة الأمد عندما تُفْرَضُ تخفيضات على ميزانيَّة الدِّفَاع؛ أي: لا بُدَّ من الحفاظ على قُدْرَة التَّدَخُّل بكفاءة وسرعة في أيِّ وقتٍ وأيِّ مكان في العالم.
- الاســتثمار في "الأدوات اللازمة لممارســة النُّفُوذ"، وذلك ضمن نطاق مشاركة عَالَمِيَّة واسعة.
- إدارة بعض الأزمات والصِّرَاعات وأهمها ما سُــمي بـ"الربيع العربي"(1)؛ حيث فاقت حركة النشــطاء في تونس ومصر وليبيا في غضون ثلاث سنوات فقط كُلّ ما فعلته الحكومات في الشرق الأوسط خلال خمسين سنة من تغيير.

بيد أن ثَمَّة مخاوف من حِقْبَة الرئيس الأَمْرِيكِيّ الجديد، الجمهوري دونالد ترامب(2)، من أنه سيسير بمفهوم "القُوَّة الذَّكِيَّة"، ولكن من خلال نظرة الحزب الجمهوري(3) الَّذِي ينتمي له، والَّتِي تزيد عنده صبغة القُوَّة الصَّلْبَة (الخشــنة)، على قرينتها النَّاعِمَة؛ الأمر الَّذِي قد ربما يعطي رؤيَة مغايرة لتطبيقات الإدارة الأَمْرِيكِيَّة السابقة في هذا المضمار.

1. تعود جذور مصطلح "الربيع العربي" إلى الصحفي الفرنسي بينوا ميشان Benoist Méchin، في الخمسينيَّات من القرن العشريــن، حيــث نشر كتاباً بعنــوان "ربيع عربي" كان خلاصة جولة قادته لبلدان الشرق الأوســط وحوارات مع قَادَتِهِ وأصحاب الرأي فيه، ثم عاد المصطلح من جديد، في خِضَمّ الحراك الشعبي والهبَّات الاجْتِمَاعِيَّة بالمنطقة العَرَبِيَّة خلال العامين 2010- 2011م. (حسن أوريد، هل يُونِعُ الربيع العربي؟، الجزيرة نت، 30 يناير 2018م، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oK1hFB).
2. دونالــد جــون ترامب (ولــد في 14 يونيو 1946م) هو الرئيس الخامس والأربعون للولايــات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة، منذ 20 يناير 2017م. وهو أيضاً رجل أعمال وملياردير أمريكي، وشخصيَّة تلفزيونيَّة ومُؤَلّف أَمْرِيكِيّ ورئيس مجلس إدارة مُنَظَّمَة ترامــب، والتــي يقع مقرُّها في الولايات المُتَّحِدَة. أَسَّــسَ مجموعة شركات، ويدير عِدَّة مشــاريع وشركات مثل منتجعات ترامب الترفيهيَّة، التي تدير العديد من الكازينوهات، الفنادق، ملاعب الغولف، والمنشآت الأخرى في جميع أنحاء العالم. ساعد نمط حياته ونشر علامته التجاريَّة وطريقته الصريحة بالتَّعَامُلِ مع السياسة في الحديث؛ على جَعْلِهِ من المشاهير في كل من الولايات المُتَّحِدَة والعالم. للمزيد يُنْظَر الرابط التالي: http: //cutt.us/uwZ4
3. أحد أكبر حزبين سِيَاسِــيّين في الولايات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة، تأســس في 20 فبراير 1854م، ويُصَنَّفُ ضِمْنَ أحزاب يمين الوســط، لكنَّه في الحقيقة ليس له توجُّه فكريّ واضح أو عقيدة مذهبيَّة سِيَاسِــيّة ثابتة، وتخترقه العديد من التيارات الداخليَّــة المختلفــة لدرجة التناقض؛ حيث يضمُّ المحافظــين الماليِّينَ والمحافظين الاجْتِمَاعِيِّــينَ و"المحافظين الجدد"، والمعتدلــين والمدافعــين عن الحُرِّيَّات. (الحزب الجمهوري، الجزيرة نت، 17 ســبتمبر 2014م، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/iqrsgg).

ثانياً: روسيا:

تســعى روسيا لأخذ دور لها على السَّــاحَة الدَّوْلِيَّة عبر المشاركة في مباحثات عَمَلِيَّة السـلام في الشرق الأوســط، ولعب دور الوسيط في التفاوض مع إيران حول مِلَفِّهَا النَّوَوِيّ، ومكافحة المخدرات، وتقليص الأســلحة الاسْتِرَاتِيجِيَّة بالتعاون مع الولايات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة، مع التَّأْكِيد على القُوَّة العَسْكَرِيَّة، وهذا ما نلاحظه من خلال تَدَخُّلها في الأزمة السُّــورِيَّة، ومِن قبلها الأزمة الأوكرانيَّــة والعقوبات الَّتِي تَمَّ فَرْضُهَا على روسيا من خلال الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ.

ودور الدَّوْلَة الرُّوسِــيَّة يســير حالياً إلى الالتزام بـ"القُوَّة الذَّكِيَّة"، وذلك من خلال سياســات الشَــدّ والإرخاء، الَّذِي يَتَّضِح من خلال بناء العلاقات وتطويرها مع تركيا مثلاً، للوصول إلى تفاهُم مشترك للتهدئة العَسْكَرِيَّة والعمل على حلول سِيَاسِيَّة للأزمة السُّورِيَّة (1).

فمثــلاً، على الرَّغْم من اضطراب العلاقات بعد عَمَلِيَّة اغتيال الســفير الرُّوسِيّ في إســطنبول (2) خلال حفل افتتاح معرض ثَقَافِيّ في شــهر كانون أول (ديسمبر) عام 2016م، تَمَّ الاتِّفَاق بعدها بأيام قليلة بين القُوَّتَيْنِ الرُّوسِيَّة والتُّرْكِيَّة، وبمباركة دَوْلِيَّة، على إعلان التهدئة في ســوريا، بعيداً عن الالتزام بها والخروقات الَّتِي لحقت هذا الإعلان مِن قِبَل الأطراف المقاتلة على الأرض. ويصف العَسْــكَرِيُّونَ الرُّوس أنَّ هذه العَمَلِيَّــة صعبة ومعقَّدة على الأرض، ويربطون نجاحهــا بالتزام الأطراف المختلفة لتحقيقها والعمل عليها، والتَّأْكِيد على الدعم التُّرْكِيّ لها.

---

1. وكالات أنباء.
2. تَمَّ اغتيال الســفير الرُّوسِيّ لدى تركيا في هجوم مُسَــلَّح، 19 ديســمبر 2016م، عندما أطلق شرطي تركي النار عــلى الســفير الروسي في أنقرة، أندريه كارلوف، وأرداه قتيلاً فيــما يبدو أنه احتجاج على الدور الروسي في الصراع السوري. للمزيد يُنْظَر الرابط التالي: http: //www.bbc.com/arabic/middleeast- 38369682

وتعمل روسـيا حالياً عبر الخط الدَّوْليّ السِّـيَاسِيّ والعَسْـكَرِيّ، مع بعض التبعات الاقتِصَادِيَّـة والثَّقَافِيَّة والإعْلاَمِيَّة، الَّتِي تُمَثِّل دور القُوَّة النَّاعِمَة، وطريقة تفاعل كُلّ هذه السِّيَاسَات مع بعضها البعض.

ثالثاً: الاتِّحَاد الأُورُوبيّ(1):

يتَّخِـذ الاتِّحَاد الأُورُوبيّ في معظم الأحيان دوراً ناعماً - أي: يُطَبِّق القُوَّة النَّاعِمَة - ، وذلـك عبر ما هو معروف عن أوروبا في مجال الآداب والفنون، والعلوم، والموضة..، كما تَتَمَتَّع هذه الثَّقَافَات الأُورُوبيَّة بجَاذِبيَّة عَالَمِيَّة واسعة.

ويأتي الدور "الناعم" للاتِّحَاد الأُورُوبيّ سِيَاسِـيّاً، بمواجهة المَدّ القادم من اللَّاجئين السُّـورِيِّينَ(2) نتيجة الأزمة في بلادهم، وتَوَجُّههم إلى بلاد الاتِّحَاد الأُورُوبيّ، وعمل سياسـة توزيع اللَّاجئين على الدول الأُورُوبيَّـة، وتعديل قوانين الهجرة المعمول بها قديماً بنسبة مختلفة، ودعم هذه البلاد مادياً وتمويلها لاستقبال اللَّاجئين(3).

1. تَكَتُّل سِيَاسِيّ واقْتِصَادِيّ أوروبي، تعود بداياته الأولى إلى عام 1951م، عندما اتَّفَقَتْ سِتّ دول أوروبيَّة؛ فرنسا، وألمانيا، وبلجيكا، ولوكسـمبورغ، وهولندا، وإيطاليا، على تشكيل المجموعة الأوروبيَّة للفحم والصلب، وشَكَّلَتْ نواة قيام المجموعة الاقْتِصَادِيّـة الأوروبيَّـة ثم الاتِّحَاد الأُورُوبيّ الذي مَرَّ بِعِدَّة مراحل توسـع خلالها ليشـمل 28 دولة أوروبيَّة، قبل خروج بريطانيا عام 2016م. وتتَلَخَّص أهداف الاتِّحَاد الاسـترَاتيجِيَّة في التأسـيس لمواطَنة تضمن الحقوق الأساسـيَّة، ودعم التقـدُّم الاقْتِصَادِيّ والاجْتِمَاعِيّ، وتقويـة دور أوروبا في العالم. (لمزيد من التفصيل؛ يُنْظَر: "تاريخ الاتِّحَاد الأوروبي"، الاتِّحَاد الأُورُوبيّ بالعَرَبِيَّة، د. ت، تاريخ الزيارة 29 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Lkojd7).
2. وفقاً لتقرير مُنَظَّمَة هيومان رايتس ووتش، يونيو 2017م، فقد بلغ عدد القتلى جَرَّاء الصِّرَاع في سوريا أكثر من 400 ألف شـخص منذ عام 2011م، وفقاً لـ"البنك الدَّوْليّ"، إضافة إلى 5 ملايين طالب لجوء، وأكثر من 6 ملايين نازح، في حين أشارت تقديرات الأمم المُتَّحِدَة إلى وجود 540 ألف شخص ما زالوا يعيشون في المناطق المحاصرة. (انظر: سوريا.. أحداث عام 2017م، مُنَظَّمَة هيومان رايتس ووتش، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/SN2x8A).
3. في أبريل 2017م، اعتمد وزراء خَارِجِيَّة الدول الأعضاء في الاتِّحَاد الأُورُوبيّ اسـترَاتيجِيَّة الاتِّحَاد الأُورُوبيّ لسـوريا، وتشـمل إجراءات سِيَاسِـيّة وإنسانيَّة، وتوفير الجهود لتعزيز المسـاءلة عن جرائم الحرب والانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسـان. في مايو 2017م، رحَّبَ البرلمان الأُورُوبيّ باعتماد الاسـترَاتيجِيَّة وشـدَّد على ضرورة المساءلة على الصعيدين الدَّوْليّ والمحَلِّيّ. في أبريل 2017م، اسـتضاف الاتِّحَاد الأُورُوبيّ "مؤتمر بروكسـل بشـأن دعم مستقبل سوريا والمنطقة" الـذي تَعَهَّـدَ فيه المانحون بمبلغ 5،6 مليار يورو لعام 2017م و3،5 مليار يورو للفترة 2018- 2020م. في يونيو 2017م، أعلنت المفوضيَّة الأوروبيَّة عن مبلغ 1.5 مليون يورو لدعم الآليَّة الدَّوْلِيَّة. (انظر: سـوريا.. أحداث عام 2017م، مُنَظَّمَة هيومان رايتس ووتش، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/SN2x8A).

وينتقل الاتِّحَاد الأُورُوبيّ إلى العمل العَسْكَرِيّ، وتطبيق القُوَّة الصَّلْبَة (الخشنة) إذا لزم الأمر، من خلال ما يسمى بقُوَّات حلف الناتو الَّتِي شاركت مثلاً في الأزمة الليبيَّة، وقبلها في أفغانستان.

كما بدأ الاتِّحَاد الأُورُوبيّ الاتِّفَاق مع الدول المجاورة لسوريا، وأَوَّلُهَا تركيا، عن طريق الاتِّفَاق الَّذِي أبرمته تركيا مع الاتِّحَاد على حصولها على 3 مليارات يورو مقابل تحسينها لوضع اللَّاجئين داخل البلاد(1)، إلى جانب استئناف المحادثات بشأن عضويَّتها في الاتِّحَاد الأُورُوبيّ، وتسعى المفوضيَّة الأُورُوبيَّة إلى ضبط عَمَلِيَّة تَدَفُّق اللَّاجئين والسَّيْطَرَة عليهم، وذلك من خلال دعوة الجانب التُّرْكِيّ إلى ضبط أكثر على حدودها مع الدول الأُورُوبيَّة القريبة منها. (2)

مع هذه السِّيَاسَة النَّاعِمَة يستهدف الاتِّحَاد الأُورُوبيّ زيادة الإجراءات الأَمْنِيَّة والعَسْكَرِيَّة كَحَلٍّ لمواجهة تَدَفُّق الهجرة(3) وتَفَشِّي الإرهاب عن طريق القيام بِعِدَّة إجراءات:

1. "الاتِّحَاد الأُورُوبيّ يقر 3 مليارات يورو للاجئين في تركيا"، دويتش فيله، 3 فبراير 2016م، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/GfhCWE
2. الشيماء عرفات، في مواجهة اللَّاجئين: هل تُفَضِّلُ أوروبا الأمن على الإنسان؟، إضاءات، 21 يناير 2016م، تاريخ الزيارة 6 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/P9lYu3
3. أدَّت الحروب وأعمال العنف والفقر إلى هجرة الملايين من البشر في جميع أنحاء العالم، وبالتالي استمرار موجات الهجرة، لا سِيِّمَا إلى أوروبا. وبينما كان العدد الأكبر من طالبي اللجوء في أوروبا في عام 2016م من السوريِّينَ والأفغان والعراقيِّينَ، كان العدد الأكبر في عام 2017م من السوريِّينَ والأفغان والنيجيريين. وبلغ عدد طالبي اللجوء إلى أوروبا ذروته في عام 2015م بـ 1.26 مليون طالب لجوء. (الهجرة إلى أوروبا .. أرقام وإحصاءات، دويتش فيله، 22 ديسمبر 2017م، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YKfJt4).

- اقتراح المفوضيَّة الأُورُوبِيَّة مراقبة الحدود الأُورُوبِيَّة والسَّيْطَرَة عليها بشكل كامل بواسطة إنشاء قُوَّة لحرس الحدود تُوَزَّع على حدود منطقة شنغن (1) لحراسة الحدود الْبَرِّيَّة والبَحْرِيَّة الأُورُوبِيَّة، وللحفاظ على مكتسب حُرِّيَّة التنقل داخل منطقة شنغن. هذا المشروع سيمنح صلاحيات التَّدَخُّل لضبط الحدود الأُورُوبِيَّة الخَارِجِيَّة الْبَرِّيَّة والبَحْرِيَّة بالتنسيق مع السلطات الأَمْنِيَّة للدول الأعضاء، وكذلك دعم فرونتكس(2) وزيادة تمويلها وأعداد أفرادها كَحَلٍّ آنيٍّ للسيطرة على الحدود لحين إنشاء تلك القُوَّات.
- الحصول على موافقة الأمم المُتَّحِدَة أنه يَحِقُّ للسفن الحربيَّة التَّابعة للاتِّحَاد الأُورُوبيّ التَّرَصُّد في المياه القريبة من السواحل الليبيَّة للمراكب الَّتِي يستخدمها مُهَرِّبُو المهاجرين خارج الأُطُر القَانُونِيَّة إلى أوروبا، واستخدام القُوَّة ضدّها والاستيلاءَ عليها وتدميرها، وهذا ما أقرته الدول الأعضاء في الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ.
- الموافقة بداخل لجنة الحُرِّيَّات المَدَنِيَّة في البرلمان الأُورُوبِيّ على مبدأ العمل بسجل البيانات الشَّخْصِيَّة للمسافرين، والَّذِي يُقِرُّ بأَنَّ أيَّ تحرُّك وتنقُّل للمسافرين جوّاً من وإلى وعبر دول الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ سيصبح قريباً مُدَوّناً في سِجِلٍّ يُوضَع بتصرُّف الشرطة.(3)

1. منطقة شنغن (Schengen Area) نسبة إلى مدينة شنغن بلوكسمبورج والتي شهدت توقيع اتفاقيَّة إلغاء الحدود الداخليَّة للاتِّحَاد الأوروبي، عام 1985م، ممَّا يسمح بالحركة بدون جواز سفر في معظم أنحاء الاتِّحَاد. ودخلت الاتفاقيَّة حيِّز التنفيذ عام 1995م، وكان أول أعضائها بلجيكا وفرنسا وألمانيا ولوكسمبورغ وهولندا والبرتغال وإسبانيا. والآن تَضُمُّ الاتفاقيَّة 26 دولة، منها 22 عضواً في الاتِّحَاد الأُورُوبيّ وأربعة من خارج الاتِّحَاد الأُورُوبيّ هي آيسلندا والنرويج (منذ عام 2001م) وسويسرا (منذ عام 2008م)، وليختنشتاين (منذ عام 2011م). للمزيد يُنْظَر: حقائق قد لا تعرفها عن اتفاقيَّة شنغن، بي بي سي عربي، 7 مارس 2016م، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/UWhDBK
2. فرونتيكس Frontex : وكالة أوروبيَّة تَأَسَّسَتْ في 26 أكتوبر عام 2004م لمراقبة وحمايَّة الحدود الخَارِجِيَّة للاتِّحَاد الأوروبيّ، يقع مقرُّها بمدينة وارسو البولنديَّة، تركز عملها على مكافحة الهجرة السِّريَّة، ومنع تجارة البَشر، وَوَقْف تسلُّل الإرهابيين المفترضين إلى أوروبا. إضافة إلى هدفها الرئيس بإدارة مكافحة تَدَفُّق المهاجرين السوريِّينَ، تهدف فرونتيكس كذلك إلى تدريب قُوَّات حرس حدود الدول الأوروبيَّة، ومثيلاتها بدول شمال إفريقيا، وإصدار تحليلات حول تقديرات المخاطر بمناطق حدود أوروبا الخَارِجِيَّة، ودعم عمليات ترحيل الدول الأوروبيَّة للاجئين. للمزيد يُنْظَر: "فرونتيكس"، الجزيرة نت، ، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/h4xrYS
3. الشيماء عرفات، في مواجهة اللَّاجئين: هل تُفَضِّل أوروبا الأمن على الإنسان؟، إضاءات، 21 يناير 2016م، تاريخ الزيارة 6 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/P9lYu3

رابعاً: الصين:

في عام 2013م بلغت الموازنة العَسْكَرِيَّة عند الحكومة الصِّينِيَّة 115 مليار دولار وهو الرقم الَّذِي أقَرَّه البرلمـــان بانعقاده في الربع الأَوَّل من 2013م، كثاني أكبر موازنة عَسْــكَرِيَّة بعد الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّـــة (1)، وهذه الموازنة تأتي كَقُوَّةٍ دافعة لرفع ثقة جنود جيش التحرير الشَّعْبِيّ الصِّينِيّ بأنفسهم؛ حيث إنه من أضخم الجيوش في العالم عَدَدِيّاً، ومن أكبر خمس قُوَى عَسْكَرِيَّة واقْتِصَادِيَّة عَالَمِيّاً.

وتشير الدِّرَاسَـــات والتَّحْلِيلات السِّيَاسِيَّة والاقتِصَادِيَّة أن الإنفاق الحقيقيّ عَسْكَرِيّاً لـــدى الصين قد يكون أضعاف الأرقام المُعْلَنَة كموازنة عَسْـــكَرِيَّة؛ وذلك لأن الصين تســـعى دوماً لِلتَّطَوُّرِ عَسْـــكَرِيّاً؛ لوجود بعض التَّوَتُّرات والمضايقات العَسْكَرِيَّة على المســـتوى العَالَمِيّ البعيد (مع أمريكا مثلاً)(2)، وعلى المســـتوى القريب (مع جارتها اليابان(3) على سبيل المثال).

أما الجانـــب الَّذِي يَدْعَم تطبيق القُوَّة النَّاعِمَة، فَيَعْتَبِر الاقتصاد الصِّينِيّ من أضخم اقتصادات العالم، وجاءت بهذه الرســـالة عبر اســـتعمال النَظَرِيَّات النَّاعِمَة - عبر

1. عِزَّت شـــحرور، "الصين ثاني أعلى ميزانيَّة عَسْـــكَرِيَّة بالعالم"، الجزيرة نـــت، 06 مارس 2013م، تاريخ الزيارة، 6 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ML3YEk
2. لَعَـلَّ أحدث حلقة من حلقات الممارســـات الأمْرِيكِيَّة المناوئة للصـــين في هذا الإطار إقدام وزارة الدفاع الأمْرِيكِيَّة البنتاغون، في 23 مايو 2018م، على ســـحب دعوتها للصين للمشاركة في المناورات العَسْكَرِيَّة السنوِيَّة في المحيط الهادئ بسبب "استمرار عسكرتها" لبحر الصين الجنوبي؛ حيث أشار بيان البنتاجون إلى أن اســـتمرار الصـــين في عســـكرة مناطق مُتَنَازِع عليها في بحر الصـــين الجنوبي يؤدي إلى تصعيد التَّوَتُّر وزعزعة استقرار المنطقة. انظر في ذلك: واشنطن تسحب دعوة بكين إلى مناورات عَسْكَرِيَّة في المحيط الهادئ، صحيفة الحياة اللندنيَّة، 23 مايو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/tuj1kH
3. توجـــد سلســـلة من الخلافات بين الصين واليابان والتي يرجع بعضهـــا إلى فترة ما قبل الحرب العالميَّة الثانية. وكثيراً ما تنشـــب خلافات بين الصين واليابان بســـبب تاريخهما الأليم واتهام بكين طوكيو بعدم التكفير بشـــكل مناســـب عن غزوها للصـــين قبل وأثناء الحرب العالميَّة الثَّانِيَـــة، كما توجد خلافات بين البلدين بسبب نزاع على مجموعة من الجزر في بحر الصين الشرقي. لمزيد المن التفصيل يُنْظَر: الصين تُبْدِي اعتزامها تحسين العلاقات مع اليابان، سبوتنيك موسكو، 28 يناير 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/29U5P9

وســـائل إعلامها - ، بأنَّ هذا الإنفاق العَسْـــكَرِيّ وحتى الاقْتِصَادِيّ على الخدمات - في أكبر دول العالم من حيث عدد السُّـــكَّان - ، ما هو إلا لرفع مكانتها على خريطة الاقتصاد العَالَمِيّ من حيث الإنتاج والصناعة.

ما أدَّى إلى التَّوَسُّع نحو مفهوم "القُوَّة الذَّكِيَّة"، بدمج هذه الجوانب مع بعضها البعض لتشـــكيل نسيج سِيَاسِيّ خاص بالجمهوريَّة الصِّينِيَّة الشَّعْبِيَّة، وإدخال الجانب الثَّقَافِيّ ونـــشر القِيَم الصِّينِيَّة المتعاقبة من عصـــور قديمة حتى وقتنا الحالي، ودعم الإبداع وزيادة التنافس والقُوَّة الثَّقَافِيَّة والمعلوماتيَّة، عبر التَّوَجُّه لاســـتخدام وسائل الإعلام الجديدة ونُظُم الاتِّصَال المختلفة.

خامساً: إيران:

على الرَّغْم مما تواجهه السِّيَاسَـــة الإيرانيَّة من عقوبات دَوْلِيَّة(1)، سواءً عَسْكَرِيَّة أو اقْتِصَادِيَّة، وصراعها الدَّاخِلِيّ بين الإصلاحيِّينَ والمحافظين، فقد استطاعت الإدارة الإيرانيَّة السعي والوصول نحو مفهوم "القُوَّة الذَّكِيَّة".

1. كانــت الولايــات المُتَّحِدَة قد فرضت أول حصة مــن العقوبات الاقْتِصَادِيّة عــلى النِّظَام في إيران عام 1979م، وفي العام 1995م وسّــعت واشــنطن من هــذه العقوبات لتُدْرِجَ عدداً مــن الشركات المرتبطة بالنِّظَام الإيراني على قائمة المقاطعة، وفي العام 2006م تَوَسَّعَتْ العقوبات المفروضة على إيران عندما أيَّــدَتْ الأُمــم المُتَّحِدَة هذه العقوبات، وفرضت مزيداً منها على إيران. ومنذ تدويل العقوبات على إيران تَعَرَّضَتْ طهران لسلسلة عقوبات متتالية في 2007، 2008، 2010، 2011، 2012، 2013، 2015م، وأخيراً في 2018م، مــع إعلان الرئيس دونالد ترمب الانســحاب مــن الاتفاق النَّوَوِيّ مع إيران، وبموجب ذلك الانســحاب ستعيد الولايات المُتَّحِدَة العقوبات المشــدَّدَة المفروضة على المُؤَسَّسَات الإيرانيَّة، بما في ذلك تجميد الأصول والحســابات المَالِيَّة التابعة لإيران، وتشــديد الرقابة على حركة الأموال والنقل. لمزيد من التفصيل يُنْظَر: أهم 10 محطات بتاريخ العقوبات الدَوْلِيَّة على إيران، العَرَبِيَّة. نت، 9 مايو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4TDbV2

وتَتَمَثَّل القُوَّة الذَّكِيَّة الإيرانيَّة، بدورها الكبير في لبنان، بعد اغتيال رفيق الحريري(1)، وخروج الجيش الســـوري من الأراضي اللبنانيَّة، فجاء دور إيران بدعم موقف حزب الله(2) وخصوصاً بعد تجاوز الحزب للدولة اللبنانيَّة سِيَاسِــيّاً، واشتعال حرب 2006م مع "إسرائيل"(3).

وفي الوقت نفسه، تُعْلِن إيران أنها تدعم المقاومة اللبنانيَّة، وليس حزب الله فقط ضِدَّ إسرائيل، بما يستهدف باقي الطوائف عن طريق القُوَّة النَّاعِمَة، وكما تدعم المقاومة الفلسطينيَّة ضِدَّ الاحتلال الإسرائيليّ.

ومـــن أهم عوامل نجاح القُوَّة الذَّكِيَّة الإيرانيَّة، وقدرتها على توظيف الأبعاد المختلفة لِلْقُوَّة هو الجانب المؤسَّـــسِيّ على المســـتويَيْنِ الرَّسْـــمِيّ وغير الرَّسْمِيّ؛ حيث تعمل المُؤَسَّسَات الرَّسْمِيَّة في إيران في ضوء الخطط الحُكُومِيَّة على تحقيق أهداف السِّيَاسَة

1. يوم 14 فبراير 2005م اغتيل رئيس الوزراء اللُّبْنَانِيّ الأسبق رفيق الحريري مع 21 شخصاً، عندما انفجر مـــا يعـــادل 1000 كيلو جرام من مادة التي إن تي أثناء مرور موكبه بالقرب من فندق ســـان جورج في بـــيروت. وعقـــب اغتيال الحريري حصلت عِـــدَّة انفجارات واغتيالات ضِدَّ شـــخصيات مناهضة للوجود الســـوري في لبنان. انظر في ذلك: رفيق الحريري، الجزيرة نت، 9 ديســـمبر 2014، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/vtmq3A
2. حزب الله هو جماعة شـــيعيَّة مُسَـــلَّحَة وحزب سِـــيَاسِيّ مقرُّه جنوب لبنان، تأسَّـــسَ حزب الله في أوائل الثمانينيَّات كجزء من جهد إيراني لتجميع مجموعة مُتَنَوِّعَة من الجماعات الشيعيَّة اللُّبْنَانِيّة المُسَلَّحَة تحت ســـقف واحد. والجناح العســـكري لحزب الله هو مجلس الجهاد، وجناحه السِيَاسِيّ هو حزب كتلة الوفاء للمقاومة في البرلمان اللُّبْنَانِيّ. وبعد وفاة عباس الموســـوي في عام 1992م، ترأس الجماعة حســـن نصر الله، أمينها العام. يُنْظَر: حزب الله.. النشـــأة والتطور، الجزيرة نت، 3 أكتوبر 2014، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QmQM4f
3. هي مواجهة عَسْكَرِيَّة وسلسلة من العمليَّات القتاليَّة بدأت في 12 يوليو 2006م بين قُوَّات من حزب الله اللُّبْنَانِيّ والقُوَّات الإسرائيليَّة واستمرَّت 34 يوماً في مناطق مختلفة من لبنان. يُنْظَر: أمين محمد حطيط، حرب 2006م على لبنان.. خلفيَّة وأداء ونتائج، الجزيرة نت، 15 أغسطس 2008، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/2d4hVr

الخَارِجِيَّة لإيران، وبجانب ذلك تتبع مُؤَسَّسَة المرشد الأعلى للثورة الإيرانيَّة(1) عدد من المُؤَسَّسَات غير الرَّسْمِيَّة، ولكنها تتفق والأهداف العَامَّة للدولة.(2)

ويَتَمَثَّل الدور الأبرز لإيران على السَّــاحَة الإِقْلِيمِيَّة، بتَدَخُّل الجيش الثَّوْرِيّ الإيرانيّ بالأزمة السُّـــورِيَّة على الأرض ودعم حزب الله اللبناني بتدَخُّلِهِ أيضاً، بالإضافة لدعم بعض الأطراف في دول النِّزَاع العَرَبِيّ كالعراق سابقاً، واليمن وسوريا حديثاً.

وتُعْتَبَر الدَّوْلَة الإيرانيَّة ناجحة في التجربة عبر الشــارع اللبناني، من حيث تســويق نفســها بأنها من المدافعين عن حقوق اللبنانيِّينَ ضِدَّ إسرائيل. كما وصلت إيران إلى كافَّة الفصائل والفرقاء على السَّــاحَة السِّيَاسِيَّة اللبنانيَّة، وكسبت الحكومة اللبنانيَّة الَّتِي يســيطر عليها حــزب الله إلى جانبها كحليف عبر إدخاله إلى شــبكة المصالح الإيرانيَّة السِّيَاسِيَّة والاقتِصَادِيَّة وحتى الثَّقَافِيَّة(3).

1. يتميز النِّظَام السِــيَاسِيّ الإيراني عن ســائر النظم الأخرى بوجود مُؤَسَّسَــة اســمها "الوَلِيّ الفقيه" أو "المُرْشِد الأعلى" تَتَرَبَّع على قِمَّة هرم السُّــلْطَة، ويُخَوِّلُهَا الدُّسْــتُور الإيراني صلاحيات واسِــعَة. وهما لفظان مترادفان مرتبطان بالنَّظَرِيَّة السِّيَاسِــيَّة الدِّينِيَّة التي أتى بها الإمام الخميني، وهي "وِلايَّة الفقيه"، التي نشــأت على يَدِ الشــيخ أحمــد النراقي، المتوفى عام 1829م، والَّتي طَبَّقَهَا الإمام الخمينــي لأوَّلِ مَرَّةٍ عام 1979م. وقد نصَّتْ المادة الخامسة من الدستور الإيراني على أن ولايَّة الأمة في "ظل استتار الإمام" تؤول إلى أعدل وأعلم وأتقى رجل في الأمة، وهو المُرْشِــد الأعلى، ليدير شــؤون البلاد وفق ما جاء في المادة (107) من الدســتور. ينظر في ذلك: الوَلِيّ الفقيه.. الدور والصلاحيَّات، الجزيرة نت، 27 مايو 2013م، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/uSrPfN
2. سماح عبدالصبور، "القُوَّة الذَّكِيَّة: أدوات السياسة الخَارِجِيَّة الإيرانيَّة تِجَاه لبنان"، السياسة الدَّوْلِيَّة، 13 مارس 2014م، تاريخ الزيارة 6 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: 77ExGf/lg.oog
3. المرجع السابق.

سادساً: تركيا:

الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة وسياساتها تلعب دوراً مُهِمّاً في عصرنا الحالي على السَّاحَتَيْنِ الإِقْلِيمِيَّة والعَالَمِيَّـــة، لما لها من موقع جغرافي مُهِمّ يربط القَارَّة الأُورُوبِيَّة بجارتها الآســـيويَّة، وتحديداً المناطق العَرَبِيَّة منها.

إن الـــدور الَّتِي تتخذه تركيا حالياً، هو سِـــيَاسِيّ واقتصادي، ولكنه مدروس بطريقة تتوافق ومصطلح "القُوَّة الذَّكِيَّة"، من حيث التَّدَخُّل العَسْكَرِيّ بالدِّفَاع عن النفس مثلاً على حدودها مع ســـوريا خلال أزمتها القائمة منـــذ 2011م(1)، وحدودها الجنوبيَّة العراقيَّة والصِّرَاع مع الأكراد (كردســـتان العراق)(2)، بالإضافة لما تواجهه من خطر الإرهاب على أراضيها بين الحين والآخر.

كما أنها تعلب دوراً مُهِمّاً في اســـتقبال اللَّاجئين السُّـــورِيِّينَ، وتأمينهم، والعمل على حمايـــة حدودها من هذا التَّدَفُّق، كذلـــك خروج اللَّاجئين من الأراضي التُّرْكِيَّة إلى دول الجوار من دول الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ.

---

1. أدَّتْ الأزمة السوريَّة إلى تزايد مخاوف تركيا بشأن استغلال الأكراد الاضطرابات الحاصلة في جارتها الجنوبيَّة لفرض أمر واقع وإقامة دويلة تركيَّة على الحدود التُّرْكِيَّة السوريَّة، وهو ما تعتبره أنقرة مساساً بأمنها القومي، وعليه فقد بدأت القُوَّات التُّرْكِيَّة في يناير 2018م عمليَّة عَسْكَرِيَّة جديدة بريَّة وجويَّة في سوريا تحت مسمى "غصن الزيتون" تســتهدف فيها مواقع تابعة لوحدات حمايَّة الشـعب الكرديَّة في منطقة عفرين التي يسيطر عليها الأكراد. يُنْظَر: ســوريا: الجيش التُّرْكِيّ يُؤَكِّد بدء عمليَّة " غُصن الزيتون" في عَفْرِينَ وروســيا تدعو إلى ضبط النفس، فرانس 24، 21 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DLEi4H
2. يُذْكَرُ أنَّ تركيا لديها نحو أَلْفَي جندي في معســكر بعشــيقة شــمالي العراق، جاؤوا في 2015م بناءً على طلب رئيس إقليم كردســتان العراق مســعود بارزاني لتدريب القُوَّات المحليَّة، وفي يناير 2018م توغَّل الجيش التُّرْكِيّ بعمق 30 كيلو متراً داخل الأراضي العراقيَّة خلال ملاحقته مسلحي حزب العمال الكردستاني في جبال قنديل بإقليم كردستان شمال العراق. لمزيد من التفصيل يُنْظَر: تهديدات أصبحت واقعاً.. الجيش التُّرْكِيّ يدخل العراق، الحرة، متاح على الرابط التالي: goo.gl/x799mi

وتَتَمَثَّــل القُــوَّة النَّاعِمَة الَّتِي تَتَبَنَّاهَا تركيا بتطوير تحالفاتها وعلاقاتها مع روســيا وإسرائيل مثلاً، بالمقابل دورها في إطلاق الســلام، والعمل على دعم حقوق الإنسان، وحَقّ أبناء الأرض بأرضهم في مناطق النزاع والاحتلال كســوريا وفلسطين المحتلة، وهو ما يُؤَكِّد عليه دائماً الرئيس التُّرْكِيّ السَّــيِّد رجب طَيِّب أردوغان (عبر وســائل الإعلام المختلفة).

سابعاً: قطر:

قطر من الدول العَرَبِيَّة ذات الأهَمِّيَّة السِّيَاسِــيَّة في المنطقة والعالم، والَّتِي ركَّزت في سياساتها على القُوَّة النَّاعِمَة، وتطورت لاحقاً إلى قُوَّة ذكيَّة، فظهرت تلك السِّيَاسَات عند اندلاع "الربيع العربي"، فكانت قطر من الدول الداعمة لحريات الشُّــعُوب وإرادتها، وعملت في هذا الأمر كفاعل اقْتِصَادِيّ داعم لبعض الأطراف في دول النزاع العربي، وفاعل اقْتِصَادِيّ إنساني عبر دعم اللَّاجئين والمُتَضَرِّرِينَ من هذه الصِّرَاعات.
ولقد نوَّعَت دولة قَطَر قنوات الدُبْلُوماسِــيَّة العَامَّة، وأدوات القُوَّة النَّاعِمَة، ووزّعتها على واجهات عدة، في إطار عَمَلِيّ مُنْسَــجِمٍ يُتَرْجِمُ كُلَّ الأهداف الَّتِي وردت في رؤيَة قطر 2030م؛ فعلى الواجهة الإِعْلَامِيَّة، كانت "شبكة الجزيرة الفضائيَّة"(1)الَّتِي شَكَّلَتْ ومنذ انطلاقها في عام 1996م حالة فريدة في الفضاء الإعلامي العربي.
ولم يقتصر حضور "شبكة الجزيرة" على الهواء وشاشات المشاهدين فقط، بل تجاوز ذلــك، عندما انتقلت الجزيرة من مُجَرَّد قنــاة إعلاميَّة ناقلة للأخبار والأحداث إلى صانع أو على الأَقَلّ مشارك في صناعة الأحداث.

1. شبكة إعلاميَّة، مقرّها الدوحة، بقطر، بدأت بالقناة العَرَبِيَّة الأُمّ عام 1996م التي حقَّقَت نجاحاً عربيّاً وعَالَمِيّاً، بما مكّنها من توســيع دائرتها لتشــمل قنوات أخرى مُتَخَصِّصَة، إلى جانب مراكز بحثيَّة ومواقع إخباريَّة، في مُقَدِّمَتها الجزيرة نت. يُنْظَر: شبكة الجزيرة الإعلاميَّة، الجزيرة نت، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/k8XpiF

وخلال سنوات قليلة، باتت "شبكة الجزيرة" تَتَبَوَّأ مكانةً لا تَقِلُّ شأناً عن شبكات "سي أن أن"(1)أو "سكاي نيوز"(2) أو "بي بي سي"(3) العَالَمِيَّة.

وتزايد نفوذ هذه العلامة التِّجَارِيَّة والشبكة الإِعْلاَمِيَّة بعد إطلاق قناة الجزيرة الإنكليزيَّة، و"قنوات الجزيرة الرياضيَّة"، والَّتِي تغير اســـمها بعد ذلك إلى قنوات بين سبورتس Bein Sports و"الجزيرة أطفال"، و"الجزيرة مباشر"، و"الجزيرة الوثائقيَّة"(4).

أضف إلى ذلك أن الجزيرة وسَـــعَتْ من نطاق أنشطتها؛ فلم تَعُدْ كأيٍّ قناة تلفزيونيَّة تَقْلِيدِيَّة، بل أوجدت لنفســـها أذرعاً طويلة ومُؤَثِّرَة من قبيل "المهرجانات الســـنويَّة"، و"مركـــز الجزيرة للتدريب"، و"مركز الجزيرة لحقوق الإنســـان"، و"مركز الجزيرة للدراسات"، و"الجزيرة نت" وغيرها.

1. إحدى أشـهر القنوات الأمْرِيكِيَّة والعالميَّة المتخصصة في البث المتواصل للأخبار والأحداث الدَوْلِيَّة، تَأَسَّسَـتْ في الأول من يونيو 1980م من قبل تيد تيرنر، رجل الأعمال الأمْرِيكِيّ ومالك مُؤَسَّسَـات إعلاميَّة، الذي غامر حينهـا باسـتثمار مبلغ عشرين مليون دولار لإطلاق القناة بفكـرة جديدة ترتكز على بث إخباري متواصل لمدة 24 ساعة، حيث بدأ بـ25 مستخدماً فيها وبعض المكاتب في عدد من المدن الأمْرِيكِيَّة. أطلقت الشبكة عدداً من القنوات التابعة لها بلغات أجنبيَّة ومحليَّة، إلى جانب قنوات متخصصة وشبكتين إذاعيتين، و12 موقعاً إخبارياً على الإنترنت. ينظر في ذلك: سي أن أن، الجزيرة نت، 1 ديسمبر 2015، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/rm7ibm
2. سـكاي نيوز" مُؤَسَّسَـة إخباريَّة دَوْلِيَّة مُتَعَدِّدَة الوسـائط على مدار الساعة، مقرُّها في المملكة المُتَّحِدَة، انطلقت في العام 1989م، وهي أول قناة إخباريَّة في أوروبا تبث على مدار اليوم. يُنْظَر: شـبكة "سـكاي" البريطانيَّة تُطْلِـق قنـاة إخباريَّة عَرَبِيَّة بالتعاون مع "أدمك"، أرابيان بيزنيس، 30 نوفمبر 2010م، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QKJXCb
3. هيئة الإذاعة البريطانيَّة مُؤَسَّسَة إعلاميَّة بريطانيَّة ذات توجُّه عَالَمِيّ تُوصَف بالمستقلَّة، وتعرف باسمها الرسمي بالإنجليزيَّة (British Broadcasting Corporation). تَأَسَّسَتْ هيئة الإذاعة البريطانيَّة في الـ18 من أكتوبر 1922م من قبل جون رايخ، وكانت تسـمى قبل ذلك شركة الإذاعة البريطانيَّة، وانطلق بث إذاعة "بي بي سي العالمية" في الـ19 من ديسـمبر 1932م كهيئة مُسـتَقِلَّة عن الحكومة البريطانيَّة. يُنْظَر: بي بي سي.. هنا لندن، الجزيرة نت، 2 مايو 2016م، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/W6zud4
4. هذه القنوات جزء من شـبكة الجزيرة الإعلاميَّة، لمزيد من التفصيل يُنْظَر: شـبكة الجزيرة الإعلاميَّة، الجزيرة نت، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/k8XpiF

وباتت شبكة الجزيرة التلفزيونيَّة وشبكة مُؤَسَّسَاتها تُشَكِّلُ أداةً مُهِمَّة في "ترسانة الدِّفَاع" عن وجود الدَّوْلَة القَطَريَّة في مواجهة القُوَى الكبرى المتصارعة في منطقة الخليج.

وعلى جانب آخر اعتمدت قطر "الرياضة" كبُعْدٍ أساسيٍّ لاسْتِرَاتِيجيَّة بناء الصورة الذهنيَّة الَّتِي تَتَبَنَّاهَا كواحدةٍ من اسْتِرَاتِيجيّات سياستها الخَارِجيَّة للتعريف بها ولتعزيز مكانتها في المحافل الدَّوْلِيَّة. فكانت القيادة السِّيَاسِيَّة في الدَّوْلَة المُسَيِّر الرئيس لإدارة الرياضة وهي الَّتِي تحدِّد تَوَجُّهَاتها العريضة لا سِيَّمَا ما يَتَعَلَّق بالتَّرَشُّح للمنافسات الرياضيَّة الدَّوْلِيَّة.

لقد استثمرت دولة قطر في الدُبْلُوماسِيَّة الرياضيَّة من خلال رعايتها المنافسات والأنديَّة الرياضيَّة المَحَلِّيَّة والدَّوْلِيَّة، إيماناً منها بأن الاستثمارات الرياضيَّة تُلَبِّي حاجات عقلانيَّة بعيدة المدى؛ كالحاجة إلى التنويع الاقتِصَادِيّ.

كما سَعَتْ الاستثمارات القطريَّة في المجال الرياضي إلى تحقيق بعض الأهداف الَّتِي تَتَعَلَّق بالمجتمع القطري أيضاً، لا سِيَّمَا إبراز دور المرأة في مجتمع محافظ وتنمية سياسة الصِّحَّة العَامَّة في واحد من المجتمعات الَّتِي تسودها الوفرة من جهة أخرى.

إن استثمارات قطر في الرياضة كانت بِحَقٍّ بالغة الفائدة على مستوى السُّمْعَة، وستكون أيضاً، على المدى الطويل، عظيمة المردوديَّة على المستوى الاقْتِصَادِيّ للدولة.

لقد كان أحد أكبر النجاحات الَّتِي أحرزتها الدُبْلُوماسِيَّة الرياضيَّة القطريَّة هو الفوز باستضافة بطولة كأس العالم لكرة القدم لعام 2022 (1)؛ فهذه البطولة العَالَمِيَّة هي أكثر الأحداث الرياضيَّة جذباً لاهتمام الإعلام في العالم؛ حيث تُعْتَبَر كرة القدم أكثر الألعاب شَعْبِيَّة في العالم.

1. فازت قطر بتنظيم نهائيات كأس العالم لكرة القدم عام 2022م، عندما اختيرت في التصويت الذي جرى في ديسمبر 2010م، بمَقَرّ الاتِّحَاد الدَّوْليّ لكرة القدم (فيفا) بمدينة زيورخ السويسريَّة، وشارك فيه أعضاء اللجنة التنفيذيَّة للاتِّحَاد. وقد أعلن رئيس الفيفا آنذاك، جوزيف بلاتر، عن نتيجة التصويت لتصبح قطر أول دولة عَرَبِيَّة وشرق أوسطيَّة تنال هذا الشرف، وذلك بعد منافسة شرسة مع 5 ملفات تنافست على الفوز باستضافة وتنظيم هذه النهائيات، وهي قطر واليابان وكوريا الجنوبيَّة وأستراليا والولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة. يُنْظَر: قطر تفوز باستضافة مونديال 2022، الجزيرة نت، 3 ديسمبر 2010م، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/iiroSG

وبمنح الاتِّحَاد الدَّوْليّ لكرة القدم "فيفا" في ديسمبر / كانون الأَوَّل 2010 دولة قَطَر حَقَّ اســـتضافة هذه البطولة، تكون قطر بذلك أول دولة عَرَبِيَّة في التاريخ تحتضن إحدى أضخم تظاهُرتَيْنِ رِيَاضِيَّتَيْنِ عَالَمِيّاً (كأس العالم والألعاب الأَوَّلمبيَّة). وأكثر من ذلك ســـيُعْهَد إلى قطر بحمل الراية الإِقْلِيمِيَّة؛ ولها أن تفخر إذن بأنها ستكون مُمَثِّلاً للوطن العَرَبِيّ لدى بقيَّة دول العالم.

ثامناً: الإمارات العَرَبِيَّة المُتَّحِدَة:

بـــرزت دولة الإمارات العَرَبِيَّة المُتَّحِدَة كدولة مِحْوَرِيَّة ومُؤَثِّرَة على السَّـــاحَة الدَّوْلِيَّة، وازداد تأثيرهـــا بعد اندلاع أحداث الربيع العربي، وصار لها دور ملموس في المناطق الســـاخنة حول العالم، ولا يُنْكَر دورها في اليمن وفي ليبيا ومصر، وسوريا، وغيرها من الدول العَرَبِيَّة.

وتُقَدِّمُ دولة الإمارات نموذجاً في اســـتخدام القُـــوَّة النَّاعِمَة بما تُقَدِّمُهُ من نموذج القدوة في العديد من تَجَلِّيَاتها؛ كالتســـامح والإِنْسَـــانِيَّة ورشادة نظام الحُكْم فيها، وقيـــم التعدديَّة الثَّقَافِيَّة والحُرِّيَّة الدِّينِيَّة الملتزمة والمنضبطة، والمبادرات المُتَنَوِّعَة في مجال الدعم الإنساني، وفي تَبَنِّي قِيَم السعادة والتسامح وتخصيص وزارات لها، وفي احتضان مئات الآلاف من الوافدين وعدم التمييز بينهم. (1)

إنها دولةٌ تُقَدِّم نموذجاً في المُوَاطَنَة العَالَمِيَّة والإِنْسَـــانِيَّة المشتركة، ووحدانيَّة الأديان. والأمر لا يَتَوَقَّفُ عند حدود القُوَّة الصَّلْبَة والنَّاعِمَة بل بدأنا نســـمع عن القُوَّة الذَّكِيَّة وهـــي الَّتِي تجمع بين الصَّلْبَة والنَّاعِمَة، أو ما يمكن القـــول إنه مفهوم إنتاج القُوَّة الشَّامِلَة، وهدفها تحقيق مزيد من الاستقطاب للدول المُؤَيِّدَة، وتحقيق مردودات أكبر

1. د. ناجي شلاب، القُوَّة النَّاعِمَة.. الإمارات نموذجاً، تاريخ الزيارة 2017/6/19م متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/Ko3T

تخـــدم مصالح الدَّوْلَة، وتحفظ مكانتها ودورهـــا وتردع غيرها من دول القُوَّة. وهنا أيضاً تقدم الإمارات نموذجاً ثلاثياً لِلْقُوَّة الصَّلْبَة والقُوَّة النَّاعِمَة والقُوَّة الذَّكِيَّة. (1) ونظراً لتأثير القُوَّة النَّاعِمَة وأَهَمِّيَّتها، فقد أعلن الشـــيخ محمد بن راشد آل مكتوم(2) نائب رئيس الدَّوْلَة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي عن تشكيل "مجلس القُوَّة النَّاعِمَة لدولة الإمارات العَرَبِيَّة المُتَّحِدَة" والَّذِي يهدف إلى تطوير أدوات جديدة لإيصال قصة دولة الإمارات وتفرُّدها لكل شعوب العالم.

ويتبع مجلس القُوَّة النَّاعِمَة بشكل مباشر مجلس الوزراء، ويعمل على صياغة منظومة وطنيَّة متكاملة تشمل الجهات الحُكُومِيَّة والخَاصَّة والأهليَّة لنقل قصة الإمارات للعالم بطريقة جديدة.

1. د. ناجي شـــلاب، القُوَّة النَّاعِمَة.. الإمارات نموذجاً، تاريخ الزيارة 2017/6/19م متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/Ko3T
2. محمـــد بن راشـــد آل مكتـــوم (15 يوليو 1949م)، نائب رئيـــس دولة الإمارات العَرَبِيَّـــة المُتَّحِدَة ورئيس مجلس الوزراء بدولة الإمارات العَرَبِيَّة المُتَّحِدَة وحاكم إمارة دبي. منذ تولي الشيخ محمد الحكم في إمارة دبي في 4 ينايـــر 2006م، قام بإصلاحات رئيســـة على صعيد حكومة دولـــة الإمارات العَرَبِيَّة المُتَّحِدَة، بما في ذلك إطلاق استرِاَتيجِيَّة الحكومة الاتِّحَاديّة في العام 2008م ورؤية الإمارات 2021م، وكذلك عدد من المبادرات كمهرجان دبي للتســـوق، وحكومـــة دبي الإلكترونيّـــة، وبرنامج دبي للأداء الحكومي المتميز، ومدينـــة دبي الطبيَّة، وقريَّة المعرفة، ومشروع دبي لاند، وغيرها. للمزيد يُنْظَر: صاحب الســـمو الشـــيخ محمد بن راشـــد آل مكتوم، مركز الإمارات للبحوث والدراســـات الاســـترِاَتيجِيَّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ExMs8N

المبحث الثالث

تَحَدِّيَات استخدام القُوَّة الذَّكِيَّة

كل مفهـــوم أو مصطلح سِـــيَاسِيّ جديد في هذا العالم، لا بُـــدَّ أن يُوَاجِهَ عدداً من التَّحَدِّيَـــات والصِّعَاب الَّتي تَحُدُّ من قُدْرَة الدول والحكومات على تَبَنِّيه، ومن هذه المفاهيم "القُوَّة الذَّكِيَّة"، أُولَى التَّحَدِّيَات الَّتي واجهت بعض إدارات السِّيَاسَات حول العـــالم والَّتي منعتها من تحقيق مفهوم القُوَّة الذَّكِيَّة بالشـــكل المطلوب، هو عدم الفهم الواضح والصحيح لهذا المفهوم، ويَتَمَثَّل هذا التَّحَدِّي ربما بعدم قُدْرَة دولة ما على الســـير بنهج الدول الكبرى الَّتي قَدَّمَـــتْ الكثير في بدايات القُوَّة الذَّكِيَّة، وربما كان لها دور في تطوير هذا المفهوم، تنظيراً وتطبيقاً.

كما أن الأدوات الدُبْلُوماسِيَّة والمساعدات المَالِيَّة وقفت عائقاً أمام تحقيق القُوَّة الذَّكِيَّة كـــما تريد الإدارة الأَمْرِيكِيَّة مثلاً؛ لصعوبة إظهار نتائجها على المدى القصير، خاصةً أن اســـتخدام أدوات القُوَّة النَّاعِمَة - كما وصفها ناي وأرميتاج في الحالة الأَمْرِيكِيَّة - عَمَلِيَّـــة معقَّـــدَة وصعبة؛ لأن أغلب هـــذه الأدوات ومصادرها تكمن في العلاقات والتحالفات بين الولايات المُتَّحِدَة ودول العالم.

وفي التجربة الأَمْرِيكِيَّة باستخدام هذا المصطلح، واجهت واشنطن صعوبة في استخدام أدوات القُوَّة النَّاعِمَة في منطقة الشرق الأوسط؛ لأسباب تَتَعَلَّق بالنزعة العدائيَّة لدى الطـــرف الأَمْرِيكِيّ تجاه العرب، والَّتي كانت نتيجـــةً للصراع العَرَبِيّ الإسرائيلي في المنطقة، والســـبب الآخر والَّذي يتمركز حول الفروقات الثَّقَافِيَّة والعِلْمِيَّة، إضافة إلى الفجوة التِّكْنُولُوجِيَّة بين الولايات المُتَّحِدَة ودول الشرق الأوسط.

ولتقليل هذه الفروقات الثَّقَافِيَّة والعِلْمِيَّة، لجأت الإدارة الأمْرِيكِيَّة إلى نقل بعض من ثقافاتها وعلومها إلى الشرق الأوسط، عبر تأسيس المكتبات والمراكز العِلْمِيَّة وإطلاق المبادرات الشبابيَّة الَّتِي تدعم الأفكار الإبداعيَّة والمواهب في هذه الدول، والعمل على إعلان الشراكات مع الحكومات والمراكز ذات البدايَة الخصبة بهذه الثَّقَافَات والعلوم، واستهداف وسائل الإعلام المُوَجَّهَة للمشاهدين والمتابعين في دول الشرق الأوسط، لخلق رأي عام عربي جديد تجاه بعض القضايا والأفكار الَّتِي تواجههم.

ومن أبرز التَّحَدِّيَات الَّتِي واجهت استخدام مفهوم القُوَّة الذَّكِيَّة وتطبيقاتها المختلفة حول العالم (1):

أولاً: التَّحَدِّي المُؤَسَّسَاتي:

يشغل التَّحَدِّي المُؤَسَّسَاتي لِلْقُوَّة الذَّكِيَّة ذلك الفراغ القائم بين مُؤَسَّسَات القُوَّة الصَّلْبَة: المُؤَسَّسَة العَسْكَرِيَّة ومُؤَسَّسَات الأمن، الَّتِي تعتمد على استخدام القُوَّة، الإكراه والإجبار من جهة، وبين مُؤَسَّسَات القُوَّة النَّاعِمَة من جهة أخرى، والَّتِي قد تشغل حيزاً ليس بالمهم من ميزانيات الدول مقارنة بحجم ماليَّة مُؤَسَّسَات القُوَّة الصَّلْبَة؛ "فالتباين المُؤَسَّسِيّ بين القُوَّتَيْنِ يُنْتِج تعقيدات تَتَعَلَّق بحجم المُؤَسَّسَات ومكانتها وثقافتها المُؤَسَّسِيَّة، وكل هذا بالطبع يُؤَثِّر في أدائها، وبالتَّالي أداء القُوَّة الذَّكِيَّة".
بل إن مُؤَسَّسَات القُوَّة النَّاعِمَة قد تكون خاضعة إلى حَدّ ما لمُؤَسَّسَات القُوَّة الصَّلْبَة، مُمَثَّلَة في المُؤَسَّسَة العَسْكَرِيَّة والاستخبارات، الَّتِي قد تُحَدِّد خط سير القُوَّة النَّاعِمَة. وهو ما يُؤَثِّر سَلْباً وبشدة على تنزيل مُثْمِر وبَنَّاء لِلْقُوَّة الذَّكِيَّة. وبالتَّالِي فإن إيجاد ترتيبات مُؤَسَّسِيَّة متوازنة يتوقف على إرادة القيادة السِّيَاسِيَّة للدولة.

1. يمنى سليمان، "القُوَّة الذَّكِيَّة المفهوم والأبعاد: دراسة تَأْصِيلِيَّة"، مرجع سابق.

ثانياً: التَّحَدِّي السِّيَاسِيّ:

القُوَّة الذَّكِيَّة لا تحتاج فقط إلى ترتيبات مُؤَسَّسَاتيَّة داعمة وفاعلة فقط، بل هي في حاجة إلى إرادة وقُوَّة سِيَاسِيَّة لتحقيقها على أرض الواقع. فالعامل المُؤَسَّسَاتيّ في أمسّ الحاجة إلى مثل هذه القيادة الراغبة في الإصلاح (willingnes)، لتحقيق عنصر التوازن السِّيَاسِيّ الغائب بين القُوَّة الصَّلْبَة والقُوَّة النَّاعِمَة، كتحدٍّ آخر من ضمن تَحَدِّيَات القُوَّة الذَّكِيَّة. ولا أَدَلَّ على ذلك من كَثْرَةِ وقُوَّة أنصار القُوَّة الصَّلْبَة حجماً وتمثيلاً، مقارنةً بأنصار القُوَّة النَّاعِمَة. وهذا لا يقف عند حدود النخب السِّيَاسِيَّة للدول، بل يَمْتَدّ للدوائر الجماهيريَّة ومعاقل التأييد الشعبي.

فكتلة الناخبين السِّيَاسِيين، عندما يُقَرِّرُونَ اختيار مُمَثِّلٍ لهم عَبْرَ الانتخاب فهم أكثر ميلاً لتوجه القُوَّة الصَّلْبَة المرئيَّة والملموسة، الَّتِي يأخذونها في الاعتبار ويعتبرونها رمزاً لقُوَّة الدَّوْلَة وتأثيرها وقدرتها على حماية مصالحها. فأنصار القُوَّة النَّاعِمَة بين فئات المواطنين أقَلّ بكثير من هؤلاء المُؤَيِّدِينَ لِلْقُوَّة الصَّلْبَة، ويقتصر التأييد والدعوة لهذا التَّوَجُّه على فئات الأكاديميّين والدبلوماسيين السابقين فلا يوجد قُوَّة شَعْبِيَّة توازن تلك الَّتِي تمتلكها القُوَّة الصَّلْبَة.

خلاصة:

في ختام هذا الفصل نستخلص أن القُوَّة الذَّكِيَّة Smart power كرؤيَة مُتَجَدِّدَة للسلطة بمفهوم القُوَّة والنُّفُوذ، إذا كانت قد وَجَدَتْ مصداقيّتها العَمَلِيَّة التَّطْبِيقِيَّة في إدارة الرئيس الأَمْرِيكِيّ السابق باراك أوباما لأزماتِ القُوَّة الصَّلْبَة ومآزق نظيرتها النَّاعِمَة في الاقتصاد والثقافة، ودَفَعَتْهَا النَّظَرِيَّة القصوى من خلال ترويج هيلاري كلينتون إلى حَدّ الاعتناق والتبشير، فإنها (أي القُوَّة الذَّكِيَّة) تشير إلى التَّبَنِّي الذَّكِيّ لسياسات بديلة وفاعلة، يمازج

1. Joseph Nye, "Smart Power", Huffington Post، May 25, 2011, available at: goo.gl/ZPzQC

بين مجموع متجانس وبطريقة ضِمْنِيَّة عناصر القُوَّة الصَّلْبَة (Hard Power) مع إجراءات نموذجيَّة من القُوَّة النَّاعِمَة، تسمح بالحصول على نتائج أكثر كفاءةً ونجاحاً(1).

وفي إطـــار القُوَّة الذَّكِيَّة، دائمـــاً، ومن خلال ما تَمَّ تناولـــه وتحليله من مفاهيمها ومظاهرها، فإن الاســـتثمار في تطوير الشراكات والعلاقات لا يمكن مقاربتها فقط من زاوية الدول أو المُؤَسَّسَـــات الرَّسْـــمِيَّة، بل أيضاً من جانـــب الفاعل الاجْتِمَاعِيّ ومُؤَسَّسَـــات المجتمع المَدَنِيّ، ما دام التَّأْثِير المنشود يَمُرُّ في جزئه الأكبر عبر المعايير الثَّقَافِيَّة، الحساســـيات العقائديَّة، وما يمكن أن نُسَـــمِّيه بزعامات الرأي. أي: كُلّ ما يمكن أن يملأ ثغرات القُوَّة النَّاعِمَة كوســـيلة، والقُوَّة الصَّلْبَة المعياريَّة كمفاهيم غير مكتملة، الَّتِي ليس لها قيمة عَمَلِيَّة وُضِعَتْ ضمن استمراريَّة منطقيَّة، وفي تنفيذ سياقي وظرفي للغاية. والباقي يبقى وصفة لأصحاب النوايا الحسنة والتمنّي!

فيما الدُبْلُوماسِـــيَّة الرقميَّـــة أو الافتراضيَّة E - Diplomacy تقدم أمل ذلك التَّأْثِير الاحتمالي الكبير والمُنْتَظَر من خلال تعبئة الفضاءات الافتراضيَّة.

وبالعودة إلى مثال الولايات المُتَّحِدَة مرة أخرى، نجد أنه في عام 2003م، تأسَّســـت بمكاتب وزارة الخَارِجِيَّة، أقسام كتابة خاصة بالدُبْلُوماسِيَّة الإلكترونيَّة أو الرقميَّة(2). وقد اســـتثمر هذا القسم في مجموعة واســـعة من بوابات شبكة الإنترنت التفَاعِلِيَّة، والمِنَّصَات الإلكترونيَّة، وبرامج التدريب على الإنترنت، مما يجعل الاستخدام المبتكر للتكنولوجيا في ســـبيل تعزيز مصالح السِّيَاسَـــة الخَارِجِيَّة للولايات المُتَّحِدَة، أسلوباً ناجحاً وناجعاً في تطبيق القُوَّة الذَّكِيَّة.

1. رشا عبدالوهاب، "ثورة الدبلُومَاسِيَّة الرَّقَمِيَّة.. 3 تَحَدِّيَات تواجه الحكومات"، صحيفة الأهرام المصريَّة، 20 يوليو 2015م، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9vz23Z
2. برنامج علميّ يقوم على اســتِرَاتيجِيَّة الدبلُومَاسِـــيَّة العامة يتبع مكتب برامج الإعلام الدَّوْلِيّ (إيب) في وزارة الخَارِجِيَّة الأَمْرِيكِيَّة، بمشاركة الخبراء والتقنيين حول العالم، ومنذ العام 2010م أجرى البرنامج أكثر من 50 مؤتمراً علميّاً، ويتكون كل مؤتمر من يومي عمل يتضمنا تدريبًا عمليّاً وورش عمل تضمُّ المشـــاركين من خبراء التكنولوجيـــا والصحفيـــين والمُنَظَّمَات غـــير الحكوميَّة ودعاة المجتمع المدني، بهدف استكشـــاف وتطبيق حلول التكنولوجيا المبتكرة للقضايا العالميَّة. (About TechCamp, TechCamp, available at: goo.gl/eBRCGT)

بل إنه في غُضُون ســـنوات قليلة أدَّى ذلك إلى تغيير مُهِمّ في الطريقة الَّتِي يتواصل بها عمـــلاء أمريكيون مع بعضهم البعض في الخارج، وتبـــادل المعلومات والمعرفة، وتعبئة الناس خارج حدود الولايات المُتَّحِدَة. و(1) TechCamp يعطي مثالاً ســـاطعاً على ذلك، من خلال سلسلة مؤتمرات، يقوم فيها خبراء تكنولوجيا جنباً إلى جنب مع الجهات الفاعلة في المجتمع المَدَنيّ، ونشطاء من أجل التغيير، بمحاولة تحديد وتطبيق تكنولوجيَّات، منخفضة التكلفة وسهلة التنفيذ، تصبُّ في تغيير أكثر مرونة وكفاءة.

القُوَّة الذَّكِيَّة إذن، اسْـــتِرَاتِيجِيَّة تُتَرْجِم العودة بشكل من الأشـــكال إلى الوَاقِعِيَّة في السِّيَاسَة الخَارِجِيَّـــة الأَمْرِيكِيَّة، في قطيعة مَنْهَجِيَّة مع تنظيرات المحافظين الجُدُد الَّذين ألهموا الولايَّة الأُولَى لجـــورج بوش الابن، والَّتِي جاءت كتطبيق عَمَلِيّ مع إدارة أوباما؛ حيث القُوَّة "الصَّلْبَة" و"النَّاعِمَـــة" كخيارات قُوًى موجودة كانت تتواجد على مفترق طرق الأزمة. والدليل أن القُوَّة النَّاعِمَة لم تنجح في إثْنَاء زعيم كوريا الشـــماليَّة عن المُضِيّ في مشروعه النَّوَوِيّ(2)، حتى وإن عُرِف بِحُبّه لأفلام هوليوود، ولم تمنع حكومة طالبان عن مساندة تنظيم القاعدة(3)، وهَلُمَّ جَرًّا.

1. برنامج علميّ يقوم على اســـتِرَاتِيجِيَّة الدبلُومَاسِـيَّة العامة يتبع مكتب برامج الإعلام الدَّوْلِيّ (إيب) في وزارة الخَارِجِيَّة الأَمْرِيكِيَّـــة، بمشـــاركة الخبراء والتقنيين حول العـــالم، ومنذ العام 2010م أجرى البرنامج أكثر مـــن 50 مؤتمراً علميّاً، ويتكون كل مؤتمر من يومي عمل يتضمنا تدريبًا عمليّاً وورش عمل تضمُّ المشاركين من خبراء التكنولوجيا والصحفيين والمُنَظَّـــمَات غير الحكوميَّة ودعاة المجتمع المدني، بهدف استكشـــاف وتطبيق حلول التكنولوجيا المبتكرة للقضايا العالميَّة. (About TechCamp, TechCamp, available at: goo.gl/eBRCGT)
2. في أكتوبر 2002م، أقرَّت كوريا الشماليَّة لأول مَرَّة بأنها تمتلك برنامجاً نووياً عسكريّاً، ومنذ ذلك الإعلان دأبت بيونج يانج على إجراء سلسلة من التجارب النَّوَوِيّة بشكل مستمر، خلال الأعوام؛ 2006، 2009، 2013، 2015، 2016م، وفي يناير 2017م، أعلن رئيس كوريا الشماليَّة أنَّ بلادَه ستختبر صاروخاً قادراً على استهداف الولايات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة. وفي نوفمبر 2017م، أعلنت كوريا الشـــماليَّة نفسـها قُوَّة نوويَّة كاملة النطاق، وذلك بعد اختبار صاروخ باليســـتي عابر للقارات حديث يســـتطيع اســـتهداف أي منطقة قاريَّة في الولايات المُتَّحِدَة. وفي يونيو 2016م شـــهدت ســـنغافورة لقاء قِمَّة تاريخياً بين ترامب وكيم جونغ أون أفرز بياناً مشتركاً جاء بمثابة إعلان نوايا، خاصة فيما يتعلق بنزع السلاح النَّوَوِيّ من الكُورِيَّتَيْن. انظر: التسلسل الزمني لبرنامج كوريا الشـــماليَّة النَّوَوِيّ، روســـيا اليوم، 9 مارس 2018م، تاريخ الزيارة: goo.gl/w54WDg، وانظر أيضاً: لقاء ترامب وكيم: أي صفقات وراء المصافحات؟، فرانس 24، 12 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/crh6Rk
3. دَخَلَـــتْ حركـــة طالبان التي حَكَمَتْ أفغانســـتان منذ منتصف التســـعينيَّات من القرن الماضي وحتـــى العام 2001م، بؤرة اهتمام العالم عَقِبَ هجمات الحادي عشر من ســـبتمبر 2001م الشـــهيرة على الولايات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة، حيث اتَّهَمَتْ الحركة بتوفير ملاذ آمن لزعيم تنظيم القاعدة الراحل أســـامة بن لادن وأعضاء التنظيم الذين اتُّهِمُوا بالمســـؤوليَّة عن هذه الهجمات. وبعد فترة قصيرة من هجمات سبتمبر، أطاح غزو التحالف الدَّوْلِيّ بقيادة الولايات المُتَّحِدَة بطالبان من الســـلطة في أفغانســـتان نهاية العام 2001م. يُنْظَر: نبذة عن حركة طالبان، بي بي سي عربي، 16 ديسمبر 2014م، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/L8hS1V

منذ خمسمائة سنة، كتب نيكولا ميكافيللي(1) أن "الأمير يجب أن يُخشى جانبه إذا كان لا يفـــوز بالحب، وعلى أيّ حال فإنـــه يَتَجَنَّبُ الكراهية". في حين أن الإدارة القادمة في الولايات المُتَّحِدَة تَسْــتَعِدّ لمواجهة سياسة مُتَعَدِّدَة الأقطاب على نحو متزايد؛ حيث التَّحَدِّيَات هائلة، تلك الَّتِي تواجه الســلام، والاقتصاد، والبيئة في العالم. والنصائح من هذا القبيل تبدو ذات أهَمِّيَّة خاصة. لذا فإن ممارسة القُوَّة والضغط وحدها، عبر القُوَّة العَسْكَرِيَّة والاقتِصَادِيَّة للولايات المُتَّحِدَة، لن تُوَفِّر السلام والرخاء.

وسيكون على الرئيس الجديد تقديم أفكار جذَّابة، وتقديم بلاده كنسخة مِثَالِيَّة منها. وهـــو ما يبقى أمراً يحتمل أكثر من علامة اســتفهام، مـــا دام ترامب قد ملأ الدنيا ضجيجاً أثناء حملته الانتخابِيَّة، بنداءات القُوَّة الصَّلْبَة والحَسْــمِ، فهل سَــيُقْدِمُ على تنفيذها وهو على كرسي المكتب البيضـــاويّ بالبيت الأبيض؟(2) وبالتَّالي إلغاء عمل اسْتِرَاتِيجِيّ شـــاقّ وتراكم إيجابي مُهِمّ لِلْقُوَّة الذَّكِيَّة في عهد سلفه؟ ذلك ما ستجيب عنه امتحانات الأيام القادمة للسياسة الخَارِجِيَّة، في مادتي القُوَّة والسِّلْم!

1. نيكولا دي برناردو دي ماكيافيلّي (3 مايو 1469- 21 يونيو 1527م) مُفَكِّر وفيلســوف سِـيَاسِيّ إيطالي إِبَّانَ عصر النهضة، حتى أصبح مكيافيلي الشخصيَّة الرئيسيَّة والمُؤَسِّس للتنظير السِيَاسِيّ الواقعي، والذي أصبحت فيما بعد عَصَب دراسات العلم السِيَاسِيّ. أشهر كتبه على الإطلاق، كتاب الأمير، والذي كان عملاً هدف مكيافيلي منه أن يكتب تعليمات للحُكَّام، نُشِرَ الكتاب بعد موته، وأَيَّدَ فيه فكرة أن ما هو مفيد فهو ضروريّ، والتي كان عبارة عن صورة مبكرة للنفعيَّة والواقعيَّة السِّيَاسِيَّة. ولقد فُصِّلَتْ نَظَرِيَّات مكيافيلي في القرن العشرين. للمزيد يُنْظَر: محمود خاطر، الفكر السِـيَاسِيّ لميكافيلي، مجلة مصر المدنيَّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/86gx3Z
2. نفَّذَ ترامب بعض الوعود الخَشِــنَة التي اضطلع بها أثناء حملته الانتخابِيَّة، لعل أبرزها؛ الانســحاب من الاتفــاق النَّوَوِيّ الإيرانيّ، والانســحاب من اتفاقيَّة باريس للمنــاخ، وتوقيعه قراراً تنفيذياً يحظر دخول اللَّاجئين السُّــورِيِّينَ إلى الأراضي الأمْرِيكِيَّة، إضافة إلى منع إصدار تأشــيرات دخول لمواطني سِتّ دول إِسْلَامِيَّة أخرى، وهي إيران والعراق وليبيا والصومال والسودان واليمن. في حين لم يقم بتنفيذ البعض الآخر منها، لعل أبرزها بناء جدار عازل بين الولايات المُتَّحِدَة والمكسيك لمنع تدفق اللَّاجئين على الأراضي الأمْرِيكِيَّة. يُنْظَر: وعود أطلقها ترامب في حملته الانتخابِيَّة ونفَّذَها، موقع عنب بلدي، 7 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/nDTCf9

الفصل الرابع

تَطَوُّر مفهوم القُوَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة

- **مقدمة**
- **المبحث الأَوَّل: العصا والجزرة.. المساومة على رأس تطبيقات القُوَّة**
  - القُوَّة كقُدْرَة على التَّحَكُّم في الموارد
  - القُوَّة كقُدْرَة في التَّحَكُّم في الفواعل
  - القُوَّة كقُدْرَة على التَّحَكُّم في الأحداث والمُخْرَجَات

- **المبحث الثاني: الأمن القومي.. ملاحقة التَّغَيُّرَات واستباق التَّطَوُّرَات**
  - استخدام القُوَّة العَسْكَرِيَّة.. التكلفة الاقتِصَادِيَّة والبَشَرِيَّة الباهظة

- **المبحث الثالث: تغيرُ مصادر القُوَّة.. بين التَّصْنِيف والتَّطْوير**
  - أولاً: الأرض
  - ثانياً: الشعب
  - ثالثاً: النِّظَام السِّيَاسِي
  - تَغَيُّر الفواعل في السِّيَاسَة العَالَمِيَّة

الفصل الرابع

تَطَوُّر مفهوم القُوَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة

مقدمة

منذ القِدَم، شَـــكَّلَ مفهوم القُوَّة أحد المفاهيم المَرْكَزِيَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة، والَّذِي واكَب التَّطَوُّر الحاصل بين فترة زمنيَّة وأخرى، وَفْقاً للســـيَّاق المُحيط والعوامل الدَّوْلِيَّـــة المُؤَثِّرَة. وإذا كانت القُوَّة تُعرف على أنهـــا القُدْرَة على تحقيق الأهداف والنَّتَائِـــج المَرْجُوَّة، فروبـــرت دال (1) Robert Dahl يُفَسِّرُهَا بالقُدْرَة على جَعْلِ الآخرين يفعلون ما لا ينوون القيام به. فيما جوزيف ناي (2) Joseph Nye يَتَعَمَّقُ في هذا التعريف، مشـــيراً إلى أنَّ إدراك مفهوم القُوَّة وقياســـه يحتاج إلى معرفة تفضيلات الآخرين، وكذلك سُـــلُوكِيَّاتهم في حالة عدم ممارسة القُوَّة عليهم، وهو ما لا يمكن التَّوَصُّل إليه في حقيقة الأمر.

ومـــن هذا المنطلق اعْتَبَرَ القادة السِّيَاسِـــيون، أنَّ مثل هـــذا التعريف غير عمليّ، عكس واقعيَّة التعريف التَّقْلِيدِيّ لِلْقُوَّة، كمحدِّد ومقياس في آنٍ واحد، والَّذِي يُخْتَزَلُ في امتلاك مصادرها الرئيســـة، والَّتِي تشمل: السُّـــكَّان، الأرض، الموارد الطَّبِيعِيَّة، حجم الاقتصاد،

---

1. روبرت آلان دال Robert Alan Dahl من أصحاب النَظَرِيَّات السِّيَاسِيَّة وأستاذ العلوم السِّيَاسِيَّة في جامعة ييل. أَسَّسَ نظريَّـــة التعدديَّة الديمُقْرَاطِيَّـــة، بالإضافة إلى كونه صاحب النَّظَرِيَّة التجريبيَّة. وقد ركَّزَتْ أبحاث دال على طبيعة صنع القرار في المُؤَسَّسَـــات الفعليَّة، مثل المدن الأمْرِيكِيَّة. يُعْتَبَرَ داهال واحداً من علماء الاجتماع السِـــيَاسِيّ الأكثر تأثيراً في القرن العشرين، وَوُصِفَ بلقب "عميد علماء السياســـة الأمريكيين". (Robert A. Dahl, Encyclopedia Britannica, available at: goo.gl/4muJMV).
2. Joseph S. Nye, Soft Power, Foreign Policy, No. 80, Twentieth Anniversary, Autumn, 1990, Washingtonpost. Newsweek Interactive، LLC pp. 153- 171.

القُوَّات العَسْكَرِيَّة وعامل الاستقرار السِّيَاسِيّ المُهِمّ (اتجاه كينيث والتز[1] Kenneth N. Waltz لتعريف القُوَّة). لكن تبقى جدليَّة: أيّ المصادر تكون أولى بالاستخدام وَفْقاً للظروف والسياق والمواقف، وهي مسألة تحتاج إلى أكثر من إجابة وتحليل.

هنا، تَتَجَلَّى المشكلة الأَسَاسِيَّة المُتَلَخِّصَةُ في عَمَلِيَّة تحويل القُوَّة، كما أشار لها ناي، وتعني كَيْفِيَّة تحويل المصادر المذكورة سابقاً إلى قُوَّة فِعْلِيَّة. لا سِيَّمَا أن التَّفَوُّق في القُوَّة يعتمد على القُدْرَة في تحويل هذه الموارد لخدمة المصالح، وليس فقط امتلاكها ومراكمتها. وبذلك أصبح مُحَدِّد القُوَّة، هو امتلاك الموارد أولاً، والقُدْرَة على تحويلها إلى قُوَّة فِعْلِيَّة تالياً. ويجدر الإشارة إلى أنه مع تَطَوُّر التكنولوجيا الصِّنَاعيَّة، وأَثَرُهَا في تغيير طبيعة القُوَّة العَسْكَرِيَّة، أصبحت القُوَّة النَّوَوِيّة مصدراً جديداً لِلْقُوَّة يَتَّسِمُ بالأَهَمِّيَّة، وذلك في إطار توازن الرُّعْبِ، الَّذِي سُرْعَانَ ما تلاشى عندما أصبح استخدامها غير منطقيّ ولا تَلْجَأ الدول إليه في إطار حروبها [2].

1. كينيث والتز Kenneth N. Waltz 8 يونيو 1928- 13 مايو 2013م) ، مُنَظِّر اتجاه الواقعيَّة الجديدة، عبر توازن القوى كإحدى الركائز الأَساسيَّة في الواقعيَّة الكلاسيكيَّة ونظريَّة العلاقات الدَوْلِيَّة. (Kenneth N. Waltz, Encyclopedia Britannica, available at: goo.gl/aULS4s)
2. Joseph S. Nye, The Changing Nature of World Power, Political Science Quarterly, Vol. 105, No. 2 (Summer, 1990), pp. 177- 192.

المبحث الأول

العصا والجزرة..

المساومة على رأس تطبيقات القُوَّة

تجدر الإشـــارة إلى أن الباحثين في شـــؤون المجتمع البشريّ، يقولون بأن الأفراد والجماعات يلجأون لاســـتعمال كثير من التِّقْنِيَّات الأَسَاسِيَّة للتأثير على تَوَجُّهَات وقرارات بعضهم البعض. وفي النِّظَام السِّـــيَاسِيّ الدَّوْلِيّ؛ حيث تنعدم مَرْكَزِيَّة القُوَّة المُهَيْمِنَة والسُّـــلْطَة الشَّرْعِيَّة، فإن الدول تلجأ إلى أدوات المســـاومة. وقد نظَّر لهـــا كُلّ من كوينسي رايت [1] Quincy Wright وأورغانسكي [2] A. Organski ، عبر أربع تِقْنِيَّات للمساومة، تُطَبَّق في مجال السِّيَاسَة الدَّوْلِيَّة، ولها أهَمِّيَّة كبيرة كوسيلة فَهْمِ ممارسات التَّأْثِير في النِّظَام الدَّوْلِيّ، حسب المتسلسلة التالية[3]:

فالدَّوْلَة (ألف) في انتظار سُلُوكِيَّات ثلاثة تقوم بها نظيرتها (باء):

1. ستقوم (ب)بالعمل المطلوب منها في المستقبل.
2. لن تقوم (ب)بالعمل المطلوب منها في المستقبل.
3. ستواصل (ب)القيام بالعمل المطلوب منها في المستقبل.

---

1. فيليب كوينسي رايت Philip Quincy Wright عالم سِـيَاسِيّ أمْرِيكِيّ شـهير (28 من ديســمبر 1890- 17 من أكتوبر 1970م) من ميدفورد، ماساشوستس. عُرِفَ بأعماله الرائدة وخبرته الكبيرة في القانون الدَّوْلِيّ والعلاقات الدَوْلِيَّة. وكان واحداً من مُؤَسِّسِي لجنة شيكاغو للعلاقات الدَوْلِيَّة في عام 1928م، وأيضاً برنامج الدراسات العليا الأول في العلاقات الدَوْلِيَّة الذي أُنْشِـئَ في الولايات المُتَّحِدَة. وإضافةً إلى عمله الأكاديمي، عَمِلَ رايت مستشـاراً للقاضي روبرت جاكسون في محاكمات نورمبرغ الشهيرة، وكثيراً ما قَدَّمَ المشورة إلى وزارة الخَارِجِيَّة الأمْرِيكِيَّة. .(Quincy Wright, Encyclopedia Britannica, available at: goo.gl/3MU2Aa)
2. أبرامــو فيمو كينيث أورغانســكي (12 مايو 1923- 6 مــارس 1998م) Abramo Fimo Kenneth Organski، أســتاذ علوم سِيَاسِـيّة إيطالي في جامعة ميشيغان، ومُؤَسِّس نظريَّة انتقال السُّلْطَة، وشريك مُؤَسِّس ل ديسيسيون إنزيتس، عمله الرائد امتدَّ لعدة عقودٍ مُرَكِّزاً على جوانب محدَّدة من السياسة العالميَّة، بما في ذلك: الديموغرافيا السِّيَاسِـيَّة؛ التَّنْمِيَة السِّيَاسِـيَّة؛ والاسـتِرَاتيجِيَّة الكبرى. AFK "Ken" Organski, The Center for Political Studies (CPS), available at: goo.gl/T2gyZv
3. جهاد عودة، مقدمة في العلاقات الدَوْلِيَّة المُتَقَدِّمَة، المكتب العربي للمعارف، 2014م، ص 78.

وأمام هذه الوضعيَّات، سوف يكون أمام الدَّوْلَة (أ) خيار اللجوء إلى مجموعة من التِّقْنِيَّات:

1. **الإقنــاع**، عبر التَّهْدِيد الضِّمْنِــيّ، المكافأة أو العقوبات. لكن على أرض الواقع لا نستطيع الجزم بأنَّ ممارسة التَّأْثِير تَحْدُثُ ضِدَّ رغبة الآخرين دائماً، المثال: دولة تقترح مؤتمــراً دَوْلِيّاً حول الجريمة والدَّوْلَة الثانيَة توافق على المشــاركة دون تَحَفُّظٍ.
2. **اقــتراح مكافأة**، في حالة إعطاء الطــرف (أ) وَعْداً لـ (ب) بتقديم مكافآت بناءً على موافقة الأخيرة على مقترحات (أ)، والمكافآت في هذا الباب كثيرة ومُتَنَوِّعَة. وكمثــال على ذلك: تنظيم ندوة دَوْلِيَّة حــول المخدرات، قد تقترح (أ) على (ب) دعمها ماليّاً، أو تخفيض الضرائب الجمركيَّة على سِــلَعِهَا، أو دعمها في ندوات مماثلة من تنظيمها، أو تَعِدُهَا برفع العقوبات السابقة المُوقَّعة عليها.
3. **تقديم مكافأة**، ففي بعض الأحيان تطلب (ب) المكافأة قبل قيامها بالعمل المطلوب منها مِن قِبَل (أ). مثلاً: مفاوضات إيقاف الحرب غالباً ما تشــهد رفض كُلّ من الطرفين التَّخَلِّي عن أســلحته، حتى يرى التزام الطرف الآخر يُطبَّق وَاقِعِيّاً في احترام الاتِّفَاق.
4. **التَّهْدِيد بالعقاب**؛ وينقسم إلى نوعين:

- التَّهْدِيد الإيجابي، في حالة التلويح من طرف (أ) بزيادة الضرائب الجمركيَّة، قَطْع العلاقات الدُبْلُوماسِيَّة، شَنّ حصار اقْتِصَادِيّ ضِدَّ (ب) أو حرب مباشرة.
- التَّهْدِيــد بالحرمان، عبر تهديد (أ) بقطع المســاعدات الخَارِجِيَّة عن (ب)، وإيقاف المكافآت والامتيازات الأخرى الممنوحة لها من طرف (أ) في السابق.

5. **إيقاع عقوبة طفيفة أو محدودة**، عبر تهديدات ما تقوم بها (أ) تِجَاه (ب) لدفعها في اتِّجَاه تغيير سلوكها مع استبعاد الوسائل الأخرى لإحداث التغيير المنشود، لكن الإشكال في هذه الحالة، هو استعمال نفس الوسيلة المذكورة من طرف (ب) مما يُؤَدِّي مثلاً إلى التصعيد وزيادة النفقات العَسْــكَرِيَّة الَّذِي قد يصل إلى مستوى المواجهة العنيفة، في غياب حَلٍّ للمشكلة القائمة.

6. **استــــعمال القُوَّة** مع غياب تعدُّد الخيارات المتاحة اليوم أمام السِّيَاسَة الخَارِجِيَّة. على ســــبيل المثال: كانت فكرة نَزْع السلاح سابقاً معناها التَّخَلِّي عن أهم وسيلة في السِّيَاسَة الخَارِجِيَّة".

وعلى هذا المستوى، يمكن الاستعانة بما قدَّمه جيفري هارت (1) Jeffrey Peter Hart في مجال التنظير لِلْقُوَّة؛ حيث اقترح ثلاثة تَوَجُّهَات لقياس القُوَّة؛ **أولها السَّيْطَرَة على الموارد، وثانيها السَّيْطَرَة على الفواعل، وثالثها السَّيْطَرَة على الأحداث والمُخْرَجَات.**

القُوَّة كقُدْرَة على التَّحَكُّم في الموارد:

هذا الاتِّجَاه لقياس القُوَّة يُرَكِّز على الموارد وامتلاكها وتوظيفها لإنتاج القُوَّة، بالتَّرْكِيز على حجم النفقات العَسْكَرِيَّة، القُوَّات المُسَلَّحَة، والإنتاج القَوْمِيّ وتَعْدَاد السُّكَّان، وما يتبعها من موارد تمتلكها الدول. وتُعْتَبَرَ مُؤَشِّرَات لقُوَّة الدَّوْلَة تُسْتَخْدَمُ في الدِّرَاسَات الإمبريقية (2)؛ وذلك لأنها تمكِّن الدارســـين من ترتيب الدول بشـــكل مقبول، وعلى أساس مُؤَشِّرَات وعوامل مُحَدَّدَة.

---

1. جيفري بيتر هارت Jeffrey Peter Hart ولد في (22 أبريل 1930م) كاتب أمْريكيّ وناقد ثقافي، وأستاذ فخري في اللغة الإنجليزيَّة في كليَّة دارتموث. له العديد من المُؤَلَّفَات. (Guide to the Papers of Jeffrey P. Hart, 1982- 2005, Dartmouth Library, available at: goo.gl/iEQL3d)
2. الفلســـفة التجريبيَّة أو الإمبريقيَّة توجُّه فلســـفي يؤمن بأن كامل المعرفة الإنسانيَّة تأتي بشكل رئيسي عن طريق الحواس والخبرة. تُنْكِرُ التجريبيَّة وجود أيَّة أفكار فطريَّة عند الإنسان أو أي معرفة سابقة للخبرة العمليَّة. أما مصطلح إمبريقيَّة فيعبر عن الخبرة، والخبرة مصدرها الحواس، وبالتَّالي فإنَّ المعرفة الإنسانيَّة تَستمدّ شرعيَّتها من مرورها بهذه الحواسّ حتى تصبح بذلك قابلة للتحقُّق من صِحَّتها، ومفهوم الإمبريقيَّة يدلُّ عن كلِّ ما يتعلق بدراســـة المجتمع الإنســـاني بالاحتكام إلى الواقع المحسوس، سواءً في اختيار المشكلة وجمع الحقائق أو تصنيف البيانات وتحليلها. انظر في ذلك: عقيل أمير، الفلســـفة التجريبيَّة (الإمبريقيَّة)، المشروع العراقي للترجمة، د. ت، تاريخ الزيارة: 30 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8zVBv2

ولذلك يمكن القول بأنَّ أصحاب هذا الاتِّجَاه يفترضون أن التَّحَكُّم في الموارد يُفضي بالـــضرورة إلى تحويلها لمصادر قُـــوَّة فِعْلِيَّة تَتَحَكَّم في الفواعل والأحداث. مع الأخذ بالاعتبار إمكانيَّة تضمين المصادر المَعْنَوِيَّة غير الملموسة: المهارات العَسْكَرِيَّة والقيادة، وتشكيل القُوَّات العَسْكَرِيَّة إلى المصادر السالفة. وهذا يعطي صورةً أشمل لقُوَّة الدَّوْلَة وإمْكَانِيَّاتها؛ حيث إن دراســـة رَدّ فعل الدَّوْلَة في إطار هذه المصادر النَّوْعِيَّة، يعطي تَصَوُّراً أفضل لعَمَلِيَّة تحويل تلك المصادر وكَيْفِيَّة توجيهها لخدمة المصالح القَوْمِيَّة.
وينتقد هارت هذا الاتِّجَاه، من جانب أنه لا يمكن الإقرار بقُدْرَة الدَّوْلَة على استخدام الموارد الَّتِي تقع تحت سيطرتها. كما أنه لا يمكن استخدام ذلك في فَهْم علاقات القُوَّة في التحالفـــات والعمل الجماعي. فلا يمكن توصيف قُوَّتِهِمْ بأنها تســـاوي مجموع المصادر الخَاصَّة بالفواعل الدَّاخِلَة في تكوينه. مع الإشارة إلى اختلاف آراء المُنَظِّرِينَ في هذا الصَّدَد. (1)

القُوَّة كقُدْرَة في التَّحَكُّم في الفواعل:

يرتكز محور هذا الاتِّجَاه في الفواعل، وكَيْفِيَّة التَّحَكُّم فيها، وَفْقاً لتعريف روبرت دال، وهو قُدْرَة الفاعل (أ) على التَّحَكُّم في الفاعل (ب)، وجعله يَتَصَرَّف حسب ما يريد(2). وبالرَّغْم من إمكانيَّة تضمين الفواعل من غير الدول في هذا الاتِّجَاه، إلا أنه يصعب وَفْقاً لهذا الاتِّجَاه تفســـير مدى اسْتِقْلَالِيَّة هذه الفواعل عن الحكومات القَوْمِيَّة على مستوى ممارسة القُوَّة.
وكذلك ينتقد هارت هذا الاتِّجَاه، لقصوره عن التعامل مع العمل الجماعي أو التحالفات الجماعيَّة، بما أنه يُرَكِّز على القُوَّة الثُّنَائِيَّة بين قطبين كمحور لدراسته. وهذا يتناقض

1. يمنى سـليمان، "القُوَّة الذَّكِيَّة: المفهوم والأبعاد دراســة تَأْصِيلِيَّة"، المعهد المصري للدراســات السِّيَاسِـيَّة والاستِرَاتيجِيَّة، 12 يناير 2016م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/gyr2dw
2. حكيم غريب، طبيعة التَّحَوُّل في مفهوم القُوَّة في العلاقات الدَوْلِيَّة، لينكدإن، 24 سبتمبر 2016م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xXZBT6

مع طبيعة الوضع في السَّـــاحَة الدَّوْلِيَّة، والَّتِي تميل بشكل كبير نحو التحالفات، العمل الجماعي وتَعَدُّد الأقطاب. (1)

ويرى البعض أن مفهوم القُوَّة مرتبط بالأساس بطبيعة الفواعل المستخدَمة لها، أو كما قال ريمون آرون(2): إن الخاصيَّة المُمَيِّزَة للعلاقات الدَّوْلِيَّة هي مدى قانونيَّة وشرعيَّة استخدام القُوَّة من قبل الفاعلين.

لقد أصبحت الفواعل الدَّوْلِيَّة إذن، تَتَمَتَّع بالقُوَّة والنُّفُوذ بمقدار تَصَوُّرها الذاتيّ لهما، عكس ما كان حاصلاً في حِقَب تَارِيخِيَّة ماضِيَة، عندما كانت الدَّوْلَة تُدرِك حجم قُوَّتهَا بشكل انعكاسي بمقدار قُوَّة الآخرين. ومَرَدُّ هذا التَّحَوُّل هو عامل المُتَغَيِّرَات والطبيعة الجديدة للنزاعات الدَّوْلِيَّة. فمنذ النصف الثاني من القرن العشرين، بدأ العالم يشهد تراجعاً في عدد النزاعات بين الدول، وانتقل التَّوَتُّر في المقابل (النِّزَاعَات) إلى داخل الدول، وهو ما قلَّل مِن فُرَص معرفة الدول لبعضها البعض، واختبار قُوَّتهَا من خلال المواجهة المباشرة أو النزاع المسلح(3).

1. يمنى سـليمان، "القُوَّة الذَّكِيَّة: المفهوم والأبعاد دراسـة تَأْصِيلِيَّة"، المعهد المصري للدراسـات السِّيَاسِـيَّة والاستِرَاتيجِيَّة، مرجع سابق.
2. ريمون آرون Raymond Aron فيلسـوف وعالم اجتماع فرنسيّ، ولد في 14 آذار سـنة 1905م بمدينة باريـس وتوفي سـنة 1983م. ركَّز في فِكْره على نَفْي ما هو خـارج الوجود الماديّ وما يقع خارج نطاق الخبرة والمعرفة، واهتمَّ كذلك بالمجتمع الصِّنَاعِيّ الحديث، ورأى أن العامل الأساسيّ في حركة المجتمعات ليس هو الصراع الطَّبَقِيّ فحسب، بل هناك صراع النظم السِّيَاسِيَّة الذي رأى أن تأثيره أعظم بكثير من الـصراع الطَّبَقِـيّ. كما تطرَّق كذلك في كتاباته إلى العلاقات الدَوْلِيَّة والتناقضات الفلسـفيَّة والنواقص في الديمُقْرَاطِيَّـة الغربيَّـة. (Raymond Aron, Encyclopedia Britannica, available at: goo.gl/rAFLnb).
3. جدليَّة القُوَّة في العلاقات الدَوْلِيَّة، الموسـوعة الجزائريَّة للدراسـات السِّيَاسِـيَّة والاستِرَاتيجِيَّة، 4 مارس 2015م، تاريخ الزيارة: 30 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Wu53P6

القُوَّة كقُدْرَة على التَّحَكُّم في الأحداث والمُخْرَجَات:

يعتمد هـــذا الاتِّجَاه على نظريَّة الاختيار العقلاني لتفســـير القُوَّة، والَّتِي تجعل من السَّيْطَرَة على الموارد والسَّيْطَرَة على الفواعل سبيلاً للوصول إلى مَخْرَجٍ مُعَيَّن. وتُعرف المُخْرَجَات بنتاج الفعل الفرديِّ أو الجماعيِّ بشكل منفصلٍ غير متداخل. ولكنَّ الرَّبْط بين الأفعال والمُخْرَجَات يَتِمّ عن طريق خطٍّ وسيطٍ بينهما. فكل فعل يُؤَدِّي إلى حدث، وكل حـــدث يُفْضِي بالضرورة لمَخْرَجٍ واحدٍ عـــلى الأَقَلّ، والمُخْرَجَات تُؤَثِّر على المنفعة العَامَّة.

فالمنطق وراء هذا الاتِّجَاه هو أنه لا يمكن فقط الاعتماد على المصادر كوسيلةٍ لقياس القُوَّة، فقد تتوافر المصادر ولا تُســـتخدم ولا يمكن قياسها بالقُدْرَة على السَّيْطَرَة على الفواعل فقط؛ حيث إنها قد تُشَكِّل سيطرةً لا تضيف شيئاً من ناحية المنفعة. ولكن هذا لا يعني الاســـتغناء عن الاتِّجَاهين السابقين، ولكن الاستفادة منهما، عبر تضمنيهما كخطوات ثانويَّة، تأتي في الإطار الأشـــمل، ألا وهو التَّحَكُّم في المُخْرَجَات والوصول لِلْمُخْرَجَاتِ المطلوبة.

لذا نســـتخدم في خطة هذه الدراسة مقاربات الاتِّجَاهات الثلاث معاً، بحيث ندرس المصادر المتاحة للفواعل المختلفة، يليها الانتقال للسياســـات (الأفعال) الَّتِي قامت بها الفواعل، ثم تقييم أثرهم على المُخْرَجَات والنَّتَائِج.

المبحث الثاني

الأمن القومي..

ملاحقة التَّغَيُّرَات واستباق التَّطَوُّرَات

مَرَّ مفهوم الأمــن القَوْمِيّ بمرحلتين مُهِمَّتَيْنِ نتيجة التَّطَــوُّرَات العَالَمِيَّة. ففي المرحلة الأَوَّلى، كان يُنْظَرُ إليه بالنَّظْرَة الاسْــتِرَاتِيجِيَّة الضَّيِّقَة المُنْحَصِرَة في صدِّ هجوم عَسْكَرِيّ مُعادٍ، حماية الحدود من الغزو الخَارِجِيّ، والمحافظة على الاستقلال الوطني. أما في المرحلة الثانيَة، فقد أُضيفت مهام جديدة أُلقيت على عاتق الدَّوْلَة، الَّتي صار لزاماً عليها تأمين مواطنيها سِيَاسِــيّاً واقْتِصَادِيّاً واجتماعيّاً وثَقَافِيّاً، ضِدَّ أخطار مُتَعَدِّدَة فَرَضَتْهَا طبيعة العولمة والانفتاح اللامحدود على العصر الحديث.

وفي ظِلِّ انتهاء عصر العزلة، وشيوع فكر العولمة، تراجعت سيادة الدَّوْلَة، وتناقصت اسْتِقْلَالِيَّة القرار الوَطَنِيّ لصالح قُوىً إِقْلِيمِيَّة أو دَوْلِيَّة. إذ أضحت صناعة القرارات مثلاً، مســألة مشتركة بين السُّلْطَة الوَطَنِيَّة، وغيرها من السُّلُطَات الخَارِجِيَّة على غِرَار المُنَظَّمَات الدَّوْلِيَّة. نفس الأمر ينطبق على القرارات الاقتِصَادِيَّة الَّتي لم تَعُدْ حِكْراً على المســؤولين في الدَّوْلَة، وخارج نطاق التأميم والسيادة والمُؤَسَّسَات الوَطَنِيَّة؛ حيث تأثيرُ وتَدَخُّل المُؤَسَّسَــات الخَارِجِيَّة كالبنك الــدَّوْلِيّ(1) ومُنَظَّمَة التِّجَارَة العَالَمِيَّة(2) وغيرهما أضحى كبيراً، مما يُعَدُّ انتقاصاً من القرار السيادي، ومعه الأمن القَوْمِيّ أيضاً.

1. أُنْشِئَ البنك الدَّوْليّ للإنشاء والتعمير سنة 1944م، في سياق الجهود الدَوْلِيَّة المبذولة لإعادة بناء أوروبا المدمَّرة بِفِعْلِ ويلات الحرب العالميَّة الثَّانِيَة، وتَمَّ ضَمُّهُ إلى المُؤَسَّسَة الدَوْلِيَّة للتنميَة، وهي الصندوق المُخْتَصّ بمساعدة أشدّ البلدان فقراً، ليشكِّلا معاً البنك الدَّوْليّ الحالي بأعضائه المســاهمين البالغ عددهم 189 بلداً. ويعمل البنك الدَّوْليّ للإنشــاء والتعمير والمُؤَسَّســة الدَوْلِيَّة للتنميَة، مساهمين فيها بالتعاون مع جميع مُؤَسَّسَات مجموعة البنك الدَّوْلِيّ والقطاعين العام والخاص في البلدان الناميَّة لإنهاء الفقر، وبناء الرخاء المشــترك. للمزيد يُنْظَر: البنك الدَّوْلِيّ، الموقع الرســمي للمُؤَسَّسَة على شبكة الإنترنت، د. ت، تاريخ الزيارة: 30 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/nnCXx9
2. مُنَظَّمَة عالميَّة مَقَرّها مدينة جنيف بســويسرا، مهمتها الأساســيَّة ضمان انســياب التِّجَارة بأكبر قَدْرٍ من السَّلاسَــة واليُسْر والحُرِّيَّة. وهــي المُنَظَّمَــة العالميَّة الوحيدة المختَصَّة بالقوانين الدَوْلِيَّــة المَعْنِيَّة بالتِّجَارة ما بين الدول. تضمُّ مُنَظَّمَة التجارة العالميَّة 164 دولة عضو، إضافةً إلى 200 دولة مراقبة حتى 1 أغسطس 2016م. (What is the WTO?, WTO، available at: goo.gl/iqZi75)

هكذا أصبحت مســـاحة التَّدَخُّل الأجنبي في كثير من شـــؤون الدَّوْلَة أكبر من أيّ عصر مضى. واتُّخِذَتْ، في ظِلِّ العولمة، صوراً مُتَغَيِّرَة وأساليب مُتَجَدِّدَة. كما وفَّرت هامشَ تحرُّك كبيرٍ بأدوار مُتَعَدِّدَة لبعض التَّيَّـــارات الاجْتِمَاعِيَّة والفِكْرِيَّة الجديدة، بما فيها مُنَظَّمَات المجتمع المَدَنيّ المختلفة. ومع ظاهرة العنف والإرهاب اللتين برزتا بأشكال جديدة خلال العقدين الأخيرين، تَغَيَّرَتْ بدورها مفاهيم الأمن القَوْمِيّ، بل وتجاوزت الحدود المرسومة للدول، فأصبح الأمن بالنسبة للولايات المُتَّحِدَة مثلاً يَمْتَدّ إلى كُلِّ بقعةٍ في العالم (1).

ومن الجدير بالذكر أن موضوع الأمن القَوْمِيّ يَشْغَل جزءاً كبيراً من اهتمامات وأجندات حكومات الدول المُتَقَدِّمَة، والواعيَّة سِيَاسِـــيّاً وأَمْنِيّاً بمخاطر الْحِقْبَة. يشاركها بالبحوث والمناقشات، الدارسون والخبراء في معاهد الدِّرَاسَات الاسْتِرَاتِيجِيَّة وغيرها، والداعون إلى إدخال عناصر جديدة، ضمن مفهوم الأمن القومي، لمواكبة طبيعة العصر الَّذِي يَتَغَيَّر باستمرار، ومِنْ ثَمَّ يصبح التَّمَسُّك بمفاهيم الأمن القَوْمِيّ التَقْلِيدِيَّة، من دون إعادة نظر دقيقة فيها، بمثابة تجميد لقُدُرَات الدَّوْلَة، وفَرْض حصار ذاتي على مستقبلها.

وعلى سبيل المثال؛ فإن من الموضوعات ذات الأَوَّلويَّة في المناقشات الدائرة حالياً في الولايات المُتَّحِدَة، دراســـة إمكانيَّة اعتبار تغيُّر المُنَاخ في العالم، ضمن تَحَدِّيَات الأمن القومـــي(2)، لما يمكن أن تحمله هذه الظاهرة من تأثيرات سَـــلْبِيَّة على أمورٍ كثيرة، كالاقتصـــاد، الزراعة، المياه والبيئة وغيرها. أي كُلّ ما يمكن أن يمسَّ اســـتمرار حياة الإنسان والحيوان والنبات (3).

1. عبدالمعطي زكي، "الأمن القومي قراءة في المفهوم والأبعاد"، المعهد المصري للدراسات السِّيَاسِيَّة والاستراتيجِيَّة، 9 فبراير 2016م، تاريخ الزيارة 8 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/66ZoWB
2. للمزيد حول هذا النقاش ينظر؛ نهاد محمود، جدل ترامب: لماذا انقسم الأمْريكيون حول الانسحاب من اتفاقيَّة المناخ؟، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المُتَقَدِّمَة، أبوظبي، 5 يونيو 2017م، تاريخ الزيارة: 30 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YytQMJ
3. يذكر أنه في أغسطس 2017م أبلغت وزارة الخَارجيَّة الأمْريكيَّة الأمم المُتَّحِدَة رَسْمِيّاً أنها ستنسحب من اتفاقيَّة باريس للمُنَاخ، لكنها تركت الباب مفتوحاً أمام إعادة الاشتراك إذا تَحَسَّنَتْ الشروط بالنسبة للولايات المُتَّحِدَة. يأتي هذا الانســحاب وفقاً لرؤية الرئيس الأمْريكِيّ دونالد ترامب الذي يعتقد أن هذه الاتفاقيَّة ســتُكَلِّف بلاده تريليونات الدولارات، وســتَقْضِي على وظائف وتُعَرْقِل صناعــات النفط والغاز والفحم والصناعات التحويليَّة. للمزيد يُنْظَر: الولايات المُتَّحِدَة تنســحب رســمِيّاً من اتفاقيَّة باريس للمناخ، مونت كارلو الدَوْلِيَّة، 5 أغســطس 2017م، تاريخ الزيارة: 30 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Bw7NwD

وبناءً عليه، فكل المناقشـــات الَّتِي تدور في نطاق الأمن القومي، تتمحور حول كَيْفِيَّة تعظيـــم قُدُرَات الدَّوْلَة، بعد أن تنوَّعت وتفاوتت درجات خطورة مصادر تهديد الأمن القومي، والَّتِي اســـتقَرَّ التفكير عليها مباشرة بعد انتهاء الحرب الباردة، والَّتِي تشمل الإرهاب، والجريمة المُنَظَّمَة، والأوبئة، والكوارث الطَّبِيعِيَّة، مع ملاحظة تفاقم الإرهاب على وجه الخصوص، وانتشاره كالعدوى على المستوى العالمي، في إطار شبكات مُتَّصِلَة أو منفصلة عن بعضها البعض في تهديد حقيقيّ لأمن المجتمعات والدول.
هذه التَّطَوُّرَات المتلاحقة والمتفاقمة عجَّلَت بالإسراع في حشـــد خبراء مُتَخَصِّصِين في الأمن القوميّ، يُكَوِّنُونَ رصيداً فِكْرِيّاً يعزِّز قُدْرَة الدَّوْلَة على مواجهة مختلف التَّحَدِّيَات في هذا الشأن. مع الإشارة إلى أن التقسيمات القديمة الَّتِي تفصل بين الأمن القَوْمِيّ والأمن الدَّاخِلِيّ لم تَعُدْ صالحة لمواجهة تَحَدِّيَات عالم اليوم، بعد أن تشكّلت مُنَظَّمَات مُتَرَبِّصَة في داخل الدَّوْلَة تحمل لها شـــعارات العداء، أو تســـتهدفها بالسلاح وبجميع وســـائل الدمار ونشر الفوضى، وبالتَّالِي يصبح من المُهِمّ صياغة اسْـــتِرَاتِيجِيَّة للأمن القَوْمِيّ تجمع بين المعادلتين الاثنتين.

وأمـــام تَنَوُّع وتَطَوُّر مصادر تهديد الأمن القوميّ، وبعد أن ثبت لدى كثير من الدول، أن قُدْرَة الدَّوْلَة الاقتِصَادِيَّة، الَّتِي تملك مُقَوِّمَات التَّنَافُس الإنتاجيّ والإبداعيّ والتكنولوجيّ.. إلخ، قد صعدت إلى قِمَّة مُتَطَلَّبَات الأمن القَوْمِيّ للدولة، فإن هناك إعادة ترتيب لأولويات إدارة الدول - تحت ما يسمى كفاءة الحكومة - بالتَّرْكِيز على ما يُعزِّز من أسباب التَّنَافُسِيَّة، والقُدْرَة الاقتِصَادِيَّة، وتعبئة العناصر الوَطَنِيَّة المُتَخَصِّصَة والمُتَفَوِّقَة، في مجالات البحوث والكشـــوف العِلْمِيَّة، والتعليم المُتَطَوِّر الَّذِي يُنْعِش طاقات الإبداع لدى الدارسين، ويدفع بالدَّوْلَة إلى صدارة أعضاء المجتمع الدَّوْلِيّ، كَطَرَفٍ مُؤَثِّر وفَاعِلٍ.
وارتباطاً بهذه التَوَجُّهَات، ظهر ما يوصف اليوم بالأمن القَوْمِيّ الاقتِصَادِيّ، وقيام الدول بربط أمنها القَوْمِيّ بالأمن الاقتِصَادِيّ. وتلك نتيجة مســـتخلَصة من رَصْد وتشخيص تجارب صعود دول صغيرة، تَحَوَّلَتْ في أَقَلَّ من عشر سنوات إلى دول صاحبة اقتصادات قَوِيَّة مُتَقَدِّمَة؛ حيث أصبح الأمن القَوْمِيّ الاقْتِصَادِيّ البدايَة لنجاح أيّ نظام حُكْمٍ.

خلاصة نجاح الدول الصاعدة في آســيا وأمريكا اللاتينيَّة، نبَّهت القُوَى الكبرى إلى خطورة هذا النهج في التفكير، بشــأن الأمــن القَوْمِيّ الاقتِصَادِيّ. وهو ما ظهر على سبيل المثال قبل عامين في إعلان ما سُمِّيَ بـ"اسْتراتِيجِيَّة أوباما لتجديد أمريكا، ببناء الداخل" (1) والاعتراف بأنَّ نجاح السِّيَاسَــة الخَارِجِيَّة، وشــيوع نفوذ الدَّوْلَة عَالَمِيّاً، يَتَأَسَّسَان على متانة بنائها الدَّاخِلِيّ.

لقد كانت مواجهة تَحَدِّيَات الأمن القَوْمِيّ للدولة تُلْقَى على عاتق القُدْرَة العَسْكَرِيَّة في عصور سابقة. ولهذا كان من الطَّبِيعِيّ التَّرْكِيز على القُدُرَات العَسْكَرِيَّة أكثر من غيرها. لكن في عصر المُتَغَيِّرَات المتلاحقة هذا، والَّذِي أصبحت فيه المعرفة من أهم مُقَوِّمَات القُوَّة، اعتماداً على توافر المعلومات، وكَيْفِيَّة استخدامها في الارتقاء بمُقَوِّمَات الدَّوْلَة في الداخل والخارج، فإن التَّرْكِيز لم يَعُدْ قائماً على القُدْرَة العَسْكَرِيَّة وحدها، كوسيلة لحماية الدَّوْلَة، بل أولاً، بلورة رؤيَة اسْــتراتِيجِيَّة شاملة، قادرة على تحريك الدماء في مختلف شرايين المجتمع بشــكل متناسق في التعليم، والبحث العِلْمِيّ، وترقية مهارات المواطنين، ورعايتهم صِحِّيّاً، وتطوير مختلف المجالات الإنتَاجِيَّة صناعيَّة وزراعيَّة.

إن العــالم العَرَبِيّ ليس بمَعْزِلٍ عمّا يجري في العالم من تغيير وتَطَوُّر وتجديد لمفهوم الأمن القومي، خاصة أن بعض مصادر التَّهْدِيد أصبحت عابرة للحدود. ففي المجالات الأَمْنِيَّة، كان العالم العَرَبِيّ - ولا يزال - مُسْتَهْدَفاً من أطراف خَارِجِيَّة، لتُضَافَ إليها تيارات وتنظيمات الإرهاب الَّتِي ينعدم لديها معنى الوطن وحسّ الولاء له، بعد أن نفَذ إلى داخل هذه المجتمعات العَرَبِيَّة واستلب عقول الآلاف من شبابها (2).

أمــا الأمن القَوْمِيّ العَرَبِيّ في جانبه الاقْتِصَادِيّ كذلك، فيمكن أن يُحَقِّق قَفَزَات أكبر وأوسع، في المجالات الإنتَاجِيَّة التنافسيَّة بمعاييرها المعاصرة.

1. عاطف الغمري، "أولويَّة الأمن القومي الاقْتِصَادِيّ"، صحيفة الخليج الإماراتيَّة، 18 يوليو 2012م، تاريخ الزيارة 21 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/1LCTg
2. عاطف العمري، تَغَيُّر مفهوم الأمن القوميّ، صحيفة الخليج الإماراتيَّة، 13 أغســطس 2014م، تاريخ الزيارة 8 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/D9HN9L

إن مسألة حسابات الأمن والقُوَّة إذن، باتت شاملة ومُوَحَّدَة لعناصر الجُغْرَافِيَا والمعطيات البَشَرِيَّة والعَسْكَرِيَّة، والاقتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة...إلخ، وبالتَّالي إخضاع قُوَّة الدَّوْلَة بشكل كامل للقياس والمقارنة بقوى نظيراتها الصديقة منها والعَدُوَّة، مع استخلاص النَّتَائِج المُتَوَقَّعَة إذا ما خاضت الدَّوْلَة صراعاً مُسَلَّحاً أو حرباً شاملة ضِدَّ أعدائها، والتَّحَسُّب لِكُلِّ بُعْدٍ من أبعاد هذا الصِّرَاع، والَّذِي يمكن أن يُؤَثِّر في قُدُرَات الدَّوْلَة كُلٍّ على حِدَة، ثم بشكل شُمُولِيّ، وبما يُؤَثِّر في النَّتَائِج النهائيَّة للصِّرَاع(1).

استخدام القُوَّة العَسْكَرِيَّة.. التكلفة الاقتِصَادِيَّة والبَشَرِيَّة الباهظة:

لا يمكن إنكار أن لاستخدام القُوَّة العَسْكَرِيَّة العديد من الجوانب السَّلْبِيَّة. ولَعَلَّ ما يمكن الإشارة إليه هنا، هو زيادة التكلفة الاقتِصَادِيَّة والبَشَرِيَّة. فقَبْلَ أنْ تُفَكِّرَ أيّ دولة في استخدام قُوَّتهَا العَسْكَرِيَّة ضِدَّ دولة أخرى، يجب أن تضع في اعتبارها ارتفاع التكاليف، سواءً من حيث الناحية الاقتِصَادِيَّة أو البَشَرِيَّة.

وقد اتَّفَقَتْ آراء العلماء والباحثين في قُوَّة الدَّوْلَة الشَّامِلَة والتوازنات الاسْتِرَاتِيجِيَّة على قياس التوازن العَسْكَرِيّ منفرداً أو في إطار التوازن الاسْتِرَاتِيجِيّ لِلْقُوَى الشَّامِلَة، وذلك بِعِدَّة أساليب، لكل منها مزاياها وعيوبها.

وتنحصر هذه الأساليب في الآتي:

1. قياس حجم القُوَّة البَشَرِيَّة العَسْكَرِيَّة في القُوَّات المُسَلَّحَة: سواءً العاملة أو بعد تعبئة الاحتياط.
2. قياس التوازن اعتماداً على مقارنة أعداد الأسلحة ومُعِدَّات القتال الرئيسة: سواءً الْبَرِّيَّة منها (الدَّبَّابات، العربات المُدَرَّعَة، المدفعيَّة)، أو البَحْرِيَّة (سفن القتال والغَوَّاصات)، أو الجَوِّيَّة (طائرات القتال، والمروحيَّات الهجوميَّة).

1. حسام الدين سويلم، "القُوَّة الشاملة للدولة وكيفيَّة حسابها"، مجلة البريَّة، القُوَّات المُسَلَّحَة السُّعُودِيَّة، الرياض، د.ت، تاريخ الزيارة 8 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KK2XIT

3. قياس التوازن بمقارنة الإنفاق العَسْكَرِيّ الَّذِي تنفقه الدَّوْلَة من دخلها القومي، بالإضافة إلى ذلك حجم المَعُونَات العَسْكَرِيَّة الخَارِجِيَّة، والَّتِي تُؤَثِّر بصورةٍ مباشرةٍ في حجم الإنفاق العَسْكَرِيّ.

وهناك بعض مراكز الدِّرَاسَات والبحوث الاسْتِرَاتِيجِيَّة، مثل مركز جافي (1) للدراسات الاسْتِرَاتِيجِيَّة التَّابع لجامعة تل أبيب في إسرائيل، يُعالِج الطريقة الثانيَة لقياس التَّوازن الاسْتِرَاتِيجِيّ العَسْكَرِيّ بمقارنة أسلحة ومُعِدَّات القتال الرئيسيَّة، **بتقييم هذه الأسلحة إلى عِدَّة نوعيَّات على النحو التالي:**

1. **أسلحة المواجهة المباشرة:** وتشمل الأسلحة الْبَرِّيَّة من دبَّابَات القتال الرئيسيَّة، وعربات نقل الجند والقتال المُدَرَّعَة، وأسلحة المدفعيَّة، وأسلحة الدِّفَاع الجويّ. والأسلحة البَحْرِيَّة والجَوِّيَّة القتاليَّة المختلفة.
2. **أسلحة ومُعِدَّات الاستخدام والإسناد:** وتشمل جميع أنواع الأسلحة والمُعِدَّات الَّتِي يكون لها تأثير في التوازن العَسْكَرِيّ، منها في الأسلحة الْبَرِّيَّة، الأسلحة المضادَّة للدبابات، خاصة الصواريخ المُضَادَّة للدبابات المُوَجَّهَة بحُكْمِ فَاعِلِيَّة تأثيرها في الحَدِّ من تأثير قُوَّة الصَّدْمَة عند المدرَّعات في الهجوم.
ويدخل أيضاً أنواع الذخائر الَّتِي تُؤَثِّر في فَاعِلِيَّة أسلحة المواجهة المباشرة مثل الذخائر الذَّكِيَّة دقيقة الإصابة، والمُوَجَّهَة بالليزر أو حرارياً أو بأقمار صناعيَّة، كما تشمل أيضاً المُعِدَّات الَّتِي تعطي للسلاح ثِقَلاً في التوازن النَّوْعِيّ، وتأثيراً

1. مركز بحثي إسرائيلي يَتْبَع جامعة تل أبيب، تأسَّس في عام 1977م، بهدف إجراء البحوث الأساسيَّة التي تُلَبِّي أعلى المعايير الأكاديميَّة في المسائل المُتَعَلِّقَة بالأمن القومي الإسرائيلي والشؤون الأمنيَّة الإِقْلِيمِيّة والدَوْلِيَّة في الشرق الأوسط. إضافة إلى المساهمة في النقاش العام والمداولات الحكوميَّة حول القضايا التي تَهُمّ مباشرة أجندة الأمن القومي لإسرائيل. ويُعْتَبَر المركز مخزن المعلومات الأكاديمي الرئيس لدى إسرائيل، ويَحْتَلّ المركز الأول بين مختلف مُؤَسَّسَات البحوث من حيث حجم اهتمامه بالشؤون الاستِرَاتيجِيَّة المتعلقة بإسرائيل. Jaffee Center for Strategic Studies (JCSS), NIRA's World Directory of Think Tanks, available at: goo.gl/udjntz

على التوازن الكَمِّيِّ، مثل أنظمة إدارة النيران المُتَطَوِّرة، ومُعِدَّات تقدير المســـافة بالليزر، وأنظمة الملاحة والتوجيه عبر الأقمار الصِّنَاعِيَّة GPS.
أما بالنســـبة للأسلحة البَحْرِيَّة، فيدخل ضمن أسلحة الاستخدام والمعاونة أنظمة الرادار والدِّفَاع الجوي والصاروخي المزودة بها السفن الحربيَّة، وسرعة ومدى عمل وتسليح هذه السُّفن، خاصة الصواريخ أرض / أرض.
وبالنسبة للأســـلحة الجَوِّيَّة، فهناك طائرات الإنذار المُبَكِّر والقيادة والسَّيْطَرَة مثل طائرات أواكس، E2C، وأُضيفت لها الاستخبارات والكمبيوتر تحت اختصار C - 4E.

3. **أسلحة ذات قُدْرَة مُمَيَّزَة، وتشمل الصواريخ الباليستيَّة متوسطة وبعيدة المدى الَّتِي تُطْلَقُ من مِنَصَّات ثابتة أو مُتَحَرِّكَة، والمصمَّمة لقصف أهدافٍ في العُمْق الاسْـــتِرَاتِيجِيّ للدول المعاديَّة، وتُطْلَقُ من الأرض أو من الجو أو من البحر. وغالبها موجَّه إما عبر الأقمار الصِّنَاعِيَّة، أو بالليزر أو أشـــعة تحت الحمراء، أو أيّ وسائل توجيه أخرى.**

وعند إجراء المقارنة بين أسلحة ومُعِدَّات القتال ينبغي ألا يقتصر ذلك على المستوى الكَمِّيّ في المقارنـــة بين الدول، بل يجب أن يُوضَع في الاعتبار الفروق النَّوْعِيَّة بين الأســـلحة ومُعِـــدَّات القتال ومـــدى حداثتها، وكذلك الثِّقَل النِّيرَانيّ للتشـــكيلات الميدانيَّة (الفِرَق المُدَرَّعَة والميكانيكيَّة والمشاة)، ومدى ما تَتَمَتَّع به من خِفَّة حركة ومعاونة نيرانيَّة جَوِيَّة. (1)

في عصرنا الحالي، وبعد تزايُد القُوَّة التدميريَّة للأسلحة عالية التِّكْنُولُوجِيَّة، بل وتزايد خطر الأســـلحة الكيماويَّة والنَّوَوِيّة، زيادة على آثارها السَّلْبِيَّة، دفَع ذلك الدول لتجنُّب استخدام القُوَّة العَسْـــكَرِيَّة لِحَلّ النِّزَاعَات، وأصبحت تُمَثِّل آخر حَلٍّ للدول. ليس هذا فحسب، بل إن زيادة نفقات القُوَّة العَسْكَرِيَّة وتكلفتها المَادِّيَّة على عاتق الدول قلَّل من

1. حســـام الدين ســـويلم، "القُوَّة الشاملة للدولة وكيفيَّة حســـابها"، مجلة البريَّة، القُوَّات المُسَلَّحَة السُّعُودِيَّة، مرجع سابق.

اعتماد الدول عليها. بالإضافة إلى أن الرأي العام أصبح يرفض بِشِدَّة استخدام القُوَّة العَسْكَرِيَّة، وأصبح الحصول على موافقة الشعب والتأييد الجماهيريّ صعب المنال. ويَرْجِع هذا التَّوَجُّه للرأي العام إلى التكلفة البَشَرِيَّة الَّتِي يَتَكَبَّدُهَا هؤلاء جرَّاء استخدام القُوَّة العَسْكَرِيَّة بالإضافة للخسائر الاقتِصَادِيَّة الَّتِي تُؤَثِّر على حياتهم اليوميَّة.

كما أن الاعتماد المتبادل بين الدول في شؤون الاقتصاد والتِّجَارَة جعل من الصعب على الدول أن تلجأ للحروب الَّتِي تُؤَثِّر عليها اقْتِصَادِيّاً، وَلَعَلَّ هذا أحد أهم الأسـباب الَّتِي تُفسِّر التَّوَجُّه الأُورُوبيّ والأَمْرِيكِيّ تجاه الأزمة الأوكرانيَّة(1)

علاوةً على ذلك لم تصبح الهيمنة الدَّوْلِيَّة في عصر العولمة مُتَمَثِّلَةً في احتلال إقليم بالاعتماد على القُوَّة العَسْكَرِيَّة، وإنما احتلاله بالسَّيْطَرَة على سياساته المَالِيَّة والتِّجَارِيَّة والاقتِصَادِيَّة، والهيمنة الثَّقَافِيَّة والفِكْرِيَّة، وخَلْق التَّبَعِيَّة الفِكْرِيَّة لا الإِقْلِيمِيَّة.(2)

1. في نهاية عام 2013م بدأت احتجاجات شـعبيَّة في كييف للمطالبة بدخول أوكرانيا إلى الاتِّحَاد الاوربي بعد تعليق حكومة الرئيس فيكتور يانوكوفيتش، الموالي لروسيا، التوقيع على اتفاقيَّة الشراكة مع الاتِّحَاد. وقـد ازدادت وتـيرة هذه الاحتجاجات مع بدايـة 2014م، وأَدَّتْ إلى مقتل العديد من المُحْتَجِّينَ والقوى الحكوميَّـة، وفي ظِـلّ تلك الظروف صوَّت مجلس النواب الأوكراني عـلى عَزْل الرئيس يانوكوفيتش في فبراير 2014م، قبل أن يلغي المجلس قانون اللغة للأقليات (والذي يشـمل الرُّوسـيَّة)، وتَمَّ إعلان اللغة الأوكرانيَّة لغةً رسميَّة وحيدة للبلاد. وقد رأت الأقليَّة الرُّوسِيَّة التي تُشَكِّل غالبيَّة سُكَّان شِبْه جزيرة القرم أن خطوة إلغاء قانون اللغات هي دليل على أن المُحْتَجِّينَ في كييف يحملون أجندة معادية لروسيا ولهم تَوَجُّهٌ عُنْصُريّ. ومِنْ ثَمَّ نظَّموا، خلال شـهر مارس 2014م، اسـتفتاءً في القرم للانفصال عن أوكرانيا والانضمام لَروسـيا الاتِّحَاديَّة، جاءت نتيجة الاستفتاء لصالح الانضمام لروسيا بنسبة 95%. وتبدو أزمة أوكرانيا عام 2014م تجليّاً تطبيقيّاً لمفهوم الرَّدْع الاسْـترَاتِيجِيّ الروسي؛ حيث عَمَدَتْ موسـكو إلى حَشْد جميع أدواتها الاسـترَاتيجِيَّة بما فيها التَّدَخُّل العسـكريّ لمنَع وقوع أوكرانيا في فَلَك حلف الناتو، والذي فَشَـلَ في رَدْع روسـيا عن ضَمّ شـبه جزيرة القرم وزعزعة الاستقرار في شرق أوكرانيا، ومن ثَمَّ نجحت روسـيا في منع التكامل الأوكراني مع الغرب؛ من خلال تطبيق مفهوم الرَّدْع الاسْـترَاتِيجِيّ، في حين أن الولايات المتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة ومن ورائها الناتو لم يكونا على استعداد للمخاطرة بتصعيد عسكري نيابة عن بلد لا ينتمي إلى حلف شـمال الأطلسي حتى وإن كان هذا البلد مُهماً لمَدِّ مَظَلَّة الحلف إلى حدود روسـيا الغَربيَّة. للمزيد يُنْظَر: الثورة الأوكرانيَّة 2014م، السِـيَاسِيّ. كوم، 16 مارس 2015م، تاريخ الزيارة: 30 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/MY4X1r
   وانظر كذلك: مصطفى شفيق علام، الردع الاسْتِرَاتِيجِيّ في العقيدة العَسْكَرِيَّة الرُّوسِيَّة، مجلة اتِّجَاهَات الأحداث، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات لمُتَقَدِّمَة، أبوظبي، عدد 19، يَنَاير- فبراير 2017م.
2. Joseph S. Nye, Jr., "The Changing Nature of World Power", Political Science Quarterly, Vol. 105, No. 2 (Summer, 1990) , pp. 177- 192, Published by: The Academy of Political Science, Stable URL: http: //www.jstor.org/stable/2151022, P. 177- 180

المبحث الثالث

تغيرُّ مصادر القُوَّة..
بين التَّصْنِيف والتَّطْوير

قبل أن نتحدث عن تَغَيرُّ مصادر القُوَّة، وَجَبَ علينا في البدايَة التَّطَرُّق لمصادر القُوَّة نفسـها، وهي الَّتِي يمكن تعريفها بالعناصر المُمَثَّلَـة بالموارد العَامَّة للدولة، والَّتِي يمكن أن تَسـتخدمها الدَّوْلَة على المدى الطويل لامتلاك أو تطوير قُدُرَات مُعَيَّنَة تُسـتخدم في التَّأثِير، على غِرَارِ الموقع الجُغْرَافيّ، عدد السُّكَّان، الموارد الاقتِصَادِيَّة، القاعدة الصِّنَاعِيَّة، الإمكانات العِلْمِيَّة والتِّكْنُولُوجِيَّة، والقِيَم الثَّقَافِيَّة(1).

وهنـاك أيضاً مصطلح قُدُرَات القُوَّة، وهي عنـاصر القُوَّة الَّتِي تُمَثِّل قُدُرَات محدَّدَة يمكن أن تسـتخدمها الدَّوْلَة مباشرة في عَمَلِيَّة ممارسـة التَّأْثِير على المدى القصير؛ كالقُوَّاتِ المُسَلَّحَةِ، والاحتياطيات النقديَّة، والأدوات الدُّبْلُوماسِيَّة، وأجهزة الاستخبارات. فالجيوش عادةً ما تكون في وَضْع اسـتعدادٍ لاسـتخدام القُوَّة المُسَلَّحَةِ في أيّ وقت تَتَعَرَّضُ فيه الـدول للتهديد. وتُمَثِّلُ هذه القُدُرَات عموماً أدوات لقُوَّة الدَّوْلَة.(2)فعلى الرَّغْم من صعوبة اسـتخدامها كقاعدة في ممارسـة التَّأْثِير بشكل مباشر على المدى القصير، توجد بعض الاستثناءات بشأنها، إلا أنها تُعْتَبَر ذات أَهَمِّيَّة قصوى لقُوَّةِ الدَّوْلَةِ بصفةٍ عامَّةٍ، لعدَّةِ اعتباراتٍ، **أهمُّها ما يلي:**

1. تمثيل العامل الأسـاس في تحديد وزن الدَّوْلَة ضمـن هيكل القُوَّة العالمي. فعلى الرَّغْم من الدور الْحَيَوِيّ الَّذِي تلعبه القُدُرَات المُحَدَّدَة (العَسْـكَرِيَّة، المَالِيَّة.. إلخ)

1. كاظـم هاشـم نعمة، العلاقات الدَّوْلِيَّة، وزارة التعليم العالي والبحـث العلمي، جامعة بغداد، كليَّة العلوم السِّيَاسِيَّة، 1987م، ص 165.
2. كاظم هاشم نعمة، العلاقات الدَّوْلِيَّة، المرجع السابق.

في تشكيل موقع الدَّوْلَة على خريطة النِّظَام السِّيَاسِيّ الدَّوْليّ، وعدم استناد تلك القُدُرَات على موارد كبيرة يَحُدُّ من تأثيراتها على هذا المستوى.

2. فتصنيف دول العالم إذن، إلى قُوًى عظمى، وقُوًى كبرى، ودول متوسطة القُوَّة (قوى إِقْلِيمِيَّة كبيرة)، ودول صغيرة، يرتكز عادةً على أسس القُوَّة ذات الطبيعة الثابتة نِسْبِيّاً. فانهيار أُسُس قُوَّة الاتِّحَاد السوفييتي هبط بالدَّوْلَة الوريثة (روسيا الاتِّحَاديَّة) من مصاف القُوَى العظمى إلى موقع الدول الكبرى، رغم امتلاكها قُوَّة قتاليَّة تزيد عن القُوَّة القتاليَّة الأَمْرِيكِيَّة(1). وامتلاك كُلّ من الهند وباكستان لأسلحةٍ نَوَوِيَّة(2)، لم يُحَوِّلْهُمَا مِن دولٍ متوسِّطَة القُوَّة إلى قُوًى كبرى. وكذلك حيازة بعض دول جنوب شرق آسيا، أو الخليج العَرَبِيّ لقُدُرَات اقْتِصَادِيَّة أو ماليَّة كبيرة لم يؤدِّ إلى تعديل ترتيبها في هيكل القُوَّة العالمي(3).

3. طبيعة الموارد المتوافِرَة (الكَمّ والكَيْف) لأيّ دولة هي الَّتي تحدِّد طبيعة القُدُرَات الَّتي يمكنها امتلاكها، أو بعبارة أخرى نَوْعِيَّة أدوات القُوَّة المتاحة لها، لكي تستخدمها في إدارة علاقاتها مع الآخرين، فدول مثل السلفادور أو موريتانيا، الَّتي تمتلك إِمْكَانِيَّات محدودة، أو غير مُتَطَوِّرة بدرجة مُعَيَّنَة، لا يمكنها حتى لو أرادت أن تُنْتِج أسلحةً نوويَّة تُؤَثِّر بها في الآخرين، أو أن تكون لديها شبكة إعلاميَّة تُغَطِّي العالم، أو أن تُبَعْثِر عِدَّة ملايين من الدولارات سَنَوِيّاً كمعونات خَارِجِيَّة لسببٍ أو آخر. بعكس دول

1. يبلغ عدد قُوَّات الولايات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة (العاملة والاحتياط) نحو 2،083،100 فرد، في حين يبلغ عدد قُوَّات روسيا الاتِّحَاديَّة (العاملة والاحتياط) نحو 3،586،128 فرد، وفقاً لتقديرات العام 2018م. للمزيد يُنْظَر: Global Firepower 2018

2. وَفْقاً لتقديرات تقريبيَّة، فإن باكستان تمتلك 140 رأساً نوويّاً، في حين تمتلك الهند 130 رأساً نوويّاً. للمزيد يُنْظَر: "9 دول تمتلك أسلحة نوويَّة في العالم.. تَعَرَّفْ عليها"، بي بي سي عربي، 4 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/dwyJix

3. وَفْقاً لتقديرات العام 2018م، تَحْتَلّ قطر، وهي دول عَرَبِيَّة خليجيَّة، المرتبة الأولى من حيث إجمالي الناتج المحلي لكلِّ فردٍ، والذي يبلغ نحو 98.814 دولاراً سَنَوِيّاً، في حين تَحْتَلّ سنغافورة، وهي دولة صغيرة المساحة تقع في جنوب شرق آسيا، المرتبة الثالثة عَالَمِيّاً من حيث إجمالي الناتج المحليّ لكل فردٍ، والذي يبلغ 64.584 دولاراً سَنَوِيّاً. للمزيد يُنْظَر: قطر الأولى.. الشعوب الـ10 الأكثر ثراءً في العالم، الخليج أونلاين، 12 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/SCErH2

أخرى كفرنسا أو بريطانيا اللتين تمتلكان إمْكَانيَّات كبيرة تتيح لها بناء جيوش قَوِيَّة، وقواعد عَسْــكَرِيَّة خارج أراضيها، وامتلاك وسائل إعلام وبرامج معونات خَارِجيَّة ذات تأثــير. وإن كان توافر الموارد لا يتيــح أوتوماتيكيّاً امتلاك القدرات، وهناك مُحَدِّدَات مختلفة تحيط بذلك، فالعلاقة هنا غير مباشرة، لكنها واضحة(1).

4. تأثيرات أُسُــس القُوَّة على علاقات القُوَّة بين أيّ طرفين قد تكون حاســمة على المــدى الطويل، بشروط مُعَيَّنَة ترتبط بالكَيْفِيَّة الَّتي يَتِمّ توظيفها بها. فقد تَمَكَّنَتْ القُوَّات الألمانيَّة عام 1942م خلال الحــرب العَالَمِيَّة الثانيَة من إلحاق الهزيمة بالقُوَّات الرُّوسِــيَّة(2)، والتَّوَغُّل في أراضي روســيا، إلا أن اتِّسَاع وعُمْق مساحة روســيا ومُنَاخها قارس البرودة أدَّى الى إرهاق القُــوَّات الألمانيَّة الَّتي اضْطَرَّتْ للانسحاب تحت وطأة الضَّرَبَات غير النِّظَاميَّة لِلْقُوَّات الرُّوسِيَّة، كما كانت اليابان قد قامت بعَمَلِيَّة مفاجئة ضِدَّ الولايات المُتَّحِدَة عام 1941م، حطَّمت فيها الأسطول الأمْرِيــكِيّ في بيرل هاربور(3)؛ بحيث تَمَكَّنَتْ من السَّــيْطَرَة الكاملة في منطقة

1. في هذا الإطار يُذْكَر أنَّ فرنســا وبريطانيا من الدول الكبرى دائمة العضويَّة في مجلس الأمن، وهما دولتان لهما تاريخ استعماري طويل خلال الحِقْبَة الكولونياليَّة، وكان لكلٍّ منهما مستعمرات واسعة فيما وراء البحار؛ في إفريقيا وآســيا والأمريكتين وحتى المناطق الجُزُرِيَّة بالمحيطات الكــبرى، وهما حالياً من الاقْتِصَاديّات الدَوْلِيَّة الكبرى في العالم. وذلك بخلاف دول فقيرة أو أقلّ ثَرَاءً كموريتانيا والسلفادور، ليس لهما سابقة نفوذ على الصعيدين الإقْلِيمِيّ والدَّوْلِيّ، وهما محدودتا الموارد والقدرات على صعيد مفردات القُوَّة بمفهومها الاسْتِرَاتِيجِيّ الشامل.
2. كان ذلــك قبل أن تَتَوَغَّل القُوَّات الألمانيَّة صَوْبَ مدينة ســتالينجراد، لرمزيَّتها التاريخيَّة والأيديولوجيَّة، فتحوَّلــت إلى إحــدى المعارك الكبرى في التاريخ ونقطة تَحَوُّل مفصليَّة في الحرب العالميَّة الثانية؛ دارت رَحَاهَا بين صيف 1942 وفبراير 1943م. انتهت المعركة باستسلام الجيش السادس الألماني، وشكَّلت بداية النهاية لتَقَدُّم ألمانيا في هذه الحرب العالميَّة الثَّانيَة، وقضت على تطلُّعات هتلر التوســعيَّة للســيطرة على كامل أوروبا. للمزيد يُنْظَر: "ســتالينغراد.. معركة حاســمة بددت أحلام الرايخ الألماني"، الجزيرة نت، 27 سبتمبر 2016م، تاريخ الزيارة: 30 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/FD2r6N
3. الهجوم على بيرل هاربر هي غارة جويَّة مُبَاغِتَة نَفَّذَتْهَا البحريَّة الإمبراطوريَّة اليابانيَّة في 7 ديســمبر 1941م عــلى الأســطول الأمْرِيكِيّ القابع في المحيط الهــادي في قاعدته البحريَّة في ميناء بيرل هاربر بجزر هاواي، غَيَّرَ هذا الحدثُ مجرَى التاريخ وأرغم الولايات المُتَّحِدَة على دخول الحرب العالميَّة الثانية. كانت تلك الضربة بمثابة ضربة وقائيَّة لإبعاد الأسطول الأمْرِيكِيّ في المحيط الهادي عن الحرب التي كانت تُخَطِّط اليابان لشنِّها في جنوب شرق آسيا ضد بريطانيا وهولندا والولايات المُتَّحِدَة.
Stetson Conn, Rose C. Engelman، Byron Fairchild, GUARDING THE UNITED STATES AND ITS OUTPOSTS، CENTER OF MILITARY HISTORY UNITED STATES ARMY, WASHINGTON, D.C., 2000, pp. 174- 196.

الهادي، واضْطَرَّتْ القُوَّات الأمْرِيكِيَّة إلى إخلاء الفلبين، لكن خلال سنوات قليلة تَمَكَّنَتْ الولايات المُتَّحِدَة من إعادة بناء قُوَّتهَا العَسْـــكَرِيَّة، لتقوم باجتياح القُوَّات اليابانيَّة، وهزيمة اليابان واحتلالها عام 1945م. (1)

إضافـــة إلى كُلّ ذلـــك فإن بعض موارد القُوَّة يمكن أن تُســـتخدم مباشرة في التَّأْثِير على ســـلوك الأطراف الأخرى كقُدُرَات قُوَّة، والمثال الشـــهير على ذلك هو استخدام الدول العَرَبِيَّة للبترول كســـلاحٍ، يُحْظَر تصديـــره إلى الدول الداعمة لإسرائيل خلال حـــرب أكتوبر 1973م(2)، في ظِلِّ ملامح مُعَيَّنَة لأســـواق البـــترول ومصادر الطَّاقَة خلال الســـبعينيَّات، كما أن الدول يمكن أن تَسْتَخْدِم إمْكَانيَّاتها المَالِيَّة مباشرة في مَنْح المســـاعدات الاقتِصَادِيَّة للدول الأخرى، فبعض الموارد الاقتِصَادِيَّة والمَالِيَّة تُمَثِّل أسس قُوَّة وأدوات قُوَّة في الوقت نفسه. (3)

في هذا السِّيَاق، فإنَّ محاولة الحَصْر الدقيق للعناصر الَّتِي تُشَكِّل أُسُس القُوَّة لأيَّة دولة تبدو أحياناً وكأنها مَهَمَّة مستحيلة. فالدول تتكوَّن من أرضٍ وشعب وحكومة، ثم عنصر السِّـــيَادة الَّتِي يفترض على أساسه قُدْرَة الدَّوْلَة على السَّيْطَرَة على ثرواتها ومواردها، وتعبئتها في الاتِّجَاهات الَّتِي تُحَقِّق مصالحها دون مُؤَثِّرَات خَارِجِيَّة هَيْكَلِيَّة.

1. د. خليل حسين، القُوَّة وأثرها في الأحلاف الدَوْلِيَّة وصراعاتها، مجلة الدفاع الوطني اللُّبْنَانيّ، العدد 65، تموز 2008م، تاريخ الزيارة 17 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/feG4yr
2. رابـع مواجهــة عَسْـكَرِيَّة بين الدول العَرَبِيَّــة وإسرائيل، بدأت الحرب في الســاعة الثَّانِيَة من بعد ظهر يوم 6 أكتوبر 1973م، بتنسيق بين مصر وسوريا، وضغط مصري على الاتِّحَاد السُّوفييتِيّ لتعويض الأسلحة والمُعِدَّات التي فُقِدَت في حرب 1967م، وكان من تَبِعَاتِهَا اســتعادة مصر لشــبه جزيرة سَــيْنَاء، وإقدام الرئيس المصري أنور الســادات على إبرام اتفاق ســلام مع إسرائيل في العام 1979م. وخلال تلك الحرب وكورقة ضغط على الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة والدول الداعمة لإسرائيل قَرَّرَتْ الدول العَرَبِيَّة المُصَدِّرَة للنفط حَظْرَ تصدير النفط لتلــك الــدول، وتخفيض الإنتاج الكليّ العربيّ من النفط بنســبة 5%. للمزيد يُنْظَر: حرب أكتوبر 1973، ذاكرة مــصر المعــاصرة، مكتبة الإســكندريَّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 30 يوليو 2018م، متــاح على الرابط التالي: goo.gl/7G7Muy
3. إيان رتليدج، العطش إلى النفط، الدار العَرَبِيَّة للعلوم، بيروت، 2006م، ص ص 21- 23.

تَتَشَكَّلُ أُسُــس القُوَّة القَوْمِيَّة للدولةِ استناداً على تفاعُل العناصر الرئيسة الثلاثة؛ (الأرض، الشــعب، الحكومة)، وهي العناصر الَّتِي تُحَدِّد، مبدئيّاً، حجم الدَّوْلَة من حيث الصِّغَــر والكِبَر. فهناك دول صغيرة الحجم كغانا وســويسرا، ودول كبيرة الحجم كالولايات المُتَّحِدَة والهند، بصرف النظر عن مســتوى تقدُّم كُلّ دولة، إلا أن لكلِّ عنصر تعقيداته الخَاصَّة، والَّتِي يمكن الإشارة إليها كالتالي:

أولاً: الأرض:

ويُعَبَّرُ عنها عادةً بالعامل الجُغْرَافِيّ الَّذِي اعتُبِر من جانب الاسْتِرَاتِيجِيِّينَ الأوائل أهم عوامل قُوَّة الدول، في ظِلِّ ظروف عصورهم بالطبع، ويشــتمل العامل الجُغْرَافِيّ على عِدَّة عناصر أساسيَّة ذات أَهَمِّيَّة واضحة بين كُلِّ عناصر (أو موارد) قُوَّة أيِّ دولة، منها:

1. الموقع الجُغْرَافِيّ:

فهناك دول تَحْتَلّ مواقع اسْــتِرَاتِيجِيَّة مُتَمَيِّزة على خريطة العالم مثل مصر (1)، بينما تقع دول أخرى في مناطق متطرفة معزولة كآيسلندا (2)، أو حبيسة كتشاد (3).

1. تقــع جمهوريَّــة مصر العَرَبِيَّة في أقصى الشــمال الشرقيّ مــن القَارَّة الإفريقيَّة، ويَحُدُّهَا من الشــمال البحر المتوســط ومن الشرق البحر الأحمر، وتتبع معظم أراضيها قارة إفريقيا غير أن جزءاً من أراضيها وهي شــبه جزيرة سيناء يقع في قارة آسيا. وهي نقطة التِقَاء قَارَّات العالَم القديم؛ آسيا وإفريقيا وأوروبا، وتَتَمَتَّعُ بسواحل طويلة على البحرين الأبيض والأحمر، وتمتلك نحو 32 ميناءً بحريّاً تُمَثِّل ثِقَلاً كبيراً في حركة التجارة العالميَّة، ومن خلال قناة السويس تُمَثِّلُ مصر همزة الوصل بين الشرق والغرب؛ حيث تقوم القناة بدور كبير في الحركة التجاريَّة الدَوْلِيَّة. للمزيد يُنْظَر: أهميَّة مصر الجيو- استِرَاتيجيَّة، الجزيرة نت، 11 فبراير 2011م، تاريخ الزيارة: 30 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/q4BUv4
2. آيســلندا هي جزيرة منعزلة في شــمال المحيط الأطلسي، على حافة الدائرة القطبيَّة الشــماليَّة، تقع في أقصى شمال القَارَّة الأوروبيَّة، بين الجُزُر البريطانيَّة جُزُر جرينلاند. Iceland, CIA World Factbook, available at: goo.gl/rCMjWz
3. تقع تشــاد في قلب الصحراء الكبرى الإفريقيَّة، وهي دولة حبيســة لا تَتَمَتَّع بأيِّ سواحل بحريَّة، ومن ثَمَّ تفتقر إلى الموقع الاسْــتِرَاتِيجِيّ والموانئ البحريَّة، يَحُدُّهَا السودان شرقاً، وليبيا شمالاً، والنيجر ونيجيريا والكاميرون غرباً، وإفريقيا الوسطى جنوباً. Chad, CIA World Factbook, available at: goo.gl/mxfxQb

وتَبَعاً للمقولات السَّـــائدَة فإنَّ مواقع الدول (مثل مواقع العقارات أو الشقق) تُمَثِّل عنصر قُوَّة أساسيَّة في تقييم وزنها (ثمنها)، خاصة إذا كانت تسيطر على مَمَرَّات مائيَّة دَوْلِيَّة رئيسة كقناة السويس، أو باب المندب، أو الدردنيل.

ويرتبط بذلك أيضاً موقع الدَّوْلَة بالنســبة للبحار والمحيطات، والَّذِي يحدِّد طول ســواحلها ومنافذها البَحْرِيَّة الَّتِي تتيح لها انفتاحــاً على العالم وَثَرَوَات بَحْرِيَّة إضافيَّــة، وكذلك موقعها الفلكيّ على خطوط الطــول والعرض الَّذِي يُؤَثِّر على مُنَاخ الدَّوْلَة الَّذِي ســادت بشأنه نظريَّة مثيرة في الماضي تَرْبِط بين المُنَاخ الحارّ والتَّخَلُّف، وبين المُنَاخ البارد والتَّقَدُّم.

يُضاف إلى ذلك شكل وطبيعة حدود الدَّوْلَة، وعدد وخصائص الدول المجاورة لها، وهو عنصر يُؤَثِّر بِشِدَّةٍ في سياساتها وأمنها.

2. المساحة الجُغْرَافِيَّة:

فهناك دول متراميَّة المســاحة كروسيا الاتِّحَادية (1) والبرازيل (2)، ودول صغيرة المساحة كالبحرين(3) وبلجيكا (4). وتفترض التَّحْلِيلات التَّقْلِيدِيَّة أن اتِّسَاع المساحة يعني قُدْرَة الدَّوْلَة على اســتيعاب أعداد أكبر من السُّــكَّان، مع تزايد احتمالات وجود الثَّرَوَات الطَّبِيعِيَّة، وتَمَتُّع الدَّوْلَة بعُمْقٍ اسْتِرَاتِيجِيٍّ طبيعيٍّ، بما يَدْعَم قُوَّتهَا،

1. تبلغ مساحة روسيا الاتِّحَاديَّة أكثر من 17 مليون كيلو متراً مربعاً وتحديداً، 17.098.242 كم2، وهي تَحْتَلّ المرتبة الأولى بين دول العالم من حيث المساحة.
(Russia, CIA World Factbook, available at: goo.gl/yiVeDN)
2. تبلغ مســاحة البرازيل 8.515.770 كم2، وهي أكبر دول أمريكا اللاتينيَّة، وســادس دولة في العالم من حيث المساحة. (Brazil، CIA World Factbook, available at: goo.gl/SJKzSF)
3. مملكة البحرين من أصغر دول العالم مساحة، بنحو 760 كم2، تَحْتَلّ بها المرتبة 188 بين دول العالم.
(Bahrain, CIA World Factbook, available at: goo.gl/uwtvsM)
4. تبلغ مساحة بلجيكا 30.528 كم2، تَحْتَلّ بها المرتبة الـ141 على مستوى دول العالم.
(Belgium, CIA World Factbook, available at: goo.gl/FtwQh3)

لكـــنَّ ذلك ليس حَتْمِيّـــاً في كُلّ الأحوال؛ فوقوع كندا في مناطق باردة يُقلِّص من أهَمِّيَّة مســـاحتها (1)، وقد تَتَمَتَّع دول صغـــيرة بموارد كبيرة كالكويت (2). كما أن شكل الدَّوْلَة من حيث التضاريس الطَّبِيعِيَّة (جبليَّة، سهلية)، أو الحدود الخَارِجِيَّة، أو كونها جُزُراً أو أقاليم قَارِّيَّة، يُؤَثِّر بشـــدة على أهَمِّيَّة المساحة، ويطرح تداعيات مُعَقَّدَة بالنِّسْبَة لقُوَّة الدَّوْلَة.

3. الموارد الاقتِصَادِيَّة:

فإقليم (أرض) الدَّوْلَة يشمل ما تحت الأرض من موارد اقْتِصَادِيَّة طَبِيعِيَّة، كمصادر الطَّاقَـــة (البترول، الفحم، الغاز، المواد النَّوَوِيّة)، أو ثَـــرَوَات مَعْدَنِيَّة (كالحديد، والقصدير، والذهب)، إضافة إلى ما يوجد على سطح الأرض من تُرْبَة (ومصادر مياه) تُتِيح إنتاج الموارد الغذائيَّة (كالقمح) أو الموارد الزراعيَّة (كالقطن). ويشمل إقليـــم الدَّوْلَة كذلـــك ما حول الأرض من مياه إقْلِيمِيَّـــة في البحار والمحيطات، وامتداداتها تحت البحر (الجروف القَارِّيَّة)(3)، وتَتَمَثَّل أهَمِّيَّة الموارد الاقتِصَادِيَّة فيما تُتِيحُهُ للدولة من قُدُرَات ماليَّة تُمَثِّل عنصرَ قُوَّة مزدوجاً (مورد + قدرة)، كما

1. على الرَّغْمِ من احتلال كندا للمرتبة الثالثة بين دول العالم من حيث المســـاحة، بنحو 9.984.670 كم2، إلا أنَّ الكثير من تلك المساحة الهائلة يقع في أجواء المنطقة المُتَجَمِّدَة المتاخمة للقطب الشمالي.
(Canada, CIA World Factbook, available at: goo.gl/9VHBHc)
2. تَحْتَلّ الكويت المرتبة السادسة على مستوى العالم من حيث احتياطات النفط المُؤَكَّدَة والتي تصل إلى 101.5 مليار برميل، في حين وصل إنتاج الكويت من النفط إلى 3.15 ملايين برميل يوميّاً، ووصلت قيمة صادرات الخام إلى 46.26 مليار دولار، وفقاً لتقديرات العام 2016م. للمزيد يُنْظَر: احتياطيّ النفط الكويتيّ السادس عَالَمِيّاً، صحيفة القبس الكويتيَّة، 13 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 30 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/T2yiFS
3. الجَـــرْف القَـــارِّيّ هو الامتداد الفِعْلِيّ والطبيعيّ، لقاع الأرض القاريَّة داخل البحار والمحيطات، (الجزء الأرضيّ الغارق تحت ســـطح البحر) . وقد حَدَّدَتْ اتفاقيَّة جنيف، المتعلقة بقانون البحار الجَرْف القَارِيّ، بمســـافة 200 ميـــل عمـــق، فيما بعد البحر الإقْلِيمِـــيّ. وقد قرَّرت الاتفاقيَّة، كذلك أحقيَّة الجُـــزُر في الجَرْف القَارِيّ. للمزيد يُنْظَـــر: مـــا هو الجرف القاري، الجزيرة نت، 15 نوفمـــبر 2017م، تاريخ الزيارة: 30 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/UgUPTA

أنها تُمَثِّل الأساس المَادِّيّ للنموِّ الاقتِصَادِيّ، والتبادل التِّجَارِيّ في إطار الاقتصاد الدَّوْلِيّ. وتتفاوت الدول بِشِدَّةٍ من حيث امتلاك أو عدم امتلاك مثل هذه الثروات، وتأثيراتها على قُوَّتهَا في حالة وجودها أو عدم وجودها.

ثانياً: الشعب:

ويُعَبَّر عنه عادةً بالعامل الديموغرافيّ (أو البشرِيّ) أو السُّكَّان، الَّذِي يُمَثِّل وزناً جَوْهَرِيّاً بين أســس قُوَّة الدَّوْلَــة؛ إذ إنه يُتِيح لها قُوَّة العمل اللازمة لإدارة شــؤونها، وتطوير اقتصادها، كما يتيح لها القُوَّة البَشَرِيَّة اللازمة لإمداد القُوَّات المُسَلَّحَة باحتياجاتها من الأفراد، وقد يمارس نمط القِيَم والثقافة السائدة فيه، وإرادته القَوْمِيَّة، أدواراً مباشرة كأدوات قُوَّة تُؤَثِّر في الشُّــعُوب الأخرى. لكن ذلك كُلّه يَتِمّ في ظِلِّ تباينات شديدةٍ في تَقْيِيم العلاقة بين العامل البَشَرِيّ وقُوَّة الدَّوْلَة، بفعل المُتَغَيِّرَات الوسيطة لتلك العلاقة. ويشتمل هذا العامل على عناصر فرعيَّة عديدة، أهمُّها:

1. عدد السُّكَّان:

وهو العامل الأكثر بروزاً ضمن عناصر القُوَّة البَشَرِيَّة، فهناك دول يزيد تعدادها عن مليار نســمة كالصين والهند(1)، ودول تعاني من نَقْصٍ حادّ في عدد السُّكَّان كدولــة الإمارات العَرَبِيَّة المُتَّحِدَة(2)، مع تفاوت نِسَــب نُمُوٍّ هذا العدد من دولة

1. يبلغ عدد سُــكَّان الصين 1،379،302،771 نَسَــمَة وَفْقاً لتقديرات منتصف العام 2017م تَحْتَلّ بها المرتبة الأولى بين دول العالم من حيث عدد السُّكَّان، في حين يبلغ عدد سُكَّان الهند 1،281،935،911 نَسَمَة في المرتبة الثَّانِيَة عَالَمِيّاً. للمزيد يُنْظَر: CIA World Factbook, 2018.
2. وفقــاً لتقديــرات الأمم المُتَّحِــدَة والبنك الدَّوْلِيّ فإن عدد سُــكَّان دولة الإمارات العَرَبِيَّــة المُتَّحِدَة قد بلغ نحو 9،440،045 نَسَمَة حتى منتصف عام 2017م؛ حيث يُشَكِّل الوافدون أكثر من 88% من إجمالي السُّكَّان، وتأتي الإمارات في المرتبة 110 على مستوى دول العالم من حيث عدد السكان. للمزيد يُنْظَر:
United Arab Emirates, CIA World Factbook, Available at: goo.gl/bWxMHK

لأخرى، بين حالات ينمو سُـــكَّانها بأسرع من قدرتها على الاســـتيعاب، وأخرى تتوازى فيها أعداد المواليد مع مُعَدَّلاَت الوفيات، وفي بعض الحالات المثيرة يتَّجِه عدد السُّكَّان إلى النقصان.

وتَتَّضِح معالم هذا المؤشر أكثر بإضافة كثافة السُّكَّان إليه، أي نسبة عدد السُّكَّان إلى مســـاحة الدَّوْلَة القابلة للحياة فيهـــا، وتكمن أهَمِّيَّة ذلك في أنه يُوَضِّح حَجْم الضغط على الموارد، وشكل (نمط) الحياة في الدَّوْلَة، وتُشَكِّل دول مثل بنجلاديش والهند والســـويد والدانمارك(1) حالات صارخة لتفاوتات الكثافة، وإشكاليَّاتها المختلفة. وتبَعاً للمقولات التَقْلِيدِيَّة الَّتِي تَقَلَّصَتْ أَهَمِّيَّتها في العصر الحديث؛ فإنه كُلَّما زاد حجم السُّكَّان (وقَلَّتْ كثافتهم) كلما كان ذلك يدعم قُوَّة الدَّوْلَة عموماً.

2. توزيع السُّكَّان:

وهو عنصر رئيس تَتَحَدَّد بناءً عليه (بمفهومه الواسع) القِيمَة الحقيقيَّة لعدد السُّكَّان كمورد قُوَّة أســـاسي للدولة، ويَتَضَمَّن عدداً لا حصر له من المُؤَشِّرَات، منها التوزيع العمري للســـكان، الَّذِي يُبَيِّن قُوَّة العمل والوعاء التجنيـــديّ في الدَّوْلَة، ومُعَدَّلاَت الإعالة الاقتِصَادِيَّة في المجتمع، ويشـــير إلى بعض المشـــكلات السِّيَاسِيَّة المحتملة. ومُؤَشِّر التوزيع الجُغْرَافِيّ لِلسُّـــكَّانِ على أقاليم أو مدن وأرياف الدَّوْلَة الَّذِي يُبَيِّن مستويات التَّحَضُّر، وأوضاع المدن، وتَحَرُّكَات السُّكَّان. ومُؤَشِّر التَّنَوُّع العِرْقِيّ الدِّينِيّ لسكان الدَّوْلَة، فوجود مشكلات عِرْقِيَّة أو حساسيات دينيَّة يُؤَثِّر بِشِدَّةٍ على التجانس الاجْتِمَاعِيّ، وقد يُعَرِّض الدول لمشـــكلاتٍ حادَّة كما هو قائم في العراق، أو الجزائر،

---

1. يبلغ عدد سُـكَّان بنجلاديش 157.826.578 نَسَـمَة في المرتبة الثامنة عَالَمِيّاً، في حين يبلغ عدد سُـكَّان الهند كما ذكرنا آنفاً 1.281.935.911 نَسَمَة في المرتبة الثَّانِيَة عَالَمِيّاً. أما سُكَّان السويد والدانمارك فيبلغ 9.960.487 نَسَـمَة للأولى، و5.605.948 نَسَـمَة للثانيَّة، في المرتبتين الـ91 والـ116 عَالَمِيّاً على الترتيب. للمزيد يُنْظَر: CIA World Factbook, 2018.

أو الســـودان، أو رواندا وبوروندي، أو منطقة البلقان، أو إندونيســـيا، أو بريطانيا وكندا(1)، يضاف إلى ذلك التوزيعات الأخـــرى المُتَّصِلَة بمُؤَشِّرَات التَّنْمِيَة البَشَرِيَّة المختلفة من تعليم، وصِحَّة، وخدمات، فهي الَّتِي توضح حالة السُّكَّان في الدَّوْلَة.

إن الربط بين عدد السُّكَّان وقُوَّة الدَّوْلَة ربط مُجَرَّد، كما هو واضحٌ لا يفيد الكثير، والتَّأثِير المحتمل للعامل السُّكَّانيّ كمورد قُوَّة فعَّال يرتبط باعتبارات مُعَقَّدَة (أهمها مستوى التَّنْمِيَة البَشَرِيَّة) إلى درجة يَصْعُبُ معها إصدار أحكام مُحَدَّدَة، بعيداً عن ظروف كُلِّ دولة أو مجموعة من الدول المتشابهة على حدة. (2)

ثالثاً: النِّظَام السِّيَاسِي:

ويرتبط هذا العامل بالإطار السِّـــيَاسِيّ المُؤَسَّـــسِيّ الَّذِي تتفاعل فيه أُسُس (موارد) القُوَّة الأخـــرى للدولة، على نحو يمُكِـــن أن يُفْرِزَ أو لا يُفْرِزَ قُدُرَات (أدوات) قُوَّة مُؤَثِّرَة؛ إذ إنه هو الَّذِي يخلق النِّظَام الَّذِي يمكن في إطاره تحويل الموارد إلى قدرات، أو إهدار الموارد المَادِّيَّة والبَشَرِيَّة وتبديدها. فدولة مثل روسيا الاتِّحَادِيَّة تمتلك أُسُس قُوَّة هائلة (مساحة،

1. تَتَنَوَّعُ التركيبة السكانيَّة في العراق على الصعيد العِرْقِيّ، ما بين عرب بنسبة 75%، وكُرْد بنسبة 15%، والباقون من عِرْقِيَّات مختلفة أبرزها التركمان والفرس. أما الجزائر فإن غالبيَّة سُكَّانها من العرب والأمازيغ بنحو 99%، ولكن من دون وجود تقديرات دقيقة لنســبة الأمازيغ في التركيبة الســكانيَّة للبلاد لاعتبارات سِيَاسِيّة. في حين تَتَكَوَّنُ التركيبة الســكانيَّة للشــعب الســوداني من نحو 70% من العرب، والباقون عِرْقِيَّات أخرى أبرزها؛ الفور والباجا والنوبة والفلاته. أما رواندا وبوروندي فهما خليط عِرْقِيّ من الهوتو والتوتسي والتوا. أما منطقة البلقان التي تَضُمُّ دول؛ صربيا، وكرواتيا، والبوســنة والهرســك، ومقدونيا، والجبل الأسود، التي كانت تُكَوِّنُ جمهوريَّة يوغوســلافيا الســابقة، إلى جانب ألبانيا، فهي خليط من عِرْقِيَّات مختلفة؛ كروات وصرب وألبان ويونانيون، وديانات مختلفة، كاثوليك وأرثوذوكس ومسلمون، وغير ذلك. في حين أن إندونيسيا خليط من عِرْقِيَّات مختلفة أبرزها؛ الجاويون والســنديون والمديريون والملايو، وغيرها من العِرْقِيَّات الأخرى. وأخيراً بريطانيا المنقســمة عِرْقِيّاً ما بين بيض وأفارقة وآسيويين من الهند وباكستان وبنجلاديش وغيرهم، وحتى البيض الأوروبيِّينَ فإنهم منقسمون إلى سكوتلاند وويلزيين وأيرلنديين وإنجليز. للمزيد من التفصيل حول التركيبة السكانيَّة لتلك الدول يُنْظَر: CIA World Factbook, 2018.
2. مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجيَّة، عوامل قُوَّة الدولة، 7 نوفمبر 2007م، تاريخ الزيارة 17 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/iiUC3

ســـكان، موارد، خبرات، ثقافة) تُمَكِّنُها من أن تكون قُوَّة عُظْمَى متكاملة، إلا أنَّ سَلْبِيَّات النِّظَام السِّيَاسِيّ قد أدَّت إلى تُحَوِّلُها لدولة تعاني من مشكلات واختلالات مُزْمِنَة، إضافةً إلى ما يُمَثِّلُه جهاز الدَّوْلَة ذاته (بمُؤَسَّسَـــاته الدُبْلُوماسِيَّة، والثَّقَافِيَّة، والأَمْنِيَّة) من أدوات قُوَّة تمُارِس تأثيراتها مباشرة على الساحات الإِقْلِيمِيَّة والدَّوْلِيَّة لتحقيق مصالح الدَّوْلَة(1). وقد قَدَّمَتْ دراســـات تحليل القُوَّة مُؤَشِّرَات مختلفة بشـــأن العناصر المُرْتَبِطَة بقُدْرَة النِّظَام السِّـــيَاسِي، سواءً أكان يَتِمّ النظر إليها، كمُتَغَيِّرَات وسيطة تَحْكُمُ عَمَلِيَّة تحويل الموارد إلى أشكال وأنماط جديدة لعناصر قُوَّة الدَّوْلَة، أو كعناصر قُدْرَة مُسْتَقِلَّة تُضاف (كأدوات) إلى إِمْكَانِيَّات الدَّوْلَة. **لكن يمكن الاقتصار على رصد ما يلي:**

1. استقرار النُّظُم السِّيَاسِيَّة:

فهناك نُظُم سِيَاسِـــيَّة غير مُسْـــتَقِرَّة، بمســـتويات أدَّت إلى انهيار هيكل السُّلْطَة المَرْكَزِيَّـــة، وتَفَكُّك الدَّوْلَة في بعض الأحيان (يوغوســـلافيا(2)، الصومال(3))، أو

1. كاظم هاشم نعمة، العلاقات الدَوْلِيَّة، مرجع سابق، ص ص 168- 173.
2. تفكَّكَت يوغوســلافيا الاتِّحَاديَّة عَقِبَ انهيار الاتِّحَاد الســوفييتيّ مطلع تسعينيات القرن الماضي، بعد سلسلة من الحروب بين مُكَوِّنَاتِها العِرْقِيَّة؛ حيث انفصلت ســلوفينيا وكرواتيا والبوســنة ومقدونيا، في حين بقيت صربيا والجبل الأســود ضمن جمهوريَّة يوغســلافيا الفدراليَّة التي أعلنت 1992م. وفي عام 1998م بدأت جمهوريَّة الجبل الأسود تضع عينها على الاستقلال، وسرعان ما نأت بنفسها عن صربيا، غير أنَّ الضغوط التي مارستها بلجــراد والاتِّحَــاد الأُورُوبيّ أجبرتها على الموافقة عام 2003م على الدخــول في تجربة للمصالحة أُطْلِقَ عليها اســم اتِّحَاد صربيا والجبل الأســود. بَيْدَ أنَّ هذه التجربة انتهت باستفتاء شعبي لسكان الجبل الأسود أعطاهم الاستقلال في يونيو حزيران 2006م. للمزيد يُنْظَر: يوغسلافيا البلد الذي غُيِّرَ اسمُه سَبْعَ مَرَّات، الجزيرة نت، 29 يناير 2008م، تاريخ الزيارة: 31 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jqVBdV
3. شهدت الصومال حرباً أهليَّة في العام 1991م، أسفرت عن تفكُّك الدولة المركزيَّة بشكل شبه كامل؛ إذ أعلن شمال الصومال انفصاله باسم دولة أرض الصومال سنة 1992م، وانفصل إقليم آخر تحت اسم دولة بونت صومــال، في حــين حَوَّلَتْ الحرب القبليَّة جنــوب الصومال إلى مجموعة من إمارات الحرب التي تتنازعها قوَى قبليَّة وإسْــلَامِيَّة، التي يُصَنَّفُ بعضها تحت خانة الإرهاب كحركة الشــباب المجاهدين. للمزيد يُنْظَر: عــلي عبيــد، الصومال من الدولة إلى القبيلة، البيان الإماراتيَّة، 30 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Nem1s1

تَفَجُّر العُنْف المُسَـلَّح داخل الدَّوْلَة لفترة طويلة (أفغانسـتان(1))، ونُظُم سِيَاسِيَّة تمتلك مُؤَسَّسَات مُسْتَقِرَّة تَكْفُلُ إدارة العَمَلِيَّة السِّيَاسِيَّة داخل الدَّوْلَة دون مشكلات قائمة أو محتملة، وتتيح اتِّخَاذ القرارات على أُسُـس تَتَّسِم بالعقلانيَّة وَفْقَ قواعد مُحَدَّدَة، كمعظم النُّظُم السِّيَاسِيَّة في أوروبا الغَرْبِيَّة.

2. أداء النُّظُم السِّيَاسِيَّة:

ويرتبط هذا العنصر بكفاءة النِّظَام السِّـيَاسِيّ في إدارة شؤون الدَّوْلَة، وامتلاكه الكوادر التنظيميَّة والمهارة الفَنِّيَّة اللازمة لتعبئة واستخدام الموارد الأَسَاسِيَّة لصالح المجتمع، بدءاً بجمع الضرائب، مروراً بتطوير الاقتصاد، وتحديث القُوَّات المُسَلَّحَة، وصولاً إلى إدارة السِّيَاسَـة الخَارِجِيَّة، فهناك دولٌ تفتقر إلى الموارد كاليابان(2) الَّتِي تمَكَّنَتْ من تعويض النقص عبر تطوير المهارات التنظيميَّة والفنيَّة، والحالات العكسيَّة تشمل معظم دول جنوب العالم.

وتُرَكِّز تحليلات عديدة على عنصرٍ تَعْتَبِرُهُ شديد الأَهَمِّيَّة، وهو التَّأْيِيد الشَّعْبِيّ للنظام الَّذِي يُمَثِّل سبباً ونتيجة (مع اختلاف النِّسَب) في علاقته بالاستقرار والأداء السِّيَاسِيِّينَ،

1. منذ نهاية السبعينيَّات من القرن الماضي تعيش أفغانستان في سلسلة لا نهائيَّة من الحروب والصراعات المُسَلَّحَة، بدأت مع غزو الاتِّحَاد السُّوفِيِيتِيّ لكابول حتى خروجه منها نهاية ثمانينيَّات القرن الماضي، ثم دخـول البـلاد في مرحلة الحرب الأهليَّة منذ نهاية حُكْم نجيب الله وحتى ظهور حركة طالبان، ثم فترة حُكْم طالبان التي استَمَرَّتْ منذ منتصف التسعينيَّات وحتى الغزو الأَمْرِيكِيّ لأفغانستان في عام 2001م، ولا يزال الصِّرَاع مُسْـتَمِرّاً في أفغانسـتان حتَّى الآن بين حركة طالبان والحكومة المدعومة من الولايات المُتَّحِدَة وحلف الناتو. للمزيد يُنْظَر: حقائق عن أفغانسـتان، بي بي سي عربي، 24 يوليو 2017م، تاريخ الزيارة: 31 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/2CTGTL
2. على الرَّغْم من كون اليابان ثالث أكبر اقتصاد في العالم، وثالث أكبر اقتصاد "صناعي"، بعد الولايات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة والصين، إلا أنها تفتقر إلى الموارد الطبيعيَّة اللَّازِمَة لتأمين استمراريَّة إنتاجها الصناعي والتكنولوجي؛ حيث تُعَدُّ اليابان أكبر مستورد للغاز الطبيعي المسال في العالم، وثاني أكبر مستورد للفحم، وثالـث أكبر مسـتورد للمنتجات النفطيَّة والنفط الخام في العـالم. للمزيد يُنْظَر: جمال عبدالله وناصر التميمي، العلاقات الخليجية- اليابانية: ماذا بعد الطاقة؟، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 26 أكتوبر 2015، تاريخ الزيارة: 31 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/B5hE8r

ويُمَثِّلُ كذلك مَوْرِدَ قُوَّةٍ في الوقت نفســـه، فالنُّظُم السِّيَاسِيَّة بدون غطاءٍ شَعْبِيٍّ تُصبِح في مَهَبِّ الرِّيح (1).

وهكذا، فإن موارد القُوَّة تُمَثِّل عنصراً رئيســـاً لِلْقُوَّة الوَطَنِيَّة، لكن مشـــكلتها هي أن تأثيراتها لا تســـير في اتجاه واحد، كما أن تَحَوُّلَهَا إلى أدوات قُوَّة يَتَوَقَّفُ على عوامل مختلفـــة، وبالتَّالي فإنها تُمَثِّل في الغالب قاعدة لقُـــوَّة الدَّوْلَة؛ حيث يَتِمّ النظر إليها كأســـاس يمكن اســـتناداً عليه تحويل القُوَّة الكامنة بدرجة أكبر أو أقلّ إلى قُوَّة فِعْلِيَّة، إضافة إلى ما تُقَدِّمه أحياناً من تفسيرات جُزْئِيَّة لعَمَلِيَّة التَّأثِير في حالات عديدة. (2)

وفي هذا الشـــأن نجد أن جوزيف ناي قد أشـــار لِتَغَيُّرِ مصادر القُوَّة؛ حيث أصبحت التكنولوجيـــا والعلوم والتعليم مصادر جديدة لِلْقُوَّة. بالإضافة إلا أن القُوَّة الاقتِصَادِيَّة والدُبْلُوماسِيَّة للدولة أصبحت ذات أهَمِّيَّة كبيرة لتحديد قُوَّة الدَّوْلَة وقدرتها على التَّأثِير في السَّـــاحَة الدَّوْلِيَّة. بل إن الاعتماد على هذه المصادر الجديدة أصبح أقلّ تكلفة من الاعتماد على القُوَّة العَسْكَرِيَّة من عِدَّة نواحي؛ كما سبق ذكرها.

وكنتيجة لذلك تَغَيَّرَت الاسْـــتِرَاتِيجِيّات الدَّوْلِيَّة وحسابات كُلّ دولة فَتَحَوَّلَ الوضع من رغبة كُلِّ دولة في زيادة قُوَّتهَا على حساب غيرها إلى التعاون مع غيرها لزيادة قُوَّتهَا

1. مـــن الأمثلـــة الجليَّة في هذا الإطار دور الشـــعب التُّركيّ في إجهاض المحاولـــة الانقلابيَّة التي جرت في منتصف العام 2016م، من مؤيدين للرئيس أردوغان تأكيداً لشعبيّته الكبيرة وسياسات ونجاحات حكومة العدالة والتَّنْمِيَة، وكذلك من معارضين له لكنهم مع التَّنْمِيَة والاستقرار ويرفضون تَدَخُّل الجيش من جديد في تحديد مصير الحياة السِّيَاسِـــيَّة في تركيا. ويأتي هذا التأييد الشـــعبي للرئيس أردوغان وحكومته، لما لَمَسَهُ الشعب التُّرْكيّ من إنجازات سِيَاسِـــيّة واقْتِصَاديّة أسفرت عن نهضة حقيقيَّة في مجالات الاستقرار والأمن السِيَاسِيّ والاقْتِصَادِيّ والاجْتِمَاعِيّ في تركيا، إضافة إلى الدور والمكانة الإقْلِيمِيّة والدَوْلِيَّة التي وصلت إليها تركيا خلال العقدين الماضيين.
2. مركز الأهرام للدراســـات الاســـتِرَاتِيجِيَّة، عوامل قُوَّة الدولة، 7 نوفمبر 2007م، تاريخ الزيارة 17 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/iiUC3

وتعظيم منفعتها، والاستفادة من هذا التعاون في التَّغَلُّب على التَّحَدِّيَات الَّتِي تواجهها، والَّتِي لا تستطيع أن تواجهها منفردةً. (1)

تَغَيُّر الفواعل في السِّيَاسَة العَالَمِيَّة

ظهـــرت فواعل جديدة إلى جانب الدَّوْلَـــة الوَطَنِيَّة، وهي الَّتِي أصبح لها قُوَّة اقْتِصَادِيَّة وسِيَاسِـــيَّة وثَقَافِيَّة، بل وعَسْكَرِيَّة أحياناً. وأصبحت هذه الفواعل لها القُدْرَة على التَّأْثِير على الحكومات وعلى السِّيَاسَـــة الدَّوْلِيَّة بشكلٍ عامّ. فهي تمارس ضغطاً على الحكومات من الناحية الاقتِصَادِيَّة، بســـحب البِسَاط من الدَّوْلَة القَوْمِيَّة، وامتلاك الكلمة العليا في تحديد مجريات الأمور في الشؤون الاقتِصَادِيَّة والمَالِيَّة والتِّجَارِيَّة. بل إنها استطاعت أن تلعب دوراً كبيراً في الضغط على الحكومات والبرلمانات لتمرير سياســـات مُعَيَّنَة تخدم مصالحها. وَلَعَلَّ ما استدلَّ به مانفريد ستيجر(2) للإشارة إلى أن هذه الفواعل أصبحت لها القُدْرَة الأكبر على منافسة الدَّوْلَة القَوْمِيَّة بِشِدَّةٍ، في الشؤون الاقتِصَادِيَّة والسِّيَاسِيَّة، هو معطى أنه من بين 100 إجمالي ناتج قومي أو ربح تُحَقِّقُه الفواعل، نجد أن نســـبة 42% تستحوذ عليها فواعل غير دَوْلِيَّة من شركات مُتَعَدِّدَة الجنسيَّات وغيرها.(3)

ولم يقتصر هذا على البُعْدَيْن الاقْتِصَادِيّ والسِّيَاسِيّ، بل شَمَلَ البُعْدَ الثَّقَافِيَّ، وقد كان للإعلام العَالَمِيّ أثره الكبير في ذلك. إذ استطاع أن يُغَيِّر موازين القُوَى في عددٍ من الأمور. فهؤلاء الَّذِينَ يَتَحَكَّمُونَ في مجريات الأمور بالنسبة للإعلام العَالَمِيّ هم فواعل من غير الدول.

1. Joseph S. Nye, Jr., "The Changing Nature of World Power", Political Science Quarterly, Vol. 105, No. 2 (Summer، 1990) , pp. 177- 192, Published by: The Academy of Political Science, Stable URL: http: //www.jstor.org/stable/2151022, P. 179- 180

2. مانفريد ستيجر ولد في عام 1961م وهو أستاذ بجامعة هاواي في مانوا. وكان أيضاً أستاذاً للدراسات العالميَّة ومدير مركز أبحاث العولمة في جامعة RMIT في أستراليا حتى عام 2013م.

Professor Manfred B. Steger, The Institute for Culture and Society researches transformations, Western Sydney University, available at: goo.gl/b2p2kH

3. Manferd Steger, Globalization: A very short introduction, Oxford University Press, 2009, pp. 49- 53

وامتدَّ كذلك هذا التَّأثِير إلى الجماعات المُسَـــلَّحَة التِّي امتلكت القُوَّة العَسْـــكَرِيَّة هي الأخرى، وأقرب مثال على ما ورد، تنامي دور ما عُرِفَ اختصاراً بداعش أو ما يســـمى الدَّوْلَة الإسْلامِيَّة في العراق والشام(1)، وسابقتها تنظيم القاعدة، وغيرها من المُنَظَّمَات التِّي امتلكت القُوَّة العَسْكَرِيَّة. (2)

وبالطبع أدَّى هذا كله إلى التَّأثِير على دور القُوَّة العَسْكَرِيَّة للدول كمحدِّد لقُوَّتهَا وتأثيرها الدَّوْلِيّ. وأبرز مثال على ذلك هو صعود قُوًى كبرى، لم تكن عَسْكَرِيَّة بالأساس. ونقصد بها اليابان وألمانيا والصين(3). فكان اعتمادها الجانب الاقْتِصَادِيّ بالأساس، للصعود إلى مصافّ الدول الكبرى(4).

وختامـــاً، فإنه بالرَّغْم مـــن وجود كُلّ هذه العوامل التِّـــي أدَّتْ إلى تَرَاجُع دور القُوَّة العَسْـــكَرِيَّة، إلَّا أنه لا يمكن إلغاء أهَمِّيَّة القُوَّة العَسْـــكَرِيَّة، ولا القول بتلاشي دورها أو عـــدم وجود فائدة منها كمُحَدِّد لِلْقُوَّة. فلا تزال القُوَّة العَسْـــكَرِيَّة حتى يومنا هذا أحد أهم مُحَدِّدَات القُوَى الدَّوْلِيَّة، ولكن كُلّ ما في الأمر هو أنها لم تَعُدْ هي المصدر الوحيد لِلْقُوَّة كما كان الأمر في السابق. بل تَحَوَّلَتْ إلى أحد العناصر والمصادر المُهِمَّة لِلْقُوَّة إلى جانب أخريات. فلا يمكن لأداء الدول اقْتِصَادِيّاً وسِيَاسِـــيّاً أن يكون جَيِّداً، دون توفير بيئة أمنيَّة مُسْتَقِرَّة. ولكنها تحتاج إلى المزج بينها وبين المصادر الجديدة لِلْقُوَّة.

1. خرج تنظيم "الدولة الإسْـــلاَمِيَّة في العراق والشـــام"، "داعش"، مِن رَحِم جماعة جهاديَّة عراقيَّة، هي الدولة الإسْلاَمِيَّة في العراق، التي انتقلت إلى سوريا خلال المراحل الأولى للأزمة السوريَّة عام 2011م، وفي 9 مايو 2013م أُعْلِنَ عن اندماج تنظيم "الدولة الإسْلاَمِيَّة في العراق" وفرع القاعدة في سوريا؛ "جبهة النصرة"، بزعامة أبي محمد الجولاني، لتشكيل تنظيم "الدولة الإسْلاَمِيَّة في العراق والشام". للمزيد يُنْظَر: تنظيم "الدولة الإسْلاَمِيَّة": كيف بدأ وإلى أين انتهى، بي بي سي عربي، 29 يونيو 2017م، تاريخ الزيارة: 31 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LWBw5C
2. Manferd Steger, " Globalization: A very short introduction", Op.Cit, pp. 78- 79
3. وَفْقاً لتقديرات العام 2017م، يَحْتَلُّ الاقتصاد الأمْريكيّ المركز الأول عَالَمِيّاً، يليه اقتصادات؛ الصين واليابان وألمانيا عـــلى الترتيـــب. للمزيد: الاقتصادات الأقوى عَالَمِيّـــاً في 2030، صحيفة العربي الجديد، 10 فبراير 2017م، تاريخ الزيارة: 31 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/GbD6zF
4. ســـماح عبدالصبور، القُوَّة الذَّكِيَّة في السياســـة الخَارِجِيَّة: دراسة في أدوات السياسة الخَارِجِيَّة الإيرانيَّة تجَاه لبنان منذ 2005م، رسالة مُقَدَّمَة لنَيْلِ درجة الماجستير، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، جامعة القاهرة، 2013م.

الفصل الخامس

القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة

- **مقدمة**
  - نظرية العثمانية الجديدة
  - "العُثْمَانِيَّة الجديدة".. ما لها وما عليها
  - كيف هُوجِمَت "العُثْمَانِيَّة الجديدة"؟

- **المبحث الأَوَّل: القُوَّة الصَّلْبَة التُّركِيَّة.. الأبعاد والتداعيات**
  - عوامل التحوُّل التُّركيّ من القُوَّة الناعمة إلى القُوَّة الصلبة
  - القواعد العسكرية التُّركِيَّة في الخارج
  - العمليات العسكرية التُّركِيَّة في الخارج
  - انتشار وحدات من الجيش التُّركيّ خارج الحدود التُّركِيَّة
  - إدارة تركيا للملف الكُرديّ
  - تركيا في القرن الإفريقي
- **القُوَّة النَّاعِمَة التُّركِيَّة.. تَحَوُّلات عَرَبِيَّة في الميزان**
  - العلاقات التُّركِيَّة – السُّورِيَّة، إرهاصات الحرب بين تركيا وسوريا في العام 1999م
  - العلاقات التُّركِيَّة- السُّورِيَّة إبَّان أزمة عبد الله أوجلان
  - تصفير المشكلات مع سوريا بعد العام 2002م
  - أسباب وصور التدخُّل التركي في سوريا بعد العام 2011م

- **المبحث الثاني : القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة حول العالم**
  - أولاً: تركيا في الشرق الأوسط

الفصل الخامس

القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة

مقدمة

إذا كان أحمد داود أوغلو (1) Ahmet Davutoglu وزير شؤون خَارجِيَّة تركيا السابق، قد تمَسَّـــك إلى أبعد مدى ممكن بدُبْلُوماسِيَّة "صفر مشاكل" مع الجوار والمحيط، فإن السِّيَاسَة الخَارجِيَّة لبلده وَجَدَتْ نفسها منذ عام 2011م، معنيَّة بالهزَّات العنيفة الَّتِي ضربت المنطقة، والبدايَة كانت مع تفجُّر الأزمة السُّـــورِيَّة، الَّتِي تُجاور تركيا بشريط حدودي يفوق الـ 800 كلم. وزاد التناقض الَّذِي يطبع دُبْلُوماسِـــيَّة تركيا

1. وُلِدَ أحمد داود أوغلو في 26 شباط (فبراير) 1959م في قونيا وَسَط تركيا. أكْمَلَ دراسته الثانويَّة في المدرسة الألمانيَّة الدَوْلِيَّة في إســطنبول، ثم تَخَرَّج ســنة 1983م من كليَّة الاقتصاد والعلوم الإداريَّة من جامعة البوسفور في تَخَصُّصَيْ الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة. نال شهادة الماجستير في الإدارة العامة، والدكتوراه في العلوم السِّيَاسِيَّة والعلاقات الدَوْلِيَّة من الجامعة ذاتها. عمل بدايةً من العام 1990م، أستاذاً مساعداً في الجامعة الإِسْلامِيَّة الدَوْلِيَّة في ماليزيا، التي أَسَّسَ فيها وترأس قســم العلوم السِّيَاسِــيَّة إلى العام 1993م، وَعَمِلَ من بعدها أســتاذاً مشــاركاً. وبين العام 1995م والعام 1999م، قام بالتدريس في معاهد ومُؤَسَّسَات تابعة لجامعة مرمرة، وهي معهد دراسات الشرق الأوسط، ومعهد البنوك والتأمينات، وبرنامج الدكتوراه في قسم الإدارة المحليَّة والعلوم السِّيَاسِيَّة، وَشَغَلَ في الفترة ما بين العام 1998م والعام 2002م منصب متحدّث زائر في الأكاديميَّة العَسْكَرِيَّة وأكاديميَّة الحرب. بعد انتخابات 2002م، عُيِّن كبير مستشاري رئيس الوزراء آنذاك والرئيس الحالي رجب طَيِّب أردوغان، ثم أُسْنِدَ إليه منصب سفير مُتَجَوِّل في العام 2003م. تَــوَلَّى في الأول مــن أيار (مايــو) 2009م منصب وزيــر الخَارجِيَّة في الحكومة الســتين لجمهوريَّة تركيا. كان واحداً من أبرز من ناب عن الحكومة التُّرْكِيَّة خلال الدبلُومَاسِــيَّة المكوكيَّة للتســوية بين إسرائيل وقطاع غزة في العــام 2008م. وتَدَرَّجَ في مناصب مرموقة حتى شَــغَلَ منصب رئيس الــوزراء ورئيس حزب العدالة والتَّنْمِيَة في عام 2014م. نشر داود أوغلو، العديد من الكتب والمقالات في السياســة الخَارجِيَّة باللغتين التُّرْكِيَّة والإنكليزيَّة، وتُرْجِمَتْ مؤلَّفَاته إلى العديد من اللغات كالعَرَبِيَّة واليابانيَّة والبرتغاليَّة والرُّوسِــيَّة والفارســيَّة والألبانيَّة. اختارته مجلــة "فوريــن بوليسي" في العام 2010م ضمن أهم مائة مفكر في العالم، باعتباره أحد أهم العقول التي تقف وراء نهضــة تركيــا الحديثة. ابتكر أحمد داود أوغلو اســترَاتيجِيَّة تركيَّة لخصّها بعبارة "صفر مشــاكل" مع الدول التي لها مشــاكل مع أنقرة، وهي بمثابة إعلان عن دخول الدبلُومَاســيَّة التُّرْكِيَّة مرحلة جديدة تعمل على الخروج من المشاكل الإِقْلِيمِيَّة، والانتقال إلى تحسين علاقات تركيا بالدول الْمَعْنِيَّة، بعد تحقيق هدف الوصول إلى "صفر مشاكل". وفي العام 2011م، اختارته المجلة أيضاً ضمن القائمة لدوره في التفكير في دور جديد لتركيا في العالم والعمل على تحقيقه. للمزيد من التفاصيل انظر: "من هو داود أوغلو رئيس وزراء تركيا الجديد؟"، صحيفة الحياة اللندنيَّة، 21 أغسطس 2014م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wX04OS

هنـــاك، من حيـــث تقوية وإضعاف دورها في بلد وريث الأســـد، من حِدَّة الأزمة. وبالفعل عملت دُبْلُوماسِيَّة أنقرة على التَّدَخُّل في وقت مبكر، وعلى جميع الأصعدة، حتى العَسْـــكَرِيَّة منها. مُعْلِنَةً بذلك نهاية "صفر مشاكل" مع جيرانها، والَّتِي مَيَّزَتْ تطبيقات تركيا لمفهوم القُوَّة النَّاعِمَة، وتفضيلها زمناً على القُوَّة الصَّلْبَة.

وقبل الإســـهاب في شرح القُـــوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة، مظاهرهـــا وحدود تأثيرها على المســـتويات العَرَبِيَّة والإسْـــلامِيَّة والإفريقيَّة، لا بُدَّ أن نعود إلى الاسْتِرَاتِيجِيَّة العَامَّة لتركيا منذ وصول حزب العدالة والتَّنْمِيَة AK Parti إلى السُّلْطَة في عام 2002م؛ حيث وضعت تركيا نُصْب أعينها لَعِب دور القُوَّة المُؤَثِّرَة في الشرق الأوسط إلى غاية شمال إفريقيا (من المغرب إلى العراق)، وتريد أن تَفْرِض ذلك بواسطة القُوَّة النَّاعِمَة كأداة أساسيَّة من أدوات إخراج خطة "العُثْمَانِيَّة الجديدة" إلى حَيِّز التطبيق. وهي في هذا ترتكز على نقطتين أساسِيَّتَيْنِ؛ الروابط التَّارِيخِيَّة مع الإمْبَرَاطُورِيَّة العُثْمَانِيَّة، وأيضاً القُوَّة التعبويَّة باسم الإســـلام. وإرادة الظهور بمظهر النموذج الديمقراطي الناجح بالنسبة لكامل الدول الَّتِي مرَّت بامتحان الربيع العَرَبِيّ العسير منذ 2011م.

نظرية العُثْمَانِيَّة الجديدة:

بدأ التغيُّر الكبير في السياسة الخَارجِيَّة التركيَّة منذ العام 1980م، حينما فتحت الدولة أبوابها للنظام الاقتصادي العالميّ، فأطلقت حركة السوق، وحرَّرت نظام التجارة الخَارجِيَّة، ومعه بدأ التحوُّل في النشـــاط السياسيّ نحو توثيق الروابط الاقتصاديَّة والسياسيَّة مع دول العالم العربي والإســـلامي، وتكريس "التوليف التركي-الإسلامي" كسياسة رسميَّة ترفع من شأن التجربة العُثْمَانِيَّة، وتضع الأُسُس لتأكيد مكانة تركيا كقُوَّة إقليميَّة كبرى. ومع مطلع العام 1992م أوجبت التغيُّرات السياسيَّة في تلك المرحلة التي شهدت أُفُول الحرب الباردة، على تركيا أن تَطَوُّر توجُّهاتها الخَارجِيَّة وصياغة مقاربة جيو-ثقافيَّة تُحيي تاريخها الإمبراطوري العثمانيّ، وتســـتفيد من ميزات موقعها الجيوســـياسيّ

المحوريّ، حتى صارت بمثابة القطب الجاذب في مجال جيوسياسي واسع، يمتدّ من البلقان غرباً إلى حدود الصين شرقاً، واكتسبت السياسة الخَارجِيَّة التُّركِيَّة أبعاداً جديدة، تفرض على القيادة الاندفاع إلى حضن النظام العالمي، لكن مع تقديم نفسها كطرف إسلام ليبرالي فاعل ومؤثِّر ومشارك وصاحب رؤية ومشروع.

وتفترض رؤية "العُثْمَانِيَّة الجديدة" استحضار إرث القُوَّة العظمى العُثْمَانِيَّة، والتي تنهل من مقاربة الرئيس التركي الراحل تورغوت أوزال، ومع وصول حزب "العدالة والتنمية" إلى الحُكم تعمَّقت هذه الرؤية بتغيُّرات عِدَّة في السياسة الخَارجِيَّة التُّركِيَّة تجاه منطقة الشرق الأوسط، لا سيَّما مع مقاربة السياسي التركي البارز ورئيس الوزراء الأسبق أحمد داود أوغلو، والذي يوصَف بـ"مُنظِّر العُثْمَانِيَّة الجديدة" أو "المفكِّر الأول لها" (1).

ورغم أن هذه النظرية لم يسمِّها أوغلو بهذا الاسم في كُتبه، إلا أنها تبرز في تحليلاته العميقة للتاريخ العثماني الذي يمتدُّ لأكثر من أربعة قرون، وتأييده لحركة المراجعة التي قادها الرئيس تورجوت أوزال منتصف الثمانينيات؛ حيث ظهر مفهوم العُثْمَانِيَّة الجديدة آنذاك لوصف سياسته التجديديَّة، وإفساحه المجال لنموّ التيار الإسلامي بدرجة ملحوظة.

ويؤكد أحمد داود أوغلو دائماً أن السبب في تراجُع الدور التركي خلال الحقبة الماضية يعود إلى سياسة القطيعة التي تبنّتها القيادة آنذاك لفصل ماضي البلاد العثمانيّ وعُمقها الاستراتيجيّ عن حاضر الجُمهورِيَّة الكماليَّة ومُحيطها الإقليمي، لذلك كان يرى أن الحلّ في تبنِّي "عثمانية جديدة"، ولكن ليس بمفهوم بَعث السياسات التوسعيَّة للدولة العُثْمَانِيَّة، وإنما تصالُح تركيا مع ذاتها الحضاريَّة الإسلاميَّة، والاعتزاز بماضيها العثماني متعدِّد الثقافات والأعراق، واستعادة حسّ الكبرياء العثماني في السياسة

1. ميشال نوفل، كتاب "عودة تركيا إلى الشرق"، الناشر: الدار العربية للعلوم، 2010، تاريخ الزيارة 3 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/RsQBY5.

الخَارجِيَّة، والتوازن بين الاستمرار في الانفتاح على الغرب، وبين إقامة علاقات متوازنة مع الشرق الإسلامي.

في كتابات داود أوغلو نجِد بذور نظريَّة "العُثْمَانِيَّة الجديدة"، والتي تتسعّ دوائرها تدريجيّاً في أوساط النُخبة التُّركِيَّة بأطيافها السياسيَّة والفكريَّة، لكن لا تزال ملامحها تتشكَّل كأحد أفرع نظريتيّ "التحوّل الحضاريّ" و"العمق الاستراتيجي"، وهما النظريتان اللتان وضعهما أحمد داود أوغلو قبل أكثر من عشر سنوات، وستظلّ هذه النظريَّات مرتبطة باسمه، ويُعرف بها، وتُعرف به، كإسهام أصيل في حقل العلاقات الدوليَّة والدراسات الاستراتيجيَّة خارج "المركزية الأوروبيَّة- الأمريكيَّة" المهيمنة على هذا المجال منذ أكثر من قرن من الزمان(1).

"العُثْمَانِيَّة الجديدة".. ما لها وما عليها

يُجمِع الكثير من الباحثين والمفكّرين على أن نظريَّة "العُثْمَانِيَّة الجديدة" أكسبت السياسة الخَارجِيَّة التُّركِيَّة- لا سيّما في الشرق الأوسط- نشاطاً واسعاً ودوراً مؤثِّراً كفاعل قَوِيّ في الشؤون الإقليميَّة والدوليَّة. ومن هذا المنطلق، فإن السياسة التُّركِيَّة شهدت تحولاً جذريّاً ليس فقط في المضمون، بل في آليَّات إدارة ومعالجة الملفات السياسيَّة الحيويَّة أيضاً، وتركّز الاهتمام الخارجي على مختلف القضايا التي تقع ضِمْن مجالها الحيويّ.

ويعكس تغيير ممارسات السياسة الخَارجِيَّة التُّركِيَّة الجديدة فهماً أكثر توسُّعاً وانفتاحاً للعلاقات الدوليَّة، وكذا يعكس ملخصاً شاملاً لمبادئ هذه السياسة برؤيتها الجديدة القائمة على نظريَّة "العُثْمَانِيَّة الجديدة"، والتي تَتَمَثَّل في اعتماد الدبلوماسيَّة المتعدِّدة الأطراف، والتعاون الإقليمي، وتصفير المشكلات مع دول الجوار، والمطالبة بنظام دولي جديد.

1. د. إبراهيم البيومي غانم، تحليل سياسي بعنوان ""أحمد داود أوغلو" وليس "كيسنجر تركيا"، موقع "أرشيف إسلام أون لاين"، تاريخ الزيارة 5 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/4BsrwE.

وقد كان لهذه المبادئ الجديدة التي اســـتندت عليها السياسة التُّركِيَّة في تعاملاتها الإقليميَّة والدوليَّة، ارتدادات إيجابيَّة مؤثِّرَة على الداخل التركي؛ سياسيّاً واقتصاديّاً وعســـكريّاً، وهو ما حفَّز القيادة التُّركِيَّة على الاســـتمرار في ممارسة أدوار خَارجِيَّة تتجـــاوز الحدود التقليديَّـــة وإمكاناتها الذاتيَّة، فأصبـــح الحديث اليوم عن "تركيا الجديـــدة" تلك القوى الإقليميَّة المؤثِّـــرة والمحوريَّة التي لا يمكن تجاهلها أو تجاهل مصالحها السياسيَّة في أيّة ترتيبات إقليميَّة شرق أوسطيَّة.

ورغم أن المتغيِّرات الإقليميَّة الحاليَّة تُمثِّل تحدّياً كبيراً أمام التوجُّهات التُّركِيَّة برؤيتها العُثْمَانِيَّة الجديدة، إلا أنه من المتوقَّع أن تســـتمر القيادة التُّركِيَّة في طريقها بنفس الفاعلية والتأثير(1).

وعـــلى الجانب الآخر، فإن هناك بعض المآخذ التي أُخِـــذَت على نظرية "العُثْمَانيَّة الجديدة"، في مقدمتها أن تركيا وانطلاقاً من تبنّيها لهذه السياســـة الانفتاحيَّة على دول الجوار والمحيط الإقليمي باتت مقيَّدة بالكثير من الالتزامات الماديَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة، ما يزيد من تآكل قدراتها واستنزاف مواردها الاقتصاديَّة.

كذلك اصطدمت رغبة تركيا في أن تكون أحد الأطراف الفاعلة سياسيّاً على المستوى الإقليمي والـــدولي، بالكثير من القوى الدوليَّة، مثل: الولايـــات المُتَّحِدَة الأمريكيَّة، فترغب أنقرة في التحرُّر النسبي من هذه الضغوط والتضييق على دورها في الشرق الأوســـط، والتحوُّل من مجرد أداة في يد السياســـة الخَارجِيَّة الأمريكيَّة إلى شريك رئيس له نفس المصالح والأهداف.

وقد اتَّضَح ذلك في رَفْض أنقرة الســـماح للقُوَّات الأمريكيَّة بالدخول إلى العراق عبر أراضيها العام 2003م، وكذلك اســـتقبالها بعض الأطراف غير المرغوبة دوليّاً، مثل:

1. فراس محمد إلياس، كتاب "تحليل السياسة الخارجية التُّرْكِيَّة وفق منظور المدرسة العثمانية الجديدة"، الناشر: دار المنهل، ص224، تاريخ الزيارة 6 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/dNPcCf.

الرئيس السوداني عمر البشير في إطار القِمَّة الإفريقيَّة التُّركيَّة، وكانت تلك أول زيارة رسميَّة دوليَّة للبشـير بعد صدور مذكرة توقيف بحقه من المحكمة الجنائيَّة الدوليَّة، على خلفيَّة اتهامه بارتكاب جرائم حرب وإبادة في إقليم دارفور. (1)
من جهة ثالثة، فإنَّ سعي تركيا لتغيير صورتها النمطيَّة إقليميّاً ودوليّاً، وسعيها الدؤوب نحو الشرق الأوسط، يُشتِّت جهودها الخَارجِيَّة ما بين ذلك وبين حرصها على الاندماج في الاتحاد الأوروبي، فباتت سياسـتها الخَارجِيَّة مقسَّـمَة بين قضايا دول الجوار والشرق الأوسط وبين القضايا الأوروبية المختلفة اقتصاديّاً وسياسيّاً (2).

كيف هُوجِمَت "العُثْمَانِيَّة الجديدة"؟

تعرَّضت نظرية "العُثْمَانِيَّة الجديدة" للكثير من الانتقادات، مثل أنها تُعدُّ مجرد وسيلة أو أداة جديدة في يَد القيادة التُّركِيَّة للعودة إلى النفوذ العثماني السـابق في المنطقة العربيَّـة ومنطقة الهلال الخصيب؛ من خلال الاسـتفادة من الثروات الهائلة التي تزخر بها وإقامة شراكات قويَّة مع دولها.
كذلـك الدور القَويّ الذي لعبته تركيا إبَّان ثـورات الربيع العربي العام 2011م، لا سِيَّما في سوريا، استناداً إلى النظريَّة ذاتها، كلَّفها الكثير بدءاً من استنزاف مواردها الاقتصاديَّة باسـتقبال الملايين من اللاجئين السـوريِّينَ على أراضيها حتى اليوم، ومروراً بخسـارة حلفاء إقليميِّينَ أقوياء، مثل: مصر وسوريا وإيران، وحتى اتِّهامها مِـن قِبَل هذه الأنظمة بأنها تتصرَّف وكأنها طرف رئيس في الأزمة من حقّه التدخُّل في الشؤون الداخليَّة للدول العربيَّة، وهو ما جلب لها الكثير من الانتقادات والصور النمطيَّة السلبيَّة على المستوى الدوليّ.

1. فراس محمد إلياس، كتاب "تحليل السياسـة الخارجية التُّرْكِيَّة وفق منظور المدرسـة العثمانية الجديدة"، المرجع السابق.
2. فراس محمد إلياس، "تحليل السياسة الخارجية التركية"، المرجع السابق، ص229.

هُوجِمَــت تركيا أيضاً في تبنِّيها لـ"العُثْمَانِيَّة الجديدة" بأنها تســعى إلى الضغط غير المباشر على القوى الأوروبيَّة للموافقة على طلبها المُلِحّ للانضمام إلى الاتِّحاد الأوروبي، فهي تتجَّه نحــو الشرق وتحاول تصدير صورة نمطيَّة بأنها قُوَّة إقليميَّة لها ثِقَلها في حَسْم الكثير من القضايا السياسيَّة والاقتصاديَّة في تلك المنطقة الحيويَّة من العالم، والتي ترتبط بمصالح عدَّة مع القارَّة العجوز ولا يمكن التغاضِي عنها (1).

عــودة تركيا إذن إلى الاهتمام بأراضي الإمْبرَاطُورِيَّة العُثْمَانِيَّة الســابقة، تصبُّ في إرادة تركيا الانتقال من حالة دولة تتقاطع حولها السِّيَاسَــات والاسْــترَاتِيجِيّات إلى دولة مَرْكَزِيَّة، مُؤَثِّرَة وفاعلة في لعبة العلاقات الدَّوْلِيَّة. وذلك في إطارٍ سياديّ يفرض إيقاعــه ووجهة نظره إقْلِيمِيّاً ودَوْلِيّاً. وهــي في هذا تنتقل من مرحلة الانعزاليَّة إلى التَّدَخُّل بفَاعِلِيَّة.

وقبل التَّوَسُّع في تناول القُوَّة الصَّلْبَة الَّتِي اعتمدتها أنقرة، لا بُدَّ من توضيح معنى هذه القُوَّة الَّتِي تَتَأَلَّف من عناصر القُوَّة المَادِّيَّة عَسْــكَرِيَّة كانت أو اقْتِصَادِيَّة. وقد التصق هذا الشــكل من القُوَّة بالعامل العَسْــكَرِيّ الحاسم في فكر المدرسة الوَاقِعِيَّة خاصة. لكن جوزيف ناي Joseph Nye أعطى لِلْقُوَّة الصَّلْبَة تعريفاً أوسع، لا يقف عند حدود القُوَّة العَسْكَرِيَّة فقط. إذ يرى أنها تَضُمّ القُدْرَة على استخدام الْجَزَرَة أيضاً، إلى جانب العصا، وذلك عن طريق الاســتخدام الجَيِّد للأدوات الاقتِصَادِيَّة، في سبيل الإخضاع والتَّأثِير على سلوك الآخرين (2).

---

1. مصطفــى محمد صلاح، دراســة "الدور التركي الجديد في الشرق الأوســط في ظــل مفهوم العثمانية الجديــدة "الخليج، العراق وفلســطين"، النــاشر: المركز الديمقراطي العــربي، 26 مايو 2017م، تاريخ الزيارة 7 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/8HFDUq.
2. Joseph Nye, Power in the Global Information Age: From Realists to Global, NewYork, Routelage, 2004, p. 5.

وترتكز القُوَّة الاقتِصَادِيَّة للدولة، كما أســلفنا، على الناتج المَحَلِّيّ، ونصيب الفرد من الدخل، ومستوى التَّقَدُّم التكنولوجي، والموارد الطَّبِيعِيَّة والبَشَرِيَّة، ومُؤَسَّسَات السوق. وقد أضافت إلين فروست (1) Ellen L. Frost عناصر أخرى لِلْقُوَّة الاقتِصَادِيَّة، تشمل الحكومة الرشيدة، وتحقيق التَّنْمِيَة المستدامة. (2)

1. كبير المستشارين بمعهد شرق غرق بواشنطن، زميل زائر باحث مُتَمَيِّز، بمعهد الدراسات الاستراتيجيَّة الوَطَنِيَّة، وجامعة الدفاع الوطني، حاصلة على درجة الدكتوراه من كليَّة فليتشر للقانون والدبلُومَاسِيَّة بجامعة هارفارد، مُتَخَصِّصَة في دراســة الاتِّجَاهات الاقْتِصَادِيّة الآسـيويَّة وآثارها الأمنيَّة؛ الإقْلِيمِيّة الآسيويَّة؛ آفاق استراتيجِيَّة إعادة التوازن الأمْرِيكِيَّة. وأدوار الآسيان والصين واليابان والهند في المنطقة.
Ellen L. Frost, EWC in Washington, available at: goo.gl/SzGdcd
2. محمــد وائل القيسي، الأداء الاسْــترَاتِيجِيّ الأمْرِيكِيّ بعد العــام 2008م: إدارة باراك أوباما أنموذجاً، 2016م، ص190.

المبحث الأول

القُوَّة الصَّلْبَة التُّركِيَّة..
الأبعاد والتداعيات

اعتمدت تركيا في العقود الأخيرة أسلوب الابتعاد عن المشاكل السِّيَاسِيَّة والعَسْكَرِيَّة مع جميـــع الدول، وحاولت الانفتاح على جوارها ومحيطها، عبر بناء علاقات اقْتِصَادِيَّة وثَقَافِيَّة وسِيَاسِـــيَّة وثيقة. ولكنَّ الوضع بدأ بالتَّغَيُّر منذ منتصف عام 2012م، بسبب اســـتمرار تدهور أوضاع البلـــدان العَرَبِيَّة، وخَاصَّة تلك الَّتِي شـــهدت قيام ثورات عاصفة، وعلى رأسهم الجارة السُّورِيَّة، وما تبع ذلك من زيادة التَّدَخُّلاَت والتحالفات العَسْكَرِيَّة في المنطقة. لهذا كان من الصعب عَمَلِيّاً، على تركيا تحقيق أهدافها بالاعتماد فقط على أدوات القُوَّة النَّاعِمَة دون تفعيل خيارات القُوَّة الصَّلْبَة.(1)

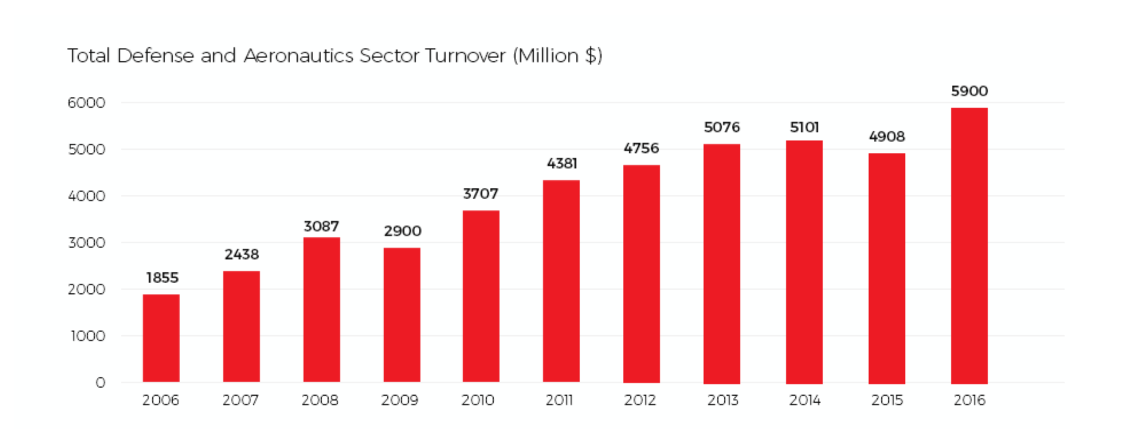
وقد ظهرت بـــوادر هذه الانعطافة في تَوَجُّه تركيا لتفعيل قُوَّتهَا الصَّلْبَة منذ منتصف عام 2013م؛ إذ اســـتهلَّت أنقرة تطبيقاتها بتســـليح المعارضة السُّورِيَّة بأسلحة خفيفة بمعيَّـــة دول أخرى، كـــما قامت بعد جولة طويلة من المباحثات، وبعد اتِّفَاق ســـابق مع واشـــنطن في فبراير / شـــباط 2015م بتدريب وتســـليح أكثر من 15 ألفاً من مقاتـــلي المعارضة "المعتدلة" على الأراضي التُّركِيَّة، نهاية مايو 2015م. وذلك تمهيداً لانخراطهم في القتال ضِدَّ تنظيم الدَّوْلَة الإِسْلاَمِيَّة" (2) .

---

1. محمود سمير الرنتيسي، "تركيا وتفعيل القُوَّة الصلبة: الأبعاد والتداعيات"، المعهد المصري للدراسات السِّيَاسِيَّة والاستراتيجيَّة، 3 أبريل 2016م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/tAYAg6
2. تركيا وأمريكا تبدآن تدريب المعارضة السُّورِيَّة "المعتدلة"، الجزيرة نت، 26 مايو 2015م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jw2sbz

ويمكـــن التدليل على تفعيل تركيـــا لِلْقُوَّة الصَّلْبَة بِعِدَّة أوجهٍ؛ منها الانفتاح على مجال الصناعات الدِّفَاعِيَّة، والبحث عن أسواق جديدة، وتعزيز التعاون العَسْكَرِيّ، والعمل على الاستفادة من الخبرة الطويلة الَّتِي اكتسبتها تركيا في حلف الناتو، وأيضاً استثمار ذلك في مجالات التدريب العَسْكَرِيّ. حيث تَمَّ تسجيل ارتفاع منتوج الصناعة الحربيَّة التُّركِيَّة من الأسلحة بقيمة 5.9 مليار دولار، سنة 2016م، منها ما قيمته 1.677 مليار دولار عائدات تصدير الأسلحة، بارتفاع قدره 33 مليون دولار مقارنة بسنة 2014م (1).

تطور قطاع الصناعات الدِّفَاعِيَّة في تركيا خلال الفترة 2006 - 2016م (2)

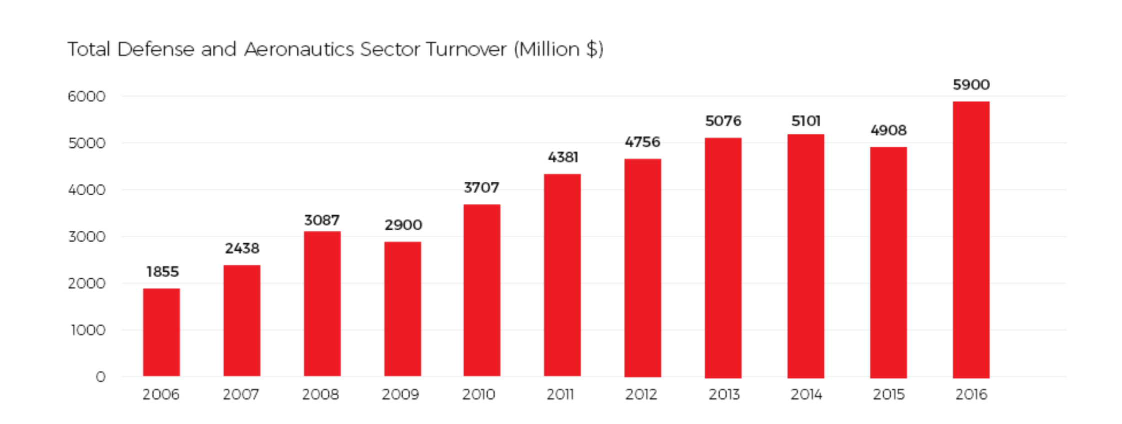


وبناءً على هذه النَّتَائِج المشـــجِّعة، خَطَّطَتْ تركيا لرفع ســـقف صادراتها العَسْـــكَرِيَّة إلى ملياري دولار خلال الســـنوات القليلة المقبلـــة، لِتَحْتَلّ بذلك المرتبة العاشرة بدل

1. 2016 TURKISH DEFENSE INDUSTRY PERFORMANCE, The Undersecretariat for Defence Industries (SSM), Presidency of the Republic of Turkey, available at: goo.gl/46FVCJ
2. Sourse: 2016 TURKISH DEFENSE INDUSTRY PERFORMANCE, The Undersecretariat for Defence Industries (SSM), Presidency of the Republic of Turkey, available at: goo.gl/46FVCJ

الخامســـة عشرة، على صعيد التصدير العَسْكَرِيّ. وتعمل تركيا فيما يَتَعَلَّق بالصناعات الدِّفَاعِيَّة، على تحقيق الاكتفاء الذاتي فيها بشكل كامل، وذلك تزامناً مع مئويَّة تأسيس الجُمهورِيَّة التُّركِيَّة عام 2023م (1) .

تطور الصادرات الدِّفَاعِيَّة التُركِيَّة خلال الفترة 2003 - 2016م (2)



كما قامت تركيا بتوقيع اتِّفَاق لتعزيـــز التعاون الدِّفَاعي مع قطر، وتنص الاتِّفَاقيَّة: "على أن البلد المُضِيف يسمح للبلد الآخر باستخدام موانئه البَحْرِيَّة وطائراته ومجاله الجوي، وبتَمَرْكُز قُوَّاته العَسْـــكَرِيَّة على أراضيه، وباستفادته من المنشآت والمُخَيَّمَات والوحدات والمُؤَسَّسَـــات والمنشآت العَسْكَرِيَّة"، وقد أعلن السفير التُّرْكِيّ في قطر، في منتصف ديسمبر 2015م أن بلاده ستنشئ قاعدة عَسْكَرِيَّة في قطر في إطار اتِّفَاقيَّة دفاعيَّة تهدف إلى مساعدة البلدين على مواجهة "الأعداء المشتركين"، وأن ثلاثة آلاف جندي من القُوَّات الْبَرِّيَّة التُّركِيَّة سيتمركزون في القاعدة المذكورة (3) .

1. محمود سمير الرنتيسي، "تركيا وتفعيل القُوَّة الصلبة: الأبعاد والتداعيات"، مرجع سابق.
2. Sourse: 2016 TURKISH DEFENSE INDUSTRY PERFORMANCE, The Undersecretariat for Defence Industries (SSM), Presidency of the Republic of Turkey, available at: goo.gl/46FVCJ
3. قاعدة عَسْـكَرِيَّة تركيَّة في قطر"، صحيفة السـفير اللُّبْنَانِيّة، 16 ديسمبر 2015م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DzCihy

وقد باتت تلك الاتِّفَاقيَّة ساريَّة المفعول في يونيو 2015م، وبدأ العمل في تنفيذها في أكتوبر 2015م، وَوَفْقاً لقيادة الأركان العَامَّة التُّركِيَّة فقد شـهد شهر أبريل 2016م التوقيـع على اتِّفَاق لبدء العمل في نشر القُوَّات التُّركِيَّة في قطر كما صادق البرلمان الـتُّركِيّ على تلك الاتِّفَاقيَّة في 7 يونيو 2017م، وفي 20 يونيو من العام ذاته أعلنت وزارة الدِّفَـاع القطريَّة انتهاء الجانب التُّركِيّ من نقل جميع القُوَّات المُتَّفَق عليها إلى القاعدة الجديدة (1) .

كما عزَّزَت تركيا من التعاون العَسْـكَرِيّ مع أذربيجان؛ إذ "شهدت الفترة الممتدة من 31 مايو إلى 10 يونيو 2015م تصاعد الاهتمام بالتعاون العَسْكَرِيّ بين تركيا وجورجيا وأذربيجان؛ حيث قامت قوات عَسْـكَرِيَّة مشتركة بسلسلة من المناورات العَسْكَرِيَّة في غرب تركيا، أطلق عليها اسـم "نسر القوقاز"، ويأتي اسـتعراض القُوَّة هذا في سياق تَدَخُّل موسكو في النزاع الأوكراني (2) .

وفي إطار الأزمة السُّـورِيَّة وتداعياتها، تَعَرَّضَتْ تركيـا هذه المَرَّة، لامتحان قُوَّة في صِيغة صِدَامٍ مباشر في أجواء المنطقة مع روسـيا، عندما قامت مقاتلة تُرْكِيَّة في 24 نوفمبر 2015م باعتراض وإسقاط طائرة سوخوي روسيَّة، كانت قد اخترقت المجال الجوي التُّركِيّ (3) .

1. "انتهـاء نقـل القُوَّات إلى القاعدة التُّرْكِيَّة في قطر"، روسـيا اليوم، 20 يونيـو 2017، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/HQkXno
2. النشـاط العسـكري التُّرْكِيّ المتزايد وتحفيز التَّحَرُّكَات العَسْـكَرِيَّة الرُّوسِـيَّة، (TRT) العَرَبِيَّة، 12 يوليو 2015م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oUMw9U
3. في 24 نوفمبر 2015 أسقطت طائرات تركيَّة من طراز "إف 16"، طائرة حربيَّة روسيَّة من طراز سوخوي 24، قُرْبَ الحدود التُّرْكِيَّة السُّـورِيَّة، على اعتبار أن الطائرة قد انتهكت المجال الجَوِّيّ التُّرْكِيّ، مع تأكيد المسـؤولين الأتراك أنه جرى تحذير الطائرة قبل إسـقاطها. للمزيد: تركيا تُسْـقِط طائرة روسـيَّة قرب حدودها مع سوريا، سكاي نيوز عَرَبِيَّة، 24 نوفمبر 2015، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/p4jGmW

ولم تَسْلَمْ تركيا أيضاً، من أَتُونِ الحرب العراقيَّة، رغم أن تواجدها العَسْكَرِيّ في الأراضي العراقيَّة يعود إلى عام 1994م، عبر اتِّفَاقيَّة تسمح بِحَقِّ الملاحَقَة وضرب معاقل حزب العمال الكردستاني داخل الحدود العراقيَّة، في مسافة مُحَدَّدَة بـ25 كيلو متراً. وهي الاتِّفَاقيَّة الَّتِي تَمَّ تمديدها في سنة 2007م. في حين طفت إلى السطح قضيَّة معسكر بعشيقة (1) ، الَّذِي أثير حوله الخلاف.(2)

وفي هذا الصدد، نشبت أزمة بين الحكومتين العراقيَّة والتُّرْكِيَّة في ديسمبر 2015م؛ بسبب إمداد تركيا قواتها العَسْكَرِيَّة المتمركزة بـ"بعشيقة" (3) قرب الموصل، بـ150 جندياً. واستقدام ما بين 20 و25 دَبَّابَة إلى المنطقة المذكورة خلال نفس العَمَلِيَّة (4).

ويمكن التَّأْكِيد على أن ما دفع تركيا إلى نهج السِّيَاسَة في صورتها الصَّلْبَة، هو وجود لاعبين منافسين مثل روسيا وإيران، اعتمدوا أسلوب القُوَّة الصَّلْبَة لتحقيق مصالحهم في المنطقة، بالإضافة إلى شعور أنقرة باقتراب الخطر من حدودها، في ظِلِّ وجود

1. معسكر أُنْشِئَ في مارس/آذار 2015م بطلب من رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي، وبهدف تدريب قُوَّات البشمرجة والعشائر السنيَّة لمواجهة تنظيم الدولة (داعش)، والذي سيطر على الموصل في يوليو/تموز 2014م. للمزيد يُنْظَر: معسكر "بعشيقة" بالعراق.. عنصر هامّ في استِرَاتيجِيَّة تركيا لمكافحة "داعش"، تركيا بوست، 31 مارس 2016، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/67AtLt
2. أسباب الأزمة التُّرْكِيَّة العراقيَّة وأبعادها، صحيفة دايلي صباح التُّرْكِيَّة ، د. ت، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6LDJyc
3. بعشيقة هي ناحية تابعة لقضاء الموصل بمحافظة نينوى شمال العراق، وتقع شمال شرق مدينة الموصل على بُعْد 12 كم منها في سهل نينوى، وتعتبر من المناطق الزراعيَّة، وتشتهر بزراعة الزيتون. أغلب سُكَّان منطقة بعشيقة هم من اليزيديون أو الإيزيديون، ويسكنها أيضاً نسبة من ذوي الديانات الأخرى من مسلمين ومسيحيين والشبك، ومعظم سُكَّان البلدة يتكلمون اللغة العَرَبِيَّة، بالإضافة إلى السريانيَّة والكرديَّة والتركمانيَّة. للمزيد يُنْظَر: "بعشيقة.. بؤرة توتر بين العراق وتركيا"، الجزيرة نت، 24 ديسمبر 2015، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/S3gWsU
4. بعشيقة.. بؤرة تَوَتُّر بين العراق وتركيا"، الجزيرة نت، 24 ديسمبر 2015م، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/S3gWsU

عِدَّة مجموعات عَسْـــكَرِيَّة تُهدِّد أراضيها، مثل حزب العمال الكردستاني (1)، وتنظيم الدَّوْلَة الَّذِي يُعرف اختصاراً بـ"داعش"، كهاجس أَمْنِيّ يُبَرِّرُهُ حدوثُ عددٍ من الأعمال الإرهَابِيَّة داخل أراضيها.

عوامل التحوُّل التُّركِيّ من القُوَّة الناعمة إلى القُوَّة الصلبة

خلال العقود الأخيرة تبنَّت القيادة التُّركِيَّة أدوات القُوَّة الناعمة كأحد أبرز الوســـائل الدبلوماســـيَّة في علاقاتها مع مختلف الدول، لا سيّما دول الجوار وإفريقيا، لكن مع الطفـــرة الكبرى التي حقَّقتها على الصعيديـــن الاقتصادي والتنموي- بالتوازي مع صعود حزب العدالة والتنمية إلى سُـــدّة الحُكم- انتقلت تدريجيّاً إلى الاهتمام بتفعيل أدوات القُوَّة الصلبة المتمثِّلة في تطوير قدراتها العســـكرية والردع الاستراتيجي، وما عـــزَّز ذلك أيضاً ثورات الربيع العربي العـــام 2011م وتدهور الأوضاع الاجتماعيَّة والسياســـيَّة في تلك البلدان، وظهور التحالفات العسكريَّة وتزايد التدخُّلات الأجنبيَّة في المنطقة، وخاصةً التدخل العســـكري الروسي المباشر في سوريا، وتزايد الاحتقان بين الســـعودية وإيران. لذلك ظهرت بوادر تفعيل خيارات القُوَّة الصلبة التُّركِيَّة منذ منتصف العام 2013م. (2)

وظهـــر هذا في عدد من المحاور، وفي مقدِّمتهـــا تطوير قطاع الصناعات الدفاعيَّة والتكنولوجيَّـــة، فتجاوزت القُوَّة الإنتاجيَّة لهذه الصناعـــات الـ5 مليار دولار العام

---

1. تنظيم سِـيَاسِيّ عسكري كرديّ يســـاريّ التَّوَجُّه، تأسس في نوفمبر 1978، على يَدِ مجموعة من الطُّلَّاب الأكـراد أبرزهـم عبدالله أوجلان الذي أصبح بعد ذلك رئيســـاً للحزب، يَتَبَنَّى الحـزب الفكر الماركسيّ اللينينـيّ، ويدعـو إلى إقامـة دولة كرديَّة مسـتقِلَّة في المناطق ذات الأغلبيَّة الكرديَّـة في كل من تركيا والعراق وسوريا وإيران. للمزيد يُنْظَر: "ماذا تعرف عن حزب العمال الكردستاني؟"، بي بي سي عربي، 11 أغسطس 2016م، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/zMkrVF
2. عماد يوسـف، دراسـة "تركيا اسـتراتيجيَّة طموحة وسياسـة مقيّدة"، الناشر: مركز الإمارات للدراسات والبحوث، 2015، ص 133، تاريخ الاطلاع 15 يناير 2019.

2015م، وأنتجت المنشـــآت الصناعيَّة العسكريَّة التُّركِيَّة أسلحة بقيمة 4.3 مليار دولار صَدَّرت منها بما تصل قيمته إلى 1.3 مليار دولار، وذلك بارتفاع نســـبته 35% مقارنة بالعام 2014م، ثم بلغت قيمتها نحو مليار و700 مليون دولار خلال العام 2017م.(1) وتطمح أنقرة لوقف استيراد هذه الصناعات تماماً بحلول العام 2023م، والقفز إلى المرتبة العاشرة عالميّاً في مُؤَشِّر التصدير العسكري في العام ذاته، وما يدعم ذلك أنها نجحت بالفعل في تصنيع 65% من احتياجاتها العســـكريَّة، وهو ما يُعَدُّ بمثابة قفزة صناعيَّة تطوريَّة منذ العام 2002م(2) .

وتجـــاوز عدد الشركات التُّركِيَّة العاملة في المجال العســـكري حاجز الـ500 شركة، وتُعدُّ الولايات المُتَّحِدَة الأمريكية على رأس قائمة الدول المســـتوردة للســـلاح التُّركِيّ بنســـبة 39%. ومن نماذج الأسلحة التقليديَّة التي تنتجها تركيا الطائرة المروحية "تي 129 أتـــاك"، والطائرة العنقاء "بلوك بي" بدون طيار، وطائرة التدريب "Hürkuş" بأنواعهـــا B وC ، بالإضافة إلى مشروع إنتاج طائرة "Fx1" واشـــتراكها في تصنيع أحدث طائرة مقاتلة في العالم وهي "طائرة"F35 . وفي الصناعات الدفاعيَّة البحريَّة تُنتج تركيا الكورفيت التُّركِيّ "ميلجيم"، وطرادات شـــبح من طراز "أدا"، والســـفينة البرمائيـــة "بيرقدار"، وصنعت كذلك أول غوَّاصة تركيَّة محليَّة الصنع باســـم "مراد رئيس"، وحاملة طائرات تركية محليَّة الصنع باســـم "Sedef"، وفي أســـلحة القوَّات البرية تُنتج الهاوترز التُّركِيّ "فيرتينا"، والمدرعة البرمائيَّة "أرما"، والدبابة "ألطاي"، والراجمة T-22، والمدرعة "Kirpi"، وعربة الدفع الرباعي(3) " Ejder Yalçın".

1. طارق القزم، دراسة "القوة الصلبة التُّرْكِيَّة الرؤي والتطبيقات"، موقع "المركز الديمقراطي العربي"، تاريخ النشر: 15 سبتمبر 2018، تاريخ الاطلاع 15 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/D8jnph.
2. طارق القزم، دراســـة "القوة الصلبة التُّرْكِيَّة الـــرؤي والتطبيقات"، موقع "المركز الديمقراطي العربي"، المرجع السابق.
3. طارق القزم، دراسة "القوة الصلبة التُّرْكِيَّة الرؤي والتطبيقات"، موقع "المركز الديمقراطي العربي"، مرجع سابق.

وتمتلك تركيا الآن أنظمة S400 الروسية والتي تُصنَّف كأفضل نظام للدفاع الجوي في العالم، بالإضافة إلى أنظمة صواريخ بالتعاون مع إيطاليا وفرنسا(1)، وصواريخ للدفاع الجويّ محليَّة الصُنع مثل: الصاروخ الباليستي "بورا" ويبلغ مداه 280 كيلو متراً، والصاروخ "خان" قصير المدى، وتم إنتاجهما مِن قِبَل الشركة التُّركِيَّة "روكستان" (2). وتستعد أنقرة لبدء العمل في المفاعل النووي الأول داخل محطة "أق قويو" النووية في ولاية مرسين بحلول العام 2023م، بالتزامن مع الذكرى المئوية لتأسيس الجُمهوريَّة التُّركِيَّة، من أجل تنويع مصادر الطاقة الكهربائيَّة وتوسيع بنيتها التحتيَّة التُّركِيَّة، وتطوير استخدام الطاقة النووية في الأغراض السلميَّة داخل البلاد في الكثير من المجالات، والتصدِّي للتهديدات السياسيَّة والأمنيَّة الخَارجِيَّة بكافَّة أشكالها(3).
وفي مجال الحرب الإلكترونيَّة تمتلك أنقرة نظام "كورال" الخاص بالحرب الإلكترونيَّة والتشويش الراداري، وهو من إنتاج شركة "أسليسلان" المملوكة للدولة، ويُعتبر نموذجاً مماثلاً لمنظومة الحرب الإلكترونية الروسية "كراسنوخا" (4).

وإلى جانب ذلك تتمتّع تركيا بإدارة قمرين صناعيَّيْنِ للأغراض العسكريَّة والاستخباراتيَّة سيرتقيان بقدرتها في مجال الأعمال الفضائيَّة، ويحملان اسم "غوك تورك 1-" والذي ينقل صوراً عالية الجودة متفوقاً على نظرائه في العالم، ويؤدي مهام مراقبة الأبنية الحكوميَّة ومحيطها، ورصد المحاصيل الزراعيَّة، والأغراض

1. "3 دول تتعاون لإنتاج منظومة دفاع جوي بينها دولة بالشرق الأوسط"، موقع "arabic.sputniknews"، تاريخ النشر: 5 يناير 2018، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/Ye4dbe.
2. "تركيا تختبر الصاروخ الباليستي بورا المحلي الصنع"، موقع "الدفاع العربي"، تاريخ النشر: 13 مايو 2017، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/swUZHX.
3. "محطة "آق قويو" النووية تُوفِّر آلاف من فرص العمل في تركيا"، موقع "تركيا بوست"، تاريخ النشر: 11 ديسمبر 2017، تاريخ الاطلاع 15 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/p6NSnx.
4. هل بوسع منظومة "كورال " التُّركِيَّة للحرب الإلكترونيَّة إسكات "إس – 400" الروسية؟"، موقع " Arabic rt"، تاريخ النشر: 2 ديسمبر 2015، تاريخ الاطلاع 15 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/ye8kwX.

والتطبيقات البلدية، والاستشـــعار عن بُعْد لمهام مثل: أنشطة المسح، ومراقبة الحدود، كما أنه قابل للمناورة، وتتولى كتيبة الاستطلاع الفضائيَّة التابعة لقيادة القوات الجويَّة التُّركِيَّة مهام التحكُّم فيه وقيادته (1) .

أما القمر الثاني فيُدعى "غوك تورك2-"، ويوفِّر للقُوَّات المســلَّحة التُّركِيَّة، وخاصةً قيادة القوى الجوية، معطيات اســـتخباريَّة قيِّمـــة، وبيانات رقميَّة وجغرافيَّة، ولديه قـــدرة عالية على الاتصال بالبيانات وتحميل صورة لشريط بطول نحو 650 كيلو متر في مســـار واحد، كما يمكنه تصوير أيّة بقعة في الكرة الأرضيَّة وإرسالها إلى المحطة الأرضية، كما أنه يُلبي احتياجات البلاد من الرقابة والبحوث العامة والعلميَّة. وتهدف تركيا مستقبلاً لتدشين أقمار صناعيَّة محليَّة الصُّنع، وهي الأجيال الجديدة من القمر الصناعي (تركسات "5 إيه- 5 بي) وإدخالها الخدمة العام 2019م، كما يتوقع إطلاق القمر (تركسات إيه 6) إلى مداره وإدخاله الخدمة العام 2020م.(2)
بالإضافـــة إلى تصنيع الأســـلحة واقتحام الفضاء الإلكتروني، تُـــولي تركيا اهتماماً كبيراً بتطوير تقنيات المعالجة العســـكريَّة، ولذلك عقدت اللجنة التنفيذيَّة للصناعات الدفاعيَّة التُّركيَّة اجتماعاً ترأَّسَه للمرة الأولى الرئيس أردوغان، من أجل مناقشة 55 مشروعاً جديداً بقيمة 9،4 مليار دولار تهدف إلى تطوير الأنظمة العســـكريَّة الوطنيَّة والارتقاء بقُدُرَات الجيش والقوَّات المسلحة التُّركِيَّة في عمليَّاته العسكريَّة الخَارجِيَّة، وبحث فُرَص الاستثمار المتاحة لتطوير الصناعات الدفاعيَّة التُّركِيَّة. (3)

1. "قمر صناعي تركي يرسل أكثر من ألف صورة ومشهد منذ انطلاقه"، موقع " تركيا بوست"، تاريخ النشر: 11 مايو 2017، تاريخ الاطلاع 15 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/gyd2sd.
2. "في 2020.. الأقمار الصناعية التُّرْكيَّة تخدم 91% من سكان الأرض"، موقع " تركيا بوست"، تاريخ النشر: 7 ديسمبر 2016، تاريخ الاطلاع 15 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/j2FdNo.
3. "أردوغان يرأس اجتماعًا لدراسة 55 مشروعًا دفاعيّاً بقيمة 9.4 مليار دولار"، موقع " تركيا بوست"، تاريخ النشر: 1 فبراير 2018، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/fL31EF.

كما أطلقت شركة "أسليســـان" التُّركِيَّة للصناعات العســـكريَّة والإلكترونيَّة مشروعاً لتطوير دروع فولاذية تحمل اســـم "بولات" لحماية العربات المدرَّعة والدبَّابات من الهجامات الصاروخيَّة، وكذلك تسعى الشركة من خلال المشروع ذاته إلى تطوير نظام "أكور" للحماية، والذي تتميَّز به دبابة "ألطاي" التُّركِيَّة القادرة على تدمير الصواريخ المضادَّة للدروع وحماية نفسها (1).

وطوَّرت تركيا أيضاً مدرَّعات وجرَّافات آليَّة أطلقت عليها "مدرعة طوســـون"، والتي أنتجتها شركة "Best Grup" للصناعات الدفاعيَّة، وتتميَّز هذه الآليَّات بتقليل الخسائر الناتجـــة عن الألغام الأرضيَّة وبأنظمة تحكُّم عـــن بُعْد، وتعتزم الشركة تصدير هذه العربات إلى الإمارات العربيَّة المتَّحدة، والولايات المتَّحدة.(2)
كذلك اهتمَّت تركيا بتوقيع المزيد من اتفاقيَّات التعاون العسكري مع الدول الحليفة، مثل: اتفاقيَّة الدفاع المشترك مع إثيوبيا العام 2013م، والتي تهدف لدعم التعاون بين البلدين في مجال الصناعات الدفاعيَّة، وتنصّ على تقديم أنقرة دعم فني ولوجيستي لإثيوبيا(3)، كما صادقت لجنة الشـــؤون الخَارجِيَّـــة في البرلمان التركي، في مارس 2015م على مشروع "اتِّفاق تعاون عسكريّ" مع قَطَر، تم توقيعه في ديسمبر 2014م في مجالات التدريب العســـكريّ والصناعـــة الدفاعيَّة، ويتيح الاتِّفاق لكلِّ دولة نَشْر قـــوَّات على أراضي الأخرى. وقد أعلنت تركيا، في يونيو 2015م بدء سريان اتفاقيَّة التعاون العسكريّ مع قطر(4).

1. أسيلسان" التُّرْكِيَّة تطوّر نظام حماية فولاذي للدبابات والمدرَّعات"، موقع "هيئة الإذاعة والتليفزيون التُّرْكِيَّة "TRT"، تاريخ النشر: 9 فبراير 2018، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/ZhC9s6.
2. طارق القزم، دراسة "القوة الصلبة التُّرْكِيَّة الرؤي والتطبيقات"، موقع "المركز الديمقراطي العربي"، مرجع سابق.
3. عادل عامر، "دلالة اتفاقيَّة الدفاع المشترك بين إثيوبيا وتركيا"، موقع "وكالة أنباء أونا ONA"، تاريخ النشر: 7 أبريل 2015، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/pDGsLa.
4. Galip Dalay, Türkiye neden Katar'da askeri üs kuruyor?, Aljazeera Türk, 17 Haz 2015، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/PkQocF.

وفي العام 2015م تصاعد الاهتمام التُّركيّ بالتعاون العسكريّ مع جورجيا وأذربيجان؛ حيث أجرت قوَّات عسكريَّة تركيَّة وجورجيَّة، سلسلة من المناورات العسكريَّة المشتركة غرب تركيا، أطلق عليها "نسر القوقاز"(1).

القواعد العسكرية التُّركِيَّة في الخارج

من مظاهر القُوَّة الصلبة لتركيا أيضاً حرصها على تدشـين قواعد عسـكرية خارج البلاد، فتمتلك قاعدتينْ عسكريَّتَيْنِ؛ إحداهما في قطر "قاعدة الريان" والتي دُشِّنَت بموجب اتفاقيـة ثنائية بين البلدين تهدف إلى تطوير تعاونهما في مجال "مكافحة الإرهاب"، والتعاون في التعليم العسكري والصناعات الدفاعيَّة، والمناورات العسكريَّة، وتُعَدُّ هذه المنشـأة العسكرية الأولى في الشرق الأوسط ويتمركز فيها نحو ثلاثة آلاف جندي من القوات البرية إلى جانب وحدات جوية، وبحرية، ومدربين عسكرين.(2) أما القاعدة الثانية فهي أكبر قاعدة تركية خارج البلاد، وتوجد في الصومال، وقد دشَّنتها أنقرة في سـبتمبر 2017م، وتقع على سـاحل المحيط الهندي، وتحديداً على بُعد 13 كيلو متر تقريباً جنوب مقديشو على مساحة أربعة كيلو مترات مربعة، واستغرق بناؤها عامين بتكلفة قدرت بنحو 50 مليون دولار، وتضمّ ثلاث مدارس عسكريَّة إلى جانب منشآت أخرى، تعمل بطاقة تدريبية تصل إلى 1500 عسكري صوماليّ، ويتمركز فيها نحو 200 ضابط في الجيش التركي، يشاركون في تدريب نحو 10 آلاف جندي وضابط في الجيش الصومالي، عـلى أن تتحمَّل تركيا تكاليف التدريب والسـكن والطعام ورواتب الجنود والضباط بعد التخرُّج، وتجهيزهم بالمسـتلزمات العسكرية وغيرها؛ إذ سلّمت تركيا الحكومة الصومالية نحو 450 قطعة من السلاح "mpt_76" المحلي الصنع (3) .

1. النشاط العسكري التركي المتزايد وتحفيز التحرُّكات العسكريَّة الروسيَّة، (TRT) العربية، 12 يوليو 2015، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/4wzDBx.
2. قاعدة عسـكريَّة تركيَّة في قطر: تحالفات جديدة واتفاقيات متعدِّدَة، موقع "تركيا بوسـت"، 24 ديسـمبر 2015، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/hrC9zJ.
3. "تركيا تفتتح في الصومال أكبر قواعدها العسـكريَّة الخارجيَّة للتدريب"، موقع "BBC عربي"، تاريخ النشر: 30 سبتمبر 2017م، تاريخ الاطلاع 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/qTdKLF.

كما تسعى أنقرة إلى حماية أمنها القومي ومصالحها الخَارجِيَّة في ظلّ الأزمات السياسيَّة والعسكريَّة التي تمرّ بها دول الجوار، لذلك أنشأت في مارس 2015م قاعدة تركيَّة في العراق تُسمَّى قاعدة "بعشيقة"، بطلب من رئيس الوزراء العراقي آنذاك، وبهدف تدريب قوات البشمركة والعشائر السُّنيَّة لمواجهة تنظيم (داعش). لكنَّ هذه القاعدة أحدثت أزمة بين حكومتي العراق وتركيا بسبب إرسال تركيا 150 جندياً إلى القوات العسكريَّة التُّركِيَّة الموجودة في بعشيقة القريبة من مدينة الموصل في ديسمبر 2015م لاستبدال الوحدة التُّركِيَّة المتمركزة هناك منذ عامين ونصف، كما تمَّ استقدام ما بين 20 و25 دبابة إلى المنطقة المذكورة خلال عمليَّة التبديل.(1)

وفي سوريا أقامت تركيا أربع قواعد من أصل 8 قواعد عسكريَّة في البلاد، في مناطق جبل بركات في مدينة حلب، والتي تطلّ على منطقتي عفرين وإدلب، بالإضافة إلى قاعدة التفتناز وقاعدة أبو الضهور، وتستخدمهما تركيا لإدارة عمليَّة "درع الفرات" في إدلب، وفي إطار اتفاق خفض التوتُّر بين تركيا وروسيا وإيران، أسَّس الجيش التُّركِيّ نحو خمس نقاط للمراقبة، وبعد دخول القوات التُّركِيَّة إلى إدلب ازدادت إلى ستّ نقاط (2).

بالإضافة إلى ما سبق، فإن تركيا كانت تملك في السابق قاعدة عسكريَّة جويَّة شمال قبرص، باسم "قاعدة غيتشيتكالا"، كان يستخدمها الطيران العسكري التُّركِيّ إبَّان تقسيم قبرص إلى جزأين العام 1974م؛ حيث دخلت القُوَّات المسلَّحة التُّركِيَّة شمال قبرص ليلة 21 تموز / يوليو وسيطرت على 37% من الأراضي (3).

1. "تركيا وتفعيل القُوَّة الصلبة: الأبعاد والتداعيات"، موقع "المعهد المصري للدراسات"، تاريخ النشر: 3 أبريل 2016م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/2iizax.
2. "تركيا تقيم نقطة المراقبة قبل الأخيرة في سوريا"، موقع صحيفة "الشرق الأوسط"، تاريخ النشر: 15 مايو 2018م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/1TPfP4.
3. "تركيا تسارع إلى بناء قاعدة عسكريَّة جديدة"، موقع "arabic.sputniknews"، تاريخ النشر: 28 أغسطس 2018م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/YnhZxu.

العمليات العسكرية التُّركِيَّة في الخارج

مـــع التغيُّرات الإقليميَّة الكبرى التي شـــهدتها بعـــض دول الجوار التركي، كان من الضروري على أنقرة اتِّخاذ بعض الإجراءات العســـكريَّة لحماية حدودها، والمشاركة في عمليَّات عســـكريَّة دفاعيَّة ذات نطاق جغرافي محـــدود، وكان ذلك في العراق وسوريا، ومن مثل هذه العمليَّات "درع الفرات" ضد تنظيم "داعش" في سوريا العام 2016م، والتي كانت تهدف إلى طرد مســـلحي التنظيم من مدينة جرابلس، ودفعهم بعيداً عن الحدود التُّركِيَّة باتجاه الجنوب، وقد انتهت العمليَّة بالســـيطرة على جبهة تمتد لمســـافة 2015م كيلو متر مربع و243 مركزاً ســـكنياً بين إعزاز وجرابلس، وتم تحييد 3598 متطرِّفاً من تنظيم "داعش" و538 آخرين من تنظيم "بي بي كي"، ومقتل أكثر من 60 فرداً من الجيش التركي (1).

كذلك شـــاركت تركيا مع الجيش السوري الحرّ في عملية "غصن الزيتون"، والتي تُعدُّ امتداداً للعمليات السابقة خارج حدودها، وتم الإعلان عنها في يناير 2018م، وتهدف إلى تطهير المناطق الحدوديَّة من عفرين حتى منبج، من مســـلحي الحركات الكرديَّة الانفصاليَّة المتطرفة، ومنعهم من تحقيق تواصل جغرافي بين الأراضي التي تســـيطر عليها شمال سوريا.

وفي العراق، أطلقت تركيا في مارس 2018م عملية عسكريَّة في قضاء سنجار- شمال البلاد، تهدف إلى التصدِّي لمسلَّحي حزب "العمال" الكردستاني، وتدمير معسكراتهم، وأدخلت وحدات من قواتها البرِّيَّة إلى البلاد تعمل بالتزامن مع الغارات الجويَّة من الطيران الحربي التركي(2).

1. طـارق القزم، دراســة "القُوَّة الصلبة التُّرْكِيَّة الرؤي والتطبيقــات"، موقع "المركز الديمقراطي العربي"، مرجع سابق.
2. "أردوغان يعلن بدء عمليَّة عســكريَّة في ســنجار شــمال العراق"، موقع "arabic.rt."، تاريخ النشر: 25 مارس 2018م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/GqB3pX.

انتشار وحدات من الجيش التُّركيّ خارج الحدود التُّركيَّة

قرَّرت تركيا العام 2015م إرسال قوات عسكريَّة إلى مدينة الموصل العراقيَّة، والمسيطر عليهـــا من قِبل تنظيم داعش آنـــذاك، يبلغ عددها 150 جنديّاً و25 دبابة، كما أعلنت القوات المســلحة التُّركيَّة بأنها تتولى منذ أكثر من عام تدريب قوات البشـــمركة في أربع مناطق مختلفة في إقليم كردستان.(1)

وتملك تركيا عدداً من السفن البحريَّة التابعة لقواتها البحرية في منطقة خليج عدن بهـــدف تأمينها وتأمين المياه الإقليميَّة الصوماليَّـــة وبحر العرب والمناطق المجاورة، وتأمين الســـفن التجارية التُّركيَّة من أعمال القرصنة. وقد تمَّ تجديد مهام القوات البحرية التُّركيَّـــة المتمركزة هناك مرة أخرى العـــام 2017م بتصديق من البرلمان التركي. (2)

وفي أكتوبر 2017م قرَّرت أنقرة نشر قُوَّة عسكريَّة تركيَّة في محافظة إدلب، وذلك في إطار اتفاق "مناطق خفض التصعيد" في سوريا الذي تقرر خلال محادثات الأستانة (3).

هذا وتشارك القوات التُّركيَّة في العمليَّات التي يخوضها حلف شمال الأطلسي "الناتو" في أفغانســـتان، وجاء قرار أنقرة بالمشـــاركة بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001م، وبعد تولّي حزب "العدالة والتنمية" الحكم ظلَّت قيادته على التزاماتها تجاه الناتو، وتولَّت تركيا لمرتين قيادة قُوَّة المساعدة الأمنيَّة الدوليَّة (ISAF) في أفغانستان.

1. "وجـود القوات التُّركيَّة في الموصل: الدوافع والتداعيات.. وردود الفعل"، موقع "تركيا بوســت."، تاريخ النشر: 9 ديســمبر 2015م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: /https://goo.gl t3GfHW.
2. تركيـا تمَـدِّد مهمة قوّاتها البحريَّة في خليج عدن"، موقـع " "arabic.rtتاريخ النشر: 8 فبراير 2018م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/e2gxhm.
3. دراســة "السياســة التُّركيَّة " الخشــنة" لرســم خرائط النفوذ بالإقليم"، موقع "مركز المستقبل للأبحاث والدراســات المتقدمــة"، تاريخ النشر: 22 فبراير 2018م، تاريخ الاطــلاع: 17 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/yDzHa7.

وقد اهتمَّت أنقرة كثيراً بعدم مشـــاركة جنودها في العمليَّات القتاليَّة، وبدلاً من ذلك شاركت بالقُوَّة الناعمة المتمثِّلة في تقديم المساعدات التنمويَّة والاقتصاديَّة والطبيَّة، فدوماً ما كانت تركيا تؤطِّر عملها في أفغانســـتان ضمن إطار تاريخيّ بين البلدين وتحاول التأكيد على ما لها من قواسم مشتركة مع الشعب الأفغاني (1) .

إدارة تركيا للملف الكُرديّ

تُعتبر الأزمـــة الكرديَّة من القضايا التي تُهدِّد اســـتقرار النظام الاجتماعي للبلاد؛ إذ تتمحـــور حول مطالبة بعض الفئات الكُرديـــة بالانفصال عن تركيا وتكوين دولة مستقلة بهم، ولطالما اعتادت أنظمة الحكم السابقة في تركيا على رَفْض وتجاهل تلك المطالبـــات وقَمْع أصحابها، لكن بعد صعود حزب "العدالة والتنمية" إلى الحُكم العام 2002م، اختلفـــت طرق معالجة تلك القضية ونال الأكـــراد المزيد من الحُرّيّات في مجالات التعليم والإعلام والاندماج الاجتماعي والســـياسي بعد أن كان ذلك ممنوعاً في الســـابق، فأصبح لديهم أحزاب تُعبِّر عـــن هويتهم، مثل: حزب الدعوة الحرَّة (2) وحزب الشـــعوب الديمقراطي (3) ، والذي شـــارك في الانتخابات الرئاســـيَّة العام 2014م، وتـــولى الكثير من الأكراد مناصب عســـكريَّة وإداريَّة عليا، وكلّ ذلك داخل نطاق الدولة القوميَّة.

1. "الدور التركي في أفغانســـتان: سياســـة "القُوَّة الناعمة" لإحلال السلام في أفغانستان"، موقع "قنطرة"، تاريـــخ النـــشر: 26 يوليو 2010م، تاريخ الاطلاع: 17 يناير 2019م، متـــاح على الرابط التالي: https://goo.gl/41hcng.
2. حـــزب الدعـــوة الحُرَّة أحد الأحزاب التُّرْكِيَّة، أسَّســـه أنصار من حزب اللـــه الكردي فرع «منزل» عقب انتهاء الصراع المسلح سنة 2002م.
3. حـــزب تركي تأســـس عـــام 2012م، يُؤَكِّد زعماؤه أنه يُمَثِّل كل الأتراك غـــير أن الكثيرين يعتبرونه حزباً كُردِيّاً. ينص القانون الداخلي للحزب على أنه يُمَثِّل المضطهدين والمهمَّشِينَ وكل مكوِّنَات المجتمع التركيّ. للمزيد يُنْظَر: "حزب الشـــعوب الديمقراطي"، الجزيرة نت، تاريخ الزيارة: 25 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/FVDV4B

لكن عادت الأزمة الكرديَّة تطفو مجدداً على السطح في تركيا لا سيّما بعد محاولة حزب الشعوب الديمقراطي إعلان الفيدراليَّة ومساندة بعض البرلمانين لحزب العمال الكردستاني.

وفي أعقاب الأزمة السورية العام 2011م، زادت التهديدات المركزيَّة في تركيا مِن قِبَل المنظمات الكرديَّة الانفصاليَّة المتطرِّفة التي كانت تتوسَّع شمال سوريا، وتستولي على الأراضي التي يُطْرَد منها تنظيم "داعش". ومن هنا قررت تركيا خوض عملية "غصن الزيتون" العسكريَّة في مدينة عفرين السورية؛ لمقاومة التهديدات الخَارجِيَّة والداخليَّة لقوات سوريا الديمقراطيَّة التي تُهيمن عليها وحدات "حماية الشعب" الكُردية المتَّهمة بتهديد الشريط الحدودي الجنوبي لتركيا، والتي تعتبرها أنقرة الذراع العسكريّ السوريّ لحزب "العمال" الكردستانيّ والذي تصنِّفه تركيا والولايات المُتَّحِدَة الأمريكيَّة على أنه منظَّمة متطرِّفة (1).

تركيا في القرن الإفريقي

توصَف منطقة "القرن الإفريقي" التي تمتدّ من الصومال إلى إريتريا مروراً بإثيوبيا وجيبوتي، بأنها منطقة ثريَّة للغاية كانت ولا تزال تحظى بمزايا هائلة، في مقدِّمتها الموقع الجيو-استراتيجي المميز عند الطرف الشمالي-الشرقي للقارَّة السمراء، وتموضعه بين ثلاثة مجسَّمات مائيَّة حيويَّة، هي: المحيط الهندي وخليج عدن والبحر الأحمر، بما يجعله يحظى بهيمنة كبرى على مضيق باب المندب وصولاً إلى قناة السويس الحيويَّة، بكل ما يعنيه ذلك من سيطرة مباشرة على حركة الملاحة البحريَّة الدوليَّة، التجاريَّة والنفطيَّة والعسكريَّة، بين دول الشرق والغرب، وثانياً ما يختزنه من موارد طبيعيَّة جمَّة مكتشفة ومخبأة، وثالثاً علاقات التأثير التاريخي المتبادَلة مع الدول العربيَّة والإسلاميَّة.

1. طارق القزم، دراسة "القُوَّة الصلبة التُّرْكِيَّة الرؤي والتطبيقات"، موقع "المركز الديمقراطي العربي"، مرجع سابق.

وقد التفت تركيا مبكراً إلى تلــك المنطقة الحيويَّة من العالم، وتبنَّت تكوين علاقات استراتيجيَّة معها وفي مختلف الجوانب، بحيث يرتكز مخططها على الدَّمْج بين القُوَّة الناعمة والصلبة في أربعة دول رئيســة في القرن الإفريقي، وكان للصومال النصيب الأكبر من أدوات القُوَّة التُّركِيَّة الخشنة، التي تبرز في قرار أنقرة بناء قاعدة عسكريَّة هي الأكبر لتركيا خارج حدودها.

وتُعتَبر هذه القاعدة الثانية لتركيا خارج أراضيها بعد قاعدتها في قطر، وقد أنشأتها شركة (إسطنبول- مقديشو) تحت إشراف وكالة "تيكا" التُّركِيَّة وحماية القوات الجوية التُّركِيَّة، وتقع على مساحة 400 ألف متر مربع، بحيث تبعُد عن المطار كيلو متراً واحداً، ويمكن الوصول إليها برّاً وبحراً وجوّاً، وساهم في إنشائها نحو 100 عامل تركي، و450 عاملاً صوماليّاً، وبتكلفة تبلغ نحو 50 مليون دولار، على الطراز السلجوقي.

وتضمّ 3 مدارس عســكريَّة، مخصَّصة لاســتقبال الجنود مــن دول إفريقيَّة أخرى. وســيعمل فيها نحو 200 جندي تركي، يتم رفعهم لاحقاً إلى 600 جندي، وتســتطيع تدريب 500 شــخص في آنٍ واحد، ومن المقرَّر الارتقاء بهذا العدد ليصل لاحقاً إلى 3000 عنصر، ويقتصر العمل فيها على تدريب الجنود الصوماليين فقط.



هذا بالإضافة إلى المســـاهمة التُّركِيَّة في دعم أجهـــزة الأمن والجيش والشرطة في الصومال، بتقديم أحدث مواد التدريب العسكري لعناصرها داخل أنقرة، والمساهمة في إعادة تشكيل الجيش الصومالي والأجهزة الأمنيَّة التابعة له، وتدريب عناصرهما، وتوفير التجهيزات اللازمة لها؛ إذ ســـلَّمت تركيا الحكومة الصومالية نحو 450 قطعة من الســـلاح "MPT_76" المحلي الصنع، ثم توسَّع التعاون العسكريّ بتوقيع اتفاقيَّة بين وكالة "تيكا"، التابعة لرئاســـة الوزراء التُّركِيَّة وبين مديرية السجون الصوماليَّة، لإمدادها بنحو 650 زيّاً موحداً للسّجناء الصوماليين(1).

وفي الإطار ذاته، تُقدِّم أنقرة إلى الصومال 2 مليون دولار شـــهريّاً منذ العام 2016م لمســـاعدة حكومتها على دفع رواتب عنـــاصر الشرطة، كما تتولَّى تدريب الآلاف من القوات الحكوميَّة من خلال مركز تدريب عســـكري في ضواحي مقديشـــو، وكذلك تدشـــين مشروع لمصنع إنتاج الملابس العســـكرية، يُعَدُّ الأول من نوعه في البلاد، بما يضمن توفير الزي العسكري لجميع أقسام القُوَّات الصوماليَّة، والوصول إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي من إنتاجية الزي العسكريّ(2).

وفي إثيوبيـــا، تبرز القُوَّة التُّركِيَّة الصلبة في توقيع اتفاقيَّة دفاع مشـــترك في مايو 2013م مع حكومـــة إثيوبيا، وتصديق البرلمان الإثيـــوبي عليها في مارس 2015م، بهـــدف تدعيم التعاون في مجال الصناعـــات الدفاعيَّة، وتقديم تركيا الدعم الفنِّي واللوجســـتيّ لزيادة قُدُرَات إثيوبيا العسكريَّة، ونقل التكنولوجيا الدفاعيَّة، وتحديث الموجودات العسكرية فيها، وتعزيز التعاون المتبادل بين شركات الصناعات الدفاعيَّة في البلدين، بالإضافة إلى توقيع صفقة أخرى بشـــأن تسليم أسلحة إلى إثيوبيا بقيمة

1. طارق القزم، دراسة "الحُضور التركي في القَارّة الإفريقيَّة جزء 2"، مركز "مقديشو للبحوث والدراسات"، مرجع سابق.
2. ســفير أنقرة بمقديشــو: تركيا "دولة رائدة" في الاســتثمار والدعم الإنســاني بالصومال، الموقع الرســمي لوكالة "الأناضول" التُّرْكِيَّة، تاريخ النشر 4 سبتمبر 2016، تاريخ الزيارة 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/9KTMQC.

مليــــار دولار العام 2015م، والمشـــــاركة في تدريب قوَّات الشرطة والجيش الإثيوبي، والتعاون المشترك في مجال مكافحة التطرُّف(1).

القُوَّة الترُّكِيَّة النَّاعِمَة.. تَحَوُّلات عَرَبِيَّة في الميزان:

تُعْتَبَرَ مفاهيم "القُوَّة النَّاعِمَة" من المفاهيم المُتَجَذِّرَة في ثقافات العالم بالماضي والحاضر. وقد دَعَتِ النُّخب العِلْمِيَّة والفِكْرِيَّة والثَّقَافِيَّة في أرجاء العالم منذ انتهاء الحرب العَالَمِيَّة الثانيَـــة، وما تزال تدعو حتى يومنا هذا إلى التعايش الســـلمي، والتَّخَلِّي عن لغة القُوَّة، وتغليـــب ما يعرف اليوم بـ"القُوَّة النَّاعِمَة" عـــلى "القُوَّة الصَّلْبَة" في العلاقات الدَّوْلِيَّة. فيما سَعَتْ تركيا أيضاً للالتزام بهذا التوجه، ولطالما روَّجت لمصطلح "تصفير المشكلات" أو "صفر مشاكل". وهي سياسة اعتمدتها تركيا مع الجميع، وخَاصَّة دول الجوار. ويُؤَكِّد هـــذا ارتقاء تركيا للمرتبة العشرين في تصنيف(2) "Monocole" لمقياس القُوَّة النَّاعِمَة للدول عام 2012م. والَّذِي حذَّر أيضاً من إمكانيَّة حدوث مشاكل لتركيا بسبب حالة عدم الاستقرار المُسَيْطِرَة في جوارها(3)، وهو ما حدث فعلاً كما أوردنا سابقاً.

وفي غياب عامل الحَسْم، بعد موجات الربيع العَرَبِيّ، سواءً في البلدان الَّتِي لم تنجرَّ إلى العنف الشـــامل (نموذج تونس ومصر)، أو تلك البلدان الَّتِي لا تزال تعيش حالةً من الفـــوضى واللانظام (نموذج ليبيا واليمن)، وأيضـــاً في الدول العَرَبِيَّة الأخرى الَّتِي نجحت في حفظ اســـتقرارها أو نظيراتها الَّتِي تعيش حالة انتظار وترقُّب، يبدو اللاعب الترُّكِيّ أكثر ارتياحاً في خططه وحســـاباته الاسْـــترَاتِيجِيَّة ضمن تطبيقاته

1. دراســـة "التغلغل التركي والقطري في دول القرن الإفريقي"، موقع "مركز المزماة للدراســـات والبحوث"، تاريخ النشر 5 مارس 2017م، تاريخ الزيارة 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/udkkrN.
2. مجلة بريطانيَّة تجري اســـتطلاعاً ســـنوياً حول جودة الحياة حول العالم Quality of Life Survey سبق الإشارة إليها سابقاً.
3. "Soft Power Survey- 2012", monocle، November 2012, available at: goo.gl/p6115v

لأدوات القُوَّة النَّاعِمَة، والَّتي يَتَقَدَّم فيها على كُلّ من اللاعبين الأَسَاسِيَّيْنِ في منطقة الشرق الأوسط: إسرائيل وإيران. في ظِلّ السباق المحموم لإعادة التَّمَوْقُع الَّتي تقوم بها القُوَى الإِقْلِيمِيَّة والدَّوْلِيَّة، بما يُمَكِّنُهَا من الاستعداد لمواجهة الانعكاسات الَّتِي ستتركها الانتفاضات العَرَبِيَّة (1).

فإذا كانت الحسابات التُّرْكِيَّة في هذا المجال، تعتمد على استشراف المسار الَّذِي سيأخذه التغيير في البلدان الَّتِي شهدت انتفاضات شَعْبِيَّة، وعلى النتيجة النهائيَّة الَّتِي ستفرزها رياح التغيير بالمنطقة العَرَبِيَّة، والأشكال السِّيَاسِيَّة الَّتِي ستنشأ عنها. فإن انتشار المَدّ الديمقراطيّ في العالم العَرَبِيّ ستجني تركيا من ورائه الكثير ولا شكَّ؛ إذ إنَّ الدول العَرَبِيَّة ستكون في وَضْعِيَّة ملائمة للالتقاء مع أجندات أنقرة السِّيَاسِيَّة والاقتِصَادِيَّة والعَسْكَرِيَّة، مع إضفاء المزيد من الضغوط على إسرائيل. خصوصاً إذا ما أثبتت مصداقيّتها فيما يَتَعَلَّق بمواجهة المَدّ الإيراني، وتداعيات الأزمة السُّورِيَّة. لكن عدم نجاح التغيير الحالي في كُلّ من مصر وتونس وليبيا، وذهابه أحياناً بعيداً باتجاه الفوضى، بدلاً من التغيير الإيجابيّ والاستقرار البنَّاء. ومثل هذه الحقائق كانت ذا أثر سلبيّ على مُخَطَّطات أنقرة، والَّتِي اعتمدت ما يلي في إطار القُوَّة النَّاعِمَة:

- **السِّيَاسَة الخَارِجِيَّة:** عبر مشروع تركيا الخَارِجِيّ في منطقة الشرق الأوسط، والقائم على تحقيق الاستقرار في محيطها، والانفتاح باتجاه الشرق، مع تفعيل سياسة تصفير نزاعات تركيا الَّتِي ستساعد على اسْتِتْبَاب نفوذها الإِقْلِيمِيّ.
- **السِّيَاسَة الاقتِصَادِيَّة:** زيادة قُدْرَة تركيا الاقتِصَادِيَّة، وبالتَّالِي مواصلة مضاعفة نِسَبِ النُّمُوّ الاقْتِصَادِيّ فيها، ورفع قيمة الصادرات. مع أَهَمِّيَّة ما استثمرته تركيا

1. علي حسين باكير، "القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة في ميزان التَّحَوُّلات العَرَبِيَّة"، إسلام أونلاين نت، 20 مارس 2011، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي لعدم إتاحته على مصدره الأصلي حالياً، goo.gl/waZXrL

طيلة السـنوات الأربع الماضِيَة، وتحديداً عـبر الشراكات الاقتِصَادِيَّة مع الدول العَرَبِيَّة، إنشاء أسواق مشـتركة ومناطق تجارة حُرَّة أيضاً. دون إغفال تضاعف حجم التبادل التِّجَارِيّ بين تركيا وعدد من الدول العَرَبِيَّة(1).

- **السِّيَاسَة الدَّاخِلِيَّة:** سيُؤَدِّي تراجع الوضع الاقْتِصَادِيّ وعرقلة السِّيَاسَة الخَارجيَّة إلى مضاعفـات على الصعيد الدَّاخِلِيّ في تركيا، وقد يعزّز هذا الوضع من جهود خصوم حزب العدالة والتَّنْمِيَة في النَّيْل منه، ويرفع من أسـهمهم إذا ما أحسنوا استغلال الفرصة خاصةً في الاسـتحقاقات الانتخابِيَّة القادمة، وهكذا ينعكس في التَّطَوُّر السلبي العَرَبِيّ على تركيا بحيث تَضْطَرُّ إلى العودة للتقوقع والانغلاق حمايةً لنفسـها، وبما يُؤَدِّي إلى انعكاس الأدوار الإِقْلِيمِيَّة وإعادة تظهير الدور الإسرائيلي والإيراني.(2)

العلاقات التُّركِيَّة – السُّـورِيَّة، إرهاصات الحرب بين تركيا وسوريا في العام 1999م

مع بداية شـهر أكتوبر العام 1998م تصاعدت حِدَّة التوتُّر في العلاقات بين سوريا وتركيا إلى حَدّ نشوب صراع مُسَلّح بين الدولتين؛ حيث دفعت القيادة السياسيَّة التُّركِيَّة بقواتها المسلَّحة إلى الحدود المشتركة مع سوريا، واستمرَّت في تعزيز قُوَّاتها في المنطقة

1. اكتسـب حجم التبادل التجاري بين تركيا والدول العَرَبِيَّة زخماً كبيراً ووصل إلى 65 مليار دولار بنهاية عام 2012م، مِمَّا يعكس زيادة سبعة أضعاف مقارنة بعام 03ا20. وزادت صادرات تركيا إلى المنطقة من 4،8 مليار دولار في عام 2003 إلى 38،6 مليار دولار في عام 2012 تجاوزت القيمة الإجماليَّة للمشاريع التي قام بها المقاولون الأتراك في دول الشرق الأوسط 65،8 مليار دولار بنهاية عام 2012.
Middle East, Republic of Turkey Ministry of Trade, July 2013, available at: goo.gl/hNaJwC
2. علي حسـين باكير، "القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة في ميزان التَّحَوُّلات العَرَبِيَّة"، إسـلام أونلاين نت، 20 مارس 2011، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي لعدم إتاحته على مصدره الأصلي حالياً، goo.gl/waZXrL

الحدوديَّة، بينما تلقَّى أعضاء البعثة الدبلوماسـيَّة التُّركِيَّة في دمشق تعليمات بترحيل عائلاتهم إلى أنقرة خلال أسـبوع واحد اعتباراً من 4 أكتوبر 1998م لاحتمال اندلاع أعمال حربيَّة، واشـتدَّت لهجة الخطاب السـياسي للرئيس التركي سليمان ديميريل محذِّراً سـوريا وتهديده صراحةً من عواقب الأزمة، بل وشكّلت القيادة التُّركِيَّة فريقاً من الخبراء السياسيِّينَ والعسكريِّينَ لإدارة الموقف المتصاعد مع سوريا(1).

ويرجع هذا التوتُّر إلى أسـباب عدّة(2)، منها: اتِّهام تركيا القيادة السُّـورِيَّة بتقديم الدعم للانفصاليِّينَ الأكراد، وحماية زعيم حزب العمال الكردستاني التركي عبدالله أوجلان على أراضيها طوال سـنوات تجاوزت العشر، ووجَّه رئيس الحكومة التُّركِيَّة آنذاك إبَّان زيارته لواء الإسـكندرونة في أبريل 1996م تهديدات مباشرة لسـوريا بذريعة دعمها الحزب، وأن أنقرة سترَدّ على أيّ اعتداء، لأنها غير مُستعِدَّة للتنازل عن أيّ جزء من أراضيها. لتتردَّد في البلاد أحاديث عدة عن احتمال استعداد تركيا لشنّ عمل عسكري محدود ضِدَّ سوريا(3).

ومن أسـباب التوتُّر بين البلدين أيضاً: إقدام أنقرة على توقيع اتفاق عسـكري مع إسرائيل في فبراير 1996م، وما يتضمَّنه من تعاون في مجال التصنيع الحربي المشترك وتبادل التكنولوجيا الحربيَّة، ويقضي الاتفاق أيضاً بأن تُقدِّم تركيا تسـهيلات لإسرائيل تستطيع بموجبها استخدام القواعد والمطارات الجويَّة على أراضيها مقابل أن تساعدها إسرائيل في إنشـاء شبكة تجسُّس وزرع أجهزة تَنَصُّت وإنذار مبكِّر على حدود تركيا مع سوريا والعراق، بهدف الكشف المبكِّر عن أيَّة تحرُّكات للقوات السُّورِيَّة أو العراقيَّة.(4)

1. د. زكريا حسـين، "الأزمة السُّـوريَّة ــ التُّرْكِيَّة .. إلى أين؟"، موقع أرشيف صحيفة "البيان"، تاريخ النشر: 9 أكتوبر 1998م، تاريخ الاطلاع 20 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/43f31s.
2. د. زكريا حسين، "الأزمة السُّوريَّة ــ التُّرْكِيَّة .. إلى أين؟"، موقع أرشيف صحيفة "البيان"، مرجع سابق.
3. عـلي صالـح حمدان حامد، "الأزمة التُّرْكِيَّة . السُّـوريَّة العام 1998، وأثرها عـلى العلاقات الأمريكيَّة-السُّـوريَّة"، مجلـة "آفاق فكرية"، العدد الخامس 2016م، نسـخة إلكترونيَّـة متاحة على الرابط التالي: https://goo.gl/cGKLkb.
4. جريـدة "الأهـرام" المصريـة، العدد 39935، تاريـخ النشر: 8 أبريل 1996م، تاريـخ الزيارة 20 يناير 2019م، نسخة إلكترونية متاحة على الرابط التالي: https://goo.gl/cGKLkb.

وتزايد الجدل والنقاش في الدوائر العربيَّة آنذاك بشـــأن أهداف الاتفاق العسكريّ الـــتركي الإسرائيليّ، خاصةً في ظل قيام الجانبين بمناورات مشـــتركة شرق البحر المتوسط، وبمشـــاركة الولايات المُتَّحِدَة الأمريكيَّة نهاية مايو العام 1998م، والاتفاق على مناورات أخرى بَحْرِيَّة في نهاية نوفمبر العام ذاته.

وقد ردَّت سوريا على هذا الاتفاق بتحذير تركيا من خطورة الأمر على مصالح الدول العربيَّة والإسلاميَّة، ووصفت صحيفة "تشرين" السُّورِيَّة الاتفاقيَّة التُّركِيَّة الإسرائيليَّة بـ"العُذْر الجديد لتوتُّر المنطقة وعدم الاستقرار"، وأن تلك الخطوة التي أقدمت عليها أنقرة لا تساعد على حدوث انفراجة العلاقات السُّورِيَّة التُّركِيَّة[1].

كما تعتبر مشـــكلة المياه من أبرز عوامل توتُّر الأجواء التُّركِيَّة- السُّورِيَّة؛ حيث أقرَّت القيادة التُّركِيَّة حقوق ســـوريا في مياه نهر دجلة وفقاً لمعاهدة لوزان واتفاقيَّة مياه الفرات المُبرَمَة بين ســـوريا وتركيا والعـــراق العام 1987م، والتي أقرَّت حقوق المياه لســـوريا مقابل تعهُّد الأخيرة بضمان أمن الحدود التُّركِيَّة من هجمات حزب العمال الكردســـتاني، لكن بعض الأطراف السياسيَّة في تركيا استغلَّت الأمر لتحويل مشكلة المياه إلى أزمة سياسيَّة فأصرُّوا على اعتبار حوض نهري دجلة والفرات حوضاً واحداً، وأن النهرين ينبعان من تركيا وليســـا نهرين دوليَّيْنِ، وبالتالي يحق لتركيا التصرُّف في مياههما دون الأخذ في الاعتبار الأضرار الناجمة عن ذلك على سوريا والعراق.

وبشكل عام، رفضت أنقرة في أكتوبر 1998م إجراء أيّ مباحثات مع دمشق لتهدئة الأجواء قبل تســـليم عبدالله أوجلان؛ حيث حاولت تركيا فرض قضيَّة حزب العمال الكردستاني على أنها القضيَّة الأولى مع سوريا، وعَمدت السلطات التُّركِيَّة إلى تصعيد مفاجئ للتوتُّر بإطلاق كبار المسؤولين والعسكريِّينَ الأتراك تصريحات عدائيَّة ضدَّ سوريا.

1. جريـــدة "الأهـــرام" المصريـــة، العدد 39935، تاريـــخ النشر: 8 أبريل 1996م، تاريـــخ الزيارة 20 يناير 2019م، نسخة إلكترونية متاحة على الرابط التالي: https://goo.gl/cGKLkb.

وفي محاولة لنزع فتيل الأزمـــة المتصاعدة بين الطرفين، تَبَنَّت مصر وإيران مَهَمَّة الوســـاطة بينهما لإنهاء التوتُّر، فأجرى الرئيس المصري آنذاك محمد حسني مبارك زيارة إلى دمشق وأنقرة على رأس وفد كبير، لاستعراض مبادرة خاصة لاحتواء النزاع تلخَّصَتْ شروطها في وقف الحملات الإعلاميَّة المتصاعدة بين البلدين، واســـتضافة اجتماع لوزيري خَارجِيَّة سوريا وتركيا في القاهرة، وحال نجاح هذا الاجتماع يجري الترتيب لقمَّة رئاســـيَّة بين حافظ الأسد وســـليمان ديميريل لبحث المشاكل العالقة، مثـــل: أزمة المياه، وقضية حزب العمال، وعَقد اجتماعات أمنيَّة بين الجانبين لتبادل المعلومـــات، وتأمين الحدود البريَّة، وبحث أوجه التعاون الأمني، والحفاظ على الحدّ الأدنى من العلاقة بين البلدين بما يسمح بوقف التصعيد وعدم نشوب حرب بينهما، وعودة الأوضاع على الحدود إلى ما كانت عليه قبل التصعيد العسكري الجديد، والبدء الفوري بإجراءات بناء الثقة بين ســـوريا وتركيا ومناقشة الملفات بينهما بشكل مفتوح من دون تصوُّرَات مسبقة، وعدم تدخُل أي دولة منهما في شؤون الأخرى مستقبلاً(1).

وفي 19 أكتوبر 1998م أُجريت مباحثات بين وفدي البلدين على مســـتوى الخبراء الفنيِّينَ في المجال الأمني وخبراء السياسة الخَارجِيَّة، وسط تأكيد كلا الطرفين على أهمية التوصُّل إلى حلّ سِلْمِيّ للنزاع، وذكرت الصحف التُّركِيَّة آنذاك أن الوفد السوري قدَّم لنظيره التركي قائمة بأســـماء المعتقلين في ســـجون سوريا من عناصر حزب العمال، وأن الســـوريِّينَ رحبوا بزيارة محقِّقِين أتراك إلى هذه السجون لاستجواب معتقلي الحزب، كما أعلن عبدالله أوجلان أنه لم يَعُد يقيم في سوريا، وأنه نقل نشاطه السياسي إلى المناطق الكردية(2).

1. جريـــدة "الأهـــرام" المصريَّة، العدد 40850، تاريخ النشر: 10 أكتوبـــر 1998م، تاريخ الزيارة: 20 يناير 2019م، نسخة إلكترونية متاحة على الرابط التالي: https://goo.gl/cGKLkb.
2. جريـــدة "الأهـــرام" المصريَّة، العدد 40851، تاريخ النشر: 11 أكتوبـــر 1998م، تاريخ الزيارة: 20 يناير 2019م، نسخة إلكترونية متاحة على الرابط التالي: https://goo.gl/cGKLkb.

وبذلك نجحت جهود الوساطة المصريَّة والإيرانيَّة في إنهاء التوتُّر بين سوريا وتركيا، وبرز ذلك في عقد اجتماع أمني ســـوري- تركي في منطقة أضنة التُّركِيَّة، وتمَّ التوصُّل فيه إلى توقيع اتفاق أمني في 21 تشرين الأول 1998م، والذي عُرف بـ"اتفاق أضنة"، وتعهدت فيه سوريا بإغلاق معسكرات حزب العُمَّال الكردستاني على أراضيها وفي وادي البقاع اللبناني الخاضع لسيطرتها، وَوَقْف مختلف أشكال الدعم للقضيَّة الكرديَّة التُّركِيَّة في سوريا ولبنان، بل وتنازلت ســـوريا عن مطالبها السابقة بعودة لواء الإســـكندرونة تحت سيطرتها، وفي المقابل تعهَّدت تركيا بعدم السماح بانطلاق أي نشاط من أراضيها يهدِّد استقرار سوريا(1).

العلاقات التُّركِيَّة- السُّورِيَّة إبَّان أزمة عبد الله أوجلان

كان زعيـــم حزب العمال الكردســـتاني التركي عبد الله أوجـــلان محور الخلافات السياســـيَّة والدبلوماسيَّة بين أنقرة ودمشق؛ حيث آوت الأخيرة الزعيم الكردي على أراضيها طوال ســـنوات تجاوزت العشر ، فكان يقيم ويمارس نشـــاطه السياسي من هناك. لكن مع بداية شهر أكتوبر العام 1998م، بدأ الجيش التركي بشكل غير متوقَّع في حشد قوَّاته على الحدود مع سوريا، بهدف فرض ضغط كبير على دمشق.

وأعطت الولايات المُتَّحِدَة الأمريكيَّة الضوء الأخضر لأنقرة للضغط على دمشـــق من أجل إنهاء وجود عبدالله أوجلان ومعســـكرات مقاتليه في ســـوريا والبقاع اللبناني، رغم أن دمشق وبيروت طالمَا نفيتا هذه الاتهامات، وقبلتا قدوم فريق من المفتِّشِين الأتـــراك إلى أراضيهما وإجراء جولات مُكَثَّفَـــة من التفتيش في الأماكن التي يُزعم وجود حزب العمال الكردستاني فيها.(2)

1. "القاهرة تســعى إلى تســوية الحد الأدنى بين القاهرة ودمشــق"، مجلة "المشاهد الســياسي"، العدد 137 ص15، تاريخ النشر: 31 أكتوبر 1998م، تاريخ الزيارة: 20 يناير 2019م، نســخة إلكترونية متاحة على الرابط التالي: https://goo.gl/cGKLkb.
2. جريدة الأهرام، العدد 40873، تاريخ النشر: 2 نوفمبر 1998م، تاريخ الزيارة: 21 يناير 2019م، نسخة إلكترونية متاحة على الرابط التالي: https://goo.gl/cGKLkb.

وبذلك أدَّت تلك الأزمة في نوفمبر 1998م إلى سقوط أوجلان في فخّ اللجوء السياسي في روما بعدما تم توقيفه في مطار روما، ومع توالي ردود الفعل الكُرْدِيَّة "العاصفة" التي شـــهدتها روما وأنقرة وبِضْع عواصم أوروبيَّة أخرى، بدا واضحاً أنه فَقَدَ بذلك موقعاً يمكن اللجوء إليه بعد أن تخلَّت عنه دمشق وموسكو وروما، رغم وعود الأخيرة باستقباله لاجئاً، لكن تراجعت عن قرارها بسبب انتقادات تركيَّة وُجِّهَت إليها لسماحها له بمغادرة إيطاليا. (1)

وقد ذكر الكاتب والصحافي الإيطالي ماركو أنسالدو (Marco Ansaldo)، في كتابه الصادر العام 2002م، بعنوان "سِرِّي للغاية: قضية أوجلان"، أن جهاز الاســـتخبارات الأمريكيَّة CIA، كانت ترصد عبر الأقمار الصناعيَّة ولفترة طويلة بيانات خاصة بشأن محلّ إقامة أوجلان في ســـوريا، ومتابعة أنشـــطته العسكريَّة وحركته في معسكرات تدريب الحزب، وأن هذه البيانات وصلت إلى القيادة السُّوريَّة بطريقة غير مباشِرة، فتأكـــدت أنه لم يَعُد ممكناً الدفاع عن هذا الوضع، وَوَجَّهَتْ إلى أوجلان دعوة حَادَّة لمغادرة ملجئه(2).

في النهاية اتَّجَـــه عبدالله أوجلان إلى كينيا؛ حيث اعتُقِلَ هناك في 15 فبراير العام 1999م، بعد ملاحقة استمرَّت سنوات طويلة مِن قِبَل الأجهزة الأمنيَّة التُّركِيَّة، ووصل إلى أنقـــرة في اليوم التالي من اعتقاله مكبّلاً بالأغلال، وبعد محاكمة لم تدم طويلاً صَدَرَ الحكم بإعدامه، لكن مع الضغوط الأوروبيَّة على السلطات التُّركِيَّة خُفِّف الحكم إلى السجن المُؤَبَّد والمشدَّد داخل جزيرة إيمرلي- جنوب بحر مرمرة(3).

---

1. يُنظر نص بيان وراء خارجية دول إعلان دمشق في 12 نوفمبر 1998، مجلة "الدراسات الفلسطينيَّة"، المجلَّد 10، العدد 37 (شتاء 1999)، 29 نوفمبر -5 ديسمبر 1998، ص18 و21، تاريخ الزيارة: 21 يناير 2019م.
2. "طرد أوجلان من دمشـــق إلى روما بعد 13 ســـنة في ضيافة حافظ الأسد"، موقع صحيفة "الحياة"، تاريخ النشر: 18 يناير 2018م، تاريخ الاطلاع 20 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/a2Ep3V.
3. "مـــرور 12 عامـــا على اعتقال عبدالله أوجلان"، موقع "BBC عـــربي"، تاريخ النشر: 14 فبراير 2011م، تاريخ الاطلاع 20 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/iEWMta.

تصفير المشكلات مع سوريا بعد العام 2002م:

مـــع صعود حزب "العدالة والتنمية" إلى الحُكم في تركيا، تبنَّت أنقرة دبلوماســـيَّة جديدة مع دول الجوار تقوم على "تصفير المشـــاكل" اعتماداً على تعزيز موقعها الإقليميّ، وبناء علاقات سياســـيَّة واقتصاديَّة قويَّة مع هذه البلدان، وفي مُقَدِّمتها ســـوريا، التي تمتَّعت بعلاقات ممتـــازة مع جارتها التُّركِيَّة، وتمثَّل ذلك في الكثير من البرامج وخطط التعاون؛ حيـــث وقَّعت الدولتان اتِّفاقات عدَّة أبرزها "اتفاقية التجارة الحرَّة" العام 2004م، والتي تســـمح بتدفق البضائع في الاتجاهين وتنفيذ المشاريع المشتركة، مثل: السوق الاقتصاديَّة المندمجة، والمكتب المشترك للتجارة الثنائية الذي دُشِّن العام 2007م، فشكَّلت سوريا ممراً للبضائع التُّركِيَّة إلى كلٍّ من الأسواق اللبنانيَّة والأردنيَّة والمصريَّة وأسواق الخليج العربي.(1) وقد أدَّت هذه الخطوة إلى انتعاش اقتصاديّ تدريجيّ في البلدين، فارتفعت معدَّلات المشـــاريع التُّركِيَّة في سوريا بنسبة 100%، وخاصَّة في العاصمة الاقتصاديَّة "حلب"، وبلغ حجم المستثمرين الأتراك نحو 40% من إجمالي المستثمرين الأجانب في المدينة، كما بلغ حجم التبادل التجاري بينهما نحو مليارين و200 مليون دولار العام 2010م، بينما كان في العام 2004 نحو 400 مليون دولار فقط. (2)

نجاح التعاون التركي- الســـوري شـــجَّع الكثير من دول الجـــوار التركي على اتِّخاذ خطوات مماثلة نحو توثيق العلاقـــات مع أنقرة، مثل: لبنان والأردن، اللَّتين حرصتا على الانضمام إلى اتفاقيَّة الاتحاد الجُمركي بين سوريا وتركيا، ليتشكَّل اتحاد رباعي (تركي- سوري- لبناني- أردني) (3).

1. بيرم بالسي، مقال تحليلي "المعضلة السُّورِيَّة: ردّ تركيا على الأزمة"، موقع "مركز كارنيجي للشرق الأوسط"، تاريخ النشر: 10 فبراير 2012م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/nphAEV.
2. "العلاقات الاقتصادية السُّـــورِيَّة- التُّرْكِيَّة"، موقع "عنب بلدي"، تاريخ النشر: 17 ديسمبر 2017م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/21HoJX.
3. د. محمـــد نـــور الديـــن، "تركيا في عام 2010.. بين إنجازات تحققت وتحديّـــات قـائـمـــة"، موقع هيئة الإذاعة والتلفزيون الســـويسريَّة "swissinfo"، تاريخ النشر: 28 ديســـمبر 2010م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/6cVHT4.

وفي ديسمبر العام 2009م توثّق التعاون بين تركيا وسوريا بفتح الحدود بين البلدين وإلغاء متطلَّبَات تأشـــيرات الســـفر للمواطنين الســـوريِّين والأتراك، وذلك خلال الاجتماع الأول لمجلس التعاون الاســـتراتيجي عالي المستوى بين البلدين في دمشق، بحضور رئيسيّ الوزراء السوري والتركي آنذاك، محمد ناجي عطري[1]، ورجب طيب أردوغـــان. وقد وصف وزير الخَارجِيَّة الـــتركيّ آنذاك أحمد داوود أوغلو قرار إلغاء التأشيرة بأنه "حدَث تاريخيّ واستراتيجيّ لمصلحة الشعبين؛ السوري والتركي"[2]. بينما صرّح وزير الخَارجِيَّة الســـوريّ وليد المعلّـــم أن "مجلس التعاون الاستراتيجي المُـــشترك يشكِّل حدثاً تاريخيّاً مع الاحتفال بعبُور الحدود المُشتركة إيذاناً بالتوقيع الرسمي لإلغاء سِمات الدخول بين البلدين"[3].

وقد أُعلن عن تأســـيس مجلس التعاون عالي المستوى بين سوريا وتركيا خلال زيارة الرئيس الســـوري بشار الأسد إلى تركيا في سبتمبر 2009م، وتضمن إعلان التأسيس تشـــكيل مجلس أعلى على مستوى القيادات السياسيَّة وآخر على مستوى الوزراء في كلا البلدين[4].

1. محمد ناجي العطري، مهندس وســـياسي ســـوري، وُلِدَ في مدينة حلب الســـوريَّة في العام 1944م، شَغَلَ منصب رئيس وزراء سوريا في الفترة ما بين العام 2003 إلى العام 2011م. للمزيد ينظر الرابط التالي: http://cutt.us/5hp6e
2. رنا عبدالعزيز خماش، كتاب "العلاقات التُّرْكِيَّة -الإسرائيليَّة وتأثيرها على المنطقة العربيَّة"، الناشر: مركز "دراســـات الشرق الأوســـط- الأردن"، الطبعة الثانية- 2010، ص127، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/AXs2ov.
3. "ســـوريا وتركيـــا: انقلاب تاريخي؟"، موقع هيئـــة الإذاعة والتلفزيون الســـويسريَّة "swissinfo"، تاريخ النـــشر: 23 أكتوبـــر 2009م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح عـــلى الرابط التالي: https://goo.gl/6wYEBZ.
4. "توقيـــع 50 اتفاقيـــة خلال اجتماعات مجلس التعاون الســـوري-التركي"، موقع "BBC عربي"، تاريخ النشر: 23 ديسمبر 2009م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/9BLeKo.

واشتمل التعاون الاستراتيجي بينهما على توقيع أكثر من 30 اتفاقيَّة و10 بروتوكولات ثنائيَّة ومذكرة تفاهم في مجالات الدفاع والأمن والاقتصاد والصحة والزراعة والرّيّ والبيئة والكهرباء والنفط والنقل، فعلى سبيل المثال أجرت سوريا وتركيا مناورات عسكريَّة مشتركة ومباحثات أخرى لتنسيق جهودهما على الحدود، وتنظيم لقاءات دوريَّة للقادة العسكريِّينَ لتبادل الرأي والخبرة والتجربة، والتعاون في مجال الصناعات الدفاعيَّة، وامتلاك وتطوير العتاد ونقل تقنيَّات كل طرف إلى الطرف الآخر[1].

أسباب وصور التدخُّل التركي في سوريا بعد العام 2011م

منــذ اللحظة الأولى لانطلاق شرارة ثورات الربيع العربي العام 2011، اتَّخَذت تركيا نهجاً واضحاً ومغايراً عن الكثـير من دول العالم، فقد أيَّدتها أنقرة سريعاً، وتغزَّلت في قِيَم الديمقراطيَّة والتغيير، لكن الأمر اختلف كليّةً مع الثورة السُّـورِيَّة؛ إذ بدأت تركيا باتِّباع اسـتراتيجيَّة داعمة للثورة السُّورِيَّة في البداية، وصولاً إلى دعم وتسليح المعارضة السُّورِيَّة، وحتى مرحلة احتواء النظام السوريّ.

ويرجع ذلك لاعتبارات عدَّة[2]، منها: الجوار التركي- السـوري وطول الحدود بين البلدين؛ ما يُفسِّر تأثُّر أنقرة المباشر بمجريات الأزمة، وأن أيّ تطوُّر غير متناغم مع طموحها في سوريا سينعكس بالسَّلْب على استقرارها وأمنها القومي.

كما أن العلاقات التُّركِيَّة - السُّـورِيَّة قد شهدت تحسُّناً جذريّاً مع دخول العقد الأول من الألفيَّة الثالثة وولوج بشار الأسد إلى رأس السلطة في سوريا وبلوغ حزب "العدالة والتنمية" الحُكم في تركيا، والذي تبنَّى في سياسته مع دول الجوار "تصفير المشاكل"،

1. "دمشـق توقِّع اتفاقيات أمنيَّة وعسـكريَّة مع أنقرة"، موقع " france24"، تاريخ النشر: 15 أكتوبر 2010م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/Xh1VJq.
2. جلال سـلمي، دراسـة "السياسـة التُّرْكِيَّة حيال الأزمة السُّـورِيَّة "2011 ـ 2017""، موقع "المركز الديمقراطي العـربي"، تاريـخ النشر: 23 يونيو 2017 م، تاريخ الاطـلاع 21 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/jYmsRB.

حتى بلغت العلاقة بين ســـوريا وتركيا الذروة وأصبح الزعيمان، الأســـد وأردوغان، صديقين على المســـتوى الشخصي، لكن أنقرة رغبت في تصدير صورة ذهنيَّة إيجابيَّة عن نفسها بأنها راعية الديمقراطيَّة والحُرِّيَّة، وأنها لن تَتَخَلَّى عن تلك المبادئ، سواءً لاعتبارات المصالح السياســـيَّة أو غيرها، لا ســـيّما مع ما اتخذه النظام السوري مع المعارضة من آليَّات قمع عنيفة بزغت بوضوح للمجتمع الدولي.

كذلك لا يمكن إغفال رغبة تركيا في دخول المعترك الســـياسي الدولي بقُوَّة، وأن تحتلّ مكانتها الرائدة الســـابقة إبَّان الحكم العثـــماني، وكانت ثورات الربيع العربيّ بمثابة بوَّابة عبورها إلى منطقة الشرق الأوسط، والترويج السريع والفَعَّال لمشروعها المستقبلي في الحصول على موقع القُوَّة الإقليميَّة الرائدة كدولة لها ثقلها ووزنها السياسي.

ومن الأســـباب الأخرى وراء دعم السياسة الخَارجِيَّة التُّركِيَّة للأزمة السُّورِيَّة، رغبة أنقرة في الحصول على التأييد الدولي، لا ســـيّما مِـــن قِبَل أوروبا والولايات المُتَّحِدَة الأمريكيَّـــة، التي أيَّدَت ثورات الربيع العربي رغـــم تردُّدها في إعلان مواقفها منذ البداية، فحرصت الدبلوماســـيَّة التُّركِيَّة على مسايرة الرغبة الدوليَّة في إطار سياسة كَسْب المواقف واغتنام الفوائد السياسيَّة والدبلوماسيَّة الهائلة.

وضعت تركيا في حســـبانها أيضاً التواجد القوي لإيران وروسيا في سوريا، وباعتبار أن الأولى المنافس الإقليميّ التاريخيّ الأول لها في منطقة الشرق الأوســـط، والثانية منافســـها الإقليميّ التاريخي الأول على صعيد منطقتي البلقان وآسيا الوسطى، فإن تمدُّد نفوذهما في ســـوريا ودعمهما اللامحدود للنظام السوري، سيُقلِّص بالضرورة النفوذ التركي في المنطقة ويهدِّده بقُوَّة، وهو ما دفع أنقرة لرؤية الأزمة السُّورِيَّة فرصة ذهبيَّة للقضاء على نفوذ منافسيها التاريخيين في المنطقة.

وبذلـــك، انطلقت المواقف التُّركِيَّة حيال الثورة السُّـــورِيَّة من هذه الرؤى، وأظهرت السنوات اللاحقة بعض التغيرات في المواقف التُّركِيَّة ونوعيتها، فقد دشَّنَت سياستها الخَارجِيَّة إزاء الأحداث في سوريا أولاً على أساس اتباع قنوات الوساطة الدبلوماسيَّة والدعوة إلى حلّ الأمور بالطرق الســـلميَّة، وبما يكفل للشـــعب الســـوري مبتغاه من

الحُرِّيَّة. وتجلَّى ذلك في إرســـال برقيات إعلاميَّة ودبلوماسيَّة على مستوى رفيع إلى النظام السوري تطالبه بالإصغاء لشعبه، وزيارات وزير الخَارجِيَّة التركي آنذاك أحمد داوود أوغلو إلى دمشـــق، وكان آخرها في 9 أغسطس 2011م، لكن كان في استقباله مساعد وزير الخَارجِيَّة السوريّ عبد الفتاح عمورة، وليس نظيره السوري، الأمر الذي أعطى صورة سلبيَّة عن تعنُّت النظام السوريّ وبدء تدهور العلاقات بين الطرفين. (1) ومع استخدام نظام الأسد القُوَّة المفرطة تجاه المتظاهرين، أعربت تركيا عن استنكارها الشـــديد، ودعت المُنَظَّمَات الدوليَّة إلى التعامل بحزم مع ما وصفته بـ"جرائم النظام السوري"، وفي 11 أغســـطس 2011 خاطب الرئيس أردوغان النظام السوري بقوله "الدم المسكوب يقطع الرابط بينكم وبين شعبكم. كل قطرة دم تدفع المجتمع الدولي لاتِّخاذ إجراءات احترازية ضدكم"، لكن الأســـد لم يـــرد قول أو فعل إيجابيّ، فجاء التصريح التركي الرســـمي التـــالي من داوود أوغلو بتاريخ 15 أغســـطس 2011م بأن "الحديث مع النظام الســـوري انتهى"، أي أن تركيا تخفِّض مســـتوى علاقاتها الدبلوماسيَّة مع دمشق(2).

وردّت تركيا فيما بعد باللجوء إلى سياسة "الدعم المفتوح" للمعارضة السياسيَّة والمسلَّحة، والترحيـــب باللاجئين الســـوريِّينَ واتباع مبدأ "الأبواب المفتوحة" معهم وتأســـيس مخيَّمات الإيواء على ضفتيِ الحدود مع ســـوريا، وتقديم المساعدات الإنسانيَّة لهم، وانتقاد النظام الســـوري إعلاميّاً وفي مقدِّمته بشار الأسد، وتجلَّى هذا في خطابات رئيس الوزراء آنذاك السيد رجب طيب أردوغان، كما اكتست سياستها الخَارجِيَّة بثوب المساند عسكريّاً ولوجســـتيّاً للمعارضة، فقد تَمَّ السماح لها بتأسيس مكتبها السياسي

1. "العلاقات التُّرْكِيَّة السُّورِيَّة: ما بين الهبوط والصعود"، موقع "الجزيرة" التُّرْكِيَّة، تاريخ النشر: 6 يناير/ كانـــون الثـــاني 2014، تاريخ الاطـــلاع 21 يناير 2019م، متـــاح على الرابط التـــالي: https://goo.gl/H47V7q.
2. "العلاقات التُّرْكِيَّة السُّورِيَّة: ما بين الهبوط والصعود"، موقع "الجزيرة" التُّرْكِيَّة، تاريخ النشر: 6 يناير/ كانون الثاني 2014، المرجع السابق.

وأذرعه في مدينة إسطنبول، ليس هذا فقط بل وقرَّرَتْ حظر استخدام أجوائها السيادية أمام الطيران الذي ينقل مساعدات عسكريَّة ولوجستيَّة للنظام السوري، مثل: الطائرات السُّورِيَّة الميدانيَّة التي كانت في طريقها من موسكو إلى دمشق، في 11 أكتوبر/تشرين الأول 2012، وأكدت أنقرة حينها أنها تنقل أسلحة إلى النظام السوري(1).

ومن جُملة القرارات التي اتَّخذتها أنقرة لمعاقبة النظام السوري؛ وقف التعاون الاستراتيجي رفيع المستوى مع دمشق حتى يتَسَلَّم السلطة نظام شرعي يختاره الشعب، وتجميد ممتلكات الأشخاص المقرَّبين من بشار الأسد، والذين ثبت عليهم ضلوعهم في الأعمال الإجراميَّة ضد الشعب، ومنعهم من دخول تركيا، وإدراج رجال الأعمال المقرَّبينَ والداعمين لنظام الأسد في ذات القائمة، وقف بيع ونقل جميع أنواع المواد العسكريَّة إلى نظام الأسد، ومنع أيّ عمليَّة دوليَّة لنقل الأسلحة إلى النظام السوري عبر الجَوّ والمياه الإقليميَّة والأرض التُّركِيَّة، على أن يتم مراعاة القانون الدولي في عملية المنع، وإيقاف الأنشطة التداوليَّة والتجارية مع البنك المركزي السوري، وتجميد الممتلكات الماليَّة للحكومة السُّورِيَّة في تركيا، وإيقاف عمليات الاقتراض المتبادل بين تركيا وسوريا، وتعليق العمل باتفاقية تمويل مصرف "إيكسيم بنك" التركي الحكومي لمشاريع البنية التحتيَّة في سوريا(2).

وجاء أكثر هذه القرارات حسماً في 30 مايو 2012م بقطع أنقرة العلاقات الدبلوماسيَّة كاملةً مع النظام السوري، وطرد ممثلين النظام الدبلوماسيِّينَ العاملين على الأراضي التُّركِيَّة، لا سيّما مع ارتكاب النظام السوري "مجزرة الحولة" بتاريخ 25 مايو العام

1. دويجو غوفانج، محمد نايير، جودت أوزدامير، "إجبار طائرة سورية على الهبوط في مدينة أنقرة"، صحيفة "الصباح" التُّرْكِيَّة، تاريخ النشر: 11 أكتوبر/ تشرين الأول 2012م، تاريخ الاطلاع 21 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/ZoQ57A.
2. عمر توغاي كيناليتوبوك، رسالة ماجستير بعنوان العلاقات التُّرْكِيَّة السُّورِيَّة ما بين عامي 2002 و2014، المشرف: بروفسور دكتور سيبال طوران، قسم العلاقات الدولية، جامعة تراكيا، تاريخ النشر: 2014، تاريخ الاطلاع 21 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/hQy3hH.

ذاته(1)، الأمر الذي ســـاهم في توســـيع الفجوة بين الطرفين، بعدما رفضت دمشق تحمُّل المسؤوليَّة، واتَّهمت قوَّات المعارضة المسلَّحة بارتكابها.(2)

ومع توالي الأحداث السياسيَّة والعسكريَّة، ارتأت الحكومة التُّركِيَّة أنها بحاجة أكبر لتشكيل قُوَّة رادعة للنظام السوريّ، فاتَّجهت لتوسيع نطاق قواعد الاشتباك العسكري ضِدّ سوريا، والتي قضت بالردِّ الفوري على أيّ هجوم يكون مصدره ســـوريا، وزادت من حجم قواتَّها العســـكريَّة الموجودة على الحدود، وردّ النظام الســـوري على ذلك في 14 أكتوبر 2012م، بإغلاق أجوائه أمام الطيران المدني التركي(3)، وحينما فقدت أنقرة الأمل في تراجع النظام السوري عن عمليَّاته العسكريَّة في البلاد، أعلنت في 15 نوفمبر 2012م، اعترافها بالائتلاف الوطني لقوى الثورة السُّورِيَّة(4) باعتباره الممثل الوحيد والشرعي للشعب السوري. (5)

1. "الخارجية السُّـــوريَّة تنفي مسؤوليَّة جيش النظام عن "مجزرة الحولة"، موقع صحيفة " المصري اليوم"، تاريخ النشر: 27 مايو/أيار 2012م، تاريخ الاطلاع 22 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/td1s7w.
2. مجـــزرة الحولـــة: مجزرة وقعت يوم الجمعة 25 مايو 2012م في قرية الحولة، ووافقت جمعة «دمشـــق موعدنا القريب» من جُمَع الثورة الســـوريَّة. راح ضحيتها عشرات الأشخاص منهم أطفال ونسوة وشيوخ من أهالي بلدة الحولة الواقعة في ريف حمص. وتشـــير بعض التقديرات إلى أن دوافع المجزرة طائفيَّة وتمّت بمشاركة الشبيحة وعناصر أمنية وبعض سكان القرى العلوية المحيطة بالقرية، وقد اقتحم المنفذون البلدةَ الســـنية تحت غطاء ناري من قذائف دبابات الجيش الســـوري، وقُتِلَ 92 شـــخصًا في الحولة من بينهم أكثر من 30 طفلًا. للمزيد ينظر الرابط التالي: http://cutt.us/2iONx
3. "العلاقات التُّرْكِيَّة السُّورِيَّة: نقاط الصعود والهبوط"، موقع "الجزيرة" باللغة التُّرْكِيَّة، تاريخ النشر: 6 يناير/ كانون الثاني 2014م، تاريخ الاطلاع 22 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/H47V7q.
4. الائتـــلاف الوطنـــي لقوى الثورة والمعارضة الســـورية هو ائتلاف لمجموعات معارضة ســـورية في الثورة الســـورية. تَشـــكَّل الائتلاف في الدوحة، قطر في نوفمبر 2012م. انتُخب الداعية معاذ الخطيب، إمام المســـجد الأموي في دمشـــق ســـابقاً رئيســـاً للائتلاف، كما انتخب كل من رياض ســـيف وسهير الأتاسي نائبين للرئيس، ومصطفى صباغ أميناً عاماً. يتكون الائتلاف من 63 مقعداً، ويمثل أعضاؤه معظم قوى المعارضة، فمن أعضاء الائتلاف: المجلس الوطني السوري، والهيئة العامة للثورة السورية ولجان التنسيق المحلية والمجلس الثوري لعشـــائر سوريا، ورابطة العلماء السوريين، واتحادات الكتاب، والمنتدى السوري للأعمال، وتيار مواطنة، وهيئة أمناء الثورة، وتحالف معا، والكتلة الوطنية الديمقراطية السورية، والمكون التركماني، والمكون السرياني الآشوري ، والمجلس الوطني الكردي، والمنبر الديمقراطي، والمجالس المحلية لكافة المحافظات، إضافة إلى بعض الشـــخصيات الوطنية وممثل عن المنشقين السياسيين. للمزيد ينظر الرابط التالي: http://cutt.us/vJPC6
5. "تركيا تُقِرّ "الائتلاف الســـوري" ممثلاً شرعيّاً، موقع "ســـكاي نيوز"، تاريـــخ النشر: 15 نوفمبر/تشرين الثاني 2012م، تاريخ الاطلاع 27 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/uGMYqv.

ومع مطلع العام 2015م، تحوَّل التدخُّل التركي في الأزمة السُّـــوريَّة من الأسلوب غير المباشر إلى الأسلوب المباشر، والذي برز في إرسال قوات بريَّة داخل الحدود السُّوريَّة، واســـتدعاء قادة الفصائل الفاعلة في ســـوريا إلى أنقرة، والتنسيق معها مسار المعارك بشكل مباشر، كما قرَّرت رفع مستوى تعاونها مع قطر والمملكة العربيَّة السعوديَّة، مشكّلةً من خلال ذلك التعاون "جيش الفتح" في 24 مارس 2015م، والذي تشـــكَّل من فصائل سورية عدَّة، أبرزها: جبهة النصرة، وأحرار الشام، وجند الأقصى، وفيلق الشام، وأجناد الشام، والذي استطاع في 28 مايو 2015م، تحرير مدينة إدلب السُّوريَّة بالكامل. (1)
كما اســـتقدمت الحكومـــة التُّركيَّة مطلع العام 2016م بعض الطائرات الســـعوديَّة العسكريَّة إلى قاعدة "إنجيرليك" في مدينة أضنة؛ اعتزاماً لإطلاق حملة بَرِّيَّة مشتركة مع القُوَّات الســـعوديَّة في الداخل الســـوري، من أجل إعاقة تحرك قوات الحماية الكرديَّة على الحدود التُّركِيَّة مع ســـوريا(2)، حتى أن النظام السوري طالب مجلس الأمن الدولي رســـميّاً، في 14 فبراير 2016، بالتَّدَخُّل الفوريّ لوقف القصف التركي على مواقع الأكراد، معتبراً ذلك "انتهاكاً سافراً لسيادة سوريا على أراضيها".(3)
لكن ما لبثت أنقرة أن بدأت في إرســـال إشـــارات للنظام والمجتمع الدوليّ من خلال قبول التفاوض الســـلمي مع النظام السوريّ، ففي خِضَمّ احتدام الخطابات المتبادلة بين الطرفين، فاجأ وزير الخَارجِيَّة التركي آنذاك تشاووش أوغلو العالم في 22 فبراير 2016م، بتصريحاته أن تنفيذ عملية عسكرية بَرِّيَّة في سوريا ليس مطروحاً. (4)

1. "صحيفة تركية: جيش الفتح تقوده أنقرة وتُموِّله السعوديَّة"، موقع" قناة الميادين"، تاريخ النشر: 2 حزيران/يونيو 2015م، تاريخ الاطلاع 24 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/GERJEn.
2. "وصول طلائع القوَّات الجويَّة الســعوديَّة لتركيا لبدء ضربات جويَّة في ســوريا"، موقع "رام الله الإخباري"، تاريخ النشر: 13 فبراير/شباط 2016م، تاريخ الاطلاع 22 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/3r4Ac4.
3. "العلاقات بين سوريا وتركيا منذ اندلاع الحرب"، موقع "قناة BBC" باللغة العربية، تاريخ النشر: 12 يوليو/تموز 2016م، تاريخ الاطلاع 22 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/7ZqTt6.
4. "بن علي يلديريم: تركيا تسعى إلى تطوير علاقات جيدة مع سوريا"، موقع "قناة BBC" باللغة العربية، تاريخ النشر: 12 يوليو/تموز 2016م ، تاريخ الاطلاع 22 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/L18NkU.

وفي أوائل شـــهر يوليو العام ذاته، شـــعرت تركيا بأنها غير مؤثِّرة في مسار حلّ الأزمة، فأخذت تدعو روسيا لإعادة الاتِّصالات العسكريَّة بين البلديْن، والاتِّجاه صوب إيجاد حَلّ سياسي للأزمة السُّوريَّة، وفي 13 يوليو أكّد رئيس الوزراء التركي بن علي يلديريم أن بلاده تسعى إلى تطوير علاقات جَيِّدَة مع سوريا، في إطار هدفها الرامي إلى تحسين العلاقات مع دول الجوار، فصُنف هذا التصريح على أنه منعطف تاريخيّ للسياســـة التُّرْكِيَّة إزاء سوريا، والتي كانت تضغط على كافَّة القُوى من أجل الإطاحة بنظام الأسد.(1)
وقد سارت العملية بالتعاون بين الجيش التركي وبعض فصائل الجيش السوري الحرّ، مثل: "فيلق الشـــام" و"لواء السلطان مراد" و"حركة أحرار الشام"، وأعلنت الحكومة التُّرْكِيَّة أنها ترغب من ذلك في تأمين حدودها مع ســـوريا من مســـلحي "داعش" وتداعيات الحـــرب في البلاد، ومنع قوات ســـوريا الديمقراطيَّة، التي تعتبر قوات الحماية الكردية أحد عناصرها الرئيســـة، من الاستيلاء على المناطق الحدودية وبناء ممـــر يربط بين قواتها في حلب وتلك الرابضـــة شرق الفرات، ووقف موجة نزوح جديدة، وإيصال المساعدات إلى المدنيين السوريين بآليَّات أكثر يُسْراً. (2)

ولم يكن وراء تحوُّل تركيا إلى احتواء النظام الســـوري بالآليَّات السياسيَّة، رغبتها في الاصطـــدام بالولايات المُتَّحِدَة الأمريكيَّة، بل على العكس يمكن القول: إن واشـــنطن ســـعت إلى تحفيز أنقرة لهذه الخطوة بصورة غير مبـــاشرة، فلطالما ماطلت أمريكا والقوى الأوروبيَّة في اتِّخاذ إجراءات حاســـمة لإسقاط النظام السوري، وفي الوقت ذاته رغبت في احتواء النفوذين الروسي والإيراني في ســـوريا، لتثبيت أقدامها في الشرق الأوسط.

1. "الكرملين: موسكو ترغب في عودة العلاقات مع تركيا"، صحيفة العرب، تاريخ النشر: 15 يونيو/حزيران 2016م، تاريخ الاطلاع 22 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/T4mLBY.
2. عملية درع الفرات في 5 أسئلة، موقع قناة "دويتشه فيله" باللغة العربية، تاريخ النشر: 1 ديسمبر/كانون الأول 2016م، تاريخ الاطلاع 24 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/PCYJML.

كما أن واشـــنطن كانت بصدد التوصُّل إلى اتفاق مع إيران بشأن برنامجها النووي، والذي يمُهِّد لها تفكيك التكتُّل الروسي الصيني الإيراني الذي يُصيبها بالذعر، لا سِيَّمَا في ظِلّ اقتناعها أنه من الصعب تنحية نظام الأسد في ظِلّ الدعم الروسي والإيراني المكثَّــف، لذا رأت الولايات المُتَّحِدَة أن التقارب مـــع إيران قد يُبقي على نفوذها في سوريا ويوسِّعه، وفي المقابل يضعف النفوذ الروسي، وهو ما يمكِّنها من توسيع النفوذ دون خسائر عسكرية جمّة(1).

1. جلال سلمي، دراسة "السياسة التُّرْكِيَّة حيال الأزمة السُّورِيَّة "2011 ـ 2017""، موقع "المركز الديمقراطي العــربي"، تاريــخ النشر: 23 يونيو 2017 م، تاريخ الاطلاع 22 ينايــر 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/jYmsRB.

المبحث الثاني

القُوَّة التُّركِيَّة النَّاعِمَة حول العالم

أولاً: تركيا في الشرق الأوسط:

منذ إعلان الجُمهورِيَّة التُّركِيَّة في عشرينيَّات القرن الماضي(1)، عاشت تركيا علاقات حَذِرَة مع دول الجوار في الشرق الأوسط، وقرَّرت التَّوَجُّه نحو أوروبا والغرب عامَّة، وخَلْعَ عباءة الماضي وبناء شخصيَّة جديدة وتَوَجُّه آخر، لكنَّ الأحداث المحيطة وَبُطْء التعامُل الغَرْبِيّ مع ملف تركيا دفعها لإعادة النظر في سياستها والانفتاح على تلك الدول القريبة، فتركيا أصلاً هي دولة شرق أوسطيَّة. ومع انتهاء الحرب الباردة وأزمة الخليج الثانيَة أصبح أمن واستقرار تركيا مُرْتَبطاً بشكل وثيق بالتَّطَوُّرَات في منطقة الشرق الأوسط إلى حَدّ القول: "إن الأمن التُّرْكِيّ لم يَعُدْ منفصلاً عن الأمن في منطقة الشرق الأوسط"(2).

وقد أدرك قادة حزب العدالة والتَّنْمِيَة أهَمِّيَّة هذه المنطقة بوصفها مجالاً جغرافيّاً يقع في جِوَار تركيا، ويمكن لها أن تلعب دوراً إقْلِيميّاً محوريّاً من دون الاصطدام بِقُوًى عَالَمِيَّة مُمَانِعَةٍ؛ حيث يمكن القول: إنَّ الدور التُّرْكِيّ في منطقة الشرق الأوسط

---

1. تَأَسَّسَتْ الجمهوريَّة التُّرْكِيَّة في العام 1923م على يد مصطفى كمال أتاتورك، أول رئيس لتركيا الحديثة، وذلك بعد قرون من كونها حاضرة الخلافة العُثْمَانِيّة، حيث تَحَوَّلَتْ تركيا إلى دَوْلِيَّة قوميَّة عصريَّة، وشهدت تَحَوُّلات اجْتِمَاعِيّة وسِيَاسِيّة ولغويَّة واقْتِصَادِيّة كبيرة، من كونها دولة إسْلامِيَّة إلى دولة علمانيَّة على النمط الفرنسي. للمزيد يُنْظَر: محمد سلمان القضاة، "تركيا.. مسار تاريخي"، الجزيرة نت، 3 أكتوبر 2004، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/HHsw9k
2. نظير محمد أمين، "موقف تركيا من أحداث التَّغَيُّر في المنطقة العَرَبِيَّة"، مجلة العلوم القانونيَّة والسِّيَاسِيَّة، جامعة ديالى، العراق، العدد الثاني 2013م، ص 9.

لا يَجِد معارضةً من طرف الولايات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة؛ نظراً لأنها تَعْتَبِرُهُ يُشَــكِّل ثِقَلاً موازياً للدور الإيراني في المنطقة الَّذِي يَلْقَى معارضة الولايات المُتَّحِدَة. كما أن تركيا تحظى بصورة إيجَابِيَّة لدى شرائح عَرَبِيَّة واسعة تُبْدِي إعجابها بالنموذج التُّرْكِيّ الَّذِي نَجَحَ في حلِّ إشْــكَالِيَّة الدين والدَّوْلَة، وإشْــكَالِيَّة التداول السِّلْمِيِّ للسُّلْطَة إلى جانب إصلاحات تركيا الاقتِصَادِيَّة"(1).

في البدايَة سَــعَتْ "تركيا الجديدة"، إلى تثبيت اســتقرار المنطقة المحيطة بها ليصبح الوضع ملائماً لمارســتها دوراً كاملاً بوصفها لاعبــاً إقْلِيمِيّاً ذا مشروعيَّة عَالَمِيَّة في نظام دَوْلِيّ جديد، واقتنع السَّيِّد عبدالله غول(2) والسَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان بضرورة فكّ العزلة عن ســوريا، "معاندين إصرار إدارة جورج بوش الابن في واشــنطن على عزل نظام الرئيس بشــار الأسد كمثال جديد على اسْــتِقْلَالِيَّة القرار التُّرْكِيّ عن كُلّ شيء، إلا عن المصالح الوَطَنِيَّة.

وهذا أيضاً لدى السيِّد أحمد داود أوغلو ما يُبَرِّرُه، إذ يقول: «إنّ عَزْلَ سوريا وحصارها غير ممكن؛ لأنّ فيه عزلاً لتركيا تِجَاه مجالها الْحَيَوِيّ الشرق الأوسطيّ، بما أن الحدود التُّرْكِيَّة - السُّــورِيَّة هي الأطول جغرافياً (نحو 800 كيلومتراً)»(3) مما ساهم لاحقاً

1. فــادي عبداللــه، "تركيــا في القرن الحــادي والعشرين الوظيفة والدور المُسْــتَجَدَّان في ظِــلِّ التَّغَيُّرَات الجيوســتراتيجيَّة على صعيد العالم والمنطقة وفي ظلّ مشروع أمريكا للشرق الأوســط الجديد"، الحزب الشــيوعي اللُّبْنَــانِيّ، 16 أكتوبر 2012م، تاريخ الزيارة 9 أبريــل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/j90cHE
2. الرئيس التُّرْكِيّ السابق، خبير اقْتِصَادِيّ وسِيَاسِيّ محنّك قاد أنقرة للبدء في محادثات الانضمام للاتِّحَاد الأُورُوبِيّ عام 2005م، تَوَلَّى رئاسة تركيا في 2007م. وُلِدَ عبدالله غول في 29 أكتوبر 1950م في محافظة قيصريَّــة مــن عائلة متواضعــة. تَخَرَّجَ من كليَّة الاقتصاد بجامعة إســطنبول عام 1972م، ثم حصل على الماجستير ثم الدكتوراه من بريطانيا في موضوع تَطَوُّر العلاقات الاقْتِصَادِيَّة بين تركيا والعالم الإسلامي عام 1978م.
3. جهاد الزيـن، "التقدّم المدهش في العلاقة التُّرْكِيَّة- السُّورِيَّة وضيق الأفق اللُّبْنَانِيّ"، ناو ميديا، 18 سبتمبر 2003م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/7eQdJO

في تعزيز قابليَّة القيادة السُّــــورِيَّة لنقل هذه العلاقة إلى مســــتوى أكثر اسْتِرَاتِيجِيَّة: علاقة حســــن جوار وتعاون إثر تذويب الخلاف على المسألة الكُرْدِيَّة مع توقيع اتِّفَاق أضنة عام 1998م (1) الَّذِي عجَّل بنهاية ما يمكن وَصْفُهُ بحربٍ باردةٍ بين البلدين. (2)

وقد حقَّقت السِّيَاسَــــة التُّركِيَّة في هذا نتائج مُهِمَّة وإِيجَابِيَّة كبيرة، تُمَثِّل بالنجاح في التَّوَصُّل إلى اتِّفَاق يسهم في تسوية الملف النَّوَوِيّ الإيرانيّ من خلال الوساطة التُّركِيَّة البرازيليَّــــة لتبادل الوقود النَّوَوِيّ الإيرانيّ على الأراضي التُّركِيَّة(3)، كما لعبت أنقرة دور الوســــيط بين ســــوريا وإسرائيل(4) في مفاوضات مباشرة تَوَقَّفَتْ لاحقاً بسبب

1. بروتوكول أضنة الأمني Adana Protokolü Sonrası (في 20 تشرين الأول 1998م) بين سوريا وتركيا، وينُــصُّ عــلى التعاون في مواجهة الإرهاب ومنع تواجد عناصر حزب العُمَّال الكردســـتانيّ على الأراضي السُّــورِيَّة. جاء ذلك بعد التهديدات التُّرْكِيَّة بالقيام بعمل عمل عســـكريّ ضد سوريا لإيوائها مقاتلي حزب العمال الكردستانيّ ورئيسه عبدالله أوجلان. وقد ظلَّ البلدان يعملان بالاتفاق الأمني حتى عام 2012م. للمزيد يُنْظَر: "اتفاق أضنة التُّرْكِيّ السوري.. بروتوكول أمني حمّال أوجه"، الجزيرة نت، 8 نوفمبر 2016، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4ddKUM
2. فادي عبدالله، "تركيا في القرن الحادي والعشرين الوظيفة والدور المُسْتَجَدَّان في ظِلِّ التَّغَيُّرَات الجيوستراتيجيَّة على صعيد العالم والمنطقة، وفي ظِلّ مشروع أمريكا للشرق الأوسط الجديد"، الحزب الشيوعيّ اللُّبْنَانِيّ، 16 أكتوبر 2012م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/j90cHE
3. في مايــو 2010م، أعلنــت كل مــن إيران وتركيــا والبرازيل توقيع اتفاق بينها يقــضي بتبادل اليورانيوم الإيــراني الضَّعِيــف التخصيــب بوقود نووي عالي التخصيــب في تركيا. ينص الاتفاق عــلى قيام إيران بإرســال 1200 كيلو جرام من اليورانيوم الضَّعِيف التخصيب (3،5%) إلى تركيا لمبادلته في مهلة أقصاها ســنة ب 120 كيلو جرام من الوقود العالي التخصيب (20%) اللازم لمفاعل الأبحاث في طهران. للمزيد يُنْظَر: "اتفاق تركي إيراني برازيلي بتبادل اليورانيوم بالوقود النَّوَوِيّ"، فرانس 24، 17 مايو 2010، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jSnT6n
4. في أبريــل 2008م أكــد رئيس الحكومة التُّرْكِيَّة ، آنذاك، الســيد رجب طَيِّب أردوغان أن بلاده تلعب دور الوســيط بين ســوريا وإسرائيل بهدف التَّوَصُّل إلى ســلام في المنطقة، مُضيفاً أن تركيا ســتحاول إعادة إطلاق المفاوضات على مستوًى منخفضٍ، مِنْ ثَمَّ الوصول إلى مستوى الزعماء، مُنَوِّهاً أن جهود الوساطة التُّرْكِيَّة جاءت بطلبٍ مِن كُلٍّ مِن ســوريا وإسرائيل. للمزيد يُنْظَر: "أردوغان يُؤَكِّد الوســاطة التُّرْكِيَّة بين ســورِيَّة وإسرائيــل"، بي بي سي عــربي، 27 أبريل 2008، تاريخ الزيارة: 1 أغســطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/a9P4SU

العدوان الإسرائيليّ على غَزَّة نهاية عام 2008م(1)، كما تَحَرَّكَتْ الدُبْلُوماسِيَّة التُّركِيَّة لاحتواء الأزمة الَّتِي نشـــأت بين بغداد ودمشق بعد تفجيرات الأربعاء الدامي(2)، في شهر أيلول عام 2009م على خَلْفِيَّة اتِّهَامات وَجَّهَتْهَا الحكومة العراقيَّة ضِدَّ دمشق.

أمـــا إذا نظرنا إلى زيارة وزير الخَارجِيَّة التُّرْكِيّ إلى العراق أوائل نوفمبر 2009م(3)، نرى تقاطع المصالح بين تركيا وأمريكا في إعادة رسم المنطقة على أُسُس جديدة، فقد قال يومها: "إنَّ العرب والأكراد والشـــيعة والسُّنَّة سيعيدون معاً بناء الشرق الأوسط، يجب على الجميع أن يتخذوا خطوات جريئة، لكنَّ الإرهاب هو التَّهْدِيد الأكثر خطورة أمام هذه الرؤية"(4).

ولم يكن الوضع الاقْتِصَادِيّ بعيداً عن هذه النَّتَائج الإيجَابِيَّة للتقارُب؛ إذ كانت تركيا "تريد جعل ســـوريا بواباتها العَرَبِيَّة إلى دول الخليج ومصر، لذلك جرى التوقيع عام 2004م على اتِّفَاقيَّة التِّجَارَة الحُرَّة(5)، وتَمَّ الشروع بتطبيقه، وفي ذات الســـياق جاء

---

1. تَعَرَّضَ قطاع غزة لعدوان إسرائيلي سَـافِر في العام 2008م، عُرِفَ باسـم عمليَّة الرصاص المصبوب، اسـتمرت خلال الفترة من 27 ديسـمبر 2008 إلى 18 يناير 2009م، على مدى 22 يوماً. للمزيد يُنْظَر: "العمليات العَسْـكَرِيَّة الإسرائيليَّة ضِدَّ غزة، 2001- 2008"، مجلة الدراسات الفلسطينيَّة، المجلد 20، العدد 80-81، 2009، ص 108.
2. كانت بغداد قد شَهِدَتْ في أغسطس 2009م سلسلة تفجيرات متزامنة شَمِلَتْ مَقَارَّ وزارات الخَارجِيَّة والمال والدفاع ومبنى محافظة بغداد، وبعض المنشآت الحيويَّة بالمنطقة الخضراء بالعاصمة العراقيَّة، وقد اتَّهَمَتْ بغداد جماعات تَتَّخِذُ من دمشـق مَقَرّاً لها بالمسـؤوليَّة عن التفجيرات، وطالبت الحكومة السُّـورِيَّة بتسليم هؤلاء الأشخاص وطرد المُنَظَّمَات الإرهابيَّة التي تتخذ سوريا مَقَرّاً ومنطلقاً لها بهدف التخطيط للعمليَّات الإرهابيَّة ضِدَّ الشعب العراقي، وقد تَطَوَّرَتْ الأزمة إلى استدعاء بغداد سفيرها لدى دمشق للتشاور وهو ما رَدَّتْ عليه الأخيرة بالمِثْل. للمزيد عن تلك الأزمة يُنْظَر: "القاعدة" تَتَبَنَّى عمليَّة الأربعاء الدمويَّة .. وبغداد ودمشق تتبادلان استدعاء السفير. تَجَدُّد أزمة العلاقات بين العراق وسوريا بعد أسبوع على توقيعهما "اتفاقاً استراتيجيّاً"، صحيفة الحياة اللندنيَّة، 26 أغسطس 2009، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/WM4E9j
3. تركيا للعراق: نحن بَوّابتُكُم لأوروبا وأنتم بَوَّابتُنا للخليج، صحيفة الاتِّحَاد الإماراتيَّة، 1 نوفمبر 2009، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/VCtBwD
4. "البارزاني يُثَمِّن انفتاح تركيا تجاه الأكراد"، الجزيرة نت، 31 أكتوبر 2009، تاريخ الزيارة: 2 أغسـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/mtiSEp
5. "تركيـا تعلـن التصديق على اتفاقيَّة التجارة الْحُرَّة مع سـوريَّة خلال انعقاد اللجنة الجمركيَّة العليا المشـتركة بين البلدين"، وزارة المَالِيَّة- الجمهوريَّة العَرَبِيَّة السُّـورِيَّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 2 أغسـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/unymNn

فتح الحدود بين البلدين من دون تأشـيرة دخول؛ فضـلاً عن عشرات الاتِّفَاقيَّات الاقتِصَادِيَّـة الأخرى وأبرزها؛ تعزيز العلاقات القائمة وتوسـيع دائرة الاسـتثمار الاقْتِصَـادِيّ بين البلدين والاعمال المُتَعَلِّقَة بإقامة منطقة حُرَّة تجاريَّة بينهما إضافة إلى التعاون في مجال النقل والملاحة البَحْرِيَّة والجَوِّيَّة والْبَرِّيَّة(1).

ثانياً: تركيا في العالم العربي:

لم يكن الوضع التُّرْكِيّ مع بقيَّة الدول العَرَبِيَّة أفضل من الَّذي كان سائداً في الشرق الأوسط؛ إذ بقيت العلاقات، ومنذ نهاية الحرب العَالَمِيَّة الأُولَى رهينة القَلَق والسَّلْبِيَّة والشَّك، وكانت الرؤيَة المتبادَلة والنظرة المسبقة بين الأتراك والعرب من أهم العوامل الَّتِـي أدَّت إلى انغلاق كُلّ طَرَفٍ عن الآخـر، وأيضاً إلى جهل كُلّ طرف بالآخر، ولم تَتَغَـيَّر الظروف إلَّا بعد وصول حزب العدالـة والتَّنْمِيَة لِلْحُكْم في 2002م، وإعلانه تدشـين سياسة تُرْكِيَّة جديدة تِجَاه المنطقة قِوَامُهَا تأكيد حضور بلاده ومكانتها كَقُوَّة مَرْكَزِيَّة للاستقرار وطرف فاعل في معالجة مختلف القضايا والصِّرَاعات في المنطقة، وأدركت تركيا أن قيمتها الاسْتِرَاتِيجِيَّة للشرق الأوسط ليس بسبب أنها دولة ذات أغلبيَّة إسلاميَّة، فالمنطقة بها العديد من مثل تلك الدول، ولكن لأنَّها قُوَّة مسلمة بعلاقات قَوِيَّة مع الولايات المُتَّحِدَة، ولديها قُدْرَة على الوصول إلى حلف شـمال الأطلسي "الناتو"، وهذا الإدراك كان حافزاً لإحداث تحوُّل في سياسة أنقرة الخَارِجِيَّة.

ولَعَلَّ أحد الأمثلة على ذلك التَّحَوُّل هو القرار الاسْـتِرَاتِيجِيّ التُّرْكِيّ للانضمام إلى مشروع الدِّرْع الصاروخيّ الخاصّ بالناتو في سبتمبر 2011م(2)، وبالمِثْل فإنَّ ما يهتم به العرب ليس تركيا الدَّوْلَة المسـلمة، بل تركيا الديمُقْرَاطِيَّة، فَطِبْقاً لاستطلاع رأي عام

1. "سوريا وتركيا تُؤَكِّدَان الرغبة في تعزيز علاقات التعاون والعمل المشترك"، وكالة الأنباء الكويتيَّة (كونا)، 6 مارس 2004، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3PTgES
2. تركيـا توافـق على نشر الدِّرْع الصاروخيَّـة لـ«الناتو» على أراضيها، صحيفة المصري اليوم، القاهرة، 2 سـبتمبر 2011م، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3g21ry

عـــربي، أجراه معهد بروكنجز، ظهرت تركيا الفائز الأكبر من الربيع العربي، واختارها العرب لتكون الدَّوْلَة الَّتِي لعبت الدور «البنّاء الأكبر» في المنطقة كدولة ديمُقْرَاطِيَّة"(1). وقد بدأ الحديث في الأوساط العَرَبِيَّة "عن "النموذج التُّرْكِي"، وضرورة الاستفادة من الدروس الَّتِي يُقَدِّمُها، مثل التناوب السِّلْمِيّ على السُّلْطَة، وإدماج التَّيَّارات الإسْلامِيَّة في العَمَلِيَّة الديمُقْرَاطِيَّة، والفصل بين الحزب والدَّوْلَة، وتوسيع هامش المناورة تحت سقف التحالف مع القطب العَالَمِيّ الأوحد"(2).

وهنا يمكن الإشارة إلى دراسة أجرتها مُؤَسَّسَة "زغبي إنترناشونال" في كُلّ من مصر والأردن والسُّـــعُودِيَّة والمغرب ولبنان والكويت والإمارات العَرَبِيَّة المُتَّحِدَة، في بداية العام 2002م(3)، أي: قبل اســـتلام حزب العدالة والتَّنْمِيَة الحُكْم في تركيا، وتَضَمَّنَتْ الدِّرَاسة سؤالاً حول نظرة العرب إلى 13 بلداً غير عربي، وحَلَّتْ يومها تركيا في المرتبة الثالثة للدول الأكثر سَلْبِيَّة بعد إسرائيل وأمريكا من المنظور العربي، لكنَّ الموقف تَغَيَّرَ بالمطلق بعد 7 ســـنوات من حكم الحزب؛ إذ أظهر اســـتطلاع للرأي في تموز 2009م أجرته "المُؤَسَّسَـــة التُّرْكِيَّة للدراسات الاقتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة" (TESEV) في مصر والأردن والأراضي الفلسطينيَّة ولبنان والسُّعُودِيَّة وسوريا، والعراق نظرة إيجَابِيَّة جداً إلى تركيا، وكان من نتائجه(4):

- احتلال تركيا المرتبة الثانية إقْلِيمِيّاً مع تســـجيل نســـبة 75% من المجيُبَيِّن الَّذِين ينظرون إليها بإيجَابِيَّة كبيرة أو بإيجَابِيَّة.

1. شـــبلي تلحمي، "تقرير اســـتطلاع الرأي العام العربي لعام 2011م"، معهد بروكنجز، 21 نوفمبر 2011، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8uShZT
2. رانيَّـــة طاهر، "الـــدور الإقْلِيمِيّ التُّرْكِي في ظِلّ ثورات الربيع العربي"، مجلة رؤية تركيَّة، شـــتاء 2013م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/AguHLZ
3. James J. Zogby, "What Arabs Think Values, Beliefs and Concerns", Zogby International/The Arab Thought Foundation، 2002.
4. Gökçe Perçinoğlu, Mensur Akgün, Sabiha Senyücel Gündoğar, "The Perception of Turkey in Middle East", Turkish Economic and Social Studies Foundation – TESEV, 19 November 2009.

- إنَّ الرأي العام في هذه البلدان السبعة يَعْتَبِر تركيا فاعلاً أَسَاسِيّاً ويمارس تأثيراً قَوِيّاً.
- تأييد الرأي العام لقيام تركيا بِلَعِبِ "دورٍ أكبر في العالم العربيّ".
- موافقــة 61% على كون تركيا نموذجاً للدول العَرَبِيَّة من حيث الانســجام بين الإسلام والديمُقْرَاطِيَّة".

ويمكن إرجاع تطوُّر النظرة العَرَبِيَّة إلى تركيا، إلى مجموعة من العوامل؛ أهمها:

- **العوامل المُتَعَلِّقَة بتركيا؛** حيث ساهمت تَطَوُّرَات عديدة تَتَعَلَّق بتركيا في تحسين صورتها في العالم العربي، منها: وصــول حزب العدالة والتَّنْمِيَة إلى الحُكْم في 2003م، وقرار البرلمان التُّرْكِيّ في عام 2003م بالامتناع عن التعاون مع الولايات المُتَّحِــدَة الأمْرِيكِيَّــة في حربها على العراق(1)، كذلك تحســين علاقات تركيا بالاتِّحَاد الأُورُوبِيّ، وبالتحديد بَدْء محادثات انضمام تركيا إليه في كانون الأَوَّل 2004م(2)، كذلك موقف تركيا حِيَال الحرب على غَزَّة(3)، والموقف التُّرْكِيّ الصلب

1. كان البرلمان التُّرْكِيّ قد رفض بأغلبيَّة ضئيلة السماح بفتح القواعد العَسْكَرِيَّة التُّرْكِيَّة للقُوَّات الأمْرِيكِيَّة أو السماح لها باستخدام تلك القواعد في حربها ضد العراق بأيِّ صورةٍ من الصُّوَر، إلا أنَّ البرلمان قد وافق بعد ذلك على استخدام الولايات المُتَّحِدَة للمجال الجَوِّيّ التُّرْكِيّ فقط بعد بَدْء الحرب. وقد شهدت تركيا خلال تلك الفترة معارضة شعبيَّة للحرب الأمْرِيكِيَّة على العراق، مع تصاعد المخاوف الشعبيَّة من أن تؤدي تلك الحرب إلى تأخير وتيرة الإصلاحات الاقْتِصَادِيّة في البلاد وزعزعة استقرار المنطقة، وقد تَسَبَّبَ الموقف التُّرْكِيّ من الحرب في أزمة بين أنقرة وواشنطن. للمزيد يُنْظَر: أردوغان يرفض انتقادات وولفويتز لموقف تركيا من الحرب على العراق، بي بي سي عربي، 5 يوليو 2003، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ETnxYv
2. يرجع تاريخ المساعي التُّرْكِيَّة للانضمام إلى كيان أوروبي جامع إلى عام 1959، وقد تَمَّ توثيق ذلك في اتفاقيَّة أنقرة عام 1963، والتي أَقَــرَّتْ العضويَّــة التدريجيَّة لتركيا في الاتِّحَاد الجمركي الأوروبي، وفي عــام 1987، وبالتوازي مع التطورات الأوروبيَّة نحو الوحدة، تَقَدَّمَتْ تركيا بطلب للانضمام إلى ما كان يسمى بالاتِّحَاد الاقْتِصَادِيّ الأوروبي، وفي عام 1997 تَمَّ تصنيف أنقرة من قبل الأوروبيين على أنها مُؤَهَّلَةٌ للانضمام إلى الاتِّحَاد، ويعتبر العام 2004- 2005 البداية الفعليَّة للمفاوضات التُّرْكِيَّة للانضمام إلى الاتِّحَاد الأوروبي، ومنذ ذلك الحين لم يحدث تقدُّم يُذْكَر في تلك المفاوضات التي تَتَوَقَّف حيناً وتَتَجَدَّدُ حيناً آخر، ويبدو أن الاعتبارات الدِّينِيَّة والتاريخيَّة لها دور حاسم في عرقلة انضمام أنقرة لعضويَّة النادي الأُورُوبِيّ الأبرز. للمزيد يُنْظَر: هل تَبَدَّدَ حُلم تركيا في الانضمام إلى الاتِّحَاد الأوروبي؟، بي بي سي عربي، 5 سبتمبر 2017، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/TkJhRY
3. في الحــرب الإسرائيليَّــة على غزة (2008- 2009) أعلنت تركيا رفضها لتلك الحــرب، ووصفتها بالعدوان، وقد حمّل الرئيس رجب طَيِّب أردوغان؛ رئيس الحكومة التُّرْكِيَّة آنذاك، إسرائيل المسؤوليَّة الكاملة عن ذلك العدوان، معتبراً إياه إهانة يجب أن تعتذر عنه لتركيا، التي كانت تبذل جهوداً "لتجديد التهدئة في غزة، مع اضطلاعها بالوســاطة بين ســوريا وإسرائيل. وشَدَّد الرئيس أردوغان على أن الشعب التُّرْكِيّ لن يغفر لإسرائيل عدوانها على غزة، واصفاً إياه بأنه جريمة ضد الإنسانيَّة. للمزيد يُنْظَــر: 3 حــروب إسرائيليَّة عــلى غزة (انفوجرافيك) رفضت تركيا الحرب الإسرائيليَّــة، ووصفتها بالعدوان على قطاع غزة، وكالة الأناضول للأنباء، 29 ديسمبر 2016، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hXG1CJ

من اعتداء إسرائيل على أسطول الحُرِّيَّة[1]، وتَجْميد العلاقات مع إسرائيل والَّذي اعتُــبِرَ أنه أقوى موقف مُهِمّ من دولة إقْليمِيَّة يُتَّخَذ ضِدَّ إسرائيل، بالإضافة إلى ما يُعْــرَف بحادثة دافوس عام 2009م[2]؛ فلقد ارتبطــت كُلّ هذه التَّطَوُّرَات، بتَطَوُّرَات أخرى بالعالم العربي، وبالتَّالي كانت لها دَلَالاَت في المناقشات الدائرة في المنطقـــة، وهذا أدَّى إلى أن النتيجة النهائيَّة كانت تَغَيُّراً في تَصَوُّر دور تركيا على مستوى كُلّ من الجماهير والحكومات العَرَبِيَّة، إضافة إلى تَحَوُّلَات جَوْهَرِيّة في كُلّ من الاقتصاد والسِّيَاسَــــة الخَارجِيَّة لتركيا؛ حيث نجحت في إيجاد اهتمام بهــذا البلد يمكن ترجمته إلى صورة إيجَابِيَّة. وعليه فإن مرونة الاقتصاد التُّرْكِيّ مع الإصلاحات السِّيَاسِيَّة كانتا سبباً في تصاعد القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة في المنطقة، بحيث أصبحت تركيا نموذجاً جذَّاباً لتيار الإصلاحيِّينَ في العالم العربي[3].

---

1. أســطول الحريَّة؛ هو مجموعة سُــفُن انطلقت لرفع الحصار عن غَزَّة، كانت تحمل على متنها مواد إغاثة ومساعدات إنسانيَّة، بالإضافة إلى نحو 750 ناشطاً حقوقياً وسِيَاسِيّاً، بينهم صحفيُّون يُمَثِّلُون وسائل إعلام دَوْلِيَّة. جُهِّزَتْ القافلة وتَمَّ تســييرها مِن قِبَل جمعيَّات وأشــخاص معارضين للحصار الإسرائيلي المفروض على قطاع غزة منذ العام 2007م ومتعاطفين مع شــعبه. وفي مُقَدِّمَة المُنَظِّمِينَ لرحلة أســطول الحريَّة مُؤَسَّسَــة الإغاثة الإنســانيَّة التُّرْكِيَّة IHH. انطلق الأسطول باتِّجَاه قطاع غزة في 29 مايو 2010م، مُحَمَّلاً بعشرة آلاف طنّ من التجهيزات والمساعدات، والمئات من النَّاشِطين الساعين لكَسْر الحِصَار، الذي قد بَلَغَ عامه الثالث على التَّوالي. لكنَّ القُوَّات الإسرائيليَّة تَصَدَّتْ للأسطول بعُنْف وقتلت عدداً كبيراً من النشطاء ومَنَعَتْ السُّفُنَ من الوصول لسواحل غَزَّة. للمزيد يُنْظَر: إسرائيل تحتجز "روح الإنسانية".. وحماس تندد: "قرصنة دَوْلِيَّة"، سي أن أن عَرَبِيَّة، 31 يوليو 2009م، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3kVzSq
2. تَتَمَثَّل تلك الحادثة في انســحاب رئيس الوزراء التُّرْكِيّ رجب طَيِّب أردوغان في يناير 2009م من مِنَصَّة إحــدى ندوات منتدى "دافوس" الاقْتِصَادِيّ في ســويسرا؛ احتجاجاً على مَنْعــهِ من التعليق على مداخلة مطوَّلَــة للرئيس الصهيوني شــمعون بيريز بشــأن الحرب الصهيونيَّة على غَزَّة. ووضــع أردوغان الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز في موقف مُحْرِج وقد اتَّهَمَهُ بقتل الأطفال الفلسطينِيِّينَ في غزَّة، وترك أردوغان مقعــده غاضبــاً، وغادَر المِنَصَّة بعدما احتَجَّ على مَنْعِهِ من الكلام. للمزيــد يُنْظَر: أردوغان يغادر دافوس غاضبــاً بعــد مُشَــادَّة كلاميَّة مع الرئيس الإسرائيــلِيّ، دويتش فيله، 30 مــارس 2009م، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/m8tM2G
3. مليحة ألت ونيشيك، "تركيا بعيون عَرَبِيَّة"، القاهرة، مصر: مركز الشرق للدراسات الإقْلِيمِيّة والاستراتيجِيَّة، 2010م، ص8.

- **العوامـــل المُتَعَلِّقَة بالمنطقة؛** حيــث غيرَّت التَّطَوُّرَات السِّيَاسِــيَّة والاقتِصَادِيَّة والاسْتِرَاتِيجِيَّة في الشرق الأوسط من نظرة العرب أيضاً إلى تركيا، فقد أَوْجَدَت مجموعـــة من التَّطَوُّرَات الأخيرة في المنطقة إحساســاً بوجود أزمة، مثل انهيار عَمَلِيَّة السلام العَرَبيّ الإسرائيلي في عام 2000م(1)، وتدهور النزاع الفلسطيني والغزو الأَمْرِيكِيّ للعراق عام 2003م(2)، وصعود إيران كَقُوَّة إِقْلِيمِيَّة، والانقسامات الدَّاخِلِيَّـــة العَرَبِيَّـــة، وثورات الربيع العربي، وبخاصة الموقف من ســـوريا بعد الانتفاضة الشَّعْبِيَّة المُسْتَمِرَّة منذ العام 2011"(3).

ثالثاً: تركيا في العالم الإِسْلاَمِيّ:

قَدَّمَتْ تركيا في ظِلّ حكم العدالة والتَّنْمِيَة نموذجاً طيِّبَاً مقبولاً لدى الدول الإِسْلامِيَّة والعَرَبِيَّـــة مثَّـــل عنصرَ جذبٍ لهم، وغيرَّ نظرتهم لتركيا، كان من أبرز ســـمات هذا

1. خـــلال أواخـــر عهد الرئيس الأَمْرِيكِيّ الأســبق بيل كلينتون، وتحديداً في عـــام 2000م، قادت الولايات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة جولة مفاوضات بين الفلســطينيِّينَ والإسرائيليِّينَ للوصول إلى اتفاقيَّة ســلام دائمة يَتِمّ فيها معالجة جميع المِلَفَّات بما فيها مشكلة الحدود ووضع القدس واللَّاجئين، وفي يوليو من العام 2000م جرت مفاوضات بين رئيس الوزراء الإسرائيلي، آنذاك، إيهود باراك، ورئيس السلطة الفلسطينيَّة، الراحل ياسر عرفات، في كامب ديفيد، لكنها لم تَنْتَهِ إلى اتِّفاق على الرغم من جرأتها في تناول قضايا أكثر تفصيلاً من ســابقاتها، وقد أدَّى فشــل محادثات تلك الجولة إلى اســتئناف الانتفاضة الفلســطينيَّة. للمزيد يُنْظَر: "تاريخ محادثات السلام بين الفلســطينيِّينَ والإسرائيليِّينَ"، بي بي سي عربي، 29 يوليو 2013م، تاريخ الزيارة: 2 أغســطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Tjvg3b
2. نَفَّذَتْ الولايات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة وبريطانيا عمليَّة غزو وســيطرة عَسْــكَرِيَّة شــاملة على العراق بدأت في 20 مارس 2003م، وامْتَدَّتْ آثارها لسنوات، وذلك بدعوى امتلاك بغداد لأسلحة دمار شامل؛ الأمر الذي أَسْفَرَ عن سقوط نظام الرئيس الراحل صدام حسين، ثم محاكمته وإعدامه، إلى جانب خسائر بشريَّة قُدرت، حتى النصف الأول من العام 2018م، بمليون قتيل ومصاب وملايين المُشَرَّدِينَ، إضافة إلى خسائر ماديَّة للطرفين تُقَــدَّرُ بتريليونـــات الـــدولارات، وقد انزلقت البلاد منذ ذلك الحين في دوامة مـــن العنف الطائفيّ بلغ ذروته خـــلال العـــام 2006- 2007م. للمزيد يُنْظَر: "الغزو الأَمْرِيكِيّ للعراق.. مُبَرِّرَات واهيَّة ونتائج كارثيَّة"، الجزيرة نت، 9 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/zW91SM
3. مليحة ألت ونيشيك، "تركيا بعيون عَرَبِيَّة"، المرجع السابق، ص 8.

النموذج بحسب دراسة أعَدَّهَا جَمْعٌ من الباحثين بمركز الجزيرة للدراسات بعنوان "تركيا بين تَحَدِّيَات الداخل ورِهَانَات الخارج"(1):

1. **التناوب على السُّلْطَة**، وإدماج التَّيَّار الإِسْلاَمِيّ في العَمَلِيَّة الديمُقْرَاطِيَّة.
2. النموذج الاقْتِصَادِيّ الَّذِي تُقَدِّمهُ تركيا باعتبارها أكبر اقتصاد في الشرق الأوسط، في الوقت الَّذِي لا تملك فيه موارد الطَّاقَة على العكس من غالبيَّة الدول العَرَبِيَّة.
3. **التوفيق بين المعاصرة وبين الحفاظ على الهُوِيَّة** بجَذْرِهَا الثَّقَافِيّ والدينِيّ والتَارِيخِيّ في إطار مقبول دَوْلِيّاً وإِقْلِيمِيّاً.
4. **الفصل بين الحزب والدَّوْلَة** في المجال العام عبر الفصل الواضح بين حدود ومهام جهاز الدَّوْلَة والحزب الحاكم.
5. **تكوين مجموعات الضغط** (اللوبي) في أمريكا، وليس بالاعتماد على شركات العلاقات العَامَّة موسميَّة الطابع.
6. **تحقيق التوازن** في التعامل مع الولايات المُتَّحِدَة بما يحقّق المصالح الوَطَنِيَّة والاسْتِقْلَالِيَّة معاً".

رابعاً: تركيا في إفريقيا:

أبدت تركيا اهتماماً كبيراً بتطوير علاقاتها مع القَارَّة السمراء لتُصْبِحَ لاعباً نَشِطاً هناك مُسْتَغِلَّة الجهود الحُكُومِيَّة وغير الحُكُومِيَّة، من خلال المساعدات التَنْمَوِيَّة والإِنْسَانِيَّة، بالإضافة إلى تنشيط العلاقات التِّجَارِيَّة والاقتِصَادِيَّة، فتركيا لديها إمكانات لزيادة الاستثمار وقُدُرَات صناعيَّة كبيرة، بالإضافة إلى القُوَى البَشَرِيَّة المُؤَهَّلَة الَّتِي تمتلكها، وبالمقابل تُعَدُّ السُّوق الإفريقيَّة سوقاً واسعة لتصريف المنتجات التُّرْكِيَّة. كما أن دول إفريقيا تستطيع المساهمة في تأمين واردات تركيا، وخصوصاً في قِطَاعَيْ الزراعة والمعادن، في مقابل استفادتها من الخبرات والتجارب الَّتِي تمتلكها تركيا، وتقاسمها على أساس النفع المشترك للطرفين. (2)

---

1. مجموعة من الباحثين، تركيا بين تَحَدِّيَات الداخل ورِهَانَات الخارج، الدَّار العَرَبِيَّة للعلوم ناشرون، بيروت، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، الطبعة الأولى، 2009م.
2. باسل الحاج جاسم، أبعاد التَّحَرُّك التُّرْكِيّ في القَارَّة السمراء وتوقيته، 13 مارس 2016م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/8bwGpt

بشـــكل عام فإن العلاقات التُّركِيَّة الإفريقيَّة ليست بالجديدة، وهي ترجع "إلى عصر الدَّوْلَة العُثْمَانيَّة عندما أرســلت تركيــا إلى إفريقيا الجنوبيَّة في عام 1862م العالِم الإِسْلامِيّ المعروف أبا بكر أفندي(1)مبعوثاً من السلطان العُثْمَانيّ عبدالعزيز الأَوَّل(2)، بهدف تعليم الفقه والشريعة وفضّ بعض النزاعات الدِّينيَّة الَّتِي قَسَّمَتْ المجتمع. وألَّفَ كتاباً قَيِّماً في الإرشاد الدِّينيّ في الإسلام كَتَبَه باللهجة الهولنديَّة المَحَلِّيَّة لشعب الملايو، وقد استهدف الكتاب المجتمع المسلم في جنوب إفريقيا"(3).
لكِــنَّ هذه العلاقات أخذت بُعــداً جديداً منذ عام 1998م حينما أَعَدَّتْ أنقرة "خطة الانفتاح عـــلى إفريقيا من أجل تحقيق نقلة نَوْعِيَّة على صعيد العلاقات السِّيَاسِــيَّة والعَسْكَرِيَّة والثَّقَافِيَّة والاقتِصَادِيَّة بين تركيا والدول الإفريقيَّة.

وفي هذا الســياق، أَعَدَّتْ مستشــاريَّة التِّجَارَة الخَارجيَّة في الجُمهورِيَّة التُّركِيَّة في بدايَة عام 2003م "اسْــتراتِيجيَّة تطوير العلاقات الاقتِصَادِيَّة مع الدول الإفريقيَّة"، وأعلنت حكومـــة الجُمهورِيَّة التُّركِيَّة عام 2005م "عـــام إفريقيا"(4)، "نالت تركيا بتاريخ 12 نيســان 2005م صِفَة مُرَاقِب في الاتِّحَاد الإفريقي(5)، وكلَّفت ســفارتها

1. أبو بكر أفندي عَالِم كُرْدِيّ، من سهول شهرزور في شمال العراق، مبعوث الخلافة العُثْمَانيّة إلى جنوب إفريقيا، وذلك بعدما طلب مسلمو كيب تاون من المُعْتَمِد البريطانيّ أن يستدعِيَ لهم عالِماً شافعِيَّ المذهب، وهذا بدوره كتب لرئيس وزراء بريطانيا، الذي طلب من الصدر الأعظم العُثْمَانيّ (رئيس الوزراء) أن يبتعث عَالِماً لجنوب إفريقيا يكون شافعيّاً. فوافق أبو بكر أفندي على السفر إلى جنوب إفريقيا، فعاش هناك ودَرَّسَ العلوم الشَّرْعِيَّة والفقه. للمزيد يُنْظَر الرابط التالي: http: //www.alukah.net/culture/0/19821/#ixzz4kXZTleSj
2. عبدالعزيز الأول (1830- 1876) ابن الســلطان محمود الثاني، ســلطان العُثْمَانِيّين الثاني والثلاثين، والرابع والعشرين من آل عثمان الذين جمعوا بين الخلافة والسلطنة، تَوَلَّى الخلافة خلال الفترة من 1861- 1876م. للمزيد يُنْظَر: محمد علي الصلابي، الدولة العُثْمَانِيّة: عوامل النهوض وأســباب الســقوط، دار التوزيع والنشر الإِسْلامِيَّة، مصر، 2001، ص ص 391- 394.
3. "العلاقــات التُّرْكِيَّــة مع الدول الإفريقيَّة"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، د.ت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5Nd6fb
4. "العلاقات التُّرْكِيَّة مع الدول الإفريقيَّة"، المرجع السابق.
5. أعلنــت الحكومــة التُّرْكِيَّة أن عام 2005 هو "عــام إفريقيا"، وقام الرئيس التُّرْكِيّ رجب طَيِّب أردوغان بجولته الإفريقيَّة الأولى والتي شــملت العديد من دول القارَّة الســمراء، وفي ذلك العام منح الاتِّحَاد الإفريقي تركيا صفة مراقب داخل الاتِّحَاد. للمزيد يُنْظَر: "تركيا تنتشر في إفريقيا اقتِصَادِيّاً وسِيَاسِــيّاً"، ترك برس، 29 مايو 2017، تاريخ الزيارة: 3 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xdjcTa

لدى أديس أبابا بتاريخ 5 مايو 2005م لتكون سفارة الجُمهوريَّة التُّركِيَّة المُعْتَمَدَة لدى الاتِّحَـــاد الإفريقيّ. كما قام الاتِّحَاد الإفْرِيقِيّ بالقرار الَّذِي اتَّخَذَهُ في اجتماع القِمَّة العاشر الَّذِي عُقِدَ في أديس أبابا في شهر كانون الثاني 2008م بإعلان تركيا شريكاً اسْتِرَاتِيجِيّاً له. (1)

واعتمدت تركيا ســـفارتها في أبوجا بنيجيريا لدى المجموعة الاقتِصَادِيَّة لدول غرب إفريقيا(2) ECOWAS اعتباراً من شهر مايو 2005م. كما أنَّ تركيا الَّتِي انْضَمَّتْ إلى منتدى الشركاء الدَّوْلِيّ التابع للهيئة الحُكُومِيَّة الدَّوْلِيَّة للتَّنْمِيَة(3) IGAD في شـــهر يونيو 2008م، قامت باعتماد ســـفارتها في دار الســـلام بتنزانيا لدى مجموعة دول إفريقيا الشرقيَّة (4) EAC.

1. "العلاقات التُّرْكِيَّة مع الدول الإفريقيَّة"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، مرجع سابق.
2. المجموعة الاقْتِصَادِيّة لدول غرب إفريقيا (ECOWAS) هي مُنَظَّمَة اقْتِصَادِيّة دَوْلِيَّة تهتم بتطوير الاقتصاد في منطقة الغرب الإفريقي. تمَّ تأسـيس المُنَظَّمَة في 25 مايو 1975م، ورئيســها هو عمر يارادوا، يقع مقر المُنَظَّمَة في أبوجا، بنيجيريا. وَتَضُمّ المُنَظَّمَة في عضويتها 14 دولة؛ وهي" كوت ديفوار، وبنين، ومالي، وبوركينا فاسو، والســنغال، وتوجو، وغينيا بيســاو، والنيجر، ونيجيريا، وليبيريا، وسيراليون، وغامبيا، وغانا، والرأس الأخضر. للمزيد يُنْظَر: المجموعة الاقْتِصَادِيّة لدول غرب إفريقيا، الهيئة العامة للاستعلامات، مصر، د. ت، تاريخ الزيارة: 3 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/T5ALYC
3. الهيئة الحكوميَّة للتنميَّة (IGAD) هي مُنَظَّمَة شبه إقليميَّة في إفريقيا مقرُّها دولة جيبوتي، حلَّت مَحَلّ السلطة الحكوميَّــة الدَوْلِيَّــة للإنماء والتَّصَحُّر (IGADD) التي أُنْشِــئَتْ عــام 1986م، وفي عام 1996م اجتمع الدول الأعضاء في نيروبي واتفقوا على تعديل ميثاق المُنَظَّمَة وتغيير اسمها إلى الهيئة الحكوميَّة للتنمية. للمزيد يُنْظَر: (About us، IGAD, available at: goo.gl/VXZhLq)
4. مجموعــة شرق إفريقيــا East African Community هي مُنَظَّمَــة دَوْلِيَّة تَضُمُّ خمس دول من شرق إفريقيا وهم بوروندي وكينيا وأوغندا ورواندا وتانزانيا. تَأَسَّسَتْ هذه المُنَظَّمَة سنة 1967م ثم حَلَّتْ في 1977م، ثم أُعِيدَ تأسيســها ســنة 7 يوليو 2000م. وتُعْتَبَرُ المجموعة من ركائز المجموعة الاقْتِصَادِيّة الإفريقيَّة. يقع مَقَرّ المجموعة في مدينة أروشــا في تنزانيا. يهدف التَّجَمُّعُ إلى توســيع التعاون بين دول شرق القَارَّة الإفريقيَّة في المجالات السِّيَاسِيَّة والاقْتِصَادِيّة والاجْتِمَاعِيّة، وإقامة كتلة اقْتِصَادِيّة إقليميَّة كبيرة ذات تأثير في المنطقة. للمزيد يُنْظَر: فهد ياسين، تجمُّع دول شرق إفريقيا بين احتماليَّة البقاء والتَّفَكُّك، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 6 أكتوبر 2016، تاريخ الزيارة: 3 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jFtgSH

وتمَّــتْ المصادقة أثناء اجتــماع المانحين الَّذي عُقِدَ يومي 14 - 15 مايو 2008م على الطلب الَّذي تَقَدَّمَتْ به تركيا في شهر فبراير 2008م من أجل نَيْل عضويَّة بنك التَّنْمِيَة الإفريقــي(1)، وصندوق التَّنْمِيَة الإفريقي(2). وبذلك أصبحت تركيا العضو الخامس والعشرين في بنك التَّنْمِيَة الإفْرِيقِيّ من خارج إفريقيا.

ومن أجل تقييم المرحلة الَّتي وصلت إليها العلاقات بين تركيا والدول الإفريقيَّة، وتحديد الطُّرُق والوســائل الكفيلة بتعزيز هذه العلاقات، عُقِدَتْ في إســطنبول قِمَّة التعاون التُّركيَّة الإفريقيَّة الأُولَى في الفترة ما بين 18 - 21 أغســطس 2008م بمشــاركة 49 دولــة إفريقيَّة ومُمَثِّلي 11 مُنَظَّمَة إقْلِيمِيَّة ودَوْلِيَّة من ضِمْنِهَا الاتِّحَاد الإفريقيّ(3)، وقد تَمَّ في هذه القمَّة اعتماد الوثائق التاليَّة بالإجماع: "إعلان إســطنبول للتعاون التُّرْكِيّ الإفريقي: التعاون والتضامن من أجل مســتقبل مشــترك"، و"إطار التعاون للشراكة التُّرْكِيَّــة الإفريقيَّة". وَوَفْقاً لآليَّة المتابعــة الَّتي تَضَمَّنَتْهَا وثيقة "إطار التعاون للشراكة

1. بنك التَّنْمِيَة الإفريقي هي مُؤَسَّسَة تمويل تنمويَّة مُتَعَدِّدَة الأطراف تَمَّ إنشاؤها للمساهمة في التَّنْمِيَة الاقْتِصَادِيّة والتَّقَدُّم الاجْتِمَاعِيّ في البلدان الإفريقيَّة. تأسَّسَ مصرف التَّنْمِيَة الإفريقي في عام 1964م، ويَتَأَلَّفُ من ثلاثة كيانــات: البنك الإفريقــي للتنمية، وصندوق التَّنْمِيَة الإفريقي والصندوق الاســتئماني النيجيري. هدف البنك الإفريقي للتنميَّة هو محاربة الفقر وتحســين ظروف المعيشــة في القَارَّة من خلال تشــجيع استثمار رأس المال العــام والخاص في المشــاريع والبرامج التي من المحتمل أن تســاهم في التَّنْمِيَــة الاقْتِصَادِيّة والاجْتِمَاعِيّة في المنطقة. للمزيد يُنْظَر:
What is the African Development Bank Group?, The African Development Bank Group, available at: goo.gl/nu9fiK
2. صندوق التَّنْمِيَة الإفريقي (ADF) أحد مُكَوِّنَات مجموعة بنك التَّنْمِيَة الإفريقي (AfDB). تَأَسَّسَ الصندوق عام 1972م، وبدأ العمل به في عام 1974م. ويديره بنك التَّنْمِيَة الإفريقي، ويضم 29 دولة مساهمة ويفيد 38 دولة. وقد اســتثمر الصندوق 45 مليار دولار أَمْرِيكِيّ على مدار 40 عاماً من التشــغيل في القَارَّة الإفريقيَّة. (About the ADF, The African Development Bank Group, available at: goo.gl/cUgojB)
3. "العلاقــات التُّرْكِيَّــة مع الدول الإفريقيَّة"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، د.ت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5Nd6fb

التُّركيَّة الإفريقيَّة" عُقد في تركيا بتاريخ 15 ديسمبر 2010م اجتماع كبار المسؤولين"(1)، كما تُنَظِّم تركيا سنوياً فَعَالِيَّة "يوم إفريقيا" بتاريخ 25 مايو من كُلّ عام(2).
بشكل عام اعتمدت تركيا السِّيَاسَة النَّاعِمَة مع هذه القارة، والابتعاد عن العنف والمصالح الفرديَّة، وسَعَتْ لتكون المصالح متبادلة، وفي سبيل ذلك "سَعَتْ تركيا إلى إنشاء قواعد اقْتِصَادِيَّة في جيبوتي(3)، بدلاً من القواعد العَسْكَرِيَّة؛ حيث تُعْتَبَر جيبوتي من أكثر الدول الإفريقيَّة أَهَمِّيَّة من الناحية الاسْتِرَاتِيجِيَّة الجُغْرَافِيّة، لهذا تَجِدُ فيها قواعد عَسْكَرِيَّة لدول عدةٍ، على رأسها فرنسا واليابان"(4).

كما اعْتَمَدَتْ أنقرة في انفتاحها على هذه القارَّة على عنصر الدين، حتى باتت تلعب دوراً مُهِمّاً في الإدارة الدِّينِيَّة هناك، وتُعدّ استضافة تركيا لقاء رجال الدين الأفارقة في إسطنبول عام 2006م، والَّذِي ضمّ ممثّلين عن 21 دولة، خير مثال على هذا الدور(5).

1. "العلاقات التُّرْكِيَّة مع الدول الإفريقيَّة"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، د.ت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5Nd6fb
2. يَتِمّ الاحتفال بيوم إفريقيا في كَافَّة أنحاء العالم بتاريخ 25 مايو من كل عام، ذكرى تأسيس مُنَظَّمَة الاتِّحَاد الإفريقي عام 1963. وفي تركيا يَتِمّ تنظيم العديد من الفَعَالِيَّات في إطار يوم إفريقيا. وفي 25 مايو 2018م، أعلنت الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة في بيان لها أن تركيا ستواصل جهودها من أجل تطوير صور التعاون مع الدول الإفريقيَّة، والتَضامن معها على الساحة الدَوْلِيَّة والإقْلِيمِيّة، وتعزيز التعاون الفعَّال مع مُنَظَّمَة الاتِّحَاد الإفريقي على أساس شراكة استرَاتيجِيَّة. للمزيد يُنْظَر: الرقم: 146، التاريخ: 25 أيار/مايو 2018م، بيان صحفي حول يوم إفريقيا، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، 25 مايو 2018م، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ZtYQmu
3. في ديسمبر 2017، أعلن وزير الاقتصاد الجيبوتي، إلياس موسى دواله، أن دراسة الجدوى الخَاصَّة بالمنطقة الاقْتِصَادِيّة التُّرْكِيَّة أصبحت جاهزة، وأن أعمال البناء والتشييد ستبدأ في القريب العاجل، مُؤَكِّداً أن المنطقة الاقْتِصَادِيَّة ستكون مُسْتَعِدَّة لاستقبال الاستثمارات التُّرْكِيَّة في إفريقيا خلال 18 عشر شهراً، حيث ستساهم تركيا في إثراء الموقع الاسْترَاتِيجِيّ للقَارَّة ورَفْد جهود التَّنْمِيَة الاقْتِصَادِيّة بها، إضافة إلى تعزيز العلاقات التُّرْكِيَّة الجيبوتيَّة، وتطوير العلاقات بين تركيا والقارَّة السمراء. للمَزيد يُنْظَر: المنطقة الاقْتِصَادِيّة التُّرْكِيَّة في جيبوتي.. بوابة نحو القَارَّة السمراء (تقرير)، وكالة الأناضول للأنباء، 27 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/s3nd5n
4. باسل الحاج جاسم، "الاقتصاد والدِّين طريقا تركيا إلى القَارَّة السمراء"، صحيفة الحياة اللندنيَّة، 13 فبراير 2015م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/UDMIk6
5. علماء الدِّين في القَارَّة الإفريقيَّة يدعون تركيا لإنشاء مدارس ومساجد في بلادهم، وكالة الأنباء الكويتيَّة، 4 نوفمبر 2006م، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/MLpM8j

وبسبب الظروف الاقتِصَادِيَّة الخَاصَّة لهذه القَارَّة سَعَتْ تركيا دائماً لتكون مصدر دعم وعــــون لها، فخلال المؤتمر الـــدَّوْليّ للمانحين من أجل إعادة إعمار دارفور وتنميته الَّذِي عُقد في القاهرة بتاريخ 21 مارس 2010م، برئاسة مشتركة من تركيا ومصر(1)، أعلنت تركيا أنها سَتُقَدِّمُ في الفترة ما بين 2010 - 2015م ما يقارب 70 مليون دولار كمســـاعدات لدارفور تُخصِّص غالبيّتها للمجالات الصحيَّة والزراعيَّة والتعليمِيَّة(2)، كما سَـــعَتْ لتقديم يَدِ المساعدة إلى الصومال، واستضافت تركيا مؤتمراً خَاصّاً بهذه الدَّوْلَة عقدته الأمم المُتَّحِدَة في إسطنبول في الفترة ما بين 21 - 23 مايو 2010م(3).

وتُعْتَـــبَرَ زيارة رئيس الوزراء التُّرْكِيّ الســـابق للصومال، بتاريخ 19 أغســـطس / آب 2011م(4)، "نقطة انعطاف حيوي جيواستراتيجي نحو إفريقيا؛ إذ هبطت في مطار مقديشـــو الطائرة الَّتِي تُقِلُّ رئيس الوزراء وقتها؛ الرئيس أردوغان، وعائلته مع وفد كبير مكوَّن من العديد من الشرائح المختلفة في الجُمهورِيَّة التُّرْكِيَّة. كانت هذه واحدة مـــن أولى الرحلات الدَّوْلِيَّة نحـــو الصومال بعد انقطاع طويل جدّاً. وقد حَوَّلَتْ هذه الزيارة مجرى الأمور في الصومال الَّذِي عانىَ لفترات طويلة من الاضطرابات تمثَّلت في عدم الاستقرار المزمن والصِّرَاع الاجْتِمَاعِيّ، والَّتِي بدورها أدَّت إلى أزمة إنْسَانِيَّة خطيرة متزامنة مع جفاف شـــديد ومجاعة. في ذلك اليوم وُلِدت شراكة جديدة من رماد الحرب الأهليَّة والكارثة الإنْسَانِيَّة".

1. "المؤتمـــر الـــدَّوْليّ للمانحين يُخَصِّص 850 مليون دولار من أجل التَّنْمِيَـــة في دارفور"، دويتش فيله، 22 مارس 2010، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Hp1ocS
2. "العلاقـــات التُّرْكِيَّـــة مع الدول الإفريقيَّة"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، د.ت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5Nd6fb (مرجع سابق).
3. الأمم المُتَّحِدَة تشارك في استضافة مؤتمر رفيع المستوى في تركيا لدعم الصومال، أخبار الأمم المُتَّحِدَة، مُنَظَّمَة الأمم المُتَّحِدَة، 21 مايو 2010م، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xfbQr8
4. "مجاعة الصومال: أردوغان يزور مقديشو"، بي بي سي عربي، 19 أغسطس 2011، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/FCKSr5

كما عَمَدَتْ تركيا إلى ضَخّ الاستثمارات في هذا البلد الفقير، بالإضافة إلى المساعدات الإغاثيَّـــة؛ نظراً لأهَمِّيَّة موقعها الجُغْرَافيّ الَّذِي يربط بين القارات، وباعتبارها ممرّاً مُهِمّاً للطاقة في العالم، إضافة إلى الثروات الكثيرة الَّتِي تمتلكها الصومال ومخزونها من البترول.(1)

العلاقات الجَيِّدة مع إفريقيا انعكست على الأرقام الاقتِصَادِيَّة، فقد ارتفع حجم التبادل التِّجَـــارِيّ بين تركيا والدول الواقعة في جنوب الصحراء الإفريقيَّة من 742 مليون دولار في عـــام 2000م إلى 3 مليـــار دولار في عام 2005م، ثـــم إلى 5.7 مليار دولار في عام 2008م. بينما بلغ حجم التبادل التِّجَارِيّ 4.88 مليار دولار في عام 2009م و4.36 مليار دولار في عـــام 2010م، وذلك نتيجة التَّأثِيرات الَّتِي ولَّدتها الأزمة الاقتِصَادِيَّة العَالَمِيَّة. (بلـــغ حجم التبادل التِّجَارِيّ مع كافَّة الدول الإفريقيَّة 9 مليارات دولار في عام 2005م و15.876 مليار دولار في عام 2009م و15.710 مليار دولار في عام 2010م)(2).

وفي فبرايـــر 2018م، أعْلَنَ وزير الاقتصـــاد التُّرْكِيّ نهاد زيبكجي، أن حجم التبادل التِّجَارِيّ بين بلاده والقارة الإفريقيَّة يبلغ نحو 25 مليار دولار أمريكي، مشـــيراً إلى أنه على الرَّغْم من التَّقَدُّم المُتَحَقِّق في هذا الأمر إلا أنه غير كافٍ بالمطلق، مؤكداً أن هدف تركيا هو زيادة حجم التبادل التِّجَارِيّ مع القَارَّة الإفريقيَّة إلى ضِعْفَيْنِ أو ثلاثة أضعاف في أقصر وقت ممكن(3).

1. بوحنيَّـة قـوي، "إفريقيا في الاسـتِرَاتيجِيَّة التُّرْكِيَّة الجديدة"، مركز القرن العربي للدراســات، 6 أكتوبر 2016م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/huPCr1
2. "العلاقــات التُّرْكِيَّــة مع الدول الإفريقيَّة"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، د.ت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5Nd6fb
3. وزيــر الاقتصاد التركي: حجم التبادل التجــاري مع إفريقيا بلغ 25 مليار دولار، وكالة الأناضول للأنباء، 22 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/c5yJZf

ولا يقتـــصر طموح تركيا على ذلك، فهي تهدف إلى أن يصل حجم التبادل التِّجَارِيّ بينها وبين القَارَّة الإفريقيَّة عتبة الـ50 مليار دولار بحلول ســـنة 2023م؛ وذلك بِفِعْلِ الاســـتثمارات الكبيرة الَّتِي قامت أنقرة بتعبئتهـــا في الداخل الإفريقي، ومن خلال الاعتماد على العمالة الإفريقيَّة المَحَلِّيَّة"(1).

وبعيـــداً عن العلاقات الاقتِصَادِيَّة والمعونـــات، تُولِي أنقرة - في إطار رغبتها في أن تصبح لاعباً سِيَاسِيّاً في إفريقيا -، حلّ المشكلات المزمنة في القَارَّة الإفريقيَّة اهتماماً كبيراً، واسْتَدْعَى التَّوَجُّه التُّرْكِيّ الجديد نحو إفريقيا تَوَسُّعاً في الحضور الدبلوماسيّ التُّرْكِيّ، فَتَمَّتْ زيادة عدد الســـفارات التُّرْكِيَّة في القَارَّة من 12 ســـفارة عام 2002م إلى 39 سفارة عام 2017م.(2)

من ناحية أخـــرى، لَفَتَ الاهتمام التُّرْكِيّ بالجانب الإفريقي، انتباه لاعبين دوليين، أَبْدُوا رغبتهم في التعاون مع تركيا في هذا الصدد، إذ عقد مسؤولون أتراك مشاورات مع مســـؤولين من الولايات المُتَّحِدَة وإسبانيا وبريطانيا والسويد والاتِّحَاد الأُورُوبيّ حـــول التعاون في القَارَّة الإفريقيَّة، وقد اقترحت بعض الدول مثل فرنســـا، أن تنفِّذ تركيا بالتعاون مع الاتِّحَاد الأُورُوبيّ، بعثات تجاريَّة مشتركة في إفريقيا لمواجهة نجاح الصين في الاستحواذ على جانب كبير من الصفقات التِّجَارِيَّة مع الدول الإفريقيَّة"(3). وفي النهاية، وبعد قرابة 11 عاماً من هذه الشراكة، أعلن أردوغان بوضوح "نحن نفتخر بأننا أصبحنا، بعد عَقْدٍ من إطلاق المبادرة، رابعَ أكثر دولة تنشط في القَارَّة الإفريقيَّة".(4)

1. بوحنيَّة قوي، "إفريقيا في الاستراتيجيَّة التُّرْكِيَّة الجديدة"، مرجع سابق.
2. "العلاقـــات التُّرْكِيَّـــة مع الدول الإفريقيَّة"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، د.ت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5Nd6fb
3. باسل الحاج جاسم، "الاقتصاد والدِّين طريقا تركيا إلى القَارَّة السمراء"، مرجع سابق.
4. "العلاقات التُّرْكِيَّة مع الدول الإفريقيَّة"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، مرجع سابق.

القُوَّة الناعمة والدبلوماسيَّة التُّركِيَّة في إفريقيا:

بعـــد انهيار الخلافة العُثْمَانِيَّة التزمت القيادة التُّركِيَّة آنذاك ولعقود عدَّة بسياســـة الانغــــلاق على الذات، والنَّأي عن تاريخها العثمانيّ وخَلْفِيّتها الإســــلاميَّة، ولكن منذ العــــام 1998م اتَّخذت توجُّهاً مغايراً لذلك، فعادت من جديد إلى محيطها الإقليميّ، وازداد اهتمامها بالقارَّة الســـمراء، باعتبار إفريقيا عُمقاً استراتيجيّاً للدولة التُّركيَّة المحوريَّة، وبالنظـــر إلى القُرب التاريخيّ بينهما بحُكْم التاريخ والجيوبولوتيك، عبر بوابة الشرق الأوسط.

وتعمَّـــق التوجُّه التركي نحو إفريقيا بقُوَّة مع تبنِّي القيادة الجديدة للعدالة والتنمية نظرية "العمق الاستراتيجي Strategic Depth"، والتي تُعَدُّ المحرِّك الأبرز للسياسة التُّركيَّة الخَارجيَّة منـــذ العام 2002م، فأعدَّت أنقرة خُطَّة متعدِّدة الأبعاد للانفتاح على دول القارَّة الســـمراء وتحقيق نقلة نوعيَّة على جميع المستويات؛ الاقتصاديَّة والثقافيَّة والصحيَّة والإنسانيَّة(1).
وفي العام 2003م تبنّت أنقرة اســـتراتيجيَّة تطوير العلاقات الاقتصاديَّة مع الدول الإفريقيَّة، وازدادت الزيارات المتبادلة رفيعة المســـتوى من المســـؤولين الأتراك إلى إفريقيا، وتوقيع الاتفاقات الاقتصاديَّة والتجاريَّة الجديدة، وإنشـــاء آليَّات التعاون الثنائي؛ الاقتصادي والسياسي.
أما العام 2005م فكان زاخراً بسُـــبُل توطيد العلاقات، فأعلنت الحكومة التُّركيَّة هذا العام "عام إفريقيا"، وكلَّفت سفارتها لدى أديس أبابا لتكون سفارة الجُمهورِيَّة التُّركِيَّة المعتمـــدة لدى الاتِّحاد الإفريقي، وأجرى الرئيس رجب طيِّب أردوغان في العام ذاته زيارة إلى كلٍّ من إثيوبيا وجنوب إفريقيا، لتنال بعدها تركيا صفة مراقب في الاتِّحاد

1. مصطفى شـــفيق علام، دراســـة "التغلغل الناعم: إفريقيا في الاستراتيجيَّة التُّرْكِيَّة.. المحدّدات والسياقات والتّحدّيـــات"، موقـــع مجلة "قراءات إفريقيَّة"، 8 يونيو 2017م، تاريخ الاطلاع 7 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/QxMD7s.

الإفريقي، كما شـــارك الرئيس أردوغان في ديســـمبر/كانون الأول 2007م، في قمَّة الاتحـــاد الإفريقي- الأوروبي في مدريـــد، وأصبحت تركيا بذلك فاعلاً في علاقات الاتحاد الإفريقي- الأوروبي.

وفي المقابـــل، أجمع الاتحاد الإفريقي على إعلان تركيا شريكاً اســـتراتيجيّاً له العام 2008م، وفي العـــام ذاته تمَّت المصادقة عـــلى الطلب التركي للحصول على عضويَّة بنـــك التنمية الإفريقي وصندوق التنمية الإفريقي، وبذلك أصبحت العضو الخامس والعشرين في البنك من خارج القارَّة الســـمراء(1). ومن أجل تقييم متانة العلاقات بين تركيا والدول الإفريقيَّة، وتحديد سُـــبُل تعزيزها وسدّ فجواتها، تُنَظِّم أنقرة سنويّاً فعاليَّة "يوم إفريقيا" بتاريخ 25 مايو من كل عام.
وعُقِدَتْ في إسطنبول "قمَّة التعاون التُّركِيَّة الإفريقيَّة" الأولى في الفترة ما بين 18 – 21 أغسطس 2008م، بمشاركة 49 دولة إفريقيَّة وممثلي 11 منظمة إقليميَّة ودوليَّة مِن ضِمنها الاتحاد الإفريقي، وتمَّ فيها وبالإجماع المصادقة على "إعلان إسطنبول للتعاون التركي الإفريقي: التعاون والتضامن من أجل مســـتقبل مشـــترك"، و "إطار التعاون للشراكة التُّركِيَّـــة الإفريقيَّة"، وفي إطار هذه القمَّة عقَد رئيس الوزراء التركي آنذاك السيد رجب طيب أردوغان لقاءات ثنائيَّة على أعلى مستوى مع المشاركين من 42 دولة إفريقيَّة، واســـتطاعت تركيا بعدها الحصول على دعم كامل من كافَّة الدول الإفريقيَّة خلال انتخابات أكتوبر 2008م لمقعد العضو غير الدائم بمجلس الأمن الدولي(2).
وفي نوفمبر 2014م عُقِدَت قمة التعاون التُّركِيَّة - الإفريقيَّة" الثانية في مالابو عاصمة غينيا الاستوائيَّة، وكان ذلك تحت شعار "نموذج جديد للشراكة من أجل تعزيز التنمية

1. العلاقـات التُّرْكِيَّـة مع الدول الإفريقيَّة، موقع وزارة "الخارجية التُّرْكِيَّة"، تاريخ الاطلاع 7 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/xxeFww.
2. العلاقات التُّرْكِيَّة مع الدول الإفريقيَّة، موقع وزارة "الخارجية التُّرْكِيَّة"، مرجع سابق.

المستدامة والتكامل"، وتم في إطارها الاتفاق على عقد القمَّة الثالثة للشراكة بين تركيا وإفريقيا في تركيا العام 2019م، كما أسفرت هذه القمَّة عن الاتفاق على مجموعة من المحاور المهمَّة، وفي مختلف الميادين والمجالات العالقة المتبادلة بينهما، مثل: إدارة وحلّ الصراعات من خلال استمرار التعاون في مجال السِّلْم والأمن، وتبادل الخبراء والمعلومات والبرامج التدريبية، وتعزيز التنسيق في الأُطُر الاقتصاديَّة والتجاريَّة، من أجل تحقيق المصالح المشتركة للطرفين وبدون التحيُّز للاتفاقيَّات والمعاهدات الدوليَّة، وتعزيز تبادل الاستثمارات وتشجيع إقامة علاقات تجاريَّة مباشرة بين تركيا وإفريقيا، عن طريق فتح أسواق جديدة، ورفع مستوى التبادل التجاري المتبادل بين الطرفين(1).

ويمُكِن القول أيضاً: إنه منذ تولّي حزب العدالة والتنمية الحُكْم في البلاد العام 2002م، تحرص أنقرة على تعزيز تأثير أدواتها الدبلوماسية الناعمة في القارَّة السمراء، عن طريق تدشين المزيد من القنصليَّات والسفارات التي تغطي نحو 47 بلداً إفريقيّا، حتى أنها افتتحت خلال الفترة بين العامين 2008 و2009م، نحو 15 سفارة وقنصليَّة عامة(2)،كما تمَّ افتتاح 27 سفارة جديدة بعد العام 2009م، منها 19 سفارة في دول جنوب الساحل والصحراء، بينما لم يتجاوز عدد سفارات أنقرة في إفريقيا قبل العام 2002م السبع سفارات(3). وفي المقابل، توجد الآن 39 سفارة وأربع قنصليَّات عامة لدول إفريقيَّة في أنقرة، في حين كان العدد في عام 2002م نحو 12 سفارة فقط(4).

1. محمود زكريا محمود إبراهيم، دراسة "العلاقات السياسية الإفريقيَّة- التُّرْكِيَّة.. المحدِّدات والقضايا، الناشر: مركز البحوث والدراسات الإفريقيَّة - جامعة إفريقيا العالميَّة، 2015، ص 13 و14، تاريخ الاطلاع 10 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/YQ8WVb.
2. العلاقات التُّرْكِيَّة مع الدول الإفريقيَّة، موقع وزارة الخارجية التُّرْكِيَّة، تاريخ الاطلاع 11 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/CfJPVh.
3. مصطفى شفيق علام، دراسة "التغلغل الناعم: إفريقيا في الاستراتيجيَّة التُّرْكِيَّة.. المحدّدات والسياقات والتحدّيات"، موقع مجلة "قراءات إفريقيَّة"، 8 يونيو 2017، تاريخ الاطلاع 7 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/QxMD7s.
4. محمود زكريا محمود إبراهيم، دراسة "العلاقات السياسية الإفريقيَّة- التُّرْكِيَّة.. المحدِّدات والقضايا، الناشر: مركز البحوث والدراسات الإفريقيَّة - جامعة إفريقيا العالميَّة، 2015، ص 13 و14، تاريخ الاطلاع 10 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/YQ8WVb.

ليس هذا فقط، بل تسـير هذه السـفارات والقُنصليَّات تبعاً لخطط عمل دبلوماسيَّة دؤوبة ومثمرة على المسـتوى الدوليّ، ففي العام 2012م صارت السفارة التُّركِيَّة في أديـس أبابا معتمدة لدى الهيئة الحكوميَّة الدوليَّة في منتدى شركاء التنمية (إيقاد)، والسـفارة التُّركِيَّة في دار السلام معتمدة لدى مجموعة شرق إفريقيا العام 2010م، والسـفارة التُّركِيَّة في لوساكا معتمدة لدى السوق المشتركة لشرقي وجنوبي إفريقيا (الكوميسا) العام 2012م، والسفارة التُّركِيَّة في ليبرفيل معتمدة للجماعة الاقتصاديَّة لدول وسط إفريقيا العام 2013م.

جدول يوضح توزيع افتتاح السفارات بحسب الأعوام

العام	عدد السفارات
2009م	2
2010م	6
2011م	4
2012م	8
2013م	4

ومن جانب آخر، لم يُغْفِل كبار المسـؤولين الأتراك عن تكرار الزيارات الرسـميَّة إلى إفريقيـا وعَقْد اتفاقات معها بشـكل ثنائي في مختلف المجالات، وفي مقدِّمتهم رئيس الدولة ورئيس الوزراء ووزير الخَارجِيَّة ورئيس البرلمان؛ حيث استضافت تركيا نحو 16 رئيسـاً لدول إفريقيا جنوب الصحراء خلال القمة التُّركِيَّة- الإفريقيَّة الأولى العام 2008م، فضلاً عن اسـتضافتها عدد من رؤساء الدول الإفريقيَّة خلال أعمال المؤتمر الرابـع للأمم المُتَّحِدَة للدول الأقلّ نُمُـوّاً 2011م. وعلى الجانب الآخر قام الرئيس التركي بزيارات لكل من السنغال العام 2008م، وكينيا وتنزانيا العام 2009م،

وجُمهوريَّة الكنغو الديمقراطية والكاميرون ونيجيريا العام 2010م، وغانا والجابون العام2011م. (1)

وعلى المستوى الوزاري، أجرى نحو سِتَّة رؤساء وزراء و26 وزيراً للخَارجِيَّة من المنتمين إلى الدول الإفريقيَّة بزيارات رسـمية إلى تركيا منذ العـام 2003م، وقد كانت تلك الزيارات في إطار القمة التُّركِيَّـة- الإفريقيَّة الأولى العام 2008م، والمؤتمر الرابع للأمم المُتَّحِدَة للدول الأقلّ نموّاً العام 2011م، فضلاً عن الزيارات الاعتياديَّة الأخرى. وعلى الجانب التركي أجرى رئيس الوزراء التركي زيارات رسـمية إلى جنوب إفريقيا وإثيوبيا العام 2005م والسـودان العـام 2006م، وإثيوبيا مرة أخرى العام 2007م، والسـنغال والنيجر والجابون العام 2013م، كما قام وزير الخَارجِيَّة التركي بزيارات رسمية لكل من إثيوبيا وجُمهورِيَّة جنوب إفريقيا والصومال العام 2011م.(2)

ويُعَدُّ الرئيس السـابق عبدالله جول أول رئيس تركي يلقي خطاباً في دولة إفريقيَّة، وكان ذلـك أمام البرلمان الغاني العام 2011م، وخلال الفترة بين 2011-2008م تَمَّ عقد نحو 75 مؤتمراً وزاريّاً بين تركيا ودول إفريقيا، وقد وصل عددها نحو 84 مؤتمراً بحلول العام 2013م. أمـا الرئيس التركي رجـب طيب أردوغان فيعتبر بمثابة أول رئيس وزراء تركي يلقي خطاباً أمام جمعيَّة الاتِّحاد الإفريقي(3) خلال زيارته إلى إثيوبيا العام 2007م.(4)

1. محمود زكريا محمود إبراهيم، دراسة "العلاقات السياسيَّة الإفريقيَّة- التُّرْكِيَّة.. المحددات والقضايا"، الناشر: مركز البحوث والدراسـات الإفريقيَّـة- جامعة إفريقيا العالميَّة، 2015، ص 22، تاريخ الاطـلاع 12 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/YQ8WVb.
2. محمود زكريا محمود إبراهيم، دراسة "العلاقات السياسيَّة الإفريقيَّة- التُّرْكِيَّة.. المحددات والقضايا"، ص 23، مرجع سابق.
3. الاتحاد الإفريقي (AU) هو منظمة دوليَّة تتألف من 55 دولة إفريقية. تأسـس الاتحاد في 9 يوليو 2002م، متشـكلاً خلفاً لمنظمة الوحدة الإفريقية. تُتّخذ أهم قرارات الاتحاد في اجتماع رؤساء الدول وممثلي حكومات الدول الأعضاء من خلال ما يسمى بالجمعية العامة للاتحاد الإفريقي. يقع مقر الأمانة العامة ولجنة الاتحاد الأفريقي في أديس أبابا، إثيوبيا. للمزيد ينظر الرابط التالي: http://cutt.us/qOB6d
4. محمود زكريا محمود إبراهيم، دراسة "العلاقات السياسيَّة الإفريقيَّة- التُّرْكِيَّة.. المحددات والقضايا"، ص23، المرجع السابق

جدول يوضِّح أعداد الزيارات الرسميَّة الخَارجِيَّة التُركِيَّة إلى إفريقيا

السنوات	زيارات الرئيس	زيارات رئيس الوزراء	زيارات وزير الخَارجِيَّة
1923-1998م	2	1	1
2003-2014م	8	7	3

ويبلغ عدد زيارات الرئيس أردوغان الرسميَّة إلى إفريقيا نحو 28 زيارة، بما يجعله أكثر رؤساء العالم زيارة للقارة السمراء منذ العام 2004م(1)، وقد أجرى زيارة شهيرة مع وفد رسمي موسَّع في فبراير 2016م، إلى بعض الدول الإفريقيَّة، مثل: ساحل العاج وغانا، حيثّ عبرَّ أردوغان خلال الزيارة عن رغبة بلاده في تعزيز العلاقات مع ساحل العاج، والعمل على رفع التبادل التجاري بين البلدين ليصل إلى مليار دولار بحلول عام 2020م، بعد أن زادت الاستثمارات التُّركِيَّة في البلاد من 150 مليون دولار العام 2008 إلى 390 مليون دولار في 2015م.(2)

أما بشأن غانا فقد وقّع أردوغان خلال الجولة ذاتها، مذكرات تفاهم مع نظيره الغاني، جون دراماني ماهاما، في مجالات عدَّة، بينها: تكنولوجيا المعلومات وتعزيز الاستثمارات المتبادلة، وقطاعا الرياضة والشباب.

1. دراسة "الحُضور التركي في القَارّة الإفريقيَّة- جزء 2"، موقع مركز "الدراسات الاستراتيجيَّة والدبلوماسيَّة"، 3 مايو 2018، تاريخ الاطلاع 8 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/gZCzeh.
2. بوحنية قوي، تقرير "إفريقيا في الاستراتيجية التُّرْكِيَّة الجديدة"، موقع مركز "الجزيرة للدراسات"، 25 أكتوبر 2016، تاريخ الزيارة 9 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/co1DjV.

وإذا كانت جولات الرئيس أردوغان الدؤوبة في إفريقيا خلال العام 2016م قد جاءت بهدف تعميق "الشراكة الاستراتيجيَّة" مع دول القارَّة لتطوير العلاقات مع الدول الأعضاء في الجماعة الاقتصاديَّة لدول غرب إفريقيا (1)(ECOWAS)؛ فإنّه قام بزيارة إفريقيَّة أخرى ذات مغزى عميق، شملت إثيوبيا، وجيبوتي، والصومال، في سياق استراتيجيةٍ ممنهجةٍ لتوسيع النفوذ التركي في القارَّة بما يتجاوز استراتيجية الانفتاح "الناعم" على العواصم الإفريقيَّة، وصولاً إلى الانتقال لسياسة الانفتاح "الخشن"، وذلك بعد إعلان أنقرة مطلع العام 2016م توقيع اتفاقيةٍ جديدةٍ مع الصومال لإقامة قاعدةٍ عسكريَّةٍ كبيرة، تحجز مساحة للجيش التركي في خليج عدن الاستراتيجي، ومنطقة القرن الإفريقي الحيويَّة(2).

وعلى صعيد القُوَّة الناعمة في المجال الاقتصادي، فتبرز في اهتمام تركيا بتطوير العلاقات مع دول إفريقيا، خاصةً إثيوبيا، فيبلغ حجم التعاون الاقتصادي بين أنقرة وأديس أبابا أعلى مستوياته الآن؛ حيث تؤكد إثيوبيا أنها تقتنص النصيب الأكبر من الاستثمارات التُّركِيَّة في القارة، وهو 3 مليارات دولار من إجمالي 6 مليارات دولار تستثمرها تركيا في إفريقيا، متفوِّقَة بذلك على الصين والهند، ويوجد بها نحو 350 شركة تركيَّة، دخلت منها 120 شركة العام 2014، ويعمل بها أكثر من 500 ألف مواطن إثيوبي(3).

1. المجتمع الاقتصادي لدول غرب إفريقيا (CEDEAO) هي منظمة اقتصاديَّة دوليَّة تهتم بتطوير الاقتصاد في منطقة الغرب الإفريقي. تم تأسيس المنظمة في 25 مايو 1975م، ويقع مقرّها في أبوجا، بنيجيريا. للمزيد ينظر الرابط التالي: http://cutt.us/ofG0o
2. مصطفى شفيق علام، دراسة "التغلغل الناعم: إفريقيا في الاستراتيجية التُّرْكِيَّة.. المحدّدات والسياقات والتحدّيات"، مرجع سابق.
3. بوحنية قوي، تقرير "إفريقيا في الاستراتيجية التُّرْكِيَّة الجديدة"، موقع مركز "الجزيرة للدراسات"، مرجع سابق.

كما ارتفع حجم التبادل التجاري بين تركيا ودول جنوب الصحراء الإفريقيَّة في غضون السنوات الأخيرة من 742 مليون دولار العام 2000 إلى 3 مليار دولار العام 2005 وإلى 5.7 مليار دولار العام 2008، ومع التأثيرات السلبيَّة التي خلّفتها الأزمة الاقتصاديَّة العالميَّة، تراجعت المؤشرات لتبلغ 4.88 مليار دولار العام 2009 و4.36 مليار دولار العام 2010، لكنها ارتفعت مجدَّداً لتسجِّل العام 2017، نحو 18.8 مليار دولار، وهو ثلاثة أضعاف الحجم العام 2003م (1)، وتهدف تركيا في المرحلة المقبلة لرفع إجمالي حجم التبادل التجاري مع هذه الدول إلى 50 مليار دولار خلال السنوات المقبلة(2).
وقد وقَّع الرئيس أردوغان خلال إحدى جولاته، والتي شملت أبيدجان، تسع اتفاقات اقتصاديَّة؛ لزيادة التبادلات التجارية بين البلدين؛ لتصل إلى مليار دولار بحلول العام 2020م. كما تناولت الاتفاقيَّات تعزيز حماية الاستثمارات والمجالات الضريبيَّة في الإطار القانوني؛ لتنمية الأعمال بين الأتراك والإيفواريين(3).
أما بشأن حجم التبادل التجاري بين تركيا والدول الإفريقيَّة عامةً فبلغ 9 مليارات دولار العام 2005م ليرتفع العام 2010م إلى 15.710 مليار دولار(4)، ووصل العام 2016م نحو 25 مليار دولار، وتستهدف تركيا مضاعفته هذا الرقم خلال السنوات العشر المقبلة (5).

هذا وسجَّلت الصادرات التُّركِيَّة إلى إفريقيا نحو 159.7 مليار دولار العام 2016م بزيادة 4% عن العام 2014م، وفي المقابل ارتفعت الصادرات الإفريقيَّة إلى تركيا

---

1. ازدهار العلاقات التُّرْكِيَّة الإفريقيَّة، موقع صحيفة "ديلي صباح"، 10 فبراير 2018م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/hkRb9K.
2. العلاقات التُّرْكِيَّة مع الدول الإفريقيَّة، موقع وزارة الخارجية التُّرْكِيَّة، مرجع سابق.
3. بوحنية قوي، تقرير "إفريقيا في الاستراتيجية التُّرْكِيَّة الجديدة"، موقع مركز "الجزيرة للدراسات"، مرجع سابق.
4. العلاقات التُّرْكِيَّة مع الدول الإفريقيَّة، موقع وزارة الخارجية التُّرْكِيَّة، مرجع سابق.
5. حسن العاصي، قراءة أولية في العلاقات التُّرْكِيَّة- الإفريقيَّة، موقع الحوار المتمدن، 5 مارس 2018م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/waL3ag.

من 3.3 مليـــار دولار العام 2003م إلى 9.7 مليار دولار العام 2016م، كما يبلغ عدد المشـــاريع الاســـتثمارية التُّركِيَّة في القارة أكثر من 357 مشروعاً بقيمة تتجاوز 400 مليار دولار(1).

وأخذت تركيا على عاتقها المشـــاركة في عمليات التنمية المختلفة في إفريقيا، فافتتحت رئاســـة إدارة التعاون والتنســـيق التُّركِيَّة مكاتب لها في أديس أبابا والخرطوم ودكار، ونفَّذت هذه الإدارة مشـــاريع شملت نحو 37 دولة إفريقيَّة، هذا إلى جانب المساعدات التنمويَّة التي قدَّمتها المؤسَّسَات العامة التُّركِيَّة لدول جنوب الصحراء الإفريقيَّة البالغ قيمتها 43.729 مليون دولار العام 2009م، و52.608 مليون دولار من منظمات المجتمع المـــدني التُّركِيَّة (2)، وخلال العامين 2013 و2014م قدَّمت أنقرة مســـاعدات إغاثيَّة للقارَّة السمراء بقيمة 3.3 مليار دولار، مما جعلها ثالث أكبر مانح دولي لإفريقيا(3).

وتحرص تركيا ســـنويّاً على دعم موازنة الاتِّحاد الإفريقي بنحو مليون دولار، وذلك منذ العام 2009م، هذا بخلاف الدعم التركي الرسمي لدول إفريقيا جنوب الصحراء وفي الذي بلغ العام 2015، 395.77 مليون دولار.

كـــما عقَد مجلس العلاقات الاقتصاديَّـــة الخَارجِيَّة التركي مجالس عمل مع 35 دولة إفريقيَّـــة، وذلـــك لدعم الجهود التُّركِيَّـــة الراميّة إلى تطويـــر العلاقات التجارية والاقتصاديَّة مع القارَّة الســـمراء، كذلك يوجد لدى وكالة التنسيق والتعاون التُّركِيَّة (تيكا) نحو 21 مكتباً لتنسيق البرامج في دول إفريقيا، تدير من خلالها مشاريع تركِّز على التنمية المستدامة طويلة الأجل.

وفي العام 2016م احتضنت إســـطنبول "منتدى الاقتصاد والأعمال" الأول بين تركيا وإفريقيـــا، و"القمة العالمية التُّركِيَّة الإفريقيَّـــة" بمبادرة من جمعية "رجال الأعمال

1. حسن العاصي، قراءة أولية في العلاقات التُّرْكِيَّة- الإفريقيَّة، موقع الحوار المتمدِّن، مرجع سابق.
2. العلاقات التُّرْكِيَّة مع الدول الإفريقيَّة، موقع وزارة الخارجية التُّرْكِيَّة، مرجع سابق.
3. حسن العاصي، قراءة أولية في العلاقات التُّرْكِيَّة- الإفريقيَّة، موقع الحوار المتمدن، مرجع سابق.

الأفرو-تركية"، ومشـــاركة نحو 48 دولة إفريقيَّة وأكثر من خمســـة آلاف من رجال الأعـــمال الأتراك والإفريقيِّينَ، بينما احتضنت مدينة أنطاليا الاجتماع الأول لوزراء الزراعة بين الجانبيّن في أبريل 2017م.

أدوات القُوَّة التُّركِيَّة الناعمة في الصومال

تَتَميَّز دولة الصومال بموقع استراتيجيّ مُهِمّ في منطقة القرن الإفريقي؛ فتَتَحَكَّم في أهمّ الممرَّات المائيـــة الدوليَّة، مثل: مضيق باب المندب وخليج عدن، ما يمنحها أهمية كبرى التفتت إليها تركيا مبكراً، وحرصت على إقامة علاقات مثمرة معها، وعلى مختلف الأصعدة. وقد بدأ التقارب التركي الصومالي منذ العام 2010م حينما استضافت تركيا "المؤتمـــر الصومالي الأول" بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة، وتم خلال ذلك توقيع "إعلان إســـطنبول"، والذي يُعتَبر بمثابة خارطة طريق لتسوية الوضع في الصومال، وقامت تركيا خلال ذلك بدور رائد في التوسُّـــط بين الصومال ومنطقة صوماليلاند وتمهيد الطريق لصياغة دستور للبلاد من أجل انتخاب أول رئيس غير انتقالي(1).

وفـــور حدوث "أزمة المجاعة" العــــام 2011م(2) أسرع رئيس الوزراء التركي آنذاك السيد رجب طيب أردوغان بإجراء زيارة رسميَّة إلى الصومال وتوجيه الأنظار الدوليَّة إلى هذه الدولة الإفريقيَّة، مما أدَّى إلى اكتسابها قاعدة عريضة من التأييد الدولي، كما قرَّر الرئيس أردوغان تعيين ســـفير جديد للبـــلاد لأول مَرَّة منذ 20 عاماً(3)، ثم

---

1. محمـــد ســـليمان الزواوي، "أبعاد الدور التركي في إفريقيا وآفاقــه"، مجلة "قراءات إفريقيَّة"، (العدد 9، سبتمبر 2011م)، ص 78، تاريخ الاطلاع 12 يناير 2019م.
2. أودت المجاعة التي ضربت الصومال بين عامي 2010 و 2012 بحياة 260 ألف شخص، أكثر من نصفهم أطفال تحت سن الخامسة، ونجمت المجاعة عن موجة جفاف قوية وساهم في تفاقمها النزاع المسلح بين جماعات مختلفة في الصومال. وكانت الأمم المتحدة قد أعلنت تعرض أجزاء في الصومال للمجاعة للمرة الأولى في شهر يوليو/تموز عام 2011م، ثم انتشرت المجاعة لاحقا الى مناطق أخرى بينها شابيل الوسطى ومخيمات النازحين في العاصمة مقديشو. للمزيد ينظر الرابط التالي: http://cutt.us/CXZ2T
3. Ali Abdirahman," Turkey's Foray into Africa: A New Humanitarian Power?",(Insight Turkey ; Ankara, Vol. 13 , Issue. 4، 2011) , p.67 تاريخ الاطلاع 12 يناير 2019م.

استضافت تركيا "المؤتمر الصومالي الثاني" خلال العام 2012م تحت عنوان "تحديد المستقبل الصومالي.. أهداف عام 2015م"، بالتعاون مع منظمة الأمم المُتَّحِدَة أيضاً وبمشاركة 57 دولة و11 مؤسسة إقليميَّة ودوليَّة(1).
وتتمركز الاستثمارات التُّركِيَّة في الصومال على ثلاثة قطاعات حيويَّة مهمَّة، هي: الميناء والمطار والصحة، والتي بدأت تُدِرّ عائدات تزيد عن 100 مليون دولار سنويّاً تغطي نسبة كبيرة من موازنة الدولة الإفريقيَّة التي تُقدَّر بأكثر من 200 مليون دولار سنويّاً.(2)

وبرز أيضاً اهتمام تركيا بدعم الحكومة الصوماليَّة وجهودها في إعادة بناء المؤسَّسَات الوطنيَّة وتعزيز الأمن والاستقرار هناك، في دعوة أنقرة في فبراير 2016م لعقد مؤتمر دولي في إسطنبول يهتمُّ بالشأن الصومالي، وقد حضره الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، ورئيس الصومال السابق "حسن شيخ محمود"، وعدد من وزراء الخَارجِيَّة وبعض المنظَّمَات الإقليميَّة والدوليَّة(3).
وتهدف أنقرة من ذلك المساعدة في إنجاح الانتخابات الرئاسيَّة والبرلمانيَّة بغرفتيه الأولى (الشيوخ) والثانية (البرلمان)، التي شهدتها الصومال نهاية سبتمبر 2016م، فلعبت دوراً مهمّاً في إنجاحها بما يمهِّد لانتخابات شعبيَّة ومباشرة العام 2020م(4).

1. جهاد عمر الخطيب، "ماذا ينتظر النظام السياسي الصومالي بقيادة فرماجو: دراسة في بيئة النظام ومعضلاته"، مجلة "قراءات إفريقيَّة"، تاريخ النشر: 22 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/HzQVgx.
2. حسن محمد علي، "الصومال وتركيا ... نحو بناء علاقة شراكة طويلة الأمد"، مركز "مقديشو للبحوث والدراسات"، تاريخ النشر: 26 يناير 2015م"، تاريخ الاطلاع 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/1aPFg2.
3. "مؤتمر دولي حول الصومال في تركيا"، مركز مقديشو للبحوث والدراسات، تاريخ النشر: 21 فبراير 2016م"، تاريخ الاطلاع 12 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/JZe4vt.
4. سفير أنقرة بمقديشو: تركيا "دولة رائدة" في الاستثمار والدعم الإنساني بالصومال، الموقع الرسمي لوكالة "الأناضول" التُّرْكِيَّة، تاريخ النشر 4 سبتمبر 2016، تاريخ الزيارة 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/9KTMQC.

تركيا.. ومشروعات البِنْيَة التحتيَّة وإنشاء المطارات في الصومال

تشـــتمل العلاقات الثنائيَّة الناجحة بين تركيا والصومال على توقيع اتِّفاقات بشـــأن تدشـــين مشاريع بِنْيَة تحتيَّة تُشَكِّل لمقديشـــو أهميَّة اقتصاديَّة مُلِحَّة، ومن مثل هذه الاتفاقات تولّي شركة "Favori"التُّركِيَّة مســـؤوليَّة تجديد وإدارة مطار مقديشـــو الـــدولي منذ العام 2013م، بتكلفة تصل إلى 20 مليون دولار، وقد نجحت خلال أقلّ من عام في بناء المطار الجديد على نمط دولي مميَّز، وتمَّ افتتاحه العام 2015م. وقد جاءت هذه الشراكة بنتائج طيِّبَة للغاية؛ إذ نجح المطار الجديد في استقطاب شركات الطيران العالميَّة ودفْعها لتســـيير رحلات منتظمة إلى الصومال، في نقلة نوعيَّة أدَّت إلى انفتاح الصومال على العالم للمَرَّة الأولى منذ 25 عاماً(1).

وفي الإطار ذاته، ســـاهمت شركة "إل بيرك" التُّركِيَّة في إدارة ميناء مقديشـــو منذ العام 2014م ولمدة 20 عاماً، قامت خلالها بعدَّة مشـــاريع تهدف إلى تطوير خدمات الميناء الدولي وتحويله إلى واحد من أهمّ الموانئ في منطقة شرق إفريقيا. ومن هذه المشـــاريع: مشروع تنظيف الميناء الدَّوليّ للمرة الأولى منـــذ عقديْنِ وزيادة الطاقة الاســـتيعابيَّة له من نحو أربع ســـفن إلى ثماني سفن تجارية كبيرة، واستقبال السفن المحمَّلـــة بآلاف الأطنان من البضائع، والتعامل مع مختلف أحجام الســـفن وأنواعها دون التأثُّـــر بالتقلُّبات المناخيَّة المختلفة، فأحدثت بذلك تغيُّراً جذريّاً في نظام العمل داخل الميناء لمواكبة الموانئ الحديثة، حتى قُدِّرَت أرباحه في الفترة ما بين ســـبتمبر العام 2014 إلى يناير العام 2015م بنحو 11 مليون دولار، وذلك بحسب بيان للشركة التُّركِيَّة التي تدير الميناء(2).

---

1. طارق القزم، دراسة "الحُضور التركي في القَارّة الإفريقيَّة جزء 2"، مركز "مقديشو للبحوث والدراسات"، تاريـــخ النشر: 3 مايـــو 2018م"، تاريخ الاطلاع 12 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/Tj651d
2. طارق القزم، دراسة "الحُضور التركي في القَارّة الإفريقيَّة جزء 2"، مركز "مقديشو للبحوث والدراسات"، مرجع سابق.

كما أنفقت الهيئات التُّركِيَّة الحكوميَّة والمستقلَّة نحو 400 مليون دولار لدعم الصومال في المجال الإنســـاني والبِنْيَة التحتيَّة، بما فيها تشييد شوارع على مسافة أكبر من 23 كم، داخل العاصمة، فضلاً عن بناء مدارس ومستشفيات تُعَدُّ الأحدث في منطقة شرق إفريقيا، وترميم أكبر مصنع ســـكر في مدينة جوهر (شمال)، المُطِلَّة على نهر شبيلي، والمدمَّر منذ 25 عاماً، بغيّة الارتقاء بالإنتاج المحليّ، وإعادة تشغيل المصانع التي دُمِّرَت بفعل الحروب الأهليَّة، إلى جانب إعادة ترميم ســـدود نهر شـــبيلي، لمنع الفيضانات، وضمان استغلال مياهه طوال العام ودون انقطاع(1).

مجالات الدعم التركي للصومال (إغاثي، تنموي، اقتصادي...)

قدَّمت أنقرة مســـاعدات ماليَّة وتنمويَّة بقيمة 21 مليار دولار إلى 170 بلداً خلال 7 أعـــوام، كان نصيب إفريقيا منها 54.9%، واحتلَّت الصومال المرتبة الثالثة من قيمة المساعدات التُّركِيَّة في العام 2016م فقط، بقيمة تبلغ نحو 750 مليون دولار(2).

وتتمحور المســـاعدات التُّركِيَّة للصومال في دعـــم مختلف المجالات التنمويَّة؛ حيث أكَّد الســـفير التركي لدى مقديشو "أولغن بيكر"، أنَّ أنقرة رائدة في مجاليّ الاستثمار والدعم الإنســـاني في الصومال، بنحو 500 مليون دولار(3)، ففي الشؤون الصِّحِّيَّة، ساهمت وكالة تيكا في تدشين مستشفى "رجب طيب أردوغان" العام 2015م، بطاقم طبِّـــيّ مكون مـــن 90 كادراً تركياً و200 صوماليّ، بينهـــم 18 طبيباً مُخْتَصّاً، وكذلك

1. ســـفير أنقرة بمقديشـــو: تركيا "دولة رائدة" في الاســـتثمار والدعم الإنساني بالصومال، الموقع الرسمي لوكالة "الأناضـــول" التُّرْكِيَّـــة، تاريـــخ النـــشر 4 ســـبتمبر 2016، تاريخ الزيـــارة 13 يناير 2019، متـــاح على الرابط التالي:https://goo.gl/9KTMQC.
2. تركيا تقدم مساعدات ماليَّة تنمويَّة بقيمة 21 مليار دولار إلى 170 بلداً خلال 7 أعوام، الموقع الرسمي لمؤسسة الإذاعـــة والتلفزيـــون التُّرْكِيَّة TRT، تاريخ النشر 6 ديســـمبر 2017، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/tNFYAz.
3. ســـفير أنقرة بمقديشـــو: تركيا "دولة رائدة" في الاســـتثمار والدعم الإنساني بالصومال، الموقع الرسمي لوكالة "الأناضول" التُّرْكِيَّة، مرجع سابق.

تجهيزها بكافة المعدَّات وأحدث الأجهزة الطبيَّة، بما يجعلها مُؤَهَّلَة لاستقبال من 200 - 400 مريــــض يوميّاً، و132 ألفاً من الحالات الحرجة بدون تكلفة تُذْكَر، حتى باتت مقصداً للمرضى من دول الجوار، وستُدار المستشفى لمدة 5 سنوات بشكل مشترك بين الجانبين التركي والصوماليّ، على أن تنتقل إدارته إلى الصومال فيما بعد(1).

وأطلقت الهيئة الإغاثية التُّركِيَّة (IHH) العام 2007 مشروعاً مطوّلاً لمدة عشر سنوات بعنوان "إن أبصرتم فإنهم ســـيبصرون"، يســـتهدف إجراء 100 ألف عمليَّة لمكافحة مرض "الساد" في إفريقيا(2).

وفي شـــؤون التعليم، دشَّـــنت الهيئة الإغاثية التُّركيَّة "IHH" العام 2014م أول كليَّة زراعة في الصومال داخل جامعة زمزم، تحت اســـم "كليَّة الأناضول"، بحيث تساهم في تحســـين الإنتاج الزراعي، وزيادة الخبرة الزراعيَّة للصوماليين بشأن ما تواجهه من مجاعات وأزمات غذائيَّـــة، فتتبنَّى الكلية تعليم 40 طالباً بالمجان، بالإضافة إلى اشـــتمالها على مكتبة كبيرة تحتوي على مختلف الكتب باللغات الإنجليزيَّة والعربيَّة والتُّركِيَّة، ومختبر تحليل للماء والتربة(3).

كما قامت وكالة "تيكا" التُّركِيَّة العام 2016م بترميم مدرسة "صوناد" لضِعاف السمع، وتجهيزهـــا بأحدث الأجهزة التعليميَّة التكنولوجيَّة(4)، بالإضافة إلى تدشـــين مركز لتعليم الطيران العام ذاته وتســـليمه فيما بعد لـــوزارة النقل؛ حيث ذكر وزير النقل

1. مستشفى "أردوغان" الأكبر في الصومال وشرق إفريقيا، الموقع الرسمي لمؤسَّسَة الإذاعة والتلفزيون التُّرْكِيَّة TRT، تاريخ النشر 29 سبتمبر 2015، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي:.https://goo.gl/DC2qPf
2. ihh" التُّرْكِيَّة تجري 100 ألف عملية "كتاراكت" في إفريقيا، موقع وكالة haberler، تاريخ النشر 16 نوفمبر 2017، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي:https://goo.gl/f2uuht.
3. كلية "الأناضول" بمقديشـو.. تزرع في الشـباب ليحصـد الصومال، موقع وكالة "الأناضـول" التُّرْكِيَّة، تاريخ النشر 27 سبتمبر 2016، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/6dTKBS.
4. دعم مدرسة ضعاف السمع في الصومال، موقع وكالة "تيكا التُّرْكِيَّة للتعاون والتنسيق"، تاريخ النشر 19 سبتمبر 2016، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/rfGAAR.

والطيران الصومالي آنذاك محمد عبدالله صلاد أن هذا المركز يســاهم في تطوير الطيران المدني الصومالي، وسيشــكّل نقلة كبرى لعودة مؤسسة الطيران والأرصاد الجويَّــة، التي تمَّ نقلها إلى العاصمة الكينيَّة "نيروبي" عقب انهيار الحكومة المركزيَّة في الصومال(1).

ولتركيا نصيب كبير من المساعدات الزراعيَّة المقدَّمة إلى دول إفريقيا عامة والصومال خاصةً، نتيجة لأزمات الجفــاف التي تعاني منها البلاد بصورة متكرِّرة، لذلك فليس من المســتغرب أن تساعد هيئة الإغاثة التُّركِيَّة (IHH) بالتعاون مع "البنك الإسلامي للتَّنْمِية"، في حَفْر 36 بئراً عميقة بعُمق يترواح بين 300 و500 متر، وبتكلفة 6 ملايين و120 ألف دولار، وتزويدها بمُوَلِّدَات وأجهزة طاقة شمســيَّة لتأمينها بالطاقة بشكل مســتمِرّ، وتقديم التدريب المتطوّر للشعب الصومالي على كيفية استخدام مثل هذه الآبار، بالإضافة إلى إنشــاء مخازن على عُمْق 15 – 20 متراً تســاعد على ضخّ المياه حتى مســافة 2 كيلو متر، وبذلك يكون إجمالي الآبار التي حفرتها الهيئة نحو 1100 بئر طوال الأربع سنوات الماضية (2).

ومنحت وكالة "تيكا" أيضاً العام 2016م تسعة جرَّارَات زراعية إلى تسعة مزارعين من مناطــق مختلفة في الصومال، وفق مشروع تعاون ثنائي بعنوان "تيكا تنقل الجرَّارَات إلى إفريقيا"، بهدف دعم التنمية الزراعيَّة في البلاد(3).

1. "تيكا" التُّرْكيَّة تسـلّم الصومال مركزا لتعليم الطيران المدني، موقع "تركيا بوسـت"، تاريخ النشر 26 سـبتمبر 2017، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/dYYgmi.
2. "الصومـال.. هيئـة الإغاثـة التُّرْكِيَّة تعتـزم حفر 36 بئراً للماء"، موقـع "هيئة الإذاعة والتليفزيـون التُّرْكِيَّة TRT"، تاريـخ النشر 5 مارس 2016، تاريـخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي:https://goo. gl/5hHVxY .
3. طارق القزم، دراسـة "الحُضور التركي في القَارّة الإفريقيَّة جزء 2"، مركز "مقديشـو للبحوث والدراسـات"، مرجع سابق.

وفي الجانــب الإغاثي، لم تتأخَّر تركيا أيضاً عن دعم الصومال، فعلى ســبيل المثال؛ أرســلت جمعية الهلال الأحمر التُّركِيَّة العــام 2016م وبالتعاون مع إدارة الكوارث والطوارئ التُّركِيَّة "أفاد"(1)مساعدات إنسانيَّة بقيمة 23 مليون ليرة تركي، وساهمت أيضاً في نقل57 جريحاً صومالياًّ مع 46 من مرافقيهم العام 2011م بغرض معالجتهم، وكذلك تكلّفت إدارة الكوارث التُّركِيَّة نحو 6 ملايين ليرة لنقل مســاعدات تُقدِّر بـ 5 آلاف طن من السكر و6 آلاف طن من الطحين إلى الصومال(2).

كما قدَّمت هيئة الإغاثة التُّركِيَّة (IHH) العام 2011 مســاعدات للبلاد تقدَّر بـ6000 طن بالتعاون مع "جمعية العون المباشر"، كما قدَّمت مساعدات إغاثية تصل إلى نحو 9 آلاف صومالي من متضرري الجفاف(3)، كما أنشــأ الهلال الأحمر التركي معسكراً للنازحين ومستشفى ومخيماً للمساعدات يستوعب نحو 250 شخصاً (4).

وبالإضافــة إلى هذا نظَّمت (IHH) عدداً مــن حملات التبرعات للعام 2017م في محافظة ســكاريا التُّركِيَّة بغرض إنشاء مركز لرعاية الأيتام في الصومال يتَّسع لـ24 طفلــة يتيمة(5)، كما افتتحــت وكالة "تيكا" مركز "كــدري" لرعاية الأيتام وأطفال

1. هي إدارة الكوارث والطوارئ التركية "آفاد" (AFAD)، وهي منظمة إنسانيَّة تعنى بإيصال المساعدات الإغاثية إلى كل محتــاج في العــالم، وتتبع للحكومة التركية. حصلت آفاد على المرتبة الرابعة في مســتوى المســاعدات الإغاثية الدولية لعام 2012، بين كل من أمريكا وإنجلترا والأمم المتحدة، ودخلت بذلك إلى مســتوى العالمية في الإغاثة. للمزيد ينظر الرابط التالي: http://cutt.us/KuOUE
2. 450 مليون ليرة مساعدات إنسانيَّة تركيَّة للصومال"، موقع "تركيا الآن"، مارس 2017، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/w1auM2.
3. "مساعدات إغاثيَّة تركيَّة تصل 9 آلاف صومالي من متضرِّري الجفاف"، موقع "يني شفق"، 26 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي:https://goo.gl/oWYpsj.
4. "أردوغــان يصــل الصومال في زيارة تاريخيَّة"، موقع "هيبريس"، 2011، تاريخ الزيارة 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي:https://goo.gl/JvMNre.
5. "بنــاء مركــز لرعاية الأيتام في الصومال"، موقع "هيئة الإغاثة الإنســانيَّة IHH"، 11 ديســمبر 2017، تاريخ الزيارة 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي:https://goo.gl/DGcGeV.

الشـــوارع في الصومال وتوفير التعليم والحياة الســـويّة لأكثر من 100 طفل، فيضمُّ سكناً ومدرسة إعداديَّة لتعليم وتأهيل أطفال الشوارع(1).

التدريب العسكري لقوات الشرطة الصوماليَّة

تُولِي تركيا اهتماماً كبيراً للمجال العســـكري ضمـــن علاقاتها المثمرة مع الصومال، ولذلـــك وقَّعت معها اتفاقيَّة للتدريب والدفاع المشـــترك، وبموجبها قرَّرت أنقرة في ســـبتمبر 2017م تدشين أكبر قاعدة عسكريَّة ومعسكر تدريبي في البلاد بما يساعد الجيش الصومالي على تطوير قُدُرَاته العســـكريَّة ومواجهة حركة الشباب الإسلاميَّة المتشـــدِّدة وغيرها من الجماعات المتطرِّفة المسلَّحَة، وتسلم مهامّ الأمن في البلاد من القوَّات الإفريقيَّة والدوليَّة.

وفي الإطار ذاته، أعلن ســـفير تركيا لدى الصومال "أولغن بيكر" العام 2016م، أن أنقرة تقدِّم إلى الصومال 2 مليون دولار شهريّاً لدعم موازنة الحكومة الصوماليَّة، من أجل مساعدتها على دفع رواتب عناصر الشرطة، إلى جانب تدريب الآلاف من القوات الحكوميَّة وآلاف غيرهم، من خلال مركز تدريب عسكري في ضواحي مقديشو، وأن كل دفعة عسكريَّة ستخضع لأربع سنوات من التدريب(2).

زيارات ثنائيَّة على مستوى القمَّة

يُعتبر الرئيس رجب طيب أردوغان أول رئيس وزراء غير عربي يزور مقديشـــو خلال عقدين من الزمان، بعدما أجرى زيارته الشـــهيرة إلى الصومال العام 2011م بهدف

1. "تيكا التُّرْكِيَّة" تفتتح مركزاً لرعاية أيتام وأطفال الشـــوارع بالصومال"، موقع وكالة "haberler" التُّرْكِيَّة، 19 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي:https://goo.gl/rXEvCn.
2. ســـفير أنقرة بمقديشـــو: تركيا "دولة رائدة" في الاســـتثمار والدعم الإنساني بالصومال، الموقع الرسمي لوكالة "الأناضول" التُّرْكِيَّة، مرجع سابق.

تفقُّد ضحايا أسوأ مجاعة تمرّ بها البلاد منذ تلك الفترة، ولَفْت أنظار المجتمع الدولي لحجم هذه المجاعة(1)، ولم تتوقَّف هذه الجولات الدؤوبة لأردوغان إلى إفريقيا حتى بعد تولّيه منصب الرئاسة، فقد أجرى مطلع العام 2015م زيارة رسميَّة إلى العاصمة الصوماليَّة "مقديشو"، في زيارة هي الأولى لرئيس دولة غير إفريقيَّة إلى البلاد منذ أكثر من عشرين عاماً(2).

وخـــلال العام 2016م قام الرئيس أردوغان بزيارة إفريقيَّة ذات مغزًى عميق ضمَّت إثيوبيا، وجيبوتي، والصومال، وذلك من أجل افتتاح مقرّ السفارة التُّركِيَّة الجديدة في الصومال، والتي توصف بأنها أكبر ســـفارة في إفريقيا للدولة التُّركِيَّة، وتُوِّجَت هذه الزيارة بتوقيع عدد من البروتوكولات التعاونيَّة في مجالات التعاون الضريبي والطبّ البيطري والطاقة والتعدين ومجال التعليم، وأشـــار الرئيس أردوغان خلال الزيارة إلى أن بلاده فَرَغَتْ مـــن المشروع التخطيطي لبناء مبنى جديد للبرلمان الصوماليّ، والذي يستغرق تنفيذه عامين، مؤكداً أن هذا المشروع سيكون بمثابة هدية من الشعب والجُمهورِيَّة التُّركِيَّة إلى الصومال(3).
كـــما أثمرت تلك الزيارة إعلان أنقرة توقيع اتفاقيَّةٍ جديدةٍ مع الصومال لإقامة أكبر قاعدةٍ عسكريَّةٍ خارج تركيا، تحجز مساحة للجيش التركي في خليج عدن الاستراتيجي، ومنطقة القرن الإفريقي الحيويَّة(4).

1. محمود سمير الرنتيسي، دراسة "الدور التركي بشرق إفريقيا في ظلّ التنافس الإقليمي"، موقع "الجزيرة"، 27 يناير 2015، تاريخ الزيارة 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/g65Jai.
2. "الرئيس التركي يصل إلى مقديشو في زيارة رسميَّة للصومال"، موقع "BBC عربي"، 25 يناير 2015، تاريخ الاطلاع 12 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/K99zv8.
3. محمد سعيد مري، "لماذا تهتمّ تركيا بالصومال؟"، موقع "مركز مقديشو للبحوث والدراسات"، 7 يونيو 2016، تاريخ الاطلاع 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/bMMzxA.
4. مصطفى شـــفيق علام، دراســـة "التغلغل الناعم: إفريقيا في الاســـتراتيجية التُّرْكِيَّة.. المحدّدات والســـياقات والتحدّيات"، موقع مجلة "قراءات إفريقيَّة"، 8 يونيو 2017، تاريخ الاطلاع 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/QxMD7s.

كما أشرف الرئيس أردوغان ونظيره الصومالي "حسـن شـيخ محمود[1]"- خلال الزيارة ذاتها- على توقيع تِسْع اتفاقيَّات مشتركة بين أنقرة ومقديشو، شملت المجالات الاقتصاديَّة والأمنيَّة والعسـكريَّة والصحيَّة؛ إذ وقَّع وزير المال التركي "ناجي إقبال" ونظيره الصومالي "محمد إبراهيم فرغيتي" على عدد من المشـاريع الاستثماريَّة في الصومال، شـملت مجالات المياه المعدنيَّة والزراعة والنظام الضريبي، وكذلك وقّع وزير الخَارجِيَّة التركي "مولود جاويش أوغلو" ونظيره الصومالي "عبد السلام هدلية" على اتفاقيَّة للتعاون الثنائي في المجالين الصحيّ والعسكريّ[2].

وفي المقابل، اختار الرئيس الصومالي "محمد عبد الله فرماجو"، تركيا لتكون محطته الخَارجِيَّـة الأولى منذ تولّيه منصبه في فبراير/ شـباط 2017م؛ حيث أجرى زيارة رسـميَّة إلى أنقرة في أبريل من العام ذاته، تلبيـةً لدعوة الرئيس التركي أردوغان، بهدف إجراء مناقشـات بشـأن توطيد العلاقات الثنائيَّة بين البلديْن، وسُبُل تعزيز الدعم التركي للشعب الصومالي[3].
وقد استقبلت الرئيس الصومالي فرقة الخيَّالة التابعة لحرس القصر الرئاسي التركي، ورافقته إلى مكان إجراء مراسـم الاستقبال، كما عُزِف النشيدان الوطنيان؛ التركي والصومالي، وذلك بحضور وزير الأغذية والزراعة والثروة الحيوانيَّة التركي، فاروق

1. حسـن شـيخ محمود (29 نوفمبر 1955)، رئيس الصومال الثامن، ورئيس حزب السـلام والتنمية. يتحدر من قبيلة هوية. انتخبه البرلمان الصومالي رئيسًا للجمهورية في 10 سبتمبر 2012م بعد أن حصل على 190 صوتًا في الـدورة الثانيـة مـن الانتخابات، متغلبًا على الرئيس المنتهية ولايته شريف شـيخ أحمد والذي حصل على 79 صوتًا. صنَّفته مجلة تايم من بين الشـخصيات المائة الأكثر تأثيراً في العالم. للمزيد ينظر الرابط التالي: http://cutt.us/N3lB1
2. "أردوغان ونظيره الصومالي يشرفان على حفل توقيع عدد من الاتفاقيات بين بلديهما"، موقع "ترك برس"، 4 يونيو 2016، تاريخ الاطلاع 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/qMG5Vb.
3. "الرئيس الصومالي يزور تركيا لبحث سـبل تعزيز العلاقات الثنائيَّة"، موقع "تركيا بوسـت"، 25 أبريل 2017، تاريخ الاطلاع 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/g4gjcp.

جليـــك، ووزير التنمية لطفي ألوان، والســـكرتير العام لرئاســـة الجُمهورِيَّة فخري كاصرغا، ونائب السكرتير العام لرئاسة الجُمهورِيَّة والناطق باسمها إبراهيم قالن(1).

خامساً: تركيا في القوقاز وآسيا الوسطى:

تُعْرَف آســـيا الوســـطى عند العرب تاريخيّاً بمنطقة "تركستان الكبرى"، وأيضاً "بلاد ما وراء النّهر"(2)، وقد دخلها الإســـلام فعليّاً عام 86هـ، واســـتمَرَّتْ الفتوحات بها إلى ســـنة 97هـ(3)، وهي تَتَمَتَّع بموقع اسْـــتِرَاتِيجِيّ وحَيَوِيّ مُهِمّ، نظراً لوقوعها بين روســـيا والصين، وأفغانســـتان وإيران، وقُرْبهَا من تركيا، وتُعْتَبَرَ اللغة التُّركِيَّة اللغة الأُمّ لخمسِ دولٍ من دول آسيا الوسطى، وهي: كازاخستان، أذربيجان، وأوزباكستان، قيرغيزستان، تركمانســـتان(4)، وتتشابه العادات والتقاليد في هذه الدول مع تركيا، نظراً لوجود رابط الدين بينها.

أما القوقاز فتَتَأَلَّف من منطقتين؛ منطقة تَضُمّ ثلاث دول مُسْـــتَقِلَّة نالت استقلالها بعد تَفَكُّك الاتِّحَاد السُّـــوفِييتِيّ، وهي جورجيـــا وأرمينيا وأذربيجان، ومنطقة أخرى

1. "أردوغان يستقبل الرئيس الصومالي بمراسم رسمية"، موقع وكالة "الأناضول" التُّرْكِيَّة، 26 أبريل 2017، تاريخ الاطلاع 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/yN2ANv.
2. تَحْتَلّ منطقة آســيا الوســطى مكانة كبيرة في التاريخ الإســلامي؛ فهي مَهْدُ عِلْمٍ ومَوْطِنُ علماء بحواضرها الإسْــلَامِيَّة الكبرى مثل: ســمرقند، وبُخارَى، وخوارزم، وترْمِذ، وغيرها. وقد أَطْلَقَ عليها المسلمون في القرن الأوَّل الهجري "بلاد ما وراء النهر"، والتي تَضُمُّ منطقة شاســعة وغنيَّة بالثروات الطبيعيَّة، تمتدُّ من تركيا غربــاً حتــى حدود الصين شرقاً. للمزيد يُنْظَر: التعريف بمنطقة وســط آســيا وبــلاد القوقاز، موقع قِصَّة الإسلام، 19 يوليو 2008، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/WsvZre
3. طه عبدالمقصود، فتح بلاد ما وراء النهر، موقع قصة الإســلام، 21 ســبتمبر 2014، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/31dKLM
4. محمد الأمين مقراوي الوغليسي، "الصعود التُّرْكِيّ في آســيا الوســطى الواقع والآمال"، مجلة البيان اللندنيَّة، 28 ديسمبر 2016م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/kfmMfq

تُسَـمَّى بالقوقاز الرُّوسِيّ، وهي تَتَأَلَّف من كراسـنودار كراي، ستافروبول كراي، أديغيا، قراتشاي - تشيركيسيا، قبردينو - بلقاريا، الشيشان، إنغوشيا، أوسيتيا الشماليَّة وداغسـتان. كما يَضُمّ القوقاز ثلاث دول أعلنت اسـتقلالها وغير معترف بها دَوْلِيّاً، وهي: أبخازيا، أوسيتيا الجنوبيَّة، وقرة باغ.

انفصلـت هذه المنطقـة مُبَكِّراً عن الخلافة العُثْمَانِيَّة، مـا جعلها تَرْزَحُ طويلاً تحت السَّـيْطَرَة الرُّوسِـيَّة(1)، الَّتِي أزاحت الإسلام من المشـهد الحياتي في هذه الدول، ونشرت الشيوعيَّة بين السـكان، وحاربت كُلّ الحركات الَّتِي حاولت استرجاع هُوِيَّة المنطقة؛ الأمر الَّذِي جعل الأتراك يبتعدون عن الاقتراب من تركستان الكبرى - آسيا الوسـطى - ؛ تفادياً للصدام مع الـروس، الَّذِين يعتبرونها حديقة خَلْفِيَّة كبرى لهم، ومنطقة حيويَّة لمصالحهم، بعد تَفَكُّك الاتِّحَاد السُّوفِيِيتِيّ، وإعلان دول آسيا الوسطى استقلالها رسـمياً، حاول الأتراك إعادة الارتباط بهذه المنطقة، فظهرت الكثير من المبادرات والمشاريع(2).

1. تعـود أطماع روسـيا في القوقاز إلى عـام 1556م، حيث بدأ التَّحَرُّك الروسيّ نحـو القوقاز، من خلال بناء المسـتعمرات، والقِلاَع والتحالف مع قبائل القوزاق المسـيحيِّينَ لحمايَّة هذه القِلاَع، إضافةً إلى إرسال البعثات التنصيريَّة هناك. بيد أن سياسـة التنصير فَشَـلَتْ ولم تُؤْتِ ثمارها، فَقَرَّرَتْ روسـيا استخدام القُوَّة العَسْكَرِيَّة فَشَنَّتْ 120 حرباً ضد العُثْمَانِيِّين الأتراك، استغرقت 150 عاماً. إضافةً إلى 60 حرباً ضد الصفويِّينَ الفُرْس، اسـتغرقت 94 عاماً. وهكذا أضعفت روسـيا كلاً من العُثْمَانِيِّين والإيرانيِّينَ مُسْتَغِلَّة الصراع التاريخي الإيراني العُثْـمَانِيّ، لتثبيـت أقدامهـا في القوقاز. ما أدَّى في الأخير إلى إرغام إيران عـلى عقد معاهدة "تركمانكي" عام 1828، والتي اعترفت إيران، بموجبها، للقيصر الروسي بالسـيادة على القوقاز. كما أرغمت العُثْمَانِيِّين عـلى التوقيع على سلسـلة مـن المعاهدات مثل معاهـدة "قينارجه" عام 1774، ومعاهـدة أدرنة عام 1829، والتي اعترف فيها الأتراك بسـيطرة الروس على شـمال القوقاز. للمزيد يُنْظَر: "دخول الإسلام بلاد القوقاز، والاستعمار الروسي حتى القرن الثامن عشر"، موسوعة مقاتل من الصحراء، د. ت، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hLbs5Q
2. محمد الأمين مقراوي الوغليسي، "الصعود التُّركِيّ في آسيا الوسطى الواقع والآمال"، مرجع سابق.

وتقوم السِّيَاسَـــة العَامَّة لأنقرة تجاه آســـيا الوسطى على دعم دول هذه المنطقة فيما يَخُصّ مواصلتها لوجودها كدول مُسْـــتَقِلَّة، ومُسْـــتَقِرَّة سِيَاسِيّاً واقْتِصَادِيّاً، ومتعاونة فيما بينها ومع جوارها، ومتكاملة مع المجتمع الدَّوْلِيّ، ومُتَمَسِّكَة بالقِيَم الديمُقْرَاطِيَّة. وبفضل هذه السِّيَاسَة أصبحت تركيا أحد الشركاء المُهِمِّينَ لدول المنطقة. وتُعْتَبَر اتِّفَاقيَّة الشراكة الاسْتِرَاتِيجِيَّة المُوَقَّعَة بين تركيا وكازاخستان في عام 2009م نموذجاً للتعاون الوثيق بين تركيا ودول المنطقة. (1)

كما أصبحت تركيا رائدةً لـ"قمم قادة الدول الناطقة بالتُّركِيَّة"(2)الَّتِي بدأت بالانعقاد منـــذ عام 1992م(3)، وذلك من أجل زيـــادة التضامن بين الدول الناطقة بالتُّركِيَّة، وخَلْـــق فُرَص تعاوُن جديدة فيما بينها. وقد اكتَسَـــبَتْ عَمَلِيَّة تنظيم هذه القِمَم بِنْيَةً مُؤَسَّسَاتيَّة بالتوقيع على اتِّفَاقيَّة ناهتشيفان(4).

وقد تَأَسَّـــسَ المجلس المذكور في القِمَّة العاشرة لقـــادة الدول الناطقة بالتُّركِيَّة الَّتِي عُقِدَتْ في إســـطنبول في شهر أيلول 2010م؛ حيث أُقِيمَ مَقَرّ الأمانة العَامَّة للمجلس في إسطنبول، وتَوَلَّى سفير تركي سابق منصب الأمين العام للمجلس.(5)

1. ســـمير صالحة، "ماذا فعل أردوغان في كازاخســـتان؟"، ترك برس، 17 أبريل 2015م، تاريخ الزيارة 1 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/TA24XM
2. وَقَّعَـتْ تركيا وأذربيجان وكازاخســـتان وقرغيزيا في 3 أكتوبـــر 2009م في مدينة نخجوان الأذربيجانيَّة، على وثيقة تأســـيس "مجلس التعاون للدول الناطقة باللغة التُّرْكِيَّة "، ثم انْضَمَّتْ أوزبكســـتان إلى المجلس في أبريل 2018م. للمزيد يُنْظَر: أوزبكستان تَنْضَمُّ إلى مجلس التعاون للدول الناطقة باللغة التُّرْكِيَّة ، تي آر تي العَرَبِيَّة، 30 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/CxUw8t
3. "بيـــان حـــول يوم التعاون بين الدول الناطقة بالتُّرْكِيَّة "، وزارة الخَارِجِيَّـــة التُّرْكِيَّة ، 3 أكتوبر 2016م، تاريخ الزيارة 1 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5Z68BT
4. هـــي اتفاقيَّـــة مُتَعَلِّقَة بتأســـيس مجلس تعاون بين الدول الناطقة بالتُّرْكِيَّة تَـــمَّ التوقيع عليها بتاريخ 3 تشرين الأول 2009م بجمهوريَّة ناهتشـــيفان، وهي جمهوريَّة ذاتيَّة الحكم، تابعة لجمهوريَّة أذربيجان. للمزيد يُنْظَر: "العلاقات التُّرْكِيَّة مع دول آســـيا الوســـطى"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، د.ت، تاريخ الزيارة 20 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4RFn8i
5. "العلاقات التُّرْكِيَّة مع دول آســـيا الوســـطى"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، د.ت، تاريخ الزيارة 20 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4RFn8i

ويتابع موقع الخَارجيَّة التُّركِيَّة بأن العلاقات التُّركِيَّة مع جمهوريَّات آسيا الوسطى قفزت بشكل سريع، وقطعت أشواطاً مُتَقَدِّمَة على صعيد العلاقات التِّجَارِيَّة والنقل والاتِّصَالات. وقد بلغت قيمة القرض الَّذِي منحته تركيا لدول المنطقة عبر مصرف أكسيم بنك Exim bank حوالي مليار دولار أمريكي. كما تَمَّ إنشاء رئاسة الوكالة التُّركِيَّة للتعاون والتنسيق(1) TiKAمن أجل تقديم المساعدات التِّقْنِيَة لجمهوريات آسيا الوسطى.

ومن ناحية أخرى، وصل حجم التبادل التِّجَارِيّ بين تركيا ودول المنطقة إلى حدود 6.5 مليار دولار أمريكي، وتجاوز مجموع استثمارات الشركات التُّركِيَّة في المنطقة 4.7 مليار دولار أمْرِيكِيّ في عام 2010م. أما قيمة المشاريع الَّتِي نفَّذتها شركات التعهدات التُّركِيَّة في المنطقة فقد وصلت إلى حدود 30 مليار دولار أمريكي، وهناك حوالي 2000 شركة تُرْكِيَّة تعمل في المنطقة.(2)

ولم تقتصر جهود تركيا على القضايا السِّيَاسِيَّة والاقتِصَادِيَّة؛ إذ سَعَتْ لنشر ثقافتها هناك أيضاً، وفي عام 1992م أنشأت تركيا وكالة أخرى كانت مسؤولة عن ترويج الفن والثقافة التُّركِيَّة، ويقع مَقَرّهَا الرئيس في أنقرة. دعت تركيا دول آسيا الوسطى (كازاخستان وتركمانستان، وأوزبكستان وطاجيكستان وقيرغيزستان، وكذلك أذربيجان) للانضمام إلى هذه المُنَظَّمَة"(3).

1. وكالة التعاون والتنسيق التُّرْكِيَّة (تيكا) تَأَسَّسَتْ بتاريخ 24 يناير/كانون الثاني 1992م لتنسيق علاقات تركيا المُتَنَوِّعَة مع الدول التُّرْكِيَّة الموجودة في وسط آسيا، وكان الهدف الأساسي من تأسيسها هو مساعدة الجمهوريات التُّرْكِيَّة الموجودة في وسط آسيا على إعادة تأسيس وتطوير وتأهيل نفسها، وبالتالي جعلها قريبة لتركيا أكثر من غيرها من الدول، ومع الوقت توسعت (تيكا) لتنتشر أنشطتها عبر 56 مكتب برنامج تنسيق في 54 دولة شريكة في التَّنْمِيَة. للمزيد يُنْظَر: حول تيكا، رئاسة الوكالة التُّرْكِيَّة للتعاون والتنسيق، د. ت، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/fjaFgZ
2. "العلاقات التُّرْكِيَّة مع دول آسيا الوسطى"، وزارة الخَارجِيَّة التُّرْكِيَّة ، د.ت، تاريخ الزيارة 20 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4RFn8i (مرجع السابق).
3. "روسيا.. بوابة تركيا إلى آسيا الوسطى"، مركز دراسات كاتيخون، 22 أغسطس 2016م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jXaNfo

وَرَغْمَ الاهتمام التُّرْكيّ بالمنطقة إلا أن طريقها لم يكن مُعَبَّداً أبداً، إذ برزت المخاوف من النُّفُوذ التُّرْكيّ في أواخر التسعينيَّات وبدايَة القرن الجديد حول قضيَّة الإرهاب. وتَمَّ ربط الهجمات الإرهَابِيَّة الَّتِي وقعت في أوزبكستان، وطاجيكستان، وقيرغيزستان بالإسلام الراديكاليّ، وكان يُنْظَر إلى تركيا على نحو متزايد على أنها ذات تأثير ضارّ. وقد بدأ النظر لتركيا باعتبارها الأكثر نفوذاً في الأُمَّة الإسْلامِيَّة وأنها مروّجة للأفكار الإسْـــلامِيَّة الراديكاليَّة، وعليه تَوَلَّتْ أوزبكســـتان موقفاً أكثر صرامة تِجَاه تركيا بعد هجمات إرهَابِيَّة في طشقند(1) في العام 1999م(2).

واتَّهَمَتْ النُّخْبَة الحاكِمَةُ المُعَارَضَةَ بالهجمات، وحصلت المُعَارَضَة في المقابل على حَقِّ اللجوء السِّيَاسِيّ إلى تركيا. كما لاقَتْ النَّزْعَة القَوْمِيَّة التُّرْكِيَّة في وقتٍ لاحقٍ انتقادات شديدة في أوزبكستان، واستمرَّت علاقات هذا البلد بتركيا فقط في المجال الاقتِصَادِيّ. ولكن في عام 2011م وُضِعَتْ الحكومة التُّرْكيَّـــة مَرَّة أخرى تحت ضغط من الحكومة الأوزبكيَّة. بعدما اتَّهَمَتْ طشـــقند الشركات التُّرْكِيَّة بدعم المتطرفين الدينيِّينَ، الَّذِين كانوا ينشرون الأفكار الإسْـــلامِيَّة الراديكاليَّة. وتَمَّ طرد معظم المصانع ومراكز الأســـواق المُتَّصِلَة بالاستثمارات التُّرْكِيَّة من أوزبكســـتان، وأيضاً تمَّت ممارســـة ضغط مِن قِبَـــل المواطنين على الأتراك المقيمين في أوزبكستان. وكان من هذه الضغوط عَمَلِيَّة الطرد لِمُجَرَّد الهُوِيَّة التُّرْكِيَّة(3).

وحينما قَدَّمَتْ كازاخستان عام 2009م دعوة لتأسيس اتِّحَاد للدول الناطقة بالتُّرْكِيَّة "يشـــمل أذربيجان وكازاخستان وقيرغيزستان وتركيا تَجِد نفسها قائدة فيه. رفضت

1. في فبرايـر 1999م، شـهدت العاصمـة الأوزبكيَّة طشـقند عِـدَّة تفجيرات إرهابيَّـة، أدَّت إلى مقتل عشرات الأشـخاص وإصابة المئات، وقد اتَّهَمَتْ الحكومة حركة أوزبكسـتان الإسْـلامِيَّة وفصائل مُنْشَـقَّة عنها بتنفيذ العمليَّات. للمزيد يُنْظَر: أوزبكستان على عتبة مرحلة جديدة، صحيفة الحياة اللندنيَّة، 8 سبتمبر 2016، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/w6mtpm
2. "روسيا.. بوابة تركيا إلى آسيا الوسطى"، مركز دراسات كاتيخون، مرجع سابق.
3. المرجع السابق.

أوزبكســـتان وتركمانستان هذه الدعوة. لم يعترض المســـؤولون الأتراك على هذا، مدركين أن جمهوريات آسيا الوسطى لا تريد اسْترِاتِيجِيَّة الأخ الأكبر"(1).

وقد غيَّرت تركيا منذ مجيء حزب العدالة والتَّنْمِيَة إلى السُّلْطَة عام 2002م من أسلوب تعاملها مع منطقة القوقاز وآسيا الوسطى، واتَّبَعَتْ فلسفة التعاون والشراكة وقَدَّمَتْ نفسها على أنها الدَّوْلَة الحريصة على الأمن والاستقرار، آخِذَة بعين الاعتبار مُعْطَيَات الجوار الجُغْرَافِيّ والقَوْمِيّ والاقْتِصَادِيّ وارتباط المصالح، "ولتكتمل دائرة تحســـين العلاقات بين تركيا والقوقاز سَـــعَتْ الدُبْلُوماسِيَّة التُّركِيَّة من أجل استئناف علاقاتها مع أرمينيـــا، وتجاوز العُقَد التَّارِيخِيَّة الَّتِي تَحُـــولُ دون ذلك، ولتحقيق هذا الهدف التقى بعض مســـؤولي البلدين وبحثوا في إمكانيَّة استئناف العلاقات بينهما، فضلاً عن الزيارات المتبادلة على أعلى المســـتويات بين البلدين، حتى تَوَصَّلَ الجانبان إلى التوقيـــع على اتِّفَاق التطبيع بينهما في 10 تشرين الأَوَّل / أكتوبر2009م، لكن قضيَّة ناجورنو كارباخ(2) حالت دون مصادقة برلمانيّ البلدين عليه. (3)

إنّ تطبيع العلاقات بين تركيا وأرمينيا يكتســـب أهَمِّيَّة كبيرة من زاوية علاقات تركيا بأذربيجان، وكذلك علاقات أذربيجان بأرمينيا، وتبقى مســـألة تطبيع العلاقات بين تركيا وأرمينيا تراوح مكانها إذا لم تُحَلُّ المشـــاكل العالقة في العلاقات بين أذربيجان

1. روسيا.. بوابة تركيا إلى آسيا الوسطى"، مركز دراسات كاتيخون، المرجع السابق.
2. هو إقليم خِصْب التربة، ويمتاز بجماله الطبيعيّ، شـهد أحداثاً دمويَّة بسـبب كونه إقليماً متنازعاً عليه بين أرمينيا وأذربيجان بعد تَفَكُّك الاتِّحَاد السوفييتي، وهذا الإقليم هو السبب الرئيس في تجدُّد الصراع العرقي والمناوشـات العَسْـكَرِيَّة بين أذربيجان وأرمينيا بين الحين والآخر. للمزيد يُنْظَر الرابط التالي: http: //cutt.us/bNTzj
3. "روسـيا.. بوابة تركيا إلى آسـيا الوسطى"، مركز دراسات كاتيخون، 22 أغسطس 2016م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jXaNfo

وأرمينيا، وذلك بسبب مشكلة ناجورنو كرباخ المتنازع عليها بين الطرفين(1). وفي هذا السـياق فإن تطبيع العلاقات بين تركيا وأرمينيا يجب أن يَتَحَقَّق بالتوازي مع مسار أذربيجان وأرمينيا، بل إن الشروع في تحريك المسار التُّرْكِيّ الأرمني ينبغي أن يشمل أذربيجان، لتحسين الأجواء الإِقْلِيمِيَّة وتجاوز النزاعات القائمة.

كما طرحت تركيا إقامة "منتدى الاستقرار والتعاون في القوقاز" في أعقاب الحرب الرُّوسِيَّة الجورجيَّة في أغسطس 2008م على خَلْفِيَّة الاجتياح الجورجي لأوسيتيا الجنوبيَّة، في محاولة منها لجمع دول القوقاز وحَلّ المشاكل القائمة بينها، وإعادة الأمن والاستقرار إلى هذه المنطقة الحَيَوِيَّة والاسْتِرَاتِيجِيَّة بالنسبة لتركيا الَّتِي تحرص على تأمين استمرار تدفق إمدادات الطَّاقَة من منطقة القوقاز وآسيا الوسطى عبر أراضيها إلى أوروبا وبقيَّة الأسواق العَالَمِيَّة.

وفي هذا الإطار، فإن خَطّ أنابيب باكو - تبليسي - جيهان(2) الهادف إلى نقل بترول أذربيجان وربما كذلك بترول آسيا الوسطى وبشكل خاص كازاخستان عبر جورجيا إلى ميناء جيهان التُّرْكِيّ الواقع على البحر الأبيض المتوسط بطول 1776 كلم(3)

1. يُعْتَبَر إقليم ناجورنو كاراباخ منطقة تفصل بين كُلٍّ مِن إيران وروسيا وتركيا، تعيش فيها غالبيَّة أرمينيَّة ترفض الاعتراف بسلطة أذربيجان عليها، وقد أعلن الإقليم استقلاله عن أذربيجان نهاية العام 1991م، لكنه لم يَحْظَ باعترافِ أيِّ دولةٍ حتى أرمينيا، وبالنسبة إلى المجتمع الدولي لا يزال تابعاً إلى أذربيجان.
2. شهدت الفترة بين العامين 1988و1994م حرباً شَرِسَة بين أرمينيا وأذربيجان أوقعت نحو 30 ألف قتيل، وأدَّت إلى نزوح مئات الآلاف من الأشخاص غالبيّتهم من الأذربيجانيِّينَ. للمزيد يُنْظَر: ما هي أسباب النزاع بين أرمينيا وأذربيجان على منطقة ناغورني كاراباخ؟، موقع "sputniknews" العربية، 3 أبريل 2016م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/7C1AQw
3. (باكو- تبليسي- جيهان) خط أنابيب يربط أذربيجان بتركيا عبر جورجيا، من خلاله يَتِمّ نقل نفط بحر قزوين إلى الأسواق العالميَّة من دون المرور بالأراضي الرُّوسِيَّة، ويعتبر واحداً من أطول خطوط الأنابيب في العالم. للمزيد يُنْظَر: تدشين خط أنابيب «باكو ـ تبليسي ـ جيهان» الخميس المقبل، صحيفة البيان الإماراتيَّة، 11 يوليو 2006م، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9dGnLH

يشكل أهَمِّيَّة بالغة بالنسبة لتركيا والغرب على السواء، ذلك أن المشروع المذكور يُشَكِّل أول مرحلـــة من مراحل تَحَوُّل تركيا إلى أن تكون جسراً للطاقة ومَمَرّاً لها بين الشرق والغرب. وهذا الخط سوف يزيد من الأهَمِّيَّة الجيوسِيَاسِيَّة والجيوستراتيجيَّة لتركيا، كما أنه في الوقت نفسه يكتسب أهَمِّيَّة بالغة في الحفاظ على الاستقرار السِّيَاسِيّ في مناطق القوقاز"(1).

سادساً: تركيا في دول البلقان:

البلقـــان Balkans كلمة تُرْكِيَّة الجذور تعنـــي الجبل أو المرتفع من الأرض، والبلقان منطقة تَارِيخِيَّة جغرافيَّة عبارة عن شبه جزيرة تقع في الجزء الجنوبي الشرقي لقارة أوروبا تصل مســـاحتها لحوالي 550،000 كلم2 (2)، واشْـــتُقَّ اسم المنطقة من سلسلة جبال البلقان المُمْتَدَّة من أواســـط بلغاريا حتى شرقي جُمهورِيَّة صربيا، وتَتَمَتَّع تركيا بروابط تَارِيخِيَّة وثَقَافِيَّة ومجتمعيَّة مشتركة مع البوسنة والهرسك، كما أنه يوجد أكثر من مليون من الأقليات التُّركِيَّة يعيشون في دول البلقان. (3)

وبالإضافة إلى ذلك، فإنَّ المجتمعات المسلمة الأخرى في المنطقة تُعَدُّ في غاية الأهَمِّيَّة بالنســـبة لتركيا؛ فبعد قرون من الهجرة نشـــأ ارتباط وثيق بين المجتمع التُّرْكِيّ وبين المجتمعات المسلمة الَّتِي تعيش في البلقان، كما أنَّ المواطنين الأتراك من ذوي الأصول البلقانيَّة يُشَـــكِّلُونَ الآن جماعات ضغط إثنيَّة طَبِيعِيَّة (لوبي) داخل تركيا، واندمجوا

1. أورهان توربدار، "النشـــاط التُّرْكِيّ الجديد في غرب البلقان: الطموحات والعوائق"، رؤية تركيَّة، صيف 2013، نسخة رقميَّة متاحة على الرابط التالي: goo.gl/NaHhA2
2. البلقـــان، الجزيـــرة نت، 16 مارس 2016م، تاريخ الزيارة 16 نوفمـــبر 2017م، النَّصُّ متاح على الرابط التالي: goo.gl/L3WgP4
3. أورهان توربدار، "النشـــاط التُّرْكِيّ الجديد في غرب البلقان: الطُّمُوحَات والعوائق"، رؤية تركيَّة، مرجع سابق.

بصورة طَبِيعِيَّـــة داخل نظام الدَّوْلَة، وهذا اللوبي يتكون من مُؤَسَّسَـــات وجَمْعِيَّات وصحفيِّينَ وأكاديميِّينَ وبرلمانيِّينَ ووزراء ودبلوماسيِّينَ وعسكريِّينَ وغيرهم.(1)

كـــما تُعَدُّ الجُغْرَافِيَا كذلك مـــن مُحَفِّزَات انخراط تركيا في منطقة البلقان، وفي هذا الســـياق يقول الرئيس التُّرْكِيّ السَّـــيِّد رجب طَيِّب أردوغـــان: "إن التاريخ أظهر أنه من غير الممكن إحلال الســـلام والاســـتقرار العَالَمِيّ والحفاظ عليهما بدون السلام والاســـتقرار في البلقان والشرق الأوســـط. ولأن تركيا في قلب تلك المنطقة، فإنها لا تستطيع أن تتجاهل التَّطَوُّرَات هناك"(2).

وقد أَبْـــدَتْ تركيا اهتماماً كبيراً بهذه المنطقة بعد حوالي نصف قرن من الحياد، بعد نهاية الحرب الباردة، وتَفَكُّك الكتلة الشـــيوعيَّة، وظهور دول جديدة أحدثت تَغَيُّرَات سريعة وجذريَّة في النُّظُم الدَّوْلِيَّة والإِقْلِيمِيَّة، وخَلَقَتْ تَحَدِّيَات وفرصاً جديدة بالنسبة لتركيا، فقد رأى صُناع السِّيَاسَة في أنقرة ضرورة وجود رؤيَة جديدة تِجَاه تلك المنطقة. ونظراً إلى أجواء المرحلة الانتقاليَّة والريبة، رأت تركيا ضرورة التَّحَرُّك الاستباقي لمنع التَّهْدِيدَات الأَمْنِيَّة، والمساهمة في نَشْر السلام والاستقرار في المنطقة، وتعزيز أواصر الروابط الاجْتِمَاعِيَّة والاقتِصَادِيَّة مع دول البلقان، ومناطق أخرى محيطة، بالإضافة إلى المخاوف الجيوســـتراتيجيَّة، دفعت المُحَفِّزَات الاقتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة والثَّقَافِيَّة، صُنَّاع السِّيَاسَـــة التُّرْكِيَّة في أعقاب الحرب الباردة إلى وضع سياســـة جديدة وأكثر نشاطاً في البلقان(3).

1. رجـــب طَيِّب أردوغـــان، "Nema Svetskog Mira Bez Stabilnog Balkana,Danas، December 23 2010.
2. رجب طَيِّب أردوغان، المرجع السابق.
3. عصر ذهبي للعلاقات: تركيا وغرب البلقان خلال عهد حزب العدالة والتَّنْمِيَة"، رؤية تركيَّة، مرجع سابق.

ولأن تركيا تعلم جَيِّداً أن التَّطَوُّرَات في البوسنة والهرسك تُعَدُّ في غاية الأهَمِّيَّة لاستقرار منطقة غرب البلقان بأكملها، فإنها أَوْلَتْ قضايا تلك البلدان أهَمِّيَّة كبرى. وقد كانت قِمَّة البلقان الَّتِي عُقِدَتْ في إسطنبول واحدةً من أكبر نجاحات تركيا في غرب البلقان(1)، ودوماً انتهزت تركيا كُلّ فُرْصَة من أجل توضيح أن الهدف الرئيس لتركيا هو أن تكون مُجَرَّد صديق لكافَّة دول البلقان.

لكن بعض الجماعات السِّيَاسِيَّة في البلقان رأت أن السِّيَاسِيين الأتراك يحاولون أن يُمَهِّدُوا الطريق لِبَسْطِ نفوذٍ عثمانيّ جديدٍ في المنطقة.

منذ إنشاء الجُمهوريَّة التُّركِيَّة، يدافع داود أوغلو عن سياسة بلاده ويقول في "خطبة في سراييفو في 16 أكتوبر 2009م، أَعْلَنَ فيها أن أهداف السِّيَاسَة الخَارجيَّة لتركيا هو وَضْع البلقان والشرق الأوسط والقوقاز مع تركيا في قلب السِّيَاسَات العَالَمِيَّة في المستقبل(2)، وأيضاً أعاد الرئيس التُّركِيّ السابق عبدالله غول التَّأْكِيد على دعم تركيا لذلك البلد، في سياق زيارته للبوسنة والهرسك في سبتمبر 2010م، وأوضح أن "تركيا مَدْعُوَّة لضمان استقلال وسيادة البوسنة ونشر الاستقرار في منطقة البلقان"(3).

اهتمام تركيا لم ينصبّ على البوسنة والهرسك وحدها بل شمل كُلّ دول المنطقة، فمن أهم نتائج التَّدَخُّل التُّركِيّ الفاعل في البلقان هو تحسين العلاقات الثُّنَائِيَّة بين تركيا وصربيا. ففي السنوات الماضِيَة ازدادت الزيارات المتبادلة الرفيعة المستوى بين تركيا وصربيا، فإلى جانب عشرات الزيارات على مستوى الوزراء، شَهِدَ شهر أكتوبر من

1. العلاقات التُّرْكِيَّة مع دول البلقان"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، د. ت، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ndPCxD
2. أحمد داود أوغلو، خطبة مُقَدَّمَة في المراسم الافتتاحيَّة لمؤتمر: Ottoman Legacy and Balkan Muslim Communities Today, Sarajevo, October 16, 2009، على الرابط التالي: http://www.ius.edu.ba/dzsusko/Davutoglu_transcript_dzs.doc.
3. غول يُؤَكِّد التزام بلاده بضمان استقلال وسيادة البوسنة"، صحيفة إيلاف الإلكترونيَّة، 2 سبتمبر 2010، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/gPDrJf

العام 2017م زيـــارة الرئيس التُّرْكِيّ رجب طَيِّب أردوغان إلى صربيا على رأس وفد رفيع المســـتوى؛ حيث وقَّع الجانبان 16 اتِّفَاقيَّة تعاون مشـــترك(1)، كما قام الرئيس الصربي ألكســـندر فوسيتش بزيارة إلى تركيا في مايو 2018م، شدَّد فيها على مدى تأثير التعاون التُّرْكِيّ الصربي على الســـلام في منطقة البلقان، مؤكدًا أن "تركيا أكبر قُوَّة في البلقان، وأقوى بلد فيها، ورأيها مُهِمّ"(2).

و"بالرَّغْم من ذلك، لا تزال كوسوفو شوكة كبرى في حلق بلجراد وأنقرة؛ فبعد إعلان كوسوفو استقلالها، تَصَرَّفَتْ تركيا في البدايَة بحذر؛ لأنها لم ترغب أن تظهر على أنها من أقوى داعمي كوســـوفو. فعلى سبيل المثال، لم تُدْلِ برأيها (لصالح كوسوفو) في محكمة العدل الدَّوْلِيَّة، عندما قَدَّمَتْ صربيا استفســـاراً في 2009م بشأن إذا ما كان إعلان كوسوفو لاســـتقلالها يتوافق مع القانون الدَّوْلِيّ أم لا. ولكن، بعدما اعترفت محكمة العدل الدَّوْلِيَّة بشرعيَّة استقلال كوسوفو في 22 يوليو 2010م(3)، تَغَيَّرَ الموقف التُّرْكِيّ الرَّسْـــمِيّ لصالح كوسوفو، كما أَكَّدَ رئيس الوزراء التُّرْكِيّ، آنذاك، السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان، أثناء زيارته في 3 و4 نوفمبر 2010م على الدعم التُّرْكِيّ لاســـتقلال كوســـوفو وتنميتها الاقتِصَادِيَّة ووحدة أراضيها(4). ورفع رئيس وزراء كوسوفو هاشم

1. "زيارة السيد تشاووش أوغلو وزير الخَارجيَّة لصربيا برفقة السيد رجب طَيِّب أردوغان رئيس الجمهوريَّة التُّرْكِيَّة "، 9-11 تشرين الأول/أكتوبر 2017، وزارة الخَارِجيَّة التُّرْكِيَّة ، 11 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DmgSd7
2. "الرئيس الصربي: تركيا أكبر قُوَّة في البلقان ورأيها مهم"، تي آر تي العَرَبِيَّة، 7 مايو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KNnKPJ
3. في فبراير 2008، اعتمدت جمعيَّة كوســوفو (البرلمان الوطني) إعلاناً للاســتقلال رغم اعتراضات قويَّة أبدتها صربيا بشأن اعتبار كوسوفو جزءاً من أراضيها غير القابلة للتَّصَرُّف. وفي يوليو 2010م، أصدرت محكمة العدل الدَّوْلِيَّة فتوى بشــأن الإعلان أَكَّدَتْ أنه لا يَنتهك القانون الدَّوْلِيّ. للمزيد يُنْظَر: معلومات أساســيَّة عن البعثة، بعثة الأمم المُتَّحِدَة للإدارة المؤقتة في كوســوفو، موقع الأمم المُتَّحِدَة، د. ت، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3SNeGM
4. "أردوغان .. تركيا تدعم كوســوفو في العالم الإســلامي"، وكالة الأنباء الكويتية (كونا)، 3 نوفمبر 2010، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/yBy7Kk

طاشي(1)(الَّذِي أصبح رئيس كوســـوفو في عـــام 2016)، في حملته الانتخابِيَّة في ديسمبر 2010م صورة تظهره إلى جانب أردوغان"(2).

سابعاً: تركيا في أمريكا اللاتينية:

مع اســـتمرار تأزُّم دول الجوار وعدم تَوَقُّف الحروب في كُلّ من ســـوريا والعراق، وخروج هاتين الدولتين وغيرهما من الوجهات العَرَبِيَّة من الحســـابات الاقتِصَادِيَّة التُّركِيَّة، كان لا بُدَّ لها من البحث عن أســـواق جديدة وبناء تحالفات جديدة أيضاً، فـــكان الاتِّجَاه نحو أمريكا اللاتينيَّة، لهذا اعْتَبَرَ الرئيس التُّرْكِيّ السَّـــيِّد رجب طَيِّب أردوغان العام 2016م "سنة التَّرْكِيز على علاقات بلاده مع الدول اللاتينية"، ولأجل هذا زار كلا من تشـــيلي والأكوادور وبيرو(3)، وكان أردوغان قد اســـتبق تلك الجولة بجولة مشابهة في فبراير 2015، شملت كوبا وكولومبيا والمكسيك(4).
ولا تُعْتَـــبَرَ العلاقـــة جديدة بين تركيا وهذه الدول إذ تعود إلى القرن التاســـع عشر؛ حيث حصلت موجات هجرة مُتَعَدِّدَة من الإمْبَرَاطُورِيَّة العُثْمَانِيَّة إلى أمريكا اللاتينيَّة

1. وُلِدَ هاشم طاشي Hashim Thaçi في 24 أبريل 1968م، انْتُخِبَ رئيساً لجمهوريَّة كوسوفو في 26 فبراير 2016م مِن قِبَل جمعيَّة جمهوريَّة كوســـوفو. شَـــغَلَ منصب النائب الأول لرئيس الوزراء ووزير للخَارِجِيَّة خـــلال الفـــترة (2014- 2015م) ، وعَمِـــلَ فترتين كرئيس وزراء لكوســـوفو (2007- 2014م). أول رئيس للحزب الديمقراطيّ في كوســـوفو، وتَمَّ إعادة انتخابه بِصِفَةٍ مُسْـــتَمِرَّة كرئيسٍ للحزب حتى استقالته في 26 فبراير 2016م، قبل أن يُنْتَخَب رئيســـاً لكوســـوفو. هو صاحب الإعلان عن كوسوفو دولة مُسْتَقِلَّة في 17 فبراير 2008 ، وكان الرئيس السِيَاسِيّ لجيش تحرير كوسوفو خلال فترة الحرب في 1997- 1999. للمزيد يُنْظَر: Hashim Thaçi- Biography، President of the Republic of Kosovo, available at: goo.gl/K1xHjh
2. أحمـــد داود أوغلـــو، خُطْبَة مُقَدَّمَة في المراســـم الافتتاحيَّة لمؤتمـــر: Ottoman Legacy and Balkan Muslim Communities Today, Sarajevo, October 16, 2009، عـــلى الرابـــط التـــالي: http://www.ius.edu.ba/dzsusko/Davutoglu_transcript_dzs.doc. (مرجع سابق).
3. أردوغـــان يبـــدأ جولـــة في أمريكا اللاتينية"، صحيفة الحياة اللندنيَّـــة، 30 يناير 2016، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/JtsazV
4. الرئيـــس أردوغان يَتَوَجَّه إلى كولومبيا في مُسْـــتَهَلّ جولته اللاتينيَّـــة، تي آر تي العَرَبِيَّة، 9 فبراير 2015، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jrrUa2

ابتداءً من ستينيَّات القرن التاسع عشر وحتى نهاية الحرب العَالَمِيَّة الأَوَّلى، وقد أُطْلِقَ على هؤلاء المهاجرين الَّذِين كانوا في أغْلَبِيّتهم عرباً تســـميَّة "الأتراك" بسبب حملهم لجوازات سفر عثمانية(1).

فيما بدأت العلاقات القنصليَّة بين الإمْبَرَاطُورِيَّة العُثْمَانِيَّة وأمريكا اللاتينيَّة في نهايات القرن التاسع عشر، ومع انهيار الإمْبَرَاطُورِيَّة العُثْمَانِيَّة وقيام الجُمهورِيَّة التُّركِيَّة، بدأت إقامة العلاقات الدُبْلُوماسِيَّة بين الجُمهورِيَّة التُّركِيَّة ودول أمريكا اللاتينيَّة، وكانت تشيلي أول دولـــة اعترفت بالجُمهورِيَّة التُّركِيَّة بتوقيعها عـــلى اتِّفَاقيَّة الصداقة والتعاون عام 1926م، واليوم توجد لتركيا سفارات في الأرجنتين والبرازيل وتشيلي، وكوبا والمكسيك، وكولومبيا وبيرو وفنزويلا والأكوادور وقنصليَّة عامة في مدينة سان باولو البرازيليَّة.(2) وقـــد تمَيَّزَتْ العلاقات بين تركيـــا ودول المنطقة دائماً بأنها علاقات صداقة، ولكنها كانت مُسْتَقِرَّة لغاية تسعينيَّات القرن الماضي، ولم تبلغ العلاقات بين الجانبين المستوى المطلوب بسبب البُعْد الجُغْرَافِيّ وقِلَّة الاتِّصَالات، ومع ذلك فإن الزيارة الرَّسْمِيَّة الَّتِي أجراها الرئيس الأســـبق للجُمهورِيَّة التُّركِيَّة "سليمان دميرل"(3)عام 1995م، والَّتِي

1. "السياسة التُّرْكِيَّة حيال أمريكا اللاتينيَّة والكاريبي وعلاقاتها مع دول المنطقة"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ،د.ت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wW6b8h
2. السياســة التُّرْكِيَّة حيال أمريكا اللاتينيَّة والكاريبي وعلاقاتها مع دول المنطقة"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ،د.ت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wW6b8h (المرجع السابق).
3. سليمان گون دوغدو دميرل سِيَاسِيّ تركي مخضرم، وُلد في نوفمبر من العام 1924م بقريَّة إسلام كوي في مدينة إســبرطة الصغيرة الواقعة غربي الأناضول، حصل على بكالوريوس الهندســة المدنيَّة بجامعة إسطنبول التقنيَّة عام 1949م، قبل عام واحد من الانتخابات الحُرَّة الأولى في تاريخ تركيا والتي اكتسح فيهــا عدنــان مندريس آنذاك. اتَّجَهَ دميرل إلى الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة ليُكمِل الدراســات العليا في مجال الرَّي وبناء الســدود، ليعود إلى تركيا ويجذب انتباه رئيس الوزراء آنذاك مندريس ويصبح مديراً لمشروع سَدّ سيهان، ورئيساً لقسم السدود منذ عام 1954م، ثم المدير العام لهيئة المشاريع المائيَّة التابعة للدولة عام 1955م، لينتهي دوره مع الانقلاب العسكري الأول عام 1960م، ويدخل الجيش التُّرْكيّ لتأديَّة الخدمة العَسْكَرِيَّة، ويَتَّجِه للعمل الخاصّ كمهندس حُرّ تابع لشركة موريسون الأمْرِيكِيَّة وإلقاء محاضرات الهندســة الهيدروليكيَّة في جامعة الشرق الأوســط التقنيَّة بأنقرة، تَوَلَّى رئاسة الوزراء في بلاده 7 مرات خلال الفترة من 1965م وحتى العام 1993م، حيث أصبح رئيساً لتركيا حتى عام 2000م. للمزيد يُنْظَر: ســليمان ديميريل، الجزيرة نت، 19 يونيو 2015، تاريخ الزيارة: 4 أغســطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/zxkTcQ

شملت كلاً من الأرجنتين والبرازيل وتشيلي، كانت أول زيارة في التاريخ يجريها رئيس للجُمهوريَّة التُّركِيَّة لأمريكا اللاتينيَّة، وشكَّلت نقطة انعطاف في العلاقات بين تركيا وأمريكا اللاتينية"(1).

ولاحقاً عُقدت سلسلة اجتماعات في وزارة خَارجِيَّة الجُمهوريَّة التُّركِيَّة في شهر سبتمبر / أيلول من عام 1998م بمشاركة السفارات التُّركِيَّة لدى دول أمريكا اللاتينيَّة ومُمَثِّلِي القطاعين العام والخاص التُّرْكِيّ والقنصليَّات الفخريَّة لدول أمريكا اللاتينيَّة والكاريبي لدى تركيا، وذلك من أجل تحديد كَيْفِيَّة تطوير العلاقات التُّركِيَّة مع دول أمريكا اللاتينيَّة والكاريبي والمجالات الَّتِي يجب أن تشملها هذه العلاقات، ونتيجةً لهذه الاجتماعات تَمَّ إعداد "خطة العمل المُتَعَلِّقَة بأمريكا اللاتينيَّة والكاريبي" الَّتِي تُعْتَبَرَ بمثابة خارطة طريق للانفتاح السِّيَاسِيّ والاقْتِصَادِيّ تجاه المنطقة.

وفي هذا الإطار، تَمَّ إعلان عام 2006م "عام أمريكا اللاتينيَّة والكاريبي" في تركيا؛ حيث نَظَّمَتْ في تركيا في الفترة ما بين 5 - 11 يونيو 2006م في سياق خطة العمل المُتَعَلِّقَة بأمريكا اللاتينيَّة والكاريبي، "أسبوع أمريكا اللاتينية"(2)، وتَمَّ توجيه الدعوة للمشاركة في فَعَالِيَّات هذا الأسبوع إلى وزارات الخَارجِيَّة والتِّجَارَة والاقتصاد ومُمَثِّلِينَ من أوساط الجامعات والعمل في دول أمريكا اللاتينيَّة، وتَمَّ تأمين عَقْد مباحثات ولقاءات بينهم وبين ممثلي المُؤَسَّسَات العَامَّة والقطاع الخاص التُّرْكِيّ، وتَمَّ دعوة القنصليات العَامَّة التُّرْكِيَّة الفخريَّة الموجودة في نفس هذه البلدان إلى تركيا واطلاعهم على تَوَجُّهَات السِّيَاسَة الخَارجِيَّة التُّرْكِيَّة (3).

1. "السياسة التُّرْكِيَّة حيال أمريكا اللاتينيَّة والكاريبي وعلاقاتها مع دول المنطقة"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ،د.ت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wW6b8h
2. "السياسة التُّرْكِيَّة حيال أمريكا اللاتينيَّة والكاريبي وعلاقاتها مع دول المنطقة"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ،د.ت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wW6b8h (المرجع السابق).
3. "السياسة التُّرْكِيَّة حيال أمريكا اللاتينيَّة والكاريبي وعلاقاتها مع دول المنطقة"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ،المرجع السابق.

وقد طرأت زيادة كبيرة على عدد الزيارات المتبادلة رفيعة المستوى بين تركيا والبلدان الرئيســة في المنطقة. ففي الفترة ما بين 2009 - 2012م زار تركيا كُلّ من رؤســاء الأرجنتين والبرازيل وكولومبيا وكوســتاريكا وسانت فينسنت والجرينادين، ورَئِيسَيْ وزراء كُلّ مــن الباهاما والبربــادوس، ووزراء خَارجِيَّة كُلّ من الأرجنتين والبرازيل وكولومبيا والمكسيك والبارغواي وفنزويلا. كما أجرى رئيس وزراء الجُمهورِيَّة التُّركِيَّة السَّــيِّد رجب طَيِّب أردوغان زيارة رَسْمِيَّة لكل من المكسيك والبرازيل، وأجرى وزير خَارجِيَّة الجُمهورِيَّة التُّركِيَّة السَّيِّد أحمد داوود أوغلو زيارة رَسْمِيَّة إلى البرازيل. كما أجرى كُلٌّ من رئيس الوزراء السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان ووزير الخَارجِيَّة السَّيِّد أحمد داوود أوغلو ونائب رئيس الوزراء السَّــيِّد علي باباجان ووزير الاقتصاد السَّيِّد ظافر تشــاغلايان زيارة إلى المكســيك في عام 2012م للمشاركة في اجتماعات مجموعة العشرين. ومن جهة أخرى، عَقَدَتْ تركيا خلال هذه الفترة مشــاورات سِيَاسِــيَّة مع كُلّ من الأرجنتين وبوليفيا والبرازيل والإكوادور، وكولومبيا وكوبا والبيرو وفنزويلا، واجتماعات للجنة الاقتِصَادِيَّة المشتركة مع كُلّ من الأرجنتين والبرازيل وكوبا.(1)

كما اكتمل الجزء الأكبر من الأرضيَّة القَانُونيّة للعلاقات بين تركيا والدول الرئيسيَّة في المنطقة، فأنشأت تركيا في هذا الإطار آليَّة المشاورات السِّيَاسِيَّة مع 14 دولة (الأرجنتين وبوليفيا والبرازيل والأكوادور وغواتيمالا، وكولومبيا وكوســتاريكا وكوبا، والمكسيك والبيرو وتشــيلي، والبارغواي والأورغواي وفنزويلا). وتَمَّ التوقيع أثناء الزيارة الَّتِي أجراها رئيس وزراء الجُمهورِيَّة التُّركِيَّة السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان إلى البرازيل في الفــترة ما بين 25 - 29 مايو 2009م على "خُطَّة الشراكة الاسْــتِرَاتِيجِيَّة" بين تركيا والبرازيل الَّتِي تَطَوَّرَتْ العلاقات التُّركِيَّة معها بشكل كبير(2).

1. "السياسة التُّرْكِيَّة حيال أمريكا اللاتينيَّة والكاريبي وعلاقاتها مع دول المنطقة"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة المرجع السابق.
2. المرجع السابق.

كـــما حصل تَقَدُّم ملحوظ بخصوص التمثيـــل الدبلوماسي المتبادل مع دول المنطقة. ففي هذا الإطار بدأت الســـفارة التُّركِيَّة أعمالها لدى بوجوتا (كولومبيا) في شـــهر فبراير 2010م ولدى ليما (بيرو) في شـــهر مارس 2010م، ولدى كيوتو (الإكوادور) في شـــهر يناير 2012م، وبذلك ارتفع عدد السفارات التُّركِيَّة في دول المنطقة إلى 9 سفارات. أما القنصليَّة العَامَّة التُّركِيَّة لدى سان باولو (البرازيل) فقد بدأت نشاطاتها في شهر نوفمبر 2009م. وتتواصل الأعمال لافتتاح سفارات جديدة في دول المنطقة في المرحلـــة القادمة. وبافتتاح بيرو ســـفارة لها في تركيا في عام 2010م وكولومبيا في عام 2011م ارتفع عدد ســـفارات دول أمريكا اللاتينيَّة والكاريبي في تركيا إلى تســـع سفارات (1)، قبل أن يصل في العام 2018م إلى 20 سفارة وقنصليَّة مختلفة في الحواضر اللاتينية(2).

وقـــد أدَّى الانفتاح التُّرْكِيّ على هذه الدول إلى تحقيـــق نتائج إيجَابيَّة، وإن لم تكن بالقدر المطلوب بعد، إذ تشـــير الأرقام الرَّسْـــمِيَّة إلى أن حجم التبادل التِّجَارِيّ مع أمريكا اللاتينيَّة بلغ أكثر من 7 مليارات دولار في 2016م(3)مقارنة بمليار دولار فقط عام 2000م، لكن هذا الرقم لا يزال يُمَثِّل هامشاً ضئيلاً في الميزان التِّجَارِيّ التُّرْكِيّ. وَوَفْقاً لبيانات الحكومة، فإن الصادرات التُّركِيَّة لأمريكا الوسطى والجنوبيَّة ومنطقة البحـــر الكاريبي، مثلت 0.6% من مجمل الصادرات التُّركِيَّة في عام 2016م، بقيمة إجماليَّة بلغت 846 مليون دولار أمريكي(4).

1. "السياســـة التُّرْكِيَّة حيـــال أمريكا اللاتينيَّة والكاريبي وعلاقاتها مع دول المنطقـــة"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، المرجع السابق.
2. انظر في ذلك: "المُمَثلِيَّات في الخارج"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، د. ت، تاريخ الزيارة: 4 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hr39ug
3. "السياسة التُّرْكِيَّة حيال أمريكا اللاتينيَّة والكاريبي وعلاقاتها مع دول المنطقة"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، مرجع سابق.
4. "إحصاءات التجارة الخَارِجِيَّة"، وكالة دعم وتشـــجيع الاســـتثمار بالجمهوريَّة التُّرْكِيَّة ، د. ت، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QJvJkC

وتَتَصَــدَّرُ البرازيل قائمة الدول اللاتينيَّة الأكثر تعاوناً مع تركيــا اقْتِصَادِيّاً، وتليها المكسيك ثم كولومبيا، كما تعمل شركة النفط "تبك(1) TPICالتُّركِيَّة العَالَمِيَّة بالتنقيب عــن البترول في كُلّ من كولومبيا والإكوادور، وهي تســعى لتوقيع نفس الاتِّفَاق مع فنزويلا(2).

وقد استخدمت تركيا سياسة أخرى للتَّقَرُّب من هذه الدول، ووجدت في الفن والدِّرَامَا وســيلة لذلك، فبعد دبلجة المسلسل التُّرْكِيِّ "ما ذنب فاطمة غُلّ" إلى اللغتين الإسبانيَّة والبرتغاليَّة، أحدث ذلك المسلسل الرومانسي صدًى واسعاً في أمريكا الجنوبيَّة؛ ففي الأرجنتين وحدها، شاهد حلقات ذلك المسلسل أكثر من 12 مليون شخص.(3)
وليس هذا هو المسلســل التُّرْكِيّ الوحيد هناك، إذ تتزايد أعداد المسلسلات التلفزيونيَّة التُّرْكِيَّــة الَّتِي تُعْتَبَرَ من بين أكثر البرامج مشــاهدة في قَارَّة أمريكا الجنوبيَّة. ففي تشيلي على سبيل المثال، حاز المسلسل التُّرْكِيّ "ألف ليلة وليلة" على لقب أكثر البرامج التلفزيونيَّة مشاهدةً في عام 2014م.(4)
وقــد أضاف مركز أمريكا اللاتينيَّة للأبحاث والتطبيقات التابع لجامعة أنقرة والَّذِي افتتحه أحمد داوود أوغلو وزير الخَارجيَّة، عام 2009م، بُعداً مُهِمّاً للعلاقات الثَّقَافِيَّة والأَكَادِيمِيَّــة بين تركيا وأمريكا اللاتينيَّة، ومــن جهة أخرى وفي إطار التعاون بين

1. شركة نفطيَّة تركيَّة عالميَّة تَأَسَّسَتْ عام 1988م، تعمل في مجال حفر آبار النفط، واستكمال الآبار، وتطوير حقول النفط، ومرافق ســطح حقول النفط، والنقل، والتكرير، وتجارة وتوزيع النفط الخام. ولها العديد من المشروعات النفطيَّة في العراق وســوريا وأذربيجان وتركمانستان وكازاخستان والإكوادور وكولومبيا وفنزويلا. للمزيد يُنْظَر:
Corporate, Turkish Petroleum International Company (TPIC), available at: goo.gl/k9SLCV
2. تركيا تبحث في أمريكا اللاتينيَّة عن بديل لأســواق الجوار المُتَعَثِّرَة"، إرم نيوز، 29 يناير 2016م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KtnaDR
3. ديديم تالي، ما سِرُّ شــعبيَّة المسلســلات التُّرْكِيَّة في أمريكا الجنوبية؟، بي بي سي عربي، 20 ســبتمبر 2016م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/5tf9tc
4. ديديم تالي، ما سِرُّ شعبيَّة المسلسلات التُّرْكِيَّة في أمريكا الجنوبية؟، بي بي سي عربي، المرجع السابق.

جَامِعَتَيْ أنقرة وهافانا وصلت الأعمال الْجَارِيَة لافتتاح مركز التاريخ والثقافة التُّركِيَّة في جامعة هافانا إلى مراحلها الأخيرة.(1)
ومنـــذ بدايَة عام 2000م، ازداد الانفتاح الثَّقَافِيّ في دول أمريكا الجنوبيَّة على تركيا وشـــعبها وثقافتها، بِفِعْلِ المسلســـلات التُّركِيَّة الَّتِي أخذت بالانتشار في معظم دول العالم، مُكْتَسِبَةً شَعْبِيَّة كبيرة، جعلها تُنَافِس المسلسلات المَحَلِّيَّة في تلك البلدان، وتَتَصَدَّر شاشات عرضها"(2).

وفي الختـــام لا بُدَّ من التذكير هنا بالمســـاعدات الإِنْسَـــانِيَّة والتَنْمَوِيَّة والفَنِّيَّة الَّتِي تُقَدِّمهَا تركيا لدول أمريكا اللاتينيَّة، بدءاً من المســـاعدات الإِنْسَانِيَّة لدول الكاريبي وأمريكا الوســـطى وأمريكا الجنوبيَّة مثل هاييتي وتشيلي بسبب الأعاصير والزلازل الَّتِي شهدتها، كما تقوم وكالة التعاون والتنسيق التُّركِيَّة TiKA، بتنفيذ مشاريع بقيمة مليون دولار أمريكي، وهي عبارة عن إنشاء مركزين صحيين وترميم 15 مركزاً صحياً آخر في عدد من دول القارة.(3)

1. "تركيا وأمريكا اللاتينيَّة.. علاقات تاريخيَّة تُحييها مساعي النهضة المشتركة"، مرصد أمريكا اللاتينيَّة، 3 فبراير 2016م، تاريخ الزيارة 2 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/gJhTJH
2. "تركيا وأمريكا اللاتينيَّة.. علاقات تاريخيَّة تُحييها مســاعي النهضة المشــتركة"، مرصد أمريكا اللاتينيَّة، المرجع السابق.
3. تركيا وأمريكا اللاتينيَّة.. علاقات تاريخيَّة تُحييها مساعي النهضة المشتركة، شبكة TRT العَرَبِيَّة، 3 فبراير 2016م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/dEQ4te

من مجمل ما ســبق، يمكن الخروج بخلاصة مفادها، أن تركيا الَّتِي كانت تُعْتَبَرَ مثالاً أعلى بالنسبة للدول العَرَبِيَّة وبعض الدول من المنظومات السِّيَاسِيَّة والإثنيَّة حول العالم، بفضــل تطبيقات قُوَّتهَا النَّاعِمَة الاقتِصَادِيَّــة والثَّقَافِيَّة المقنعة والقَوِيَّة التَّأثِير، لم تَعُدْ تُختزل في ذاكرة الآخر إلا بواســطة صور القُوَّة الصَّلْبَة، من تَدَخُّلاَت عَسْكَرِيَّة خَارجِيَّة وحملات أمنيَّة داخليَّة، وشــنآن دبلوماسي متزايد مع المنظومة الأُورُوبيَّة. الشيء الَّذِي أثَّر كثيراً على تلك الصورة الزاهيَّة لدولة علمانيَّة يحكمها بكل ديمُقْرَاطِيَّة حزبٌ إسلامي قاد البلاد إلى انتصارات اقْتِصَادِيَّة وثَقَافِيَّة باهرة في أوج عنفوان قُوَّتهَا النَّاعِمَة.
ومع التراجُع الَّذِي عَرَفَتْهُ تطبيقات القُوَّة النَّاعِمَة في نســختها التُّرْكِيَّة، الَّذِي أَمْلَتْهُ اعتبارات جيوسِيَاســيَّة مفروضة وتغيُّرَات طارئة على السِّيَاسَات الخَارجِيَّة، كَمِحَكٍّ حقيقــيّ لاختبار مدَى صلابة النموذج التُّرْكِيّ في هذا السِّــيَاق، تَبَيَّنَ أنَّ الخطابات المُبَــشِّرَة بهذا النوع من القُوَى لا تعكس ولا تســتوعب كامل قُــدُرَات القُوَّة التُّرْكِيَّة الحقيقيَّــة، والَّتِي كانت قريبة جداً من فَرْضِ زعامتهــا الإقْلِيمِيَّة أو دورها المنتظر كـ"آمر" في الشرق الأوســط، لولا العوامل المُعَاكِسَة الَّتِي تعرَّضْنَا لها بالشرح سابقاً، والَّتِي تستوجب المرور إلى درجة أخرى مُتَطَوِّرة من القُوَّة الفاعلة، ألا وهي الذَّكِيَّة.

في الختام يمكن القول: إن لتركيا غايات أخرى تُضاف إلى كُلّ ما سبق تفسِّر جهودها للتَّقَرُّبِ من هذه الدول، وهو السعي لوجود حلفاء في تلك الدول لدعم انضمامها إلى الاتِّحَاد الأُورُوبيّ في المســتقبل. ومِنْ ثَمَّ فإن ما فعله داوود أوغلو إذن لم يكن ثورة راديكاليَّة أزالت تماماً أُسُــس السِّيَاسَــة الخَارجِيَّة لتركيا على مدى عشرات السنين، وإنما تغيير الإطار النَّاظِم لهذه السِّيَاسَــة وجعلها سياســة مُتَعَدِّدَة الأبعاد تتعامل مع جميع الأطراف وتَبْنِي الجســور مع الجميع؛ بما يقــوِّي من دور أنقرة، ويُخَفِّف من إمكانيَّة الضغط عليها باعتبار تَحَرُّرِهَا من العلاقة الأُحَادِيَّة مع الغرب. (1)

1. سعيد الحاج، اتِّجَاهات السياسة الخَارجِيَّة التُّرْكِيَّة بعد رحيل داود أوغلو، إضاءات، 23 مايو 2016م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/MmNSi2

الفصل السادس

القُوَّة التُّركِيَّة النَّاعِمَة

منابع القُوَّة والتَّأثِير

- مقدمة
- **المبحث الأَوَّل: الوسائل الاسْترِاتِيجِيَّة والسِّيَاسَات الإقْلِيمِيَّة**
  - أولاً: أوراق تركيا في لُعْبَة القيادة الإقْلِيمِيَّة
  - ثانياً: السِّيَاسَة التُّركِيَّة الجديدة
  - ثالثاً: السِّيَاسَة الخَارجيَّة التُّركِيَّة والتَّأثِير الإقْلِيمِيّ والدَّوْلِيّ
  - رابعاً: الخَارجِيَّة التُّركِيَّة - نظرة سِيَاسِيَّة
- **المبحث الثاني: الدعم التُّركِيّ لقضايا المنكوبين والمستضعفين**
  - أولاً: نماذج إنْسَانِيَّة تركية
  - ثانياً: الدافع الاسْتِرَاتِيجِيّ والبعد الاقْتِصَادِيّ لتركيا في جوانب الدعم
  - ثالثاً: الدافع الإنْسَانيّ للسياسة التُّركِيَّة
  - رابعاً: دعم الشعب الفلسطيني / حادث مرمرة
  - خامساً: الدعم التُّرْكِيّ الإنساني في اليمن
  - سادساً: الدعم التُّرْكِيّ الإنساني للشعب السوري
- **المبحث الثالث: الاستقرار السِّيَاسِيّ وجَذْب الاستثمار**
  - عوائق عدم الاستقرار السِّيَاسِيّ للاستثمار
  - العنف والإرهاب
  - المِلَفّ السُّوريّ، والخلافات مع روسيا
  - الصِّرَاع السِّيَاسِيّ الدَّاخِلِيّ والأزمات السِّيَاسِيَّة
  - أَثَر عدم الاستقرار السِّيَاسِيّ على جذب الاستثمار
  - دور الحكومة في التغلُّب على عوائق الاستثمار

الفصل السادس

القُوَّة التركِيَّة النَّاعِمَة
منابع القُوَّة والتَّأثِير

مقدمة

"القُوَّة الدائمة هي القُوَّة النَّاعِمَة، اليوم، تركيا هي البلد الَّذي يستخدم أكثر فَاعِلِيَّة لِلْقُوَّة النَّاعِمَة في العالم"؛ هكذا صَرَّحَ وزير الخَارجِيَّة التُّركِيّ مولود تشاووش أوغلو في مايو 2018[1].

والأمر حتماً لا يقف عند هذا الحَدِّ، أي حَصْر هذه القُوَّة في تأثيرها الفِكْرِيّ والديني، بما يُفيد اختيارات التلاقح الثَّقَافِيّ والتسامح الديني، بل يَتَعَدَّاهُ إلى شِقِّه الاسْتِرَاتِيجِيّ الشامل لكل المجالات الَّتي تَخْلُقُ قُوَّة أو ضعفَ الأمم والشُّعُوب.
ونظريَّة "العُمْق الاسْتِرَاتِيجِيّ" هنا، تفيد عودة تركيا إلى مجالها الحيويّ، عَبْرَ بَوَّابَة الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ ومعه حوض المتوسط، ما قبل الربيع العَرَبِيّ وما بعده، للارتقاء تَدْرِيجِيّاً نحو تَبَوُّء مكانتها الطَّبِيعِيَّة كَقُوَّة إِقْلِيمِيَّة، ومِنْ ثَمَّ الحصول بعد ذلك على موقع لها ضمن القُوَى العَالَمِيَّة الكبرى[2].

---

1. Turkey makes best use of soft power: Cavusoglu, Andalou Agency, 06.05.2016, available at: goo.gl/859ZXN

2. حوض المتوسط لم يَعُدْ عقيدة صراع وهيمنة واستنزاف متوارثة تعود جذورها إلى أمجاد الإمبراطوريَّة العُثْمَانِيّة ونكسة الحرب العالميَّة الأولى، بل أضحى فضاءً ذا فائدة وظيفيَّة يجب استثماره لبلوغ أهداف القُوَّة والتَّطَوُّر، حسب توجُّه المخَطِّطِينَ الاسْتِرَاتِيجِيِّينَ لسياسات تركيا في عهد أردوغان. أي: وسيلة ضروريَّة لفرض نفسها كقُوَّة إقليميَّة، ومن ثَم بلوغ مصافّ القوى الكبرى في العالم. للمزيد عن أهميَّة حوض المتوسط في الاستراتيجيَّة التُّرْكِيَّة والعالميَّة، يُنْظَر: "ماذا يحدث في شرق المتوسط؟"، ترك برس، 27 ديسمبر 2015، تاريخ الزيارة: 5 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hzXRAE

وبناءً عليه، تختزل نظريَّة "العُمْق الاسْـــتِرَاتِيجِيّ" مسألة التوافق الاجْتِمَاعِيّ التُّرْكِيّ وعلاقة ذلك بالطوائف العِرْقِيَّة والمجموعات السِّيَاسِيَّة والحِزبيَّة، كما تَتَضَمَّن النَّظَرِيَّة المذكورة ترتيبات الاســـتقرار السِّيَاسِيّ والتعامل مع القُوَى الدَّاخِلِيَّة المُؤَثِّرَة، الَّتِي كان لها الأثر المُهِمّ في تحديد ودعم شـــكل السِّيَاسَات الخَارجِيَّة لتركيا وملامح مستقبلها، وعلاقة ذلك بزيادة مُعَدَّلَات التَّنْمِيَة الاقتِصَادِيَّة والاستثمار.

إضافةً إلى التَّسَـــلُّح برؤيَة سِيَاسِـــيَّة شـــاملة ومُتَبَصِّرَة إزاء الخارج، ومعه مشكلات وتمايزات الشرق الأوسط والبلقان ومنطقة القوقاز، بما يضمن نجاح تدبيرها، وكَسْبَ أنقرة مواقع جديدة تُمَكِّنُهَا من لَعِبِ أدوار فعَّالة وهادفة في المحافل الإِقْلِيمِيَّة والدَّوْلِيَّة على الســـواء. ومعنى "العُمْق" هنا، إخراج تركيا من دور "رَدّ الفعل" أي بلد "طَرَف"، أو "هامـــش" يقتصر دوره في الانضمام إلى محـــاور أو الانخراط في عداوات، إلى بلد "مَرْكَز" يمســـك بخيوط مختلف علاقاته الخَارجِيَّة المُتَعَدِّدَة ويُنَاغِم بينها من جهة أَوْلَى، وفي نفس الوقت، بلد "فَاعِلٌ"، و"مُبَادِرٌ" له وزنه المُؤَثِّر في كُلّ القضايا الإِقْلِيمِيَّة والدَّوْلِيَّة. مُســـتعينين أيضاً بنظرِيَّتَيْ "التَّحَوُّل الحَضَارِيّ" و"العُثْمَانِيَّة الجديدة" من خلال أفكار أحمد داود أوغلو.

بتموقعهـــا إذن على ملتقى الطرق بين أوروبا وآســـيا، لم تعُدْ تركيا بتاريخها العظيم ومَضِيقها الأسطوري البوسفور وثقافتها المُتَمَيِّزَة قِبْلَة سيَاحِيَّة من جهات العالم الأربع فقط؛ إذ تُمَثِّل اليوم نموذجاً استثنائيّاً للنُّمُوِّ الاقْتِصَادِيّ المُتَعَدِّد الأقطاب، وبراعة في الاستثمار السِّيَاسِيّ والدبلوماسيّ لأدوات الثقافة والفنون لتشكيل قُوَّة ناعمة لها وزنها وخصائصها. فأين تَكْمُنُ إذن منابع القُوَّة والتَّأثِير عند تركيا؟

المبحث الأول

الوسائل الاسْترِاتِيجِيَّة والسِّيَاسَات الإقْلِيمِيَّة

تُعَدُّ تركيا بلداً مُتفَرِّداً لـــه خصائصه وميزاته التَّارِيخِيَّة والجُغْرَافِيَّة. وهذا ما ينعكس بشـــكل إيجَابيّ على إِمْكَانِيَّات امتلاك القُوَّة في التخطيط الاسْـــترِاتِيجِيّ، بما يتيحه استغلال العوامل المواتيَّة والموارد المتاحة، وبما يَخْدِم أهدافها على المستويات المَحَلِّيَّة و الدَّوْلِيَّة في نفس الوقت.

وذلك من خلال المعايير التالية:

1. العنصر البَشَرِيّ، وتأثيره البالغ في صناعة اسْترِاتِيجِيَّة ناجعة.
2. الإرْث التَارِيخِيّ والبِنْيَة التَّحْتيَّة المُؤَطِّرَة للثقافة السِّيَاسِـــيَّة التُّركِيَّة، وتَطَوُّرَاتها الإيجَابِيَّة بعد انتهاء الحرب الباردة.
3. العامل المَكَانيِّ، واســـتيعاب المُحَدِّدَات الجُغْرَافِيَّة في مَلْءِ مساحات الفراغ على الصعيد الجيوسِيَاسِيّ.
4. الضرورات التَّارِيخِيَّة، وتحليل جَيِّد لعناصر الاسْترِاتِيجِيّات الْبرِّيَّة والبَحْرِيَّة، فيما يَتَعَلَّق بالمناطق الْبَرِّيَّة القريبة، مثل: البلقان، الشرق الأوسط، القوقاز، والأحواض البَحْرِيَّة القريبة مثل البحر الأسود، شرق المتوسط.

لذا أصبح لتركيا ارتباطات دَوْلِيَّة وإِقْلِيمِيَّة واســـعة ووثيقة تُتَرْجِمُ فَاعِلِيَّة سياســـتها الخَارجِيَّة وإِمْكَانِيَّاتها الاسْـــترِاتِيجِيَّة. وعلى أساسها أفردت سياسة تركيا الخَارجِيَّة مساحةً مُهِمَّة من اهتمامها بالمحور الأطلسي والمتوسطي، ضمن المهام الجديدة لحلف

شمال الأطلسي، ومُنَظَّمَات؛ الأمن والتعاون الأُورُوبيّ(1)، والتعاون الإسْلاَمِيّ(2). دون إغفال ما يُمَثِّلُهُ التَّأثير الجيوسِـــيَاسِيّ والجيوثَقَافِيّ من أهَمِّيَّة على الخط الرابط بين إفريقيا وآســـيا، عبر مُنَظَّمَة التعاون الاقْتِصَادِيّ والتَّنْمِيَـــة(3) الَّتِي تُتِيح النفاذ إلى العُمْق الآسيوي، وأيضاً مُنَظَّمَة التعاون الاقْتِصَادِيّ لحوض البحر الأسود(4) الَّتِي تَضُمّ مناطق آسيا الوسطى والبحر الأسود، إضافة إلى مجموعة الدول النامية الثمانية(5)، وغِنَى العلاقات الآسيويَّة الإفريقيَّة الواعدة، ومجموعة العشرين.

1. تَأَسَّسَتْ مُنَظَّمَة الأمن والتعاون في أوروبا OECD في عام 1961. وَتَضُمّ بلدان أوروبا وروسيا، وتَتَّخِذُ من باريس مَقَرّاً لها. وتعمل على تشجيع التَّطَوُّر الاقْتِصَادِيّ وخَلْق فُرَص العمل وتحسين مستويات المعيشة في الدول الأعضاء، إضافةً إلى دفع الاقتصاد العالمي نحو مزيد من النُّمُوّ والتَّوَسُّع. للمزيد يُنْظَر: مُنَظَّمَة الأمن والتعاون في أوروبا، دويتش فيله، 29 يوليو 2017، تاريخ الزيارة: 5 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DFcxj1
2. أُنشـــئِتْ مُنَظَّمَة التعاون الإســـلامي بقرار صادر عن القِمَّة التاريخيَّة التي عُقِدَتْ في الرباط بالمملكة المغربيَّة في 25 من سبتمبر 1969م ردّاً على جريمة إحراق الكيان الصهيوني للمسجد الأقصى. وتُعَدُّ ثاني أكبر مُنَظَّمَة دَوْلِيَّة بعـــد الأمم المُتَّحِدَة؛ حيث تَضُمُّ في عضويتها ســـبعاً وخمســـين دولة مُوَزَّعَة على أربع قـــارات. ("تاريخ المُنَظَّمَة"، مُنَظَّمَة التعاون الإسلامي، د. ت، تاريخ الزيارة: 5 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/nRZNA3)
3. تَأَسَّسَتْ مُنَظَّمَة التعاون الاقْتِصَادِيّ والتَّنْمِيَة (OECD) رسميّاً في 30 سبتمبر 1961م، وَتَضُمّ 35 دولة حول العالم، وتعمل المُنَظَّمَة على تعزيز السياســـات التي تُؤَدِّي إلى تحســـين الرفاه الاقْتِصَادِيّ والاجْتِمَاعِيّ للشعوب في سائر أنحاء العالم، وتعمل المُنَظَّمَة على مســـائل تَتَعَلَّق بالتغيير الاقْتِصَادِيّ والاجْتِمَاعِيّ والبيئي الذي يشمل موضوعات مثل الإصلاح التنظيمي، والتَّنْمِيَة، والتجارة الدَوْلِيَّة. للمزيد يُنْظَر:
About the OECD, History, The Organisation for Economic Co- operation and Development (OECD), available at: goo.gl/bUKaVi
4. تَأَسَّســـتْ في 25 يونيو 1992م، من أجل تشـــجيع الاســـتقرار والعلاقات الاقْتِصَادِيّة بين دول كانت في معســـكرات متصارعة خلال حقبة الحرب الباردة، وَتَضُمّ في عضويّتها سِتّ دول مُطِلَّة على البحر الأسود هي؛ تركيا، وبلغاريا، ورومانيـــا، وأوكرانيا، وجورجيا، وروســـيا، كما تَضُمّ أيضاً ألبانيا وأرمينيا وأذربيجـــان واليونان ومولدافيا وصربيا. وتهدف المُنَظَّمَة إلى تعزيز التعاون الاقْتِصَادِيّ بين الدول الأعضاء، وتحقيق الاســـتقرار والســـلام في حوض البحر الأسود، وتشجيع العلاقات الوديَّة وحسن الجوار في المنطقة. للمزيد يُنْظَر: "تَعَرَّفْ على مُنَظَّمَة تعاون البحر الأسود"، الجزيرة نت، 1 سبتمبر 2017م، تاريخ الزيارة: 5 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/yhc2QE
5. أُنشئَتْ مجموعة الدول الثماني بمبادرة فرنسيَّة في عام 1975م، وتكوَّنَتْ أولاً من سِتّ دول هي؛ فرنسا وبريطانيا والولايات المُتَّحِدَة واليابان وإيطاليا وألمانيا، ثم انضَمَّتْ كندا للمجموعة في عام 1976م، ثم أصبحت مجموعة الثماني مع انضمام روســـيا التدريجيّ ابتداءً من عام 1998م. وهي ليســـت مُؤَسَّسَـــة دَوْلِيَّة ولا تَتَمَتَّع بشـــخصيَّة قانونيَّة، ولا تَتَّخِذ تدابير ذات طابع إلزاميّ، كما أنه ليس لديها أمانة عامة. ويســـعى أعضاء المجموعة إلى تحديد التدابير الواجب اتِّخَاذها في القضايا العالميَّة الكبرى الاقْتِصَادِيّة والسِّيَاسِيَّة والأمنيَّة. للمزيد يُنْظَر: "مجموعة الدول الثماني"، الدبلُومَاسِيَّة الفرنسيَّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 5 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/cmcHih

وقـــد أكَّد أحمد داود أوغلو من خلال النَظَرِيَّات الثلاث: "العُثْمَانِيَّة الجديدة"، "التَّحَوُّل الحَضَـــارِيّ" و"العُمْق الاسْـــتِرَاتِيجِيّ"، على ضرورة إيلاء تركيـــا العناية أولاً بتطوير قدرتها على جَسّ النَّبْض المستمر للعالم العَرَبِيّ والإِسْلاَمِيّ، والإنصات لإيقاع التَّغَيُّرَات الاجْتِمَاعِيَّة، الثَّقَافِيَّة والسِّيَاسِيَّة الْجَارِيَة داخل مجتمعاته؛ وذلك باعتبارها مرحلة إعداد أوليّ لدُبْلُوماسِيَّة تُرْكِيَّة فاعلة، لا تستدعي استعمال كُلّ قدراتها في المرحلة الآنية(1). ففي ظِلّ "جغرافيا العولمة" تَحَرَّرَتْ تركيا إذن، من آثار الصِّرَاع الجيوسِـــيَاسِيّ للحرب الباردة بين الشرق والغرب، فبدأت في إثبات وجودها، واعتمدت في سياســـتها على عوامل مُســـاعَدَة وأخرى مُؤَثِّرَة، وبالتَّـــالِي لم يَعُدْ من الممكن اعتبارها طَرَفاً مَقْصِيّاً وهَامِشِـــيّاً في قضايا الخليج، بحر قزوين والمناطـــق القارّيَّة المحيطة، مثل: أوروبا، شمال إفريقيا، جنوب آسيا ووسط وشرق آسيا. (2)

أولاً: أوراق تركيا في لُعْبَة القيادة الإِقْلِيمِيَّة:

تتواجد تركيا في مركز الصِّرَاع على مصالح حيويَّة بين قُوَى دَوْلِيَّة كبرى، مثل التَّدَخُّل الأَمْرِيكِيّ في أفغانســـتان والعراق. ناهيك عن صراع أمريكا وروسيا في القوقاز(3)،

1. يَخْلُص أوغلو إلى أنَّ تركيا لم تَتَصَرَّف بمكانتها كلّها أو بأعلى إمكانيَّاتها في سياســاتها الإِقْلِيمِيَّة والعالميَّة، وذلك من خلال قراءته المتقصيَّة للتاريخ العُثْمَانيّ على مدى أكثر من أربعة قرون، ولتاريخ الجمهوريَّة الكماليَّة خلال العقود الثمانيَّة الماضيَّة من القرن العشرين.
2. لمزيد من التفاصيل، انظر:
- أحمــد داود أوغلــو، العُمْق الاسْــتِرَاتِيجِيّ.. موقع تركيا ودورها في الســاحة الدَوْلِيَّة، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبدالجليل، (مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2010م) .
- أحمــد داود أوغلــو، العالم الإســلامي في مَهَبّ التَّحَوُّلات الحضاريَّة، ترجمــة إبراهيم البيومي غانم، القاهرة، مكتبة الشروق الدَوْلِيَّة، 2006م.
3. يرتكــز الــصراع الروسي الأَمْرِيكِيّ في منطقة القوقاز، على المــوارد النفطيَّة الضخمة في بحر قزوين، وخطوط الأنابيب النفطيَّة والغازيَّة التي تمرُّ بالمنطقة؛ حيث تَعْتَبِر روسيا منطقة القوقاز بمثابة الفناء الخلفي لها وبوَّابة أمنها القومي بمعناه الواسع، ومن ثَمَّ فهي تُعَارِض انتماء هذه الدول لحلف الناتو أو أي مظلة أمنيَّة أو سِيَاسِيّة غربيَّــة، كــما ترفض إقامة قواعد عَسْــكَرِيَّة للحلف في القوقاز، وتعارض أيضاً أيّ محاولات للوجود العســكري الأَمْرِيكِيّ في المنطقة. للمزيد يُنْظَر: بثينة اشــتيوي، "روســيا وأمريكا من سيحســم الصراع؟"، ساسة بوست، 12 أبريل 2014م، تاريخ الزيارة: 6 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Fbb4Xu

أمريكا وإيران، وسباق النُّفُوذ بين الغرب والصين في منطقة الخليج، إلى غير ذلك من الصِّرَاعات المُحْتَدِمَة بالمنطقة، والَّتِي لا يمكن لأيَّة قُوَّة أن تتجاهل الدور التُّرْكِيّ في أيّ ترتيبٍ تريد فَرْضَه على المنطقة. فلا يمكن لأمريكا مثلاً أن تنسحب من العراق دون ترتيبات توافق عليها تركيا. ولا يمكن لروسيا أن تَتَحَرَّكَ في القوقاز دون تفاهُم مع تركيا. ولا يمكن لأوروبا أن تُؤَمِّن ظهرها من الشرق، وتحصل على تَدَفُّق الطَّاقَة إلى أسواقها وبيوتها دون دور تركي. (1)

علماً بأنَّ تركيا كانت تُقَدِّمُ مبدأ التعاون على الصِّرَاع، والبحث عن المشترك بدل المفترق مع الأطراف الأخرى. وهنا يأتي دور الإسلام في تثبيت هذه الرؤيَة السَّدِيدَة، كونه ميراثاً مشتركاً مع الدول العَرَبِيَّة والإسْلاَمِيَّة، ولا يعتبره أوغلو شرعيَّة جديدة من أجل استرداد هيمنة السلطنة العُثْمَانِيَّة. فتركيا لا تزال تراهن في المقام الأَوَّل على الحلف الغربي، وتريد الارتقاء من قُوَّة إِقْلِيمِيَّة تَتَحَكَّم في جوارها إلى قُوَّة عَالَمِيَّة تقتسم نفوذ القرار الدَّوْلِيّ مع الكبار(2). ولمَّا كانت هذه المنطقة مُهِمَّة للعالم، وتَتَعَرَّض في نفس الوقت لعوامل مُسْتَمِرَّة تَهُزُّ استقرارها، فإن تركيا وجدت أنَّ أهم دورٍ يمكن أن تقوم به في المرحلة القادمة هو تَرْسِيَةُ أُسُس الاستقرار والتعاون، وهذه السِّيَاسَة يُعَبِّر عنها أوغلو بسياسة "صفر مشاكل"، سواءً على صعيد الداخل التُّرْكِيّ أو بالجوار القريب، خاصةً تِجَاه العالم العَرَبِيّ ومنطقة القوقاز.(3)

بعد ذلك يأتي دور الجوار البعيد فالأبعد، وهكذا دواليك، وهي جزءٌ من سياسة القُوَّة النَّاعِمَة الَّتِي تُقَدِّمهَا أنقرة على" القُوَّة الصَّلْبَة"، أو القُوَّة العَسْكَرِيَّة.

---

1. الحواس تقيه، الصادق الفقيه، قراءتان في كتاب "العُمْق الاسْتراتِيجِيّ" لأحمد داوود أوغلو، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 5 أكتوبر 2010م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/yXwg5q
2. يَعْتَبِر أوغلو أن مواصلة تركيا نهج كمال أتاتورك في التحالف مع الغرب في توافق مع اتجاه تركيا نحو الشرق، شبيه بحركة القوس التي كلما شُدَّ الوتر للوراء نحو الشرق، كلما ذهب السهم بعيداً إلى الأمام، أي نحو الغرب. للمزيد يُنْظَر: أحمد داود أوغلو، العُمْق الاسْتراتِيجِيّ.. موقع تركيا ودورها في الساحة الدَوْلِيَّة، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبدالجليل، (مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2010م).
3. الحواس تقيه، الصادق الفقيه، قراءتان في كتاب "العُمْق الاسْتراتِيجِيّ" لأحمد داوود أوغلو، مركز الجزيرة للدراسات، مرجع سابق.

وهو في هذا لا يَعْرِضُ رؤيته كانقطاع في مســـار تركيا، بل كاســـتمرار لنفس الخَطِّ الاسْتِرَاتِيجِيّ الأسبق الَّذِي سطّره أتاتورك؛ إذ من الخطأ البحث في كتابه (1) عن إدانة كليَّة للفترات الســـابقة، أو القيام بانقلاب على اتجاهها الرئيسي. فالهدف أن تستفيد تركيا، في ســـعيها المُسْتَمِرّ نحو المشاركة في القيادة العَالَمِيَّة، من الوضع الحالي لرفع مردود مواردها؛ وأوغلو قومي مثل مُؤَسِّس الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة، ولكنه يثري قوميّته بأبعاد أخرى ترفع من فُرَص تركيا في تحقيق مصالحها. ومَنْ يَعْتَقِد أنه أُمَمِيٌّ إسلاميّ يُقَدِّم مصالح أخرى على مصالح بلده، فلن يجد في مُؤَلَّفِه ما يُسْعِف فرضيَّاته.

ثانياً: السِّيَاسَة التُّرْكِيَّة الجديدة:

يُعـــدِّد أوغلو نجاحات هذه السِّيَاسَـــة الجديدة، فيَتَحَدَّثُ عـــن التَّدَخُّل في العراق لملاحقة المُتَمَرِّدِينَ الأكراد، ويقول بأنه وجد القَبُول من جميع الأطراف الْمَعْنِيَّة؛ وأن تركيا حصلت من المكاسب والاهتمام من أوروبا في السنوات الأخيرة ما لم تحصل عليه في العقود السابقة. وبالطبع، يمكننا أن نُعَدِّد المكاسب النَّاجِمَة عن هذه السِّيَاسَة من خلال اعتراض تركيا على تعيين الدنماركي، أندرس فوغ راسموسن (2) Anders Fogh Rasmussen، على

1. لمزيد من التفاصيل، انظر:
- أحمـــد داود أوغلـــو، العُمْق الاسْـــتِرَاتِيجِيّ.. موقع تركيا ودورها في الســـاحة الدَوْلِيَّة، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبدالجليل، (مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2010م) .
- أحمـــد داود أوغلـــو، العالم الإســـلامي في مَهَبّ التَّحَوُّلات الحضاريَّة، ترجمـــة إبراهيم البيومي غانم، القاهرة، مكتبة الشروق الدَوْلِيَّة، 2006م.
2. سِيَاسِيّ دانماركي، تَوَلَّى منصب الأمين العام لحلف شمال الأطلسي (الناتو) عام 2009م، عَرَفَهُ العالم الإسلامي أثناء أزمة الرســـوم المســـيئة إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم عام 2006م؛ إذ دافع عن نشرها بحجة "حريَّة التعبير". ولد أندرس فوغ راسموسن يوم 26 يناير 1953م في مدينة صغيرة وسط شبه جزيرة يولاند بالدانمارك، لأسرة مزارعة. حصل على ماجستير في علم الاقتصاد من جامعة أوروس الدانماركيَّة. شَغَلَ خلال مسيرته المهنيَّة مناصـــب عديـــدة، فقد تَقَلَّدَ عام 1988م منصب وزير الضرائـــب، وجمع معه وظيفة وزير الاقتصاد خلال 1990 و1992م. وتَوَلَّى رئاســـة وزراء الدانمارك من 27 نوفمبر/تشرين الثاني 2001م إلى 5 أبريل/ نيســـان 2009م؛ حيث أصبح الأمين العام لحلف شمال الأطلسي. للمزيد يُنْظَر:
Biography: NATO Secretary General Anders Fogh Rasmussen", NATO , 01 Oct. 2014، available at: goo.gl/QMF7Qo"

رأس قيادة الحلف الأطلسي، لموقفه المدافع عن الرســـومات المسيئة(1) للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ونجاحها الكبير في تَمَكُّنِهَا من غَلْق محطة إعلاميَّة للمُتَمَرِّدِينَ الأكـــراد تُبَثّ من الدنمارك، إضافة إلى منصب قيـــادي مُهِمّ في الحلف الأطلسي، وتنازلات أخرى مقدَّمة من الإدارة الأمْرِيكِيَّة(2). فوق هذا، لم تُجَرِّد هذه الاسْتِقْلَالِيَّة تركيا من احترام أمريكا، بل إن الرئيس الأمْرِيكِيّ السابق باراك أوباما جعل من تركيا أول منبر يخاطب منه العالم الإسْلَامِيّ مباشرة(3).

وعلى صعيد مستقبل السِّيَاسَة الخَارجيَّة التُّرْكِيَّة، من خلال المنطلقات الكبرى المحدَّدة لها، نجد أن أوغلو يَتَعَرَّضُ مثلاً للخلاف مع أمريكا بخصوص إيران. إذ يقول في هذا الصدد، بأنَّ تركيا بلد يزدهـــر اقْتِصَادِيّاً، وبحاجة إلى الطَّاقَة الَّتِي توجد في إيران، وليس من مصلحة بلاده أن تكون جزءاً من صراعٍ يَهُزُّ استقرار إيران، ويضرّ بمصالح تركيا الحَيَوِيَّة وطويلة الأمد. فالرفض لسياســة القُوَى الغَرْبِيَّة بالمنطقة سيتزايد دون الإخلال بمبدأ التعاون معها، كما حدث في أفغانستان، حين كانت تركيا أول من دعا إلى حلٍّ سِيَاسِيّ للصراع؛ لأن الخيار العَسْكَرِيّ لن يزيد الأوضاع إلا اضطراباً.

1. في سبتمبر 2005م قامت صحيفة يولاندس بوستن الدانماركيَّة القريبة من تَوَجُّهَات اليمين الحاكِم بعرض رسوم كاريكاتوريَّة مسيئة إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. وعلى إثْر ذلك اندلعت احتجاجات واسعة في العالم العربي والإســلامي رفضاً لهذا الأمر الذي يمسُّ شــخص الرســول الكريم. وقد انطلقت على إثر رفض الحكومة الدانماركيَّة الاعتذار عن تلك الرســوم المســيئة حملات شــعبيَّة في الدول العَرَبِيَّة والإسْــلَامِيَّة لمقاطعة البضائع الدانماركيَّة. للمزيد يُنْظَر: تسلسل زمني للأحداث في أزمة الرسوم المسيئة، الجزيرة نت، 19 فبراير 2008، تاريخ الزيارة: 6 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/RvoHgb
2. الحواس تقيه، الصادق فقيه، قراءتان في كتاب "العُمْق الاسْتِرَاتِيجِيّ" لأحمد داوود أوغلو، مركز الجزيرة للدراسات، 5 أكتوبر 2010م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/yXwg5q (مرجع سابق).
3. في أبريــل 2009م، وفي مُسْــتَهَلّ فترة حكم الرئيس الأمْرِيكِيّ الســابق باراك أوباما، اختــار أوباما تركيا كمنبر لمخاطبة العالم الإسلامي والإعلان عن سياساته الجديدة التي تختلف عن استِرَاتيجيَّة جورج بوش الابن الصداميَّة التــي أجَّجَــت الحروب والصراعات في الكثير من دول المنطقة، وقد توجَّه أوباما إلى إســطنبول مخاطباً العالم الإســلامي عبر كلمته الشــهيرة أمام منتــدى تحالف الحضارات. للمزيــد يُنْظَر: "أوباما يلتقــي القادة الأتراك ويُخَاطِب العالم الإســلامي"، الجزيرة نت، 6 أبريل 2009، تاريخ الزيارة: 6 أغســطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/AtfUcx

علماً بأنَّ تركيا تُواجِه نفس المشكلة الَّتِي تواجهها أوروبا في المراهنة على القُوَّة النَّاعِمَة، وتَتَعَلَّق بالاتِّفَاق مع القُوَى الأخرى على أن الاستقرار يصبّ في مصلحة الجميع. وهو مـــا يصطدم بواقع وجود قُوًى أخرى تـــرى أن من مصلحتها تغيير الأوضاع بالقُوَّة؛ لأن الوضع الراهن ضارّ بها ولا يمكن تغييره بالطرق الســـلميَّة. ولا تزال السِّيَاسَـــة التُّركِيَّة الجديدة لا تجد تَفَهُّماً وقبولاً عند القُوَى الغَرْبِيَّة، فهناك سوء فهم كبير بين الجانبين، ناتج عن سنوات طويلة سابقة كانت تركيا فيها دائمة الإجابة بـ"نعم" كبيرة على الطلبات الغَرْبِيَّة(1).

ثالثاً: السِّيَاسَة الخَارجِيَّة التُّركِيَّة والتَّأثِير الإِقْلِيمِيّ والدَّوْلِيّ:

انتهجت تركيا في ســـبيل تمكين ذاتها من التَّأثِير في سياستها الخَارجِيَّة، بناء شبكات من التحالفات الدَّوْلِيَّة مع الدول العَرَبِيَّة والعديد من الجمهوريَّات في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينيَّة وأوروبا، مما ساعد على إظهار الصورة الكاملة لتركيا المستقبل. تركيا الَّتِي تربطها علاقات واســـعة ومُتَعَدِّدَة المستويات بكلٍّ من إسرائيل وإيران وأوروبا والحركات الإِسْـــلامِيَّة، لكنها بمُجْمَلِهَا علاقات تُمَثِّل دعامــــة لهذه الدَّوْلَة الَّتِي هي بالأساس عضو في الناتو، ولديها مكتسبات كبيرة.

هكذا مهَّد الحلم التُّرْكِيّ طريقه إلى منطقة الشرق الأوســـط، وذلك بهدف واحد هو السعي لتحقيق المَقْدْرَة على التَّأثِير، ومِنْ ثَمَّ ربط دول الشرق أوسطيَّة بتركيا عن طريق وســـائل عديدة، منها: التغلغل الديني، الاقْتِصَادِيّ أو الثَّقَافِيّ. أي بالوسائل النَّاعِمَة. خاصة في مرحلة حرجة كهذه الَّتِي تمُرّ بها العلاقات الدَّوْلِيَّة؛ إذ زادت الحاجة لإيجاد الحلول للمشاكل على أساس القوانين الدَّوْلِيَّة والتعدديَّة التوافقيَّة المشتركة.

---

1. لمزيد من التفاصيل، انظر:
- أحمـــد داود أوغلـــو، العُمْق الاسْـــتِرَاتِيجِيّ.. موقع تركيا ودورها في الســـاحة الدَوْلِيَّة، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبدالجليل، (مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2010م) .
- أحمـــد داود أوغلـــو، العالم الإســـلامي في مَهَبّ التَّحَوُّلات الحضاريَّة، ترجمـــة إبراهيم البيومي غانم، القاهرة، مكتبة الشروق الدَوْلِيَّة، 2006م.

رابعاً: الخَارجيَّة التُركِيَّة - نظرة سِيَاسِيَّة:

في هذا الإطار تعتمد تركيا سياســة خَارجِيَّة متأنيَّــة، هادفة ومُتَعَدِّدَة الأبعاد، وذلك في سياق تأسيس السلام العَالَمِيّ عامة، وفي المجال الإقْلِيمِيّ القريب منها على وجه الخصوص. إذ تُولِي تركيا أهَمِّيَّة خاصة لروابطها العابرة للمحيط، وتشــارك بفَاعِلِيَّة في عمل حلف شمال الأطلسي لحماية الأمن والاستقرار العالمِيَّيْن.

إضافةً إلى اســتمرارها في تعزيز علاقاتها بدول الجوار، وســعيها الدَّؤُوبُ لإزالة الخلافات والتَّدَخُّل في نقاط التَّوَتُّر. راســمة بذلك صورة قَوِيَّة وفاعلة في السِّيَاسَة الخَارجِيَّة، عبر طُرُقٍ ووســائل تُمَكِّنُهَا من الانفتاح أكثر على العالم، وبأشكال تَوَاصُل وتدخُّل مُتَعَدِّدَة. فمن جهة مثلاً، فإن تركيا لديها عوامل مســاعدة تمَنحها مزايا جعل علاقات تركيا أكثر تأثيراً في أزمات القرن الإفريقي، وتَتَلَخَّص في(1):

- وجود علاقات ثَقَافِيَّة ودينيَّة تَجْمَعُ تركيا بِعَدَدٍ كبيرٍ من دول إفريقيا.
- قُرْب تركيا إلى إفريقيا أكثر من روسيا والصين والبرازيل تاريخيّاً وجغرافيّاً.
- تمركُّز تركيا في المرتبة الثالثة ضمن الدول المانحة للمســاعدات الإنْسَــانيَّة غير المشروطة في إفريقيا.
- تصاعُد القلق الغَرْبِيّ من تعاظُم الدور الصِّينِيّ في إفريقيا.
- تمتُّع تركيا بحُرِّيَّةٍ أكثر من دولٍ مُعَيَّنَةٍ؛ مثل إسرائيل وإيران، بسبب البيئة المعاديَّة نسبيّاً أو المقاطعة والعقوبات.
- تَوَفُّر تركيا على خبرة عَمَلِيَّة أكثر في مجالات التَّنْمِيَة والبنية التحتيَّة.
- حيازة تركيا على خبرة أمنيَّة وعَسْكَرِيَّة أكبر بواقع وجودها في الناتو.

1. محمود سمير الرنتيسي، "الدور التُّركِيّ في شرق إفريقيا: الدوافع والمكاسب"، مركز الجزيرة للدراسات، 15 مارس 2015م، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: http: //goo.gl/7bGXS4

من جهة أخرى، هناك نقطة أخرى تَتَعَلَّق بدور تركيا كعضو فعَّال ومســـؤول في المجتمع الدَّوْليّ، تعمل جاهدةً من خلال دورها الْحَيَوِيّ والاسْترِاتِيجِيّ، على مصالحة الغرب مع الشرق والشمال بالجنوب، وذلك بما يتناسب أولاً، ومكانتها القَوِيَّة لتعزيز أواصر التقارب بين الثَّقَافَات. ولموقعها الجُغْرَافِيّ ثانياً، وسط المجال الأفرو - آسيوي وارتباطاتها به. **ويمكن القول أيضاً:** إنَّ مساحة التَّأثِير التُّرْكِيّ برزت من ناحية العلاقات المُؤَسَّسَاتيَّة لتركيا، سواءً على شكل عضويَّة أو مراقبة، أو تنسيق وشراكة مع العديد من المُنَظَّمَات الإقْلِيمِيَّة والدَّوْلِيَّة. مما يعني عزم تركيا على الاســـتمرار في سياســـة خَارجِيَّة بنَّاءة ومسؤولة، تُشِيع الثِّقَة حولها لدواعي المصلحة الوَطَنِيَّة في عالم تَكْتَسِب فيه المجريات والتَّطَوُّرَات الدَّوْلِيَّة، أبعاداً مترامية.

ومن خلال كُلّ ذلك، برزت دوافع تغيير جديدة في اسْترِاتِيجِيَّة التَّأثِير الدَّوْلِيّ لتركيا، كَقُوَّة مِحْوَرِيَّة، وهذا ما توضحه النقاط التالية(1):

- احتواء الصُّعُود الصِّينِيّ في منطقة جنوب شرق آسيا.
- مواجهة التحالف الصِّينِيّ الرُّوسِيّ، إضافة إلى تحويل منطقة شـــنغهاي للتعاون والَّذِي أُسِّس عام 1996م، كتحالف مُضَادٍّ لحلف الناتو.
- أمن وحُرِّيَّة الملاحة في بحر الصين، خاصة مضيق مَلَقَـــا(2)، والَّذِي تَـــعْتَبِرُه الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة أمراً حَيَوِيّاً لا يمكن التَّخَلِّي عنه.

1. عصـــام فاعور مـــكاوي. "تركيا والخيارات الاســـترَاتيجيَّة المتاحة"، اللقاء العلمي حول الرؤى المســـتقبليَّة العَرَبِيَّة والشراكات الدَوْلِيَّة، الخرطوم/السودان، مايو 2013م، ص ص 12- 15.
2. يُعْتَـــبَرَ مَضِيق ملقا من أهم المَمَرَّات الاســـترَاتيجيَّة المائيَّة في العـــالم إلى جانب مَضِيق هُرْمُز، وهو أطول مَضِيق للملاحة البحريَّة في العالم. يبلغ طول المضيق حوالي 800 كلم، وعرضه بين 50 و320 كلم (أضيق مكان فيه بعرض 2.5 كلم)، وعمقه ما يقارب الـ23 متراً أي حوالي 70 قدماً. ويقع المَضِيق بين كلٍّ من ماليزيا وإندونيسيا كما تقع سنغافورة على طرفه، وهو يربط بين المحيط الهندي وبحر الصين الجنوبيّ والمحيط الهادئ؛ الأمر الذي يجعله مركـــزَ تقاطع تجاري بين أوروبا وآســـيا في المحيط الهـــادي. ومن خلاله يَتِمّ نقل حوالي 40% من تجارة العالم، ويمُرّ عَبْرَه ســـنوياً أكثر من 50 ألف ســـفينة تجاريَّة مُحَمَّلَة بمختلف المواد والبضائع من جميع أنحاء العالم، كما يشـــهد مـــرور ما بين 80 إلى 90% من الواردات النفطيَّة لـــدول مثل الصين واليابان، وكوريا الجنوبيَّة، وتايوان. (Strait of Malacca, Encyclopædia Britannica, available at: goo.gl/5kbs5m)

- استكمال حربها على الإرهاب، وتفكيك بِنْيَتِهِ في مناطق جنوب شرق آسيا، وضبط الانتشار النَّوَوِيّ، خاصة في ما يَتَعَلَّق بسعي كوريا الشماليَّة إلى خرق معاهدة حظر الانتشار النَّوَوِيّ.

هكذا بدأت تركيا تستشعر أبعاد قُوَّتهَا الإِقْلِيمِيَّة، وشرعت في البحث لنفسها عن دور إِقْلِيمِيّ يليق بمكانتها، عَقِب وصول حزب العدالة والتَّنْمِيَة للسلطة عام 2002م. وذلك في إطار العمل بمفهوم البدائل الممكنة، والَّذي توضع بموجبه الاسْتِرَاتِيجِيّات الجديدة أو المُسْتَجَدَّة لتحديد الدور التُّرْكِيّ الإِقْلِيمِيّ الجديد، **ويَتَمَيَّزُ بخصائص نستعرضها في ما يلي:**

- **الموقع الجُغْرَافِيّ والثُّنَائِيَّة القاريَّة (آسيا وأوروبا):**

بعد انهيار الاتِّحَاد السُّوفييتِيّ، واختفاء الخَطَر الْمُحْدِق بها، فَقَدَتْ تركيا أحد أَهَمّ وظائفها الأَسَاسِيَّة باعتبارها خَطّ الدِّفَاع المُتَقَدِّم لحلف شمال الأطلسي أثناء حِقْبَة الحرب الباردة. إلا أنها بقيت محتفظة بأَهَمِّيَّتها الاسْتِرَاتِيجِيَّة، نظراً لموقعها الجُغْرَافِيّ المُتَمَيِّز الواقع على مفترق الطرق بين القوقاز والبلقان والشرق الأوسط والمصطلح على تسميته بأوارسيا (نقطة تقاطع قَارَّات العالم الثلاث: آسيا، أوروبا وإفريقيا)، إلى جانب كونها دولة مُطِلَّة على البحر الأسود وبحر قزوين والبحر الأبيض المتوسط، وتَحَكُّمهَا كذلك بمضِيقَيْ البسفُور والدردنيل، ولها ارتباط بمياه البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط. كما تَتَمَيَّزُ تركيا بمساحة مُعْتَبَرَة تبلغ نحو 783،562 كم2، إذ تَحْتَلّ المركز الثامن والثلاثون عَالَمِيّاً من حيث المساحة، وهي محاطة بالبحر من ثلاثة جوانب: بحر إيجة إلى الغرب، والبحر الأسود في الشمال، والبحر الأبيض المتوسط إلى الجنوب، إضافةً إلى بحر مرمرة في الشمال الغَرْبِيّ من تركيا(1).

1. Turky CIA World Factbook, available at: goo.gl/mwG8YR

وبناءً على هذه المعطيات، تستغِلّ تركيا مركز ثِقَلِهَا الجيوبوليتيكي فــــي منطقـة الشـرق الأوسـط، إضـافةً إلى عضويّتها فـي مُنَظَّمَات إِقْلِيمِيَّة ودَوْلِيَّة وازنة لِلَعِبِ دور كبيـر فـي السِّيَاسَة العَالَمِيَّة كَكُلٍّ. دون إغفال دورها في مَلْءِ الفراغ الـطارئ فـي المنظومــــة الإِقْلِيمِيَّة، بعـد احـتلال العـراق(1) وتَوَتُّر علاقاتهـا بإسـرائيل، وَلَعِب دور القُوَّة الموازيَّة لطموح إيران الإِقْلِيمِيّ. أيضاً قيامها بدور الوســـيط في الإقليم، والسعي عبر ذلك لأن تكون القُوَّة الإِقْلِيمِيَّة الأُولَى في المنطقة. (2)

وعليه، يمكن القول بأن الموقع الجيواستراتيجيّ الَّذِي تَتَمَتَّع به تركيـــا يُؤَهِّلُهـا لِلَعِبِ دورٍ مِحْوَرِيّ بالمنطقة، ويَفْرِضُ عليها الاهتمام بالمجريات الإِقْلِيمِيَّة، لإبعاد أيّ شـــكل مـن أشـــكال التَّهْدِيد الأَمْنِيّ لأراضيها من ناحية، وتحصيل منـافع اقْتِصَادِيَّة عديـدة، سـواءً في إطار علاقاتها التِّجَارِيَّة أو من خلال عبـور مـوارد الطَّاقَة عبـــر أراضـيها مـن ناحيةٍ ثانيـــةٍ. مما يَمْنَحُهَـا مجالاً أوسـع للحركـة والبحـث عـن النُّفُوذ الإِقْلِيمِيّ والدَّوْلِيّ من ناحية ثالثة(3).

1. أقدمتْ الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة على غزو واحتلال العراق في شهر مارس من عام 2003م، مستعينَةً بتحالُفٍ دَوْلِيّ ضَمَّ بريطانيا ودولاً أخرى، حيث أطاحت بنظام الرئيس العراقي الســابق صدام حســين بدعوى حيازة بغداد لأســلحة دمار شــامل، وَفْقاً لمعلومات الاستخبارات المركزيَّة الأمْرِيكِيَّة، وهي الحرب التي كَلَّفَتْ آلاف الضحايا، وأَوْقَعَتْ الشرق الأوسط في حالةٍ من الفوضى، قبل أن يَتَبَيَّنَ لاحقاً أنها بُنِيَتْ عــلى مجموعةٍ من الأكاذيب والمعلومــات المُضَلِّلَة. (حرب العراق- بدأت بكذبة وآلت إلى فوضى، دويتش فيله، 9 إبريل 2018م، تاريخ الزيارة: 6 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Ysci4c).
2. عصــام فاعــور مكاوي. "تركيا والخيارات الاســتراتيجيَّة المتاحة"، اللقاء العلمي حول الرؤى المســتقبليَّة العَرَبِيَّة والشراكات الدَوْلِيَّة، الخرطوم/السودان، مايو 2013م، ص ص 12- 15.
3. عصام فاعور مكاوي. "تركيا والخيارات الاستراتيجيَّة المتاحة"، المرجع السابق.

- **الجانب الاقْتِصَادِيّ ومسار القُوَّة العَسْكَرِيَّة:**

أُدْرِجَ الاقتصاد التُّرْكِيّ ضمن سبع قُوًى اقْتِصَادِيَّة صاعدة في العالم، إلى جانب الصين والبرازيل والهند وإندونيسيا والمكسيك وروسيا. وأَصْدَرَ في هذا الصدد، مركز الدارسات بالكونجرس الأمْرِيكِيّ تقريراً حول مستقبل الاقتصاد العالمي، تَحَدَّثَ فيه بثناء عن تركيا صاحبة المركز السادس عشر اقْتِصَادِيّاً في العالم، والَّتِي حَلَّتْ ثانياً بعد الصين في النُّمُوّ الاقتِصَادِيّ(1). ويَتَوَقَّعُ نفس التقرير أن تقفز إلى المركز الثاني عشر بين أكبر الاقتِصَادِيّات في العالم بحلول عام 2050م.(2)

ويمكن القول: إنَّ تركيا تسعى منذ فترة لإعادة بناء وضعها الإِقْلِيمِيّ في المنطقة، مُسْتَغِلَّة الظروف والبيئة الإِقْلِيمِيَّة والدَّوْلِيَّة لتحقيق ذلك. كما تسعى لخَلْق منطقة نفوذ لها في منطقة الشرق الأوسط، استثماراً منها للأحداث الْجَارِيَة في بعض دوله وعلى مَقْرُبَةٍ من حدودها. فيما شكَّلت بموقعها الجيواسْتِرَاتِيجِيّ، قاعدة انطلاق لمختلف الجهات، خاصة أنها تُشَكِّل القاعدة الأماميَّة لحلف شمال الأطلسي في منطقة الشرق الأوسط. مما يجعل قُوَّتهَا العَسْكَرِيَّة مَحَلّ اهتمام دَائِم من طرف حلف شمال الأطلسي، والدليل على ذلك، وضع منظومة صواريخ باتريوت على الحدود بين تركيا وسوريا حاليّاً(3). فالاتِّسَاع والعُمْق الجُغْرَافِيّ لتركيا يتيح إمكانيَّة إنشاء قواعد عَسْكَرِيَّة ونشر قُوَّات مَهَامّ مُتَعَدِّدَة

1. Raymond J. Ahearn, Rising Economic Powers and U.S. Trade Policy, Congressional Research Service, December 3, 2012.
2. Raymond J. Ahearn، Rising Economic Powers and U.S. Trade Policy, Ibid.
3. كانت تركيا قد طلبت، في نوفمبر 2012م، من شركائها في حلف الأطلسي نشر صواريخ باتريوت على الحدود التُّرْكِيَّة السُّورِيَّة؛ خوفاً من تمدُّد النِّزَاع السُّورِيّ إلى أراضيها، حيث أَكَّدَتْ رئاسة أركان الجيش التُّرْكِيّ آنذاك "هذا النِّظَام سَيَتِمّ نَشْره لدوافع دفاعيَّة بحتة لمواجهة أيّ تهديد قد يأتي من سوريا، وأنه لن يَتِمّ استخدامها في شَنّ عمليات هجوميَّة أو لإقامة منطقة حَظْر جَوِّيّ فوق سوريا". للمزيد يُنْظَر: "الجيش التركي: نشر صواريخ باتريوت يستهدف مواجهة أيّ تهديد من سوريا"، قناة الحُرَّة الإخباريَّة، 26 نوفمبر 2012، تاريخ الزيارة: 6 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/emNqb6

مع إمكانيَّة تدريبها فـــي أراضـي مُتَنَوِّعَة التضاريس: جبليَّة، زراعيَّة وساحليَّة. **وذلك بالاعتماد على ما يلي**(1):

1. **التَّحَكُّـــم بمضيق البســـفور والدردنيل**(2)، ذوي الأهَمِّيَّة الاسْـــترَاتِيجِيَّة، والمتحكِّمِـــينَ في حركة الملاحـــة والقُوَّات المُتَّجِهَة إلى المناطـــق الجُغْرَافِيَّة المتاخمة عبر البحرين الأسود والمتوسط.
2. **توفير أقصر الطرق الْبَرِّيَّة والجَوِّيَّة والدَّوْلِيَّة** الرابطة بين الشرق والغرب عـــبر منطقة شرق وجنوب شرق الأناضول؛ حيـــث تُمَثِّل تركيا اتجاه القرب الرئيسي إلى عمق القَارَّة الأُورُوبِيَّة من جهة الشرق.
3. **تَوَفُّر شبكة ضخمة من خطوط المواصلات الْبَرِّيَّة والبَحْرِيَّة والجَوِّيَّة**، مع وجود حُرِّيَّة الحركة والمناورة لِلْقُوَّات المُسَلَّحَة التُّرْكِيَّة داخل مسارح العمليَّات الاسْترَاتِيجِيَّة المُهِمَّة.
4. **تَوَفُّر عناصر الإنتاج**، وتقديم التكنولوجيا العَسْكَرِيَّة إمكانيَّة قيـام صـناعات حربيَّة مَحَلِّيَّة ومشـــتركة، أبرزها صناعات تجميع الطائرات وعربات القتال والصناعـــات الإلكترونيَّة، ونُظُم التَّسَـــلُّح البحريّ. وقد بيَّنَتْ دراســـة قام بهـــا د. عصام فاعور ملكاوي تَفَوُّق تركيا في كثير من المُؤَشِّرَات السُّـــكَّانيَّة والاقتِصَادِيَّة والعَسْـــكَرِيَّة على نظيراتها من القُـــوَى الإقْلِيمِيَّة الأخرى، أي إيران ومصر والسُّعُودِيَّة وإسرائيل.(3)

---

1. عصام فاعور مكاوي. "تركيا والخيارات الاستراتيجيَّة المتاحة"، مرجع سابق.
2. يُعتبر مَضِيقا البسفور والدردنيل، من أضيق المَمَرَّات البحريَّة في العالم، هما المخرج الوحيد للبحر الأسود المُغلَق؛ حيث يتَّصل البحر الأســود بالبحر المتوســط عبر مضيقي البســفور والدردنيل، ويبلغ طول الأول 58 كيلو متراً، وأدنى عرض له 868 متراً، في حين يصل طول الثاني إلى 27 كيلو متراً، وأدنى عرض له 640 متراً، وتقع مدينة إســطنبول على جَانِبَيْ مضيق البســفور. للمزيد يُنْظَر: مضيقا البسفور والدردنيل: الأهَمِّيَّة الاســترَاتيجيَّة لتركيا، تركيا بوســت، 8 ديســمبر 2015، تاريخ الزيارة: 6 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/qWdHcC
3. عصام فاعور مكاوي. "تركيا والخيارات الاستراتيجيَّة المتاحة"، مرجع سابق، ص 15.

وإجمالاً، تقوم المعادلة الجديـدة للسياسة الخَارجيَّة التُّركيَّة على عِدَّة مرتكزات تَبَنَّاهَا حزب العدالة والتَّنْمِيَة، وتعتمد مُقَوِّمَات القُوَّة التُّركيَّة المُتَمَثِّلَـــة في الموقع الاسْتراتِيجِيّ بين الشرق والغرب، والإرث الحَضَارِيّ، والقُوَّة العَسْكَرِيَّة، والاقتصاد المتنامي، مع العمل على فتح القنوات الدُبْلُوماسِيَّة والسِّيَاسِيَّة بمختلـف الجهات، وإقامـة علاقـات إِيجَابِيَّة مـع مـن كـانوا يُعتبَـرُون خصوماً بالأمس. وهي معادلة لم تكن مُجَرَّد قراءة سِيَاسِيَّة أو عَسْكَرِيَّة لتوازنات القُوَّة بل دخولاً في عُمْق المجال الْحَيَوِيّ لتركيا على الصعيد الجُغْرَافِيّ والتَّارِيخِيّ، فضلاً عن الحسابات السِّيَاسِيَّة والاقتِصَادِيَّة(1).

- **تأثيرات تركيا السِّيَاسِيَّة علـى الصـعيد الخَارِجِيّ:**

عَمِلَـــتْ حكومـة حزب العدالة والتَّنْمِيَة على محاصَـرة النُّفُوذ الإيرانيّ المتعاظم في المنطقة، والتقارب مع دول الخليج العربي، وسوريا قبل تفاقُم الأزمة السُّورِيَّة الحاليَّة، ولبنان، والفصائل الفلسطينيَّة.

هذا إلى جانب العمل على تحقيق اختراق في عَمَلِيَّة الســـلام في الشرق الأوسط وفي المِلَفَّيْنِ اللبنانيّ والإيرانيّ، علاوةً على ســـعيها إلى توثيق علاقاتها بمحيطها الإِقْلِيمِيّ ودول الجوار، بما يضـــع تركيـا فـــي صدارة القُوَى الإِقْلِيمِيَّة، ويعيد الحَيَوِيَّة لمكانتها في العـــالمين العَرَبِيّ والإِسْـــلاَمِيّ. وذلك على نحوٍ يُخَوِّل أنقرة استثمار كُلّ ذلـــك دَوْلِيّاً، في علاقاتها مع الولايـات المُتَّحِدَة والاتِّحَاد الأُورُوبِيّ، بما يحقِّق المصالح التُّركِيَّة في فضاءات دَوْلِيَّة مُهِمَّة. (2)

1. مصطفى محمد صلاح، الدور التُّركيّ الجديد في الشرق الأوسـط "في ظل مفهوم العُثْمَانِيّة الجديدة"، المركز الديمقراطي العربي للدراسـات الاسـتراتيجيَّة؛ الاقتصاديّة والسِّيَاسـيَّة، 26 مايو 2017م، تاريخ الزيارة: 6 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/krvEQH
2. مصطفى محمد صلاح، الدور التُّركِيّ الجديد في الشرق الأوسـط "في ظِلّ مفهوم العُثْمَانِيّة الجديدة"، المرجع السابق.

الخُلاصَة وَفْقاً للعمق الاسْترِاتِيجِيّ:

شهدت السِّيَاسَة الخَارجيَّة التُّركِيَّة، منذ وصول حزب العدالة والتَّنْمِيَة إلى الحُكْم في العـــام 2002م تَغَيُّرَات عِـــدَّة في التَوَجُّهَات والتَّحَرُّكات؛ إذ باتت تعتمد على تعدُّد العلاقات وعدم حصرها في محور واحد، الأمر الَّذِي حوَّل تركيا إلى مركز مُهِمّ في السِّيَاسَة الإِقْلِيمِيَّة والدَّوْلِيَّة، وَفْقَ معادلة مغادرة الأطراف والاستقرار في مركز الأحداث. وهـــذا مـا يمكـن ملاحظتـه مـن خـلال تنـامي الـدور التُّرْكِيّ المُسْتَنِد إلى نظريَّة "العُمْق الاسْترِاتِيجِيّ".

وتشير التَّحَرُّكات التُّركِيَّة المُتَعَدِّدَة الأبعـــاد فـي محيطهـا الجُغْرَافِيّ إلى أنهـا لا تَنْبُع فقط من اعتبارات سِيَاسِيَّة عامَّة وسياسات داخليَّة تكتيكيَّة، بل إلى نظــرة اسْترِاتِيجِيَّة شـاملة تسـتهدف تثبيـــت أنقـرة كَقُوَّة مَرْكَزِيَّة مُؤَثِّرَة فـي منطقـة الشرق الأوسط. ويساعدها على نُمُوّ هذا الدور أنه يأتي في ظِلِّ ظـروف إِقْلِيمِيَّة ودَوْلِيَّة مواتيَّة للغاية، لا سِيَّمَا أن واشـنطن تُبْـدِي ارتياحـاً لهـذا الـدور، وتنظـر إليـه بشكل إيجابيّ. (1)

من وجهة النظر الأمْرِيكِيَّة، أصبحت أنقرة محوراً إِقْلِيمِيّاً لا يمكن الاستغناء عنه في أيّ ترتيبات، ولا سِـــيَّمَا خلال فترة الرئيس الأمْرِيكِيّ السابق باراك أوباما الرِّئَاسِيَّة. وعليه، فمن المُرَجَّح مواصلة أنقرة لدورها المتنـــامي فـــي المنطقـة، بما في ذلك استمرارها في تَبَنِّي سياســـة خَارجِيَّة مُتَعَدِّدَة الأبعـــاد، خاصـــة في ظِلِّ الفراغ المُسْتَحْكِم في السَّاحَة العَرَبِيَّة، وإدراك النُّخب السِّيَاسِيَّة الحاكمة في أنقرة لضرورة إعادة توجيه السِّيَاسَة الخَارجيَّة التُّركِيَّة إِقْلِيمِيّاً، بما يتناسب مع حجم تركيـا وأَحَقِّيَّتِهَا في أن يكون دورها أكثر فَاعِلِيَّة وأكثر تأثيراً مما كان عليه في الماضي. (2)

---

1. إبراهيم إسماعيل كاخيا، "اليقظة التُّرْكِيَّة والموقع الإِقْلِيمِيّ"، مجلَّة الدفاع العربي، د. ت، تاريخ الزيارة: 6 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/WYtdLK
2. إبراهيم إسماعيل كاخيا، "اليقظة التُّرْكِيَّة والموقع الإِقْلِيمِيّ"، المرجع السابق.

- **البُعْد الأخْلاقِيّ في مبادئ السِّيَاسَة الخَارجِيَّة التُرْكِيَّة:**

في هذا الواقع الرديء والمظلم، نشـــهد ظهور سياسة خَارجِيَّة تُرْكِيَّة تنطلق من مبادئ حقوق الإنســـان، والفضيلة والعدالة، وهي سياسة خَارجِيَّة تمنح شعوب المنطقة والعالَم أجمع بصيص أمل ووعداً بالخلاص. ولم تكن عبارة "العالَم أكبر من خمســـة"(1) هي الموقف الوحيد الَّذِي أثار عواطف الشُّعُوب في جميع أنحاء العالم، بل أيضاً حادثة "One Minute!" في مؤتمر دافوس والَّتِي ســـجَّل فيها السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان موقفاً بطوليّاً هزَّ العالم وأيقظ الضمير العَالَمِيّ الَّذِي كان يغطُّ في سُـــبات عميق(2). فقد أدان أردوغان بشجاعة العدوان الإسرائيلي البَشِـــع على غَزَّة في ديسمبر / كانون أول 2008م - يناير / كانون ثاني 2009م، ووبَّخ إسرائيل ورئيسها شمعون بيريز وقتئذٍ على تصرفها كآلة لقتل الأطفال(3).

وضمن سياسة تركيا الخَارجِيَّة، نلاحظ أن دفاع تركيا عن حقوق الإنسان، وإدانة واستنكار العدوان العَسْكَرِيّ، لا يقتصر على المنطقة المجاوِرَة لها فحسب، بل يشمل

1. عبـارة يحـرص الرئيس التُّرْكِيّ رجب طَيِّـب أردوغان، على تكرارها كثيراً خـلال الفَعَالِيَّات الدَوْلِيَّة التي يشارك فيها، للتعبير عن موقفه الرافض لتحكّم الدول الخمس دائمة العضويَّة في مجلس الأمن الدَّوْلِيّ، وهي الولايات المُتَّحِدَة، وروسـيا وبريطانيا، والصين، وفرنسـا، بمصير العالم، وتَحْمِلُ العبارة دعوة إلى ضرورة إعـادة النظـر في هيكل الأمم المُتَّحِدَة والعمل على إصلاحه بما يتناسـب مـع تَطَوُّرَات الأوضاع العالمِيَّة الراهنة، وقد باتت العبارة شـعاراً واسـع الانتشار على الصعيد العالمي. للمزيد يُنْظَر: "العالم أكبر من خمسـة.. مبدأ الرئيس أردوغان لإصلاح الأمم المُتَّحِدَة"، ترك برس، 23 سـبتمبر 2017، تاريخ الزيارة: 6 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/cppJ2w
2. 2009م، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QrHWUR
3. فادي فراسين، البعد الإنساني والأخلاقي في السياسة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، 29 مايو 2016م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/kCfZQd

جميع أرجاء العالم. فقد انتقدت تركيا العدوان الرُّوسِيّ ضِدَّ جورجيا (2008م)(1)، وأوكرانيا عبر ضَمِّهَا لجزيرة القرم بالقُوَّة وبشكل غير شرعي (2014م)(2). إضافة إلى إدانة انتهاك الصين لحقوق المسلمين اليوغور في تركستان الشرقيَّة(3) وإن كان هذا يأخذ طابعاً حذراً.

1. شهد شهر أغسطس من العام 2008م حرباً بين روسيا وجورجيا، بدأت إِثْرَ هجوم جورجيّ على أوسيتيا الجنوبيَّة الجمهوريَّة الانفصاليَّة المواليَّة للروس؛ حيث تَدَخَّلَتْ روسيا بعمليَّات قَصْف لمدينة غوري الجورجيَّة ومطار مارنيولي العسكري بشرق جورجيا، معتبرة ما تقوم به القُوَّات الجورجيَّة تطهيراً عِرْقِيّاً في أوسيتيا الجنوبيَّة، وسط نداءات دَوْلِيَّة لوقف العمليَّات العَسْكَرِيَّة، مع فشل مجلس الأمن في التَّوَصُّل إلى قرار بشأن الأزمة التي تَطَوَّرَتْ، حيث استَمَرَّتْ روسيا في قصف غوري ومرفأ بوتي الجورجي على البحر الأسود، واعتبرت جورجيا نفسها في حالة حرب وقامت بسحب جنودها من القُوَّات الدَوْلِيَّة العاملة في العراق، في الوقت الذي برَّر فيه رئيس الوزراء الروسي، آنذاك، فلاديمير بوتين، التَّدَخُّل الروسي بأنه رَدّ على السياسة الإجراميَّة التي تنتهجها جورجيا، بينما رَدَّتْ الأخيرة بطلب مساعدة دَوْلِيَّة عاجلة. وعلى إِثْرِ ذلك حذَّر الاتِّحَاد الأُورُوبيّ روسيا من أنَّ استمرار العمليات العَسْكَرِيَّة سيُؤَثِّر على علاقاتهما، وبدأت فرنسا جهودها الدبلُومَاسِيَّة لحَلِّ الأزمة، مع فشل مجلس الأمن مُجدَّداً في التَّوَصُّل لقرار بشأنها، لا سِيَّمَا مع اتِّهَام واشنطن لموسكو بالسعي لإسقاط النِّظَام الجورجيّ، وقد أسفرت الجهود الفرنسيَّة والدَوْلِيَّة بعد نحو 5 أيام من القتال عن قبول كلٍّ من روسيا وجورجيا خطة السلام التي عرضها الرئيس الفرنسي، آنذاك، نيكولا ساركوزي، ثم قام الرئيس الجورجيّ ميخائيل ساكاشفيلي في 15 أغسطس 2008م بالتوقيع على اتفاقيَّة وقف إطلاق النار مع روسيا خلال زيارة وزيرة الخَارِجِيَّة الأَمْرِيكِيَّة، في ذلك الوقت، كوندوليزا رايس. للمزيد يُنْظَر: "تسلسل زمني لأهم الأحداث في الصراع الجورجي الروسيّ"، الجزيرة نت، 23 أغسطس 2008، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/weLP3c
2. بدأت أزمة شبه جزيرة القِرْم في فبراير 2014م، مع الإطاحة بالرئيس الأوكراني فيكتور يانوكوفيتش، الموالي لروسيا، على إِثْرِ تظاهرات احتجاجيَّة عَمَّتْ البلاد بعد رفضه اتفاقيَّة تؤمن المزيد من التقارب الاقْتِصَادِيّ مع الاتِّحَاد الأُورُوبيّ لصالح التقارب مع روسيا. وعلى إِثْرِ ذلك شهدت شبه جزيرة القِرْم مظاهرات واحتجاجات أدَّتْ إلى ضَمّ شِبْه الجزيرة إلى روسيا بعد إجراء استفتاء صَوَّتَ فيه نحو 95.5% من السكان بالموافقة على الانضمام لروسيا، بعد أن عرقلت روسيا مشروع قرار لمجلس الأمن الدَّوْلِيّ يُدِين الاستفتاء عشيَّة انعقاده. للمزيد يُنْظَر: "أزمة القِرْم"، دويتش فيله، 6 يونيو 2014، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ZchF7z
3. الإيغور قوميَّة تركمانيَّة مسلمة تنحدر من آسيا الوسطى وتَتَحَدَّث اللغة التُّرْكِيَّة، يعيش أغلبها في إقليم سنغيانغ الذي كان يُسَمَّى تركستان الشرقيَّة قبل ضَمِّه مِن قِبَل الصين. ويحدُّه روسيا من الشمال، وكزاخستان، وقيرغيستان، وطاجيكستان من الغرب، وباكستان والهند من الجنوب، والصين من الشرق، ومنغوليا من الشمال الشرقي، وتبلغ مساحته الإقليم 640 ألف ميل مربع. للمزيد يُنْظَر: الإيغور.. "مسلمون في الصين"، الجزيرة نت، 7 سبتمبر 2009، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/W6aNhk

ومن نقاط التَّأثِير الخَارِجيّ السِّـــيَاسِيّ لتركيا أيضاً، ما جرى في اليوم الصيفي من شهر أغســـطس / آب 2011م، الَّذِي تجاهل فيه السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان التَّحْذِيرات بِكَوْنِ العاصمة الصوماليَّة مقديشو منطقة خَطِرة يجب عدم التَّوَجُّه إليها، ليســـافر إليها صحبة زوجته وابنته وكبار المسؤولين، بمعيَّة وفد كبير ضمّ مُمَثِّلِينَ عن مُؤَسَّسَـــات غير حكوميَّة ورجال أعمال(1). مُنهياً بذلك الموقف فترة عَقْدَيْنِ مِن الزَّمن لم يقم فيها أيُّ زعيم غير إفريقي بزيارة العاصمة الصوماليَّة. كـــما تلعب تركيا دوراً رياديّاً في تعميق التفاهم بين الحضارات العَالَمِيَّة، وتبادر إلى رأب الصـــدع بينها، من خلال إزالة حواجز الشـــكوك والخوف والتَّوَتُّر بين العالم الإِسْلاَمِيّ والغرب، والَّتِي تراكمت منذ بدايَة هذه الأَلْفِيَّة. ففي عام 2005م، أطلقت تركيا بالشراكة مع إســـبانيا مبادرة تحالف الحضارات(2) في مسعًى منها

1. في أغسطس 2011، وفي ذروة سيطرة قُوَّات حركة الشباب المجاهدين على الصومال وقيامها بطرد قُوَّات الاتِّحَاد الإفريقـــي مـــن العاصمة الصوماليَّة، قام أردوغان الذي كان حينها رئيـــس وزراء تركيا، بأول زيارة لزعيم أجنبيّ إلى مقديشو بعد عَقْدَيْنِ من انهيار الدولة المركزيَّة، حيث أعلن أردوغان حينها إعادة فتح السفارة التُّرْكِيَّة ، التي باتت تلعب دوراً نَشِطاً جداً في الصومال، وخاصَّةً في مجال المساعدة الإنسانيَّة وإعادة الإعمار، كما تُدِيرُ الشركات التُّرْكِيَّة الميناء ومطار مقديشو، وقد بلغ النفوذ التُّرْكِيّ في الصومال حَدّ إعلان أنقرة مطلع العام 2016 عن اتفاقيَّة مع الصومال لإقامة قاعدة عَسْـــكَرِيَّة كبيرة تضع قَدَماً للجيش التُّرْكِيّ في خليج عدن الاسْـــتِرَاتِيجِيّ، لتنضم أنقرة إلى عواصم كبرى لها قواعد عَسْـــكَرِيَّة في منطقة القرن الإفريقي، وخاصة في جيبوتي. للمزيد يُنْظَر: مصطفى شفيق علام، "التغلغل الناعم: إفريقيا في الاستِرَاتيجِيَّة التُّرْكِيَّة .. المُحَدِّدَات والسياقات والتَّحَدِّيَات"، مجلة قراءات إفريقيَّة، لندن، عدد 29، يوليو 2016م.
2. في عـــام 2005م، أطلـــق رئيـــس وزراء الجمهوريَّة التُّرْكِيَّة ، آنذاك، الســـيد رجب طَيِّـــب أردوغان، ورئيس الوزراء الإسباني، وقتها، السيد خوسيه لويس رودريغيس ثاباتيرو، مبادرة تحالف الحضارات بهدف وقف تنامي النزعات المُتَطَرِّفَة عن طريق الاحترام المتبادل فيما بين الثقافات، وتحقيق الترابط الفَعَّال بين كافَّة المجتمعات فيما يَخُصُّ قضايا التَّنْمِيَة والأمن والبيئة والازدهار الاقْتِصَادِيّ، إلى جانب تكوين إرادة سِيَاسِـــيّة مشـــتركة من أجل مواجهة الأحكام المســـبقة والفهم الخاطئ والاســـتقطاب. وقد نجحت الجهود التُّرْكِيَّة والإســـبانيَّة في هذا الشـــأن إلى دفع المبادرة في إطار أُمَمِيّ؛ حيث تَبَنَّتْ الجمعيَّة العامة للأمم المُتَّحِدَة بالإجماع مشروع القرار المُتَعَلِّق بمبادرة تحالف الحضـــارات والـــذي تَقَدَّمَتْ بـــه 96 دولة، وذلك في نوفمبر 2009م. وحالياً تجاوز عـــدد أعضاء أصدقاء المبادرة التي أُنْشِـــئَتْ تحت مِظَلَّة الأمم المُتَّحِدَة في إطار مبادرة تحالف الحضارات 130 عضواً، ولا تزال الجهود التُّرْكِيَّة الإسبانيَّة متواصلة من أجل زيادة عدد أعضاء المجموعة وفاعليّتها على الصعيد الدَّوْلِيّ لتحقيق أهدافها الموضوعة التي أنشئت وأُطْلِقَتْ من أجلها. للمزيد يُنْظَر: "مبادرة تحالف الحضارات"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، د.ت، تاريخ الزيارة 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xyxJ9g

لحشد تحالف واسع للقيم الحَضَارِيَّة، وقد تَبَنَّتْ الأمانة العَامَّة للأمم المُتَّحِدَة هذه المبـــادرة لاحقاً لتصبح مبادرة خاصة بها. فمن هنا إذن، يبدأ التَّأثِير واللَّعِب على أوتار القبول الخَارِجِيّ للسياسات في أيٍّ بلدٍ(1).

- **الجانب الدِّينيّ وتأثيره على المستوى العَرَبِيّ والإسْلاَمِيّ:**

بما أن تركيا دولـــة ذات أغلبية إسْلامِيَّة ذات إرْثٍ طويـل ومشـترك مـع معظـم الـــدول العَرَبِيَّة، فإنَّ لديها مـا يُؤَهِّلُهـا لأنْ تلعـب دوراً أكثر إيجَابِيَّة في القضيَّة الفلســطينيَّة، خصوصاً مـــع وجود علاقات مُتَمَيِّزة بينها وبـــين دولة إسرائيل والتعـــاون الاسْتِرَاتِيجِيّ الَّذِي طَبَعَ علاقات الدولتين منذ عِدَّة سنوات بالرَّغْم من مرور العلاقات بينهما بمراحل فتور طويلة.

ولا شَكَّ أن روح الاعتـــدال الَّتِي بـدأت تسـيطر علـــى السِّيَاسَة التُّرْكِيَّة تجَاه المنطقة العَرَبِيَّة هي عامل مســـاعد فـي التمكـين العَرَبِيّ مـن التَّوْظِيف التُّرْكيّ فـــي الصِّرَاع مع إسرائيل، وفي كثير من المواقف العَرَبِيَّة اللازمـة والضـروريَّة لإدخال تركيا كلاعبٍ إضافي في منطقة الشرق الأوسط، خاصة مع تنامي القُوَّة الإيرانيَّة. فالعلاقـات العَرَبِيَّة التُّرْكِيَّة تعنـي بالنسـبة إلـى العـرب، وجود شـريك اسْتِرَاتِيجِيّ يُوَسِّع من نطاق البدائل المتاحة أمامهم. ويســـاهم فـــي تعـديل المـــوازين الإقْلِيمِيَّة والاســـتفادة من الخبرات التَّنْمَوِيَّة والإصلاحات التُّرْكِيَّة. فضلاً عن أنَّ تركيا هـي إحدى البوابات المُهِمَّة أمـام العـرب للارتبـاط مـع آسـيا الوسـطى وإحياء "طريـق الحريـر" التَّارِيخِيّ(2).

1. "مبادرة تحالف الحضارات"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، د.ت، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xyxJ9g
2. مبادرة اقْتِصَادِيّة تجاريَّة تنمويَّة أطلقها الرئيس الصينيّ شي جين بينغ عام 2013م. تَتَضَمَّنُ إنشاء طريقٍ تجاريّ؛ بَرِّيٍّ وبَحْرِيّ، يمر بأكثر من 65 بلداً، يعيش فيها أكثر من 4 مليارات نسـمة. وذلك تَيَمُّناً بطريق الحرير القديم الذي يعود تاريخه إلى القرن الثاني الميلادي، والذي يشير إلى شبكة الطرق البريَّة والبحريَّة التي ربطت بين الصين وأوروبا مروراً بالشرق الأوسط. للمزيد يُنْظَر: "إنفوغرافيك.. ما هو طريق الحرير الجديد؟"، سكاي نيوز عَرَبِيَّة، 17 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/bSLpKw

وبناءً عليه، لم تَعُدْ النظـــرة العَرَبِيَّة لتركيا على أنها مُجَرَّد وســيط بين العرب وإسرائيل، وإنما كمُسَــانِدٍ قَوِيٍّ للحقوق العَرَبِيَّــة. وقد تبلورت تلك الفكرة بعد الهجوم الإسرائيلي على قافلة أســطول الحُرِّيَّة، ولكن ليس من الواضح بعدُ ما إذا كانــت تركيا مقتنعة بهذه المقاربة العَرَبِيَّة أم لا. ومن هنا بات التَّأْثِير التُّرْكِيّ ظاهراً في المنطقة العَرَبِيَّة ومشروعــاً مفتوحاً للتطوير والانفتاح في العلاقات والمبادلات العَامَّة.

- **السِّمَات المُمَيِّـزَة للسياسـة الخَارجِيَّة التُّركِيَّة عَرَبِيّاً:**

تَتَعَدَّد السِّــمَات الإِيجَابِيَّة لدى دولة تركيا، وفي بــاب تَوَجُّهَاتها الخَارجِيَّة نحو العرب نلحظ باهتمام الاقتراب التُّرْكِيّ مــن القضـايا العَرَبِيَّة والإِسْلَامِيَّة، مثل اهتمامهـا بالقضـيَّة الفلسـطينيَّة، والتفاعــل معهـا إيجَابِيّاً، وتكـريس الدِّفَاع عنهـا فـي المحافـل الدَّوْلِيَّة. ويشـكّل هـذا أحـد محـاور الاهتمام التُّرْكِيّ بإقامة تحــالف مـع الـدول العَرَبِيَّة، تتوازى وتتناسـب مــع انسـحابها من التحالف الاسْتِرَاتِيجِيّ مع "إسرائيل". وقد قطعت مع سوريا بالفعل شوطاً في هـذا الاتِّجَاه علــى طريـق الانتقال بالعلاقـات الثُّنَائِيَّة إلى مرحلـة اسْتِرَاتِيجِيَّة مُتَقَدِّمَة، قبل أن تؤول الظروف بسوريا إلى ما هي عليه حالياً من دمار وانشقاق(1).

ولكن الاســتمرار في الواقع لا يزال حاضراً في نظام العلاقة السِّيَاسِــيَّة كنجاح لاسْتِرَاتِيجِيَّة تركيا وتأثيراتها في السَّاحَة الإِقْلِيمِيَّة والدَّوْلِيَّة.

1. حسين لعريض، "واقع الدور التُّرْكِيّ الراهن ضمن أدوار الفواعل الإِقْلِيمِيّة والدَوْلِيَّة تِجَاه النزاع السوري"، مركز جيل البحث العلمي، 7 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4qy9Vh

لذا يمكن الحديث عن أن تركيا تَمَيَّزَتْ بنقلتها النَّوْعِيَّة عن نظيراتها من الدول، وهـــي في طريقها لأن تكون القُوَّة الإِقْلِيمِيَّة القـــادرة على لَعِب أدوار مُؤَثِّرَة بل وشديدة الأَهَمِّيَّة. وَلَعَلَّ من مصلحة العـرب جميعهم السـعي إلى إقامـة علاقات وتحالفات اسْتِرَاتِيجِيَّة مع هذه القُوَّة الصاعدة، بِغَرَضِ الوصول إلى أهداف أكثر رصانةً لإرضاء شـــعوبهم بدرجة أساسيَّة، والدفع بعجلة التَّطَوُّر أكثر فأكثر نحو آفاق مستقبليَّة واعدة.

المبحث الثاني

الدعم التُّرْكِيّ لقضايا المنكوبين والمستضعفين

كانت تركيا من بين الدول الَّتِي تستقبل المساعدات والمعونات الدَّوْلِيَّة الإنْسَانِيَّة، لكن هذا الواقع انتهى منذ اعتلاء حزب العدالة والتَّنْمِيَة سُــدَّة الحُكْم، لتَتَحَوَّل تركيا إلى دولة رئيســة مانحة للمساعدات الإنْسَــانِيَّة الدَّوْلِيَّة. وحسب تقرير برنامج المساعدة الإنْسَانِيَّة العَالَمِيَّة(1) GHA لعام 2015م، احْتَلَّتْ تركيا المرتبة الثالثة كأكبر مانح دَوْلِيّ من حيث حجم المساعدات الَّتِي تُقَدِّمهَا، وثاني أكبر دولة مانحة من حيث نسبة الدخل القَوْمِــيّ الإجمالي، ثم انفردت تركيا بصدارة الدول المانحة على الصعيد الدَّوْلِيّ في عام 2017، وَفْقاً لتقرير المســاعدة الإنْسَانِيَّة العَالَمِيَّة تلاها كُلّ من؛ الولايات المُتَّحِدَة وألمانيا وبريطانيا والاتِّحَاد الأُورُوبِيّ واليابان والسويد على الترتيب(2).

أكبر الدول المانحة وَفْقاً لإجمالي المساعدات الإنْسَانِيَّة للعام 2017(3)

الدَّوْلَة	إجمالي المساعدات الإنْسَانِيَّة (بالمليون دولار)	الترتيب العالمي
تركيا	8،070	1
الولايات المُتَّحِدَة	6،683	2
ألمانيا	2،988	3
بريطانيا	2،518	4
الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ	2،247	5
اليابان	843	6
السويد	767	7

1. تقرير سنويّ يَصْدُر عن مُنَظَّمَة مبادرات التَّنْمِيَة (DI) وهي مُنَظَّمَة إنمائيَّة دَوْلِيَّة مُسْتَقِلَّة، مَقَرُّهَا المملكة المُتَّحِدَة، تركز على دور البيانات في القضاء على الفقر وتحقيق التَّنْمِيَة المستدامة. للمزيد يُنْظَر:
About us, Development Initiatives (DI), available at: goo.gl/Brjre1
2. Global humanitarian assistance report 2018, Development Initiatives (DI), 2018، p. 38.
3. Sourse: Global humanitarian assistance report 2018, Development Initiatives (DI)، 2018, p. 38.

هذا من دون إغفال استجابة تركيا لنداء المساعدة عَقِب كثير من الكوارث والأزمات الإنْسَـــانِيَّة الَّتِي نشأت في مختلف أنحاء العالم. في حين تبقى أبرز تلك المساهمات الإنْسَـــانِيَّة تلك الَّتِي جرت في الصومال(1)، من خلال تواجدها المباشر على الأرض في الوقت الَّذِي غابت فيه دول أساسيَّة عن المشهد.

أولاً: نماذج إنْسَانِيَّة تركية:

من خلال تعاملها مع أزمة اللَّاجئين السُّـــورِيِّينَ، قَدَّمَتْ تركيا للعالم أجمع درساً في السِّيَاسَـــة الأخلاقيَّة والإنْسَانِيَّة؛ إذ تستضيف حالياً أكبر عدد من اللَّاجئين السُّورِيِّينَ المُسَـــجَّلِينَ لدى المفوضيَّة الساميَّة للأمم المُتَّحِدَة لشؤون اللَّاجئين، بما يصل إلى 3.3 ملايين شخص، غالبيتهم يعيشـــون في المناطق الحضريَّة، فيما تستضيف مُخَيَّمَات اللَّاجئين داخل تركيا نحو 8% فقط من مجموع اللَّاجئين السُّورِيِّينَ، حسب إحصائيات المفوضيَّة الساميَّة للأمم المُتَّحِدَة لشؤون اللَّاجئين(2)، لتصبح الدَّوْلَة المضيفة الأضخم للَّاجئين على مستوى العالم، بالرَّغْم من التكاليف الباهظة على عِدَّة مستويات، أبرزها المســـتوى الاقتِصَادِيّ، وكان وزير الاقتصاد التُّرْكِيّ قد صَرَّحَ نهاية العام 2015م بأنّ تكاليف إيواء اللَّاجئين السُّورِيِّينَ لدى بلاده، تجاوزت 7 مليارات دولار أمريكي(3).

1. من خلال إدارة الكوارث والطوارئ التُّرْكِيَّة تَضْطَلِع أنقرة بدورٍ إنســانيّ رائدٍ في الصومال، فقد أرسـلت الإدارة مساعدات إنسانيَّة بلغت نحو 40 طن، قيمتها 104.000.000 ليرة تركيَّة بالتنسيق مع هيئة الأركان العامــة، ووزارة الصحــة، ووزارة الخَارِجِيَّة، الوكالــة التُّرْكِيَّة للتعاون والتنســيق (TİKA)، والهلال الأحمر التركي. وبمبادرة من الرئيس رجب طَيِّب أردوغان، تَمَّ تنظيم حملة إغاثة جذبت الاهتمام العالمي بالتنسيق مع إدارة الكوارث والطوارئ التُّرْكِيَّة ، تَمَّ جمع 275.000.000 ليرة تركيَّة في حســابات الإدارة ومديريَّة الشــؤون الدِّينِيَّة. كما تَمَّ جمع أكثر من 555.000.000 ليرة تركيَّة على حســابات الهلال الأحمر التركي، ومُنَظَّمَات غير حكوميَّة أخرى. للمزيد يُنْظَر: Disaster Report, Somalia, AFAD, available at: goo.gl/j912Bq
2. حالة الطوارئ في سوريا"، المفوضيَّة الساميَّة للأمم المُتَّحِدَة لشؤون اللَّاجئين، 19 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KrXuXN
3. وزير الاقتصاد التركي: تكاليف اللَّاجئين الســورِيِّينَ تجاوزت 7 مليارات دولار، ترك برس، 7 أكتوبر 2015، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6eUjFz

وعند مقارنة موقف تركيا هذا مع موقف الاتِّحَاد الأُورُوبيّ بدوله الأعضاء الـ28، نرى أن الاتِّحَاد الأُورُوبيّ لم يدخر جهداً للبحث عن سُــبُل لأجل تصدير أعباء اللَّاجئين إلى دول أخرى. مُتَنَصِّلاً بذلك من مسؤوليته القَانُونيَّة والأخلاقيَّة تِجَاه شعب فرَّ من الحــرب والمجاعة. ففي عام 2016م، لم تُحْرِز حكومات الاتِّحَاد الأُورُوبيّ إلا تَقَدُّماً بطيئــاً في إعادة توطين اللَّاجئين، فلم يســتفد من تلك الاسْــترَاتِيجِيَّة الَّتِي أقرَّها الاتِّحَــاد إلا 8.268 لاجئاً فقط إلى دول الاتِّحَــاد الأُورُوبيّ في حين أن الهدف كان توطــين أكثر من 22 ألفاً في غضون عامين، وعلى الرَّغْم من أن بعض دول الاتِّحَاد الأُورُوبيّ أعادت توطين بعض اللَّاجئين من خلال ترتيبات ثُنَائِيَّة، إلا أن غالبيَّة دول الاتِّحَاد فَشَلَتْ في إعادة توطين أيِّ شخص(1).

ومن الجدير بالملاحظة أيضاً، أن سياسة المساعدات الإنْسَانِيَّة الخَارجيَّة الَّتِي تَتَبَنَّاها تركيا لا تقتصر على جيرانها أو دول العالم الإسْلَامِيّ فحسب، بل تشمل جميع العِرْقِيَّات والأديان والطوائف دون أيّ تمييز، وتُغَطِّي مناطق بعيدة مثل الفلبين، وغيرها(2).

كما يظهر الدور الإنساني الإغاثي الكبير والمشهود الَّذِي تقوم به تركيا من خلال عدد كبير من مُؤَسَّسَاتها الحُكُومِيَّة والأهليَّة المَدَنِيّة في أكثر من ساحة عَالَمِيَّة. فدور الهلال الأحمر التُّرْكِيّ في الصومال والسودان وسوريا(3) لا تخطئه العين. وكذلك الدور المركزي للوكالة

1. الاتِّحَاد الأوروبي، أحداث عام 2016"، هيومان رايتس ووتش، د. ت، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3JXcYS
2. فادي فراسين، "البُعد الإنسانيّ والأخلاقيّ في السياسة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة "، صحيفة ديالي صباح التُّرْكِيَّة ،29 مايو 2016م، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/SA16Mg
3. يلعب الهلال الأحمر التُّرْكِيّ دوراً كبيراً على صعيد المســاعدات الإنســانيَّة التي تُقَدِّمُهَا تركيا للصومال والســودان وســوريا، ولعل أبرز الأمثلة على ذلك؛ افتتاح المُنَظَّمَة معهداً مِهْنِيّاً صِحِّيّاً بمقديشــو في مايو 2016م، إلى جانب إرســال ســفينة محملة بـ 11 طناً من المســاعدات الإنســانيَّة إلى الصومال في مايو 2016م، بلغت قيمتها 8 ملايين دولار، وذلك بالتعاون مع إدارة الكوارث والطوارئ التابعة لرئاسة الوزراء التُّرْكِيَّة . كما قامت المُنَظَّمَة بتسيير قوافل ساخنة لتوزيع المساعدات الغذائيَّة في شهر رمضان من كل عام لدول؛ الصومال والسودان، وكذلك اليمن، وسوريا، وفي الأخيرة أرسل الهلال الأحمر التُّرْكِيّ نحو 7 آلاف شاحنة مُحَمَّلَة بمساعدات إنسانيَّة مُتَنَوِّعَة إلى سوريا، بهدف تلبيَّة جميع احتياجات ضحايا الأزمة وذلك خلال العام 2017م، وفي الربع الأول من العام 2018م اضطلع الهلال الأحمر التُّرْكِيّ بإنشاء مُخَيَّمَات جديدة للنازحين في منطقة إدلب ومنطقة عمليَّة درع الفرات شمالي سوريا، تَتَّسِع لنحو 170 ألف نازح سوري. للمزيد يُنْظَر:
- المساعدات والمنح التُّرْكِيَّة للصومال (-2015 2016م)، مركز مقديشو للبحوث والدراسات، د. ت، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LvQBfW
- "الهلال الأحمر التُّرْكِيّ يعتزم إرسال مساعدات لـ 9 مليون شخص في 3 دول"، ترك برس، 23 مايو 2017، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KVBi6n
- "الهلال الأحمر التُّرْكِيّ يدعم السُّوريِّينَ بـ 7 آلاف شاحنة خلال 2017"، تركيا بوست، 28 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4N5f5r
- "الهلال الأحمر التُّرْكِيّ يباشر إنشاء مُخَيَّمَات لـ170 ألف نازح شمالي سوريا"، الفيحاء. نت، 13 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3KNWYP

التُّركيَّة للتعاون والتَّنْمِيَة المعروفة باسم "تيكا"، في دعم مئات المشروعات الإنْسَانيَّة والتَنْمَويَّة في العالم العَرَبيّ والدول الفقيرة. وأيضاً عبر مُؤَسَّسَات الدعم الإغاثي الَّتِي تنشط في غالبيَّة دول العالم(1)، تُمَثِّل صورة مشرقة من العطاء العابر للحدود، والَّذِي يطال الأيتام والفقراء والمرضى والمحتاجين في كُلّ المجالات.(2)

على الصعيد الثَّقَافيّ، فإن الحضور التأهيلي والتكويني الَّذِي ترعاه تركيا من خلال آلاف المؤتمرات والندوات والفَعَاليَّات الثَّقَافِيَّة والفِكْريَّة والمَعْرفِيَّة والتشبيكيَّة في سائر التراب التُّرْكِيّ، والَّذِي يَتَوَزَّعُ على واحد وثمانين ولايَّة تركيَّة، وتسهم فيه البلديات والجامعات ووزارات الحكومة والمُؤَسَّسَات الأهليَّة والأوقاف الناشطة، بما يدعم ويُمَثِّل جزءاً من الهُويَّة التُّركِيَّة المستقبليَّة. فتركيا تسعى جاهدة خلال العقد الأخير لبناء شبكات قِيَمِيَّة ومَفَاهِيمِيَّة واضحة وجامعة، تُمَثِّل مرتكزات للعمل السِّيَاسِيّ والفِكْرِيّ والثَقَافيّ والإنساني العام(3).

وكخلاصة إذن، فإنَّ السِّيَاسَة الأخلاقيَّة الَّتِي تسير تركيا وَفْقَهَا، تُمَثِّل تبايناً كبيراً عن السِّيَاسَات الميكافيليَّة(4)(الانتهازيَّة)المنتشرة في التعاملات والعلاقات الدَّوْلِيَّة. كما

1. على سبيل تنشط هيئة الإغاثة التُّرْكِيَّة IHH في 135 بلداً في 5 قارَّات، وتُعْتَبَر الهيئة من المُؤَسَّسَات الرائدة في المجال الإغاثي والإنساني بشكل عام، هذا بخلاف الكثير من المُؤَسَّسَات الإغاثيَّة والإنسانيَّة التُّرْكِيَّة التي لها نشاط إقليمي ودولي فاعل في هذا المجال. للمزيد يُنْظَر: هيئة الإغاثة التُّرْكِيَّة "İHH".. التجربة والتحديات؛ حوار مع "حسن ايناجي" نائب رئيس هيئة الإغاثة التُّرْكِيَّة "İHH"، تركيا بوست، 4 يوليو 2016، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Vcua1z
2. د. نزار نبيل الحرباوي، من أجل فهم أقرب لطبيعة التوجهات التُّرْكِيَّة ، نداء الوطن؛ الشبكة الفلسطينيَّة للصحافة والإعلام، 15 أبريل 2016م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/sCU3Cf
3. "الدبلُومَاسِيَّة الثَقَافِيَّة لتركيا"، ترك برس، 17 ديسمبر 2015م، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/m6bBLJ
4. نسبة إلى السِيَاسِيّ الإيطالي الشهير نيكولا ميكيافيلي 1527 -1469) Niccolò Machiavelli م)، صاحب كتاب الأمير The Prince، وهو من كلاسيكيَّات الكتب السِّيَاسِيَّة التي تمَّتْ ترجمتها إلى العديد من اللغات، ويَتَضَمَّنُ خلاصة خبرة صاحبه السِّيَاسِيَّة في أروقة الحكم في أوروبا، ولعل من أبرز المبادئ التي تَضَمَّنَها الكتاب، وبَرَّرَ لها مبدأ "الغايَّة تُبَرِّر الوسيلة"، وهو مبدأ ينزع عن ممارس السياسة أيَّ اعتبارات أخلاقيَّة تعرقل طموحاته في الحكم. للمزيد يُنْظَر:

Niccolò Machiavelli, The Prince, Dante University Press، 2003

أنها تُمَثِّل مصدر إلهام للدول الأخرى قَصْد تأسيس سياستها الخَارجِيَّة على القِيَم الأخلاقيَّة والإنْسَانِيَّة. فإن تَحَدَّدَتْ كُلُّ السِّيَاسَات الخَارجِيَّة الدَّوْلِيَّة بهذا الطابع، فيمكن التطلع إلى عالم يَتَمَيَّزُ بالوئام والسلام والتعايش المشترك.

ثانياً: الدافع الاسْتِرَاتِيجِيّ والبعد الاقْتِصَادِيّ لتركيا في جوانب الدعم:

يقوم الدعم والتعاون التُّرْكِيّ في إفريقيا على أساس دوافع وأبعاد اقْتِصَادِيَّة وإنْسَانِيَّة. إذ تُبدي تركيا منذ سنوات اهتماماً ملحوظاً بقَارَّة إفريقيا عموماً، وبشرق القَارَّة تحديداً، الصومال، جيبوتي، إثيوبيا، مقابل المكاسب الَّتِي تسعى إلى تحقيقها، والمُتَمَثِّلة في خلق فرص ومجالات حيويَّة لتركيا في شرق إفريقيا، وذلك في ظِلِّ التنافس مع قُوَى دَوْلِيَّة وإقْلِيمِيَّة أخرى.
وقد ظهر هذا في كثافة النشاط الَّذِي تمارسه بشكل متزايد مع مرور الأيام، من خلال كافَّة أدوات السِّيَاسَة الخَارجِيَّة التُّركِيَّة. ومن الشواهد على ما سبَق، بلوغ عدد السفارات التُّركِيَّة في إفريقيا 40 سفارة؛ حيث تَمَّ افتتاح 27 سفارة فقط بعد سنة 2009م، فيما تَمَّ افتتاح أول سفارة تُرْكِيَّة في إفريقيا بأديس أبابا عام 1926(1)، وهذا يعكس مدى الأَوَّلويَّة الَّتِي تفردُّها تركيا لإفريقيا.

ويأتي هذا النشاط التُّرْكِيّ المتزايد في ظِلِّ تزايد التَّنَافُس من قبل عِدَّة قُوَى دَوْلِيَّة، مثل الولايات المُتَّحِدَة والصين والبرازيل، إضافة إلى قُوَى إقْلِيمِيَّة مثل إيران وإسرائيل، وتحاول معظم الدول الفاعلة فتح أو استعادة العلاقات الدُبْلُوماسِيَّة هناك؛ فعلى سبيل المثال عيَّنت الولايات المُتَّحِدَة سفيراً لها في مقديشو في 24 فبراير / شباط 2015م، وهو أول سفير أمْرِيكِيّ في مقديشو منذ العام 1991م.(2)

1. Republic of Turkey, Ministry of Foreign Affairs, official website: goo.gl/c1XvnI
2. "الولايات المُتَّحِدَة تُعَيِّن أول سفير لها في الصومال منذ 1991م"، صحيفة الوسط البحرينيَّة، 24 فبراير 2015م، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QbCwoS

ثالثاً: الدافع الإنْسَانيّ للسياسة التُركِيَّة:

برزت تركيا من خلال جوانب إنْسَــانِيَّة واقْتِصَادِيَّة عديدة، كَقُوَّة دافعة لكسب التأييد والمناصرة في العالم العَرَبِيّ ومناطق أخرى من العالم، وذلك جَرَّاء التعاون الإيجابي مع الشُّــعُوب، وتقديم الدعم وتقوية العلاقات، وتقديم مستوًى مقبول من الخدمات والإمكانات، لا سِــيَّمَا إزاء التَّطَوُّرَات الأخيرة الَّتِي تعيشــها عدد من البلدان الواقعة تحت اهتمامها.

ومن الأمثلة الإِيجَابِيَّة لدور تركيا ونظامها السِّيَاسِي؛ نجد على سبيل المثال، سَعْي تركيا إلى تعزيز عوامل السِّــلْم والاســتقرار في إفريقيا من خلال دفع دولها للتَّخَلُّص من تَبِعَات الاســتعمار، وترسيخ اسم تركيا في العقل الجَمْعِيّ الإفريقيّ، وذلك عن طريق تقديم المســاعدات، والبرهنة عَمَلِيّاً على أنها دولة تحترم الإنســان وتَتَبَنَّى سياسات أخلاقية(1).

فقد قَدَّمَتْ مساعدات كبيرة لإفريقيا، لم يكن آخرها تقديم 5 ملايين دولار من أجل مكافحة مرض إيبولا(2)، كما منحت في الأعوام الأخيرة قدراً كبيراً من المســاعدات، محتلَّــة بذلك المرتبة الثالثة بعد الولايــات المُتَّحِدَة وبريطانيا في هذا المجال، والَّذِي حصلت فيه إفريقيا على 24% من المســاعدات المذكــورة خلال العامين 2013م - 2014م. (3)

1. محمد غسان الشبوط، "تركيا بين الماضي والحاضر"، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجيَّة؛ السِّيَاسِيَّة والاقْتِصَادِيّة، د.ت، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8P9jrl
2. "أردوغان يعلن تقديم 5 مليون دولار إضافيَّة لمكافحة إيبولا في إفريقيا"، ترك برس، 21 نوفمبر 2014، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/eXWqfk
3. تركيا ستصبح صاحبة كلمة في الأمم المُتَّحِدَة: قبول عضويَّة تركيا وإستونيا التَّامَّة في فريق دعم المانحين لمكتب الأمم المُتَّحِدَة لتنســيق المســاعدات الإنســانيَّة، تي آر تي عَرَبِيَّة، 1 يوليو 2014، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QqHTEU

وتحاول تركيا أيضاً أن ترسِّخ قُوَّتهَا النَّاعِمَة في إفريقيا، من خلال بناء المدارس والمساجد وترميـــم الآثار. فعلى ســـبيل المثال، رمَّمَتْ تركيا مُؤَخَّراً قـــبر النجاشيّ وعدداً من قبور الصحابـــة في إثيوبيا(1). وقد قال الرئيس التُّرْكيّ في زيارته لشرق إفريقيا في 2015م: "إن البعض جاء لإفريقيا من أجل الذهب لكن تركيا أتت لإفريقيا لكي تُضَمِّدُ الجِرَاح"(2). وهذا ما يضاعف زيادة القُوَّة النَّاعِمَة، وبالتَّالِي الحصول على مكاسب سِيَاسِيَّة واقْتِصَادِيَّة.

ومع الإدراك التُرْكيّ لأهَمِّيَّـــة إفريقيا، تزايدت حركة الانفتاح على إفريقيا خلال الأعـــوام العشرة الماضِيَة، والَّتِي شـــهدت تعاوناً في مجـــالات مختلفة. ومن أبرز الفَعَالِيَّات الممهِّدة للتعاون وتوثيق العلاقات ما يلي:

- إعداد اسْتِرَاتِيجِيَّة تُرْكِيَّة لتطوير العلاقات الاقتِصَادِيَّة مع إفريقيا(3) في العام 2003م.
- عَقْـــد القِمَم التعاونيَّة بين تركيا وإفريقيـــا ابتداءً من العام 2008م، وصولاً إلى القِمَّة الثالثة المُقَرَّرة عَقْدها في 2019م بتركيا، إلى جانب الاجتماعات النَّوْعِيَّة على مســـتوى الـــوزراء والفَنيِّين، وَلَعَلَّ أبرزها؛ مؤتمر وزراء الزراعة التُّرْكيّ الإفْرِيقِيّ الأَوَّل، بمدينة أنطاليا، يومي 27 و28 أبريل 2017م، ومؤتمر وزراء التعليم التُّرْكيّ الإفْرِيقِيّ الأَوَّل في إسطنبول في أكتوبر 2017(4)، مع ذكر إقامة منتديات شراكة بين تركيا ودول إفريقيا.
- إعلان عام إفريقيا في تركيا، وانضمام تركيا كعضو مراقب للاتِّحَاد الإفْرِيقِيّ في 2005م.

1. "تيكا" التُّرْكِيَّة : ترميم مسجد النجاشي في إثيوبيا يكتمل العام الجاري، وكالة الأناضول للأنباء، 23 فبراير 2017، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YRSHg4
2. "Erdogan: We cannot remain silent on Africa", Daily Sabah، January 27, 2015، available at: goo.gl/ipVSZL
3. في إطار السياســة الخَارِجِيَّة المُتَعَدِّدَة الأبعاد لتركيا، دشَّــنت مستشــاريَّة التجارة الخَارِجِيَّة في الجمهوريَّة التُّرْكِيَّة ،مطلع العام 2003م "اســتِرَاتيجيَّة تطوير العلاقات الاقْتِصَادِيّــة مع الدول الإفريقيَّة"، بهدف الانفتاح؛ اقْتِصَادِيّاً واســتثماريّاً وتجاريّــاً، على القَارَّة الســمراء. للمزيد عن تلك الاســتِرَاتيجِيَّة والرؤية التُّرْكِيَّــة للعلاقات مع القَارَّة الإفريقيَّة، يُنْظَر: العلاقات التُّرْكِيَّة مع الدول الإفريقيَّة"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، د. ت، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/NCL2Uq
4. "مؤتمــر وزاري في إســطنبول لمراجعة الشراكة بين تركيا وإفريقيــا تحضيراً لقِمَّة الشراكة الثالثة بين الجانبين"، صحيفة الشرق الأوسط اللندنيَّة، 11 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/1JwnLH

أما بالنسبة للمجالات الاسْتِرَاتِيجِيَّة الأخرى، فقد بَيَّنَتْ نتائج عديدة مسألة التعاون الإيجابي لتركيا مع دول إفريقيا، وهذا ما أوضحته المُؤَشِّرَات التالية:

- ارتفاع حجم التِّجَارَة بين تركيا وإفريقيا من 3 مليارات في 2002م إلى 25 ملياراً في 2018م(1).
- تنفيـــذ وكالة التنســـيق والتعاون التُّركِيَّة (تيكا)، الَّتِي لهـــا 25 مكتباً دول القَارَّة الإفريقيَّة(2)، الكثير من المشروعات في دول القارة، وخَاصَّة في مجالات الصِّحَّة والتعليم والزراعة والثروة الحيوانيَّة.
- تقديـــم الجامعات التُّركِيَّة برنامج المِنَح التُّركِيَّة الإفريقيَّة، وهو برنامج للمرحلة الجامعيَّة الأُولَى (البكالوريوس) مخصَّص للطلاب الأفارقة، بهدف تعزيز التواصل الثَّقَافِيّ والفِكْرِيّ، ومشاركة المعلومات والتجارب من أجل تنمية إفريقيا(3).
- ربط الخطوط الجَوِّيَّة التُّركِيَّة بـ51 نقطة في 33 دولة إفريقيَّة(4).
- عمل عدد كبير من مُؤَسَّسَات المجتمع المَدَنِيّ التُّركِيَّة في إفريقيا.

رابعاً: دعم الشعب الفلسطيني / حادث مرمرة(5)

بما أن السِّمَات المُمَيِّزَة للسياسة الخَارجِيَّة التُّركِيَّة بَدَتْ أكثر قُرْباً مـــن القضـــايا العَرَبِيَّة والإِسْلاَمِيَّة، والتفاعـــل معها إيجَابِيّاً، وتكـريس الدِّفَاع عنها فـي المحافل

1. وزير الاقتصاد التركي: حجم التبادل التجاري مع إفريقيا بلغ 25 مليار دولار"، وكالة الأناضول للأنباء، 22 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/yYaHQt
2. رئيس تيكا التُّرْكِيَّة "هناك مَحَبَّة كبيرة في إفريقيا تِجَاه تركيا"، رئاسة الوكالة التُّرْكِيَّة للتعاون والتنسيق، 27 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/zB8DN1
3. "تفاصيل برنامج المِنَح التُّرْكِيَّة "، ترك برس، 28 يناير 2015، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ESfEag
4. "ازدهار العلاقات التُّرْكِيَّة الإفريقيَّة"، دايلي صباح، 10 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/zicgV9
5. يشـير إلى السـفينة التُّرْكِيَّة مرمرة التي انطلقت مع مجموعة سُـفن حملت على متنها نحو 750 ناشـطاً حقوقيّاً وسِيَاسِـيّاً، وعدداً من ممثلي وسـائل الإعلام الدَوْلِيَّة، ومواد إغاثة ومسـاعدات إنسانيَّة، يوم 29 مايو 2010م إلى قطـاع غـزة بهدف فكّ الحصـار عنه، لكنها تَوَقَّفَتْ بعد تعرُّض السـفينة مرمرة التُّرْكِيَّة لهجـوم دامٍ خلَّف قتلى وجرحى. وبحسـب تقرير معهد الطب الشرعي في إسـطنبول، فإنَّ الهجوم الإسرائيلي على السفينة مرمرة تَسَبَّبَ في مقتل تسعة أشخاص، أصغرهم يبلغ من العمر 19 عاماً. للمزيد يُنْظَر: "حادث مرمرة: تركيا وإسرائيل تبحثان الأسبوع المقبل مسألة التعويضات"، بي بي سي عربي، 30 مارس 2013، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6JGtqg

الدَّوْلِيَّة، كما ذكرنا سابقاً، فهذا الجانب من الاهتمام يشكّل أحد محاور الدور التُّرْكيّ بإقامة تحالف مع الدول العَرَبِيَّة، بما يتوازى ويتناسب مع انسحابها من التحالف الاسْتراتِيجِيّ مع" إسرائيل"، إذ سَعَتْ تركيا لدعم القضيَّة الفلسطينيَّة من جوانب كثيرة، من ضمنها محاولة حكومتها الدخول كوسيط للمصالحة بين حركة حماس والسُّلْطَة الفلسطينيَّة، وفي هذا الإطار قام الرئيس الفلسطيني محمود عباس، في أغسطس 2017، بزيارة إلى تركيا بدعوة من الرئيس أردوغان، وذلك للتباحث بشأن المصالحة الدَّاخِلِيَّة بين الفلسطينيِّينَ وتنشيط عَمَلِيَّة السلام(1). كما أبدى وزير خارجيتها، خلال تصريحات سابقة له، استعداد بلاده للمساهمة في أي مشروع يجمع شمل الإخوة الفلسطينيِّينَ، والعمل على تشكيل حكومة وَحْدَة فلسطينيَّة في قطاع غَزَّة والضفة الغَرْبِيَّة. وهذا من شأنه تسهيل الاعتراف بفلسطين في الأمم المُتَّحِدَة، ومِنْ ثَمَّ فإنَّ مساعي تركيا حال نجاحها في هذا الملف من شأنها أن تجعل أنقرة محامياً دَوْلِيّاً مُهِمّاً للطرفين؛ أي: إن حماس وفتح تَتَمَتَّعان بمساندة بلد مسلم وعضو في نفس الوقت في حلف شمال الأطلسي(2).

وهو ما يُكَمِّلُ اسْتراتِيجِيّتها السِّيَاسِيَّة الجديدة للمنطقة، والَّتِي أظهرتها منذ أحداث الربيع العربي. الأمر الَّذِي مَنَحَهَا ديناميكيَّة قَوِيَّة لتحقيق سعيها كي تَتَبَوَّأ مركزاً قيادياً في الشرق الأوسط.

ومن جهة أخرى، يَتِمّ تقديم العديد من المساعدات الإنْسَانِيَّة التُّرْكِيَّة للفلسطينيِّينَ من حين لآخر؛ إذ يَتِمّ إرسال قوافل كجوانب إغاثيَّة ومعيشيَّة لأَعْدَادٍ من الأُسَر الفلسطينيَّة، وفي هذا الإطار بلغ حجم المساعدات الإنْسَانِيَّة التُّرْكِيَّة المخصَّصَة للفلسطينيِّينَ خلال

1. الرئيس الفلسطيني يَصِل أنقرة في زيارة رسميَّة، تركيا بوست، 27 أغسطس 2017، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KhGWwQ
2. اعتدال سلامة، تركيا.. القُوَّة النَّاعِمَة في الشرق الأوسط، مجلة المجَلَّة، 26 مايو 2013م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/RvrKk5

الفـــترة من 2014م - 2017م نحـــو 200 مليون دولار أمريكي، كما اتَّخَذَتْ الحكومة التُّركِيَّـــة، يونيو 2017، قراراً بتقديم منحة نقديَّة بقيمـــة 10 ملايين دولار أمْرِيكِيّ لصالح الموازنة العَامَّة للحكومة الفلسطينيَّة(1).

كما مَثَّلَتْ حادثة مرمرة مرحلة من مراحل المناصرة التُّركِيَّة للمستضعفين والمحتاجين، وأمراً إيجَابِيّاً في الوقوف ضِدَّ الاســـتكبار، ولإرساء السلام العَالَمِيّ وقوانينه الخَاصَّة بحقوق الإنســـان والتعايش. فَعَقِبَ مهاجمة إسرائيل لسفينة السلام في مرمرة ومقتل عدد من مناصري السلام، ممن سَعَوْا لإيصال مساعدات إغاثيَّة وإنْسَانِيَّة لغَزَّة، جرى حديث المقاطعة لدى الجانب التُّركِيّ لإسرائيل من باب الإنصاف والوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني.

وعلى إِثْرِ أزمة حادثة مرمرة، اســـتدعت تركيا سفيرها لدى تل أبيب، مهدِّدَة بأن هذه الحادثة قد تؤدِّي إلى عواقب لا رجعة فيما يَتَعَلَّق بعلاقات البلدين، كما قامت تركيا بتخفيض تمثيلها الدبلوماسيّ لدى إسرائيل، في عام 2011م، ورفضت بقاء الســـفير الإسرائيلي لديها، واشـــترطت اعتذاراً إسرائيليّاً عاجلاً كخطوة أولى للنظر في إعادة العلاقات بين البلدين إلى ســـابق عهدها، وهو الأمر الَّذِي رفضته إسرائيل، لِتَسْتَمِرَّ القطيعة بين الجانبين حتى منتصف العام 2016م، حينما تَمَّ التَّوَصُّل إلى اتِّفَاق تركي إسرائيلي لإعادة العلاقات الدُبْلُوماسِـــيَّة بـــين البلدين بعد أن تَعَهَّدَتْ إسرائيل بدفع تعويضات لصالح ضحايا حادثة مرمرة بقيمة 20 مليون دولار أمريكي(2).

1. "الرقم: 198، التاريخ: 19 حزيران/يونيو 2017، بيان حول المســـاعدات التي تُقَدِّمُهَا تركيا لفلســـطين"، وزارة الخَارِجِيَّـــة التُّرْكِيَّـــة ، يونيـــو 2017، تاريخ الزيارة: 8 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/exBYzm
2. العلاقات التُّرْكِيَّة الإسرائيليَّة.. تاريخ من الدبلُومَاسِـــيَّة والأزمات"، راديو ســـوا، 30 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/u9hx5W

خامساً: الدعم التُّركِيّ الإنساني في اليمن:

نشـــطت العلاقات التُّركِيَّة في اليمن بشكل أو بآخر، لا سِيَّمَا من خلال المِنَح المقدَّمة للطلاب اليمنيِّينَ والمبتعثـــين، أو في جوانب إغاثة ضحايا الحرب الدائرة في اليمن منذ مارس 2015م(1). وتُقَدِّمُ تركيا دعماً في مجالات لا بأس بها لليمنيِّينَ؛ إذ تساعد في اســـتقبال ومعالجة جرحى الحرب من مناصري الشَّرْعِيَّة اليمنيَّة وقوات جيشها وعناصر المقاومة من المعاقين والمصابين. بالإضافة إلى وصول موادّ ومُعِدَّات تُرْكِيَّة مختلفة إلى اليمن، في صورة دعم طِبِّيٍّ وأدوات جراحيَّة، وأيضاً إرســـال فِرَق صِحِّيَّة مُتَخَصِّصَة. هذا إلى جانب المســـاهمة في جوانب الوضع المعيشي والإغاثي، كالإيواء وخدمات الإسكان للنازحين من ويلات الحرب الدائرة في اليمن.

وفي هذا الإطار قَدَّمَتْ هيئة الإغاثة الإنْسَـــانِيَّة التُّركِيَّة (İHH)، مساعدات إنْسَانِيَّة لنحـــو 30 ألف يمنـــي في 7 مناطق مختلفة من البلد الَّذِي مزَّقته الحرب، إضافةً إلى المساعدات الإغاثيَّة والإنْسَانِيَّة عبر الهلال الأحمر التُّركِيّ، والَّتِي وصلت إلى 10 آلاف طـــن من الموادّ الغذائيَّة، إلى جانب 10 آلاف طن أخرى من الأدويَّة والمُعِدَّات الطبيَّة لمستشفيات عدن، هذا بخلاف الإسهام التُّركِيّ المُهِمّ من خلال الأمم المُتَّحِدَة لمواجهة وباء الكوليرا المُتَفَشِّي في اليمن(2).

---

1. في 26 مـــارس 2015م، أطلقـــت دول التحالف العـــربي بقيادة المملكة العَرَبِيَّة السُّـــعُودِيَّة عمليَّة "عاصفة الحزم"، لِدَحْرِ الانقلابيِّينَ الحوثيِّينَ الموالين لإيران في اليمن، وذلك بعد طلب الرئيس اليمني عبد رَبِّه منصور هادي، من الرياض التَّحَرُّك لإنقاذ البلاد وإعادة الاستقرار إلى اليمن ومنع سقوط الأراضي اليمنيَّة في قبضة الحوثيين، بعد أن ســـيطرت ميليشـــياتهم المُسَلَّحَة على العاصمة اليمنيَّة صنعاء ووصلت إلى عدن، واقترابها من الحدود السُّعُودِيَّة. وعلى الرغم من مرور أكثر من 3 ســـنوات على بدء الحرب ليس هناك أيَّة مُؤَشِّرَات حقيقية على انحســـار النزاع في اليمن، وقد أسفرت العمليَّات العَسْكَرِيَّة عن مأساة إنسانيَّة بالغة، لا سِيَّما مع تأكيد المُنَظَّمَات الحقوقيَّة الدَوْلِيَّة على تورُّط جميع الأطراف في انتهاكات مُرَوِّعَة لحقوق الإنسان، تَرْقَى إلى جرائم الحرب، مع وجود أكثر من 22.2 مليون يمني بحاجة إلى مساعدات إنسانيَّة لضمان بقائهم على قيد الحياة. للمزيد يُنْظَر: "اليمن: الحرب المنسية"، مُنَظَّمَة العفو الدَوْلِيَّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/R8LhgM
2. للمزيد يُنْظَر: "الرئيس اليمني يشيد بمواقف تركيا الداعمة لبلاده"، تركيا بوست، 13 سبتمبر 2017، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ubGPxS

"هيئة الإغاثة التُّرْكِيَّة تقدم مساعدات إنسانيَّة لـ 30 ألف يمني"، وكالة الأناضول للأنباء، 26 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/78sBSp

كـــما تَتَعَدَّد أشـــكال الدعم التُّرْكِيّ المقدَّم إلى المناطق المُحَـــرَّرَة كمدينة عدن ومدن أخرى واقعة تحت ســـيطرة الشَّرْعِيَّة والقُوَّات المواليَّة للرئيس اليمني عبد رَبِّه منصور هادي(1)، مما يعني وقـــوف تركيا إلى جانب متضرري الحروب وأصحاب الحقوق، وضد السِّيَاسَات والقوانين اللاأخلاقيَّة في حق الشُّعُوب المُسْتَضْعَفَة والمُنْتَهَكَة(2).

سادساً: الدعم التُّرْكِيّ الإنساني للشعب السوري:

وفقاً لإحصاءات مديريَّة إدارة الهجرة التابعة لوزارة الدَّاخِلِيَّة التُّركِيَّة، يونيو 2018م؛ فقد وصل عدد اللَّاجئين السُّـــورِيِّينَ المقيمين في تركيا إلى 3،570،352 لاجئاً، يقيم منهـــم في مُخَيَّمَات اللجوء، نحو 216.890 لاجئاً فقـــط(3)، يتوَزَّعُونَ على مُخَيَّمَات اللجوء بولايات؛ هاتاي، وغازي عنتاب، وقهرمان، مرعش، وشـــانلي أورفة، وكِلِّيس، وماردين، وعثمانيَّة، وأديمان، وأضنة(4). في حين يعيش غالبيَّة اللَّاجئين الســـوريِّينَ وعددهم 3.353.462 لاجئاً خارج مُخَيَّمَات اللجوء(5).

وتوفِّر الحكومة التُّركِيَّة كافَّة الخدمات الصحيَّة والتعليميَّة والسكنيَّة والإنْسَانِيَّة للاجئين السُّورِيِّينَ المقيمين على أراضيها، سواء من يعيشون داخل مُخَيَّمَات اللَّاجئين أو خارجها.

1. رئيس الجمهوريَّة اليمنيَّة منذ فبراير 2012م، شَغَلَ منصب نائب الرئيس اليمني خلال الفترة 1994- 2011م، ووزير الدفاع خلال عام 1994م، ونائب رئيس "حزب المؤتمر الشعبي العام" في اليمن وأميناً عامّاً له خلال الفترة 2008- 2014م. وهو حاصل على ماجستير من "أكاديميَّة ناصر العَسْكَرِيَّة العليا" بمصر، وماجستير من "أكاديميَّة فرونزا" بروســيا، وقبلها تَخَرَّجَ في أكاديميَّة ساندهيرســت العَسْــكَرِيَّة الملكيَّة ببريطانيا، عام 1966. للمزيــد يُنْظَــر: الرئيس عبد رَبِّه منصور هادي، الســيرة الذاتيَّة، الموقع الرِســمي لرئيس الجمهوريَّة اليمنيَّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Gm8s3W
2. "الإغاثة التُّرْكِيَّة تواصل توزيع المساعدات الإنسانيَّة في اليمن"، تركيا الآن، 26 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/q83BFn
3. "بالأرقام.. خارطة توزيع اللَّاجئين السوريِّيَن في تركيا"، تركيا بوست، 13 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ciBYYH
4. "عدد اللَّاجئين السُّـــوريِّينَ في تركيا يتجاوز 3.5 مليون"، تي آر تي عَرَبِيَّة، 14 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KcVybL
5. "بالأرقام.. خارطة توزيع اللَّاجئين السُّوريِّينَ في تركيا"، تركيا بوست، مرجع سابق.

وفي هذا الإطار؛ يبلغ عدد الطلاب اللَّاجئين السُّورِيِّينَ في المدارس التُّركِيَّة نحو 621.000 طالب، وخلال السنوات الماضِيَة من عمر الأزمة السُّورِيَّة، قَدَّمَتْ المرافق الطِّبِّيَّة التُّركِيَّة خدماتها لنحو 31.449.800 حالة مرضيَّة بين اللَّاجئين السُّورِيِّينَ(1).

وإلى جانب اســـتضافتها لملايين اللَّاجئين السُّـــورِيِّينَ على أراضيها، فإن تركيا تَضْطلِع بتقديم مساعدات إنْسَانِيَّة كبيرة للشعب السوري، من خلال الهلال الأحمر التُّرْكِيّ الَّذِي يعمل على إعالة أكثر من 5500 عائلة سوريَّة في مُخَيَّمَات اللَّاجئين بلبنان. وَوَفْقاً لبيانات وكالة التنســـيق والتعاون التُّركِيَّة (تيكا)؛ فإن ســـوريا قد استحوذت على نحو 62% من المساعدات الإنْسَانِيَّة الَّتِي قَدَّمَتْهَا الوكالة خلال الفترة من 2010 - 2016م(2).

على الصعيد الرقمي، فقد أكَّدت وزيرة الأسرة والشـــؤون الاجْتِمَاعِيَّة التُّركِيَّة، فاطمة بتول قايا(3)، في نوفمبر 2017م، أن "قيمة المســـاعدات الَّتِي قَدَّمَتْهَا الحكومة التُّركِيَّة للاجئين السُّورِيِّينَ بدعم من مُنَظَّمَات المجتمع المَدَنِيّ التُّرْكِيّ تجاوزت 30 مليار دولار أمريكي"(4)، في حين قدَّرت إدارة الطوارئ والكوارث التُّركِيَّة، في فبراير 2018م، حجم الإنفاق التُّرْكِيّ على اللَّاجئين السُّورِيِّينَ خلال السنوات الـ7 الماضِيَة، بنحو 30.285.573.000 دولار أمريكي(5).

وتشير إحصاءات المديريَّة العَامَّة لشؤون المُوَاطَنَة والجِنْسِيَّة بتركيا، أن عدد السُّورِيِّينَ الَّذِين حصلوا علتى الجنســـيَّة التُّركِيَّة منذ عـــام 2011 وحتى يونيو 2018م، قد بلغ 55.583 لاجئاً، منهم 25.000 لاجئ لا تزيد أعمارهم عن 18 عاماً(6).

---

1. "عدد اللَّاجئين السُّورِيِّينَ في تركيا يتجاوز 3.5 مليون"، تي آر تي عَرَبِيَّة، مرجع سابق.
2. إحسان الفقيه، "التدخل" في شؤون الدول على الطريقة التُّرْكِيَّة (مقال تحليلي)، وكالة الأناضول للأنباء، 5 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6CuNnJ
3. سِيَاسِيّة وأكاديميَّة تركيَّة شابَّة، ولدت في 31 يناير 1981م بمدينة إسطنبول، وهي إحدى القيادات الشَّابَّة بحزب العدالة والتَّنْمِيَة، وتَشْغَل منصب وزيرة الأسرة والشؤون الاجْتِمَاعِيَّة في حكومة رئيس الوزراء التُّرْكِيّ بن علي يلدرم، وهي السيدة الوحيدة في حكومته. للمزيد يُنْظَر: "فاطمة قايا.. الوزيرة التُّرْكِيَّة المبعدة من هولندا"، الجزيرة نت، 13 مارس 2017م، تاريخ الزيارة: 9 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/U1ewYU
4. وزيرة الأسرة والسياســـات الاجْتِمَاعِيّة التُّرْكِيَّة : المســـاعدات التُّرْكِيَّة للاجئين السُّـــورِيِّينَ تجاوزت 30 مليار دولار، تركيا نيوز، 29 نوفمبر 2017، تاريخ الزيارة: 9 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QD2QjA
5. "عدد اللَّاجئين السُّورِيِّينَ في تركيا يتجاوز 3.5 مليون"، تي آر تي عَرَبِيَّة، مرجع سابق.
6. "إدارة الهجرة التُّرْكِيَّة تعلن عن عدد السُّورِيِّينَ في تركيا حتى يونيو/حزيران 2018م"، تي آر تي، 13 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DskDjX

المبحث الثالث

الاستقرار السِّيَاسِيّ وجَذْب الاستثمار

اعتمدت تجربة حزب العدالة والتَّنْمِيَة منذ عام 2002م، على جعل النِّظَام السِّيَاسِيّ في تركيـــا جاذباً في كافَّة الاتِّجَاهات لتعويض ما فاتها، بما في ذلك مجال الاســـتثمار. إذ شـــهدت تركيا تغييرات في السِّيَاسَة الدَّاخِلِيَّة والخَارجِيَّة، كانت وراء التَحَوُّلَات العميقة في الميادين المختلفة.

واعْتَمَدَ التغيير في الصعيد السِّـــيَاسِيّ على تنفيذ مشروع سِيَاسِيّ ديمقراطي، بممارسات تواكب المعايير الأُورُوبِيَّة من أجل تسهيل انضمام تركيا إلى الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ[1]. وَتَضَمَّنَ المشروع إصلاحات سِيَاسِـــيَّة من ضمنها إصلاح نظام الانتخابات بخفض نســـبة التَّمْثِيل النســـبي من (10%)إلى (5%)[2]، وإتاحة الفرصة لأحزاب اليسار للدخول إلى البرلمان، وإجـــراء تعديلات في قانون مكافحة الإرهاب، وإفســـاح المجال لحُرِّيَّة الرأي والتعبير، وإنهاء حالة الاعتقالات والخطف للمعارضين السِّيَاسِيِّينَ.

1. سبقت الإشارة إلى تاريخ المحاولات التُّرْكِيَّة للانضمام للاتِّحَاد الأوروبي، وقد شَهِدَتْ مدينة فارنا البلغاريَّة قِمَّة تركيَّة أوروبيَّة في مارس 2018م، أجاب فيها الرئيس التُّرْكِيّ رجب طَيِّب أردوغان عن تســـاؤلات الأوروبيين وانتقاداتهم بشـــأن التَّدَخُّل التُّرْكِيّ في ســـوريا خلال عَمَلِيَّة عفرين، باعتبارها معرقلاً عن انضمام تركيا لعضوية الاتِّحَاد، وقد بـــدا التذمُّر على الجانب التُّرْكِيّ جَرَّاء ما اعتبروه تعنُّتاً أوروبيّاً بشـــأن انضـــمام أنقرة لعضوية الاتِّحَاد، وفي يونيو 2018م، لم يهنئ الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ أردوغان بفوزه في انتخابات الرئاســـة؛ خشـــية أن تنتقل تركيا إلى حكم الفرد، وفقـــاً للرؤيـــة الأوروبيَّة التـــي تراها أنقرة ظالمة وغير عادلة، وفقاً لبيان الخَارجِيَّـــة التُّرْكِيَّة التي أكَّدَتْ أنَّ معاملة الاتِّحَـــاد الأُورُوبِيّ الظالمـــة وغير الأمينة لتركيا تظهر مجدَّداً، ومع ذلك فإن عضوِيَّة الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ لا تزال هدفاً استراتيجيّاً على الرغم من التَّدَهْوُر الكبير في العلاقات، وفقاً للخَارجِيَّة التُّرْكِيَّة . للمزيد يُنْظَر: تركيا تنتقد تقريراً للاتِّحَاد الأُورُوبِيّ بشأن محادثات العضويَّة، رويترز، 28 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/x3UvpC
2. تعتمد الانتخاباتَ البرلمانيَّة التُّرْكِيَّة على نظام التمثيل النِّسْـــبِيّ؛ إذ يَتَعينَّ على أيِّ حزب الحصول على نســـبة مُعَيَّنَة من أصوات الناخبين على المستوى الوطنيّ وهي 10% على الأقَلّ، هذا إضافةً إلى نسبة من الأصوات في المنطقة الإداريَّة التابع لها وذلك طبقاً لمعادلة مُعَقَّدَة، وذلك لضمان تمثيل الحزب في البرلمان التركيّ. في حين أن المشروع الإصلاحي المطروح تخفيض تلك النسبة إلى 5%، في الوقت الذي تطالب فيه أحزاب المعارضة إلغاء شرط التمثيل النِّســـبيّ على المســـتوى الوطني بالكليَّة. للمزيد عن نظام التمثيل النســـبي في الانتخابات التُّرْكِيَّة ، يُنْظَر: ما هو "التمثيل النســـبي" الذي أثار الجدل في تركيا مُؤَخَّراً؟، تركيا بوســـت، 5 ديسمبر 2014، تاريخ الزيارة: 9 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ByMCHH

وقد أدى ذلك إلى تراجع الصِّرَاعات بين الحكومة ومعارضيها، ووفَّر بيئة سِيَاسِــيَّة مُسْــتَقِرَّة نسبياً في الداخل والخارج؛ الأمر الَّذِي ساهم في تشجيع الشركات الوَطَنِيَّة والأجنبيَّة على استثمار أموالها في تركيا، ودعم عَمَلِيَّة النُّمُوّ الاقتِصَادِيّ.

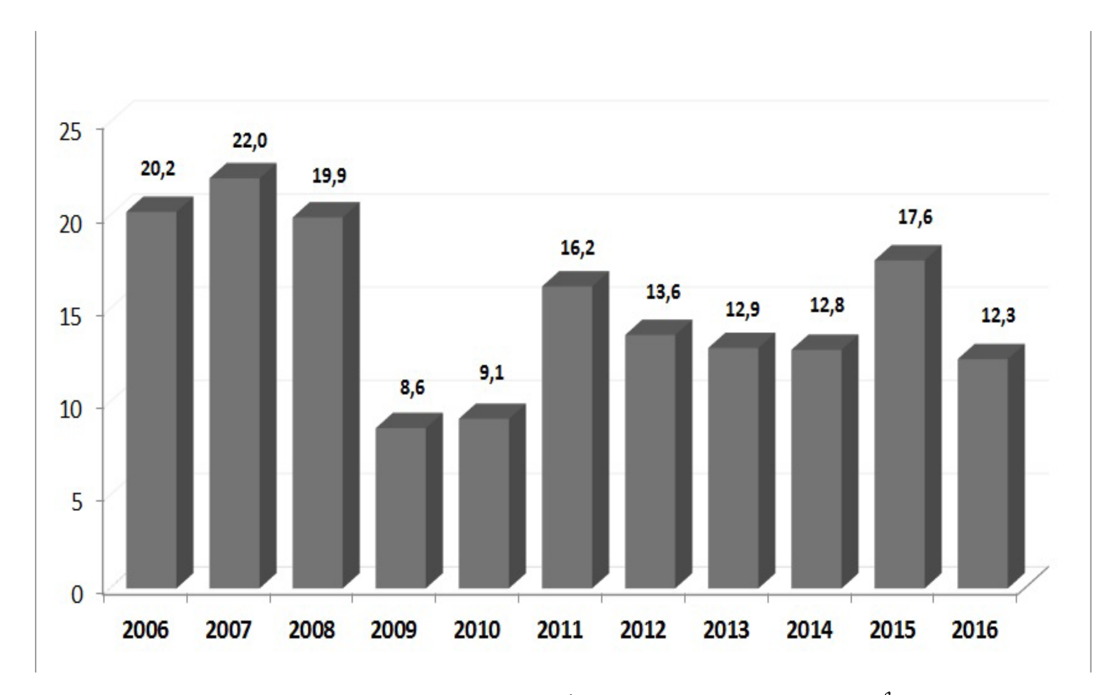
وعلى الصعيد الاقتِصَادِيّ، قَدَّمَتْ الحكومة تســهيلات تشريعِيَّة وضرائبيَّة مُشَجِّعَة للاستثمار، ونفَّذت إصلاحات في قطاعات المصارف والملكيَّة (الخصخصة) والتِّجَارَة وســوق العمل وتأهيل قُوَّة عمل شَابَّة(1). وَوَفْقاً لمؤتمر الأمم المُتَّحِدَة للتجارة والتَّنْمِيَة (الأونكتاد)(2)لتحليل آفاق الاســتثمار العالمي، كانــت تركيا منذ 2002م وإلى غاية 2015م، الواجهة الأكثر جذباً للاســتثمار الوَطَنِيّ والأجنبي. واســتطاعت أن تُحقِّق مرتبــة اقْتِصَادِيَّة مُتَقَدِّمَة، باحتلالها للمرتبة الثالثة عشرة من بين أكبر الاقتصادات العَالَمِيَّة، والخامسة على المستوى الأُورُوبِيّ لعام 2017(3).

1. محمد غسان الشبوط، "تركيا بين الماضي والحاضر"، مرجع سابق.
2. تأسَّــسَ مؤتمر الأمم المُتَّحِدَة للتجارة والتَّنْمِيَة (أونكتاد) عام 1964م. ويعمل الأونكتاد على إيجاد بيئة ملائمــة لاندمــاج الدول النامية في الاقتصــاد العالمي. ونما الأونكتاد تدريجيّاً ليصبح مُؤَسَّسَــة معرفيَّة موثوقاً بها، مُهِمّتها المساعدة على صياغة المناقشات الحاليَّة للسياسات وطرق التفكير بشأن التَّنْمِيَة، مع التركيز بصفة خاصَّة على ضمان أن تكون السياســات الداخليَّة، والقرارات الدَوْلِيَّة متســاندة من أجل تنمية مســتدامة. يشــمل نطاق عمل ومحتويات الأونكتاد مواضيع مثل السِّلع، والملاحة، والنقل، والتقنيَّة، وقوانين المنافسة، والتجارة في السِّلَع والخدمات، والاستثمارات الأجنبيَّة المباشرة. وحقَّق الأونكتاد شهرة واســعة بتقرير تنمية التجارة الذي يُصْدِره ســنويّاً، وأيضاً تقرير الاســتثمار العالمي، ومطبوعات أخرى. للمزيد يُنْظَر:

ABOUT UNCTAD, United Nations Conference on Trade and Development, available at: goo.gl/mWWnBY

3. وزير الاقتصاد التركي: اقتصادنا ســيكون العاشر عَالَمِيّاً والثالث أوروبياً بحلول 2023"، ترك برس، 27 أغسطس 2017، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DqbLe4


تدفُّق الاستثمارات الأجنبيَّة المباشرة على تركيا 2006 - 2016 (بالمليار دولار)(1)



وقد عزَّز أداء النُّمُوّ القوي في تركيا، وتَحَسُّنُ مُؤَشِّرَات الموازنة توافق البلاد وتكاملها مع الأسواق العَالَمِيَّة. وأدَّى إدخال إصلاحات للملاءمة مع معايير الاتِّحَاد الأُورُوبيّ، عبر إعادة هيكلة القطاع المصرفي والإصلاحات المَاليَّة والضريبيَّة الأخرى منذ 2002م. مما أدَّى إلى حدوث تغيُّرات في الاقتصاد والأسواق المَاليَّة التُّركِيَّة، رَفَعَتْ من قدرتها التنافسيَّة وعَرَفَتْ على إثرها تَدَفُّقاً كبيراً للاستثمارات الأجنبيَّة المباشرة. فبعد أن جذبت إجمالي 19 مليار دولار فقط بين 1950 و2002م، تَدَفَّقَتْ نحو 191 مليار دولار للاستثمار في تركيا منذ صعود حزب العدالة والتَّنْمِيَة إلى سُدَّة الحُكْم خلال الفترة 2002 - مارس 2018(2)، لتَحْتَلّ بذلك في 2012م المرتبة الثالثة عشرة

1. المصدر: وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/cMg9rh
2. الاستثمارات الأجنبيَّة في تركيا تبلغ 191 مليار دولار منذ تَوَلِّي "العدالة والتَّنْمِيَة" الحكم، ترك برس، 28 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6t9PLR

بين الاقتصادات الأكثر جَاذِبِيَّة للاســـتثمار الأجنبي المباشر في العالم(1). ورَغْم أنَّ تركيا قد شـــهدت هبوطاً في مستويات الاستثمار الأجنبي المباشر في 2008م بتزامن مع الأزمة المَالِيَّة العَالَمِيَّة، فقد تجاوزتها في 2009م بجدارة.(2)

وعلى أثر هذا التحسُّن الكبير، قامت شركات الخدمات المَالِيَّة الدَّوْلِيَّة(3) Fitch، و(4)Moody's، و(5) JCR في 2012م بترقية التصنيف الائتماني لتركيا لدرجة الاســـتثمار (6)BBB.

1. عمـــر بولاط، سِـــجِلّ الاقتصاد التُّركيّ من أين وإلى أين، ترك بـــرس، 5 يناير 2015م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oJqPjY
2. "الاقتصـــاد الـــتُّركيّ خلال عقد العدالة والتَّنْمِيَة"، رؤية تركيَّـــة، 2013م، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/i6NmRJ
3. مجموعـــة فيتـــش Fitch Group هي الشركـــة الرائدة عَالَمِيّاً في مجال خدمات المعلومـــات المَالِيَّة مع عمليَّات في أكـــثر مـــن 30 بلـــداً. وتَتَكَـــوَّن مجموعة فيتش مـــن: فيتش راتينغـــس، وهي شركة عالميَّـــة رائدة في مجال التصنيفـــات الائتمانيَّة والبحوث؛ فيتش سوليوشـــنز، المزوِّد الرائد لبيانات ســـوق الائتمان، والأدوات التحليليَّة وخدمات المخاطر؛ (بمي ريزارتش) ، وهي مُزَوِّد مستقلّ لمخاطر البلد وتحليل الصناعة مُتَخَصِّص في الأسواق الناشئة والوَطَنِيَّة؛ وفيتش ليارنينغ، وهي شركة رائدة في مجال التدريب والتطوير المهني. مع المقرّ المزدوج في لنـــدن ونيويورك، فيتش المجموعة هي التي يملكها هيرســـت معظمها. للمزيد يُنْظَر:- About, Fitch Group، available at: goo.gl/YX3WeZ
4. شركة موديز المُدْرَجَة في بورصة نيويورك تحت الرمز: "نيس: مكو"، تُعَدُّ عنصراً أساســـيّاً في أســـواق رأس المال العالميَّة؛ حيث توفِّر تصنيفات ائتمانيَّة وبحوثاً وأدوات وتحليلات تُسْـــهم في الأســـواق المَالِيَّة الشَّفَّافَة والمتكاملة. وهـــي الشركـــة الأم لخدمات موديز للمســـتثمرين، التي تُقَدِّم تصنيفات ائتمانية وبحوثـــاً تُغَطِّي أدوات الدَّيْن والأوراق المَالِيَّـــة، وموديـــز أناليتيكش، والتي تقدم البرامج الرائدة والخدمات الاستشـــاريَّة والبحوث من أجل تحليل الائتمان والتحليل المالي إدارة المخاطر. وتوظف المُؤَسَّسَة، التي سجلت عائدات بلغت 3.6 مليار دولار في عام 2016م، ما يَقْرُبُ من 10700 شـــخص في جميع أنحاء العالم وتحافظ على وجودها في 36 بلداً. للمزيد يُنْظَر: About Moody's، Moody's Corporation، available at: goo.gl/YcikjB
5. JCR شركة محدودة للتصنيف الائتماني تعمل كوكالة تصنيف "الخدمة الكاملة" تُقَدِّم خدمات التقييم المســـتقلّ في باكستان. وتُعْتَبَر مشروعاً مشتركاً بين وكالة التصنيف الائتماني اليابانية المحدودة، وكالة التصنيف الحيويَّة في اليابان، فيتال إنفورماتيون سيرفيسز (بت.) ليميتد (فيس) ، وهي مُؤَسَّسَة البحوث المَالِيَّة المستقلَّة الوحيدة في باكســـتان وبورصة كراتشي وبورصة إســـلام آباد. للمزيد يُنْظَر: About- JCR- VIS Credit Rating Co. Ltd.، available at: goo.gl/UWBuwE
6. "التَّصنِيف الســـياديّ لتركيا يحافظ على تقدير الجدارة الائتمانيَّة في مجال الاســـتثمار"، وكالة دعم وتشـــجيع الاستثمار في تركيا، 20 أغسطس 2016م، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/BQHYTN

الأمر الَّذِي سينعكس إيجاباً على جذب مزيد من الاستثمار الأجنبي المباشر. كما عملت الحكومة أيضاً على تطوير العلاقات التِّجَارِيَّة والمَالِيَّة مع بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، بتوقيع الاتِّفَاقيَّات الثُّنَائِيَّة في مجال التِّجَارَة الحُرَّة، وإلغاء تأشـــيرات الدخول لتركيا. هذا إلى جانب تمتين وتطوير علاقات تجاريَّة أقوى مع دول أمريكا اللاتينيَّة والبلقان وروسيا والصين. مما خلَق مجموعة أكثر تَنَوُّعاً من الشركاء التجاريِّينَ وفرص تمويل أكبر للاستثمار(1).

عوائق عدم الاستقرار السِّيَاسِيّ للاستثمار:

- **العنف والإرهاب:**

حسب رؤية تركيا؛ فإن النُّمُوّ الاقْتِصَادِيّ وتوليد الدخل في تركيا بعد سنة 2002م، لم يستند إلى المُدَّخَرَات المَحَلِّيَّة، بل سعى إلى القطاع الخاص، وإلى رأس المال الأجنبيّ، وهو الســـبب الرئيس لارتفاع عجز الحساب الجاري(2). ونقص المُدَّخَرَات المَحَلِّيَّة في هذه الحالـــة قد يُؤَدِّي، خاصة مع الأزمات المَالِيَّة الدَّوْلِيَّة كأزمة 2008م، إلى خفض الاستثمارات مقارنة مع بلدان أخرى ككوريا الجنوبيَّة.

لكن ومن جانب آخر، فإن جذب الاســـتثمار اصطدم بعناصر عدم الاستقرار السِّيَاسِي. ومنها عودة العنف السِّيَاسِيّ والاقتتال المُتَقَطِّع بين الحكومة والأكراد(3). وهو عُنفٌ ناجمٌ

1. "الاقتصـــاد التُّرْكِيّ أكثر جاذبيَّة للمســـتثمرين مع توقُّعات جَيِّدَة بالنمو"، صحيفـــة الوطن الكويتيَّة، 18 نوفمبر 2012م، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LDBYYf
2. "الاقتصاد التُّرْكِيّ خلال عَقْد العدالة والتَّنْمِيَة"، مرجع سابق.
3. خلال السنوات الثَماني الماضية شهدت العلاقة بين الحكومة التُّرْكِيَّة وحزب العمال الكردستاني عِدَّة محطات مختلفة تراوحت ما بين سِرِّيَّة في العاصمة النرويجيَّة أوسلو، خلال العام 2010م، لكنها لم تُسْفِر عن نتائج تُذْكَر لإنهاء الأزمة، الأمر الذي أدَّى إلى تصاعـــد القتـــال بين الجانبين في صيـــف 2012م، ومن ثَم جولة جديدة من المفاوضات بين الجانبين في أكتوبر 2012م، أعقبها إعلان رئيس الوزراء التركي، آنذاك، رجب طَيِّب أردوغان، في ديســـمبر 2012م، عن محادثات مع رئيس حزب العمال عبداللـــه أوجلان في الســـجن من أجل إنهاء الأزمة، ثم جولـــة مفاوضات جديدة مع أوجلان في مارس 2013م، أعقبها إعلان الحزب رسمياً وقفاً لإطلاق النار مع الحكومة التُّرْكِيَّة؛ حيث دعا أوجلان مقاتليه إلى وقف القتال والانسحاب إلى خارج حدود تركيا. لكن هذا الاتفاق أُصيب بانتكاسة كبيرة حينما قام مقاتلو الحزب بقتل شُرطيِّينَ تركيِّينَ في يوليو 2015م، فانتهت عملية السِّـــلْم الأهليّ وعادت العمليَّات القتاليَّة والمداهمات الحكوميَّة. وقد شـــهدت الفترة من أغســـطس 2015م إلى 2018م عمليَّات عَسْكَرِيَّة مُوَسَّعَة مِن قِبَل الجيش التُّرْكِيّ داخل معاقل حزب العمال الكردستانيّ، في الجنوب التركي، وفي سوريا والعراق كذلك، أسفرت عن مصرع وإصابة المئات منَ الجانبين. للمزيد يُنْظَر: "محطات من صراع تركيا وحزب العمال الكردستاني"، الجزيرة نت، 26 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/pC2v3k

عن اختلاف الرؤى بين الحكومة وحزب العمال الكردســـتاني، فرؤية الحكومة التُّركِيَّة تركز على الحل الأَمْنِيّ في المقام الأَوَّل، أي: الحصول على ضمانات من الحزب لتسليم الأسلحة، وعدم ارتكاب عمليَّات عنف جديدة والخروج من تركيا، مقابل إصدار عفو عام عن كوادر الحزب، والإفراج عن عددٍ من عناصره، وإقرار قانون للإدارة المَحَلِّيَّة يشمل كُلّ أنحاء تركيا؛ حيث تكشف هذه الخطوات في مُجْمَلِهَا أن الانفتاح التُّركِيّ على الأكراد ربما يكون تكتيكاً أكثر منه سياسة جديدة للتعامل مع التَّحَدِّيَات الدَّاخِلِيَّة.
وبالطبع فإنَّ ضَعْف قُدْرَة تمويل الاستثمارات تؤدِّي إلى ضَعْفِ النُّمُوّ الاقْتِصَادِيّ الَّذِي يتبعـــه انخفاض إيرادات الحكومة، واحتمال خَفْض الإنفاق الاجْتِمَاعِيّ؛ الأمر الَّذِي قد يُؤَدِّي إلى تدهور في شَعْبِيَّة الحكومة وفي الاستقرار السِّيَاسِيّ ككل.

- **المِلَفّ السُّورِيّ، والخلافات مع روسيا:**

إن مجيء التَّحَدِّيَات الخَارجِيَّة المُرْتَبِطَة خاصة بالأزمة السُّورِيَّة، وَتَحَوُّلُ الثورة هناك إلى صراع مُسَلَّح بين قُوَى المعارضة المُسَلَّحَة والجيش الحكومي منذ عام 2011م، أدَّى بتركيا إلى التَّدَخُّل في الأزمة السُّـــورِيَّة. كما أن نشـــاط حزب العمل الكردستاني دفَع بتركيا إلى التَّدَخُّل كذلك في شمال العراق.
وهناك أيضاً الاضْطِرَار إلى إجراء انتخابات مبكرة لإكساب الحكومة أغلبيَّة مُسْتَقِرَّة، ومحاولة الانقلاب العَسْـــكَرِيّ في 15 يوليو 2016م، واضطرار الحكومة لتعديل الدُّسْـــتُور للاعتماد عليه كحقيقة قانونيَّة. وأيضاً التَّدَخُّل العَسْـــكَرِيّ الرُّوسِيّ في سوريا، وما نتج عنها من تفجُّر الخلافات مع روســـيا، وخَاصَّة بعد حادثة إســـقاط المقاتلة الرُّوسِيَّة، وتهديد موسكو بِفَرْضِ عقوبات اقْتِصَادِيَّة على تركيا. وفي نفس الوقت استمَرَّ خطر الإرهاب في نشر ظلاله القاتمة، مُمَثِّلاً بانتشـــار داعش وتمكُّنها من بَسْط ســـيطرتها على مناطق واسعة من سوريا والعراق، واستمرار عمليَّات التفجيرات الإرهابيَّة في عدة مدن تركيَّة(1).

1. Fabian Briegel, Turkey: ongoing political instabiliy, RaboResearch- Economic Research, April 25, 2016, available at: goo.gl/Ut6AYK

- **الصِّرَاع السِّيَاسِيّ الدَّاخِلِيّ والأزمات السِّيَاسِيَّة:**

اشـــتهرت تركيا بتكرار الأزمات السِّيَاسِــيَّة، قبل 2002م، وعلى سبيل المثال شهدت تركيا اثنتي عشرة حكومة أقليَّة(1)، وأخرى ائتلافيَّة خلال مدة تسعة شهور من عام 1971م، كما تَعَرَّضَتْ في عَقْد التســعينيَّات من القرن الماضي إلى أزمات سِيَاسِــيَّة دائمة بســبب التناقض بين هيئات الحُكْم والأحزاب حول إلغاء عقوبة الإعدام(2)، والســماح باستخدام اللغة الكُرْدِيَّة لتصبح أكثر اتساقاً مع معايير الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ، على سبيل المثال لا الحصر.

ومنذ انتخابات العام 2007م، سَــاد التَّوَتُّر السِّــيَاسِيّ بشكلٍ شِبْه دائم في تركيا مع العســكر وما يُســمَّى بالدَّوْلَة العميقة(3)، واتِّهَام الحكومة لهــا بالقيام بمحاولات الانقلاب، إلى جانب الضغوط الَّتِي يمارســها الجيش على السُّــلْطَة السِّيَاسِيَّة، ونهج عمليَّات الاغتيالات والمؤامرات.

1. يُقْصَدُ بها تلك الحكومة التي يلجأ فيها حزب الأغلبيَّة، مع عدم تَمَكُّنه من الحصول على نسبة 50% + 1 أصوات الناخبين، إلى الاســتعانة بدعم وزاري من خارج البرلمان، وذلك شريطة أن تحصل تلك الحكومة على الثقة البرلمانيَّة. ومن أبرز حكومات الأقلية التي شهدتها تركيا؛ حكومة سليمان ديميرال في عام 1979م، واستمَرَّتْ نحو عام في الحكم، وحكومة تانســو تشـيلر في عام 1994م، والتي لم تســتَمِرَّ إلا أربعة أيام إذ لم تستطع كســب ثقة البرلمان. للمزيد يُنْظَر: "ماهي حكومة الأقليَّة، وهل يمكن تأسيســها في تركيا؟"، ترك برس، 9 يونيو 2015، تاريخ الزيارة: 11 أغســطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/aDQUKm
2. في نوفمبر 2003م، ألغت تركيا رســميّاً عقوبة الإعدام في أوقات السِّــلْم، وذلك اســتجابةً لضغوط الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ الذي اعتبر هذا الإلغاء من أهم شروط انضمام تركيا لعضوية الاتِّحَاد، وفي عام 2004م، وقَّعت تركيا بروتوكولاً إضافياً للمحكمة الأوروبيَّة لحقوق الإنسان يَحْظُر عقوبة الإعدام. يُذْكَر أن آخر حكم للإعدام في تركيا كان قد صدر في عام 1984م، وذلك قبل إلغاء العقوبة قانونيّاً، وكان الرئيس رجب طَيِّب أردوغان قد ألمح إلى إمكانيَّة تطبيق عقوبة الإعدام بحق المتوَرِّطِينَ في المحاولة الانقلابيَّة الفاشلة في 2016م في حال وافق البرلمان على ذلك. للمزيد يُنْظَر: "تعرف على عقوبة الإعدام في تركيا والعالم عبر 6 أسئلة"، صحيفة زمان التُّرْكِيَّة ، 7 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LD9Gwa
3. يشــير مفهوم الدولة العميقة إلى "مجموعة من المُؤَسَّســات القسريَّة، والفاعلين المجتمعيين، الذين تجمعهم شــبكة من العلاقات والتحالفات داخل الدولة، تَضُمّ أطراً رســمية وأخرى غير رســميَّة، نافذة، تكون لها مصالح مُعَيَّنَة، متشــابكة ومتقاطعة، مدفوعة سِيَاسِــيّاً بمنطق الوصَاية على المجتمع، تقوم بالدفاع عن مصالحها، في مواجهة الحُكَّام المُنْتَخَبِينَ ديمقراطيّــاً والممثِّلِينَ الشــعبيين، وغالباً ما تجمع بين مكوِّناتها المُؤَسَّســات المُحْتَكِرَة للقُــوَّة في الدولة؛ الجيش، وقوى الأمن الداخليّ، والبِنَى الاســتخباراتيَّة، وتبرر ممارســاتها دائماً بزعم الدفاع عن مصالح وُجُودِيَّة للأمة". للمزيد يُنْظَر: Patrick H. O'Neil, The Deep State: An Emerging Concept in Comparative Politics, University of Puget Sound, Washington, August 2013, P, 3.

وتَجَلَّى الاســـتقطاب السِّيَاسِيّ المُهَيْمِن في تركيا بالمواجهة القائمة في الأعوام 2008 و2009م بـــين حكومة العدالة والتَّنْمِيَة ومجموعات إعلاميَّة ورجال أعمال مغتربين تنظر إليهم الحكومة كقريُبَيِّن من الحُكْم العَسْكَرِيّ السابق.
وانتشر في نفس الفترة الحديث عن شـــبكات الدَّوْلَة العميقة الَّتِي اتُّهِمَت بالتخطيط لمحاولة الانقلاب العَسْـــكَرِيّ الفاشلة في يوليو 2016م، والَّتِي تلتها اعتقالات واسعة في صفوف الجيش والقضاء والتعليم والمُنَظَّمَات المَدَنِيّة.

- **أَثَر عدم الاستقرار السِّيَاسِيّ على جذب الاستثمار:**

كل العواصف السابقة ترفع مستوى مخاطر عدم الاستقرار السِّيَاسِي، وعرقلة السِّيَاسَات المحفِّزة للنمو والاستثمار. وكان من المفترض أن يَتَمَخَّضَ عن ذلك انخفاض في الصادرات وضَعْف الطلب المَحَلِّيّ، وانخفاض تدفُّق السُّوَّاح الأجانب، مما نتَج عنه ضعف في القُدْرَة على تمويل الاســـتثمارات(1). وتُبَيِّنُ الإحصاءات في هذا الصدد، تَرَاجُعاً في الاستثمار الخَارِجِيّ المباشر إلى تركيا بنحو 44.3% في العام 2016م مقارنة بالعام 2015(2)، كما أدَّت الأوضاع السِّيَاسِيَّة في المنطقة إلى تغيُّر في خريطة الاستثمارات الأجنبيَّة المُبَاشِرَة في تركيا، فبعد أن كانت الاســـتثمارات الأُورُوبِيَّة تُشَكِّل 75% من إجمالي الاستثمارات الأجنبيَّة في البلاد، والأَمْرِيكِيَّة 15%، تراجعت نســـبة الاســـتثمارات الأُورُوبِيَّة إلى نحو 65% والأَمْرِيكِيَّة إلى نحو 9%، وفي المقابل ارتفعت نسبة الاستثمارات الرُّوسِيَّة في تركيا من 2% إلى 6%، كما ارتفعت استثمارات دول الشرق الأوسط من 8% إلى 16%(3).

1. Fabian Briegel, Turkey: ongoing political instabiliy, RaboResearch- Economic Research, April 25, 2016, available at: goo.gl/Ut6AYK
2. "الاستثمارات الأجنبيَّة المباشرة في تركيا تتراجع 44 % خلال 10 أشهر"، صحيفة الاقْتِصَادِيّة، 24 ديسمبر 2016، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Uaebqs
3. "تركيا تسعى لجذب استثمارات أجنبيَّة بقيمة 15 مليار دولار خلال 2017"، تركيا بوست، 31 مارس 2017، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/a1yjyn

وهناك أيضاً العديد من عوامل القُوَّة والضَّعْف المُؤَثِّرَة في جذب الاستثمار الوَطَنِيّ والخَارِجِيّ. وهي عوامل ذات صلة بالاستقرار السِّيَاسِي، وإن كانت ذات طبيعة غير سِيَاسِيَّة: رضا الناس عن الحكومة، وتَرَسُّخ حقوق الإنسان، وحماية الملكيَّة الفِكْرِيَّة، وقيم مناهضة الفساد.. إلخ. وقد نجحت الحكومة التُّركِيَّة في الاستفادة من عوامل القُوَّة ومعالجة عوامل الضَّعْف. فعندما يَتَعَزَّزُ نجاح الحكومة في تطبيق السِّيَاسَات الَّتِي تُحَقِّق مصالح مختلف المُكَوِّنَات الشَّعْبِيَّة والقَوْمِيَّة والاقتِصَادِيَّة لتركيا، يترسخ رضا هذه المُكَوِّنَات عن الحكومة، ويَتَرَسَّخُ الاستقرار السِّيَاسِيّ عبرها. وينطبق هذا بقدر كبير على الفترة من 2003م إلى 2010م. وهي الفترة الَّتِي جذبت فيها تركيا استثمارات كبيرة، وحَقَّقَتْ تحسُّناً في المُؤَشِّرَات الاقتِصَادِيَّة، كتضاعف مُتَوَسِّط الدخل الفردي في السنة من 3300 دولار عام 2003م إلى 13300 عام 2013(1).

ومن عوامل القُوَّة الاقتِصَادِيَّة الجاذبة للاستثمار ما يلي(2):

1. **قُوَّة الموقف المالي للحكومة**، بالانخفاض النسبي للدَّيْن العام عند مستوى 35% من الناتج المَحَلِّيّ الإجمالي.
2. **تحسُّن تمويل الحكومة**، ومِنْ ثَمَّ تحسُّن تمويل الخدمات الاقتِصَادِيَّة والأَمْنِيَّة؛ الأمر الَّذِي ينعكس إيجاباً على الخدمات اللوجستيَّة.
3. **تحسُّن الإنفاق الاجْتِمَاعِيّ** الَّذِي يليه رضا اجتماعي عن الحكومة وزيادة الاستقرار السِّيَاسِي، واستقرار الاقْتِصَادِيّ الكلي، إلى جانب الموقع الاسْتِرَاتِيجِيّ والسوق المَحَلِّيّ الضخم والإعفاءات الضريبيَّة، الَّذِي يُؤَدِّي إلى جذب المستثمرين وزيادة تدفُّق الاستثمار الأجنبي المباشر.
4. **ضخامة السوق المَحَلِّيّ**، وقُوَّة العمل الشَّابَّة المُؤَهَّلَة الَّذِي يفتح آفاقاً واسعة للاستثمار المربح، وجَذْب المزيد من الاستثمارات الوَطَنِيَّة والأجنبيَّة.

1. محمود سمير الرنتيسي، "الدور التُّرْكِيّ في شرق إفريقيا: الدوافع والمكاسب"، مرجع سابق.
2. Fabian Briegel, Turkey: ongoing political instabiliy, Op.Cit.

وفي مقابل كُلّ هذا هناك عناصر ضَعْف تَتَمَثَّل في: عجز الموازنة العَامَّة الَّذِي بلغ نحو 9.7 مليـــار دولار أمريـــكي) في العام 2016، في حين أنه تجاوز الـ7 مليارات دولار خلال النصف الأَوَّل من العام 2017(1)، كما أَقَرَّ البرلمان التُّرْكِيّ، في ديسمبر 2017، ميزانيَّـــة الدَّوْلَة للعام 2018 بعجزٍ مَاليّ مُتَوَقَّع يُقَدَّرُ بنحو العجز المالي 17.28 مليار دولار أمريكي(2)، إلى جانب الاحتياطي الضعيف نسبياً من النقد الأجنبي.

دور الحكومة في التغلُّب على عوائق الاستثمار:

لقـــد تمَكَّنَتْ الحكومة التُّركِيَّة من تلافي العواصف الســـابقة، والتَّحَوُّل إلى التحالف مع روسيا(3) لتسوية المِلَفّ السوري، وتمَكَّنَتْ من تعديل الدُّسْتُور في البرلمان وطرحه للاستفتاء الشعبي(4) وانتقلت إلى النِّظَام الرِّئَاسِيّ(5).

1. "7 مليـــارات دولار عجـــز ميزانيَّـــة تركيا في النصف الأول"، صحيفة الشرق الأوســـط اللندنيَّة، 19 يوليـــو 2017، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/1yhk43
2. البرلمان التُّركِيّ يوافق على ميزانية 2018م"، رويترز، 23 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/pTLBBH
3. تَطَوَّرَتْ العلاقات التُّرْكِيَّة الرُّوسِيَّة بشكل كبير في ظِلّ التقارب بين شخصي الرئيسين رجب طَيِّب أردوغان وفلاديمير بوتين، اللذين يديـــران علاقـــات صعبة مع الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة وحلفائهـــا الغَرْبِيِّينَ، وقد تجاوز البلدان الكثير من العقبات التي كادت أن تَعْصِف بالعلاقات فيما بينهما، مثل حادثة إسقاط المُقَاتِلَة الرُّوسِيَّة في الأَجواء التُّرْكِيَّة ومقتل السفير الروسي في أنقرة، إلى جانب الموقف التُّرْكِيّ الرافض لضَمّ روسيا لشبه جزيرة القِرْم وتدَخُّلها العسكريّ في جورجيا قبل عدة سنوات، إلى جانب تعارض موقف أردوغان وبوتين من رأس النِّظَام السوري بشَّار الأسد. ومع ذلك فقد نسج الطرفان علاقات خاصة، ربما بفعل المصالح المشتركة من جهة، والعلاقات المُضْطَرِبَة مع الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة، وخاصة منذ صعود دونالد ترامب إلى سُدَّة الحُكْم، من جهة أخرى، ومن ثَمَّ فقد ذوَّبت المصالح المشـــتركة جليد الخلافات بين البلدين. ولَعَلَّ أبرز صور العلاقات الخاصَّة بين أنقرة وموســـكو وضع الحجر الأساس لمحطة "أك كويو" النَّوَوِيّة التُّرْكِيَّة ، وهو مشروع مشترك بين الجانبين بقيمة 20 مليار، واتفاقيَّة خط أنابيب نقل الغاز ترك ســـتريم، في 2016م، إضافة إلى ارتفاع التبادل التجاري الروسي التُّرْكِيّ إلى حوالي 40 مليار دولار. للمزيد يُنْظَر: "المثلث التُّرْكِيّ الروسيّ الإيرانيّ.. هل يَتَحَوَّل التقارب إلى تحالف؟"، دويتش فيله، 4 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/tC2dwp
4. وافق الشـــعب التُّرْكِيّ في 16 أبريل 2017، على التعديلات الدُّسْـــتُورِيَّة التي قَدَّمَها حزب العدالة والتَّنْمِيَة الحاكم، للتَّحَوُّل بالبلاد من النِّظَام البرلمانيّ إلى النِّظَام الرئاسيّ، بنســـبة 51%، وعلى إثر ذلك جرت أول انتخابات رئاســـيَّة في تركيا، وفقاً للنظام الجديد، وفاز الرئيس أردوغان بولاية رئاسيَّة ثانيَّة، كأول رئيس للجمهوريَّة التُّرْكِيَّة بعد إقرار النِّظَام الرئاسيّ. وبموجب النِّظَام الجديد سَيَتِمّ تنظيم الانتخابات البرلمانيَّة والرِّئَاسِـــيَّة بشـــكل متزامِن، وتصبح مُدَّة الرئيس 5 ســـنوات قابلة للتجديد لولاية واحدة، ومدة الدورة البرلمانيَّة 5 سنوات بدلاً من 4 سنوات، كما يزيد عدد أعضاء البرلمان من 550 إلى 600 عضو، وخفض الحَدّ الأدنى لسِنّ النُّوَاب من 25 سنة إلى 18 سنة. للمزيد يُنْظَر: "أردوغان يبدأ الاثنين ولايته الجديدة رئيساً لتركيا"، تركيا بوست، 6 يوليو 2018م، تاريخ الزيارة: goo.gl/9fUHKA
5. النِّظَام الرئاسي أحد الأنظمة السِّيَاسِـــيَّة الديمُقْرَاطِيَّة التمثيليَّة، ويقوم على مبدأ الفَصْل بين الســـلطات الثلاثة؛ التنفيذيَّة، والتشريعيَّة، والقضائيَّة، ويرتكز النِّظَام الرئاسيّ على الســـلطة التنفيذية ورأســـها هو رئيس الجمهوريَّة الذي يَتِمّ انتخابه بالاقتراع المباشر من الشـــعب ويكون له صلاحيات واســـعة؛ حيـــث يختار الحكومة لتنفيذ برنامجه السِـــيَاسِيّ وتكون مســـؤولة أمامـــه وليس أمام البرلمان، وله الحقّ في حـــلّ الحكومة. للمزيد يُنْظَر: "النِّظَام الرئاسيّ وشبه الرئاسيّ"، الجزيرة نت، 31 ديسمبر 2015، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/FUs4AJ

فيما توجد مخاطر وقيود أخرى تَحُدُّ من الاستثمار وترتبط بالاستقرار السِّيَاسِيّ والقَانُونيّ والضبطي. فالمستثمرون يُعَبِّرُونَ عن قلقهم من التَّقَلُّب السريع في القوانين والقواعد الَّتِي تَحْكُم الاستثمار؛ حيث يحدث التغيير فيها بسرعة، وبدون تقييم نتائجه الضارَّة على المدى الطويل الَّذِي يَتَطَلَّبُهُ تخطيط الاستثمار. كما أن هناك مُؤَشِّرَات تحكم مُنَاخ الاستثمار كالتنافسيَّة والشفافيَّة، وسهولة ممارسة الأعمال. وحسب مُؤَشِّر البنك الدَّوْلِيّ لعام 2016م لسهولة الأعمال، **تَحْتَلّ تركيا في هذه المُؤَشِّرَات المراتب التاليَّة**(1):

- 55 من بين 189 بلداً في سهولة ممارسة الأعمال (أي: الاستثمار).
- 94 من بين 189 بلداً في سهولة افتتاح الشركات.
- 51 من بين 140 بلداً في مؤشر التنافسيَّة الدَّوْليّ.
- 66 من بين 167 بلداً في المؤشر الدَّوْلِيّ للشفافيَّة والفساد لعام 2015م.

وهناك مُؤَشِّرَات أخرى ترتبط بالاستقرار السِّيَاسِي، مثل حقوق الإنسان، والملكيَّة الفِكْرِيَّة، والَّتِي تَحَسَّنَتْ مع سعي تركيا إلى ملاءمة أنظمتها مع أنظمة الاتِّحَاد الأُورُوبيّ والاقتصادات المُتَقَدِّمَة الأخرى الشريكة لتركيا. فضلاً عن جوانب حماية البِنَى التحتيَّة والمنشآت، ومكافحة الجريمة المُنَظَّمَة، والَّتِي تواكب عادةً تحسُّن قُدْرَة الحكومة التمويليَّة لخدمات الأمن والقضاء والخدمات الاقتِصَادِيَّة الأخرى.

ولذلك وبعكس التوقُّعَات السابقة، وحسب الإحصاءات الرَّسْمِيَّة، استمرَّت تركيا بجذب الاستثمارات الأجنبيَّة أقوى من أيّ وقت مضى، وَفْقاً لوكالة دعم وتشجيع الاستثمار التُّركِيَّة(2) (ISPAT)، والرابطة العَالَمِيَّة لوكالات تشجيع الاستثمار(3)WAIPA، حول

1. Transparency International corruption indicators.-Global Competitiveness index 2015, World Economic Forum.
2. وكالة دعم وتشجيع الاستثمار التُّرْكِيَّة هي المُنَظَّمَة الرسمية المسؤولة عن ترويج فُرَص الاستثمار في تركيا بين الدول والمنظومات التجاريَّة في العالم، كما أنها هي المُنَظَّمَة المسؤولة عن مساعدة المستثمرين قبل دخولهم إلى البلاد، وكذلك بعد دخولهم إلى تركيا، كما تتَوَلَّى المُنَظَّمَة المسؤولية عن تشجيع الاستثمارات اللازمة لإحداث مزيد من التَّنْمِيَة والتَّقَدُّم الاقْتِصَادِيّ في البلاد. للمزيد يُنْظَر: معلومات حول وكالة دعم وتشجيع الاستثمار التُّرْكِيَّة (ISPAT)، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار التُّرْكِيَّة ، د. ت، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/sxFAow
3. الرابطة العالمية لوكالات ترويج الاستثمار (WAIPA) مُنَظَّمَة غير حكومية تَأَسَّسَتْ عام 1995، في جنيف، بموجب القانون السويسري، تَتَضَمَّنُ الرابطة 170 عضواً من 130 دولة، وتعمل على ترويج فُرَص الاستثمار للتَّوَاصُل وتبادُل الرأي والخبرات بشأن أفضل الممارسات الاستثمارية حول العالم. للمزيد يُنْظَر:
About us",The World Association of Investment Promotion Agencies (WAIPA)، available at: goo.gl/CeJnh9 "

مُسْـــتَجَدَّات أداء FDI لتركيا؛ حيث اســـتطاعت تركيا جذب 10.05 مليار دولار أمْرِيكِيّ خلال الأشـــهر العشرة الأُولَى من عام 2014م، أعلى بنســـبة 6.4% من نفس الفترة في العام 2013م، وخَاصَّة في قطاع التعدين. مع تَوَقُّعَات باستمرار هذا التَّوَجُّه خلال الفترة من 2015 - 2017م"(1).

ونستخلص من كُلّ ما سبق أن "تركيا في الأساس دولة زعيمة، رائدة بحكم طبيعتها، هي قُوَّة اقْتِصَادِيَّة الآن، لكن دورها المســـتقبلي يتمحور حول نموذجها الثَّقَافِيّ؛ حيث ستتمكن من قيادة الدول الإِسْـــلامِيَّة في الشرق الأوسط كما فعلت الإِمْبَرَاطُورِيَّة العُثْمَانِيَّة سابقاً، وَفْقاً لجورج فريدمان(2)، المدير التنفيذي لستراتفور(3).

وعبر هذه المُكَوِّنَات الأَسَاسِيَّة لِلْقُوَّة من بين أخرى: اقتصاد / ثقافة، عَرَفَ أحمد داود أوغلو كيف يســـتثمر جَيِّداً مساحات نظريَّة العُمْق الاسْتِرَاتِيجِيّ المُتَوَغِّلَة في الحدود الجُغْرَافِيّة، والهُوِيَّات، وقواســـم الثقافة والدِّين المشـــتركة، وذلك من موقع المُنَظِّر المُتمرس منهجيّاً أولاً، والممارس السِّـــيَاسِيّ على أعلى مســـتويات صنع القرار ثانياً، وأيضاً المُدَافِعُ الثابت على مبدأ إعادة الاعتبار لتركيا "الأُمّ" ثالثاً، لطرح أهداف تركيا المســـتقبليَّة في الزعامة الإِقْلِيمِيَّة، وذلك باســـتعراض مصادر القُوَّة والتَّأْثِير في تجربة تُرْكِيَّة فريدة، تَتَوَسَّلُ شِقَّها "الناعم"، وتلتزم بحدوده، ولا تحيد عنه إلى نسخته "الصَّلْبَة" إِلَّا لِمَاماً، وفي أقصى درجات الاضْطِرَار(4).

---

1. "تركيا تبرز في جذب الاستثمارات- رئيس وكالة دعم وتشجيع الاستثمار التُّرْكِيَّة "، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، 22 يناير 2015م، تاريخ الزيارة 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/IkdhoV
2. جورج فريدمان George Friedman مُؤَسِّـس وكالة ســـتراتفور الاستخبارية الأَمْرِيكِيَّة للأبحاث عام 1996م، وهو مُخْتَصّ بالتَّوَقُّعَات الجيوسِيَاسِيَّة وخبير استراتيجيّ معروف عَالَمِيّاً في الشؤون الدَّوْلِيَّة، حاصل على درجة البكالوريـــوس من كلية ســـيتي بجامعة ســـيتي في نيويورك، وحاصل على درجة الدكتـــوراه من جامعة كورنيل. للمزيد يُنْظَر: George Friedman، Biography, Stratfor, available at: goo.gl/ZRN832
3. إحسان الفقيه، "القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة في العالم العربي"، مرجع سابق.
4. انظر في ذلك: أحمد داود أوغلو، العُمْق الاسْتِرَاتِيجِيّ.. موقع تركيا ودورها في الساحة الدَّوْلِيَّة، مرجع سابق.

وفي خلاصة لدور تركيا الجديد، ومن موقعه كمستشـــار لرئيس الوزراء السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان آنذاك، يقول أوغلو: "إن تركيا لديها الآن رؤية وسياسة خَارجِيَّة قويَّة نحو الشرق الأوسط والبلقان ومنطقة القوقاز. سنسعى لدور إِقْلِيمِيّ أكبر، ولم نَعُدْ بلد رَدِّ فِعْلٍ"(1).

1. انظر في ذلك: أحمد داود أوغلو، العُمْق الاسْتِراتِيجِيّ.. موقع تركيا ودورها في الساحة الدَّوْلِيَّة، المرجع السابق.

الفصل السابع

السِّيَاحَة والفنون..
قطبان لِلْقُوَّة النَّاعِمَة التُّركِيَّة

- **مقدمة**
- **المبحث الأَوَّل: أهَمِّيَّة التَّأثِير الثَقَافيّ والحَضَارِيّ التُرْكِيّ**
  - تركيا الحضارة العريقة والأصالة العميقة
  - تركيا الفنون الجميلة.. لوحات تحاكي جمال البلاد والعباد
  - تركيا الموسيقى والمسلسلات.. رومانسيَّة وتاريخ وبطولات أسطوريَّة
  - المطبخ التُّرْكِيّ.. توابل ونكهات الشرق في لقاء الغرب
- **المبحث الثاني: دور السِّيَاحَة التُرْكِيَّة في تغيير نظرة العالم لتركيا**
  - تركيا تقاليد ضيافة وحفاوة متوارثة
  - تركيا والسِّيَاحَة العَرَبِيَّة.. علاقة وثيقة إلى حَدّ الاندماج
  - تركيا.. عوامل ضَرَر للسِّياحة
- **المبحث الثالث: الأعمال الدراميَّة والسينما.. تأثيرها وفوائدها**
- **المبحث الرابع: أعمال دراميَّة تُرْكِيَّة نالت نجاحاً عَالَمِياً**
  - إطلالة إحصائيَّة الدِّرَامَا التُّرْكِيَّة في الصَّدَارة
  - نماذج مُتَمَيِّزَة:
    - أولاً: مسلسل قيامة أرطغرل
    - ثانياً: مسلسل وادي الذئاب
    - ثالثاً: مسلسل السلطان عبدالحميد الثاني
  - يمكن للفنّ أن يكون رساليّاً

الفصل السابع

السِّيَاحَة والفنون..
قطبان لِلْقُوَّة النَّاعِمَة التُّركِيَّة

مقدمة

حتى انهيار نظام الخلافة في تركيا سـنة 1924م، كانت إسطنبول حاضرة الدَّوْلَة العُثْمَانِيَّة الأُولَى بأسـمائها العديدة تمُثِّل عَظَمَةَ، هَيْبَة، وغِنَى إمْبَرَاطُورِيَّة شاسعة بأكملها، من قبيل: الباب العالي، مَقَرّ الخلافة، مَقَرّ السّلطنة، دار السّيادة، دار السّعادة، وبَوَّابَة النَّعِيم وغيرها، ناهيك عن أسماء كثيرة أخرى وبلغات مختلفة تحتفي بهذا الجانب أو ذاك من الحضارة والجمال. فيما أحوالها تَدُلّ على أحوال التمازج العِرْقِيّ والتسامح العقائديّ، ناهيك عن الرُّقِيّ والجمال العمراني المُمَيِّز لتركيا في عهد العثمانيِّينَ كافَّة.

وإذا كان ابن بطوطة(1) المغربيّ الشهير برحلاته الْبَرِّيَّة والبَحْرِيَّة الطويلة، وأوصافه لأحوال البلـدان العجيبة، قد ضرَب المثال بمدينة العلايَّة التُّركِيَّة؛ إذ يقول في بداية وصف رحلته إلى ما أسماها آسيا الصغرى، أي تركيا اليوم: "وقد جمع الله ما تفرَّق من المحاسن في البلاد، فأَهْلُهُ أجملُ الناس صوراً، وأنظفهم ملابساً، وأطيبهم مطاعم"(2)،

1. هـو أبـو عبدالله محمد ابن بطوطة، (1304-1377م)، فقيه ورَحَّالَة مسـلم من البربر، وُلِدَ في طنجة بالمغرب، ويُعَدُّ ابن بطوطة من أعظم الرَّحَالَة على مَرِّ العصور، وهو معروف بقَصَصِ رحلاته وكشوفه الجغرافيَّة، والتي جمعها في كتابه الأشهر؛ "تحفة النُّظَّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار". للمزيد يُنْظَر: رحلة ابن بطوطة، المكتبة الرقمية العالميَّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/nGqijD
2. للمزيد عن رحلة ابن بطوطة لمدينة إسطنبول، التي كانت تُسَمَّى قديماً القسطنطينيَّة، يُنْظَر: ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسـفار، المطبعة الخيريَّة، الطبعة الأولى، 1322 ه، الجزء الأول، ص ص 262-267.

فإن نظيره الأديب الفرنسي الشـــهير جيرار دي نرفال[1] Gérard de NervaL قال عن عاصمة بني عثمان: "إســـطنبول مدينة عجيبة، يعيش فيها جنباً إلى جنب شعوبٌ أربعةٌ في غير كُرهٍ بينهم ولا أحقاد، فالتّسامح الَّذِي يبديه هؤلاء من الأتراك والأرمن واليهود والروم فيما بينهم، لا نســـتطيع أن نـــراه عندنا بين من ينتمون إلى ولايات وأحزاب مختلفة"[2].

تَتَعَدَّد الأوصاف والإشـــارات التَّارِيخِيَّة الأدبيَّة؛ حيـــث تُعْتَبَرَ تركيا من ضمن بلدان العالم الَّتِي حباها الله جمالاً يُلْهِبُ القلبَ، ويَسْـــلُبُ العقلَ حُســـناً وافتتاناً؛ فهي من أجمل البلدان الشرق أوســـطيَّة من حيث المناظر الطَّبِيعِيَّة؛ والمُنَاخ المعتدل؛ والحضارة العريقة. فلا عجب أن تصبح قِبلةً للســـياحة والاستجمام في العالم. ولذا تُعْتَبَرَ تركيا البلد السِّيَاحِيّ الأشهر عَالَمِيّاً في السنوات الأخيرة. فمن يبحث عن السِّيَاحَة المُحَافِظَة يلجأ لهذه البلاد الشـــهيرة بالمآذن الإسْلامِيَّة والمتاحف العريقة، ومن يرغب بالسِّيَاحَة الشـــاطئيَّة فهي تشتهر بروعة شواطئها وسحر مياهها؛ ومن يسعى لاكتشاف التاريخ والحضارة فلن يجد قِبلةً أفضل من تركيا.
وتمتلك تركيا تشكيلة فريدة من القصور الأثريَّة والقِلاع التَّارِيخِيَّة والمَدَافِن السلطانيَّة والزوايا الطُرُقِيَة، لتمنح قاصدها ســـفراً لا مثيـــل له عبر الزمن، أما لمن يبحث عن السِّيَاحَة العلاجيَّة ومزايا الشـــمس والطين والينابيع الطَّبِيعِيَّة، فلا بُدَّ من ذكر تركيا الَّتِي تَتَرَبَّعُ بمنتجعاتها الاستشـــفائيَّة ومراكزها التجميليَّة على عرش هذا الصِّنْف من الخدمات السيَاحِيَّة المطلوبة جداً.

1. أديـب فرنسي وشـاعر وكاتب مقـالات ومترجم، (22 مايو 1808م- 26 يناير 1855م) اسـمه الحقيقي جيرار لابروني Gérard Labrunie.
2. للمزيد عن رحلة جيرار دي نرفال لإسطنبول، يُنْظَر:
Gérard de Nerval, Istanbul Yolunda, Parsomen, Turkey, (2009).

ومن يرغب بهدوء الطبيعة والاســـتجمام في الهواء الطَّلْق والخُضْرة، فمناظر تركيا الجميلة والغابات الظليلة تَفِي بالغرض.

أما الباحث عن سياحة التَّسَـــوُّق، فتركيا شهيرة ببازاراتها المُتَنَوِّعَة؛ ومراكز التَّسَوُّق المُتَعَدِّدَة، التَقْلِيدِيَّة منها والعصريَّة، لذلك لا يُســـتغرَب وصول عدد السُّيَّاح الزائرين لتركيا إلى أكثر من 30 مليون سائح سنوياً[1].

ويرجـــع ذلك أيضاً إلى حرص الحكومة التُّرْكِيَّة عـــلى تقديم العديد من الإغراءات للمستثمرين والتسهيلات للسُّـــيَّاح، ومنها إلغاء التأشيرة بالنسبة لعددٍ لا يُستهان به، وعلى رأسها مجموعة من الدول العَرَبِيَّة الإسْلاَمِيَّة. إذ تنتهج حكومة العدالة والتَّنْمِيَة منذ استلامها السُّلْطَة، اسْتِرَاتِيجِيّات فعَّالة للنهوض بالقطاع السِّيَاحِيّ عبر سياسات مُحَدَّدَة، تُســـهم في إزالـــة أي حواجز بيروقراطيَّة إداريَّة، تُعيـــق النُّمُوّ في القطاع السِّيَاحِيّ في البلاد.

1. انظر الموقع الرسمي لوكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، متاح على الرابط التالي: goo.gl/qBQMSQ

المبحث الأول

أهَمِّيَّة التَّأْثِير الثَّقَافِيّ والحَضَارِيّ التُّرْكِيّ

لتركيا تأثير حَضَارِيّ وثَقَافِيّ لا يُقاوَم، بما أنها تجمع سِحْر الشرق وَوَهَج الغرب، في تناغُم وتمازُج فريديْن. وذلك يرجع أولاً إلى جذور تركيا الضاربة في عمق التاريخ، والَّتِي تعود إلى 10 آلاف سنة خلت، بما يؤهِّلها لحمل لقب "مهد الحضارات". وثانياً إلى جوارها الأُورُوبيّ الَّذِي أمدَّها بالكثير من مُقَوِّمَات الحياة الحديثة بعد ثورة كمال أتاتورك ابتداءً من 1923م، وإجراء القطيعة مع سلطة الخلافة التَّارِيخِيَّة.

وهنا لا بُدَّ من استحضار منطقة الأناضول كملتقى طرق لحضارات عِدَّة؛ سومريَّة وبابليَّة وآشوريَّة، ومستقرّ لفسيفساء إِثْنِيَّةٍ تتكَلَّم خليطاً من اللغات الهندو - أوروبيَّة، مثل الحثيين[1] أو الساميَّة[2] كالحوريين[3]، متعايشة تارة ومتحاربة تارة أخرى[4].

1. تُعْتَبَرَ الحضارة الحثِّيَّة Hittites إحدى أكبر الحضارات التي شهدتها الألفيَّة الثانية قبل الميلاد، ولا تَقِلُّ أهَمِّيَّةً عن بعض حضارات بلاد ما بين النَّهْرَيْنِ، التي امْتَدَّتْ بعدها بقرون عِدَّة، وقد عاصرت الدولة الآشوريَّة والبابليَّة، بل ودخلت في صراعات معهما، ويرجع ذلك إلى كونها مفتاح الاتصال بين شرق العالم القديم وغربه من خلال موقعها الجيو- استراتيجيّ المُهِمّ في هضبة الأناضول وشمال سوريا. وقد بلغت نفوذها خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد. أما بالنسبة للأصول العِرْقِيَّة للحثّيين فما زال أمرها غير محسوم، وإن كان أغلب الظَّنّ أنها أَتَتْ من هجرة بعض القبائل من منطقة القوقاز شمالاً، لكنَّ المُؤَكَّد أنَّ هذه القبائل استوطنت وسط هضبة الأناضول في فترة زمنيَّة قبل القرن العشرين قبل الميلاد، ثم بدأت تجمُّعاتها تفرض سطوتها على القبائل التي كانت تعيش في تلك المنطقة. للمزيد يُنْظَر: تاريخ الحثّيين، موقع صحيفة "الشرق الأوسط" العربية، 11 نوفمبر 2015م، تاريخ الزيارة 15 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/xwSBJq.
2. هي لغة بدائيَّة افترض وجودها علماء اللغويَّات؛ تطبيقاً للتَّسلسُل المنطقيّ الذي تقوم عليه اللغات عادةً، بحيث يفترضون أن اللُّغَات تبدأ من لغة أُمّ تنقسم بدورها إلى لهجات مختلفة تأخذ شكل لغات منفصلة، وهو ما ينطبق على اللُّغَة السامية التي اشْتُقَّتْ منها: العربيَّة والعِبريَّة والآراميَّة والآشوريَّة والمالطيَّة والأمهريَّة والتغرينيَّة ولغة الماندنيك، واللُّغَة التيجريَّة، وتتشابه جميعها فيما بينها، وتنتشر بشكل رئيس في إفريقيا والشرق الأوسط. للمزيد يُنْظَر: ما هي اللغات السامية، موقع "l،q،u" العربية، 10 أبريل 2018م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/Wr7yfa.
3. شعوب هندو- أوربية "آرية" جاءت من المرتفعات الواقعة بين بحيرة أورمية وجبال زاغروس، ظهرت في التاريخ منذ منتصف الألف الثالث ق.م (أي: منذ العهد الأكادي)، وزادت مساحة الأراضي التي شغلوها في منتصف الألف الثاني ق.م، وأصبح لهم كيانٌ سياسيّ في شمال بلاد الموزوبوتامية وسوريا، وبعض جهات الأناضول، وبلغ نفوذهم مداه عندما أسَّسوا دولة قويَّة شمال سوريا. للمزيد يُنْظَر: ماذا تعرف عن تاريخ الحوريين... ومن هم الحوريون؟ موقع صحيفة "الوسط"، 2أبريل 2009م، تاريخ الزيارة 14 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/Viby5U..
4. "ملتقى حَرَّان.. أدب مُتَعَدِّد الثقافات ببلاد الأناضول"، الجزيرة نت، 24 ديسمبر 2015، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/emYPGk

كما شهدت تركيا أمجاد وأُفُولَ شمس دول الجوار الكبرى آنذاك: فينيقيا(1)، اليونان(2)، الرومان(3) وفارس(4)، قبل أن تعايش سقوط الإمْبَرَاطُورِيَّة البيزنطيَّة(5)، وقيام دولة

1. اشـتُقَّ اسـم فينيقيا من اسـم الطائر "الفينيق" دائم التجدُّد، كما تعني أيضاً اللون الأحمر؛ إذ تشـتهر مدن فينيقيا بصناعة الصبغ الأحمر الأرجواني، وتشـير فينيقيا إلى الحضارة السـامية القديمة الثالاسوقراطيَّة التي نشأت شرق البحر الأبيض المتوسط وغرب الهلال الخصيب، وكانت تشمل المناطق الساحليَّة الواقعة الآن شمال فلسطين ولبنان وجنوب سوريا، لكنَّ هناك بعض الخلاف بشأن مدى عمقها الجنوبي، وانتشرت هذه الحضارة عـبر البحر المتوسـط بين 1500 قبـل الميلاد و 300 قبل الميلاد. للمزيد يُنْظَـر: فينيقيا، موقع "المعرفة"، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/GrdZfE.
2. عُرِفَـتْ منـذ التاريخ القديم باسـم إمبراطوريَّة هيلاس، وهي دولة تقع جنـوب شرق أوروبا، وعاصمتها أثينا، وتُعْتَبَرَ مهد الحضارة الغربيَّة، وشهدت توسُّعاً كبيراً على يد الإسكندر المقدوني الذي غزا الكثير من دول العالم القديم، ونَشَرَ الثقافة اليونانيَّة والعلوم من شرق البحر الأبيض المتوسط إلى نهر السند، وقد ضَمَّتْهَا روما في القرن الثاني قبل الميلاد، وأصبحت البلاد جزءاً لا يتجزأ من الإمبراطوريَّة الرومانيَّة وخليفتها، والإمبراطوريَّة البيزنطيَّـة. للمزيـد يُنْظَر: تاريخ اليونان، موقع "المعرفة"، تاريخ الزيـارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/cpRRrY.
3. يُقصـد بهـم المجموعات البشريَّـة التي هاجَرت من شرق أوروبا إلى الجُـزُر الإيطاليَّة ابتداءً من 1200 ق.م، أي القرن الثاني عشر قبل الميلاديّ، وأَسَّسُـوا مدينة روما القديمة، وبدأت الإمبراطوريَّة الرومانيَّة في التَّوسُّـع التَّدريجـيّ وسـيطرت على معظـم العالم القديم، وأصبحت حدودها شاسـعة امتَدَّتْ من الجُـزُر البريطانيَّة وشـواطئ أوروبا الأطلسـيَّة غرباً إلى بلاد ما بين النهرين وسـاحل بحر قزوين شرقاً، ومن وسط أوروبا حتى شـمال جبـال الألب، وإلى الصحـراء الإفريقيَّة الكبرى والبحر الأحمر جنوباً. للمزيـد يُنْظَر: تاريخ الرومان، موقـع "موضوع"، 11 يناير 2016م، تاريخ الزيـارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/GpL4Bi.
4. يُقْصَد بها "الإمبراطوريَّة الفارسيَّة"، والتي تُشكِّل اليوم الجمهوريَّة الإسلاميَّة الإيرانيَّة، وكانت تقع شرق وشمال شـبه الجزيرة العربيَّة، تأسَّسـت العام 559 ق.م. على يد "كورش"، وتُعَدُّ من أعظم وأكبر الدول التي سـادت المنطقة قبل العصر الإسلاميّ، حتى إنها فاقت الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة في شهرتها وقُوَّتها، لكنها بطبيعة الحال مَرَّتْ بالكثير من المراحل قبل ظهور الإسـلام وبعده. للمزيد يُنْظَر: محمد صادق إسـماعيل، كتاب "إيران إلى أين ؟ : من الشـاه إلى نجاد"، الناشر "دار المنهل"، 2010م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/2YoGqo.
5. أُطْلِقَ عليها أيضاً الإمبراطوريَّة الرومانيَّة الشرقيَّة، وهي إمبراطوريَّة تاريخيَّة اتَّخَذَتْ من مدينة القسطنطينيَّة أو بيزنطـة عاصمةً لها، تأسَّسـت في القرن الرابع الميـلاديّ وظلَّتْ قائمةً أكثر من أحد عشر قرناً من الزمان، وتحديـداً حتـى العـام 1453م، وتَمَتَّعَتْ بمكانة مُهِمَّة في التاريخ القديم؛ لأنها كانـت مَعْبَرَاً للقوافل التجاريَّة بين الشرق والغرب، فكانت واحدةً من أقوى القِوى الاقتصاديَّة والثقافيَّة والعسكريَّة في أوروبا رغم النَّكَسَات التي مرَّت بها خلال الحروب الرومانيَّة الفارسيَّة والبيزنطيَّة العربيَّة، وفي القرن الرابع عشر تَسَبَّبَتْ الحروب الأهليَّة المتعاقِبَة التي شهدتها إلى استنزاف المزيد من قواها، فَفَقَدَتْ باقي أراضيها خلال الحروب البيزنطيَّة العثمانيَّـة. للمزيـد يُنْظَر: الإمبراطورية البيزنطية، موقع "المعرفة"، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/nvVZRb

آل عثمان[1] (العثمانيون) العظيمة[2]، إلى غاية قيام الجُمهورِيَّة في صيغتها الكَمَالِيَّة العَلْمَانِيَّة[3] (كمال أتاتورك) سنة 1923م.

فلا غَرْوَ إذن، أن تمتلك تركيا مُقَوِّمَات تأثير غير محدودة، راكمتها من مصادر تأثُّر وتلاقُــح ثَقَافِيّ وحَضَارِيّ على مرِّ القـــرون والأحقاب، لتنتج لنا ثقافة غنيَّة، وعِمَارَة خالدة، وموسيقى شرقيَّة حالمة، وتقاليد راقية، ومطبخ تركي على صورة ثقافته وانفتاح شعوبه، والَّتِي يمزج فيها بين توابل الشرق المحافظة ولمسات الغرب الحداثيَّة.

- **تركيا الحضارة العريقة والأصالة العميقة:**

لأنهـــا بلدٌ لـــه تاريخٌ قديمٌ، مجدٌ تليدٌ، وحاضرٌ راقٍ حديـــث، فتركيا الَّتِي تُعْتَبَر بَوَّابَة مُهِمَّة لأوروبا ونافذة للشرق الأوســـط والعالم القديم أيضاً، المُتَمَيِّز بطريق

1. هي الإمبراطوريَّة الإسلاميَّة التي أَسَّسَها عثمان الأول بن أرطغرل، العام 1299م واستمَرَّتْ لما يقرب من 600 سنة حتى العام 1923م، وقد نشأت بدايةً كإمارة حُدود تُركمانيَّة تعمل في خدمة سلطنة سلاجقة الروم، وتَرُدُّ الغارات البيزنطيَّة عن الدول الإسلاميَّة، وبعد سُقُوط السلطنة استقلَّت الإمارات التُركمانيَّة التابعة لها، بما فيها الإمارة العُثمانيَّة، اســتطاع العُثمانيُّون العبور إلى أوروبا الشرقيَّة بعد العام 1354م، وخلال الســنوات اللاحقة تمكَّنوا من السيطرة على غالبيَّة دول البلقان فتحوَّلت إمارتهم الصغيرة إلى دولة كبيرة.
2. بلغت الدولة العثمانيَّة ذروة مجدها خلال القرنيْنِ السادس عشر والسابع عشر، فضَمَّتْ أنحاءً واسعة من قارات العالم القديم الثلاثة: أوروبا وآسيا وإفريقيا، حتى وصل عدد ولاياتها نحو 29 ولاية، وقد انتهت الخلافة بصفتها السياسيَّة بتاريخ 1 نوفمبر العام 1922م، وأزيلت بوصفها دولة قائمة بحُكْمِ القانون في 24 يوليو العام 1923م، بعد توقيعها على معاهدة لوزان، وزالت نهائيّاً في 29 أكتوبر من العام ذاته عند قيام الجمهوريَّة التُّرْكِيَّة، التي تُعتبر حالياً الوريث الشرعيّ للدولة العثمانيَّة. للمزيد يُنْظَر: تاريخ الدولة العثمانية، موقع "موضوع"، 30 سبتمبر 2018م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/8aUnBh
3. يُشــيرُ هذا المصطلح إلى القرارات العلمانيَّة التي تَبَنَّتْهَا تركيا إبَّانَ حُكْم مصطفى كمال أتاتورك؛ بهدف تقييد السُّلُطات الدِّينيَّة في البلاد وفَصْلِها عن السُّلُطات والقرارات السِّيَاسيَّة، ومن أبرز هذه القرارات: إلغاء الخلافة الإســلاميَّة بعد إزاحة السلطان عبدالمجيد، وإلغاء وزارة الشريعة والأوقاف والمدارس الدينيَّة، والعمل بالتوقيت الميلاديّ بديلاً عن الهجريّ، وتَبَنِّي نُظُم التَّعليم والمعيشة الغربيَّة. للمزيد عن كمال "أتاتورك" وعلمانيَّته، يُنْظَر موقع "مركز الروابط للبحوث والدراســات الاســتراتيجية" 30 مارس 2016م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/CEL9Ur.

الحرير الأســـطوري(1)، لها ثقافة وتقاليد موغلة في التاريخ. فَبِقَدْرِ ما جابهت الكثير من الإمبراطوريَّات الَّتِي سَعَتْ على مَرّ القرون إلى الاستيلاء عليها (موقع اسْـــتِرَاتِيجِيّ جِدّ مُمَيَّز جعلها مَحَطّ أطماع الجميع)، بِقَدْرِ ما سَــعَى إلى زيارتها القاصِي والدَّانِي، ســـواءً في أيام مجدها العُثْمَانِيّ أو في أَوْجِ رُقِيِّهَا الحداثي مع حكومة العدالة والتَّنْمِيَة.

فمع تأســـيس الدَّوْلَة العُثْمَانِيَّة خلال ســـنوات 1300 - 1453م، تَشَكَّلَتْ أعمدة الهندسة المعماريَّة للفَنّ العثمانيّ، الَّذِي لا يزال شامخاً ومرجعاً للأصالة والفخامة المعماريَّة الشرقيَّة؛ حيثُ شهدت هذه الفترة تأسيس العديد من القصور، والقِلَاع، والجسور، والتكايا، والنوافير، والمساجد، والمكتبات، والمتاحف.
وكعلامة حَضَارِيَّة فارقة، يُسَـــجِّل التاريخ التُّرْكِيّ مآثر المهندس الشهير في عالم الهندسة الحضريَّة "معمار سِنَان"(2)، الَّذِي بَصَمَ فترة السلطان العُثْمَانِيّ سليمان القَانُونِيّ بتواقيعه المعماريَّة المدهشـــة؛ حيث مثَّلت تصاميمه ذروة الإبداع الَّتِي مَيَّزَتْ الفترة الكلاســـيكيَّة وأثَّرَتْ كذلك في مجال العمارة العَالَمِيَّة؛ إذ صمَّم ما يناهز الـ476 من المباني في مدن مختلفة(3)، لا تزال باقية وشاهدة على عَظَمَة

1. طريق بحريّ بريّ قديم، يعود تاريخه إلى القرن الثاني الميلادي، يشير إلى شبكة الطرق البريَّة والبحريَّة التاريخيَّة التي ربطت بين الصين وأوروبا مروراً بالشرق الأوسط. للمزيد يُنْظَر: "إنفوغرافيك.. ما هو طريق الحرير الجديد؟"، سكاي نيوز عَرَبِيَّة، 17 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/bSLpKw
2. معمار سِنان هو أشهر المهندسين المعماريِّينَ والرسامين المبدعين الأتراك، أمر السلطان سليمان القانوني بعد رؤية قدرته الإبداعية في العمارة بتنصيبه رئيساً للمعماريِّينَ العُثْمَانِيِّينَ، وبعد حصول سنان على هذا المنصب تَفَرَّغَ تماماً لإنشاء المباني المعماريَّة المُتَنَوِّعَة من مســاجد ومدارس وكليَّات تعليميَّة وقصور، وتمَيَّزَتْ جميع مبانيه المعماريَّة بالجمال والدِّقَّة والإبداع والبراعَة، وعمل لمدة 49 عاماً في مجال الإنشاء المعماريّ. كانت واحدة من أهم أعماله هي توسعة المسجد الحرام، أنشأ أو صمَّم 476 بناءً (بقي منها في العصر الحديث 196 مبنىً) . للمزيد يُنْظَر: معمار ســنان "رجل العمارة العُثْمَانِيّة الأصيلة"، ترك برس، 22 أغسطس 2015، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/q6vgYN
3. من أبرز تصميمات سنان المعماريَّة؛ جامع السليمانيَّة، والشيخ زاده ومهرمه سلطان في إسطنبول والسليمية في إديرنة، وكلية زخرفية في حلب، وكلية تشوبان مصطفى في غابزا، وكلية حسكة في إسطنبول، ودار العَجَزَة في إسطنبول. للمزيد يُنْظَر: معمار سنان "رجل العمارة العُثْمَانِيّة الأصيلة"، ترك برس، 22 أغسطس 2015، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/q6vgYN

الحضـــارة التُّركِيَّة، حتى وقتنا الحالي. وَلَعَلَّ أهمَّ أعمالِه كانت تكليفه بتوســـعة المسجد الحرام، ومِنْ ثَمَّ تَمَّ تقليده لقب "مهندس الإمْبَرَاطُورِيَّة العُثْمَانِيَّة"، وبقي محافظاً على هذا اللقب لمدة خمسين سنة(1).

- **تركيا الفنون الجميلة.. لوحات تحاكي جمال البلاد والعباد:**

في تركيا، جسَّد الانتقال من تقليد المنمنمات والنماذج المصغرة إلى الممارسة الفَنِّيَّة الغَرْبِيَّة عبر الرسوم الزيتيَّة، ما يُشبِه الثورة الجذريَّة في المجال. لذا فإنَّ مفاهيم فَنِّيَّة جديدة، مثل الحِسّ المنظوريّ واســـتيعاب الفضاء بأبعاده المُتَعَدِّدَة وغيرها، تُمَثِّل قِيَماً جديدة وجذَّابَـــة، قابلة للتقليد والتوطين في الفَنّ الشرقي، وبالتَّالِي اعتبرت كوسائل تطوير راديكاليَّة.

على ســـبيل المثال لا الحصر، شَكَّلَ الرَّسَّـــامُونَ أمثال إبراهيم سالي Ibrahim Çallı، حكمت أونات Hikmet Onat، نامك إســـماعيل Namık Ismail، أفني ليفيج Avni Lifij وفايهمام دوران Feyhamam Duran، شَـــكَّلُوا طليعة روَّاد الفَـــنّ المعاصر التُّركِيّ في العام 1910م، من حيث تَلَقِّيهم تكويناً فَنِّيّاً في أوروبا. وبواســـطتهم تَمَّ إدخال المفاهيم الانطباعيَّة والترجمات الفَنِّيَّة للاتجاه الرمزيِّ الجديد في الفَنّ التُّركِيّ.

وفي سنوات 1980 و1990م حقَّق الفنانون الأتراك قفزة نَوْعِيَّة من حيث استلهام طرائـــق جديدة في أعمالهم؛ حيث ظهرت اتِّجَاهَات جديدة على غرار الفنتازيا الوَاقِعِيَّة، المُمَثَّلَة بكلٍّ مِن: فكرت موالـى Fikret Mualla، برهان إيوغور Burhan Uygur، إرجان إنان Ergin Inan، وغيرهم كثيرون.

1. معمار ســـنان "رجل العمارة العُثْمَانِيّة الأصيلة"، ترك برس، 22 أغســـطس 2015م، تاريخ الزيارة 11 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/JpuCgS

من جهة أخرى، تَتَنَوَّعُ أشــكال الفنون الجميلة في نسختها التُّركِيَّة المُمَيَّزَة، من نحت وسيراميك وخطوط عَرَبِيَّة كاليغرافيَّة(1).. إلخ. ففي جميع المعارض الفَنِّيَّة والمتاحف الَّتِي تُقام حول العالم، يحمل الرَّسَّامُونَ والنَّحَاتُونَ معهم روح تركيا ذات الطبيعة الخلابة والمشــاعر المُسْتَلْهَمَة من أسوار القِلَاع وقِبَاب المساجد، ودوران السنونو حول القوارب والبواخر العابرة للبوسفور في الأيام الربيعيَّة أو الخريفيَّة، ناهيك عن إبداعات الحِرَف اليدويَّة التَقْلِيدِيَّة: كالتزيين بالصَّدَف، والنَّقْش على الخشب والرخام والتطريز الَّتِي تعكس فن وأصالة الحضارة والثقافة التُّركِيَّة(2).

- **تركيا الموسيقى والمسلسلات.. رومانسيَّة وتاريخ وبطولات أسطوريَّة:**

تُعْتَبَرَ الموســيقى والمسلسلات رافداً رئيســاً من روافد الحضارة التُّركِيَّة، وأداة مُهِمَّة من أدوات القُوَّة النَّاعِمَة ببلاد أحفاد العثمانِيِّينَ. وهي في هذا على صورة التَّركيبة الإثنيَّة التُّركِيَّة وغير التُّركِيَّة، والوضعيَّة الجُغْرَافِيّة الدَّاخِلِيَّة ومثيلتها في الغربة، وأيضاً الذاكرة التَّارِيخِيَّة بعراقتها والعناصر الدخيلة عليها. فالموســيقى التُّركِيَّــة الممتزجة بالتَّأثيرات البلقانيَّــة والإرث البيزنطي، صدحت زمناً طويلاً داخــل الأرض تركيا الأم، على امتداد أراضي الإمْبَرَاطُورِيَّة العُثْمَانِيَّة، وامتزجت بالثراء الفَنِّــيّ والعاطفي الفارسي والعربي وغيرهم. لذلك أصبح النغم التُّرْكِيّ حمَّال تاريخ وأحاســيس شــعوب مختلفة، يملك مُقَوِّمَات إثارة الشجن وتحفيز الوجدان للأُذُنِ العاشــقة والعَالِمَة بالنَّغَم على السواء. حتى إن هناك كثيراً من

1. هو نوعٌ من الفنون البصريَّة، ويشــير إلى ممارســة فنّ الخطّ، وَرَسْم الحروف بطريقةٍ جَمَالِيَّة متناغِمَة ومَاهِرَة، من أجل اســتخدامها في دعوات الزفاف والفعاليَّات، وتصميم اللَّوْحَات والشِّعَارات والخرائط، والنَّقْــش عــلى القِطَع الحَجَرِيَّة والزُّجَاج، وغيرها من الأعمال التي تَنْطَــوِي على الكتابة. للمزيد يُنْظَر: تعريف الخط، موقع "موضوع" 2 ديســمبر 2014م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/WDKMCk.
2. للمزيد يُنْظَر: محمد حرب، العُثْمَانِيّون في التاريخ والحضارة، دار القلم للنشر والتوزيع، 1999.

الآلات الموسيقيَّة الَّتِي حملت أروع الألحان من أصل تركي كالساز(1)؛ البُزُق(2)؛ الجمبش(3)، والسنطور(4).(5)
فيما شـــهدت سنة 1920م ولادة الموســـيقى المعاصرة التُّركِيَّة في سياق تأسيس الجُمهوريَّة العَلْمَانِيَّة، والتَّحْدِيث الثَّقَافِيّ للمجتمع، ضمن مبادئ العلمانيَّة، الَّتِي ترى أن الموســـيقى الحديثة في بلاده "مُتَجَذِّرَة في الـــتراث الوطنيّ"، وتَتَكَيَّف مع الأنماط الموســـيقيَّة الغَرْبِيَّة الجديدة، ضارباً المثال بالملحن الشـــهير عدنان سايجون(6) (1907 - 1991) Adnan Saygun.

أما على صعيد التَّمْثِيل أو التَّشْخِيص الفَنِّيّ الَّذِي نجد له أصولاً بدائيَّة في المسرح وعـــروض الدمى، ففي تركيا اليوم نجد لـــه صناعة قويَّة تفوقت على نظيراتها العَرَبِيَّة والإِسْـــلاَمِيَّة، وبدأت تَشُـــقُّ طريقها للعَالَمِيَّة بثباتٍ. ويُمَثِّلُ تَأَلُّق السينما

1. الساز، آلة موسيقيَّة وتريَّة خشبيَّة، تشبه آلة العود، تعني بالفارسي، طاقم أو مجموعة، يشار إليها أحياناً باسم "باغلاما". للمزيد يُنْظَر: ولاء خضير، آلة "الســاز" تنفرد بمكانة مميزة في الموســيقى التُّرْكِيَّة ، ترك برس، 12 فبراير 2016، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xNrN7U
2. آلة موسيقية وَتَرِيَّة تركيَّة مصنوعة من الخشب تشبه العود، كانت تسمى قديماً "الطنبور". للمزيد يُنْظَر: صناعة آلــة (البــزق) التُّرْكِيَّة تخضع لخبرات حســيَّة وفنيَّة، وكالة الأنباء التُّرْكِيَّة (كونا)، 27 أغســطس 2015م، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/B93yyW
3. آلة شــعبية من أصل تركي مســتعمَلَة في الشمال الشرقي من ســوريا، وفي بعض الأجزاء من آسيا الوسطى. والجمبش تشبه البانجو شكلاً، ولكن زندها أقل طولاً، يُشَدُّ عليه ما بين أربعة إلى ستة أوتار معدنيَّة مزدوجة تضبط كأوتار العود وتنقر أو تضرب بالريشــة. يُنْظَر تعريف ببعض الآلات الموســيقيَّة، على الرابط التالي: http: //cutt.us/SVtLe.
4. آلة شــعبيَّة وتريَّة من أصل تركي معروفة في شــمال سوريا وأجزاء من منطقة آسيا الوسطى. أما السنطور فهو آلة موسيقية قديمة من أصل شرقي لها أصول آشوريَّة وهنديَّة، تشبه القانون. للمزيد يُنْظَر: "الآلات الموسيقية"، الموسوعة العَرَبِيَّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/7Ay97C
5. روميســاء نور تشــكيجي، "الفنون الجميلة الإِسْــلاَمِيَّة في تركيا"، ترك برس، 26 أغسطس 2017، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YdmDjS
6. أحمد عدنان سايجون ولد في 1907م، مُلَحِّن وعازف موسيقى، وكاتب في مجال الموسيقى. وهو أحد أهم الموسيقيِّينَ الأتراك في القرن العشرين، نجح في تطوير الهُوِيَّة الموســيقيَّة التُّرْكِيَّة مســتنداً إلى الجذور الفنيَّة الشعبيَّة.. للمزيد يُنْظَر: "الملحن التُّرْكِيّ أحمد عدنان سايجون"، أدويت، د. ت، متاح عل الرابط التالي: cutt.us/DvXuB

والمسلســـلات في نســـختها التُّركِيَّة أداة هيمنة مَعْنَوِيَّة بامتياز، في صنف القُوَّة النَّاعِمَة، إضافةً إلى جَدْوَاهَـــا الاقتِصَادِيَّة من حيث كمّ الأرباح المَادِّيَّة (حَقَّقَتْ مداخيل بقيمة 150مليون دولار في ســـنة 2013م، واحتلَّـــتْ الرُّتْبَة الثَّانِيَة بعد الولايات المُتَّحِدَة في إنتاج المسلسلات).(1)

والأمر لا يقتصر على هذا الحدّ، بل إن المسلسلات التُّركِيَّة تَخَطَّتْ مجال شهرتها العَرَبِيّ ووصلت إلى العَالَمِيَّة، ببرمجة القناة الفرنســـيَّة TF1 بَثّ لمسلســـل "The End / النهاية"، والَّذِي عُرِضَ أيضاً على الشاشات الأَمْرِيكِيَّة ابتداءً من الخريف الماضي، بعد أن تهافتت على عرضه قنوات أوروبا الشرقيَّة.
وعلى صورة السِّيَاحَة التُّركِيَّة القَوِيَّة بتأثير حضارتها وموقعها وعاداتها، يحرص السُّيَّاح على زيارة القصور التَّارِيخِيَّة لإسطنبول؛ حيث تَمَّ تصوير ملحمة "القرن العظيم"، أو "حريم السلطان"، و"فيلا غوموش Villa Gumush" موضع تصوير مسلســـل "نور" التُّرْكِيّ الشهير، وأيضاً مطعم "غول موفاج Gul Mufagi" موقع تصوير مسلسل "فاطمة" الشهير.

وعليه، فالأعمال التُّركِيَّة تعتمد تركيبة ناجحة من عناصر التشـــويق في الدِّرَامَا، والإثارة وإبراز الجمال التُّرْكِيّ في كافَّة المجالات، وعلى رأســـها استثمار الطبيعة الجميلة والمناطق الشـــهيرة. لذلك أصبحت هذه الأعمال في مقدِّمَة القطاعات الأسرع نُمُوّاً في صادرات تركيا، وتشـــمل كتلة مشاهدة في 75 بلداً حول العالم، مـــما دفَع حكومة العدالة والتَّنْمِيَة على تحفيز هذا القطاع والمســـاهمة في دعم استمراره بعد أن أصبح يُمَثِّل ويُعمِّم ثقافة تركيا محلياً وعَالَمِيّاً.

1. "150 مليـون دولار .. صـادرات المسلسـلات التُّرْكِيَّة"، تركيا بوسـت، 27 أغسـطس 2014، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/75shfL

- **المطبخ التُّركيّ.. توابل ونكهات الشرق في لقاء الغرب:**

بوصفـــه بـ"عَرَّاب المطاعم عَالَمِيّاً"، يرجع غِنَى ولَذَّة المطبخ التُّركِيّ إلى الحرص على المحافظة على تقاليـــد الأكلات الموروثة عن المطبخ العثماني، مع تطويرها بأسلوب أوروبي حديث، من جهة. وكونه مزيجاً من عدّة أصول ذواقية: يونانيَّة، كرديَّـــة، عَرَبِيَّة، أرمنيَّة وفارســـيَّة. لذا غدا المطبخ التُّركِيّ نجم الطعام الشـــهي والمُتَنَوّع (لكل منطقة لمســـاتها الخَاصَّة وأطباقها الشهيَّة في تركيا)، الَّذِي يجذب السُّوَّاح بتوابله ونكهاته، وحتى طريقة تقديمه. إذ يُفضِّل الأتراك اللحوم المشويَّة بأنواعهـــا كالكباب الـــتُّركِيّ أو اللحوم الَّتِي تُقَدَّم مع الصلصة مثل المســـقعة أو الســـبانخ، أما في المناطق الســـاحليَّة فيعتمد السُّكَّان بكثرة على لحوم الأسماك خاصـــة السردين. في حين أن المناطق الريفيَّة الَّتِي تكثر فيها الدواجن، يتناول سكانها غالباً الدجاج والبيض.

وفي الفصول الحارَّة يتناول الأتراك الوجبات الخفيفة كالجبن الأبيض مع فاكهة الشمام أو البطيخ. كما تشتهر لديهم أطباق الباذنجان مع الفلفل الأخضر المقليّ، وصلصة الطماطم، وأيضاً طبق المحشي بورق العنب والأرز واللحم المفروم.
أما فيما يَتَعَلَّق بالبهارات، فالمتذوِّق التُّركِيّ يُفَضِّل الفلفل الأسود والكَمُّونَ والشَّطَّة والنعناع والزعتر. كما يستعملون كُلّ أنواع الزيوت والزُّبْدَة في الطبخ.
وفي مادة الحلويَّات يعتمد الأتراك على الفُسْتُق واللَّوْز، ثُمَّ تليها باقي المُكَسَّرَات. أما الفواكه، فنجد الأرياف مزدانة بزراعات المشمش والبرقوق والرمان والكُمِّثْرَى والتُّفَّـــاح والعِنَب والتِّين، وبعض أنواع البرتقال، وكلها عناصر تَحْلِيَة وتَزْيين في المطبخ التُّركِيّ. (1)

1. سكينة القتبيوي، هل المطبخ التُّركِيّ هو أصل المطبخ الشرق أوسطي؟، 5 فبراير 2016م، المرسال، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/Ghheg

المبحث الثاني

دور السِّيَاحَة التُّرْكِيَّة في تغيير نظرة العالم لتركيا

"نحن نتواجد في المرتبة السادسة عَالَمِيّاً والرابعة أوروبياً في الترتيب الخاص بقطاع السِّيَاحَة. ولا يوجد سبب يمنعنا من التواجد ضمن الرُّتَب الثلاثة الأَوَّلى. فمواردنا البَشَرِيَّة وأيضاً بِنْيَاتِنَا التحتيَّة الَّتي لدينا كافية لتحقيق ذلك. إنهم يعرفون كما نعرف أن لدينا مزايا كبيرة مقارنة مع منافسينا"؛ هكذا يقول نبي أوجي Nabi Avci وزير الثقافة والسِّيَاحَة، في معرض تأكيده على أن تركيا بلد عظيم في مادة السِّيَاحَة.(1)

وكلام الوزير أوجي هنا، ليس مُجَرَّد إشهار أو استغلال ظهور إعلامي للترويج لسياحة بلده. صحيح أن السِّيَاحَة التُّرْكِيَّة قد تَأَثَّرَتْ بِعِدَّة أحداث سِيَاسِيَّة وأمنيَّة (انقلابات، ضربات إرهَابِيَّة..)، وظهر ذلك جَلِيّاً في سنة 2016م، لكنَّ تركيا نجحت في العام 2017 في أن تَحْتَلّ المرتبة السادسة عَالَمِيّاً من حيث عدد السُّيَّاح؛ حيث زارها نحو 39.9 مليون سائح، مع تَوَقُّعَات بأنْ يَصِلَ عدد السُّيَّاح الَّذِين يزورون تركيا خلال العام 2018م، إلى نحو 45 مليوناً، لتتجاوز تركيا الرقم القياسي الَّذِي حقَّقَتْه في عام 2014م عندما استقبلت البلاد نحو 41.4 مليون سائح(2).

1. "وزير السياحة: تركيا تُحَقِّق المركز الرابع أوروبيّاً في الجَذْب السياحيّ لعام 2016م"، ديلي صباح، مارس 2017م، تاريخ الزيارة 5 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Xzrpuz
2. "تركيا السادسة عَالَمِيّاً من حيث عدد السياح 2017"، وكالة الأناضول للأنباء، 23 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ea4cCj

تركيا إذن، واحدة من وجهات السِّـــيَاحَة المفضَّلة في العالم؛ نظراً لموقعها، طبيعتها، مُنَاخهـــا وثقافتها. هذه الأفضليَّـــة تَعَرَّضَتْ لامتحانات صعبـــةٍ، خصوصاً بعد تَوَتُّر العلاقات الثُّنَائيَّة بين تركيا وروســـيا على خَلْفِيَّة إسقاط مقاتلة حربيَّة لهذه الأخيرة، والَّتِي تُعْتَبَرَ رافداً مُهِمّاً من السُّـــيَّاح الباحثين عن الشـــمس والدفء وعبق التاريخ والضيافة على الطريقة التُّرْكِيَّة.

- **تركيا تقاليد ضيافة وحفاوة متوارثة:**

ومما لا شَكَّ فيهِ أن السِّيَاحَة لعبتِ دوراً مُهِمّاً في تغيير نظرة العالم للدولة التُّرْكِيَّة؛ حيث استطاع الشعب التُّرْكِيّ جذب أنظار العالم بكرم ضيافتهِ، وحسن استقبالهِ، واعتزازه بتقاليده.

ومن المعروف أن السُّـــيَّاح العرب الَّذِين أصبحوا شِبْه مقيمين في الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة، يرجع عشقهم وشغفهم بالمسلسلات التُّرْكِيَّة الَّتِي أظهرت الجانب الحقيقيّ للشعب الـــتُّرْكِيّ الراقي. دون إغفال الصلات التَّارِيخِيَّة والعقائديَّة القَوِيَّة الَّتِي تربط بين الترك والعرب، والَّتِي تبقى في النهاية روابط شرقيَّة تجمع الكثير من دول المنطقة. ومن أكثر الأمور الَّتِي تلاقي استحســـاناً وإعجاباً بحضارة وسُـــلُوكِيَّات الشعب الـــتُّرْكِيّ هي قدرتهم على الانفتاح على الحضارات الأخرى، خاصَّةً أن الشـــعب التُّرْكِيّ خليطٌ ومزيجٌ من العديد من الأعراق والديانات الَّتِي ســـاهمت في بناء هذه الدَّوْلَة لتصبح من بين أرقى بلدان العالم.

- **تركيا والسِّيَاحَة العَرَبِيَّة.. علاقة وثيقة إلى حَدّ الاندماج:**

ولقد كان مُعَدَّل النُّمُوّ في مجال السِّـــيَاحَة التُّرْكِيَّة أعلى من المتوســـط العَالَمِيّ في الســـنوات الأخيرة، وكانت نسبة المساهمة المباشرة لهذا المجال في سَدّ عَجْز الحســـاب الجاري لعام 2015م هي 80%. في حين كانت نســـبة مساهمته في إجـــمالي الناتج المَحَلِّيّ بـ 4.37% في العام نفســـه. وبحلول نهاية عام 2017م،

كانت هناك 12856 منشـــأة مُسَـــجَّلَة للإقامة؛ و9186 منشأة مُرَخَّصَة مِن قِبَل البلديات التابعة لها، بينما امتلكت 3.670 منشأة متبقية تراخيص للعمل في مجال السِّيَاحَة[1].

وتعتزم تركيا خلق "قرية عَرَبِيَّة" في داخل ترابها الوَطَنِيّ لتشـــجيع السُّـــيَّاح من بلاد الخليج والشرق الأوســـط، في خبر أَوْرَدَتْهُ جريدة Hürriyet Daily News نقلاً عن مســـؤولين أتراك ودون إعطاء مزيد مـــن التفاصيل. وإذا كانت فكرة المشروع تعود إلى لقاء بين وزير الخَارِجِيَّة التُّرْكِيّ السابق مولود جاويش أوغلو[2] Mevlüt Çavuşoğlu، ونظيره الســـعودي عادل بـــن أحمد الجبير[3]، في 24 أبريـــل 2016م بالرياض، فإنَّ أصل التَّصَوُّر يعود إلى الأمير بندر بن فهد رئيس المُنَظَّمَة العَرَبِيَّة للسياحة[4] ATO. [5]

1. Tourism, Investment Support and Promotion Agency of Turkey, available at: goo.gl/f6mki4
2. مولود جاويش أوغلو أكاديمي وسِـيَاسِيّ ودبلوماسي تركي، أحد الأعضاء المؤسِّـسِينَ لـحزب العدالة والتَّنْمِيَة التركيّ، تَوَلَّى وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة في حكومتي الجمهورية التُّرْكِيَّة الـ62، والـ64، والـ65. وُلِدَ مولود جاويش أوغلو في 5 فبراير 1968م بمنطقة ألانيا التابعة لولاية أنطاليا، الواقعة بجنوب غرب تركيا. حصل على شهادة الليســانس من قســم العلاقات الدَوْلِيَّة في كلية العلوم السِّيَاسِـيَّة بجامعة أنقرة عام 1988م، كما حصل على شـهادة الدراســات العليا في الاقتصاد بجامعة لونغ آيلاند في نيويورك بالولايات المُتَّحِدَة عام 1991م، وَعَمِلَ فيها محاضراً، ثم عاد ليختصّ في شؤون الاتِّحَاد الأُورُوبيّ بجامعة أنقرة، قبل أن يحصل على درجة الدكتوراه من معهد لندن الاقْتِصَادِيّ عام 1995م. للمزيد يُنْظَر: "الوَزير"، وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، د. ت، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4YMwTu
3. وزيـر خَارِجِيَّة المملكة العَرَبِيَّة السُّـعُودِيَّة السـابق، مـن مواليد فبراير 1962م بمدينة المجمعة شـمال الرياض، تَلَقَّى تعليمهُ الأَسـاسيّ في ألمانيا حينما كان والده يعمل في الملحقيَّة الثَّقَافِيَّة بسـفارة المملكة بألمانيا، حصل على البكالوريوس في العلوم السِّيَاسِـيَّة من جامعة شـمال تكساس بالولايات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة، كما حصل على درجة الماجستير في العلوم السِّيَاسِيَّة والعلاقات الدَوْلِيَّة من جامعة جورج تاون في واشنطن. عَمِلَ سفيراً للمملكة العَرَبِيَّة السُّـعُودِيَّة في واشـنطن من 2007- 2015. ("السـيرة الذاتية لعادل الجبير وزير الخَارِجِيَّة"، صحيفة الرياض السُّعُودِيَّة، 30 أبريل 2015، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/pe8r9m
4. مُنَظَّمَة رسميَّة تعمل في إطار مجلس وزراء السياحة العرب بجامعة الدول العَرَبِيَّة، مَقَرُّها جدَّة بالمملكة العَرَبِيَّة السُّعُودِيَّة، تعمل على ترجمة قرارات المجلس الوزاري العربي للسياحة إلى سياسات وخطط للنهوض بالسياحة العَرَبِيَّة كصناعة اسـتراتيجية مورد مهم للدخل القومي. للمزيد يُنْظَر: "عن المُنَظَّمَة، المُنَظَّمَة العَرَبِيَّة للسـياحة، د. ت، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/eZS3e2
5. "القُوَّة النَّاعِمَة لتركيا في العالمين العربيّ والإسلاميّ"، صحيفة دايلي صباح التُّرْكِيَّة ، 19 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 11 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/WnWpzn

وهذا يندرج ضمن "السِّيَاحَة الحلال" في تركيا منذ سنة 2000م، والَّتِي جاءت في سياق الاستجابة للشروط الإِسْلامِيَّة فيما يَخُصّ الفنادق دون بوفيهات تحتوي على الكحول ولحم الخنزير وباقي اللحوم المذبوحة بطريقة غير حلال، وأيضاً البِنْيَات الَّتِي تحترم خُصُوصيَّات الرجال والنساء.

أما بالنسبة للسياحة العَرَبِيَّة، فقد ازداد عدد السُّيَّاح العرب الَّذِين قَدِمُوا إلى تركيا خلال الفترة من 2002 - 2017م؛ نحو تسع مَرَّات، وبلغ عدد السَّائحين القادمين إلى تركيا من الدول العَرَبِيَّة 3 ملايين سائح خلال العام 2016م(1). كما أظهرت إحصاءات العام 2015 ارتفاع عدد السُّيَّاح العرب القادمين إلى تركيا بنسبة تتراوح بين 30 و40% مقارنة مع الأعوام السابقة؛ إذ يُشكل الخليجيون 23.1% من مجمل السُّيَّاح الأجانب، ويحقِّقون مدخولاً يقارب 5% من عائدات السِّيَاحَة في تركيا، وتُعدُّ إسطنبول الوجهة الأُولَى للسياح العرب، وذلك بسبب الشهرة الَّتِي حصلت عليها المدينة في المسلسلات التُّركِيَّة الَّتِي يتابعونها، وسهولة الوصول إليها، وما تحتويه من كنوز تَارِيخِيَّة وحداثة وتَطَوُّر بنفس الوقت.. وتلي إسطنبول كُلّ من مدن بورصة، ويلوه، ومنطقة شمال شرق تركيا، أو كما تسمى منطقة شرق البحر الأسود. وقد بلغ عدد السَّائحين من الدول العَرَبِيَّة خلال الفترة 2011م - 2015م قرابة 7 ملايين سائح. (2)

1. "ارتفاع أعداد السُّيَّاح العرب في تركيا وخاصَّة من دول الخليج العربيّ"، ترك برس، 6 سبتمبر 2017م، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/kmNJBw
2. "تركيا الوجهة الأولى للسُّيَّاح العرب"، ترك برس، 6 يوليو 2015م، تاريخ الزيارة 21 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/iM2mjV، وانظر أيضاً: " 7 ملايين سائح عربي زاروا تركيا في الأعوام الأربعة الماضية"، ترك برس، 5 فبراير 2015م، تاريخ الزيارة: 21 يونيو 2017، متاح على الرابط التالي: cutt.us/KcMzM

وأخيراً فإن تداخل العلاقات بين العرب والأتراك وتشـــابكها يُمَثِّل حالةً تراكميَّة تَمْتَدّ تاريخياً لأكثر من سِـــتَّة قرون، وبالتَّالِي لا يمكن القفز على هذه الحقيقة وتجاوزها، وهو ما عبَّرت عنه الشُّعُوب العَرَبِيَّة في موقفها الأخير" من الانقلاب على السُّلْطَة الشَّرْعِيَّة في تركيا"(1).

- **تركيا.. عوامل ضَرَر للسِّياحة:**

رغم تَوَجُّه الأنظار لهذه البلاد الســـيَاحِيَّة الجَذَّابَـــة بامتياز، إلاَّ أن تركيا تَأَثَّرَتْ مُؤَخَّراً وبشـــدَّة من تضرُّر قطاع السِّـــيَاحَة في العامين 2015/2016م.. وذلك؛ لعدة أسباب أهمها:

1. الوضـــع الأَمْنِيّ الَّذِي تَأَثَّرَ كثيراً بعد عودة تفجيرات وهجمات حزب العمال الكردســـتاني، والَّذِي تصنّفه أنقرة ضمن قوائم الإرهاب لذلك تشـــنّ عليهِ عمليَّات عَسْكَرِيَّة ضِدَّ معاقله في الجنوب التُّرْكِيّ.
2. اللُّجوء السُّورِيّ الَّذِي أثقل كاهل الاقتصاد التُّرْكِيّ، إذ تقول الأرقام الرَّسْمِيَّة: إنه يوجد في تركيا نحو ثلاثة ملايين لاجئ سوري(2)، فيما تَتَحَمَّل الحكومة التُّرْكِيَّة أعباء العديد من المُخَيَّمَات والتَّجَمُّعَات الَّتِي تؤويهم، فضلاً عن تكاليف حماية ومراقبة الحدود التُّرْكِيَّة بسبب تداعيات الأحداث في سوريا. (3)
3. الانقلاب العَسْـــكَرِيّ الفاشل على حكومة الرئيس أردوغان؛ والَّذِي شكّل - نوعاً ما- حالةً من عدم الاستقرار السِّيَاسِيّ الَّذِي أثَّر على الاقتصاد عموماً والسِّيَاحَة

1. "القُوَّة النَّاعِمَة لتركيا في العالمين العربي والإسلامي"، صحيفة دايلي صباح التُّرْكِيَّة ، 19 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 11 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/WnWpzn
2. اللَّاجئون السُّورِيُّونَ- تركيا بوست، 21 يونيو 2017م، تاريخ الزيارة 22 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/usEcn
3. أهم 5 أخطار تُهَدِّد الاقتصاد التركي، موقع العَرَبِيَّة، 20 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/p7yi1U

خصوصاً؛ إذ تَسَـــبَّبَتْ مشـــاهد فوضويَّة للجنود المُتَمَرِّدِينَ الَّذِين خرجوا إلى شوارع إلى تراجع اللِّيرَة 5%، في أكبر انخفاض لها في حينه منذ 2008م.(1)

4. مشـــاركة أنقرة في التحالف الدَّوْليّ لضرب مواقع تنظيم الدَّوْلَة الإسْلاميَّة في ســـوريا والعراق بعد التفجيرات والقلاقل الَّتِي سبَّبها التنظيم الإرهابي "داعـــش"، كان أبرزها الهجوم على مطار أتاتورك في 28 يونيو 2016م(2)؛ وحادثة المَلْهَى اللَّيْلِيّ في رأس السنة 1 يناير 2017م(3)، والَّتِي راح ضَحِيّتهَا عشرات الأشخاص ومئات الجرحى.

ومع هذه العوامل المعاكســـة، إلاَّ أن حكومـــة العدالة والتَّنْمِيَة كانت ولا تزال ماضية في إزالة جميع العوائق الَّتِي تُعِيقُ مســـيرة الإصلاح والتَّطَوُّر الَّتِي اتَّخَذَتْهَا شعاراً لها منذ استلامها زمام الأمور في تركيا؛ لذلك يلاحظ المُتَابِع للشأن التُّرْكِيّ كيف تَطَوَّرَتْ البـــلاد في جميع المجالات، ومن جميع النواحي؛ الصِّنَاعِيَّة، والزراعيَّة، والســـيَاحِيَّة والاقتِصَادِيَّـــة، والفَنِّيَّة والثَّقَافِيَّة، والطبيَّة، وحتـــى الرياضيَّة والتعليميَّة والترفيهيَّة، وذلك من خلال الإمكانات الَّتِي اســـتخدمتها حكومة الرئيس أردوغان للنهوض في البِنْيَة التحتيَّة للدولة التُّركِيَّة، فضلاً عن قضيَّة أساسيَّة وهي قضية الترويج والتسويق السِّـــيَاحِيّ لتركيا في العالم من خلال حَمَلاَت ناجحة إعلاميَّة وإعلانيَّة انتشرت في كُلّ العالم، وبشكل حديث ومُتَحَرِّك لجَذْبِ أنظار المستثمرين والسُّيَّاح لهذه البلاد.

1. كـــم تَكَبَّـــدَتْ اللِّيرَة التُّرْكِيَّة مقابل الدولار في 10 ســـنوات؟ عربي 21، 29 أكتوبر 2016م، تاريخ الزيارة 22 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/GY7DN
2. هـــو هجـــوم وقع على مطار أتاتورك بتركيا يوم الثلاثاء 28 يونيو 2016م، راح ضَحِيَّتُهُ 43 شـــخصاً فيما جُرح 239 آخرون. للمزيد يُنْظَر الرابط التالي: http: //cutt.us/NSwY6
3. هـــو هجـــوم وقع خلال احتفالات رأس الســـنة يوم 1 يناير 2017م في مطعـــم رينا في حي أورطاكوي بمنطقة بشـــكطاش بمدينة إســـطنبول، حيث قام مسلح بقتل 39 وجرح 69 باستخدام رشاش، وفي اليوم التالي أعلن تنظيم "داعش" في بيان مسؤوليَّته عن الهجوم الإرهابي، بحسب وكالة رويترز. للمزيد يُنْظَر الرابط التالي: http: //cutt.us/uRhUX

المبحث الثالث

الأعمال الدراميَّة والسينما..
تأثيرها وفوائدها

لاقَتْ الأعمال الدراميَّة من مسلسـلات وأفلام سينمائيَّة نجاحاً لافتاً، على الصعيد العَالَميّ كما المحلي. ولكن الأمر لا ينحصر فقط على نسـبة المشـاهدة المُحَطِّمَة لكافَّة أرقام المشـاهدة القياسيَّة، بل إنَّ المنتجات المُرْتَبِطَة بالنجوم وأبطال الأعمال الفَنِّيَّة التُّركِيَّة، وكذا الأماكن التَّاريخيَّة والطَّبِيعِيَّة للتصوير، أفرزت حركة تجاريَّة وسـيَاحِيَّة نشـيطة ومُدِرَّة للدَّخْل. "فارتداء لباس مثل بطل مسلسل (تركي)، أو الحصول على أحد الإكسسوارات الخَاصَّة به، يشير إلى رغبةٍ في الحصول على هُوِيَّة (مُتَمَيِّزَة تنتمي لهُوِيَّة البطل المفَضَّل أو النموذج)"، حسـب حوساميتان إنانش (1) Hüsamettin Ianç مُؤَلِّف كتاب "مشاكل الهُويَّة في تركيا".

وهذه الظاهرة تَتَطَوَّرُ شـيئاً فشيئاً. هكذا وعلى سـبيل المثال، فالخَاتَمُ الَّذِي تحمله السلطانة حوريم أو هيام Hürrem (المُفَضَّلَة الأُولَى ومن بعد زوجة السلطان سليمان القَانُونيّ) في مسلسل "حريم السـلطان Muhteşem Yüzyıl "، مطلوب بِشِدَّةٍ من طـرف المراهقات اللواتي يتقمَّصن هُوِيَّة بَطَلَتِهِنَّ القادمة من عصور المجد وسـحر الحريم العثماني.

1. Hüsamettin İnaç أكاديميّ تركيّ وُلِدَ في أوساك، وتَخَرَّجَ من قسم العلاقات الدَوْلِيَّة في جامعة مرمرة في عام 1997م. حصل على درجة الماجسـتير في علم الاجتماع من نفس الجامعة عن أطروحة "المقارنة الاجْتِمَاعِيّة لماركس وباريتو". ثم حصل على درجة الدكتوراه عن أطروحته الرائدة "مشـاكل الهُوِيَّة في تركيا خلال عملية التكامل مع الاتِّحَاد الأوروبي" عام 2002م. للمزيد يُنْظَر: About Me, Prof. Dr. Hüsamettin İNAÇ, available at: goo.gl/u3Jbyd

"هناك رغبة لكي يصير (الفرد المعجب) شخصاً مقبولاً من المجتمع، والمراهقون يحبُّون أن يَحْظَوْا بالقبول من طرف المجتمع"؛ هكذا يُؤَكِّد اختصاصيّو علم نفس المراهقة.

فوق هذا، يَتِمُّ استخدام أبطال هذه المسلسلات للترويج لفَعَالِيَّات ونشاطات عَرَبِيَّة مهمة. بالإضافة إلى استضافة هؤلاء الأبطال، الَّذِين حوَّلهم العالم العَرَبِيّ إلى نجوم في أشهر المهرجانات وأكثر الإعلانات التِّجَارِيَّة رواجاً. وأيضاً تسويق المنتجات وتحويل موسيقى المسلسلات التُّركِيَّة إلى نغمات للهواتف المحمولة، كثيفة الانتشار.

وأيضاً تَمَّ صرف آلاف الدولارات على مسابقات تُقدِّم تذاكر سفر وإقامة إلى تركيا كجوائز، وغيرها مما حوَّل ثقافة المسلسل إلى ثقافة ربحيَّة وترويجيَّة محليَّة وعَالَمِيَّة. ولَعَلَّ السببَ الأبرز في انتشار هذا النوع من المسلسلات هو الطابع الاجْتِمَاعِيّ الَّذِي تعكسه للمجتمع التُّرْكِيّ، فالترابط الأسري والاجْتِمَاعِيّ في العلاقات تُشبه إلى حَدّ كبير واقع المجتمعات العَرَبِيَّة، بالإضافة إلى ذلك لا يمكن إنكار دور اللهجة السُّورِيَّة المألوفة في العالم العربي، واستبدال أسماء الشخصيات التُّركِيَّة بأسماء عَرَبِيَّة مما سهَّل وصول هذا المنتج لعدد أكبر من المشاهدين.
والدليل على ذلك، هو النجاح الَّذِي حققته المسلسلات التُّركِيَّة مقارنة بالمسلسلات المكسيكيَّة الَّتِي اجتاحت القنوات العَرَبِيَّة في التسعينيَّات من القرن الماضي مثل "كاساندرا"(1) وغيرهما؛ فقد تمت دبلجة المسلسلات المكسيكيَّة باستخدام العَرَبِيَّة الفصحى، وحافظت الشخصيات على أسمائها المكسيكيَّة. عدا عن اختلاف العادات

1. مسلسل رومانسيّ فنزويليّ أُنْتِجَ في 1992م، وتَمَّتْ دبلجته إلى العَرَبِيَّة؛ حيث بدأ عَرْضُهُ على الشاشات العَرَبِيَّة في صيف 1996م، ويمتدُّ على 150 حلقة مُشَوِّقَة، ويُعتبر مسلسل كاساندرا من أوائل المسلسلات الأجنَبِيَّة المدبلجة التي عُرِضَتْ في الدول العَرَبِيَّة. للمزيد يُنْظَر: مسلسل كاساندرا، مجلة أنوثة، 26 أغسطس 2015، تاريخ الزيارة: 13 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/E5DFKA

والتقاليد المكسيكيَّة تماماً عن العَرَبِيَّة. فالدبلجة العَرَبِيَّة طَغَتْ على كُلّ الاختلافات في التفاصيل وقَرَّبَتْ المشاهد العَرَبِيّ من المسلسل التُّرْكِيّ، الَّذِي أصبح شبيهاً بأيّ مسلسل سُورِيٍّ من إنتاج عربي، وبالإضافة إلى كُلّ الأسباب الَّتِي ذُكرت سابقاً، لا بُدَّ وأن تاريخ الدَّوْلَة العُثْمَانِيَّة والدين الإسْلاَمِيّ الَّذِي يُعَدُّ الأكثر انتشاراً في الوطن العَرَبِيّ وتركيا أيضاً، يلعب دوراً مؤثراً في إنجاح هذه المسلسلات.(1)

ولعلَّ النجاح الكبير للأعمال التُّرْكِيَّة لم يحتكرهُ العالم العربي، بل توسع ليشمل بلاد الشرق أوروبيَّة؛ ففي أحدث نتائج الاستطلاعات خَلُصَتْ دراسة أَكَادِيمِيَّة، أجراها باحثون من مركز الدِّرَاسَات الشرقيَّة التابع لجامعة بانديون للعلوم السِّيَاسِيَّة والإِدَارِيَّة في أثينا، ونشرتها وكالة الأناضول، إلى أن المسلسلات التُّرْكِيَّة الَّتِي انتشرت مُؤَخَّراً بشكل كبير في الشرق الأوسط وفي منطقة البلقان، هي "جزء من القُوَّة النَّاعِمَة الَّتِي تستعملها تركيا لتحسين صورتها بين شعوب المنطقة"(2)؛ حيث قالت الباحثة "بانايوتا كافاثاس": إن تصدير المسلسلات التُّرْكِيَّة يُعَدُّ جزءاً من سياسة تركيا الخَارِجِيَّة، وإن سياسة تركيا في تصدير مسلسلاتها للمنطقة العَرَبِيَّة تضمَّن في السنوات الأخيرة دمجاً للمبادئ الإِسْلامِيَّة مع الحياة العصريَّة، بالإضافة إلى إظهار العَدَاء لإسرائيل مثل المسلسل الشهير "وادي الذئاب"(3) الَّذِي حقَّق نجاحاً كاسحاً في الدول المعادية لإسرائيل.

1. روزين أبو طيون، اجتياحٌ للعقول بأساليب راقيَّة، شبكة أصداء الإخباريَّة، 3 مارس 2014م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/dlN1g
2. "المسلسلات التُّرْكِيَّة ، قُوَّة ناعمة تغزو كل المنطقة بكل اللغات"، نون بوست، 3 ديسمبر 2013م، تاريخ الزيارة 11 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9V0TLO
3. وادي الذئاب Kurtlar Vadisi مسلسل دراميّ يدور في قالب مغامراتيّ بوليسيّ، أُنْتِجَ الجزء الأول منه في عام 2003م، وهو أحد أشهر المسلسلات التُّرْكِيَّة التي تمَّتْ دبلجتها إلى اللغة العَرَبِيَّة. للمزيد يُنْظَر: وادي الذئاب يعود في جزء جديد بعنوان "الفوضى" هذه تفاصيله، مجلة سيدتي، 22 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5enyDK

وتضيف الباحثة، حول مضمون المسلسلات التُّركِيَّة، فتقول: "أما في دول البلقان فإن سياســة تركيا تقضي بإظهار تجربة عثمانيَّة ناجحة، مع الحفاظ على اللغة التُّركِيَّة، أي ترجمــة النصوص كتابيّاً دون دبلجتهــا"، مُؤَكِّدَةً أنَّ أهمَّ "علامات نجاح ونجاعة القُوَّة النَّاعِمَة التُّركِيَّة، تكمن في زيادة أعداد السُّــيَّاح والمشاهدة العالية للمسلسلات والإقبال المتزايد على تَعَلُّم اللغة التُّركِيَّة".(1)

وتابعت كافاثاس قائلة: "تلك المسلســلات التُّركِيَّة تنتمــي عادةً لتلك المجموعة من المسلسلات الَّتِي تحفل بالأحداث العاطفيَّة، مثل علاقة حُبّ تجمع بين شابٍّ غَنِيٍّ من عائلة فاسدة وفتاة شريفة من عائلة فقيرة، وهي تريد إيصال رسالة تفيد أن المجتمع التُّرْكِيّ يعيش حياة غربيَّة من حيث اللباس والسيارات والتِّقْنِيَّات المستخدمة وعلاقات الجنسين، مع الحفاظ على الروابط الأسريَّة والدِّينِيَّة القَوِيَّة"(2).

ولَعَــلَّ النجاح الكبير الَّتِي حصدتهُ هــذه الأعمال تركت تأثيرات عميقة في نفس المشاهد، وأهَمُّهَا ما يلي:

- **الرومانســيَّة الحالمة:** والَّتِي أصبحت حُلماً لكل شابٍ أو فتاة أن يعيشها؛ فلا حُبّ قبل الزواج هو الشعار الَّذِي أصبح يرفعهُ الشباب العربي، فالقصص الرومانسيَّة المغامرة ملاذاً للبشر منذُ الأزل حيثُ فيها عُشَّــاق لا يشيخون، ويعيشون عواطف جَيَّاشَة مُتَأَجِّجَة دائماً وأبداً.
- **الجــمال التُّرْكِيّ الطبيعيّ:** هو أكثر ما جذب أنظار الشــباب ودفعهم إلى محاكاة قدوتهم من النجوم، وتقليد تَصَرُّفَاتهم في المأكل والملبس، حتى أصبحت النساء تلاحق موضة الماكياج الخفيف المشــهورة بها نجمات تركيا؛ وكذلك الشباب الَّذِين أصبحوا يُقَلِّدُون النجوم الأتراك في آخر صيحات المُوضَة الَّتِي تَمَيَّزَ بها النجوم الشباب.

1. "المسلسلات التُّرْكِيَّة ، قُوَّة ناعمة تغزو كل المنطقة بكل اللغات"، نون بوست، مرجع سابق.
2. المرجع السابق.

- **العادات التركِيَّة التَقْليديَّة البسـيطة والجميلة:** في الأكل واللباس والديكور، والَّتِي أصبحت تُقَلَّدُ تلقائيّاً في العالم العربيّ. في حين، أفرز تَأَثُّر الأعمال العَرَبيَّة بالدِّرَامَا التُّركِيَّة باعتماد المخرجين العرب على إظهار الجانب الرومانسي للأبطال مع الكشف عن جمال الطبيعة العَرَبِيَّة والعادات العَرَبيَّة المُتَجَذِّرَة والمُتَجَدِّدَة.

كما ساهمت المسلسلات التُّركِيَّة المُدَبْلَجَة للُّغَات الأجنبيَّة، بتغيير رأي الأُورُوبِيِّينَ وإقناعهم أنَّ لدى تركيا إرثاً وإنتاجاً في مجاليّْ الفَنّ والثقافة، إضافةً إلى وجهها الغَرْبيّ المُتَحَضِّر. كما أنَّ معظم متابعي المسلسلات والأفلام التُّركِيَّة أجابوا بأن تركيا يمكن أن تكون عضواً في الاتِّحَاد الأُورُوبيّ(1)، وأن تلك الأعمال الدراميَّة والفَنِّيَّة تعكس الْوَجْه الحَقِيقِيّ للحياة في تركيا بعيداً عن الحساسيات والحسابات السِّيَاسِيَّة الضَّيِّقَة. وقد ساهمت هذه الأعمال بتحسين الاقتصاد التُّركِي، وإحداث فورة اقْتِصَادِيَّة أنعشت القطاع السياحي. لذلك سَعَتْ الحكومة التُّركِيَّة في عهد العدالة والتَّنْمِيَة إلى تقديم كُلّ الوسائل والدعم للفنِّ؛ كَمَنْحِ الإدارات المَحَلِّيَّة الصلاحيات الكافية لتسيير كُلّ الأعمال الفَنِّيَّة مُتَقَدِّمَة على غيرها. وكذلك القيام بالتعديلات القَانُونيّة المُتَعَلِّقَة بهذا الموضوع. كما عَمِلَتْ على تهذيبه ورَفْع شأنه، وجَعْلِهِ سبباً في نهوض تركيا، وغيَّرت الصورة الذهنيَّة المُنْطَبِعَة عند كثير من الدول، فالتلفزيون والسينما التُّركِيَّة تَتَّجه فعلاً نحو الأفضل.
ودائماً في إطار الحديث عن دور السينما التُّركِيَّة الَّتِي غَزَتْ صالات السينما العَرَبِيَّة والعَالَمِيَّة، نجد أن تاريخ السينما حافلٌ بالإنجازات، إذ استطاعت صناعة السينما التُّركيَّة جَذْبَ كُتَل جماهيريَّة من مختلف الشرائح الاجْتِمَاعِيَّة إليها منذ بداية الخمسينيَّات. وتَوَجَّهَتْ السينما خلالها إلى الأعمال الترفيهيَّة، والتَّرْكِيز على الجماليَّات الَّتِي تجذب الجمهور. فأسفرت عن زيادة إنتاج ملموس للأفلام، وزيادة عدد الصالات السينمائيَّة،

1. دراسة يونانية: الدراما التُّرْكِيَّة "قُوَّة ناعمة" لتحسين الصورة، عربي 21، 2 ديسمبر 2013، تاريخ الزيارة: 13 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/2jkxqT

وخَاصَّـــة الفصليَّة منهـــا المخصَّصة لفصل الصيف. بَيْـــدَ أنَّ التقلبات الاجْتِمَاعِيَّة في السبعينيَّات وشيوع المحطات التلفزيونيَّة، قلَّصت من اهتمام الناس بقطاع السينما. بينما عرفت فترة من الستينيَّات إلى وسط الثمانينيَّات من القرن الماضي، إنتاجاً أكثر للأفلام (حوالي 300 فيلم لعام 1971م وحده)، والَّتِي كانت تشـــهد مناقشات ساخنة أيضاً حول الأفلام المعروضة. وكانت أيضاً فترةً انعكست فيها النقاشات السِّيَاسِيَّة على واقع الســـينما، وظهرت على إِثْرِهِ تيَّارَات مختلفة في السَّاحَة السينمائيَّة؛ مثل سينما الثورة، والسينما الوَطَنِيَّة، والسينما الشَّعْبِيَّة. (1)

ومع انتشـــار أجهزة الفيديو في الثمانينيَّات انحصر عدد مشـــاهدي السينما، واكْتَفَوْا بالمتابعـــة التلفزيونيَّة وانغلاقهم في منازلهم، ممّا أدَّى إلى إغلاق العديد من الصالات السينمائيَّة، وبالتَّالِي أصبحت صناعة السينما التُّركِيَّة وجهاً لوجهٍ مع الضائقة والأزمات المَالِيَّة. وعلى الرَّغْم من استمرار هذا التَّوَجُّه في يومنا، فقد أفلحت الأفلام السينمائيَّة، الَّتِي تَمَّ إنتاجها بعد الثمانينيَّات، والَّتِي تتناول المشاكل الاجْتِمَاعِيَّة الثَّقَافِيَّة، في الوصول إلى جماهير واسعة من الشعب، وجذبت بصورة خاصة اهتمام طلاب الجامعات. (2)

ومع تصاعُـــد الحكومة التُّركِيَّة الجديدة، يلاحظ المتابع بأنَّ حكومة العدالة والتَّنْمِيَة ساهمت في تصاعد هذه الأعمال لِتُقَدِّمَ عُمْقَ الثَّقَافَةِ التُّركِيَّة، ومعالم تركيا السيَاحِيَّة الخَلَّابَـــة، وأَكَلاَتهم اللذيذة، وأزيائهم وأفكارهم، ومبادئهم الراقية، وعرض قصص هادفة وتوعويَّة تحمل رسائل إِيجَابِيَّة عن المجتمع التُّرْكِيّ.(3)

1. نظرة عامة على تاريخ السينما التُّرْكِيَّة ، ترك برس، 21 أغسطس 2015م، تاريخ الزيارة 22 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: http: //www.turkpress.co/node/11852
2. الســينما التُّرْكِيَّة .. أشــواطٌ كبيرة في ذكرى انطلاقتها المئويَّة، تركيا بوست، 15 نوفمبر 2014م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/8un9I
3. أحمد المصري، كيف تَأَثَّرَتْ السينما التُّرْكِيَّة بصعود "العدالة والتَّنْمِيَة"؟ تركيا بوست، 24 نوفمبر 2015م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/SxClV

ومِنْ ثَمَّ فإن الانتشار العَالَمِيّ الكبير للدراما التُّركِيَّة أدرجها في إطار نموذج "القُوَّة النَّاعِمَة" لا سِـــيَّمَا مع نجاحها في التَّغَلْغُل داخل دول ومجتمعات متباينة تَمْتَدّ رُقْعَتُهَا الجُغْرَافِيَّة من أمريكا اللاتينيَّة إلى أوروبا والبلقان فآســـيا الوسطى ومنطقة الشرق الأوسط، ولقد تعدَّى تأثير الدِّرَامَا التُّركِيَّة الأبعاد الثَّقَافِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة ليشمل الأبعاد السِّيَاسِـــيَّة والاقتِصَادِيَّة، وخَاصَّة في ظِلِّ الصـــورة الذهنيَّة الجَيِّدَة لتركيا في العقل الجمعيّ العَرَبِيّ والإسْلاَمِيّ(1).

1. انظر في ذلك:
- صالحة علَّام، "الدراما.. القُوَّة النَّاعِمَة التي غَزَتْ بها تركيا العالم!"، الجزيرة نت، 3 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/yLf1ZY
- "السنيما.. قُوَّة ناعمة فاعلة في السياسة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة "، إدراك للدراسات والاستشارات، 19 يوليو 2016م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/tsyqOM

المبحث الرابع

أعمال دراميَّة تُرْكِيَّة نالت نجاحاً عَالَمِيّاً

تَحْتَلّ الأعمال الفَنِّيَّة بكافَّة أشـــكالها الدراميَّة والسينمائيَّة والموسيقيَّة اليوم مكاناً بارزاً في عقول المُتَلَقِّينَ لها على مستوى العالم، ما جعلها تَتَحَوَّل من مُجَرَّد نماذج ثَقَافِيَّة لتعارف الشُّعُوب، وعنصراً من عناصر التسلية والترفيه، إلى أن تصبح إحدى أهـــم وأبرز أدوات "القُوَّة النَّاعِمَة" الَّتي يَتِـــمّ توظيفها من جانب الدول الكبرى، الدَّوْلِيَّـــة والإِقْلِيمِيَّة، وتُرْصَدُ لها ميزانيَّـــات ضخمة بهدف تطويرها وتطويعها لتحقيق الأهداف الَّتي يصعب تحقيقها من خلال العلاقات السِّيَاسِـــيَّة أو الطُّرُق الدُبْلُوماسِـــيَّة التَقْلِيدِيَّة، لِبَسْط نفوذها الثَّقَافِيّ وتأثيرها الاجْتِمَاعِيّ خارج نطاق حدودها الجُغْرَافِيَّة الضَّيِّقَة، وزيادة حِصَّتها من صناعة السِّيَاحَة العَالَمِيَّة، وكذلك إبراز صورتها التَّارِيخِيَّة بشكل إيجابيّ لخدمة أهدافها الاسْتِرَاتِيجِيَّة الكُلِّيَّة.

ولقد عَرَفَتْ الدِّرَامَا التُّرْكِيَّة في الســـنوات الأخيرة انتشـــاراً واسعاً ذَاعَ صِيتُهُ بحيث اســـتطاعت أن تَخْلُق لها جمهوراً من المتابعين، وتُنَافِس العديد من الدول الَّتِي ظلت لعقـــود مصدراً للإنتاج الفَنِّيّ والســـينمائيّ خصوصاً؛ حيث أصبح الفَنّ وقضاياه مع المُتَغَيِّرَات الطارئة والمتســـارعة - مع العولمـــة- في نُظُم الثقافة والقِيَم أحد الأدوات المُتَوَسَّـــل بها لاســـتنبات النموذج الَّذِي يسعى إليه، ومن ثَمَّ أصبح مجال السينما أحد أوجه الصِّرَاع المُتَنَوِّع الأبعاد والدلالات بين الثَّقَافَات المختلفة حول العالم.

فالثورة الفَنِّيَّة التُّرْكِيَّـــة تَعْكِس أحد أَوْجُه التَّقَدُّم الَّذِي تعرفه تركيا، فلا يمكن تَصَوُّر تَطَوُّر الســـينما والقطاع الفَنِّيّ دون نهوضٍ في باقي الجوانب والقطاعات، كما أنها تعكس حالة من القَلَق في المجتمع التُّرْكِيّ، فهي على تَنَوُّعِهَا ليست أعمالاً واحدة وعلى

ذات المنوال، إنما هي رُؤًى مختلفة جذرياً تُمَرَّر عبر الأعمال السينمائيَّة المعروضة. والسينما التُّركيَّة تعكس حالة التعدُّد بالمجتمع التُّرْكيّ شأنها شأن كُلّ العناصر المُشَكِّلَة للميدان الثَّقَافيّ؛ حيث يبرز الصِّرَاع على أرضيَّة الهُويَّة بين العُمْق الإِسْلاَمِيّ والهوى الغــــربي، بين أعمال تَصِل تركيـــا الحديثة بجذورها العُثْمَانيَّـــة وعمقها الحَضَارِيّ الإِسْـــلاَمِيّ - الشرق -، وأخرى محكومة بنمطٍ قِيَمِيّ يســـتند إلى الخَلْفِيَّة العَلْمَانِيَّة؛ حيث أقبلت تركيا الحديثة بمنطق القُوَّة والقَسْر والإخضاع مع مُؤَسِّسها أتاتورك على الأنموذج الغَرْبِيّ في نمط الحياة الاجْتِمَاعِيَّة والثَّقَافِيَّة والقِيَم الناظمة لها. (1)

ومن هذه الأعمال الفَنِّيَّة المُتَمَيِّزَة الَّتِي عالجت إرادة الاستقلال السِّيَاسِيّ والحَضَارِيّ لتركيا في العَقْدَيْنِ الأخيرين مع حـــزب العدالة والتَّنْمِيَة التُّرْكِيّ، وغيرها. وفي هذا الفصـــل نَعْرِضُ لثلاثة نماذج من أبرز الأعـــمال الدراميَّة التُّركِيَّة، "قيامة أرطغرل"، "وادي الذئاب"، السـلطان عبدالحميد الثاني"، بما يبرز موقعها من القُوَّة النَّاعِمَة التُّركِيَّة الَّتِي باتت اسْتِرَاتِيجيَّة للحُكْم والإدارة في البلاد، داخِلِيّاً وخارِجِيّاً، منذ وصول حزب العدالة والتَّنْمِيَة إلى سُدَّة الحُكْم في أنقرة قبل 15 عاماً.

إطلالة إحصائيَّة: الدِّرَامَا التُّركِيَّة في الصَّدَارة

إحصائيـــاً، وبلُغَة الأرقام، فقد حَقَّقَتْ الدِّرَامَا التُّركِيَّة إنجازات كبيرة على مســـتوى العالم، مما جعلها مُنَافِســـاً شَرِســـاً لقوى الســـوق الدراميَّة التَّقْلِيدِيَّة العَالَمِيَّة الَّتِي تحتكرها دول غربيَّة كبرى بالأساس، وخَاصَّة الولايات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة؛ حيث باتت الدِّرَامَا التُّركِيَّة حاضرة بقُوَّة في شاشـــات 142 دولة، وبحجم تصدير يصل إلى 350

1. يحيى عالم، مسلسـل قيامة أرطغرل التركي: وظيفة السـينما الفعَّالة في بناء الوعي بالتاريخ، نون بوسـت، 23 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/mkh74

مليـــون دولار، لتَحْتَلّ تركيا المَرْتَبَة الثانية عَالَمِيّاً على صعيد تصدير المسلســـلات بعد الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة. (1)
ويعتـــزم قطاع الدِّرَامَا التُّرْكِيّ، وَفْقاً لمســـؤولين بارزين في القطاع، رفع حصَّته في الســـوق العَالَمِيَّة، من خلال زيادة إيراداته المُقَدْرَة ســـنوياً بنحو 350 مليون دولار، وَفْقـــاً لتقديرات العام 2017م، لتتجاوز حاجز المِلياريْ دولار بحلول العام 2023 (2). وبالإضافـــة إلى الدَّخْل المَادِّيّ الَّذِي تعود به الأعمال الدراميَّة على تركيا، فإنها أيضاً تُعْتَبَر بمثابة السفير الثَّقَافِيّ لأنقرة حول العالم(3).

نماذج مُتَمَيِّزَة:

أولاً: مسلسل قيامة أرطغرل:

مسلســـل "قيامة أرطغرل" هو مسلسل تَارِيخِيّ تركيّ، تناول حياة والد مُؤَسِّس الدَّوْلَة العُثْمَانِيَّة، عثمان الأَوَّل(4)، وعَرَضَ جوانب من ملامح الحياة الاجْتِمَاعِيَّة والسِّيَاسِيَّة قُبَيْل إنشاء الدَّوْلَة العُثْمَانِيَّة وتأسيسها، وتفَوّق المسلسل في العديد من الجوانب الفَنِّيَّة والقِيَمِيَّة والجماهيريَّة.

---

1. المسلسلات التُّرْكِيَّة حاضرة بقُوَّة في بيوت 142 دولة (تقرير)، وكالة الأناضول للأنباء، 12 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9GWUjZ
2. الدراما التُّرْكِيَّة تستهدف عائدات بـ"ملياري" دولار (مقابلة)، وكالة الأناضول للأنباء، 20 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 13 أغسطس 2018م، مُتَاح على الرابط التالي: goo.gl/MbRrfQ
3. "تركيا تســـعى لتكون الأولى عَالَمِيّاً في مجال تصدير المسلســـلات، تركيا بوســـت، 5 أبريل 2016، تاريخ الزيارة: 13 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/qu13fP
4. هو عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه، مؤسِّس الدولة العُثْمَانِيّة وأول سلاطينها، وُلِدَ في مايو سنة 656ه/1258م، وهو العام الذي سَقَطَتْ فيه بغداد في أيدي التَّتَار، تَوَلَّى الحكم عام 687 هـ/1299م خلفاً لوالده، وتُوُفِّيَ في عام 1326م، بعد فترة حُكْم اســـتمرَّتْ نحو 25 ســـنة؛ حيث حَوَّلَ إمارته الصغيرة إلى خلافة إسْـــلامِيَّة استمَرَّتْ في الحكم لقرون. للمزيد يُنْظَر: عثمان بن أرطغرل مؤســـس الدولة العُثْمَانِيّة، قصة الإســـلام، 21 أبريل 2013، تاريخ الزيارة: 13 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/GMWie9

وحاز المسلسل جماهيريَّة كبيرة في تركيا والوطن العربي، ونال اهتماماً كبيراً في دول أوروبا، وحَقَّق أرقاماً قياســـيَّة في مُعَدَّلاَت المُشَاهَدَات على القنوات الفضائيَّة وعبر مواقع الإنترنت، وجَذْب شرائح واسعة من المشاهدين.
وبرزت في المسلســـل مجموعة من المَيْزَات الفَنِّيَّة والقِيَمِيَّة، والَّتي تَمَّ تناولها بطريقة مُغَايِرَة عمَّا هو شـــائع في قِيَم ورســـائل الأعمال الدراميَّة عادةً، فَقَدَّمَ رسائل قِيَمِيَّة وأخلاقيَّة أصيلة من نَبْع القِيَم الإسْـــلامِيَّة في ثَوْبٍ اجتماعيّ وسِـــيَاسِيّ، كما تَعَرَّضَ لحِقْبَةٍ من التاريخ الإسْـــلاَمِيّ، وتناول البطولات والصفحات المضيئة لقيادات تركت بَصْمَتها على العالم الإسْلاَمِيّ، خلافاً للدراما الَّتي تَتَعَرَّضُ للتاريخ بمعالجات مُشَوِّهَة مُتَأَثِّرَة بضغط الواقع وكتابات المستشرقين.

وتم إنتاج المسلســـل بتقنيَّات عالية واحترَافِيَّة في التصوير، والموسيقى التصويريَّة، وكتابة الســـيناريو، وبتَمَيُّزٍ وإتقانٍ في أداء التمثيل، والتعبير بلغة الجســـد، وبتَنَوُّع الانفعالات والمشـــاعر الإنْسَـــانيَّة في أحداث المسلســـل، فتَعَرَّضَتْ لمشاهد الحماسة والصِّرَاع و"الأكشـــن"، ومشـــاهد الحزن والبكاء والألم، وإطلالات إيمانيَّة ونبويَّة، بالإضافة للقَصَص الاجْتِمَاعِيَّة والعاطفيَّة، وبعض الكوميديا والطرائف. (1)

القصة الحقيقيَّة لحِقْبَة "أرطغرل" وقبيلته:

تَحَدَّثَ المسلســـل عن نشـــأة "أرطغرل"(2) معرِّجاً على فترة تَارِيخِيَّة دقيقة، منذ بَدْءِ

1. مسلســـل قيامة أرطغرل .. المسلســـل الأكثر حضوراً ومتابعة وتشويقاً، موقع أقاليم برس، 6 أبريل 2017م تاريخ الزيارة 23 يوليو 217م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/kVGiO
2. هو أرطغرل بن ســـليمان شـــاه، والد عثمان الأول مؤسس الدولة العُثْمَانيّة، واسمه بالتُّرْكِيَّة يعني الرجل العُقـــاب أو الجنـــدي العُقاب أو الطير الجارح البطل، وهو من قبيلة قاي التركمانيَّة المُتَحَدِّرَة من آســـيا الوســـطى، وكان فارســـاً عظيماً مقاتلاً جَلْدَاً. وُلِدَ أرطغرل عام 1191م، وتَمَيَّزَ بصفاتٍ قياديَّة كالإصرار والشـــجاعة والإقدام، وهي التي مَيَّزَتْهُ عن بقية إخوته. للمزيد يُنْظَر: "أرطغرل"، قصة الإســـلام، 3 مايو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/r7heui

ترك السلاجقة لوطنهم بسبب فتنة جنكيز خان(1) مَلِك التَّتَار، ومالوا إلى جانب بلاد الروم، وجاء معهم "أرطغرل"، وكان رجلاً شـــجاعاً، وبصحبته نحو ثلاثمائة وأربعين رجلاً من بني قومه، فَعَمِلَ في خدمة السلطان علاء الدين كيقباد بن كيخسرو بن قلج أرسلان بن طغرل السلجوقي(2)، سلطان بلاد قرمان(3)، فَأُعْجب به لشجاعته، وقَرَّبه إليه، ثم زاد في عطائه ومِنَحه بعد أن فُتحت على يديه كثير من البلاد.

وبينـــما كان "أرطغـــرل" راجعاً إلى بلاد العجم - أي فارس وما حولها - بعد موت أبيه غَرَقاً عند اجتيازه أحد الأنهار فارّاً من أمام التتار، فشـــاهد جيشين مشتبكين، فوقف على مُرْتَفِع من الأرض لِيُمَتِّعَ نَظَره بهذا المنظر المألوف لدى الرجل من القبائل الحربيَّة، ولما آنس الضعف من أحد الجيشين وتَحَقَّقَ انكساره وخذلانه دَبَّتْ فيه النخوة الحربيَّة، ونزل هو وفرســـانه مسرعين لنجدة هذا الجيـــش المهزوم، وهاجَم الجيش الآخر بقُوَّة وشـــجاعةٍ عظيمتين، حتى وقع الرعب في قلوب الَّذِين كادوا يفوزون بالنصر، وأَعْمَلَ فيهم الســـيف والرُّمْحَ ضرباً ووخزاً، حتى هَزَمَهُمْ شَرَّ هزيمةٍ.. وكان قائد هذا الجيش الَّذِي قام بمســـاعدته هو الأمير علاء الدين كيقباد، وقد قام بمكافأته على هذا الفعل

1. جنكيز خان هو بورجيكين تيموجين، ملك منغوليا ومُؤَسِّس إمبراطورية المغول، وُلِدَ حوالي سنة 1162م، وتوفي عام 1227م، امْتَدَّتْ فترة حكمه ما بين عامي 1206م–1227م، وكان جنكيز خان قائداً عسكرياً كبيراً استطاع أن يُوَحِّد القبائل المنغوليَّة والتي تمكَّنت تحت حُكْمِهِ من غَزْو معظم آســيا وبلاد فارس، الشرق الأوســط وحتى شرق أوروبا. للمزيد يُنْظَر: جمال الدين فالح الكيلاني، "جنكيز خان: سيرة حياة"، شبكة الألوكة الإِسْلاَمِيَّة، 23 أكتوبر 2012، تاريخ الزيارة: 14 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/V4tcVx
2. هو سلطان دولة السلاجقة، وعاصمتها قونيا، عاش خلال الفترة من 1188- 1237م، وتَوَلَّى الحكم خلال الفترة من 1220- 1237م، ازدهرت البلاد في عهده وكان من أبرز الســلاطين الســلاجقة. للمزيد يُنْظَر: ابن البيبي، أخبار سلاجقة الروم، ترجمة محمد السعيد جمال الدين المركز القومي للترجمة، مصر، الطبعة الثَّانِيَة، 2007م.
3. إمارة إِسْلاَمِيَّة نشأت عام 1250م جنوبي الأناضول، أَسَّسَهَا نوريّ الصوفي الأرمنيّ الذي اعتنق الإسلام، وتوالَى على حُكْمِهَا سُلاَلَتُهُ من بعده؛ حيث استمَرَّتْ الإمارة نحو 237 سنة، اتَّخَذَتْ من التُّرْكِيَّة المكتوبة بالحرف العربي لغةً رســميَّة. للمزيد يُنْظَر: ســامي بن عبدالله المغلوث، أطلس تاريخ العصر المملوكي، مكتبة العبيكان، الرياض، 1433 ه، ص 162.

النبيل بإقطاعه عدة أقاليم ومدن، وأصبح بعد ذلك لا يعتمد في حروبه مع مجاوريه إلَّا عليه وعلى رجاله، وكان عَقِب كُلّ انتصار يُقْطِعُهُ أراضيَ جديدة، ويمنحه أموالاً جزيلة، ثم لَقَّبَ قبيلته بمقدمة السلطان لوجودها دائماً في مقدمة الجيوش.(1)

وأمضى "أرطغرل" بعد ذلك باقي عُمُرِهِ في الجهاد والرِّبَاط؛ حتى سُمِّي في المصادر التَّارِيخِيَّة بـ"غازي الثغور"، وبعد وفاته سنة سبع وتسعين وستِّمَائة تقريباً، كتب السلطان علاء الدين لابنه عثمان بالإمارة من بعده، وأرسل إليه خِلْعَةً وسيفاً كعادته عند تثبيت الأمراء.

المزايا الفَنِّيَّة لمسلسل قيامة "أرطغرل":

تَعَدَّدَتْ الجوانب المُمَيِّزَة في مسلسل قيامة "أرطغرل"، بدءاً من الفكرة والرؤيَة، وطريقة كتابة القصة والسيناريو والحَبْكَات الفنيَّة، مروراً بالأداء الاحترافي للتمثيل وتَمَيُّز لغة الجسد، وانتهاءً بالإخراج والموسيقى والمُؤَثِّرات السمعيَّة والبصريَّة.

فقد طَرَحَ المسلسل رؤية إسْلامِيَّة في تناول الأحداث، وحرص على ترسيخ معاني الإيجَابِيَّة، والنخوة، وحفظ الأعراف، وعدم الذُّلّ، والاستسلام، ومغالَبَة الواقع الأليم مع الثِّقَة واليقين في الله، كما برزت ثقافة الشورى في اتِّخَاذ القرار، والصبر عند البلاء والمصائب، والاستعانة بالله، واللجوء إليه بالذكر والتسمية والدعاء.

وَحَرَصَ العمل الدراميّ على استخلاص الدروس والعِبَر من السيرة النبويَّة وإسقاطها على بعض المشاهد، وتَمَثَّلَ ذلك في دور ابن عربي(2)، والَّذِي يَظْهَر بشكل متناثر على مدار الحلقات ليحكي في كُلّ مرة قصة ودروساً مستفادة في ثوب إيمانيّ وأجواءَ رَوحانيَّة.

1. مسلسل قيامة أرطغرل .. المسلسل الأكثر حضوراً ومتابعة وتشويقاً، موقع أقاليم برس، مرجع سابق.
2. هو محمد بن علي بن محمد الطائيّ الأندلسيّ، ولد سنة 560 هـ وتُوُفيَّ سنة 638هـ، بدأ حياته بطلب العلم في مدينة إشبيلة بالأندلس، ثم سَلَكَ طريق التَّصَوُّف، فانقطع عن الدنيا، واعتزل الناس ورحل لمشايخ التَّصَوُّف، اتَّهَمَه كثيرٌ من العلماء بالزندقة، كالإمام العِزّ بن عبدالسلام، وابن الجزريّ، والإمام الذَّهَبِيّ، وغيرهم. للمزيد يُنْظَر: عبداللطيف بدر العثمان، حقيقة ابن عربي، صيد الفوائد، د. ت، تاريخ الزيارة: 14 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Zb9Gce

واعتمد السيناريو على الذكاء الحواريّ، والتعبير بِلُغَةِ الجسد مع قليل من الكلام، فظهرت أغلب الشخصيَّات بمستويات مُتَقَدِّمَة من الذكاء والفَهْم والدَّهَاء والمَكْر، كما حرص كذلك على عنصر المفاجأة، وتَطَوُّر الأحداث بما لا يَتَوَقَّعُهُ المشاهدون، كما لم يتَّبِع السيناريو منهج المِثَالِيَّة المُطْلَقَة في أدوار الشخصيَّات، فتارةً يَتَحَوَّلُ الشريف إلى خائنٍ تحت الضَّغْطِ والإغراء، وتارةً يتوب الخائن ويَنْضَمُّ للشرفاء، وظهر أبطال المسلسل في مواقف صحيحة تارةً، وفي مواقف خاطئة تارةً أخرى.

ومن جوانب التَّمَيُّز في هذا العمل الدراميّ شموله على أنماط الصِّرَاع والإثارة والمُغَامَرَة، وكذلك أنماط "التراجيديا" والبكاء والمَشَاهِد المُؤْلِمَة، كما أعطى مساحات للعاطفة والحبّ والوفاء، وبعض الكوميديا الخفيفة.
والصِّرَاع ظهر في مشاهد الأُمَنَاء والخَوَنَة، والصِّرَاع مع التتار، والصِّرَاع مع الصليبيِّينَ، واستمَرَّتْ قصص الصِّرَاعات على طول الحلقات، وما إن تنتهي قِصَّة صراع إلا وتبدأ قِصَّة أخرى، وهو عنصر يثير فضول الجمهور للمتابعة، وتَرَقُّب الحلقات الجديدة، وارتبط بعنصر الصِّرَاع تقنيَّات "الأكشن" والمعارك والفروسيَّة والخيول، والنصر تارةً، والهزيمة تارةً أخرى. وظهرت ألوان المغامرة والإثارة في مشاهد عديدة، مثل مشاهد الهروب، وتنصيب الفِخَاخ، وقصص المغارة، وتنقيب الذهب، وتتبُّع الآثار، وأعمال الجواسيس، كما ظهرت الكوميديا في شخصيَّة المحارب "بامسي"، سواءً في نمط أدائه، أو على مستوى حواراته الكوميديَّة مع أقرانه.

ولعبت الموسيقى التُّركِيَّة ونمطها الدراميّ المُصَاحِب لأغلب المَشَاهِد الحواريَّة والصامتة دوراً مُؤَثِّراً في وجدان المشاهد، وهو نَمَط مُتَمَيِّز في الأعمال التُّركِيَّة بموسيقاها ذات الطابع الخاص. (1)

1. "مسلسل قيامة أرطغرل.. رسائل إيجابيَّة وأخرى سلبيَّة"، موقع اسكتشات (موقع مختصٌّ بالفنون السمعيَّة البصريَّة)، د. ت، تاريخ الزيارة: 13 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/kTXfYk

عمل فَنِّيّ رائد:

العمل الفَنِّيّ الرائد الَّذي قَدَّمَ له مسلسل "قيامة أرطغرل"، غير مفصول عن طبيعة الصِّرَاع على أرضيَّة الهُويَّة، وانبعاث الإمْبرَاطُوريَّة العُثْمَانيَّة لِتَحْمِلَ لواء الفتح الإسْلاَمِيّ في لحظات من التاريخ عَرَفَ فيه العالم الإسْلاَمِيّ - بالمشرق العَرَبِيّ حالة من الشَّتَات والأُفُول الحَضَارِيّ، بِفِعْل الصِّرَاع الدَّاخِلِيّ بين أُمَرَاء أغْوَتهم شهوة السُّلْطَة والمال، وبِفِعْل الضَّرَبَات الخَارجِيَّة الَّتي اسْتَغَلَّتْ حالة التَّشَظِّي المذكورة آنفاً بالحواضر الإسْلامِيَّة الكبرى.

وكانت الغزوات الصليبيَّة وهجمات المغول حالة فارقة امْتَدَّ أثَرُهَا للبُعْدِ الحَضَارِيّ حيث أعقبت الهجمات حالة من الوَهَنِ فلم يكن رَدّ الغزوات الصليبيَّة كافياً للنهوض من جديد؛ إذ استتبعه انقسامٌ سِيَاسِيّ وتردٍّ شمل كُلّ المستويات، أسهم في الدفع بولادة حركة جديدة في جسم الأُمَّة تَوَفَّرَتْ لها عَصَبِيَّة القبيلة، وغَذَّتها بِقُوَّة الفكرة الدِّينِيَّة الدافعة، والقبائل التُّركِيَّة الَّتِي ستُعِيد حالة الاستواء للعالم الإسْلاَمِيّ وتستجمع أطرافه فيما بعد، كانت رموز كثيرة على صلة وطيدة واتِّصال بمهد الخلافة الإسْلامِيَّة بالشرق، استتبعه تأسيس الدَّوْلَة السُّلجُوقِيَّة[1] على هضبة الأناضول، وعلى أنقاضها وأنقاض دويلات العالم الإسْلاَمِيّ سَتَتَأَسَّس الإمْبرَاطُورِيَّة العُثْمَانِيَّة.

مسلسل قيامة أرطغرل التُّرْكِيّ "التَّارِيخِيّ" الَّذِي يُعَالِج بواكير قيام الخلافة العُثْمَانِيَّة به سِمَات ومُمَيِّزَات فَنِّيَّة دالَّة وقَوِيَّة فيها الكثير من الإبداع وتحقيب تَارِيخِيّ دقيق

1. إحدى الدول السُّنِّيَّة القوية تَأَسَّسَتْ عام 1037م، وامتَدَّتْ رُقْعَتُها الجغرافيَّة لتشمل خراسان وما وراء النهر وإيران والعراق وسوريا وآسيا الصغرى. وتُنْسَبُ هذه الدولة إلى سلجوق زعيم عشائر الغُزّ التركمانيَّة، التي هاجرت واستَقَرَّتْ في بُخارى، قبل أن تَتَوَسَّعَ لِتَضُمَّ حواضر إسْلاَمِيَّة عديدة؛ حيث استَمَرَّتْ الدولة السلجوقيَّة حتى عام 1128م. للمزيد يُنْظَر: علي محمد محمد الصلابي، دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، مُؤَسَّسَة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2006م.

لمرحلة ما قبل فتح القسطنطينيَّة، ورصد لحركيَّة قائد قبيلة تَجَمَّعَتْ له عناصر تشكيل نواة دولة جديدة مَهَمّتُهَا رَفْع الظلم ونَشْر العدل وإطلاق فتوحات جديدة ستصل في حِقَب متأخرة إلى قلب أوروبا.

بَطَل العمل الفَنِّيّ "أرطغرل" أبو عثمان الأَوَّل وابن سـليمان شـاه، والعمل به أبعاد مُتَعَدِّدَة فيها الدينيّ والتَارِيخِيّ والثَّقَافِيّ، إنه أحد أهمّ الأعمال الَّتِي تَعَرَّضَتْ للتاريخ العثماني، وحاولت تجديد وَصْل تركيا الحديثة بتاريخها الماضي والأسـس الهوياتيَّة والقِيَمِيَّة والثَّقَافِيَّة، الَّتِي جعلت من الأتراك فاعلين في مسرح التاريخ.

إنَّ الدَّافِـع الدِّينِيّ وقِيَم التَّزكية الروحيَّة والإبـداع الفَنِّيّ لا يتعارضان، تلك إحدى الخلاصات الَّتِي يمكن استخلاصها، فالإبداع والفنّ يعبرِّ عن روحه وفطرته، ولذلك لا يمكن للفنِّ أن يكون موسـوماً ببعض السِّمَات المغلوطة؛ كما يحاول الكثير التَّحَجُّج بها، ويُجَلِّي البُعْد الدِّينِيّ التَّزْكَوِيّ في شخصيَّة ابن عربي "الصُّوفِيّ" ودوره في الدَّفْع بحركيَّة القبائل ووصلها بضرورة إحياء العالم الإسْـلاَمِيّ هضبة الأناضول على قِيَم دينيَّة لا تَبْلَى، بل تحافظ على جذوتها في بناء الأمم والحضارات إذا وَجَدَت مَن يُفَعِّلَها. وابن عربي، يحاول العمل الفَنِّيّ من خلاله تجسـيد الـدور الديني للإِمْبَرَاطُورِيَّة العُثْمَانِيَّة، وهو كذلك وصل للحاضر الديني التُّرْكِيّ الموسـوم بِمَسْـحَةِ التَّصَوُّف مع التاريـخ، والحقيقة التَّارِيخِيَّـة أن ابن عربي عايَشَ تلك اللحظة كما أنه تَنَقَّلَ طويلاً بالشام الَّذِي كان موطناً لتلك القبائل الفاتحة، وما يطرح بعض الاستشكال هو البعد السِّيَاسِيّ في حركيَّة ابن عربي، أما كُلّ رؤية الزعيم الروحي فإنها تصدر عن مشكاة معتدلـة غير ما يَتِمّ به التَّجَنِّي عليه بين الكثير من المسـلمين من خلال مطارحات في فكره لا تَجِد لها أثراً في العمل الفَنِّي، وتلك سِـمَة للإبداع مع الرموز الفاعلة في التاريخ استطاع العمل الفَنِّيّ المبدع تجليتها بوضوح.

مع متابعة العمل الفَنِّيّ تكون أمام جوانب أخرى مُتَعَلِّقَة بطبيعة الصِّرَاع داخل القُصُور والدسـائس الَّتِي تحاك هنا وهناك وعامل الخيانة والولاءات، ودور القبيلة تاريخيّاً في تشـكيل النُّظُم السِّيَاسِـيَّة، وكيف أن الدعوة الدِّينِيَّة لمّا تَتَشَكَّل لها عصبيَّة تَتَقَوَّى حسـب المنظور الخلدوني، وفي الوقت ذاته، كيف أسهَم الدين في نقل أمم من حالة القبيلة واللادولة والانقسام الاجْتِمَاعِيّ والسِّيَاسِيّ إلى حالة الدَّوْلَة والحضارة، وذلك هو تاريخ أغلبيَّة الدول الَّتِي تعاقبت في التاريخ الإسْلاَمِيّ؛ حيث شكّل الدين الجديد بداية فجر جديد لدول قامت على أنقاض قبائل ونقلت الناس من الشتات إلى الوحدة ومن الانقسام إلى الاتِّحَاد ومن لا شيء إلى حضارة لا تَغْرُبُ عنها الشمس.
إنَّ مثل هذا العمل الفَنِّيّ الَّذِي عرضنا له ببعض الإشـارات وهو وغيره من الأعمال الرائدة تُحَقِّق أكبر نِسَب المشاهدة من الجمهور التُّرْكِيّ ذاته عَكْس الأعمال الَّتِي تَتِمُّ دَبْلَجَتُهَـا وعرضها في الإعلام العربي، فهي تُنَمِّي وَعْيَ الإنسـان وثقافته بعيداً عن التزييف وتسطيح الوعي الَّذِي ينشره الإعلام العربي.

والغريب أن أغلبيَّة هذا الإعلام يقوم بدبلجة مسلسلات - تُرْكِيَّة وغيرها - بالعشرات وبميزانيَّـات طائلة، لكن أغلب تلك الأعمال المدبلجة فيهـا تَنَاقُضٌ جَذْرِيٌّ مع نُظُم القِيَم بالمجتمعات العَرَبِيَّة والإسْلاَمِيَّة، إلى جانب وسيلة الدبلجة الدارجة لواقع ثَقَافِيّ وأنماط علاقات وقِيَم مُغَايِرَة لما هو في مجتمعاتنا بالدول العَرَبِيَّة الإسْلاَمِيَّة، فالدبلجة إخلال بالأبعاد الفَنِّيَّة والجماليَّة وهَدْر لِلُّغَةِ والقِيَم ، ولو انفتح الإعلام العَرَبِيّ على مثل هذه الأعمال للتَّرْجَمَة بالعَرَبِيَّة؛ حيث تُحافِظ على جمال المضمون وتُرَقِّي الذوق، فإن ذلك سيسهم في حالة من اتِّقاد الوعي ليس بالتاريخ والحاضر وحسب، وإنما توجيه الطاقات والقُدُرَات والإرادات نحو المستقبل(1).

1. يحيى عالم، مسلسل قيامة أرطغرل التركي: وظيفة السينما الفعَّالة في بناء الوعي بالتاريخ، نون بوست، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/mkh74

رسالة من المسلسل للمشاهد العَرَبيّ وحتى للمشاهد التُّركي الغائب عن تاريخه، لتذكيرهم بالتُّرْكُمَان وتاريخهم المجيد في الدِّفَاع عن الإسلام ورفع رايته على مدار ألف عام من تاريــخ الأُمَّة المحمديَّة فأرطغرل وقبيلته التركمانيَّة والعثمانيِّينَ من بعدهم، هم نموذج واحد من آلاف النماذج التركمانيَّة الأخرى المُشَرِّفَة في تاريخ الإســلام كالسلاجقة(1) والغزنويِّينَ(2) والزِّنكيِّينَ(3) والخوارزميِّينَ(4) والمماليك(5) وغيرهم كثير.

التركمان هذه القَوْمِيَّة الَّتِي تُعْتَبَرَ من النســيج القديم لفسيفساء بلاد الشام والعراق والشرق الأوســط عموماً والَّتِي يَتَعَمَّد الكثير الإساءة لها وتهميشها ويحاولون طَمْس تاريخها الطويل المخَضّب بالدماء على الأراضي المقدســة، والَّذِين لا يزالون يُقَدِّمُونَ دماءَهم نُصْرةً للحقِّ وللمظلومين في ســوريا وكانوا مــن أوائل مَن ثار ضِدَّ الظلم الأسَــدِيّ مع إخوتهم العرب، هذا المسلســل أعاد لهم قليلاً من الاعتبار الَّذِي اعتدى عليه المُغْرِضُونَ حقداً وعنصريَّة تارة، ولأسباب سِيَاسِيَّة تارة أخرى. (6)

1. سبق التعريف بالدولة السلجوقية من قبل.
2. الدولة الغزنويَّة دولة إسْــلاَمِيَّة تَأَسَّسَــتْ في بلاد ما وراء النهر وشــمال الهند ومنطقة خُرَاسَــان، خلال الفترة مــن 961- 1187م، وعاصمتهــا مدينــة غزنة، التي تقع حالياً في حدود دولة أفغانســتان. للمزيد يُنْظَر: صباح عبدالوهاب الداهري، "الدولة الغزنويَّة من خلال نقودها العَرَبِيَّة"، مجلة العلوم الإِسْلاَمِيَّة، العدد الثاني عشر، 2016، ص ص 290- 324.
3. دولة إِسْلاَمِيَّة أَسَّسَهَا عماد الدين الزنكي عام 1127م، وشملت في مراحلها المختلفة العراق والشام ومصر، وقد اســتَمَرَّتْ حتى عام 1250م. للمزيد يُنْظَر: إبراهيم ياســين الخطيب، الدولة الزنكيَّة في بلاد الشام والجزيرة، دار قنديل للنشر والتوزيع، مصر، 2004م.
4. قبائل تركية مسـلمة حكمت أجزاء كبيرة من آسـيا الوسـطى وغرب إيران خلال الفترة ما بين 1077- 1220م. للمزيد يُنْظَر: إيناس محمد البهيجي، تاريخ المغول وغزو الدولة الإِسْلاَمِيَّة، مركز الكتاب الأكاديمي، 2017م.
5. دولة المماليك، إحدى الدُول الإِسْــلاَمِيَّة التي قامت في مصر وضمت إليها الشــام والحجاز، امتدَّ حُكْمُهَا من عام 1250م، هزيمة المماليك أمام العُثْمَانِيِّينَ في معركة الريدانيَّة الشهيرة سنة 1517م. للمزيد يُنْظَر: سعيد عبدالفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيِّينَ والمماليك، دار النهضة العَرَبِيَّة، بيروت، الطبعة الأولى، 1972.
6. ســيف الدين التركمانيّ، رســائل من مسلسل قيامة أرطغرل، مدونات الجزيرة، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/E8yo41

إن مسلســـل "قيامة أرطغرل" أو "نهوض أرطغرل" قَدَّمَ رؤية فَنِّيَّة إسْلامِيَّة وتَارِيخِيَّة في مُجْمَلِهَـــا، لكنها مُخْتَلِطَة ببعض الرؤى العَلْمَانِيَّة، ومُتَأَثِّرَة ببعض الرُّؤَى المذهبيَّة، وهذا نَتَاج الثقافة المختلطة للأتراك منتجي المسلسل.

ثانياً: مسلسل وادي الذئاب:

هو مسلسل دراميّ بوليسيّ تُرْكِيّ مُدَبْلَج إلى اللُّغَة العَرَبِيَّة باللهجة السُّورِيَّة يُعْرَضُ منذ 2008م حتى الآن بأجزائه العشرة.

عَرَضَ الجزء الأَوَّل من مسلسل وادي الذئاب في تركيا في 97 حلقة من 90 دقيقة، على امتداد 4 مواســـم، بين 2003 و2005م. هذا الجزء تَمَّ دَبْلَجَتِهِ لِلُّغَةِ العَرَبِيَّةِ في 2008م وتقسيمه إلى جزأين بحلقات طولها 50 دقيقة: الجزء الأَوَّل (86 حلقة) والجزء الثاني (70 حلقة).

أحداث مسلسل وادي الذئاب:

عندما يكون الفَنّ من أقوى الأســـلحة، وتصبح الدِّرَامَا من أفضل وسائل التوعيَّة، وتَتَبَلْوَرُ الأحداث السِّيَاســـيَّة المعروضة على السَّاحَة في حَلقَات يتابعها المشاهد بشَغَف، فهذا يعني أنه المسلســـل التُّرْكِيّ "وادي الذئاب" المسلسل الأكثر مشاهدة في تاريخ المسلسلات التُّرْكِيَّة والأكثر مشـــاهدة في الدول العَرَبِيَّة بعد دبلجته؛ حيث يُعرْضُ منذ حوالي 12 عاماً. يَعْرِض وادي الذئاب الواقع الدَّاخِلِيّ لتركيا بشـــكل جريء وصادم وكذلك المُؤَامَرَات الَّتِي تُحَاك فيها، عن طريق كَشْف "المافيا التُّرْكِيَّة" الَّتِي تَتَّخِذُ من تركيا ودول جوارها مسرحاً لعمليَّاتها. "وادي الذئاب" من تأليف الكاتب رجائي شاشـــماز وباهادر أوزتدنيرو باتيت آسيان، وقام بإخراجه زبير شاشمانر، أما بطولة هذا المسلسل فكانت للممثل نجاتي شاشماز(1) وإنتاج عثمان سيناف. بدأ عرض المسلسل في تركيا عام 2003م، ثم تمَّت دبلجته لِلَّهْجَةِ السُّورِيَّة، وتَمَّ عرضه في بعض القنوات العَرَبِيَّة وذلك منذ عام 2008م حتى الآن.

1. مُمَثِّل تركيّ مشـــهور من مواليد محافظة الأزيغ وســـط تركيا عام 1971م، درس الســـياحة، وعَمِلَ بها قبل أن يبدأ مســـيرته الفَنِّيَّة بمسلســـل وادي الذئاب ذائع الصيت، لِيَتَحَوَّلَ بعدها إلى أحد أبرز المُمَثِّلِينَ الأتراك. للمزيد يُنْظَر: نجاتي شاشـــماز، سينما دوت كوم، د. ت، متاح على الرابط التالي: goo.gl/kBc2H7

تدور أحداث المسلسل حول شخصيَّة مراد علمدار ضابط الاستخبارات التُّركِيَّة الذي يقود مجموعة تُرَاقِب العناصر المُنْدَسَّة في الدَّوْلَة التُّركِيَّة مثل "إسكندر الأكبر وسيراس وباش طاش" وكشف العملاء الَّذِين يعملون لصالح جهات أجنبيَّة ومصَّاصِي الدماء من الصهاينة الَّذِين ماتت قلوبهم إلى درجة أن تجاوزهم للتعذيب بالتَّفَنُّنِ في أساليبه. ويعرض العمل الجرائم الإرهَابِيَّة من قتل إلى خطف الأطفال واغتيال براءتهم ليكونوا سلاحاً ينتقمون به من الأتراك من أجل التَّفَرُّد بالزعامة، وأوضح العمل أن هدف رؤساء المُنَظَّمَات الإرهَابِيَّة هو ضرورة السَّيْطَرَة على القضاء والجيش حتى يستقيم النِّظَام، ويصف المسلسل حال الكيان المُوَازِي، وكيف يتعامل مع أعداء الوطن خصوصاً الصهاينة، وذلك لإسقاط الدَّوْلَة التُّركِيَّة.(1)

من أكثر النقاط الَّتِي تَمَيَّزَ مسلسل وادي الذئاب هي الوَاقِعِيَّة ومجاراة الأحداث الحقيقيَّة على السَّاحَة، وبحسب رأي بعض النُّقَّاد، فإن المسلسل الَّذِي يُصَنِّفه البعض بأنه أفضل عمل درامي تركي، يُقَدِّمُ تحليلاً عميقاً لواقع منطقة الشرق الأوسط، ويفضح دور المافيا التُّركِيَّة المدعومة خارجيّاً في الصِّرَاعات الَّتِي تشهدها هذه المنطقة.

وواجه العمل معارضة كبيرة مِنْ قِبَلِ بعض الدول وخَاصَّة الولايات المُتَّحِدَة الأمريكيَّة وإسرائيل، كونه يفضح دورهما في تمويل صفقات الأسلحة الَّتِي تَتِمُّ في المنطقة بدءاً من أفغانستان ومروراً بإيران والعراق وانتهاءً بأوروبا، عبر المافيا التُّركِيَّة الَّتِي تَتَلَقَّى دعمها المباشر من هاتين الدولتين. وتشير بعض المصادر إلى أن العمل يُجَسِّد شخصيَّة حقيقيَّة ألا وهي شخصيَّة "هاكان فيدان"(2) رئيس جهاز المخابرات التُّركِيَّة، والَّذِي يشرف على حرب تركيا ضِدَّ الإرهاب وضِدّ متمردي حزب العمال الكردستاني، وهو مهندس العلاقات الاستخباراتيَّة التُّركِيَّة ويُوصَفُ بأن معه شيفرة فَكّ النِّظَام التُّركِيّ.

1. أحمد مصري، "وادي الذئاب" دراما تركية عكست واقعاً معاصراً، تركيا بوست، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/t5K7S2
2. هاكان فيدان، رئيس الاستخبارات التُّرْكِيَّة منذ 27 مايو 2010م، وهو أصغر شخص تَوَلَّى منصب رئاسة الاستخبارات التُّرْكِيَّة ؛ حيث كان عمره آنذاك 42 عاماً. من مواليد عام 1968 بأنقرة، درس في الأكاديميَّة الحربيَّة التابعة للقُوَّات البريَّة التُّرْكِيَّة وتخرّج منها عام 1986م، وحصل على درجة الماجستير في العلاقات الدَوْلِيَّة من جامعة بيلكنت التُّرْكِيَّة عام 1999م. للمزيد يُنْظَر: من هو "هاكان فيدان" الثعلب التُّرْكِيّ الذي أفشل الانقلاب؟، تركيا بوست، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة: 14 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/eLBXvp

ويُعْتَبَر "فيدان" رجل أردوغان القويّ وكاتم أسراره، والَّذِي يعزّز من هذا الرأي أن إسرائيل تَعْتَبِر فيدان أَلَدّ أعدائها، وانزعجت كثيراً لوجوده على رأس جهاز المخابرات التُّركِيَّة.

وجاء اختيار الشركة الَّتِي قامت بدبلجة العمل إلى اللَّهْجَة السُّورِيَّة: لـ (وادي الذئاب) بسبب أهَمِّيَّة العمل وتميّزه من حيث المواضيع وهو عكس الأعمال الأخرى الَّتِي تركّز على الحُبّ والقصص الاجْتِمَاعِيَّة".(1)
كما أن الأفكار الَّتِي يطرحها العمل والَّتِي قد تبدو قاسية على المُشاهِد، ولكنّها تَهُمّه جداً؛ لأنها تَتَحَدَّثُ عن واقعه؛ لأن المافيا هي وسيط في كُلّ حروب المنطقة بما في ذلك إيران وأفغانستان، كما يُلْقِي المسلسل الضوء على دور الولايات المُتَّحِدَة وإسرائيل في هذه الحروب؛ لذا جاء حجم المشاهدة الجماهيريَّة كبيراً للعمل(2).

ويرى النقاد أن النجاح الكبير الَّذِي حقّقه مسلسل "وادي الذئاب" على صعيد المشاهدة، وخَاصَّة بين الشباب يعود لكونه "يَتَحَدَّثُ بشكلٍ ميلودرامي عن عالم المافيا، ويحوي جرعة من العنف لا نراها عادة في مسلسلاتنا، ونستطيع أن نلمس الجَاذِبِيَّة الكبيرة لمُمَثِّلِيهِ الأشرار والطيِّبَيِّن لدى عدد كبير من الشباب". ومِنْ ثَمَّ فإن هذا العمل يختلف كُلِّيَاً عن كافَّة المسلسلات التُّرْكِيَّة الَّتِي عُرِضَتْ سابقاً على الشاشات العَرَبِيَّة، والَّتِي كانت قِصَّة الحُبِّ هي القاطرة الَّتِي تشدُّ العمل، بينما نجد أن صراع العصابات فيما بينها هو الَّذِي يشد الناس في هذا العمل".(3)

1. حسن سلمان، "وادي الذئاب: المافيا وسيط في كل حروب الشرق الأوسط"، ميدل أيست أونلاين، 8 فبراير 2008م، تاريخ الزيارة 6 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jYKyzd
2. أحمد مصري، "وادي الذئاب" دراما تركيَّة عكست واقعاً معاصراً، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: http: //www.turkey- post.net/p- 96727/
3. حسن سلمان، "وادي الذئاب: المافيا وسيط في كل حروب الشرق الأوسط"، المرجع السابق.

وفيـــما يدلّ على واقعيَّة المسلســـل ومجاراته الأحداث، تناولـــت إحدى حلقاته في الجزء العاشر، قضيَّة اللَّاجئين السُّـــورِيِّينَ وتغريبهم بحراً ونشاط المافيات التُّركِيَّة في الاتّجـــار بهم، ففي الحلقة 266 من هذا الجزء تقـــوم إحدى المافيات باحتجاز قـــارب ممتلئ باللَّاجئين بعد إطلاق النار عليهم وقتل أحدهم. وفي المخزن الَّذِي يَتِمّ احتجازهم فيه تَتَكَشَّفُ خيوط المؤامرة ضِدَّ اللَّاجئين، وأن تخويفهم ومِنْ ثَمَّ إنقاذهم لم يكن ســـوى لعبة خبيثة لإدخال الطمأنينة إليهم وإشغالهم عما يُحاك ضِدَّهُمْ(1)؛ حيث تُعِيد الحلقة إلى الأذهان المآسي الَّتِي يلاقيها اللَّاجئون السُّوريُّونَ، ولا سِيَّمَا من يريدون الهجرة إلى أوروبا.

وسبق أن تطرّق مسلسل "وادي الذئاب" إلى الثورة السُّورِيَّة على نظام الأسد في أحد أجزائه؛ حيث ظهر بطل المسلســـل "مراد علمدار" في أحد المشاهد وهو يقوم بإيصال السلاح لكتيبة تابعة للجيش الحُرّ فيما بدا علم الثورة السوريَّة خلفهما.

ســـاهم المسلســـل في تعميق الأزمة بين تركيا والكيان الصُّهْيُونيّ، لأن المسلسل ألقى الضوء وبشـــكل كبير وصادم لم يكن يتوقّعه المشاهد على الجرائم الإسرائيليَّة الكبيرة والَّتِي تَعَدَّتْ حدود فلسطين لتشمل العالم بأسره.
وســـبق أن اســـتدعى نائب وزير الخَارجِيَّة الإسرائيلي الســـفير التُّركِيّ في إسرائيل للاحتجاج على مسلســـل تركي يُصوِّر اليهود على أنَّهُمْ يخطفون الأطفال، ويرتكبون جرائم حرب، وهذه المَرَّة الثانية الَّتِي تعترض فيها إسرائيل على مسلسل تركي.(2)
وجاء في بيان الخَارجِيَّة حينها "نحتجُّ باســـم الحكومة الإسرائيليَّة على مشـــاهد من هذا المسلسل التُّرْكِيّ تُظْهِر إسرائيل واليهود على أنهم خاطفو أطفال ومجرمو حرب"،

1. أحمد مصري، "وادي الذئاب" دراما تركية عكست واقعاً معاصراً، تركيا بوست، مرجع سابق.
2. أحمد مصري، "وادي الذئاب" دراما تركية عكست واقعاً معاصراً، المرجع السابق.

مضيفاً "هذا أمر غير مقبول ويُهَدِّد حياة اليهود في تركيا ويُهَدِّد العلاقات الثُّنَائِيَّة".(1) جديرٌ بالذكر أن فيلم "وادي الذئاب فلسطين" الَّذِي أُنتج في عام 2011م تناول مهاجمة إسرائيل للسفينة مرمرة. والفيلم من تمثيل أبطال مسلسل وادي الذئاب نجاتي شاشماز، غوركان اويغون، كنان جوبان. وتدور أحداث الفيلم حول صراع أبطال وادي الذئاب مع الجيش الإسرائيلي في القدس، بعد أن قامت القُوَّات الإسرائيليَّة بقتل 9 نشطاء سلام أتراك على مَتْن السفينة مرمرة، الَّتِي كانت في طريقها إلى قطاع غَزَّة للتضامن ولِفَكِّ الحصار الإسرائيليّ عن أهالي القطاع.

اتِّهَامات بدعم الحكومة للمسلسل:

لم يَنْجُ المسلسل وأبطاله من الاتِّهَامات، ففضلاً عن تهديدات الكيان الصُّهْيُونيّ لأبطال المسلسل، انتشرت مُؤَخَّراً اتِّهَامات أن المسلسل مدعوم من الدَّوْلَة ومُحَقِّق لأهداف النِّظَام الحاكم، وقد ألمح البعض أن نجاتي شاشماز تَجْمَعُهُ علاقة طيِّبَة برئيس الجُمهورِيَّة التُّركِيَّة السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان؛ حيث شوهدا معاً مَرَّات عِدَّة في العديد من المناسبات، كما اجتمع السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان أكثر من مرة بنجاتي شاشماز وقت أن كان أردوغان رئيساً للحكومة التُّركِيَّة.

ويرى البعض أن هذه الاتِّهَامات لم تأتِ بدليل واضح، وأن كَوْن المسلسل يخدم الدَّوْلَة ليس دليلاً على دعم الدَّوْلَة له؛ حيث إن المسلسل حقَّق إيرادات كبيرة ولا يحتاج لدعم من أيِّ نوعٍ، كما أنه لا توجد مشكلة في توافق المسلسل مع إرادة الدَّوْلَة طالما أنه في النهاية يصُبُّ في مصلحة الوطن.

1. "مسلسل تركي جديد يثير أزمة مع إسرائيل"، إم بي سي. نت، 12 يناير 2010م، تاريخ الزيارة 6 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/b7Dmiz

ثالثاً: مسلسل السلطان عبدالحميد الثاني:

المسلسل التُّرْكِيّ "عبدالحميد الثاني" أَحْدَثَ ضَجّة كبيرة عَالَمِيَّة وأرقاماً قياسيَّة كبيرة على مستوى الوطن العربي، وحَظِيَ بأرقام مشاهدة عالية جِدّاً على مستوى تركيا؛ حيث وصل إلى 20 مليون مشاهدة، ويتابع المسلسل عدد كبير من الجمهور في تركيا وخارجها(1). فقد حَقَّقَ المسلسل عشرين مليون مُشَاهَدَةً داخل تركيا في أولى حلقاته، وتدريجيّاً أصبح المسلسل الأشهر في تركيا في غُضُون تِسْع حلقات فقط، ومن تركيا إلى العالم أجمع حيث سيَتِمّ عَرْضُهُ على عِدَّة قنوات عَالَمِيَّة في الفترة المقبلة(2)، وعلى الصعيد الأُورُوبيّ حقَّقت الحلقة الأُولَى من المسلسل ثاني أعلى نسبة مشاهدة في دول الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ(3).

تفاصيل مسلسل عبدالحميد الثاني:

تدور أحداث المسلسل حول فترة حكم السلطان عبدالحميد الثاني(4) والَّتِي استمَرَّتْ مُدَّة لا تَقِلُّ عن ثلاثة وثلاثين عاماً؛ حيث تدور أحداث مسلسل عبدالحميد الثاني في آخر ثلاثة عشر عاماً من تلك الفترة؛ حيث قَدّم المسلسل التفاصيل الكاملة حول حياة السلطان عبدالحميد الثاني منذ ولادته حتى وفاته، ويُقَدِّم المسلسل خلال حلقاته الأُولَى عمّا قام به السلطان عبدالحميد الثاني من أجل الحفاظ على السلطنة.

1. مسلسل "عاصمة عبدالحميد" يحصد ملايين المشاهدات، دايلي صباح، 26 مايو 2017، تاريخ الزيارة: 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4mxxsD
2. المسلسل التُّرْكِيّ "عبدالحميد".. أرقام قياسِيَّة وإقبال عالميّ، الجزيرة نت، 2 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YRRsDV
3. مسلسل "العاصمة، عبدالحميد" سينفتح على أوروبا، تي آر تي العَرَبِيَّة، 2 مارس 2017، تاريخ الزيارة: 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hfZV6A
4. السلطان عبدالحميد الثاني هو السلطان الرابع والثلاثون من حُكَّام الدولة العُثْمَانِيّة، والسادس والعشرون من سلاطين آل عثمان الذين جمعوا بين الخلافة والسلطنة. تَوَلَّى الحُكْم خلال الفترة من 1876- 1909م، ثم وُضِعَ تحت الإقامة الجبريَّة حتى تُوُفيِّ في فبراير 1918م. للمزيد يُنْظَر: علي محمد الصلابي، السلطان عبدالحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسْلاَمِيَّة وأسباب زوال الخلافة العُثْمَانِيّة، المكتبة العصريَّة، الطبعة الأولى، 2010م.

والجدير بالذِّكْر أنَّ حلقات المسلسل بَيَّنَت كيف رفض السلطان عبدالحميد الثاني بَيْعَ أرض فلسطين لليهود في تلك الفترة، وتَعْرِض إحدى حلقات المسلسل أيضاً حواراً دارَ مع مؤسِّس الحركـــة الصُّهْيُونِيّة (ثيودور هرتزل) (1)، كما يَعْرِض المسلســـل أيضاً في إحدى حلقاته محاولة اغتيال فاشلة للسلطان عبدالحميد الثاني على يَدِ رَجُلٍ يهوديٍّ يحمل نجمة اليهود. ويَعْرِضُ المسلسل أيضاً محاولة هرتزل في خِدَاع السلطنة بأَن يحاول تهريب مجموعة من اليهود داخل قطار كانَ مُعَدّاً لنقل الحُجَّاج إلى مَكَّة المكرمة، اســـتَخْدَمَهُ هرتزل لتوطين اليهود بين النيل والفرات كما تقول النبوءة.

ويؤرِّخ المسلسل للفترة التَّارِيخِيَّة من سنة 1896 وحتي 1909م؛ حيث يوثِّق تطوُّر الأحداث داخل الدَّوْلَة العُثْمَانيَّة خلال آخر فترة حكم الســـلطان عبدالحميد الثاني؛ حيث يَتَطَرَّق المسلسل لمرحلة هبوط الدَّوْلَة العُثْمَانيَّة، ثم مُعَاوَدَة صعودها بعد الإنجازات الضخمة الَّتِي حقَّقها السلطان في مختلف المجالات من بينها المجال العَسْكَرِيّ والصِّحِّيّ والتَّعْلِيمِيّ. (2)

نجوم مسلسل عبدالحميد الثاني:

يُقَدِّمُ دور وبطولة المسلســـل الفنان التُّرْكِيّ "بولانت أينال"(3)، المعروف باسم يحيى، والَّذِي قَدَّمَ دوراً كبيراً في مسلســـل سنوات الضياع، والَّذِي حظي بإعجاب كبير في

1. الصهيونية حركة سِيَاسِـيّة عالميَّة ظهرت أواخر القرن التاسـع عشر الميلادي داخل التَّجَمُّعَات اليهوديَّة في وسـط وشرق أوروبـا، تقوم على فكرة إنشـاء دولة يهوديَّة على أرض الميعاد؛ فلسـطين، وفق المعتقـدات التلموديَّة. وقد ارتبطـت نشـأة الحركة الصهيونيَّة بالكاتب والصحفـيّ تيودور بنيامين زئيف هرتزل، المولود في بودابسـت عام 1860م، من خلال كتابه "الدولة اليهوديَّة" الذي صدر في عام 1896م، والذي تمحورت أفكاره حول كيفيَّة تهجير اليهود إلى فلسـطين، والتعبئة عَالَمِيّاً من أجل ما أسـماه "القضيَّة اليهوديَّة". للمزيد يُنْظَر: صبري جريس، تاريخ الصهيونية 1862- 1948م، مركز أبحاث مُنَظَّمَة التحرير الفلسطينيَّة، رام الله، الطبعة الثَّانِيَة، 2015م.
2. بسـمة جابر، مسلسـل السلطان عبدالحميد الثاني قصة المسلسـل وأبطاله وأسباب إثارته للجدل"، نجوم مصريَّة، 9 يوليو 2017م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: cutt.us/KFBpg
3. مُمَثِّل تُرْكِيّ مواليد من مواليد عام 1973م، ببلدة أورفا لأُمٍّ مُمَرِّضَة وأبٍ يعمل في البريد، بدأ دراسته الجامعية في مجال الأدب قبل أن يَتَّجِه لدارسـة التمثيل ويَنْضَمُّ إلى فرقة فَنِّيَّة معروفة في إسـطنبول. من أبرز أعماله، إلى جانب مسلسـل السلطان عبدالحميد، رجل بلا قلب، الحبّ والحرب، وسنوات الضياع. للمزيد يُنْظَر: "بولنت إينال"، السينما. كوم، د. ت، تاريخ الزيارة: 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/7VfHYu

الوطن العَرَبِيّ وتركيا، وقد أعرب عن سعادته الكبيرة في تقديمه الدور في المسلسل، وعن تقديمه مضمون الشَّخْصِيَّة مع أنَّ هناك اختلافاً في الشكل.

سبب غضب إسرائيل من مسلسل السلطان عبدالحميد الثاني:

ونظـــراً لنجاح المسلســـل الكبير طالبت عدد من الدول بعرضـــه لديها، وهو ما أثار حفيظة إسرائيل؛ حيث يُبْرِزُ المسلســـل موقف السلطان عبدالحميد الثاني من الحركة الصُّهْيُونِيَّة منذ بدايتها، وكيف أنَّه رفض دخولهم إلى فلســـطين، وأصدر العديد من القرارات الَّتِي تمنعهم من شراء أراضٍ في فلسطين.
وقد عَلَّقَ اليهود الَّذِين شـــاهدوا المسلســـل بأنه مليء بالأكاذيب، وأنه معادٍ للسامية وطالبوا تركيا بوقف عرضه، غير أنه من المنتظر أن يَتِمَّ ترجمة المسلســـل للعديد من اللُّغَات وعرضه في العديد من الدول أيضاً بعد أن طلبت عِدَّة قنوات عَالَمِيَّة حَقّ عرض المسلســـل، وقد ذكرت إدارة إنتاج المسلســـل أنها قنوات في البلقان وأمريكا اللاتينيَّة والشرق الأوسط وألبانيا وقطر.(1)

يمكن للفنّ أن يكون رساليّاً:

من خلال نظرة شـــاملة إلى بعض الأعمال الفَنِّيَّة التُّرْكِيَّة المُتَمَيِّزَة تنبئ بأنها لم تكن عفويَّة بل مُوَجَّهَة بذكاء ومهارة لتُؤَكِّدَ رســـالة المشروع الَّذِي يَتَبَنَّاه النِّظَام السِّيَاسِيّ الحالي في تركيا، وتصوراته المعلنة وغير المعلنة، وأهدافه البعيدة، ولتســـاعد العَامَّة على اعتناقها بقناعة بعد أن تنطبع في نفوسهم بِفِعْلِ سطوة التَّأْثِير الَّذِي تُحْدِثُه تلك الأعمالُ الدراميَّة، بدايةً بسلسلة (وادي الذئاب) مروراً بـ(قيامة أرطغرل) وصولاً إلى المسلســـل الجديد الَّذِي يروي سيرة السلطان عبدالحميد؛ حيث تَتَجَلَّى فيه معانٍ في

1. بسمة جابر، مسلسل السلطان عبدالحميد الثاني قِصَّة المسلسل وأبطاله وأسباب إثارته للجدل"، مرجع سابق.

غاية الوضوح حول مفهوم الأُمَّة الواحدة، ورســـاليَّة الإسلام، إضافة إلى قِيَم العدالة والشجاعة وتجرُّد الحاكم ونزاهته، وتأكيد مسألة التآمر الغَرْبِيّ على مشروع الخلافة الإِسْلَامِيَّة، وغير ذلك.

ولا شَكَّ أن الرسالة الَّتِي تَحْمِلُهَا هذه الأعمال الملحميَّة تتجاوز حاجة منتجيها لتقديم صورة أخرى عن الفَنّ التُّرْكِيّ مُغَايِرَة لما أَلِفَهُ العرب في الســـنوات الأخيرة، وتحديداً منذ أن غَزَتْ شاشـــاتهم المسلسلات المدبلجة، والَّتِي كانت الفضائيات العَرَبِيَّة تَتَخَيَّرُ أكثرها إثارةً لتُقَدِّمهَا للمواطن العربيّ، فيما نجد هذه الشاشات اليوم تتجاهل الأعمال المذكورة أعلاه رغم أنها مُتَابَعَةً بِشِـــدَّةٍ في الأوســـاط العَرَبِيَّة عبر الإنترنت، فبعَد أن غدا مفهوم (المسلســـلات التُّرْكِيَّة) يُتَّخَذ مثلاً للابتذال والغُثَائِيَّة، نجده اليوم (داخل الأوســـاط العَرَبِيَّة) يُوشِـــك أن يحمل مفهوماً مختلفاً بعد اشتهار عددٍ من الأعمال التَّارِيخِيَّة المُتَمَيِّزَة كأرطغرل والسلطان عبدالحميد. (1)

وبالعودة إلى الرسالة العميقة الَّتِي تجتهد تلك الأعمال في إيصالها إلى المُتَلَقِّي سنجد أنها ذكيَّة وناجحة، فها هنا نمط من الفَنّ الرِّســـاليّ يتحَرَّى الجودة الفَنِّيَّة والإنتَاجيَّة والإخراجيَّة أولاً ولا يُعَبِّر عن نفسه بسطحيَّة وجمود وركاكة، وهو ما يُشَكِّكُ في صِحَّة الاعتقاد بأنَّ الفَنّ يَفْقِد جماليته إذا كان رساليّاً أو موجّها أو يدافع عن قِيَمٍ سَامِيَةٍ. فحين تجتمع لهذا الفَنّ عناصر الجودة والبراعة وحسن تمرير رسائله وقِيمَه بمهارةٍ وذكاءٍ، من الطبيعي أن يُفْرز تأثيراً واسعاً وأن يُثْني جمهوره عن متابعة الفَنّ الرديء والمُبْتَذَل، بل أن يصبح مســـاهماً أَسَاسِـــيّاً في صياغة وعي المجتمع وإكسابه مفاهيم

1. لمـى خاطـر، "بـل يمكن للفنّ أن يكون رســاليّاً". مدونات الجزيـرة، 5 أبريل 2017م، متاح عـلى الرابط التالي: goo.gl/17qd9A

جديـــدة حول القضايا الَّتِي يَهْتَمُّ منتجو العمـــل أن يَتَبَنَّاها ويَعْتَنِقُها، وَلَعَلَّ من المفيد الاستشـــهاد هنا بحادثة (الانقلاب الفاشل) الَّتِي وردت في مسلسل أرطغرل في جزئه الأَوَّل، ثم رأيناها تَتَجَسَّد واقعاً بعد العرض بنحو شهرين في حادثة حقيقيَّة في تركيا، ساهم الشعب خلالها في إفشال الانقلاب.

وهـــذا ما يحيلنا إلى قضيَّة أخرى، وهي أن هذه الأعمال لم تُنتَج لكي تروي تاريخاً مُغَيَّباً عن أذهان العرب والأتراك فحســـب، بل لعل هذا يُمَثِّل آخر أولويات منتجيها، لكنها كُتبت بروح معاصرة، بدليل حشـــد المفاهيـــم والدلالات العصريَّة فيها وهو ما يَتَجَلَّى عبر الحوارات والأحداث فيها، وباســـتحضار عديد الانتقادات حول عدم دِقَّة أحداثها التَّارِيخِيَّة، ســـنجد أنها انتقادات هامشيَّة الجدوى؛ لأن التعرّف إلى التاريخ يُطلَب من مَرَاجِعِه ومصنَّفاته المُوَثَّقَة، وليس من الأعمال الدراميَّة الَّتِي تَتَّخِذُ التاريخ ظِلَالاً أو هامِشاً لتقديم عَمَلٍ فَنِّيّ مُحْكَم يَلزمه احتشاد عناصر عديدة لإنجاحه، ومن بينها شَـــطْرٌ من الخيال، وحُسْن عرض الأحداث وإدارة تَطَوُّرها، والَّذِي قد لا يتوافق بالضرورة مع تَطَوُّرَات الحدث التَارِيخِيّ الأصلي.

يقول الروائي الراحل عبدالرحمن منيف(1) حول الرواية التَّارِيخِيَّة، وهو كلام ينطبق أيضاً على الدِّرَامَـــا التَّارِيخِيَّة: "إنَّ الرواية التَّارِيخِيَّة تعتمد على مادة تَارِيخِيَّة لكنها ليســـت التاريخ ذاته، كما أنها ليســـت بديلاً عنه، فهي بمقدار اعتمادها على التاريخ

1. عبدالرحمـــن المنيـــف، أحد أهمّ الروائيِّينَ العرب في القرن العشريـــن، وُلِدَ في عمان بالأردن عام 1933م من أبٍ ســـعوديّ وأم عراقيَّة. حصل على الشـــهادة الثانويَّة العامة من الأردن، ثم انتقل إلى بغداد ليتَخَرَّجَ في كليَّة الحقوق عام 1952م. من أشـــهر رواياته "مُدُن الملح" التي تحكي قصة اكتشـــاف النفط في السُّـــعُودِيَّة، ورواية شرق المتوســـط التي تحكي قَصَص المخابرات العَرَبِيَّة وتعذيب الســـجون. تُوُفِّيَ بالمملكة العَرَبِيَّة السُّـــعُودِيَّة عام 2004م. للمزيد يُنْظَر: عبدالرحمن منيف، أبجد، د. ت، تاريخ الزيارة: 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ouVnq9

فإنها لا تُكَرِّرُه، سواءً كسياق زمني أو كوقائع. إنها تسير بموازاة التاريخ، تتقاطع معه، لكنها في النتيجة ليست هي التاريخ المتعارف عليه، إن الرواية التَّارِيخِيَّة، في جانب منها، تتعامل مع الأحداث والأزمنة والأشخاص الواقعيِّينَ الَّذِينَ كانوا، لكن بمنظور جديد ومختلف، دون أن يعني ذلك تغيير الوقائع الفِعْلِيَّة، أي أنها تختار من التاريخ واقعة أو مجموعة من الوقائع، تَعْتَبِرُهَا ذات مغزًى وأكثر أهَمِّيَّة، كما أن من حَقِّ الروائيّ، إذا دعت الضرورة، أن يستعير من التاريخ والأسطورة والخيال ما يَعْتَبِرُهُ مفيداً لعمله، وأن يُعيد توظيفه بحيث يخدم أغراضاً أو أهدافاً يراها أَجْدَر من مُجَرَّد تصوير هذه الشخصيات أو الحالات كما هي في الواقع فعلا".(1)

بقي أن نطرح بمرارة تساؤلاً مُتَوَقَّعاً وبَدَهِيّاً حول الدِّرَامَا العَرَبِيَّة الَّتِي لم تقدّم، على مَرّ تاريخها، لمواطنيها عملاً فَنِّيّاً مَلْحَمِيّاً ذا رسالة أو يخدم غايات ساميَّة، ربما باستثناء فيلم الرسالة، وبعض الأعمال الدراميَّة الفريدة على غرار مسلسل التغريبة الفلسطينية(2)، رغم كثافة ما في تاريخ المسلمين العرب من أحداث كبرى وحاسمة وعظيمة تستحقّ أن تُعاد إلى دائرة الضوء لتكون مُلْهِمَة ومُحَفِّزَة للتغيير. لكن الحال أننا رُزقنا بأنظمة تناوئ التغيير لأنها تراه عَدُوَّها الأَوَّل، وتجتهد في إغلاق كُلّ منافذ استنهاض الأُمَّة، ولا بُدَّ أن يُفْرِزَ نَهجها هذا رداءة على جميع المستويات، بل أن تَتَسَرَّبَ الرداءة إلى المزاج العام، وتُطَبِّعُهُ بسلبيّتها وجمودها وتراجعها(3) .

---

1. للمزيد حول أفكار الروائي عبدالرحمن منيف يُنْظَر:
   - صالح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبدالرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2003م.
   - مجموعة مؤلفين، عبدالرحمن منيف، المُؤَسَّسَة العَرَبِيَّة للدراسات والنشر، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2008م.
2. مسلسل تلفزيونيّ شهير من إنتاج شركة سوريا الدَوْلِيَّة للإنتاج الفني، لعام 2004م، تَمَّ تصوير المسلسل بالكامل في سوريا، من أهم الأعمال الدراميَّة التي تناولت القضيَّة الفلسطينيَّة؛ حيث تدور أحداثه حول معاناة أسرة فلسطينيَّة فقيرة في زمن الاحتلال البريطانيّ، ثم مذابح عصابات الاستيطان الصهيونيَّة ما بين ثلاثينيَّات وستينيَّات القرن الماضي. للمزيد يُنْظَر: 7 مسلسلات عَرَبِيَّة تحدثت عن القضية الفلسطينيَّة، ساسة بوست، 17 مايو 2016م، تاريخ الزيارة: 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YneygG
3. لمى خاطر، "بل يمكن للفنّ أن يكون رساليّاً". مدونات الجزيرة، 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/17qd9A

تلـــك كانت رحلة سريعة في أبرز ثلاثة أعـــمال دراميَّة تُرْكِيَّة في الآونة الأخيرة الَّتِي أَثَّرَتْ تأثيراً كبيراً، وانتشرت انتشــاراً ضخماً، وكان لها دور في تصحيح المفاهيم عبر الأدوات الفَنِّيَّة المُتَمَيِّزَة.

لقد شهدت الدِّرَامَا التُّرْكِيَّة مُؤَخَّراً أعمالاً فَنِّيَّة أفرزت ثراءً فنياً، وأعطت فرصة لمواهب عديدة كما أفــرزت تيَّارات من الدِّرَامَا المُتَمَيِّزَة الَّتِي تعيد قراءة التاريخ السِّـــيَاسِيّ والاجْتِمَاعِيّ المعاصر، ولذلك تُعَدُّ صناعة المسلســلات التُّرْكِيَّة، واحدة من أبرز قصص النجاح في السنوات الماضِيَة، حين تَمَكَّنَتْ من الصُّعُود بسرعة خارقة لتَحْتَلّ صادراتها المرتبة الثانية بعد المسلسلات الأمْرِيكِيَّة، وتَحْتَلّ مكاناً مُتَمَيِّزاً في معظم أنحاء العالم.

وكخلاصةٍ لما ورد ســابقاً في هذا الفصل، فمن منطلق أن السِّـــيَاحَة تُمَثِّل "مجموع العلاقات والحقائق الَّتِي تُشَكِّلُهَا وضعيَّة انتقال وإقامة الأشخاص خارج مَقَرّ إقامتهم المعتاد، من منطلق أن التنقل والإقامة المذكورين لا يُحَفِّزهُمَا أيّ نشـــاط رِبْحِيّ نَفْعِيّ كيفـــما كان. وبما أن بلدان الحوض المتوســطي ما فتؤوا يحاولـــون إعادة التوازن إلى ســـياحتهم على مدار العقود الأخيرة، والَّتِي وصلـــت إلى مرحلة الاختناق، فإن تركيا تُقَدِّمُ خدمةً ســـيَاحِيَّة مُتَمَيِّزَة على صورة ماضيها الكلاســـيكي التَارِيخِيّ المجيد وحاضرهـــا الحداثيّ الراقيّ، الَّذِي يتوغل إلى الداخـــل الحَضَارِيّ والطبيعي، بدل الاعتماد على السِّيَاحَة الساحليَّة الموسميَّة المحدودة، على نموذج "الكوت دازور Côte d'Azur" وباقي "الريفييرات" الفرنسيَّة والإسبانيَّة المشهورة، الَّتِي لم تصمد أمام تَغَيُّر الاهتمامات السيَاحِيَّة ونقاط الجذب الاجْتِمَاعِيَّة، وكذا الأحداث الإرهَابِيَّة الأخيرة.

أما فيما يَخُصّ الســـينما كنموذج معبرّ عن تقـــدُّم الفنون التُّرْكِيَّة الجميلة، بخزانتها الغنيَّة على فترة ما يقرب الـ100 ســـنة من تاريخ الســـينما في تركيا(1)، فإنَّ محاولة

1. مجاهد آي ديمير، "نظرة عامة على تاريخ السينما التُّرْكِيَّة "، ترك برس، 21 أغسطس 2015م، تاريخ الزيارة: 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Lh8Kfe

الابتعاد عن ما يســـمى "فنّ الدَّوْلَة"، على صـــورة تَوَجُّهَاتها وأيديولوجيّتها وقبضتها الحديديَّة كما في الأنظمة الشـــموليَّة، لم يَتَحَقَّقْ هذه المَرَّة ليس بسبب عامل الإغراء المَادِّيّ (الدعم المالي)، ولكن لأسباب الشعور الوَطَنِيّ القوي والاعتزاز بالهُويَّة القَوْمِيَّة والفخر بالأمجاد التَّارِيخِيَّة والإنجازات الحديثة، الَّتِي نمَّاها توجُّه ومنجزات حكومة العدالة والتَّنْمِيَة منذ صعودها إلى السُّلْطَة.

وتحليلنا للســـياحة التُّركِيَّة ومعها المحاور الفَنِّيَّة لبلاد الأتراك، بَيَّنَ بما لا يدع الشَّكّ أن المُكَوِّنَيْنِ الأَسَاسِـــيَّيْنِ معاً، ضمن مصادر وفواعل القُوَّة النَّاعِمَة، تُغَذِّيهُمَا العناصر التَّارِيخِيَّة، والفيزيقيَّة، والسِّيَاسِـــيَّة، والاقتِصَادِيَّة، بما يسمح بوصف حالة للفضاءات والنماذج والأشـــخاص في علاقتهم بتَوَجُّهَات وأذواق السُّـــيَّاح، في قَطِيعَةٍ تَامَّةٍ مع تعريف "ســـتاندهال (1) Stendhal" الكلاسيكي الَّذِي لا يتجاوز المسافر الَّذِي يقطع المســـافات عبر البلدان بدافع الفضول والفراغ. وهذا ما يحيلنا على ما يمكن تسميته بنوع رمزي من الدُبْلُوماسِيَّة الثَّقَافِيَّة الَّتِي تزامنت وظهور عَدَدٍ مُعَيَّنٍ من التَوَجُّهَات الجاذبـــة للأفراد والمصالـــح، الَّتِي تصبُّ في هدف التَّفَـــوُّق والهيمنة التُّركِيَّة، عبر الانتشـــار الإِقْلِيمِيّ والعالميّ؛ حيث إنَّ تركيا صنعت لنفســـها بصمةً مميزةً في كافَّة المجالات الاقتِصَادِيَّة والثَّقَافِيَّة، وكلّ شيءٍ يمكن أن يجعل صورتها لدى المُتَلَقِّي العَرَبِيّ والعَالَمِيّ إيجَابِيَّة للغاية، مما دفَع بالكثيرين إلى التعاطف مع تركيا في وقت الأزمات الَّتِي مَرَّتْ بها، والتفاعل معها في النجاحات والانتصارات.

وختاماً، فالترويج والتَّسويق السِّيَاحِيّ والفَنِّيّ هو ما يُشَكِّلُ ملامح وأُسُس القُوَّة الكبرى النَّاعِمَة لتركيا، خصوصاً في العَقْدَيْنِ الأخيرَيْنِ. وفي علاقة جَدَلِيَّة، هذه القُوَّة تَتَمَثَّل في اســـتغلال أو

1. روائيّ فرنسي، اسمه الحقيقي ماري هنري بيل (1783 -1842) Marie Henri Beyle، كان يكتب باسم مستعار هو ستاندهال، يُعتبر أحد أبرز وجوه الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر. للمزيد يُنْظَر:
Stendhal, Encyclopedia Britannica, available at: goo.gl/nXn8Pc

توظيف الفَنّ في خدمة السِّـــيَاحَة، خاصَّة الدِّرَامَا والسينما، والعكس صحيح. والكُلّ في خدمة الاقتصاد الَّذِي بدوره أداة للهيمنة وتحقيق الزعامة الإِقْلِيمِيَّة كخطوة أولى نحو العَالَمِيَّة.

وفيما يشبه الغزو الثَّقَافِيّ، فقد تَسَلَّلَتْ القِيَم والرؤية الجماليَّة لعالمنا العربيّ. خصوصاً ما يسمى الدِّرَامَا التُّركِيَّة المُدَبْلَجَة إلى اللغة العَرَبِيَّة، أو اللَّهَجَات المَحَلِّيَّة، "لدرجة أنها شَكَّلَتْ قُوَّة جديدة للتَّسْوِيق والتَّرْوِيج السِّيَاحِيّ لتركيا في العالم العَرَبِيّ بشكل واضح جداً"(1) . ويبدو أن مبادرات ومُخَطَّطـــات تركيا لتجاوز مأزق القُوَّة النَّاعِمَة نحو القُوَّة الذَّكِيَّة سَتُسْـــفِرُ لا محالةَ عن مفاجآت ودروس في كَيْفِيَّة تحويل النَّكْسَة إلى نهضة جديدة، لذا نجد مُؤَرِّخاً وسِيَاسِيّاً فرنسيّاً، من طينة ألبير سورل(2) Albert Sorel، الَّذِي اعتُبِرَ حُجَّـــةً في التاريخ الدُّبْلُوماسِيّ، يقول عن تركيا: "هناك قطبان غامضان في العالم؛ أحدهما القطبين الجنوبي والشمالي معاً، أما الثاني فهو الأتراك وقادتهم"!.(3)

لقد اســـتطاعت المسلسلات التُّركِيَّة أن تستقطب اهتمامَ شريحةٍ واسعةٍ من الجمهور العـــربي، بتقديمها حزمة أفكار وعادات وتقاليد تركيَّة، بالإضافة إلى صورة واضحة ومُعَبِّرَة عن الرخاء الاقتِصَادِيّ، وهو ما ساهَم في ترسيخ صورة تركيا القَوِيَّة باقتصادها والجاذبة بثقافتها، الأمر الَّذِي يحتِّم التعاون معها والاقتداءَ بها كنموذج ناجح وقريب من الذهنيَّة والعوائد العَرَبِيَّة الإِسْلاَمِيَّة(4).

1. مصطفى النجار، "تركيا.. كيف نجحت في توظيف الفنّ لتنشيط السياحة؟"، صحيفة الأهرام، 12 أبريل 2012م، تاريخ الزيارة: 6 يوليو 2017، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hTmGFU
2. مُؤَرِّخ ودبلوماسيّ فرنسيّ، عاش خلال الفترة (1842- 1906م)، من أشهر مُؤَلَّفَاته؛ "أوروبا والثورة الفرنسيَّة"، في ثمانية أجزاء، التي أَثَّرَتْ بشــكل عميق في تفســير الثورة الفرنســيَّة وتأثيرها على الصعيد الأوروبي. للمزيد يُنْظَر: Albert Sorel, Encyclopedia of World Biography, available at: goo.gl/LXLZJ2
3. "أقوال مأثورة عن الأتراك"، ترك برس، د. ت، تاريخ الزيارة 6 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/gNKkUE
4. من خلال أشــهر القنوات العَرَبِيَّة، كقناة MBC السُّــعُودِيَّة التي لها جمهور واسع في أكثر من 22 دولة عَرَبِيَّة، المُتَتَبِّع للعديد من الأعمال الفنيَّة الناجحة مثل "نور"، و"القرن العظيم"، و"ســنوات الضياع"، انظر: مقال تالا حلاوة، المسلســلات التُّرْكِيَّة وحالة الاختراق، جدليَّة، 29 يونيو 2013م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/K9mWxR

الفصل الثامن

الاقتصاد في قاطرة القُوَّة التُّركِيَّة النَّاعِمَة

- مقدمة
- **المبحث الأَوَّل: الاقتصاد التُرْكيّ.. التَّطَوُّر وأسباب النجاح**
  - أسباب نجاح الاقتصاد التُّرْكِيّ

- **المبحث الثاني: توظيف تركيا القُوَّة النَّاعِمَة في القطاعات الاقتِصَادِيَّة**
  - نموذج العلاقات التُّركِيَّة - المصرية
  - نموذج العلاقات التُّركِيَّة – البوسنيَّة
  - نموذج العلاقات التُّركِيَّة – القَطَرِيَّة
  - القُوَّة النَّاعِمَة.. نموذج جذب وجَاذِبِيَّة تركي
  - القُوَّة النَّاعِمَة.. سياحة الاقتصاد والثقافة
  - تعزيز القُدْرَة التَّنَافُسِيَّة

- **المبحث الثالث: الحماية الاجْتِمَاعِيَّة**
  - الحماية الاجْتِمَاعِيَّة الإِسْلامِيَّة والعُثْمَانِيَّة؛ جذور ضاربة في التاريخ
  - الحماية الاجْتِمَاعِيَّة.. نموذج تركي مشرق
  - التعليم والرعاية الصحية

- **المبحث الرابع: أسباب جَذْب تركيا للاستثمارات الخَارجِيَّة**
  - التسهيلات القَانُونيّة والإِدَارِيَّة للمستثمرين
  - أبرز الإنجازات الاقتِصَادِيَّة التُّركِيَّة
  - تركيا والعلاقة مع مُؤَسَّسَات التمويل الدَّوْلِيَّة

الفصل الثامن

الاقتصاد في قاطرة القُوَّة التُّركِيَّة النَّاعِمَة

في بداية هذا الفصل، ما من مثالٍ يَفْرِضُ نَفْسَه للتَّدْلِيلِ على فَاعِلِيَّة القُوَّة النَّاعِمَة بل وتَفَوُّقها على أُحَادِيَّة وضيق أُفقِ مثيلتها الصَّلْبَة، سوى مُؤَشِّرَات ميزان القُوَى بين السُّلْطَة المَدَنِيَّة ونظيرتها العَسْكَرِيَّة في تركيا، والَّتِي يبدو أنها تميل بصفة نهائيَّة إلى الجانب الأَوَّل المُمَثَّل بالرئيس أردوغان وحكومة العدالة والتَّنْمِيَة. وذلك بعد الدرس الديمقراطي القاسِي الَّذِي تلقَّاه الجانب الثاني من طرف الشعب التُّرْكِيّ، خلال محاولة الانقلاب العَسْكَرِيّ الأخير(1).

ورغم ذلك لا يمكن لِلْقُوَّة النَّاعِمَة وحدها أن تَصْمُدَ دائماً أمام تَحَدِّيَات الواقع، وبالتَّالِي إنشاء تغيير إيجابي فيه، شامل ودائم، ما لم تكن مُدَعَّمَةً بالتَّأْثِير المَادِّيّ الملموس. وطالما أننا لا نتحدَّث عن قُوَّة صلبة مباشرة، مثل التَّدَخُّلَات العَسْكَرِيَّة والحصار أو غيره، فالقاعدة المعروفة تنص على اعتماد ما يُعرَف بسياسة "العصا والجَزَرَة"، بشكل متوازن ومدروس، حتى يكون لها تأثير حقيقيّ ذو أهداف قابلة للتحقيق. فالقُوَّة النَّاعِمَة، بمثابة إعداد لمسرح علاقات بين الدول، ووسيلة لتحفيز وزيادة نسبة الاستعداد للتجاوب، قبل اللجوء إلى خِيَار القُوَّة الصَّلْبَة بطريقة مباشرة(2).

---

1. سيأتي في الفصل التاسع مزيد من التفصيلات الواسعة عن المحاولة الانقلابية وأحداثها ودلالاتها.
2. أمضت تركيا سنوات طوال في تَهْيِيئ علاقاتها مع جيرانها اعتماداً على قُوَّة ناعمة مدروسة وعميقة، ترتكز على مفهوم "صفر مشاكل" مع الجوار والمحيط. وعلى كَافَّة الأصعدة، حقَّقت هذه السِّياسَة نجاحاً لافتاً. لكنَّ بسبب تأثيرات الرَّبيع العربيّ السِّيِّئَة، تَمَّ رَكْنُ هذه السِّياسَة ظَرفِيّاً وبصفةٍ افتراضيَّة لتَحَلّ مَحَلَّهَا تطبيقات القُوَّة الصلبة من تهديد وتدخل وغيره، كما سبق وأسلفنا.

ومن هنا تأتي أهَمِّيَّة هذا الفصل، في كونه يُحَدِّدُ العلاقة بين القُوَّة النَّاعِمَة والاقتصاد التُّرْكيّ؛ إذ تُمَهِّد القُوَّة النَّاعِمَة السَّاحَة لدخولٍ تُرْكِيٍّ قَوِيّ إلى بعض الدول عبر بَوَّابَة الاقتصـــاد، والتعاون الاقتِصَاديّ، وزيادة الاســـتثمارات التُّركِيَّة. وفي المقابل، تمهِّد القُوَّة النَّاعِمَة ساحة الداخل التُّركيّ لمزيد من القرارات الاقتِصَادِيَّة، الَّتِي يتعاون فيها الشعب مع حكومته من أجل حصد ثمارها الطَّيِّبَة[1].
ومـــن خلال صفحات هذا الفصل، نُقَدِّم بعضاً مـــن ملامح تَطَوُّر الاقتصاد التُّرْكيّ، خَاصَّـــةً بعد تَوَلِّي حزب العدالة والتَّنْمِيَة مقاليـــد الحُكْم في تركيا، وهي الفترة الَّتِي شهدت الكثير من ارتفاع مُؤَشِّرَات النُّمُوّ الاقْتِصَادِيّ في عددٍ من المجالات.

كما سَيَتَعَرَّضُ هذا الفصل، لأسباب نجاح الاقتصاد التُّرْكيّ، وكَيْفِيَّة ارتباط ذلك بالقُوَّة النَّاعِمَة وفق النموذج التُّرْكيّ، خاصة على المســـتوى الخَارجِيّ وعلاقات تركيا بالدول الخليجيَّة، ثم الانتقال بعدها إلى طريقة توظيف الدَّوْلَة التُّركِيَّة وحزب العدالة للتَّنْمِيَة لِلْقُـــوَّة النَّاعِمَة في القطاعات الاقتِصَادِيَّة المختلفة. وهو ما ســـاهم في تَطَوُّرٍ كبير للاقتصاد بمختلف مجالاتـــه، خَاصَّةً مع ظروف الربيع العَرَبِيّ الصعبة، الَّتِي طبعت هذا العَقْد بمفاهيم الأزمة، الفوضى، اللايقين واللاستقرار على عِدَّة مستويات.

لقد ارتبطت القُوَّة النَّاعِمَة في تركيا إذن، من خلال عدد من التَوَجُّهَات والتدابير لعل أهَمَّهَا؛ تعزيز القُدْرَة التنافســـيَّة في داخل الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة نفسها، تطبيق العدالة في توزيع الدَّخْل، تكريس مفهوم الحماية الاجْتِمَاعِيَّة لتقليل الهُوَّة بين الفقراء والأغنياء. كما انسحب تأثير القُوَّة النَّاعِمَة في الاقتصاد التركيّ على مجالات التعليم والرعاية

1. ليزلي جيلب Leslie H. Gelb، قواعد القُوَّة، كيف يُنْقِذُ الاتِّفاق الجمعي السياســـة الخَارجِيَّة الأمْريكِيَّة؟ How Common Seen Can Rescue American Foreign Policy "، ترجمة كمال السيد، القَاهرة، مَركَز الأهرام للترجمة والنشر، سبتمبر 2013م، ص 220.

الصحيَّة، مع عرض لكثير من الأرقام المُتَعَلِّقَة بهذا المجال، خصوصاً مسألة علاقة تركيا بالاتِّحَاد الأُورُوبيِّ، وكيف تَسْتَغِلُّ تركيا قُوَّتهَا النَّاعِمَة في محاولة الانضمام لهذا الاتِّحَاد. علاوةً على ذلك يناقش هذا الفصل وسائل جذب الاستثمارات الخَارجيَّة، والتسهيلات القَانُونِيّة والإدَارِيَّة الممنوحة للمستثمرين والرأسمال الوَطَنِيّ والأجنبي، وفي النهاية يستعرض الفصل أبرز الإنجازات التُّركِيَّة في مجال الاقتصاد.

المبحث الأول

الاقتصاد التُّركِيّ.. التَّطَوُّر وأسباب النجاح

بدأت معالم التَّطَوُّر الملحوظ في الاقتصاد التُّركِيّ، منذ عام 2002م، مع تولِّي حزب العدالة والتَّنْمِيَة مقاليد الحُكْم في البلاد؛ حيث طرأ تغيير جَذْرِيّ ليس فقط على صعيد التَوَجُّهَات التكتيكيَّة، بل أيضاً حتى على صعيد السِّيَاسَـــات المُتَّبَعَة في المجال الاقْتِصَـــادِيّ كَكُلٍّ. فهي المَرَّة الأُولَى الَّتي يَصِل فيها حزبٌ ذو رؤية إسْـــلامِيَّة إلى السُّـــلْطَة في تركيا المُتَشَبِّعَة بمبادئ "الكَمَالِيَّة" العَلْمَانِيَّة، وبالتَّالي يعمل على بلورة رؤية مختلفة لإبراز مكانة تركيا ودورها كلاعب رئيس في الســـاحتين الإِقْلِيمِيَّة والدَّوْلِيَّة؛ حيث حدَث تَطَوُّرٌ كبيرٌ في أســـلوب تركيا، وتعاملها مع الدول الأخرى؛ من خلال تَحَوُّلِهَا مـــن الدَّوْلَة الجِسْر بين الشرق والغرب، إلى الدَّوْلَة المَرْكَز الَّتي يجتمـــع بها الشرق والغرب. وقد حاولـــت تركيا تحت حُكْم حزب العدالة والتَّنْمِيَة تجســـيد هذه السِّيَاسَة من خلال مبدأ "القُوَّة النَّاعِمَة" في كُلّ المجالات، ومن بينها المجال الاقتِصَادِيّ.

وعليه، تَأَثَّرَ المجال الاقْتِصَادِيّ في تركيا، ومعها العالم بشكل عام، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م[1]، وما أعقبها من تداعيات جِدّ سَلْبِيَّة؛ حيث مَرَّتْ اقتصادات الكثير من دول العالم بحالةٍ مُقْلِقَة من الرُّكُود، مع تزايد مُعَدَّلاَت البطالة، ومُؤَشِّرَات

1. سلسلة من أربع هجمات إرهابيَّة مُنَسَّقَة قام بها 19 شخصاً من أعضاء تنظيم القاعدة ضِدَّ الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة، باســتخدام 4 طائرات مَدَنِيَّة مخطوفة، اســتهدفت بُرْجَيْ مركز التجارة الدَّوْلِيّ بمانهاتن، ومَقَرّ وزارة الدفاع الأمْرِيكِيَّة؛ البنتاجون، صباح يوم الثلاثاء، 11 سبتمبر 2001م. للمزيد يُنْظَر:
September 11 attacks، Encyclopedia of World Biography, available at: goo.gl/QiuJYp

ضَعْفِ مُعَدَّلاَت التشـــغيل، خاصةً في القطاع الخـــاص، وأيضاً انخفاض معدل النُّمُوّ الاقْتِصَادِيّ إلى نسبة 3% في بعض الدول. وعلى المستوى التُّرْكِيّ، اسْتُبْعِدَتْ الشركاتُ التُّرْكِيَّة من عقود إعادة إعمار العراق الَّتِي أبرمتها ســلطات الاحتلال الأمْرِيكِيّ مع شركات أجنبيَّة(1). كما تَمَيَّزَتْ هذه الفترة كذلك بتَعَثُّرِ تَدَفُّق النفط العراقي.

ومع تَوَلِّي حزب العدالة والتَّنْمِيَة مقاليد السُّلْطَة في تركيا، تَغَيَّرَتْ الأمور إلى النقيض، وبدأت البوادر المشجِّعة تظهر في إرساء دعائم الدَّوْلَة على أساس الاستقرار السِّيَاسِيّ أولاً، مـــما أَوْجَـــدَ حالةً من الاطمئنان أَخَذَتْ الحكومـــة التُّرْكِيَّة الجديدة في حصد ثمارها بمزيد من الاستثمارات ودعم الإنتاج، في ظِلِّ ارتفاع ملحوظ على صعيد كافَّة المُؤَشِّرَات الاقتِصَادِيَّة. فكان من الطبيعي أن يختفي العجز التجاري، الَّذِي عَمَّرَ طويلاً تقارير الحالة الاقتِصَادِيَّة لتركيـــا ما قبل الرئيس أردوغان، بل ويتحول إلى فائض، رَغْمَ تداعيات الأزمة الاقتِصَادِيَّة العَالَمِيَّة الَّتِي دَمَّرَتْ الكثير من الاقتِصَادِيَّات حول العالم. ليرتفع ترتيب الاقتصاد التُّرْكِيّ إلى المرتبة الســـابعة عشرة عَالَمِيّاً والسادســـة على مســـتوى القَارَّة الأُورُوبِيَّة؛ حيث حَقَّقَ الناتج القَوْمِيّ التُّرْكِيّ ارتفاعاً إجماليّاً بلغ، الـ 863،72 مليار دولار في عام 2016م(2).

من جانبه، شَـــعَر الفرد التُّرْكِيّ بإيجابيَّات هذا التَّحَسُّنِ الاقْتِصَادِيّ الكبير على مستواه المعيشي؛ حيث ارتفع دخله من 3،500 دولار عام 2002، إلى 10،930 دولار عام 2017(3) ، مع ارتفاع معدل النُّمُوّ إلى 7.4 سنة 2017م(4)، علاوةً على ذلك، فقد احْتَلَّتْ تركيا المركز

1. انظـــر: الفصـــل الخامس من كتاب: محمد صادق إســـماعيل، التجربة التُّرْكِيَّة من أتاتـــورك إلى أردوغان، القاهرة، دار العربي للنشر، 2013م.
2. إجمالي الناتج المحلي (القيمة الحاليَّة بالدولار الأمريكيّ)، تركيا، مُؤَشِّرَات البنك الدَّوْلِيّ، 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/76z8aj
3. نصيب الفرد من إجمالي الدخل القومي، طريقة الأطلس (بالأســـعار الجارية للدولار الأمريكي)، تركيا، مؤشرات البنك الدَّوْلِيّ، 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wYox1Z
4. نسبة النُّمُوّ السنوي لإجمالي الناتج المَحَلِّيّ بسعر السوق حسب سعر الدولار الأمْرِيكِيّ عام 2001م، تركيا، مؤشرات البنك الدَّوْلِيّ، 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/XA822p

السادس عَالَمِيّاً من حيث عدد السُّيَّاح، في العام 2017م، بما يُقَدَّرُ بـ39.9 مليون سائح(1). وتشـير الدلائل السابقة إلى قُدْرَة الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة على تحقيق كُلّ أهداف بلوغ مرتبة القُـوَّة الاقتِصَادِيَّة الكبرى، للتَّحَوُّلِ السريع إلى قُـوَّة ناعمةٍ تُؤَثِّر في كثيرٍ من دول المنطقة. فالنجاح الاقْتِصَادِيّ التُّرْكِيّ بات أشـبه بالحُلْمِ الَّذِي جَذَبَ لتركيا كثيراً من المريدين، بما يَحْمِلُ من أمل، وإمكانيَّة تحقيق هدف مماثل يسعون للوصول إليه أيضاً. وهذا ما يَتَّضِح جَلِيّاً في كمِّيَّة المقالات والبحوث الَّتِي اسـتَلْهَمَتْ من التجربة التُّرْكِيَّة نموذجاً لعلاج مشـكلات دول المنطقة، فبمُجَرَّد البحث على موقع جوجل العَالَمِيّ عن "التجربـة التُّرْكِيَّة"، تجد آلاف المقالات والموضوعـات الَّتِي تتناول التجربة التُّرْكِيَّة كمثالٍ حَيٍّ وواضحٍ على النجاح، وهو ما يُعَدُّ أفضل تسويق لحالة النجاح التُّرْكِيَّة.

مشهد آخر يشير إلى تأثير النجاح الاقْتِصَادِيّ الكبير في القُوَّة النَّاعِمَة التُّرْكِيَّة، وهو ما يظهر بكميَّة المسـاعدات الاقتِصَادِيَّة، الَّتِـي تُقَدِّمهَا تركيا لكثير من دول المنطقة الفقيرة، فالمسـاعدات التُّرْكِيَّة لقطاع غَزَّة، والمعونات التُّرْكِيَّة لدولٍ ناميةٍ، مثل مصر وتونـس، وغيرها مُؤَشِّر مُهِمّ، على نجاح الاقتصاد الـتُّرْكِيّ في دوره كقاطرةٍ لِلْقُوَّة النَّاعِمَة التُّرْكِيَّة، وفي عام 2016م وصَل حجم المعونات التُّرْكِيَّة للَّاجئين السُّـورِيِّينَ إلى 7 مليارات دولار(2).

أسباب نجاح الاقتصاد التُّرْكِيّ

ارتبط النجاح التُّرْكِيّ في مجال الاقتصاد بأداة القُوَّة النَّاعِمَة للدولة في انسـجام مع التَّوَجُّه العقائدي. فالنموذج الإِسْلَامِيّ "المُتَنَوِّر" الَّذِي تُقَدِّمهُ تركيا، ساهم بشكل كبير

1. "تركيا السادسـة عَالَمِيّاً من حيث عدد السُّـيَّاح 2017"، وكالة الأناضول للأنباء، 23 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jKNAjP
2. فـؤاد أوقتـاي رئيس إدارة الكوارث والطوارئ (آفاد)، موقع المديريَّة العامَّة للصحافة والإعلام التابعة لرئاسـة الوزراء التُّرْكِيَّة ، متاح على الرابط التالي: goo.gl/W9IejN

في تَدَفُّق الكثير من الاستثمارات الإسْلامِيَّة من دول الخليج العربي، بدلاً من التوجه للنموذج الغَرْبِيّ المُتَمَثِّل في الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة.

وفي هذا السياق، شهدت العلاقات الاقتِصَادِيَّة بين تركيا والمملكة العَرَبِيَّة السُّعُودِيَّة، انتعاشاً كبيراً؛ خلال الفترة من 2002 - 2015م؛ حيث بلغ حجم المشروعات الَّتِي قامت بتنفيذها الشركات التُّركِيَّة في المملكة، ما قيمته 12.1 مليار دولار في النصف الأَوَّل من عام 2012م، كما ارتفعت حِصَّة الصادرات التُّركِيَّة إلى المملكة إلى 3.75 مليار دولار في العام ذاته. وبناءً عليه، أصبحت تركيا من بين أكبر الشركاء التجاريِّينَ للمملكة، باحتلالها للمرتبة الرابعة عشرة من حيث الواردات للمملكة في عام 2010م(1)، كما يعتزم البَلَدَانِ رفع حجم التبادل التِّجَارِيّ فيما بينهما من 6.4 مليار دولار عام 2017، إلى نحو 20 ملياراً خلال السنوات القليلة القادمة(2).

وساهم في ذلك، قيام تركيا بمنح المستثمرين السعوديِّينَ العديد من الامتيازات، مثل الإعفاء من الرسوم الجمركيَّة، وضريبة القِيمَة المضافة، مع ميزة التخفيض في الضرائب الأخرى، ودعم أقساط الضمان الاجْتِمَاعِيّ لصاحب العمل والعاملين معه، إلى جانب تخصيص الأراضي للمستثمرين، لتبلغ قيمة الاستثمارات السُّعُودِيَّة في تركيا 6 مليارات دولار، تَرَكَّزَتْ بشكل رئيس في قطاع العقارات(3).

وفيما يَتَعَلَّق بالاستثمارات الإماراتيَّة، فقد ارتفعت عمليَّات شراء العقارات للمواطنين الإماراتيِّينَ في تركيا بنسبة 160% خلال عامي 2015 - 2016م، إذ يملك المستثمرون الإماراتيُّونَ وحدهم أكثر من 300 ألف متر مُرَبَّع في سوق العقارات التُّرْكِيّ. كما حاز 332 إماراتياً أملاكاً عقاريَّة في تركيا العام 2016م(4). وعلى ذات الصعيد، تراجعت

1. عباس فاضل عطوان، العلاقات السُّعُودِيَّة التُّرْكِيَّة ، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، 2015م، ص 146.
2. خطط لزيادة التجارة بين السُّعُودِيَّة وتركيا إلى 20 مليار دولار"، سي أن أن بالعَرَبِيَّة، 19 فبراير 2017، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/rPNvE4
3. عباس فاضل عطوان، العلاقات السُّعُودِيَّة التُّرْكِيَّة ، مرجع سابق، ص 146.
4. "الإماراتيُّونَ يملكون 300 ألف قدم مُرَبَّع في تركيا"، صحيفة الاتِّحَاد الإماراتيَّة، 24 فبراير 2016، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/vhnvyg

الاســـتثمارات الإماراتيَّة العقاريَّة في تركيا خلال العام 2017م؛ حيث احْتَلَّتْ كُلٌّ من العراق والسُّـــعُودِيَّة والكويت المراتب الثـــلاث الأَوَّلى، على الترتيب، على قائمة أكثر الجِنْسِيَّات العَرَبِيَّة شراءً للعقارات في تركيا(1).

نفـــس الأمر، ينطبق على حجم التبادل التِّجَارِيّ بين تركيا والبحرين بقيمة مبادلات بلغت 300 مليون دولار خلال عام 2015م، بزيادةٍ قَدْرُهَا تســـعة أضعاف على مدار الـ13 سنة السابقة لها، ثم زاد حجم التبادل التِّجَارِيّ بين البلدين إلى نحو نصف مليار دولار في عام 2018(2). كما تجاوزت الاســـتثمارات القطريَّة في تركيا قيمة 20 مليار دولار. علماً بأنه في عام 2013م، اشترى بنك قطر التِّجَارِيّ 70% من أسهم مصرف "ألترناتيف بنك Alternatifbank A.Ş" التُّرْكِيّ، في صفقة بلغت 460 مليون دولار(3). كما تعتزم قطر ضَخَّ نحو 20 مليار دولار خلال العام 2018م، للاستثمار في تركيا في مختلف قطاعات الطَّاقَة والاتِّصَالات والسِّـــيَاحَة والغذاء والصِّحَّة والتأمين والدِّفَاع والبنـــوك. إضافةً إلى أن 121 شركـــة تُرْكِيَّة تعمل في قطر حالياً، بإجمالي رأس مال يُقَدَّر بنحو 5 مليارات دولار، كما أن حجم الاســـتثمارات القطريَّة المباشرة في تركيا خلال الفترة 2002 - 2017م قد بلغ ملياراً و538 مليون دولار(4).

وفي أغسطس 2018م، قرَّر أمير قطر الشيخ تميم بن حمد دعم الاقتصاد التُّرْكِيّ بـ15 مليار دولار في صورة استثمارات جديدة وودائع وضمانات، لدعم الحكومة التُّركِيَّة في ظِلِّ الأزمة الاقتِصَادِيَّة الَّتِي تشهدها البلاد على خَلْفِيَّة تراجع سعر اللِّيرة مقابل الدولار الأمريكي(5).

1. "انفوجرافيك: أكثر مواطني الدول العَرَبِيَّة شراءً للعقار في تركيا"، تركيا بوست، 26 فبراير 2017، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/GA9cWa
2. 500 مليـــون دولار التبـــادل التجاري بين البحرين وتركيـــا"، صحيفة أخبار الخليج البحرينيَّة، 16 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/XGqsWx
3. "بالأرقام: تفاصيل الاستثمارات الخليجيَّة في تركيا"، موقع عربي 21، 6 أغسطس 2016م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/UjE6h8
4. "اســـتثمارات قطر في تركيا تناهز 20 مليار دولار"، ترك برس، 17 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 16 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3p82Pj
5. "قطر تدعم اقتصاد تركيا بـ15 مليار دولار: نَرُدُّ الإحسان بأَحْسَنَ منه"، سي أن أن بالعَرَبِيَّة، 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/JuPXz5

وعلى الرَّغْم من حساسيَّة العلاقات التُّركِيَّة الإماراتيَّة منذ المحاولة الانقَلابِيَّة الفاشلة في تركيـــا، صيف 2016م، إلا أن بنـــك الإمارات دبي الوَطَنِيّ قام، في مايو 2018م، بشراء بنك "دينيز بنك"؛ خامس أكبر بنك في تركيا، والَّذِي يمتلك أكثر من 11.8 مليون عميل، وشـــبكة تَتَألَّف من 708 أفرع في أنحاء تركيا، الأمر الَّذِي يشـــير على جَاذِبِيَّة الاستثمار في تركيا، بعيداً عن تجاذبات السِّيَاسَة وتباين الاسْتِرَاتِيجِيّات(1).

ليس هذا فحســـب، فمزايا القُوَّة النَّاعِمَة انعكســـت كذلك على المســـتوى الدَّاخِلِيّ؛ حيث مَثَّلَ الاســـتقرار السِّيَاسِيّ قُوَّة ناعمةً كبيرة لتركيا مكَّنتها من زيادة الاستثمارات الدَّاخِلِيَّة، مع تنامي الشـــعور بالفخر والقُدْرَة على الإنجاز في أوساط الشعب التُّرْكِيّ. ففي الوقت الَّذِي تعاقبت فيه على السُّـــلْطَة 57 حكومة تُرْكِيَّة على مدار 78 سنة(2)، انفرد حزب العدالة والتَّنْمِيَة لوحده بالحُكْم لمُدَّةٍ أكثر من 17 سنة(3)، وهو دليلٌ قَوِيٌّ على الاستقرار السِّيَاسِيّ الناتج عن الحوكمة الاقتِصَادِيَّة الجَيِّدَة، الَّتِي دفعت الشعب لاستثمار مُدَّخَرَاتِهِ في وطنه بدلاً من تهريبها للخارج.

وفي ســـياق التَّدَابير الاقتِصَادِيَّة المُحْكَمَة دائماً، اعتمدت الحكومة التُّركِيَّة إجراءات كثـــيرة أمَدَّتْ خزينة الدَّوْلَة بمليارات الـــدولارات، عن طريق الخصخصة مثلاً، كما هـــو الحال في أنظمة توزيع الطَّاقَة الكهربائيَّـــة الَّتِي وفَّرت ما يقرب من 70 مليار

1. "بنك الإمارات دبي الوطني يشتري خامس أكبر بنك في تركيا"، ترك برس، 23 مايو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/XsCQCi
2. "العدالة والتَّنْمِيَة" 14 عام في خدمة تركيا والأمة.. والمســيرة مُسْــتَمِرَّة، ترك برس، 18 أغســطس 2015م، تاريخ الزيارة 22 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/V5TDEa
3. منذ وصوله إلى السلطة في انتخابات العام 2002م، تَمَكَّنَ حزب العدالة والتَّنْمِيَة من الفوز في كافة الاستحقاقات الانتخابيَّة التي مرَّت بها البلاد، البرلمانيَّة والبلديَّة، والاســتفتاءات الدُّسْــتُورِيَّة، وصولاً إلى الانتخابات الرِّئاســيَّة والبرلمانيَّة، التي عُقِدَتْ معاً، في يونيو 2018م، وفقاً للتعديلات الدُّسْتُورِيَّة الجديدة التي حوَّلت البلاد من النِّظَام البرلماني إلى النِّظَام الرئاسي.

دولار. كــما قامت الحكومة بإجراء إصلاحات شــاملة في مجالي الصِّحَّة والضمان الاجْتِمَاعِيّ، بالإضافة إلى الاســتثمارات الضخمة في مجالات الطَّاقَة والمواصلات الْبَرِّيَّة والبَحْرِيَّة والجَوِّيَّة، وتوسيع شبكة السكك الحديديَّة وإنشاء القطارات السّريعة. ومن هنا بات اقتصاد تركيا يعتمد بشــكل رئيس على القطاع الخاص المَحَلِّيّ، والَّذِي يعيش حالةً من المنافســة بين مجموعة من التَّكَتُّلاَت الاقتِصَادِيَّة لرجال الأعمال في الداخل، الَّتِي تتفاوت إِمْكَانِيَّاتها الاقتِصَادِيَّة، وتَتَعَدَّدُ أهدافها الاجْتِمَاعِيَّة والسِّيَاسِيَّة. ويَتَّسِمُ هذا القطاع ببعض السِّمَات الإِيجَابِيَّة، مثل الحرص على ربط العِلْم بالتكنولوجيا داخل الجامعات، والربط بين الأخيرة واحتياجات الصناعات المَحَلِّيَّة. وكذلك إقدام القطاع الخاص التُّرْكِيّ على تمويل مُؤَسَّسَات الوقف الخيريَّة، الَّتِي أوجدت دوراً قَوِيّاً لمبادرات المجتمع المَدَنِيّ.

من جهة أخرى، يعتمد الاقتصاد التُّرْكِيّ على مجموعة من الكيانات الحُكُومِيَّة، الَّتِي تَتَمَثَّل في مجموعة الوزارات المُتَعَلِّقَة بالأنشــطة الاقتِصَادِيَّــة، مثل وزارات (الاقتصاد، والمَالِيَّة، والتِّجَارَة الخَارجِيَّة، والسِّيَاحَة، والطَّاقَة والموارد الطَّبِيعِيَّة، والصناعة والعلوم التِّكْنُولُوجِيَّة)، وتَضُــمُّ كُلٌّ من هذه الوزارات مجموعة من المُؤَسَّسَــات والهيئات، الَّتِي تقوم على خدمة الأنشطة الاقتِصَادِيَّة المختلفة، مثل بورصة إسطنبول، واتِّحَاد غرف الصناعة والتِّجَارَة(1). نجحت تركيا إذن، في اســتقطاب الاستثمارات العَرَبِيَّة والاستثمارات الدَّاخِلِيَّة، ولم يتبقَ لها سوى الغرب، وهو ما استطاعت النجاح فيه، بفضل القُوَّة النَّاعِمَة أيضاً؛ حيث رسَّخت الصورة الذهنيَّة المرسومة عنها بأنها الدَّوْلَة الديمُقْرَاطِيَّة الَّتِي تؤمن بمبادئ العَلْمَانِيَّــة الغَرْبِيَّة، والقادرة على التعاون مع الآخــر، وهي الصورة الَّتِي مكَّنَتها من جذب الاستثمارات الأُورُوبِيَّة لتركيا.

---

1. عبدالحافظ الصاوي، "خرائط القوى الاقْتِصَادِيّة"، المعهد المصري للدراســات الاسْــتِرَاتِيجِيّة، 20 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5FKVlK

وتمتلك تركيا علاقات تجاريَّـــة واقْتِصَادِيَّة عميقة مع الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ؛ حيث يعتبر الاتِّحَاد أكبر شريك تجاري واســـتثماري لتركيا حالياً، ويشكّل حجم التبادل التِّجَارِيّ لتركيـــا مع الاتِّحَاد الأوربي نحـــو 37% من إجمالي حجم تجارتها الكُلِّيَّة. وتشـــكّل الاســـتثمارات الأُورُوبِيَّة في تركيا نسبة 70% من إجمالي الاستثمارات الموجودة في تركيا(1).

وأصبح من المُتَوَقَّع توسعة السوق الدَّاخِلِيَّة الأُورُوبِيَّة وتعزيز القُدْرَة التنافسيَّة النسبيَّة للاتِّحَـــاد الأُورُوبِيّ في الاقتصاد العالمي، شرط انضمام أنقرة إلى منطقة اليورو(2). وفي العـــام 2017م أصبحت تركيا خامس أكبر شريك تجـــاري للاتِّحَاد الأُورُوبِيّ؛ حيث بلغ حجم صـــادرات الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ لتركيا 105.1 مليار دولار، كما بلغ حجم واردات الاتِّحَاد من تركيا نحو 86.4 مليار دولار(3). وتركيا في كُلّ هذا ربحت التحدِّي، وكَسَـــبَتْ الشرق والغرب "اقْتِصَادِيّاً"، في خير مثال لتأثير القُوَّة النَّاعِمَة على المجال الاقتِصَادِيّ.

1. "العلاقـــات التُّرْكِيَّـــة مـــع الاتِّحَاد الأوروبي"، موقـــع وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، د.ت، تاريخ الزيارة 16 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YV9nlZ
2. "العلاقات التُّرْكِيَّة مع الاتِّحَاد الأوروبي"، موقع وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، د.ت، مرجع سابق.
3. مكتب الإحصاء الأوروبي: تركيا خامس أكبر شريك تجاري للاتِّحَاد"، وكالة الأناضول للأنباء، 20 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Hq2Gcu

المبحث الثاني

توظيف تركيا القُوَّة النَّاعِمَة في القطاعات الاقتِصَادِيَّة

استطاعت تركيا توظيف قُوَّتهَا النَّاعِمَة في عددٍ من البلاد على مستوى محيطها الجُغْرَافِيّ والعالمين العَرَبِيّ والإسْلاَمِيّ، ومن أبرز النماذج على ذلك ما يلي:

- **نموذج العلاقات التُّركِيَّة - المصرية:**

تَتَأَتَّى الإجابة على هذه المسألة، من خلال استعراض جهود الدَّوْلَة التُّركِيَّة، في نشر تلك القُوَّة حول العالم، فعلى سبيل المثال، كانت أول زيارة لرئيس دولة للقاهرة عَقب ثورة يناير 2011م، هو الرئيس التُّركِيّ عبدالله غول[1]، وهي إشارة مُهِمَّة إلى قُوَّة تركيا النَّاعِمَة، والَّتِي تريد توظيفها من أجل مصالحها الاقتِصَادِيَّة. ومن خلال تتبُّع فَعَالِيَّات الزيارة المذكورة، نجد أنه التقى خلال وجوده بالقاهرة بالمرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين[2] أكبر الجماعات الفاعلة في مصر عَقِب ثورة يناير ـ كما التقى في نفس الوقت بكثير من القيادات الشبابيَّة لثورة يناير.

1. الرئيس التُّركِيّ يزور القاهرة لـ«التضامن مع الثورة المصرية»، صحيفة المصري اليوم، 3 مارس 2011، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/MVT6w2
2. تَأَسَّسَتْ جماعة الإخوان المسلمين بمدينة الإسماعيلية بمصر عام 1928م، بعد سقوط الخلافة العُثْمَانِيّة بسنوات قليلة، على يَدِ حسن البَنَّا، ثم انتقلت إلى القاهرة وبقية أنحاء مصر، ثم إلى أجزاء كبيرة من العالم العربي والإسلامي، وتعتبر الجماعة أقدم الحركات الإسْلاَمِيَّة في العصر الحديث، وأكثرها تأثيراً وأوسعها انتشاراً في العالمين؛ العربي والإسلامي، كما أن لها حضوراً كبيراً بين الجاليات الإسْلاَمِيَّة في الغرب، كان لها السبق في مجاهدة العصابات الصهيونيَّة عام 1948م، ومَرَّتْ بفترات عصيبة خلال الحقبة الناصرية بمصر أفضت إلى سجن وإعدام الكثير من قادتها، كما كانت دائماً في مَقَام المعارَضَة للأنظمة المصريَّة المتعاقِبَة، وقد شاركت الجماعة بقُوَّة في فَعَالِيَّات ثورة 25 يناير 2011م، وأعلنت عن تأسيس أول حزب لها بعد الثورة؛ وهو حزب الحُرِّيَّة والعدالة، الذي نافَس في الانتخابات البرلمانيَّة والرِّئاسِيَّة، وفاز مُمَثِّلُهُ وعضو الجماعة الدكتور محمد مرسي في انتخابات 2012م ليصبح أول رئيس مَدَنيّ مُنْتَخَب في تاريخ مصر المعاصر، قبل أن يُطَاحَ به بعد عام واحد إِثْرَ تَدَخُّلِ الجيش بعد تظاهرات 30 يونيو 2013م الشهيرة. للمزيد يُنْظَر: "الإخوان المسلمون"، الجزيرة نت، 18 يناير 2014، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/nUEqG8

تصريحات "الرئيس غول" نفسها خلال الزيارة، كانت تسير في اتجاه توظيف قُوَّة بلاده النَّاعِمَة، فقال: "إننا في مرحلة يَتَعَيَّن فيها على المصريِّينَ التَّصَرُّف بشكلٍ عقلانيٍّ، ويجب أن يديروا هذه المرحلة الانتقاليَّة بأفضل السُّبُل لتلبية مطالب الشعب. لقد جئنا لتبادُل الخبرات والآراء بصدق في هذه اللحظات الحرجة".(1)
والجملة الأخيرة واضحة، بلا شَكّ، فهو يَتَحَدَّث عن تبادُل للخبرات والتجارب، وبالطبع لن يسوِّق لشيء إلا للتجربة التُّركِيَّة، وخبرات بلاده في النهوض الاقتِصَادِيّ. وهو ما يفتح الباب واسعاً أمام زيادة حجم الاستثمارات التُّركِيَّة المصريَّة خلال تلك الفترة. وهو ما حدث بالفعل؛ حيث شهدت العلاقات التُّركِيَّة المصريَّة حالةً من الانتعاش والتَّقَارُب الملحوظ.
وفي سياق هذا التقارب التُّرْكِيّ المصري، جاءت زيارة رئيس الوزراء التُّرْكِيّ "السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان" لتلعب على نفس الوَتَر الحَسَّاس لِلْقُوَّة النَّاعِمَة؛ حيث جاء على رأس وفد مُهِمّ ورفيع المستوى، يَضُمّ 14 وزيراً و200 رجل أعمال إلى مصر يومي 17 و18 نوفمبر 2012م، تحت عنوان تعزيز التعاون بين البلدين. كما نتج عن هذه الزيارة، توقيع اتِّفَاقيَّة ثُنائيَّة تقضي بمنح مصر قرضاً مُيَسَّراً بقيمة مليار دولار، مع التَّأْكِيد على أهَمِّيَّة التعاون لجذب الاستثمارات التُّركِيَّة ومضاعفة حجمها الحالي. وتوقيع 27 اتِّفَاقيَّة بين الجانبين، تشمل عِدَّة مجالات أهمها: التِّجَارَة والاستثمار، التعليم والصِّحَّة، البنية التحتيَّة، والنقل(2).

والجدير بالذكر، أنه خلال زيارة أردوغان الأُولَى لمصر، تَمَّ عَقْد المنتدى الاقْتِصَادِيّ المصري التُّرْكِيّ، بمشاركة نحو 500 من رجال الأعمال من كلا البلدين، قصد بحث

1. "طنطاوي" يُؤَكِّد لـ"غول" الرغبة في الانتقال بالبلاد نحو الديمُقْرَاطِيَّة، صحيفة الخليج الإماراتيَّة، 4 مارس 2011م، تاريخ الزيارة 5 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ab2Jts
2. نَصُّ كلمة الرئيس المصريّ السابق محمد مرسي في المؤتمر الصحفيّ، والذي عُقِدَ بمناسبة توقيع اتفاقيَّات التعاون الثنائيَّة بين مصر وتركيا، الصفحة الرسمية للرئاسة المصريَّة، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5fTgnH

سُـــبُل التعاون الاقْتِصَادِيّ في كافَّة المجالات. وأعرب حينها رئيس الوزراء التُّرْكِيّ عن رغبته في زيادة حجم التبادل التِّجَارِيّ إلى خمسة مليارات دولار خلال عامين. مُؤَكِّداً في هذا الصَّدَد، على ضرورة عمل الطرفين على تحقيق هذا الهدف المنشود، من خلال إزالة كُلّ العَقَبَات الَّتِي تعترض طريق رجال الأعمال والمستثمرين(1).

وبلغ حجم الصادرات المصريَّـــة لتركيا عام 2011م، نحو 1.5 مليار دولار، وفي حـــين أنه كان في عام 2010م حوالي مليار دولار، أي بزيادة قدرها 500 مليون دولار، بينـــما بلغت الواردات المصريَّة مـــن تركيا خلال عام 2011م حوالي 2.6 مليار دولار، في حين كانت عام 2010م حوالي 1.9 مليار دولار(2).

وواصلت القُوَّة النَّاعِمَـــة التُّرْكِيَّة جهودها في دفع عجلة التعاون الاقْتِصَادِيّ بين البلدين؛ حيث وقَّع رئيس البورصة المصريَّة، أثناء زيارته لأنقرة في يونيو 2012م، مذكرة تعاون بين البورصة المصريَّة وبورصة إســـطنبول، كما التقى وزير الكهرباء والطَّاقَة المصري، آنذاك، محمود بلبع(3)، في ســـبتمبر 2012م، بسفير تركيا لدى مصر حســـن عوني بوصطالي ووفد من رجال الأعمال الأتراك المرافقين له؛ من أجل بحث سُبُل دعم التعاون الثنائي بين البلدين في مجالات الكهرباء والطَّاقَة(4).

1. علي محمود، "500 رجل أعمال يقودون العلاقات الاقْتِصَادِيّة بين مصر وتركيا"، الأهرام المســائي، 25ســبتمبر 2014م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/2bsnqh
2. العلاقــات الاقْتِصَادِيّــة والتجارية بين مصر وتركيا (من عام 2009م حتى النصف الأول من 2012م) ، وزارة الصناعة والتجارة الخَارِجيَّة المصريَّة، أكتوبر 2012م، ص2.
3. محمــود ســعد بلبع وزير الكهرباء المصري الأســبق، من مواليــد دمنهور بمحافظة البحيرة عــام 1951م، حاصل على بكالوريوس الهندسة الميكانيكية من جامعة الإسكندرية عام 1975م، وله 3 أولاد، كان رئيساً للشركة القابضة بعد نجاحه في رئاســة شركة شرق الدلتا لإنتاج الكهرباء في تنفيذ الخطة الإســعافيَّة الأولى لقطاع الكهرباء، والتي أضافت 1500 ميجا وات بمشروعي الشباب بالإسماعليَّة ودمياط، والتي تَمَّ إضافتها للشبكة القومية قبل صيف العام 2011م، بالإضافة إلى مساهمته كنائب لرئيس شركة وسط الدلتا لإنتاج الكهرباء في إقامة مجمع كهرباء النوبارية قدرة 2250 ميجا وات. للمزيد يُنْظَر: "محمود ســعد بلبع – وزير الكهرباء"، موقع أصوات مصر، د. ت، تاريخ الزيارة: 16 أغســطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/CJdkVC
4. العلاقات المصرية التُّرْكِيَّة ، الهيئة العامة للاستعلامات، د.ت، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/qZY2X

كما قام الرئيس المصري الســـابق "محمد مرسي"(1) بزيارة تركيا في 30 سبتمبر 2012م، وتناولــت محادثـــات الرئيس مرسي مع المســؤولين الأتراك الجانب الاقتِصَادِيّ، لا سِــيَّمَا المساعدات والاستثمارات التُّركِيَّة في مصر خلال المرحلة المقبلة، والمُقْدَّرَة بنحو ملياري دولار. المليار الأَوَّل يُمَثِّل وديعة على خمس ســـنوات بفَتَرَات ســـماح ثلاث سنوات، وفائدة لا تزيد عن 1%. والمليار الثاني عبارة عن استثمارات تُرْكِيَّة في مصر تَتَضَمَّن الشراكة في مشروعات البنية التحتية(2).

- **نموذج العلاقات التُّركِيَّة – البوسنيَّة**

إلى جانـــب العلاقات التَّارِيخِيَّة والثَّقَافِيَّة، الَّتِي تَتَّسِـــم بها العلاقات بين تركيا والبوســـنة، فإنَّ تركيا بجاذبيّتها النَّاجِمَة عـــن قُوَّتهَا النَّاعِمَة تحرص على دعم علاقتها الاقتِصَادِيَّة مع البوســـنة، فخلال زيارته للبوســـنة عام 2015م، أَبْرَمَ الرئيس رجب طَيِّب أردوغان اتِّفَاقيَّة تَتَضَمَّن إجراء 50 مشروعاً اســـتثمارِيّاً في البوسنة، إضافةً إلى قرض بقيمة 50 مليون يورو لدعم الاقتصاد البوسني(3).

1. محمد محمد مرسي (8 أغســطس 1951م)، الرئيس الخامس لجمهورية مصر العَرَبِيَّة، والأول بعد ثورة 25 ينايــر 2011، أول رئيــسٍ مَدَنيّ مُنْتَخَب للبلاد. تَخَرَّجَ في كليَّة الهندســة جامعة القاهرة عام 1975م بتقدير ممتاز، وحصل على درجتي الماجستير (1978) والدكتوراه (1982) من الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة. تَمَّ إعلان فوزه رئيساً للجمهورية في 24 يونيو 2012م بنسبة 51.73 % من أصوات الناخبين المشاركين، وتَــوَلَّى منصــب رئيس الجمهورية رَسْــمِيّاً في 30 يونيو 2012م بعــد أداء اليمين الجمهوري. حتى عزله الجيــش عــام 2013م بعد مظاهرات 30 يونيو، ولا يزال معتقلاً منذ تاريــخ عَزْلِهِ. للمزيد يُنْظَر: محمد مرسي"، الجزيرة نت، 18 ديسمبر 2014، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/mfNCnj
2. "الرئاسة: مباحثات مرسي في تركيا تَرَكَّزَتْ على الجانب الاقْتِصَادِيّ"، صحيفة المصري اليوم، 30 سبتمبر 2012م.
3. أردوغان يوقّع على اتفاقية لـ50 مشروعاً خلال زيارته للبوسنة والهرسك"، تركيا بوست، 20 مايو 2015، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/UPfNmk

وفي سياق مُتَّصِلٍ فقد سَجَّلَ التَّبَادُل التِّجَارِيّ بين تركيا والبوسنة، وَفْقاً لتقديرات العام 2017، حوالي 600 مليون يورو، مع توقعات بأن يصل حجم التبادل التِّجَارِيّ بين البلدين إلى مليار يورو في العام 2019(1).

وقد قام الرئيس التُّرْكِيّ رجب طَيِّب أردوغان بزيارة عمل إلى البوسنة في مايو 2018، صُحْبَة وَفْدٍ وزارِيّ رفيع المستوى؛ حيث تَنَوَّعَتْ مباحثات الجانبين التُّرْكِيّ والبوسني لتشمل كافَّة المجالات؛ ابتداءً من المجالين الاقْتِصَادِيّ والتعليمي، وانتهاءً بمَجَالَيْ السِّيَاحَة والثقافة(2).

ومع خصوصيَّة العلاقات التُّركِيَّة البوسنيَّة تَوَصَّلَ البَلَدَانِ في يوليو 2018 إلى تفاهم، لم يكشف عن فحواه تحديداً، حول تطوير التعاون الثنائي بينهما في مجال الدِّفَاع(3).

- **نموذج العلاقات التُرْكِيَّة - القَطَرِيَّة**

تُعْتَبَرَ العلاقات التُّرْكِيَّة القطريَّة نموذجاً للنَّقْلَةِ النَّوْعِيَّة الَّتِي أحدثتها حكومة العدالة والتَّنْمِيَة واسْتِرَاتِيجِيَّة القُوَّة النَّاعِمَة الَّتِي تَتَبَنَّاهَا تركيا في حركتها الخَارجِيَّة، على الصعيدين؛ الإِقْلِيمِيّ والدَّوْلِيّ، فبعد أن كانت قيمة التِّجَارَة الخَارجِيَّة بين البلدين لا تَتَعَدَّى 20 مليون دولار قبل عام 2000، ارتفعت لتصل إلى 834.5 مليون دولار خلال عام 2016، و634 مليون دولار خلال الشهور الثمانية الأُولَى فقط من العام 2017(4).

---

1. أردوغان يوقّع على اتفاقية لـ50 مشروعاً خلال زيارته للبوسنة والهرسك"، تركيا بوست، 20 مايو 2015، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/UPfNmk
2. "رئيس وزراء البوسنة: سنمنع أي عمل يضرّ بالعلاقات الودّية مع تركيا"، تركيا بوست، 20 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LuY5fq تي آر تي العَرَبِيَّة، 21 مايو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/7xxVdn
3. "رئيس الجمهورية أردوغان: العلاقات بين تركيا والبوسنة والهرسك تشهد تَطَوُّراً على مستوىً ممتاز"، تي آر تي العَرَبِيَّة، 21 مايو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/7xxVdn
4. قطر وتركيا.. آفاق اقْتِصَادِيَّة واعدة"، صحيفة الشرق القطريَّة، 15 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/NLCfNk

كما ارتفع عدد الشركات التُّركِيَّة القطريَّة المشتركة الَّتِي تعمل في السوق القطريَّة إلى نحـــو 200 شركة تعمل في مختلف المجـــالات الحَيَوِيَّة، وَلَعَلَّ أبرزها شركات المقاولات التُّركِيَّة الَّتِي تعمل في مشاريع كأس العام 2022 الَّذِي تحتضنه الدوحة، بإجمالي استثمارات تبلغ 11.6 مليار دولار(1).
ولحرص البلدين على مأسســـة العلاقات الاقتِصَادِيَّة فيما بينهما، حرصت قيادة الدولتين في عام 2014م على تدشين "اللجنة الاسْتِرَاتِيجِيَّة العليا" بين البلدين، والَّتِـــي بموجبها انخرط عدد كبير من الوزارات والمُؤَسَّسَـــات الحُكُومِيَّة وحتى الخَاصَّة في التحضير لاتِّفَاقيَّات تعاون ثنائيَّة، تشمل كافَّة المجالات الاقتِصَادِيَّة والتِّجَارِيَّة والاستثماريَّة وحتى الثَّقَافِيَّة والأَمْنِيَّة أيضاً(2).

وعلى جانبٍ آخر كان للاســـتثمارات القَطَرِيَّة في تركيا دورٌ كبيرٌ ومُؤَثِّر إبَّانَ أزمة هبوط سِـــعْر صَرْف اللِّيرَة التُّركِيَّة؛ فبعد التَّرَاجُع الحَـــادّ في قيمة اللِّيرَة التُّركِيَّة، أجـــرت أنقرة الكثير من الاتِّصالات المُثْمِرَة مـــع دولٍ صديقةٍ، وفي مُقدِّمتها دولة قَطَر، التي لم تَتَوَانَ عن تقديم يَدِ المســـاعدة، فتَعَهَّدَتْ الدوحة بدَعْمِ اقتصاد تركيا المُضْطَرِب عَبْرَ ضَخِّ اســـتثمارات قَطَرِيَّة مباشرة تَتَكَوَّنُ من حُزْمَةٍ من المشـــاريع الاقتصاديَّة والاستثمارات والودائع بقيمة 55 مليار ريال قَطَرِيّ، وهو ما يعادل 15 مليار دولار(3).
وجاء ذلك في تصريحات لأمير دولة قَطَر؛ الشـــيخ تميم بن حمد آل ثاني، خلال زيارته إلى تركيا في أغسطس 2018م؛ لإجراء محادثات ثُنَائِيَّة مع الرئيس التركي

1. "قطر وتركيا.. آفاق اقْتِصَاديّة واعدة"، صحيفة الشرق القطريَّة، المرجع السابق.
2. "اللجنـــة الاسْـــتِرَاتِيجِيّة العليا"، ســـفارة دولة قطـــر في أنقرة- تركيا، د. ت، تاريخ الزيارة: 19 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Fckryu
3. قطر تدعم اقتصاد تركيا باستثمارات مباشرة بقيمة 15 مليار دولار، موقع "bbc"، 16 أغسطس 2018م، تاريخ الزيارة 14 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/ArD7PD.

رجب طيِّب أردوغان؛ ويُعْتَبَر الشـــيخ تميم أول رئيس دولة أجنبيَّة يزور أنقرة منذ بدء المواجهة السياسيَّة مع واشنطن، إبَّانَ رَفْض تركيا الإفراج عن القسّ الأمريكي المحتجز لديها "أندرو برانســـون"(1)؛ لاتِّهَامـــه بالضلوع في المحاولة الانقلابيَّة الفاشـــلة في تركيا العام 2016م، وممارسة أنشـــطة مُتَطَرِّفَة في البلاد، فقرَّرت الولايات المُتَّحِدَة الرَّدَّ على الرَّفض التُّركِيّ بعقوبات اقتصاديَّة ضخمة تسبَّبت في هبوط قيمة اللِّيرَة بصورة متوالية(2).

وأكَّد مســـؤولون في أنقرة أنَّ الأموال القَطَرِيَّة سيتم توجيهها إلى الأسواق الماليَّة والمصارف التُّركِيَّة؛ حرصاً على أن يكون الاستثمار كافياً لتَجَنُّبِ الانهيار المصرفِيّ التُّركِيّ(3).

ونستخلص من كُلّ ما سبق، بأن تسويق "النجاح التُّرْكِيّ"، هو إحدى آليَّات تَوْظِيف القُوَّة النَّاعِمَة التُّركِيَّة بل أَهَمُّهَا على الإطلاق، فهو بحدِّ ذاته عنصر جَذْبٍ وجَاذِبِيَّة يدفع الآخرين إلى اكتشـــاف معالم تلك التجربة، الَّتِي دفعت تركيا إلى الارتقاء بهذه السرعة وتجاوز كُلّ العَقَبَات من أجل تحقيق أهدافها.

---

1. أندرو برانســـون: قسّ أمريكيّ يبلغ من العمر خمســـين عامًا، نشـــأ في ولاية كارولينا الشماليَّة في عائلة متديِّنَة. وتَوَجَّهَ إلى تركيا منتصف التســـعينيَّات، ليســـتقرَّ هناك مع عائلته، وقد أوقَفَتْهُ السُّلُطَات التُّرْكِيَّة منذ أكتوبر 2016م لاتِّهَامِهِ بالضُّلُوع في محاولة الانقلاب الفاشلة في البلاد العام ذاته، وممارسة أنشطة مُتَطَرِّفَة، ورفض القضاء التُّرْكِيّ الإفراج عنه، ورفضت أنقرة تســـليمه إلى واشـــنطن منذ ذلك الحين، ما تســـبَّب في أزمة دبلوماســـية واقتصادية بين الطرفين. حتى صَدَر عليه حُكْم قضائيّ مُخَفَّف، وتَمَّ إطلاق سراحه في منتصف أكتوبر 2018م، للمزيد يُنْظَر الرابط التالي: https: //goo.gl/7fTcEj.
2. Qatari emir vows $15bn Turkey investment after Erdogan meeting، موقـــع "aljazeera" الإنجليزية، 16 أغســـطس 2018م، تاريخ الزيارة 14 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/s5VXGh.
3. Turkish lira rallies as Qatar makes $15bn loan pledge، موقع "the guardian"، 15 أغسطس 2018م، تاريخ الزيارة 14 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/FLWZzm.

- **القُوَّة النَّاعِمَة.. نموذج جذب وجَاذِبِيَّة تركي:**

وكان من الطبيعي أنه بعد 7 سنوات من حكم حزب العدالة والتَّنْمِيَة في تركيا، أن تَظهر في استطلاعات الرأي الَّتِي قامت بها مُنَظَّمَة "المُؤَسَّسَة التُّرْكِيَّة للدراسات الاقتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة" (TESEV) في مصر والأردن والأراضي الفلسطينيَّة ولبنان والسُّعُودِيَّة وسوريا والعراق، نظرةٌ إِيجَابِيَّة إلى تركيا. وهو ما يعني نجاح الأخيرة في تسويق قُوَّتهَا غير الصَّلْبَة، وبسط سيطرتها "النَّاعِمَة" - إن صح التعبير - على تلك الدول وشعوبها، دون حروب أو أزمات. بل ما هو أكثر من ذلك؛ فتح قنوات تعاون اقْتِصَادِيَّة مع تلك الدول.(1)

وتشير نتائج تلك الدراسة إلى تَفَوُّق واضح لِلْقُوَّة النَّاعِمَة التُّرْكِيَّة؛ إذ تَحْتَلّ المرتبة الثانية إِقْلِيمِيّاً، بينما ينظر ما نسبته 75% من المستجوبينَ إلى "أنقرة" نظرةً إِيجَابِيَّة في استطلاع الرأي هذا. كما أن الرأي العام في هذه الدول السبعة، اعتبر تركيا فاعلاً أَسَاسِيّاً، ويمارس تأثيراً قوياً على دول المنطقة، وهو مُؤَشِّر قَوِيّ على أن شعوب تلك الدول أصبحت تَثِق في الاقتصاد التُّرْكِيّ، على نحوٍ قد يدفع بعضهم للاستثمار بشكل مباشر أو غير مباشر مع الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة، وهو ما يصبُّ أيضاً في صالح نمو القطاع الاقتِصَادِيّ.
بل إنَّ الرأي العام في تلك الدول، أكَّد على تأيِّيده قيام تركيا بلعب "دور أكبر في العالم العربي"؛ حيث وافق 61% على كون تركيا نموذجاً للدول العَرَبِيَّة من حيث الانسجام بين الإسلام والديمُقْرَاطِيَّة، مما يفتح الباب على مصراعيه، لقبول تلك الشُّعُوب مزيداً من السلع القادمة من تركيا، فالصورة المُتَرَسِّخَة في ذهنيَّة تلك الشُّعُوب، أنه الشعب التُّرْكِيّ المسلم الْحُرّ، القادر على الإبداع والابتكار.

1. علي حسين باكير، "القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة في ميزان التَّحَوُّلات العَرَبِيَّة"، موقع إسلام أونلاين، 18 مارس 2011م، متاح على مُدَوَّنَة الباحث بسبب تَعَطُّل المصدر الأصلي للمقال، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/OTjA1C

توظيف القُوَّة النَّاعِمَة إذن، اتَّخَذَ أشـــكالاً مُتَعَـــدِّدَة، فلم تكتفِ القيادة التُّركِيَّة بتســـويق النجاح الاقْتِصَادِيّ والسِّـــيَاسِي، ودعوة الشُّـــعُوب الأخرى إلى تبادل الخبرات معها، بل ســـوَّقت نفسها كواحة للديمُقْرَاطِيَّة في صحراء الديكتاتوريَّة المُسْـــتَحْكِمَة في المنطقة. مُعلِنَةً عن نفسها كبديل إسلامي شرقي عن ديمُقْرَاطِيَّة الغـــرب العَلْمَانِيَّة، والَّتِي تَتَّهِمُهَا بعض التَّيَّارات الإسْـــلامِيَّة في المنطقة العَرَبِيَّة بالكفر. مما عبَّد لها الطريـــق لعقد صفقات اقْتِصَادِيَّة ضخمة، وضخّ مزيد من مليارات الدولارات في الخزينة التُّركِيَّة من خلال السِّـــيَاحَة العَرَبِيَّة الوافدة، أو الصفقات التِّجَارِيَّة المباشرة(1).

- **القُوَّة النَّاعِمَة.. سياحة الاقتصاد والثقافة:**

تجذب تركيا عدداً متزايداً من السُّيَّاح العرب، خاصة من دول الخليج؛ حيث وصل عدد السُّـــيَّاح العرب إلى 30 ألفاً في سنة 2010م، وارتفع إلى 190 ألف سائح في 2013م، ثم إلى 410 آلاف في 2015م. وبلغ إنفاق السُّـــيَّاح العرب في تركيا عام 2015م نحو 1.3 مليار دولار، كما زادت مدة إقامة الســـائح العَرَبِيّ في تركيا من 1.4 يوم قبل عِدَّة سنوات، إلى 8 أيام في 2016م.(2)

وفي النِّصف الأَوَّل من العام 2017، زار تركيا نحو مليون و226 ألف سائح عربي، على رأسهم السُّـــيَّاح العراقيُّونَ بنحو 317 ألف سائح، ثُمَّ السعوديُّونَ 205 آلاف سائح، ثُمَّ الكويتيُّونَ بـ 94 ألف سائح، ثم الأردنيُّونَ بنحو 87 ألف سائح(3).

1. علي حسين باكير، "القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة في ميزان التَّحَوُّلات العَرَبِيَّة"، موقع إسلام أونلاين، 18 مارس 2011م، متاح على مُدَوَّنَة الباحث بسبب تَعَطُّل المصدر الأصليّ للمقال، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/OTjA1C
2. طوبى ياردمجي، تركيا.. إقبال السياح العرب على البحر الأسود في تصاعد مستمر، هابيرلر نيوز التُّرْكِيَّة ، 19 ديسمبر 2016م، تاريخ الزيارة 22 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/oylQm
3. "تركيا.. ارتفاع عدد السُّيَّاح العرب 34% في النصف الأول من العام الجاري"، تركيا بوست، 2 أغسطس 2017، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/s9vnpL

هذا التَّطَوُّر الكبير في حركة السِّـــيَاحَة العَرَبِيَّة نحو تركيا، حدَث نتيجة الجهود الكبـــيرة الَّتي بُذِلَت للتعريف بقُدُرَات تركيا السِّـــيَاحِيَّة، ومصادر القُوَّة النَّاعِمَة الَّتي اســـتغلَّتها القيادة التُّركِيَّة جَيِّداً، من أجل تحقيق مآربها الاقتِصَادِيَّة. إضافة إلى إصدار أفلام ومنشـــورات تعريفيَّة عن تركيا باللغة العَرَبِيَّة. وعَقَدَ العديد من اللقاءات مع المســـؤولين بدول الخليج لبحث تطوير السِّيَاحَة والتبادل التجاري. علاوةً على تنويع الأنشـــطة السيَاحِيَّة بشـــكلٍ يجعل المنطقة جاذبة للسُّيَّاح طوال العام، وتدشين خطوط طيران مباشرة بين دول الخليج وكثير من المناطق التُّركِيَّة. وبالتوازي مع زيادة عدد السُّـــيَّاح من دول الخليج، ارتفعت مبيعات المساكن في المدينـــة؛ ووفق إحصائيات ولاية طرابزون، فإن 1081 من مواطني دول الخليج، اقتنوا لأنفسهم ألفاً و271 مســـكناً، خلال العامين 2015 - 2016م بتلك الولاية فقط(1)، وخلال الربع الأَوَّل من العام 2018م، اســـتقبلت تركيا 5 ملايين و138 ألف سائح، بزيادة نحو 36% عن الربع الأَوَّل من العام 2017(2).

وعلى الصعيد السِّـــيَاحِيّ العقاري، اشترى السُّـــيَّاح العراقيُّونَ في تركيا 8 آلاف و909 منازل، والسعوديُّونَ 6 آلاف و107 منازل، والكويتيُّونَ 4 آلاف و672 منزلاً خلال الفترة من 2015 - منتصف 2017(3).

ولا نزال مع تطبيقات القُوَّة النَّاعِمَة حسب التجربة التُّركِيَّة الرائدة، والَّتي توضِّح كيف اســـتَغَلَّتَهَا الحكومة التُّركِيَّة في تحقيق أهدافها الاقتِصَادِيَّة. فبعد انتخابات 2002م مبـــاشرة، قام رئيس الوزراء آنذاك ـ السَّـــيِّد رجب طيّب أردوغان بجمع الســـفراء

1. طوبى ياردمجي، تركيا.. إقبال السُّيَّاح العرب على البحر الأسود في تصاعد مُسْتَمِرّ، مرجع سابق.
2. تركيا.. رقم قِيَاسِيّ في عدد السُّيَّاح بالربع الأول من 2018م، دايلي صباح، 27 أبريل 2018م، مُتَاح على الرابط التالي: goo.gl/os8EWp
3. العرب يُنْعِشُونَ قطاع العقارات في تركيا، وكالة أنباء نيو ترك بوست، 3 أغسطس 2017، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/XjzuLx

العرب في أنقرة، وكشــف لهم عن نيَّة الحكومة في إحياء العلاقات بين تركيا والعالم الإِسْــلاَمِيّ العَرَبيّ من جديد. وهو ما أدَّى إلى تضاعف حجم التبادل الاقْتِصَادِيّ مع الدول الإِسْلامِيَّة 10 أضعاف ما كان عليه في السابق. كما تَمَّ توقيع 6 اتِّفَاقيَّات تجارة حُرَّة بين تركيا وسِتَّة دول عَرَبِيَّة: المغرب، تونس، الأردن، مصر، فلسطين، سوريا(1).

وهنــا لا بُدَّ من التَّأْكِيد على أن النجاح الــتُّرْكِيّ في توظيف قُوَّتَه النَّاعِمَة في المجال الاقتِصَادِيّ، لا يأتي فقط من مهارتها وقدرتها في هذا السياق، بل يأتي أيضاً، كنتيجة حتميَّة للظروف الَّتِي تعيشــها المنطقة، وللسياسات العَرَبِيَّة المتشابكة. بالإضافة إلى رغبة الكثير من الدول العَرَبِيَّة في وقف الزحف والتمدُّد الإيراني الشيعي في المنطقة. وهو ما سمح لدولة بحجم تركيا من إنجاح نموذجها الاقْتِصَادِيّ والثَّقَافِيّ دون لجوء إلى استعراض أو استعمال قُوَّتهَا الصَّلْبَة.

تعزيز القُدْرَة التَّنَافُسِيَّة:

في تحليلٍ مُخْتَصَرٍ لـ"Rimall Invest (2)" حول الوضع السِّيَاسِيّ الاقْتِصَادِيّ التُّرْكِيّ لعام 2017م، تُشــير مُقَدِّمته إلى أن "تركيا عضوة في مُنَظَّمَة الدول العشرين، ومن الجهات المانحة المُهِمَّة في المساعدة الإنْمَائِيَّة الرَّسْمِيَّة الثُّنَائِيَّة "ODA". وهي مصدّر كبير ذو ثقة للسِّــلَع الاستهلاكيَّة ذات الجَوْدَة العالية، وهي الآن أكبر مُنْتِج في أوروبا لأجهزة التلفزيون والمركبات التِّجَارِيَّة الخفيفة، كما أن سِلَعَهَا تصل إلى السوق الألمانيَّة وذلك بفضل دِقَّتِهَا، وتُعَدُّ ثامن أكبر مُنْتِج للموادّ الغذائيَّة في العالم والوِجْهَة السيَاحِيَّة السادسة الأكبر شَعْبِيَّة، وهناك 43 شركة تُرْكِيَّة ضمن كبريات شركات البناء العَالَمِيَّة

1. إحسان فقيه، "القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة في العالم العربي"، مرجع سابق.
2. شركــة تركية رائدة في مجال الاســتثمارات والاستشــارات العقاريَّة، تُقَدِّم خدماتها لتلبيــة احتياجات العملاء ورغباتهم وخدمتهم بطريقة متميزة في مجال الاستثمارات العقارية في تركيا. للمزيد يُنْظَر: "من نحن"، رمال إنفست للاستثمارات والاستشارات العقاريَّة، تركيا، د. ت، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/bPYxjX

البالغ عددها 250 شركة، وتَتَمَيَّز تركيا بصناعة نسيج مُتَطَوِّرَة تُصَدِّر سِلَعاً ذات جودة عالية إلى عموم دول أوروبا، كما قَفَزَتْ الصادرات إلى أكثر من 400%"(1).

وقد ارتبطت القُوَّة النَّاعِمَة التُّركِيَّة، بعددٍ من المفاهيم الاقتِصَادِيَّة المعروفة، من بينها: تعزيز القُدْرَة التَّنَافُسِـــيَّة، وإقرار العدالة في توزيـــع الدخل. فقُدْرَة الدَّوْلَة أولاً على التَّأثير في الآخرين داخِلِيّاً وخارِجِيّاً، يجب أن تُواكبها مساحة كافية لإبراز القدرات، ومنح فُرَص المنافسة المتكافئة أمام الفاعلين الاقتِصَادِيِّينَ. وتَدَخُّلها ثانياً، لعلاج أحد أهَمّ المشـــكلات الَّتِي تُقَوِّض أركان أيّ بناء أو نهوض اقتصادي، ونعني به سوءَ توزيع الدخـــل. وهو ما قامت الدَّوْلَة التُّركِيَّة بالانكباب على إيجاد حلول له، من خلال مَنْحِ أولويَّة كبيرة في جدول أعمالها لدعم التنافسيَّة ومسألة توزيع الدخل.

مُعالجة هذه المسألة الأخيرة، ساعدت الدَّوْلَة التُّركِيَّة على التَّغَلْغُل بين طبقات شعبها، وتقليل الفجوة بين الفقراء والأغنياء. وفي ذلك اعتمدت حكومة حزب العدالة والتَّنْمِيَة عـــلى برامج للتَّنْمِيَة وهياكل للدعم الحكومـــي، منذ عام 2002م، تهدف إلى خفض التفاوت الاجْتِمَاعِيّ بين الأقاليم وضمان توزيع عادل للدخل في البلاد. وهو ما أدَّى إلى إنتاج المزيد من تأثير القُوَّة النَّاعِمَة للدولة على المستوى الدَّاخِلِيّ.

وقد ساعدها؛ كذلك، على تحقيق ذلك التحسُّن الكبير الَّذِي طرأ على اقتصاد البلاد، والَّذِي ساعد بدوره في توفير تمويل مالي لبرامج تعزيز القُدْرَة التَّنَافُسِيَّة بين أفراد الشعب التُّرْكِيّ، مُمَثّلاً في الارتفاع الثابت لمُعَدَّلاَت النُّمُوّ الاقتِصَادِيّ، وزيادة إجمالي الناتج المَحَلِّيّ، وانخفاض نِسَـــب مخاطر الاستثمار، وتقليص مدفوعات الفائدة. مما ســـاعَد تركيا على النهوض سريعاً من كَبْوَتِهَا، بل والصمود أمام الأزمات الَّتِي وقعت فيها تركيا مُؤَخَّراً، وهو ما ظَهَرَ أَثَرُهُ بوضوح في ديسمبر 2016م(2).

1. الاقتصاد التُّرْكِيّ ومستقبل الاستثمارات الأجنبية في تركيا حالياً حقائق وتوقعات"، رمال إنفست، 3 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/21wD6A
2. إحسان فقيه، "القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة في العالم العربي"، مرجع سابق.

فمع الانخفاض الكبير لســـعر اللِّيرَة التُّركِيَّة أمام الدولار الأمريكي، في أبريل 2017، ســـارع الأتراك إلى تغيير عملاتهم الأجنبيَّة باللِّيرَة المَحَلِّيَّة. وأَبْدَتْ مُؤَسَّسَات حكوميَّة ورجال أعمال وتُجَّار ومواطنون أتراك اســـتجابة واسعة لدعوة الرئيس السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان إلى تحويل مـــا بحوزتهم من العُمُلات الأجنبيَّة إلى اللِّيرَة أو الذهب، بهدف إنعاش وتقوية العُمْلَة المَحَلِّيَّة، وهو ما تَحَقَّق بالفعل بعدما وصل ســـعر صرف الدولار إلى 3.45 ليرات تركيَّة، بعد أن بلغ أعلى مستوياته بقيمة 3.6 ليرات(1).

ويُعْتَبَر هذا المسلك الشعبيّ تأكيداً واضحاً على ما ذُكِرَ في السُّطُور السابقة، من ارتباط بين تعزيز القُدْرَة التَّنَافُســـيَّة بين الفاعلين الاقتِصَادِيّين وتقليل الفجوة بين الفقراء والأغنياء، مع زيادة مُعَدَّلَات الولاء بين المواطنين، والشـــعور بالعدالة والمساواة، وهو ما يُعَدُّ أحد علامات نجاح القُوَّة النَّاعِمَة التُّركِيَّة، ومدى تأثيرها على الداخل التُّرْكِيّ.

وقـــد تَكَرَّرَ هذا الأمر في أغســـطس 2018، حينما دعا الرئيـــس التُّرْكِيّ رجب طَيِّب أردوغان الشـــعب لتحويل مُدَّخَرَاتِهِ إلى اللِّـــيرَة لإنقاذ الاقتصاد التُّرْكِيّ من الهجمة الشرسة الَّتِي تشنُّها الولايات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة لاعتباراتٍ سِيَاسِيَّة؛ حيث تجاوزت تلك الدعوة حدود الشـــعب التُّرْكِيّ لتلقى صدًى عَرَبِيّاً وإسلاميّاً كبيراً؛ حيث نَظَّمَ مُمَثِّلُونَ عن الجالية العَرَبِيَّة في تركيا فَعَالِيَّات تضامنيَّة في إسطنبول لدعوة أبناء الجالية إلى دعم الاقتصاد التُّرْكِيّ من خلال تحويل مُدَّخَرَاتهم من الدولار والذهب إلى اللِّيرَة(2). كما تَمَّ تدشـــين العديد مـــن الحملات لدعم اللِّيرَة التُّركِيَّـــة، في عددٍ من البلدان،

---

1. خليل مبروك، الأتراك "ينتصرون" لعُمْلَتِهِم في مواجهة الدولار، الجزيرة نت، 9 ديسمبر 2016م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KtacXF
2. "الجاليـــة العَرَبِيَّـــة في إســـطنبول تدعو إلى دعم اللِّيرَة التُّرْكِيَّة "، وكالة الأناضول للأنباء، 15 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QRwBSp

كأذربيجان والسويد ولبنان وغيرها، من خلال تحويل المُدَّخَرَات الدولاريَّة إلى اللِّيرَة التُّركِيَّـــة لمواجهة فَعَالِيَّات دَوْلِيَّة وإِقْلِيمِيَّة تَتَرَبَّصُ بالدَّوْلَة التُّركِيَّة وقيادتها على كافَّة المستويات(1).

ولعـــل من أبرز مُؤَشِّرَات القُوَّة النَّاعِمَة والوزن الدَّوْليّ الَّذِي تَتَمَتَّعُ به تركيا، حتى في أزمة عُملتها الَّتِي خسرت منذ يناير حتى أغسطس 2018م أكثر من 34% من قيمتها أمـــام الدولار الأمريكي، أن تلك الأزمة الناجمة عن صراع سِـــيَاسِيّ / اقْتِصَادِيّ مع الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة أثَّرت على عملات قُوًى اقْتِصَادِيَّة أخرى كالهند روســـيا والبرازيل والأرجنتين وجنوب إفريقيا والمكسيك(2).

1. "تواصـــل حمـــلات دعم اللِّيرَة التُّرْكِيَّة في عدد من بلدان العالم"، وكالة الأناضول للأنباء، 14 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/58Eych
2. "أزمة اللِّيرَة: تركيا تقرر مقاطعة السلع الإلكترونية الأمْرِيكِيَّة بسبب العقوبات التي فرضتها إدارة الرئيس دونالد ترامب"، بي بي سي عربي، 14 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/pDrgC9

المبحث الثالث

الحماية الاجْتِمَاعِيَّة

"الرعايـــة الاجْتِمَاعِيَّة"، أو "الحماية الاجْتِمَاعِيَّة"، إحدى الحقوق الأسَاسِـــيَّة الَّتِي تَكْفُلُهَـــا الدَّوْلَة للفرد، في الحصول على كافَّة حاجاتــه الاقتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة، والثَّقَافِيَّة والتربويَّة، له ولأسرته في العيش وَفْق مســتويات جَيِّدَة، إضافةً إلى حَقِّهِ في الحصول على فُرص العمل الَّتِي تساعده في تلبية مُتَطَلَّبَات معيشته.

وكل هذه الأمور وفَّرتها الدَّوْلَة التُّركِيَّة، وحقَّقت بها القُوَّة النَّاعِمَة بين أفراد شــعبها. فكما أن تعزيز القُدْرَة التَّنَافُسِيَّة وتقليل الفجوة بين الفقراء والأغنياء، ساهم لحدٍّ كبير في تعزيز قُوَّة تركيا النَّاعِمَة، الأمر نفســه ينطبق على فكرة الضمان الاجْتِمَاعِيّ الَّتِي تســعى تركيا من خلالها إلى تأمين مســتوى عَيْشٍ كريمٍ، لمن هم في حاجة لذلك من غير إحســاس بشفقةٍ أو اســتضعافٍ أو بَذْلِ مَاءِ الوجه، مما يساهم في انتشار العدل والرحمة والأُلْفَة بين الناس من جهة، وزيادة قُوَّة الدَّوْلَة النَّاعِمَة وحجم التَّأييد ودعم سياساتها من جهة أخرى.

والضمان الاجْتِمَاعِيّ يحقِّق الولاء المُطْلَق للشــعب تِجَــاه دولته؛ فالدَّوْلَة الَّتِي تضمن لمواطنيها حياةً كريمةً ميســورة، لن تجد في المقابل سوى شعب محترم مضمون الولاء، وهذا هو أقوى أســلحة تركيا النَّاعِمَة داخِلِيّــاً، والثَّمَرَة الكبرى الَّتِي يمكن البناء على أساسها أي إنجاز آخر.

- **الحماية الاجْتِمَاعِيَّة الإِسْلامِيَّة والعُثْمَانِيَّة؛ جذور ضاربة في التاريخ:**

في واقـــع الأمر، لا ترتبط فكرة الضمان الاجْتِمَاعِيّ بالدَّوْلَة التُّرْكِيَّة الحديثة، بل تَمْتَدّ إلى عهد الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز(1) (رحمه الله)، الَّذِي وصل الفعل الاجْتِمَاعِيّ في عهده لأعلى المستويات.

وقد تَنَوَّعَ العمل على أكثر من مستوى، في إطار مفهوم الضمان الاجْتِمَاعِيّ في هذا العصر الراشـــد، من خلال الأمر الَّذِي أصدره الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز إلى مساعديه بأن يرسلوا المنادين إلى الأمصار الإِسْلامِيَّة لينادوا في الملأ، بأنه من كان عاملاً للدولة وليس له بيت يسكنه، يُوفِّر له بيت المسلمين هذا البيت. ومن كان عاملاً للدولة وليس له مَرْكَبٌ يَرْكَبُهُ، يُوفِّر له بيتُ مال المســـلمين ركوبة خاصة به. ومن كان عليه دَيْن أو قرض لا يستطيع قضاءه، يُوفّر له بيت المال ما يَرُدُّ هذا الدَّيْن. ومن كان في سنّ الزواج ولم يتزوج، فزواجه على حساب بيت مال المسلمين(2).

وهكذا أسَّـــس الخليفة العادل لنظام ضمانٍ اجتماعي، يُمَثِّل "قُوَّة ناعمة" حقيقيَّة، ضَمِنْتُ ولاء المســـلمين له من ناحيـــة، وضَمِنْتُ له رضا الله وثواب الدنيا والآخرة، من ناحية أخرى.

---

1. عمـــر بـــن عبدالعزيز بن مـــروان بن الحكم الأُمَوِيّ القُرَشِيّ (61هـــ\681م- 101هـ\720م) ، هو ثامن الخلفاء الأمويِّينَ. وُلِدَ سنة 61هـ في المدينة المنورة، وكان شديد الإقبال على طلب العلم. وفي سنة 87هـ، ولّاه الخليفة الوليد بن عبدالملك على إمارة المدينة المنورة، ولما تَوَلَّى ســـليمان بن عبدالملك الخلافة قرّبه وجعله وزيراً ومستشاراً له، ثم جعله وَلِيّ عهده، فَلَمَّا مات سليمان سنة 99هـ تَوَلَّى عمر الخلافة. تمَيَّزَتْ خلافـــة عمـــر بن عبدالعزيز بعدد من المُمَيِّزَات، منها: العدلُ والمســـاواة، وردُّ المظالم، وعزلُ جميع الولاة الظالمين ومعاقبتُهم، كما أعاد العمل بالشـــورى، ولذلك عدّه كثير من العلماء خامس الخلفاء الراشـــدين، كما اهْتَمَّ بالعلوم الشَّرْعِيَّة، وأَمَرَ بتدوين الحديث النبويّ الشريف. استمَرَّتْ خلافة عمر سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام، حتى قُتِل مسموماً سنة 101هـ. للمزيد يُنْظَر: أبو عبدالله شمس الدين الذهبي، سِيَرَ أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مُؤَسَّسَة الرسالة، بيروت، 1992م.
2. محمـــد شـــعبان أيـــوب، "التكافل والإغاثة في الخلافة الأموية"، موقع المختار الإســـلامي، 11 ديســـمبر 2013م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/BIH68P

وقد اســـتمَرَّ هذا النَّهج من الحماية الاجْتِمَاعِيَّة في الدول الإسْـــلامِيَّة إلى غاية الدَّوْلَة العُثْمَانِيَّة؛ حيث أسَّس السلطان أورخان(1) ثاني السلاطين العثمانيِّينَ نظام الأوقاف، عندما أمر ببناء أول مدرسة عثمانيَّة في "إزنيق"(2)، أوْقَفَ لها من الأموال غير المنقولة لتســـدّ حاجاتها من المصاريف والنفقات. واقتدت بها أوقاف أخرى قامـــت لأغراض مختلفة، كصرف مِنَح إعانة لليتامى وللأرامل، ورعاية الشـــيوخ والعاجزين، وتأمين إرضاع الأطفال، وتجهيز البنات للزواج.

وفي تلـــك المرحلة وصل الأمر لمرحلة مُتَقَدِّمَة مـــن العمل الاجْتِمَاعِيّ، عبر شراء الألعاب للأطفال، وتأمين حاجيَّات المســـافرين، والإنفاق على طلبة العلم وتأمين الإقامة لهم، وتأمين العمل للعاطلين(3). وهذا أبرز سلاح في ترسانة الأسلحة الَّتِي تَعْتَمِـــد عليها القُوَّة النَّاعِمَة في أيّ نظـــام وأيّ دولة، وخصوصاً ما يَتَّصِلُ بمفهوم الأمن الاجْتِمَاعِيّ.

1. هو ثاني سلاطين آل عُثمان والابن الثاني لِمُؤسس هذه السُلالة الملكيَّة عُثمان الأوَّل. وُلد في مدينة سُكود عاصمة إمارة والده سنة 687هـ المُوافقة لِسنة 1281م، وتَوَلَّى السُلطة سنة 726هـ المُوافقة لِسنة 1326م بعد وفاة والده، وقد امتدَّ حكمه حوالي 35 ســـنة. شَـــهِدَ عَهْدُهُ توسُّعَ الإمارة العُثْمَانِيّة وضمِّها لِلعديد من الأراضي والبِلاد المُجاورة وتصفية آخر مراكز النُفوذ والقُوَّة البيزنطيَّة في آســـيا الصُغرى. للمزيد يُنْظَر: أورخان غازي السلطان الثاني للدولة العُثْمَانِيّة، ترك برس، 11 يناير 2016، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي:goo.gl/HgSbHQ
2. إزنيق مدينة تركيَّة، تقع بالقرب من مدينة نيقية التاريخية في أقصى شمال غرب الأناضول وتتبع لمحافظة بورصة. يبلغ عدد سُـــكَّان مدينة إزنيق حالياً حوالي 15 ألف نســـمة، تقع بالقرب من بحيرة إزنيق وتشتهر بصناعة الخزف العُثْمَانيّ. للمزيد يُنْظَر : مدينة "إزنيق" أشـــهر مدينة في صناعة الخزف العُثْمَانيّ، ترك برس، 7 يوليو 2015، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6eQuQK
3. "الوقـــف العُثْـــمَانيّ.. حضارة واقتصاد"، رافد بيت الخبرة في الأوقاف والوصايا، 15 أغســـطس 2016م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، مُتَاح علت الرابط التالي: goo.gl/xaYXn2

- **الحماية الاجْتِمَاعِيَّة.. نموذج تركي مشرق:**

وفي هذا السياق، تَمَّ تأصيل الرعاية الاجْتِمَاعِيَّة في تركيا بعد عام 2002م، بِنَصٍّ واضِح في الدُّسْتُور التُّرْكِيّ، والَّذِي نصَّ صراحةً على أن "الكُلَّ يَتَمَتَّعُونَ بالضمان الاجْتِمَاعِيّ، والدَّوْلَة تَتَّخِذُ الإجـراءات الكفيلة لتحقيق هذا الضمان، من خلال مُؤَسَّسَات تقيمها" (المادة الـ 60 من الدُّسْتُور التُّرْكِيّ).

أما المادة العاشرة من الدُّسْتُور نفسه، فتَنُصُّ على أنَّ "جميع الأفراد متساوون أمام القانون دونما تَمْيِيزٍ، بِصَرْفِ النَّظَرِ عن اللُّغَةِ، أو العِرْقِ، أو اللَّوْنِ، أو الجِنْس، وللرِّجال والنِّساء حقوقٌ متساوِيَّة، والدَّوْلَة مُلْزَمَةٌ بضمان تحقيق هذه المساواة على الصعيد العملي، ولا تُفسَّر التدابير الَّتِي تُتَّخَذ لهذا الغرض باعتبارها مُخَالِفَةً لمبدأ المساواة".(1)

ولم تكتـفِ الدَّوْلَـة التُّرْكِيَّة بتلك المواد الصريحـة الواضحة في مجال الحماية الاجْتِمَاعِيَّة، بل منحت الأمر أكثر من ذلك؛ من خلال تَمْيِيز بعض المستفيدين من تلـك البرامج بمزيد من التدابير والإجـراءات الحُكُومِيَّة؛ حيث تَمَّ تحديد نطاق التَّمْيِيـز الإيجابي، من خلال تعديل المادة العاشرة في الدُّسْتُور التُّرْكِيّ بإضافة الفقـرة الآتية: "والتدابير الَّتِي تُتَّخذ لصالح الأطفال والمُسِـنِّينَ والمعاقين وأرامل الشـهداء وأبنائهم، وكذلك لصالح مصابي الحـرب وقدامى المحاربين، لا تُعْتَبَرَ مخالفة لمبدأ المساواة".(2)

---

1. دسـتور تركيا الصادر عام 1982م شـاملًا تعديلاته لغاية عام 2011م، موقع "constituteproject"، 27 يوليو 2018م، تاريخ الزيارة 14 أكتوبر 2018م، نسـخة إلكترونية متاحة على الرابط التالي: https: //goo.gl/dPNTSz.
2. محمد حسن القدو، "الرعاية الاجْتِمَاعِيّة في تركيا"، ترك برس، 13 يناير 2015م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xEklfu

والأمر لم يَتَوَقَّفْ عند هذا الحَدِّ، فنجد أن مســـألة الضـــمان الاجْتِمَاعِيّ حَظِيَتْ بأهَمِّيَّة كبيرة في البرلمان الـــتُّرْكِيّ، ففي عام 2003م، أَقَرَّ البرلمان قانوناً يقضي بتشـــكيل مجلس استشـــاري للرعاية الاجْتِمَاعِيَّة يحدِّد وينفِّذ السِّيَاسَات المُقَرَّرَة، ويَضُـــمُّ هذا المجلس مُمَثِّلينَ من عِدَّة وزارات ومُؤَسَّسَـــات عامة، ويجتمع مَرَّةً كُلِّ ســـنة. وهو إجراء يربط المواطنين بالدَّوْلَة، بشكل دَوْرِيّ، فكلُّ عام هناك تغيير في السِّيَاسَـــات والقوانين المُنَظِّمَة للضـــمان الاجْتِمَاعِيّ بتركيا، حتى لا تضيع حقوق الفقراء مع الضغوط الاقتِصَادِيَّة والمَالِيَّة على مدار الزمن، مما جعل هذا الســـلاح ينمـــو ويَتَطَوَّرُ مع مرور الوقت، ليُفرز لنا جيلاً شـــديد الوَطَنِيَّة والانتماء لوطنه، وقادر على النهوض بمختلف أعبائه.

كما أنشـــأت الحكومة "هيئة الضـــمان الاجْتِمَاعِيّ" لتكون مِظَلَّة شـــاملة لجميع المُؤَسَّسَات الْمَعْنِيَّة بالضمان الاجْتِمَاعِيّ للمواطنين الأتراك، وأَهَمُّهَا؛ هيئة التأمين الصِّحِّيّ، وصندوق المعاشـــات، ومُؤَسَّسَة التأمينات الاجْتِمَاعِيَّة للحرفيِّينَ والتُّجَّار والعُمَّال المستقلِّينَ. هذا إلى جانب تطبيق نظام التأمين الصحي العام، ومد خدماته ليشـــمل المواطنين من دون سنّ الثامنة عشرة، وقد اضْطَلَعَتْ الدَّوْلَة كذلك بسداد أقساط التأمين الصِّحِّيّ للفئات الأفقر، والَّذِين بلغ عددهم نحو 9 ملايين مواطن، وتخفيض نســـبة أقساط التأمين الخَاصَّة بالمزارعين والحِرَفِيِّينَ، وتعويض مَن لم يســـتطع مزاولة المِهْنَة منهم، وصرف راتب شهري حال تَعَرُّضِهم لإصابات العمل، وإعانة بنات من تُوُفِّيَ منهم من المُقْبِلَات على الزواج براتب 24 شهراً(1).

وبإيجـــاز سريع، نجد أن نظام الضمان الاجْتِمَاعِيّ الـــتُّرْكِيّ مَرّ بتَحَوُّلَات كبيرة. ففي عـــام 2007م تَمَّ دمج صناديق التأمين الثلاثة، وهي: مُؤَسَّسَـــة التأمينات، صندوق التقاعد ومُؤَسَّسَـــة أرباب الحِرَف والمهن الحُـــرَّة، بموجب القانون رقم

1. مســيرة تركيا خلال 12 عام: الحلقة الرابعة عَشْرَةَ: الجهود المبذولة في مجال الضمان الاجْتِمَاعِيّ، ترك برس، 20 أبريل 2015، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/RThhUN

5502، وسُميت آنذاك بمُؤَسَّسَــــة التأمينات الاجْتِمَاعِيَّة، وهو ما ساهم في زيادة ميزانيَّة الضمان الاجْتِمَاعِيّ بتركيا على مختلف المستويات، وتعميم خدماته بشكل كبـــير، ففي عام 2015م، وصل نظام الضـــمان الاجْتِمَاعِيّ التُّرْكِيّ إلى تغطية ما يقرب من 99% من مجموع سُكَّان تركيا، بارتفاع قدره 29% عن الوضع السالف في عام 2002م.(1)

وفي السِّـــيَاق نفسه، أُقِيمَ نظام ضمان تَقَاعُدِيّ واحد مستدام من الناحية المَالِيَّة، مـــع تكوين نظام تأمين صِحِّيّ عام لتقديم خدمات صِحِّيَّة جَيِّدَة لكافَّة السُّـــكَّان بالتساوي، مع إمكانيَّة الولوج إليه بسرعة. وهو ما ساهَم في زيادة مساحات الثِّقَة بين المواطنين ودولتهم، من خلال رعايتهم صِحِّيّاً. مما يَصُبُّ في النهاية في خانة دعم القُوَّة النَّاعِمَة للدولة التُّركِيَّة على المستوى الدَّاخِلِيّ.(2)

وقد تطوَّرت نسبة الإنفاق الاجْتِمَاعِيّ العام من إجمالي الناتج المَحَلِّيّ في تركيا من 9.7% قبل عام 2002، 13.5% عام 2016(3). الأمر الَّذي دفَع تركيا إلى تسجيل ثاني أعلى مستوى لتراجع مُعَدَّلَات الفقر مقارنة بدول الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ في 2016، عنه في العام 2015(4).

عـــلى جانب آخر، قامت الحكومة التُّركِيَّة، في العام 2016م، بتدشـــين مشروع جديد لرعاية المُسَنِّينَ، يقوم إقامة مراكز تقوم على تقديم خدمة الرعاية للمُسِنِّينَ نهاراً وإرسالهم إلى بيوتهم ليلاً، على غِرَار حضانات الأطفال، على أن تكون بداية المشروع بمدينة إزمير تمهيداً لتعميمها بالمدن التُّركِيَّة الأخرى(5).

1. "التاريـــخ"، الجمهوريـــة التُّرْكِيَّة : مُؤَسَّسَـــة الضمان الاجْتِمَاعِيّ، د. ت، تاريخ الزيارة: 18 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/gf5ZtN
2. "التاريخ"، الجمهورية التُّرْكِيَّة : مُؤَسَّسَة الضمان الاجْتِمَاعِيّ، المرجع السابق.
3. "تركيا تُطَوِّر شـــبكة رعاية اجْتِمَاعِيَّة رائدة خلال عقدين"، ترك برس، 2 أغســـطس 2017، تاريخ الزيارة: 18 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/yV7znA
4. تركيـــا الثانيـــة أوروبيّـــاً في تراجع معدلات الفقـــر 2016"، وكالة الأناضول للأنباء، 6 أكتوبـــر 2017، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/RWdhHm
5. "مشروع جديد لرعاية المُسِـــنِّينَ"، ترك برس، 1 فبراير 2016، تاريخ الزيارة: 18 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wrdgae

وتمنح الحكومة التُّركِيَّة كُلّ من تجاوز عمره الخامسة والسِّتِّينَ راتباً شهريّاً إضافياً يبلغ 500 ليرة، كما تَكْفُلُ الحكومة برامج رعاية صحيَّة مجانيَّة للمُسِـــنِّينَ؛ أبرزها إرسال سيارات إســـعاف يَضُمّ طاقمها طبيباً ومُمَرِّضَة لرعاية المُسِنِّينَ صِحِّيّاً في منازلهم بالمجان، هذا إلى جانب تكفُّل الحكومة بإرسال مُتَخَصِّصِينَ لتنظيف بيوت المُسِنِّينَ وطَهْو طعامهم بشكل أسبوعي(1).

أما فيما يَتَعَلَّق بدور الحكومة التُّركِيَّة في مكافحة البطالة، فالمقارنة في هذا المجال مع دول اليورو تشير إلى انخفاض مستويات البطالة بتركيا في عام 2014م إلى ما نســـبته 7%، مقابل نسبة بطالة تقدر ب 11%؛ خلال العام ذاته، في نطاق الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ(2).

نســـبة بســـيطة نِسْـبِيّاً وجدت يداً حانيَّة، تَضَمُّهُمْ إلى شريحة مستحِقِّي الضمان الاجْتِمَاعِيّ، وبالتَّالِي إدراجهم ضمن ســـلاح القُوَّة النَّاعِمَة؛ إذ اســـتَهَلَّتْ حكومة العدالة والتَّنْمِيَة شهورها الأُولَى في الحُكْم في عام 2003 بإنشاء مشروع لتخفيف المخاطـــر الاجْتِمَاعِيَّة للعاطلين عن العمـــل بإنفاق إجمالي وصل إلى نصف مليار دولار.(3)

وكخلاصة، فإن القُوَّة النَّاعِمَة التُّركِيَّة استفادت كثيراً من برامج الدعم الاجْتِمَاعِيّ الَّتِـــي قَدَّمَتْهَا الحكومة لمواطنيها؛ حيث فَرَضَتْ تلك البرامج المزيد من الولاء على المواطنين، مما ساهم في إنجاح وتنفيذ برامج الحكومة الاقتِصَادِيَّة بحذافيرها.

---

1. تركيا ترعى كبار السن في منازلهم، العربي الجديد، 13 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/G1JnXy
2. محمد حســن القدو، "الرعاية الاجْتِمَاعِيّة في تركيا"، ترك برس، 13 يناير 2015، تاريخ الزيارة: 18 أغســطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hbbVbs
3. محمد حسن القدو، "الرعاية الاجْتِمَاعِيّة في تركيا"، المرجع السابق.

التعليم والرعاية الصحية:

يختلف نظام التأمــين الصِّحِّيّ، في تركيا عن نظام الضمان الاجْتِمَاعِيّ؛ حيث إن كُلّ فرد في تركيا سواءً كان مشمولاً بخدمة الضمان الاجْتِمَاعِيّ أو غير مُدرَج بها، له الحَقّ في الرعاية الصحيَّة بشكل متساوٍ ومتكافئ مع باقي مواطني بلده.

وبداية من عام 2012م، تَمَّ إدماج أكثر من 1.5 مليون مواطن تركي غير مشـــمول بنظام الضــمان الاجْتِمَاعِيّ، في نظام الرعاية الصحيَّة العام، بزيادةٍ وصلت إلى 300% قياســاً بنفس الفترة من ســنة 2011م. واعتمد النِّظَام التُّرْكِيّ في هذا، على توفير ميزانيَّة ضخمة من خلال المستشــفيات الخَاصَّة؛ حيث تصل ميزانيَّة هــذا التأمين إلى 4 مليارات دولار ســنوياً. ومن جهة أخرى بلغ عدد الَّذِين يحصلون على العلاج من خلال منظومة التأمين الصحي سَنوياً إلى 500 ألف مريض (1). هذا وقد تَمَّ مُؤَخَّراً مَنْح الدواء مجَّاناً للمواطنين الأتراك.

أما ما يَتَعَلَّق بنظام التَّعْلِيم في تركيا، فهو يخضع بشكل كبير لرقابة وإشراف الحكومة؛ حيث يُعَدُّ أحد أَهَمّ أولويــات الحكومة التُّرْكِيَّة هو تطوير العَمَلِيَّة التَّعْلِيميَّة عبر وزارة التربيــة والتَّعْلِيم، من أجل إخراج أجيال جديدة من الأتراك تضمن اســتمرار القُوَّة النَّاعِمَة التُّرْكِيَّة، الَّتِي تُحَقِّقُ طموحات الدَّوْلَة.

وَوَفْقاً لدســتور الجُمهوريَّة التُّرْكِيَّة فإنَّ حَــقَّ الحصول على التَّعْلِيم محفوظ للجميع، وهو إجْبَارِيٌّ من سِنّ السادسة وحتى الرابعة عشرة، ومَجَّانِيٌّ في الجامعات الحُكُومِيَّة. تمتلك المدارس الابتدائيَّة معدل تســجيل حوالي 103.29%(2)، وَفْقاً لإحصاءات البنك

1. "الرعايــة الصِّحِّيَّــة في تركيا؛ مستشــفيات معاصرة.. وإمكانيات حضاريَّة واســعة"، تركيا بوســت، 22 نوفمبر 2014م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5T8iFg
2. يمكن لهذه النســبة أن تتجاوز 100% بســبب قيد الأطفال الذين تَخَطَّوْا العمر المدرسيّ المُقَرَّر والأطفال الذين لم يبلغوا العمر المدرسيّ المُقَرَّر في سنّ متأخرة أو مبكرة و/أو بسبب إعادتهم الصفوف.

الدَّوْليّ لعام 2018 (وفقاً لتقديرات العام 2015)(1)، وهي نِسْـــبَةٌ مرتفعةٌ مقارنَةً بكثير من دول المنطقة، توضح تأثير الأهداف التُّركِيَّة على عَمَلِيَّة التَّعْلِيم، **وتشـــتمل مراحل النِّظَام التَّعْلِيمي التُّركيّ على:**

1. **مرحلة الحَضَانَة:** وهي اختياريَّة حتى سِنّ السادسة.
2. **التَّعْلِيم الابتدائي:** وهو إلزامي ومَجَّانيّ لمدة ثماني سنوات (خمس سنوات ابتدائيَّة + ثلاث سنوات متوسطة)، من سن السادسة وحتى الرابعة عشرة.
3. **التَّعْلِيم الثانوي:** ومدة الدراسة فيه 4 سنوات، سواءً كان ذلك في النِّظَام العام، أو النِّظَام المهني، خلال الفترة من سِنّ الخامسة عشر حتى الثامنة عشر، ويوجد في بعض المدارس ســـنة إضافيَّة لدراسة اللغة، علماً بأن معظم المدارس الثانويَّة تابعة للحكومة والتَّعْلِيم فيها مجاني.
4. **التَّعْلِيم العالي:** مُدَّة الجامعة 4 سنوات، أو سنتين في المعاهد المهنيَّة العالية. بعض الجامعات بها سنة إضافيَّة لتعلم اللغة، ومدة دراسة الماجستير سنتان، والدكتوراه من 3 إلى 5 سنوات(2).

ورَغْمَ أنَّ النِّظَام التَّعْلِيمي التُّرْكِيّ، شـــبيه إلى حَدّ كبير بالأنظمة التربويَّة الموجودة في العـــالم العربي، إلا أن مضمون التَّعْلِيم فيه مختلـــف، ويعتمد على الكثير من المناهج الأُورُوبِيَّة المُتَطَوِّرة، مع الحفاظ على التقاليد الإِسْلامِيَّة الشرقيَّة. وهو أيضاً له مساهمة كبيرة في بســـط "ســـيطرة ناعمة" - إن صح التعبير - على الشـــباب التُّرْكِيّ وتهيئتهم لتحمل المسؤوليَّة في أحسن الظروف.

1. الالتحاق بالمدارس، المرحلة الابتدائية، تركيا، مؤشرات البنك الدَّوْليّ، 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/RiCs4n
2. ريـــم أبـــو عجيب، "نظام التعليم في تركيا"، أراجيك، 24 ســـبتمبر 2016م، تاريخ الزيـــارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8pD6WZ

المبحث الرابع

أسباب جَذْب تركيا للاستثمارات الخَارجِيَّة

شـــهدت حركة الاستثمارات التركِيَّة الخَارجِيَّة نمُوّاً ملحوظاً؛ حيث شجَّع توجُّه تركيا إلى الاقتصاد الإسْلاَمِيّ على ضخِّ مستثمري الخليج المزيد من الاستثمارات بها.

ولَعَلَّ أحد أهم الأسباب الَّتِي ساهمت في تلك الزيادة هي "القُوَّة النَّاعِمَة"، والَّتِي تمَثَّلَتْ هذه المَـــرَّة في مجموعة القوانين الَّتِي خفَّفت من قيـــود الملكيَّة الأَجنبيَّة، والَّتِي تتيح للأجانب تمَلُّك الأراضي والشُّـــقَق السكنيَّة والعقارات بشَكْلٍ حُرٍّ، دون اشتراط الإقامة داخل البلاد، وهو ما أتاح لكثير من المســـتثمرين شراء العقارات، ودفَع شركات عَرَبيَّة إلى التوجُّه من أجل الاســـتثمار وإقامة مشروعات تطوير عقاري في تركيا، خاصة مع الموقع الساحر والخصائص الطَّبِيعِيَّة الَّتِي تشتهر بها تركيا.

إضافة إلى ذلك قامت تركيا بالانضمام إلى كثير من المُنَظَّمَات الاقتِصَادِيَّة الدَّوْلِيَّة، مثل مُنَظَّمَة التعاون الاقْتِصَادِيّ والتَّنْمِيَة، ومجموعة العشرين، وهو ما ساهَم في زيادة فَاعِلِيَّة قُوَّتهَا النَّاعِمَة سواءً عبر الدول المشتركة معها في تلك المُنَظَّمَات، أو الدول الأخرى.
كما أنَّ هناك العديد من الأســـباب الأخرى الَّتِي تشـــجِّع على الاستثمار في تركيا، من بينها قانون جذب الاستثمارات الأجنبيَّة، والَّذِي يقوم على مبدأ المساواة في المعاملة؛ إذ يسمح للمستثمرين الأجانب بالحصول على نفس حقوق وواجبات المستثمرين المحليِّينَ، وقد وصل حجم الاســـتثمارات الأجنبيَّة المباشرة في تركيا إلى 151 مليار دولار أمْرِيكِيّ خلال العقد الأخير.(1)

1. نحو 30% من الاســـتثمارات الأجنبية في تركيا.. «خليجيَّة»، موقع الخليج الجديد، 6 أغســـطس 2016م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/7erAS

والملاحظ أن القُوَّة النَّاعِمَة اســـتفادت كثيراً بجذب الاستثمارات الخَارجِيَّة إلى تركيا؛ حيث ساهم ذلك في انتشار الدَّوْلَة وأذرعها الاقتِصَادِيَّة بالعديد من دول العالم، ودخل المُنْتَج التُّرْكيّ لكثيرٍ من مدن العالم، وأثبت جدارته في المنافسة العَالَمِيَّة[1].

- **التسهيلات القَانُونيّة والإدَارِيَّة للمستثمرين:**

منحت الحكومة التُّركِيَّة تســـهيلات كثيرة للمســـتثمرين الأجانب لتشجيعهم على الاســـتثمار في تركيا، فعلى سبيل المثال فالمستثمر الأجنبي الَّذِي يودِع مبالغ مُعَيَّنَة في البنـــوك التُّركِيَّة، أو يقوم بشراء عقارات، أو يؤسِّـــس مشروعات توفِّر فرص عمل للمواطنين الأتراك، تقوم الحكومة التُّركِيَّة بمنحه الإقامة في تركيا، ومِنْ ثَمَّ الجنســـيَّة، وهو ما يعني جَذْب المزيد من المستثمرين والأموال إلى الدَّوْلَة التُّركِيَّة، ومِنْ ثَمَّ مضاعفة قُوَّتهَا الاقتِصَادِيَّة.

كما تَتَضَمَّن حزمة القوانين التُّركِيَّة، تســـهيلاك كبيرة في منح الجنســـيَّة التُّركِيَّة للأجانـــب الَّذِين يودعون أموال بمبالغ مُعَيَّنَة في البنوك التُّركِيَّة بشرط أن تكون معلومة المصدر، وأن يَتَعَهَّدَ المستثمر بإيداعها في البنوك التُّركِيَّة لمدة 3 سنوات[2]، وتلك الإجراءات جميعهـــا تهدف لزيادة القُوَّة النَّاعِمَة التُّركِيَّة، وتَصُبُّ في اتِّجَاه تطوير ونُمُوِّ الاقتصاد التُّرْكِيّ.

كما تقـــوم الحكومة التُّركِيَّة كُلّ فترة بترتيب لقاءات بين كبرى الشركات التُّركِيَّة مع المسؤولين في الدول المختلفة، لدراسة فُرَص مشاركة هذه الشركات في السوق الخَارجِيَّة، وذلك في إطار تنويع عَمَلِيَّة الاســـتثمار، داخِلِيّاً وخارِجِيّاً، بمعنى جَذْب

1. "الاســـتثمار العقاري في تركيا"، الاســـتثمارات الخَارجِيَّة في تركيا، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oxaHWa
2. "4 طرق استثماريَّة تُمَكِّنك من الحصول على الجنسيَّة التُّرْكِيَّة "، العَرَبِيَّة. نت، 14 يناير 2017، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/P76dBN

استثمارات خَارجِيَّة للداخل، وعمل شركات تُرْكِيَّة بالخارج، في دليل آخر على قُوَّة تركيا النَّاعِمَة. ومن خلال تلك الاستثمارات، أصبحت الحكومة التُّرْكِيَّة قادرة على توقيع اتِّفَاقيَّات للتجارة الحُرَّة بين تركيا والدول الأخرى، على رأســـها دول مجلس التعاون الخليجي.

ويجب الإشـــارة في هذا الصَّدَد إلى أنَّ الفُرَص الكبيرة للاســـتثمار في مختلف المجالات الاقتِصَادِيَّة ساهم لِحَدٍّ كبيرٍ في جَذْب مزيد من المستثمرين الأجانب إلى المدن التُّرْكِيَّة العملاقة مثل إسطنبول وأنقرة وإزمير. ويحصل المستثمرون الأجانب عـــلى تخفيض كبير في الضرائب، مع إعفـــاء من ضرائب القِيمَة المضافة، كما أن إدخال أي ماكينات أو مُعِدَّات لمشروعاتهم من الخارج، يَتِمّ إعفاؤها من الضرائب، كما تَتَحَمَّلُ الدَّوْلَة دفع التأمين الاجْتِمَاعِيّ للعمالة.

وبفضـــل تلك الإجراءات وصلت العلاقات بين تركيا ودول الخليج العربي، خاصة المملكة العَرَبِيَّة السُّـــعُودِيَّة، إلى مستويات غير مسبوقة؛ حيث وصلت الاستثمارات السُّعُودِيَّة في تركيا إلى 255 مليار دولار، مع توقعات برفع مستوى التبادل التِّجَارِيّ مـــع المملكة إلى 20 مليـــار دولار بحلول عام 2023م، وقد وصلت الاســـتثمارات السُّـــعُودِيَّة في تركيا عام 2014م، بخلاف القطاع العقاري، إلى 1.9 مليار دولار، وبلغ التبادل التِّجَارِيّ بين البلدين 7.4 مليار دولار عام 2013م.(1)

ويُعَدُّ قطاع العقارات التُّرْكِيّ المُزْدَهِر مَحَطَّة جَذْبٍ للاســـتثمارات الخليجيَّة، ففي عام 2014م، وصل إنفاق المســـتثمرين الخليجيين على العقارات في تركيا إلى 4.3 مليار دولار، ليرتفع الحجم الكُلِّيّ للاســـتثمارات إلى 16.29 مليار دولار على مدار السنوات السِّت السابقة.(2)

1. محمد صادق إسماعيل، التجربة التُّرْكِيَّة من أتاتورك إلى أردوغان، القاهرة، دار العربي للنشر، 2013م.
2. خالـد المطـيري، الرياض وأنقرة توقعان 9 اتفاقيات بـ 400 مليـون دولار، الخليج الجديد، 15 أبريل 2016م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/1TlOr

والأمر نفســه ينطبق على كثير من الدول حول العالم، والَّتِي اســتطاعت تركيا أن تخترقها من خلال قُوَّتِهَا النَّاعِمَة، وتصل إلى قلوب وعقول شعوبها قبل قادتها، ما مكَّنها من تحقيق طفرة اقْتِصَادِيَّة مشهودة.

- **أبرز الإنجازات الاقتصَادِيَّة التركِيَّة:**

تَتَعَدَّد الإنجازات التُّركِيَّة في مجال الاقتصاد، وجميعها تصبُّ في اتجاه تفعيل القُوَّة النَّاعِمَة التُّركِيَّة، وتقضي على كثير من المُعَوِّقَات الَّتِي يمكن أن تقف في طريقها، **ومن أبرز تلك الإنجازات**(1):

1. تحقيق نمو اقْتِصَادِيّ يصل إلى 8% ســنوياً لتَحْتَلّ بذلــك المرتبة 17 عَالَمِيّاً مــن بين أقوى اقتصادات العالم، بعــد أن كانت في مصافّ الدول الضعيفة اقْتِصَادِيّاً، وذلك من خلال ما أنجزه حزب العدالة والتَّنْمِيَة من إصلاحات.(2)
2. احتلال تركيا المركز الـ18 للدول الأعلى نُمُوّاً في العالم من حيث الناتج المَحَلِّيّ الإجمالي، مع تحقيق نُمُوٍّ مُسْتَمِرٍّ بين 5 و8% في السنة، لمدة استَمَرَّتْ أكثر من خمس سنوات حتى الآن، لِتَحِلَّ خلف بلجيكا والسويد مباشرة.(3)
3. اســتطاعة الحكومة التُّركِيَّة القضاء على كثير من مظاهر الفســاد في الدَّوْلَة التُّركِيَّة، من خلال الحَدِّ من نهب البنوك الحُكُومِيَّة، والَّذِي وصل في عَهْدِ ما قبل حزب العدالة والتَّنْمِيَة إلى أكثر من 46 مليار دولار؛ تَمَّ تهريب معظمها للخارج.(4)

1. محمد صادق إسماعيل، التجربة التُّرْكِيَّة من أتاتورك إلى أردوغان، القاهرة، مرجع سابق.
2. مجموعة باحثين، " الاقتصاد التُّرْكِيّ خلال عَقْد العدالة والتَّنْمِيَة"، رؤى تركيَّة، خريف 2012م، نسخة إلكترونيَّة، متاحة على الرابط التالي: goo.gl/i6NmRJ
3. مجموعة باحثين، " الاقتصاد التُّرْكِيّ خلال عَقْد العدالة والتَّنْمِيَة"، رؤى تركيَّة، المرجع السابق.
4. The World Bank, Turkey's Transitions: Integration، Inclusion, Institutions, Report No. 90509- TR, International Bank for Reconstruction and Development/The World Bank, Washington DC, December 2014, pp. 4- 5.

4. انفتاح تركيا على العالم العَرَبيّ والإسْـــلاَمِيّ بعد عقود من الجفوة، وهو أحد أبرز علامات قُوَّة الدَّوْلَة النَّاعِمَة، ولكنه في الوقت نفسه يُعَدُّ إنجازاً اقْتِصَادِيّاً؛ حيث إنه انفتاح على سوق ضخمة وغنيَّة، وليس انفتاحاً سِيَاسِيّاً فحسب.
5. اســـتطاعت الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة تحقيق العديد من الأرقام القياسيَّة في المجالات الاقتِصَادِيَّة المختلفة، على رأســـها ما يَتَعَلَّق بالتصدير؛ حيث حقَّقت صادرات تركيا أرقاماً قياســـيَّة وهي تحطّم الرقم تِلْـــوَ الآخر، ووصلت إلى 100 مليار دولار، خاصة بعد ما اســـتطاعت تحقيق نُمُوٍّ في الناتج المَحَلِّيّ الإجمالي خلال فترة الـ 40 شهراً الأخيرة من 181 مليار دولار ليصل إلى 400 مليار دولار.(1)
6. ارتفاع مســـتوى دخل الفرد: حيث بلـــغ الناتج المَحَلِّيّ الإجمالي للفرد في عام 2017م إلى نحـــو 20 ألف دولار أمريكي، وَفْقـــاً لتقديرات البنك الدَّوْلِيّ(2)، مقابل ما يزيد عن 3500 دولار في 2002م. (3)
7. خفض نســـبة الدَّيْن الخَارِجِيّ إلى الناتج المَحَلِّيّ الإجمالي لضمان قُدْرَة البلاد على سداد ديونها الخَارِجِيَّة والتزاماتها، كما نجحت في تحقيق مرتبة ائتمانيَّة أعلى من مختلف الدول الأُورُوبِيَّة؛ حيث بلغت نســـبة صافي الدَّيْن الخَارِجِيّ إلى الناتج المَحَلِّيّ الإجمالي 38.4% في 2002م، انخفضت النسبة إلى 24.2% بحلول 2012م. (4)

1. مجموعة باحثين، " الاقتصاد التُّرْكِيّ خلال عَقْد العدالة والتَّنْمِيَة"، مرجع سابق.
2. نصيب الفرد من إجمالي الدخل القومي (بالأسعار الثابتة للعملة المَحَلِّيَّة)، مؤشرات البنك الدَّوْلِيّ، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8EoVsJ
3. إسراء محمـــود، "الاقتصـــاد التركي: 13 عاماً من النجاح"، تركيا بوســـت، 16 أكتوبر 2015م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/iuJ0sK
4. محمد صادق إسماعيل، التجربة التُّرْكِيَّة من أتاتورك إلى أردوغان، القاهرة، دار العربي للنشر، 2013م.

- **تركيا والعلاقة مع مُؤَسَّسات التمويل الدَّوْلِيَّة:**

في كلمته الَّتِي ألقاها أمام "منتدى الأعمال التُّرْكِيّ - الألباني المشترك"، بالعاصمة الألبانيَّة تيرانا في مايو من العام 2015م، قال الرئيس التُّرْكِيّ السَّـيِّد رجب طَيِّب أردوغان(1): "كُنَّا قبل 12 عاماً مدينين لصندوق النقد الدَّوْلِيّ بـ23.5 مليار دولار، سُدِّدَت جميعها، تركيا اليوم وصلت إلى مكانة تستطيع معها إقراض ذلك الصندوق دَيْنـاً، كان احتياطي البنك المركزي التُّرْكِيّ 27 مليار دولار قبل 12 عاماً، والآن بلغ الاحتياطي 120 ملياراً، وكانت نسـبة الفائدة على القروض 36 %، لكنها انخفضت الآن إلى رقـم مُكَوَّن من خانة واحدة. وأضاف : مُعَـدَّل الدَّيْن الخَارِجِيّ مقارنة بالدخل القَوْمِيّ لتركيا، انخفض من 73 % إلى 35 %، مشـيراً إلى أن نسـبة النُّمُوّ الَّتِي حقَّقتها البلاد في الفترة من 2003م حتى 2013م بلغت 5 % تقريباً(2).

فقد استطاعت حكومة العدالة والتَّنْمِيَة في تركيا التفاوض مع صندوق النقد الدَّوْلِيّ من أجل الوصول إلى شروط أخفّ وطأة، وفي الوقت نفسه تبنَّت برنامجاً متكاملاً للإصلاح الاقتِصَادِيّ، تتناسـب مع ظروف تركيا وطبيعتها، ومِنْ ثَمَّ نجحت تركيا في تحقيق ما يُشْـبِه المعجزة الاقتِصَادِيَّة(3) خلال الفترة ما بين 2002 - 2015م،

1. كلمـة ألقاهـا الرئيس التركي، مسـاء يوم الأربعاء 13مايـو 2015م، أمام "منتدى الأعمال الـتُّرْكِيّ- الألباني المشـترك"، بالعاصمة الألبانيَّة تيرانا، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/RB58z ، والكلمة متاحة عبر مقطع فيديو على موقع يوتيوب، بتاريخ 13 مايو 2015، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oJoVrV
2. كلمـة ألقاهـا الرئيس التركي، مسـاء يوم الأربعاء 13مايـو 2015م، أمام "منتدى الأعمال الـتُّرْكِيّ- الألباني المشترك"، بالعاصمة الألبانيَّة تيرانا، المرجع السابق.
3. خلال العشرية الأولى من حكم حزب العدالة والتَّنْمِيَة وصل الاقتصاد التُّرْكِيّ إلى المركز السـابع عشر عَالَمِيّاً، والمركز الأول على مسـتوى دول الشرق الأوسـط، حسـب تقديرات البنك الدَّوْلِيّ، وذلك بعد أن كان في المرتبة 111، قبيـل وصول الحزب إلى السـلطة مطلع العام 2002م، كـما دخل الاقتصاد التُّرْكِيّ ضمن مركز مجموعة الـدول العشريـن الاقْتِصَادِيّة الكبرى في العالم " G20"، بعد عَقْدٍ واحد من حكـم العدالة والتَّنْمِيَة. (صهيب قلالوه، الاقتصاد التُّرْكِيّ قاب قوسين، تركيا بوست، 20 يوليو 2015، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LQySsQ).

حين انتقلت من دولة فقيرة، إلى مصافّ الدول الكبرى، ضمن "قائمة العشرين" الأقوى حول العالم، كما نجحت بالكامل في تسديد كافَّة ديونها المستحقَّة لدى صندوق النقد الدَّوْليّ، لتنضمَّ أنقرة لأَوَّلِ مَرَّةٍ في تاريخها إلى قائمة الدول غير المَدِينَةِ للمُؤَسَّسَة الدَّوْلِيَّة.

إذن، ومن خلال كُلّ ما سبق عرضه سابقاً، نكون قد وصلنا إلى خلاصةٍ مفادها أن الاقتصاد التُّرْكِيّ، استفاد كثيراً من قُوَّة الدَّوْلَة النَّاعِمَة، مشكِّلاً في الوقت نفسه أحد عناصر تلك القُوَّة. وهو ما يعني أن القُوَّة النَّاعِمَة لأيّ دولةٍ يجب أن تنصهر في الإطار العام لها، سواءً في الجانب الاقْتِصَادِيّ أو غيره، فتساعد تلك القُوَّة الدَّوْلَة في النهوض الاقْتِصَادِيّ من ناحية، كما يفتح التَّقَدُّم الاقْتِصَادِيّ الباب أمام مزيد من قُوَّة الدَّوْلَة النَّاعِمَة؛ حيث يُمَثِّل الاقتصاد القاطرة الَّتِي تَجُرُّ خلفها القُوَّة النَّاعِمَة، لتحقيق المزيد من آمال وطموحات الدول وشعوبها.
فعلى سبيل المثال، كان تسويق النجاح التُّرْكِيّ في الدول العَرَبِيَّة من خلال وسائل الإعلام المختلفة وبعض الأعمال الدراميَّة الَّتِي أظهرت هذا النجاح، سبباً قَوِيّاً لمزيدٍ من الانفتاح والتعاون مع تلك الدول، خاصة خلال فترة ثورات الربيع العَرَبِيّ العصيبة.

وأخيراً، فإن القُوَّة النَّاعِمَة ليست مصطلحاً يَتَعَلَّق بالسِّيَاسَة الخَارِجِيَّة فقط، بل كَفِعْلٍ وَازِنٍ ومُؤَثِّر يمكن استخدامه بشكل أكبر وأفضل داخل الدَّوْلَة نفسها. فوق هذا، يُمكن من تحقيق نفس النَّتَائِج وأكثر على المستوى الاقتِصَادِيّ. إذ لاحظنا أن نجاح حزب العدالة والتَّنْمِيَة يكمن في تسويق نجاحه داخل المجتمع، وإقرار عدالة توزيع الدخل، وزيادة التسهيلات القَانُونِيّة والإدَارِيَّة الخَاصَّة بالاستثمار في بلاده، الَّذِي ساهم بشكل حاسم في جَذْبِ المزيد من الاستثمارات الدَّاخِلِيَّة والخَارِجِيَّة لتركيا، وهو ما ظهر بشكل كبير من خلال مَبْحَثِ التَّعْلِيم والرعاية الصِّحِّيَّة. وتساهم القُوَّة النَّاعِمَة كذلك في محاولات أنقرة الحثيثة للانضمام إلى دول الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ، وهو أحد أدواتها السِّيَاسِيَّة والاقتِصَادِيَّة للتوفيق في ذلك المسعى.

ورغم الأحاديث عن انتكاسة الاقتصاد التُّرْكِيّ بعد فترة نجوميَّة لعوامل سِيَاسِيَّة وأمْنِيَّة واقْتِصَادِيَّة أسـهبنا في شرحها سابقاً، فلا توجد حالياً أيَّة معطيات أو مُؤَشِّرَات، خارج الصعوبات والمآزق الَّتِي تعترض أي اقتصاد صاعد، لتأكيد أطروحات تَوَقُّف عَجَلَة تَطَوُّر الاقتصاد التُّرْكِيّ أو تباطؤها في أخَفّ الحالات.

والاحتكام هنا إلى منطوق الأرقام في كافَّة المجالات يُثْبِتُ اسـتمرار مناعة الاقتصاد التُّرْكِيّ، على الرَّغْم من الهَزَّات الجيوسِيَاسِـيَّة الإِقْلِيمِيَّة الَّتِي شهدتها السنوات القليلة الماضية؛ ثورات الربيع العربي، وأزمة الاقتصاد العَالَمِيَّة، وتَسَـمُّم العلاقات بين تركيا وروسـيا قُرَابَة عام، بسبب حادث إسقاط المقاتلة الرُّوسِـيَّة، وأيضاً الحرب السُّورِيَّة الَّتِـي خيَّمت بظلالها القاتمة عـلى كافَّة الدول المجاورة لها، وأضافت إلى أعباء تركيا الأَمْنِيَّـة والمَالِيَّة، ارتفاع وتيرة الأعمال الإرهَابِيَّة داخلها وعلى حدودها. وكذلك الأعباء الاقتِصَادِيَّة مع تدفُّق مَوْجَات اللَّاجئين والمُهَجَّرِينَ قَسْراً من السُّورِيِّينَ، الَّذين تجاوَزَتْ أعدادُهـم 3.5 مليون مُهاجر(1)، وما وَاكَبَ ذلك مِن ضَغْطٍ على سُـوق العمل وزيادة طفيفة في مُعَدَّلاَت البطالة، لكنْ في المُقَابِل سَاهَم السُّورِيُّونَ في الاستثمارات الأجنبيَّة في تركيا بنحو 14%، وازدادت اسـتثماراتهم خلال 6 سـنوات ليصل عدد الشركات السُّـورِيَّة إلى 6 آلاف و322 شركة، ويبلغ متوسط اسـتثمار الشركات التُّرْكِيَّة التي تَمَّ تأسيسها مع السّورِيِّينَ نحو 200 ألف ليرة تركيَّة، بينما تبلغ المساهمة السَّنَوِيَّة للسُّورِيِّينَ في الاقتصاد التُّرْكِيّ نحو مليار و260 مليون ليرة تُرْكِيَّة، ما يعادل 371 مليون دولار(2).

1. Turkey has stopped registering Syrian refugees, say human rights group، موقع صحيفة "independent", 16 يوليو 2018م، تاريخ الزيارة 14 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/uX5tzK.
2. الاستثمارات السُّوريَّة في تركيا تُشَكِّل 14% من الاستثمارات الأجنبيَّة، موقع "turkpress"، 17 سبتمبر 2017م، تاريخ الزيارة 14 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/19HkQd.

الفصل التاسع

انقلاب يوليو ٢٠١٦..

محطة في طريق القُوَّة التُّركِيَّة النَّاعِمَة

- مقدمة
- المبحث الأول: توظيف الانقلابات.. محاولات لإجهاض القُوَّة التُّركِيَّة النَّاعِمَة
- المبحث الثاني: القُوَّة التُّركِيَّة النَّاعِمَة .. وسيناريوهات الاحتواء أو التحييد
- المبحث الثالث: وقائع الانقلاب.. ليلة المواجهة بين القُوَّة النَّاعِمَة والصَّلْبَة
- المبحث الرابع: النموذج التركِيّ.. تأثيرات كبرى على الحواضن العَرَبِيَّة والإسْلاَمِيَّة

الفصل التاسع

انقلاب يوليو ٢٠١٦.. محطة في طريق القُوَّة التُّركِيَّة النَّاعِمَة

مقدمة

انطلقت شرارة الانقلاب العَسْـــكَرِيّ في تركيا ليلة 15 - 16 يوليو 2016م، وفَشِلَتْ بعد بِضْع ســـاعات، وخلَّفت 270 قتيلاً. هذا الفشـــل يُعْتَبَرَ هو الأَوَّل من نوعه في تاريخ الجُمهورِيَّة التُّركِيَّة؛ ففي ثلاث مناسبات مشابهة مسبقاً استولى الجيش على السُّـــلْطَة خلال أعوام 1960(1)، 1971(2) و1980م(3). وفي عام 1997م(4) أيضاً، أُجبر رئيس الوزراء آنذاك نجم الدين أربكان على الاستقالة.

---

1. يعتبر انقلاب 27 مايو1960م هو أول انقلاب عسكري في تركيا، قام به مجموعة من ضباط القُوَّات المُسَلَّحَة التُّرْكِيَّة، ضدَّ الحكومة المنتخبة ديمقراطيّـاً، ووقـع الحادث في وقتٍ كَثُرَتْ فيه الاضْطِرَابَات الاجْتِمَاعِيَّة والسِّيَاسِـيَّة والمصاعب الاقْتِصَادِيَّة، وتَمَّ اعتقال رئيس هيئة الأركان العامة التُّرْكِيَّة والرئيس ورئيس الوزراء وغيرهم، واتُّهِمَ السِيَاسِيُّونَ بالخيانة العظمى، وإساءة استخدام الأموال العامة وإلغاء الدستور. وانتهت المحاكم بإعدام عدنان مندريس، ووزير الشـؤون الخَارِجِيَّة، فطين رشـدي زورلو، ووزير المَالِيَّة، حسـن بولاتكان، على جزيرة إمرالي في 16 سـبتمبر 1961م. وبعد شـهر، أُعِيدَتْ السـلطة الإدارية للمدنيين الذين اختارهم الانقلاب. للمزيد يُنْظَر: قِصَّة أَوَّل انقلاب عسكريّ في تركيا: سِرّ الغموض، موقع "تركيا بوست"، 27 مايو 2015م، تاريخ الزيارة 15 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/8xFrP8.
2. في 12 مارس 1971م حدث ثاني انقلاب عسـكري في الجمهورية التُّرْكِيَّة، بعد أحد عشر عاماً من سـابقه الذي حدث عام 1960م. وعُرف باسـم "انقلاب المُذَكِّرَة"، وهي مُذَكِّرَة عَسْـكَرِيَّة أرسـلها الجيش بدلاً من الدَّبَّابَات، كما فعل في الانقلاب السابق. وقد جاء ذلك وسـط تفاقُم النزاع الداخلي؛ حيث شـهدت تركيا العديد من أعمال العنف والاضْطِرَابَات طوال أيام السـتينيَّات من القرن العشرين. وبحلول يناير عام 1971، عمَّت الفوضى أرجاء تركيا. للمزيد يُنْظَر: تركيا.. تاريخ من الانقلابات، موقع "arabic.rt"، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 15 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/QHwSUu
3. في 12 سبتمبر 1980م حدث ثالث انقلاب عسكري تشهده تركيا، تَزَعَّمَهُ الجنرال كنعان إيفرين مع مجموعة من الضُّبَّاط، نشأوا على فكرة حماية المبادئ الأساسية للجمهوريَّة التُّرْكِيَّة كما وضعها أتاتورك، وخلال الثلاث سنوات الأولى من الحُكْم العسكَرِيّ بعد الانقلاب تَمَّ إعدام 50 شخصاً واعتقال ومحاكمة الآلاف. وشكَّل هذا الانقلاب ملامح البلاد لثلاثة عقود، كما يُعتبر هذا الانقلاب الأكثر دمويَّة. للمزيد يُنْظَر: تركيا.. صراع طويل مع انقلابات العسـكر على الديمقراطية، موقع "الجزيرة مباشر"، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 15 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/5Uw6sg.
4. في 1997م حدث ما سُـمِّيَ بالانقلاب الأبيض على حكومة "نجم الدين أربكان" أو ما عُرِفَ بـ"الانقلاب ما بعد الحداثة" بعد وصول حزب الرفاه إلى السلطة سنة 1995م، ووصول حليفه الطريق القويم ليصبح الزعيم الإسلامي الراحل "أربكان" رئيساً للوزراء، أول رجل ذي توجّه إسلامي صريح يصل إلى السلطة، وهو الأمر الذي أغضب العلمانيِّينَ ودعاهم إلى تحريك الأذرع العَسْكَرِيَّة ضِدَّ الحكومة المنتخبة. ومذكرة 1997م العَسْكَرِيَّة أو عملية 28 فبراير، وتُسَمَّى أيضاً "ثورة ما بعد الحداثة"، تشير إلى القرارات الصادرة عن قيادة القُوَّات المُسَـلَّحَة التُّرْكِيَّة في اجتماع مجلس الأمن القومي يوم 28 فبراير/شـباط 1997م، والتي بدأت على إثرها عملية 28 فبراير/ شباط التي عَجَّلَتْ باستقالة رئيس الوزراء نجم الدين أربكان من حزب الرفاه، وإنهاء حكومته الائتلافيَّة. كما أُجْبِرَتْ الحكومة على الخروج دون حَلِّ البرلمان أو تعليق الدسـتور. للمزيد يُنْظَر: ذكرى 28 شـباط.. 19 عاماً على آخر انقلابٍ عسـكريّ في تركيا، صحيفة "يني شفق"، تاريخ الزيارة 15 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/UuRC46

وفي هذه المَرَّة، كشــفت المحاولة الفاشلة عن الطَّفَرَات العميقة في هذا البلد[1]؛ من تكريس للديمُقْرَاطِيَّة، وتنمية الوعي المَدَنيّ، ورَفْع للأداء الاقْتِصَادِيّ والاجْتِمَاعِيّ؛ فلم تُفْلِــح دبَّابَات الانقِلابِيِّــينَ في جَعْل أيِّ حزب، أو نقابة، ولا أيّ مُنَظَّمَة من مُنَظَّمَات المجتمع المَدَنيّ تدعم الانقلاب العَسْكَرِيّ، وأصبحت بذلك شعارات الحفاظ على الإرث الكماليِّ (نســبة إلى كمال أتاتورك)، وتنصيب العسكر لأنفســهم كحُرَّاس للعلمانيَّة مُتَجَاوَزَةً ومن الماضي.[2]

وبهذا بَرْهَنَتْ المحاولة الانقَلابيَّة الفاشــلة ضِــدَّ نظام الرئيس رجب طَيِّب أردوغان وحكومة حزب العدالة والتَّنْمِيَة بشــكلٍ كبير على جدوى اسْتِرَاتِيجِيَّة القُوَّة النَّاعِمَة، الَّتِــي اعتمدها الحزب وزعماؤه كإطارٍ عمل لسياســتهم الدَّاخِلِيَّة والخَارجِيَّة، منذ صعودهم إلى سُــدَّة الحُكْم قبل 15 عاماً خَلَتْ، فتأثير القُوَّة النَّاعِمَة بَرْهَنَ في هذا الامتحان العســير للديمُقْرَاطِيَّة على تفوُّق واضح على القُوَّة التَقْلِيدِيَّة الصَّلْبَة، الَّتِي كثيراً ما تحكَّمَتْ بِقُوَّة الحديد والنار في مصائر دول وشعوب، منذ فجر التاريخ.

غَــيْرَ أنَّهُ بعد مرور أحــد عشر عاماً، لا يزال عددٌ كبيرٌ مــن الأُورُوبِيِّينَ لا يؤمنون بدمج تركيا في القَارَّة العجوز، بل ويعتبرونها أكثرَ اســتبداديَّة وقوميَّة، بما يُسَــمُّونَه "الانجراف الاستبداديّ" للرئيس أردوغان، رَغْم وضوح وتعدُّد المؤامرات ضِدَّ نظامه المُؤَسَّــس على نتائج صناديق الاقتراع وإرادة الأغلبيَّة في الشــعب التُّرْكِيّ؛ حيث تَمَّ التَّرْكِيز في الإعلام الغَرْبيّ والتصريحات الرَّسْــمِيَّة الأُورُوبِيَّة، على الاعتقالات الَّتِي طالــت آلاف الجنــود الانقِلابِيِّينَ، والموظفين الرســميِّينَ المنحازين للانقلاب بما فيهم القُضَاة، وأَهْمَلَتْ المرجعيَّة الأُورُوبِيَّة صيانة الديمُقْرَاطِيَّة، وإبعاد العســكر عن

1. Editoriel, Turquie : les leçons d'un putsch manqué, LE MONDE, 18 Juillet 2016 : http://www.lemonde.fr/idees/article/2016/07/18/turquie-les-lecons-d-un-putsch-manque_4971256_3232.html
2. Defiant Turks stood up for democracy – but not necessarily for Erdoğan، موقــع صحيفــة "the guardian"، 16 يوليــو 2016م، تاريــخ الزيــارة 16 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التــالي: https://goo.gl/bfhCmR.

السِّيَاسَــــة، والاعتماد على مُؤَشِّرَات النُّمُوّ والتَّقَدُّم؛ فالخوف الغَرْبيّ تمحور هذه المَرَّة على دائرة الاعتقالات تحت مُبَرِّر الانقلاب، وإمكانيَّة اســـتفادة الرئيس أردوغان مما وقَع لتسريع مشـــاريعه الرِّئَاسِيَّة، وإحكام السَّيْطَرَة على مزيد من القُوَّة والسُّلْطَة غير القابلة للتقاسم مع أيٍّ أحدٍ أو طرفٍ.

لكنَّ تركيا الَّتِي اســـتطاعت الخروج من الأزمات الاقتِصَادِيَّة بسرعة أكبر من الدول الأُورُوبِيَّة الأخرى، وبنسبة نمو 3.4% في عام 2013م وَفْقاً لصندوق النقد الدَّوْليّ(1)، مع وَضْعِ حكومة رئيس الوزراء آنذاك السَّـــيِّد رجب طَيِّب أردوغان لأهدافٍ طَمُوحَةٍ يجـــب تحقيقها في أفق 2023م؛ الَّذِي يصادف احتفالات الذِّكرى المئويَّة لتأســـيس الجُمهورِيَّة التُّركِيَّة، مـــن قَبِيلِ دخول نادي أكبر 10 قُوًى عَالَمِيَّة، وبُلُوغ رقم 2000 مليار دولار كإجمالي الناتج المَحَلِّيّ.(2)

ويُعَـــزِّز ذلك مـــا أَكَّدَه وزير المال والخزانة التُّركِيّ، بـــراءت ألبيرق(3)، خلال كلمته الافتتاحيَّة التي ألقاها في قِمَّة "هدف تركيا الكبير 2023"، من أنَّ البلاد ستجني ثمار كَبْح التَّضَخُّم بدءاً من أرقام شـــهر أكتوبر/ تشرين الأول 2018م، ومواصلة خَفْض نســـبة التَّضَخُّم في شهريْ نوفمبر/ تشرين الثاني، وديسمبر / كانون الأول المقبليْنِ، بعدما حدث توازن في الميزان الاقتصاديّ إِثْرَ تصاعُد أرقام التجارة الخَارِجِيَّة".(4)

1. صندوق النقد الدولي: تركيا السادسة على العالم من حيث النُّمُوّ، موقع "turkpress"، 13 أبريل 2015م، تاريخ الزيارة 16 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/QBAjd2.
2. ما هي خُطَّة رؤية تركيا لعام 2023؟، موقع صحيفة "property- turkey"، 13 ديسمبر 2016م، تاريخ الزيارة 16 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/W63vKA.
3. براءت ألبيرق: هو سـياسيّ ورجل أعمال تركيّ. وهو الرئيس التنفيذي الســابق لشركة تشاليك القابضة. والنائب في البرلمان منذ يونيو 2015م، شَغَلَ منصب وزير الطاقة والموارد الطبيعيَّة منذ نوفمبر/تشرين الثـاني عـام 2015م حتى يوليو 2018م، ثم عُيِّن بعدها وزيراً الخزانــة المالية. وُلِدَ في الأول من يناير في العام 1978م، وتَلَقَّى تعليمه في مدرسـة جامعة إسـطنبول في إدارة الأعمال. نشـأ في عائلة يغلُب عليهـا الطابع الدينيّ المُحافِظ ذات ثِقَلٍ في عالم السِّياسَــة. للمزيد ينظـر الرابط التالي: http://cutt.us/AsXMD
4. وزير الخزانة التركي.. سنجني معاً ثمار كَبْح مستويات التَّضَخُّم، صحيفة "يني شفق"، تاريخ الزيارة 16 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/DS1f7i.

كُلُّ هذا وغَيْرُهُ لن يجعل أوروبا يقيناً، تنظر بعين الرضا إلى هذه القُوَّة الصاعدة الَّتِي تَسْتَمِدّ أصولها وأدواتها من نظريَّة القُوَّة النَّاعِمَة على الطراز التُّرْكِيّ، أي: من تاريخها العريق، وروابطها الإِسْلامِيَّة والشرقيَّة، وأدواتها الَّتِي تعمل بِدَأَبٍ على التمدُّد في كافَّة الاتِّجَاهات والأصعدة.

ومن هذا المنطلق، فإنَّ دراســـة وتحليل مسارات المحاولة الانقَلابِيَّة الفاشلة، وتفاعلاتها مع مجريات الحالة التُّرْكِيَّة في ذلك الوقت، تَسْـــبِر أغوارَ ما آل إليه غِراسُ بذور القُوَّة النَّاعِمَة في التربة التُّرْكِيَّة، وما أزهرته من ثمار يانعة قَطَفَ الشـــعب ثمارها بنجاحه مع قيادته السِّيَاسِيَّة، في تخطِّي إحدى أبرز العقبات الصعبة في تاريخ الديمُقْرَاطِيَّة التُّرْكِيَّة. إنَّ ما شَـــهِدَتْهُ تركيا خلال شـــهر يوليو 2016م من محاولة انقَلابِيَّة فاشلة قد أَكَّدَ، بما لا يدع مجالاً للشَّـــكِّ، على مدى أهَمِّيَّة الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة، اسْتِرَاتِيجِيّاً، وتفرُّد خبرتها تحت حكم العدالة والتَّنْمِيَة، على الصعيد الإِقْلِيمِيّ والدَّوْلِيّ، حتى فيما يَتَعَلَّق بإفشال الانقلابات العَسْكَرِيَّة، الَّتِي كانت بعض القُوَى الإِقْلِيمِيَّة والدَّوْلِيَّة تطمح إلى نجاحها، وبالتَّالِي جعلها نموذجاً جديداً للالتفاف على إرادة الشُّعُوب؛ قَصْدَ تمرير مُخَطَّطات تهـــدف إلى الحفاظ على موازين التَّفَوُّق والهيمنة الغَرْبِيَّة، وإعادة تقســـيم الشرق الأوســـط على أُسُـــسٍ جديدة بين عددٍ من الفاعلين الدَّوْلِيِّينَ والإِقْلِيمِيّينَ، القُدَامَى منهم والجُدُد، وَفْقاً لمصالح وأهداف واستحقاقات جديدة على صعيد النِّظَام الدَّوْلِيّ والعلاقات الدَّوْلِيَّة بِصِبْغَتِهَا الرَّاهِنَة.

ويهدف هذا الفصل إلى مناقشة موقع محاولة انقلاب يوليو 2016م من مسارات القُوَّة النَّاعِمَة التُّرْكِيَّة كاسْـــتِرَاتِيجِيَّة وطريقة حُكْم لحزب العدالة والتَّنْمِيَة طوال فترة الْعَقْدِ ونصف الْعَقْدِ السابقة على تلك النقطة المفصليَّة الَّتِي سَيُؤَرِّخُ لها داخل وخارج تركيا، وما إذا كانت تلك المحاولة تُمَثِّل خَصْماً أم إضافة إلى اسْتِرَاتِيجِيَّة القُوَّة النَّاعِمَة لأنقرة، وكيف يمكن تحليل الدور الَّذِي لعبته انعكاســـات القُوَّة التُّرْكِيَّة على الحياة السِّيَاسِيَّة في تركيا بدءاً من الشعب وصولاً إلى أعلى الرموز والمُؤَسَّسَات السِّيَاسِيَّة في البلاد.

المبحث الأول

توظيف الانقلابات.. محاولات لإجهاض القُوَّة التُّركِيَّة النَّاعِمَة

على الرَّغْم من نجاحات تركيا العدالة والتَّنْمِيَة، سِيَاسِيّاً واقْتِصَادِيّاً واسْتِرَاتِيجِيّاً، نحو إعادة الاعتبار لِعُمْقِهَا الاسْتِرَاتِيجِيّ والحَضَارِيّ، بتوظيف الإمْكَانِيَّات الهائلة لِلْقُوَّة النَّاعِمَة، لتصبح فاعلاً إقْلِيمِيّاً رئيســاً وَقُطْبــاً صاعداً ضمن التفاعلات والظروف المأزومة الَّتِي تَمُرّ بها منطقة الشرق الأوســط، إلا أنَّ الطريق أمامها لا يزال طويلاً جــدّاً نحو تحقيق مشروع حَضَارِيّ طَمُوح، خَطَّطَ له صُنَّاع القرار الأتراك لتحقيق التَّنْمِيَة المستدامة، وبلوغ المكانة الإقْلِيمِيَّة والدَّوْلِيَّة الَّتِي تَلِيق بها، كدولة ذات حضور تَارِيخِيّ عريق وجغرافيّ واسْــتِرَاتِيجِيّ بارز، ســواءً على صعيد المهدِّدات الدَّاخِلِيَّة الَّتِي ربما كُشِفَ عنها بجلاء خلال المحاولة الانقَلابِيَّة الفاشلة الَّتِي قامت بها بعض ألوية الجيش في يوليو 2016م، أو على صعيد المهدِّدات الخَارِجِيَّة في منطقة الشرق الأوســط الَّتِي تَتَعَرَّضُ إلى مُخَطَّطات متكاملــة الأركان لتفكيك المنطقة، وإعادة تركيبها وصياغتها على أُسُس جديدة.

قُبَيْلَ المحاولة الانقَلابِيَّة الفاشــلة بِعِدَّة أشــهر ظهرت "فَرْضِيَّاتٌ" غربيَّة تَتَوَقَّعُ صعود تركيا كـ"قُوَّة عُظْمَى"، خلال السنوات القليلة القادمة؛ الأمر الَّذِي يُثِير المخاوف بشأن اضْطِلاَعها مســتقبلاً، بتشــكيل رابطة أو "اتِّحَاد إسلامي" تحت قيادتها مع حلول عام 2020م؛ اتِّسَاقاً مع نجاحاتها الاسْتِرَاتِيجِيَّة (1).

1. أنــور عبدالله الرواحنة، هل ســتصبح تركيا "قُوَّة عظمى" في الســنوات القليلــة القادمة؟، ترك برس، 18 أكتوبر 2015م، تاريخ الزيارة 16 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: http: //goo.gl/Xnbk3Z

وهو الأمر الَّذِي ربما تُؤَكِّده رؤية الغرب للرئيس التُّرْكِيّ السَّــيِّد رجب طَيِّب أردوغان وحــزب العدالة والتَّنْمِيَة، باعتبارهم طليعة "العثمانيِّــينَ الجُدُد" Neo - Ottoman، وحامــلي أختام وإرث الإمْبَرَاطُورِيَّة العُثْمَانِيَّة التَّارِيخِيَّة، مما أثار التَّوَقُّعَات وقتها بأنَّ تركيا ســتكون هدفاً لـ"مؤامرات خَارجِيَّة"، و"أعمال إرهَابِيَّة"؛ لزعزعة اســتقرارها، ومنعها من بلوغ أهدافها المرسومة بعناية. وربما هذا ما كشفت عنه مجريات المحاولة الانقَلابِيَّة الَّتِي أفْشَلَتْها القيادة المُتَبَصِّرَة للرئاسة التُّرْكِيَّة وحكومة حزب العدالة والتَّنْمِيَة، وكذلك الاستجابة الواعية لجموع الشعب التُّرْكِيّ ككل.

إذن، تبــدو خبرة العدالة والتَّنْمِيَة للصعود الإقْلِيمِيّ الناعم مُخِيفَة لقوى إقْلِيمِيَّة ودَوْلِيَّة عِدَّة؛ حيث لم تَعُدْ تركيا عَلْمَانِيَّةً على النحو الَّذِي تَوَخَّى لها مؤسِّســها، كمال أتاتورك، وذلك بحصول تَغَيُّرَات جذريَّة وخطوات سياديَّة تتعارض والرغبة الغَرْبِيَّة، **وذلك على النحو التالي:**

- نَفَاذ الدِّين إلى الحكومة والسِّيَاسَة والتَّعْلِيم.
- إعادة تشكيل الهُوِيَّة السِّيَاسِيَّة الدَّاخِلِيَّة والخَارجِيَّة للبلاد.
- تطوير الممارســة الاقتِصَادِيَّة (تَضَاعُف حجم اقتصاد تركيا أكثر من ثلاث مَرَّات على مدار العقد المنصرم)، وترقية التغطيَّة الاجْتِمَاعِيَّة في تركيا.
- الخروج من عباءة "دَرَكِيِّ الناتو" على الجبهة الشرقيَّة، ونشر قوات وقواعد تُرْكِيَّة في الخارج (نموذج الاتِّفَاقيَّة العَسْكَرِيَّة مع قطر).

وبما أنَّ الاقتصاد يُعَدُّ مِحْوَر دوران العالم، فقد عملت أنقرة على اللِّحَاق برَكْبِ العديد مــن عواصم الاقتِصَادِيّات الأوروبيَّة الكبرى، فالــشركات التُّرْكِيَّة باتت تغزو مراكز تجاريَّة خارج أســواقها التَقْلِيدِيَّة في أوروبا، نحو الشرق الأوسط وإفريقيا، وبالتَّالي بدأت تحوز انتشــاراً عَالَمِيّاً حقيقيّاً. كما جَلَبَت التَّغَــيُّرَات الاقتِصَادِيَّة الجذريَّة تَحَوُّلاً دِيمُغْرافِيّاً واجْتِماعِيّاً مُهِمّاً وإيجَابِيّاً أيضاً، بما في ذلك تسارُع وتيرة التمدين والتجهيز في البلاد بشكل كبير.

ويُعْتَبَر حزب العدالة والتَّنْمِيَة هو صانع هذه التَحَوُّلَات الكبرى بشـــكل رئيس، وهو في الوقت ذاته المستفيد السِّيَاسِيّ الأبرز منها كذلك؛ نظراً لأنه الحزب التُّرْكِي ّ الوحيد الَّذِي يمتلك الأجنـــدة الَّتِي تَتَحَدَّثُ عن تركيا الجديدة لفترة ما بعد "الكَمَالِيَّة" (1). كما أبانَ أنَّ العَلْمَانِيَّة "المُطْبِقَة" ليست شرطاً للتَّقَدُّمِ والنهضة.

هذه الرؤية الغَرْبِيَّة الَّتِي لا تُخْفِي رغبةً مُسْـــتَبْطَنَة في إفشال تركيا أو تقليم أظافرها، خصوصـــاً أن الرئيـــس أردوغان وحزبه اســـتفاد كثيراً من هامـــش المناورة بأدوات الديمُقْرَاطِيَّة واقتصادات الســـوق والانفتاح على الغرب، وعدم التصادم مع العَلْمَانِيَّة؛ كاسْـــتِرَاتِيجِيَّة مرحليَّة لتحقيق رؤيته الَّتِي يراها الغرب "عثمانيَّة" "توســـعيَّة" في ثوبٍ "إســـلاميٍّ" جديدٍ، بما تحمله تلك الكلمة من إرث تَارِيخِيّ وحَضَارِيّ مرير في الذاكرة الغَرْبِيَّة، تُنْذِر باللجوء إلى نماذج إجهاضيَّة وحتى تخريبيَّة تَمَّ تجريبها من قَبْل في بلدان أخرى بالشرق الأوســـط؛ كاسْتِرَاتِيجِيَّة استباقيَّة للحدِّ من الطموحات التُّرْكِيَّة الرَّاهِنَة، كما تَـــمَّ تطبيقها كذلك في تركيا، وَلَعَلَّ مثالها البارز هو المحاولة الانقَلابِيَّة الفاشـــلة الأخيرة، وإشهار ورقة الأرمن، أو دعم حزب العمال الكردستاني.

وتَتَمَثَّل سيناريوهات تلك الاسْتِرَاتِيجِيَّة الاستباقيَّة في أربعة نماذج رئيسة؛ بدءاً بنموذج "الاستنزاف الذاتي"، على غِرَارِ الحالة العراقيَّة في عهد صدَّام حسين، ومِنْ ثَمَّ تقسيم البلاد عِرْقِيّاً وطائفيّاً، ومروراً بنموذج "الإرهاب والتفجيرات المتسلسلة"؛ لإجهاد الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة، على غرار النموذج اللُّبْنَانِيّ في أعقاب اغتيال رفيق الحريري، وتوخِّي إشعال

1. Soner Cagaptay ,Ross Wilson, and James F. Jeffrey, Turkey Rising: Challenges and Prospects for the New Administration, The Washington Institute for Near East Policy, POLICYWATCH 2018, January 18، 2013, available at: http: //goo.gl/Hn2cU4

حرب أهليَّة جديدة بين الطوائف والمذاهب المتناحرة (1)، وأيضاً "نموذج إسقاط الرئيس واستنزافه" بالمظاهرات والاعتصامات بالتزامن مع أعمال تخريبيَّة ضِدَّ مَقَرَّات الحزب الحاكم، وَفْقاً للخبرة المصريَّة في إسقاط الرئيس محمد مرسي بعد تدخُّل الجيش بدعم مـــن أطراف إقْلِيمِيَّة ودَوْلِيَّة فاعلة، وانتهاءً؛ بنموذج الانقلاب العَسْـــكَرِيّ المباشر (2)، على غرار النماذج المُتَكَرِّرَة في موريتانيا وعدد من الدول الإفريقيَّة واللاتينيَّة، وكذلك انقلابات الجيش الســـابقة في تركيا، والَّتِي كان آخرها الانقلاب الأبيض على حكومة نجم الدين أربكان عام 1997م.

1. لَقِيَ رئيس وزراء لبنان الأســبق رفيق الحريري حَتفه مع 22 آخرين، إثْرَ تفجير هائل بســيارة مُفخَّخة وســط العاصمة بيروت، في 14 فبراير/شباط العام 2005، وكان الحريري آنذاك في طريقه لتناول الغداء في منزله، عندمــا انفجرت شــاحنة محمّلة بحــوالي 2.5 طن من المواد المتفجِّرة، خلال مــرور موكبه، وأصدرت المحكمة الخاصة بلبنان مذكرات توقيف غيابيّة ضد أربعة عناصر من "حزب الله" اللبناني؛ لاتِّهَامهم بالتورُّط في اغتيال الحريري، وَوَجَّهت الاتِّهام ذاتَه إلى عنصر خامس، للمزيد يُنْظَر الرابط التالي: https://goo.gl/GYDFyt.
2. أنور عبدالله الرواحنة، هل ستصبح تركيا "قُوَّة عظمى" في السنوات القليلة القادمة؟، مرجع سابق.

المبحث الثاني

القُوَّة النَّاعِمَة التُّركِيَّة..
وسيناريوهات الاحتواء أو التحييد

بعد اعتقال عشرات الجنرالات بِتُهْمَة التآمر ودَفْع القادة الرئيســين للجيش التُّركيّ لتقديم استقالاتهم، إثْرَ المؤامرة الأُولَى سنة 2011م(1)، فإنَّ السُّلْطَة المَدَنِيَّة لحكومة السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان، كَسَبَتْ رِهَانَ السُّلْطَة، وأخذت بزمام الأمور بصفة نهائيَّة أمام قُوَّة عَسْكَرِيَّة طالما استبَدَّت بالقرار السِّيَاسِيّ بداعي حماية قِيَم العَلْمَانِيَّة وإرث الكَمَالِيَّة. بل تَمَّ القفز في الدوائر الغَرْبِيَّة الصادحة بترانيم الديمُقْرَاطِيَّة والمجتمع المَدَنِيّ، عـــلى إيجَابِيَّة وصول المجتمع التُّركيّ وديمقراطيَّته إلى مرحلة نضج مُعَيَّنَة للتركيز على مخاوف نجاح النموذج التُّركيّ في الحُكْم واســتفراد الرئيس أردوغان بالسُّلْطَة، حتى إنَّ نائب رئيس هيئة الأركان الإسرائيليّ "يائير جولان"، أَكَّدَ أنَّ "وجود أردوغان في الحكم مِن أَهَمّ مُسَبِّبات الإشكاليَّات لإسرائيل"(2).

هذه النماذج الإجهاضيَّة، الَّتِي ربما بَرَزَت خطورتها الفِعْلِيَّة مع إفشال المحاولة الانقَلابِيَّة، تضع حزب العدالة والتَّنْمِيَة وصانع القرار التُّرْكِيّ على المِحَكّ، وإزاء تلك النماذج الَّتِي يبـــدو أنها لن تَتَوَقَّفَ عن محاولـــة تكرارها أو ابتكار المزيد منها لخنق القُطب التُّرْكِيّ

1. في عام 2011م اتَّهَمَتْ الحكومة التُّرْكِيَّة عناصر عَسْكَرِيَّة بالتخطيط لانقلاب ضِدَّ الحكومة، وتَمَّ حبس عشرات الجنرالات، كانت الحصيلة النهائية هي دفع المجلس العســكري الأعلى في تركيا للاســتقالة، في يوليو (تموز) 2011م، وهو ما رآه المراقبون، الانتصار الأهم للمدنيِّينَ على العسكريِّينَ في تركيا الحديثة.
2. "إسرائيل"... ومحاولة الانقلاب الفاشل في تركيا، موقع "مركز رؤية للتنمية السياسيَّة"، 29 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 15 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/yvFCtK.

قبل استفحال أمره واستعصائه على الاحتواء؛ باعتبار أن صعود تركيا قويَّة مُسْتَقِلَّة عن التَّبَعِيَّة للولايات المُتَّحِدَة، وجيش تركيّ قَوِيّ مُحْتَرِف بعيداً عن وصاية واشـــنطن وحِلْف الناتـــو، يُعَدُّ أمراً غير مقبول لدى المَرْكَزِيَّة الأُورُوبِيَّة ووريثتها الأمْرِيكِيَّة، وهو ما يَضَع القُطب التُّرْكِيّ أمام عدد من السيناريوهات المستقبليَّة، **تَتَلَخَّص في:**

- سيناريو النجاح أو المضي قُدُماً.
- سيناريو الاحتواء الجزئي أو الموائمة.
- سيناريو الاحتواء الكُلِّيّ أو الترويض.

فيما يَتَعَلَّق بالسيناريو الأَوَّل؛ المضي قُدُماً، وفيه ينجح الرئيس التُّرْكِيّ السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان ومن ورائه حزب العدالة والتَّنْمِيَة في اســـتثمار اسْتِرَاتِيجِيّتهم الناجحة إزاء إدارة أزمة المحاولة الانقَلابِيَّة الفاشلة في إعادة هيكلة الجيش التُّرْكِيّ على أُسُس الجيوش الحديثة المُحْتَرِفَة، مثل الجيوش الغَرْبِيَّة، لا سِيَّمَا مع بدء اسْتِرَاتِيجِيَّة القواعد العَسْكَرِيَّة التُّرْكِيَّة في الخارج، والَّتِي تُوَظِّفُها الدول الكبرى لجعل جيوشـــها أكثر احتِرَافِيَّة وبُعْداً عن الانخراط السِّيَاسِيّ في الحُكم، وكذلك تجفيف منابع جماعة الخدمة الَّتِي يتزعمها فتح الله جولن(1) من مفاصل الدَّوْلَة المحوريَّة بشـــكل كبير، بما يدعم كســـب الجبهة الدَّاخِلِيَّة وتقويتها، ومِنْ ثَمَّ يعني ذلك فتح المجال واســـعاً أمام قُوَّة تركيا النَّاعِمَة نحو مزيد من النجاحات الاقتِصَادِيَّة، ومِنْ ثَمَّ السِّيَاسِـــيَّة والاسْتِرَاتِيجِيَّة، بما يدعم مركزها الإِقْلِيمِيّ والدَّوْلِيّ كَقُطْبٍ صَاعِدٍ في العلاقات الدَّوْلِيَّة.

---

1. حركة "الخدمة"، هي أكبر مجموعات "جماعة النور" المنتسبة للشيخ سعيد النورسي، وقام بتشكيل نواتها الأولى أوائـــل عـــام 1970م الداعيـــة التُّرْكِيّ فتح الله جولن بمدينة إزمير، ثم توســـعت لتصبح حركة لها أتباعهـــا داخـــل وخارج تركيا. وأهم ما يميزها أنها حركة اجْتِمَاعِيّـــة وقوميَّة، ولديها انفتاح على الغرب. وتقـــوم دعائـــم منهج الجماعة الفكري على كتب كل من النورسي وجولن، ومعظم أنشـــطتها تتوجه نحو العلم والثقافة، وتستهدف الفئة المتعلمة المثقفة من الشعب، وخاصة الطلاب. شهد نشاط الجماعة قفزة نوعية بعد انقلاب عام 1980م؛ حيث استفادت من دعم الدولة ومن مساحات الحرية المتاحة آنذاك=

=لتبدأ استراتيجية التوسع نحو إنشاء المدارس خارج تركيا.
وتدير الحركة حالياً أكثر من 1500 مُؤَسَّسَــة بمختلف مراحل التعليم، إضافة إلى 15 جامعة، تنتشر في أكثر من 140 دولة في مختلف أنحاء العالم. وهذه المُؤَسَّسَات التعليمية تتفق مع علمانِيَّة تركيا، ولا تطبق أي برامج ذات مواصفات دينيَّة.
أما في قطاع الإعلام، فتمتلك الحركة عدة مُؤَسَّسَات إعلامية منها وكالة "جيهان" للأنباء، كما تمتلك ست قنــوات تلفزيونيــة متنوعة، وثلاث إذاعات. وتغطي هذه المجموعة نحو 150 دولة، تغطي مناطق أمريكا وأوروبا وآســيا الوســطى باللغــات التُّرْكِيَّة والإنجليزية والألمانية والآذريَّة. كــما تمتلك مجموعة "زمان" الإعلامية التي تصدر جريدتي زمان التُّرْكِيَّة ونسختها الإنجليزية'.
وعلى الصعيد الاقْتِصَادِيّ، تمتلك الحركة "بنك آســيا" الذي يُعد أكبر بنك إســلامي بتركيا، بينما يتجمع رجال الأعمال الذين يدورون في فلك الحركة في جمعية "توسكون" التي تعتبر الذراع المالي لها.
ويتبنى جولن مفهوماً غير مسيس للدين، فهو يرى أن "الإسلام ليس أيديولوجية سِيَاسِيّة أو نظام حكم أو شكلاً للدولة"؛ كما يصر على وصف جماعته أنها "فوق السياسة"؛ حيث تبتعد عن العمل السِيَاسِيّ الحزبي المباشر، مكتفية بالتحالف مع الأحزاب السِّيَاسِــيَّة في مقابل الدعم والامتيازات، والتغلغل في مُؤَسَّسَــات الدولة والتقدم في المناصب المهمة والحساسة، وخصوصاً الجيش والاستخبارات والشرطة، تأهباً لمشروع سِيَاسِيّ مستقبلي. ولا يوجد للحركة أيّ هيكل إداري معلَن، كما لا تكشف أيّ تسلسل هَرَمِيّ ينظم تراتبيَّة مسؤوليها، وتقول في أدبيَّاتها: إنها ملتزمة بالإصلاح الديمقراطيّ والحوار بين الأديان.
ومع بزوغ نجم العدالة والتَّنْمِيَة وتوليه زمام السلطة، التزم بالعمل مع جميع الأطراف الليبراليَّة الفاعلة في المجتمع، ومنها الجماعة، التي شهدت تطورًا سياسيًّا كبيرًا خلال هذه الفترة من تسمية نُوَّاب تابعين لهــا واختيــار وزراء والتمتُّــع بحُرِّيَّةِ العمل والانتشــار دون قيود، لكنَّ طموح هــذه الجماعة لم يتوقف وحاولت القفز على شرعية الحكومة وتسارعت وتيرة خطواتها المناهضة لـ"الحرية والعدلة" بشكل لافت، حتــى أن قائدهــا فتح اللــه غولن هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكيَّــة، واتخذها منبرًا لمهاجمة تركيا لاسيّما من داخل الكونجرس الأمريكيّ، الأمر الذي اضطر الحكومة التُّرْكِيَّة للحدّ من نفوذ وتغلغل حركة الخدمة منذ العام 2013م، فقادت حملة توقيف طالت عدداً من قادة الجيش ذات النشــاط الســياسي المريب وكذلك عدد من رجال الشرطة والقضاء، وإغلاق عدد من المدارس التابعة لها.
وفي مايو 2016م، صنَّف الرئيس التُّرْكِيّ رجب طَيِّب أردوغان رســمياً حركة جولن كـ"مُنَظَّمَة إرهابية"، ووصفها بـ"الكيان الموازي" الذي يســعى إلى الإطاحة بنظام الحكم الديمقراطي، وبعدها بنحو شهرين جرت المحاولة الانقلابيَّة الفاشلة في تركيا في يوليو 2016م؛ حيث بدا واضحًا الدور الذي لعبه "الكيان الموازي" بقيادة جولن في محاولة الانقلاب، وتعهد الرئيس أردوغان بمحاسبة المتورطين في تلك المحاولة الانقلابيَّــة، وهو ما أكَّدَه تقرير لجنة الشــؤون الخارجية في مجلــس العموم البريطاني، أن بعض أتباع التركي فتح الله غولن شــاركوا في الانقلاب الفاشــل الذي وقع في تركيا منتصف يوليو/تموز الماضي، مشــيرًا إلى أن هناك افتقارًا نســبيًا إلى الأدلة التي تثبت مســؤولية غولن عن محاولة الانقلاب، إلا أن هناك أدلة تشير إلى تورط بعض أفراد جماعته، وذلك بناء على معلومات من اعترافات متورطين.

أما السيناريو الثاني؛ الاحتواء الجزئي، وفيه تسعى الولايات المُتَّحِدَة الأمْريكيَّة والاتِّحَاد الأُورُوبيّ إلى محاولة كَسْب الرئيس التُّرْكِيّ وحزب العدالة والتَّنْمِيَة بمزيد من المُحَفِّزَات والمُغْرِيَات الاقتِصَادِيَّة والعَسْكَرِيَّة، شريطة أن تَتَوَقَّف إجراءات معاقبة الانقِلابِيِّينَ واسْتِرَاتِيجِيَّة التَّطْهِير الَّتِي يقودها الرئيس التُّرْكِيّ السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان في مفاصل الدَّوْلَة الحَيَوِيَّة للعناصر المحسوبة على فَعَالِيَّات جماعة الخدمة وغيرها من المدعومين أمريكيّاً، مع إبداء مرونة في مَنْح تركيا درجة معقولة من المكانة الإِقْلِيمِيَّة الَّتِي تُرْضِي طموحاتها "العُثْمَانِيَّة"، في ترتيبات الشرق الأوسط الجديدة والقائمة على قدمٍ وساق بين الفاعلين الدَّوْلِيِّينَ والإِقْلِيمِيّينَ، ومِنْ ثَمَّ احتواء مخاطر الطموحات التُّرْكِيَّة على المدى البعيد بتكثيف حضور تركيا الأطلسيَّة الغَرْبِيَّة كبديل مقبول عن حضور تركيا ذات الأغلبيَّة الإِسْلامِيَّة الشرق أوسطيَّة، بالتوازي مع العمل على إزاحة الرئيس التُّرْكِيّ وحكومة العدالة والتَّنْمِيَة من سُدَّة الحكم، ديمقراطيّاً، في أقرب انتخابات مُمْكِنَة.

وأخيراً؛ السيناريو الثالث؛ الاحتواء الكُلِّيّ، وفيه تنجح القُوَى الغَرْبِيَّة في استغلال اسْتِرَاتِيجِيَّة أردوغان لاحتواء مخاطر العَسْكَرِيِّينَ الانقِلابِيِّينَ الموالين للغرب، وتطهير مفاصل الدَّوْلَة من المناوئين؛ من خلال تكثيف الانتقادات الإِعْلَامِيَّة للرئيس أردوغان وحزب العدالة والتَّنْمِيَة على أمل إحداث وقيعة داخليَّة بين الشعب وقيادته الحاليَّة لإنهاء حالة الاصطفاف التُّرْكِيّ غير المسبوقة الَّتِي ظهرت إِبَّانَ أزمة المحاولة الانقَلابيَّة الفاشلة، وإِغْرَاق تركيا في عمليَّات إرهَابِيَّة متسلسلة، مع مزيد من الضغوط على حدودها الساخنة في سوريا والعراق، ما يجبر القيادة التُّرْكِيَّة على الانكفاء نحو الداخل المضطرب، كمرحلة أولى من الإجهاض، يعقبها التحضير الجَيِّد هذه المَرَّة، على المدى المتوسط، لِتَدَخُّلٍ انْقِلَابِيٍّ جديدٍ لعناصر عَسْكَرِيَّة ساخطة على الرئيس أردوغان وحزبه، تقود إلى التَّخَلُّص من الرئيس أردوغان وحزب العدالة والتَّنْمِيَة، ومِنْ ثَمَّ إنهاء طموحات تركيا "العُثْمَانِيَّة الجديدة"، وفي هذا السيناريو قد يَتِمّ الاستعانة ببعض الوجوه المقبولة تركيّاً، والَّتِي لها تحفُّظات على رؤية الرئيس أردوغان لمستقبل بلاده، خاصة من حلفائه السابقين في حزب العدالة والتَّنْمِيَة.

حتى الآن يبدو السـيناريو الأَوَّل هـو مَحَلّ العمل والتطبيق، لا سِـيَّمَا مع بقاء حالة الطوارئ في تركيا إثْرَ المحاولة الانقَلابِيَّة الفاشـلة، واسـتمرار عمليَّات التَّطْهير الَّتِي يقودهـا الرئيس أردوغان وحكومة العدالة والتَّنْمِيَة داخل مفاصل الدَّوْلَة الحَيَوِيَّة لِوَأْدِ أيِّ محاولاتٍ لتَدَخُّلٍ جَدِيدٍ للجيش بقُوَّتِه الخَشِـنَة في الحياة السِّيَاسِـيَّة التُّرْكِيَّة الَّتِي انطلقـت من بَوَّابَة القُوَّة النَّاعِمَة لتُحَقِّقَ مزيداً مـن النجاحات الدَّاخِلِيَّة والخَارجِيَّة وربما لن تسمح بعرقلتها عبر بَوَّابَة الجيش وانقلاباته مُجَدَّداً، وربما تقود الشهور القليلة القادمة، لا سِـيَّمَا بعد انتخابات الرئاسـة التُّرْكِيَّة المقررة في العام 2019م إلى تشكُّل اسْـترَاتِيجيّات جديدة للعدالة والتَّنْمِيَة لتدعيم قُوَّة تركيا النَّاعِمَة قد تُفْرِزها السياقات الدَّوْلِيَّة والإقْلِيمِيَّة الرَّاهِنَة في المنطقة.

ومِـنْ ثَمَّ فإن ما يمكـن الجزم به إزاء كُلّ هذه التَّحَدِّيَـات، أنها ربما لن تقف عائقاً أمام طموح تركيا الجديدة نحو اسـتعادة أمجـاد الإمْبَرَاطُورِيَّة العُثْمَانِيَّة، ذات البُعْد الحَضَارِيّ الرِّسَـالِيّ، لا سِيَّمَا وأن النخبة الحاكمة في أنقرة؛ الرئيس أردوغان وحكومة العدالـة والتَّنْمِيَة، ممن يُوصَفُونَ في الدوائر الغَرْبِيَّة بـ"العثمانيِّينَ الجُدُد"، قد حقَّقُوا نجاحات كبيرة على الصعيد الدَّاخِلِيّ في تركيا؛ أبرزها إجهاض المحاولة الانقَلابِيَّة ذاتها، ويَتَحَرَّكُونَ خارجِيّاً بكفـاءة وفَاعِلِيَّة نحو بناء تركيا الدَّوْلَة المَرْكَزِيَّة الجديدة، ومِنْ ثَمَّ فإنَّ خبرة إجهاض الانقلاب بقُوَّتِه الخَشِـنَة، تَسْتَبْطِن في داخلها تَحَدِّيَات كبيرة ربما سـتُحَفِّز صانع القرار التُّرْكِيّ لاتِّخَاذ اسْترَاتِيجيّات، دفاعيَّة وهجوميَّة مبتكَرة، للحفاظ على المكاسب الَّتِي تحقَّقت خلال العقدين الماضيين، والبناء على تلك المكاسب لتحقيق وإنجاز المزيد من تلك النجاحات الَّتِي تُؤَسِّـس لتركيا الدور والمكانة والنُّفُوذ في نظامٍ عالمِيّ بات مفتوحاً على كافَّة الاحتمالات، في ظِلِّ مُنَاخ من الصِّرَاع التَنَافُسِيّ المحموم على النُّفُوذ بين وحداته الدَّوْلِيَّة الكبرى والمتوسِّطَة، بل والصغرى كذلك. (1)

1. مصطفى شـفيق علام، التغلغل الناعم: إفريقيا في الاسْـترَاتِيجِيّة التُّرْكِيَّة .. المُحَدِّدَات والسِّـيَاقات والتَّحَدِّيَات، مجلة قراءات إفريقيَّة، 8 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 27 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/B1qnqT

المبحث الثالث

وقائع الانقلاب..
ليلة المواجهة بين القُوَّة النَّاعِمَة والصَّلْبَة

بالرجوع إلى ليلة الانقلاب، الَّتِي كانت تَارِيخِيَّة بكل المقاييس، بما أنها مثَّلت المِحَكَّ التطبيقـــي لنجاعة كلا النوعين من القُوَّة في السَّـــاحَة التُركِيَّـــة، وجَرَتْ أطوارها الحاسمة ووقائعها المحمومة في ساعات على غرار الحرب الخاطفة، وبرهنت بالتَّالي على نجاعة القُوَّة النَّاعِمَة الَّتِي تَبْنِي العقول، وتُشكِّل الوعي في مواجهة كلاسيكيَّات القُوَّة الخَشِنَة الصَّلْبَة الَّتِي تنطلق من اسْتِرَاتِيجِيَّة فَرْض الأمر الواقع بِقُوَّة السلاح.

لقـــد بدأت إذن، أطوار المحاولة الانقَلابِيَّة بتركيا، بالخروج إلى العلن قبيل منتصف ليل 15 يوليو 2016م، عندما أَغْلَقَت عناصر من الجيش التُّرْكِيّ جسر البوسفور الشهير(1)، المُتَّجِه من الشـــطر الآسيوي إلى الشـــطر الأُورُوبِيّ، بينما سارع رئيس الوزراء بن علي يلدرم(2) إلى وصف ما جرى بأنه محاولة انقَلابِيَّة.

1. جسر البوسفور: جسر يربط أجزاء إسطنبول الواقعة في القارَّة الآسيويَّة بأجزائها في القارَّة الأوروبيَّة. وتم بناؤه العام ١٩٧٣م، وافتُتِحَ في ذِكرى تأسـيس الجمهوريَّة التُّرْكِيَّة. يبلغ طوله ١٥٦٩ متراً، وعرضه ٣٣ متراً، وارتفاعه عن سـطح الماء نحو ٦٤ متراً، ويُفتح الجسر سـنوياً يوماً لإقامة ماراثون القارَّات عليه، وقد قَرَّرَتْ الحكومة التُّرْكِيَّة تغيير اسمه إلى جسر "ضحايا 15يوليو"؛ تخليداً لضحايا محاولة الانقلاب الفاشلة التي جرت في البلاد العام 2016م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/fkhz3E.
2. بـن عـلي يلدرم: رئيس البرلمان التركي الحالي، وأحد قادة حزب "العدالة والتنمية" البارزين، يُوصَف بالحليف المُقرّب من الرئيس التركي السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان، وُلِدَ في مدينة أرزينجان العام 1955م، دَرَسَ الهندسة والملاحة البحريَّة، وسياسيّاً التحق بحزب "العدالة والتَّنمية" منذ تأسيسه، وأشْرَفَ على الكثير من مشاريع البِنَى التحتيَّة والنقل البحريّ، التي أكسبت الحكومة شعبيَّة، ومَكَّنَتْهَا من الفوز بالانتخابات منذ العام 2002م، تَوَلَّى وزارة النقل في جميع حكومات الحزب منذ 2010م، باستثناء الفترة من 2013 إلى 2015م.

تَوَلَّى الكثير من المناصب المهمَّة، مثل: خلافة الرئيس أردوغان في زعامة الحزب، ورئاسة الوزراء منذ 22 مايو 2016م وحتى يوليو 2018م، وأخيراً رئاسة البرلمان التركي، للمزيد يُنْظَر الرابط التالي: https://goo.gl/R74pUC.

وسرعان ما تناقلت وكالات الأنباء العَالَمِيَّة أخباراً عن تحليق مِرْوَحِيَّات عَسْــكَرِيَّة فوق العاصمة أنقرة، ونقلت عن شــهود عيان ســماعهم أصوات إطلاق نار كثيفة بالمدينة، بالتــوازي مع إطــلاق رئيس الوزراء بن علي يلدريم تحذيــرات من أن تلك المحاولة الانقَلابِيَّة فاشلة لا محالة، مُلْقِياً بالقُوَّة النَّاعِمَة في مواجهة دبابات القُوَّة الخشنة بقوله: إن "الحكومة المُنْتَخَبَة من الشعب لا تزال في موقع السُّلْطَة. هذه الحكومة لن ترحل إلا حين يقول الشعب ذلك".(1)

وبينما سعى الانقلابيُّونَ إلى دعم قُوَّتِهُمْ الصَّلْبَة بتلك النَّاعِمَة من خلال السَّيْطَرَة على القناة التُّركِيَّة الرَّسْمِيَّة "TRT"، وإجبار العاملين فيها على بثّ البيان الأَوَّل للانقلاب، الَّــذِي تَحَدَّثَ عن تَوَلِّي السُّــلْطَة "للحفاظ على الديمُقْرَاطِيَّة"، وشــدَّد على أن جميع العلاقات الخَارِجِيَّة للدولة سَتَسْــتَمِرّ، وأن "السُّــلْطَة الجديدة" ملتزمة بجميع المواثيق والالتزامات الرَّسْــمِيَّة، مع التَّعَهُّد بإطلاق دســتور جديد للبلاد في أقرب وقت، كان الرئيس التُّرْكِيّ السَّــيِّد رجب طَيِّب أردوغان يُجْهِض ذلك المسعى(2) ربما بنفس الآليَّة الإِعْلَامِيَّة النَّاعِمَة، ولكن من دون القُوَّة الإكراهيَّة للسلاح الَّتِي استخدمها الانقلابيُّونَ؛ حيــث ظهر على إحدى الفضائيَّات عبر تطبيق اتصالي بشــبكة التواصل الاجْتِمَاعِيّ على الإنترنت، داعياً الشعب للنزول إلى الشوارع والميادين والمطارات؛ رفضاً للانقلاب العَسْكَرِيّ، مُؤَكِّداً بنبرة واثقة: "لن نسمح لأحدٍ أن يُثني عَزْمَنا"(3).

تَدَفَّقَــتْ جماهير الشــعب التُّرْكِيّ إِثْرَ نِدَاء الرئيس أردوغــان، من دون تأخير، فامتلأت الشــوارع والميادين والمطارات والأماكن الحَيَوِيَّة بالبلاد بجموع الشعب من كافَّة أطيافه

1. "يلدريم: محاولة انقلابيَّة لضباط في تركيا"، سكاي نيوز عَرَبِيَّة، 15 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 6 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9Schqj
2. "تركيا: الشارع يُفْشِل الانقلاب وأردوغان يستعيد السيطرة"، دويتش فيله، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 17 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/DM9Uia
3. "كيــف بــدأت محاولة الانقلاب بتركيا وكيف انتهت؟"، الجزيرة نت، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 17 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/JKc4il

وفئاته، استجابة لنداء الرئيس أردوغان بحماية الديمُقْرَاطِيَّة وإفشال الانقلاب، فانطلقت مظاهرات حاشـــدة في ميادين إســـطنبول وأنقرة ومدن عِـــدَّة رافضةً لمحاولة الانقلاب العَسْكَرِيّ. ومُطَالِبَةً بعودة الجيش إلى ثكناته، ليُؤَكِّد الشعب التُّرْكِيّ على حقيقة جَوْهَرِيّة في هذه المعركة مفادها أن القُوَّة الخَشِنَة مُمَثَّلَة في الانقلابات العَسْكَرِيَّة قد وَلّى إلى غير رجعة. خروج الجماهير إلى الشوارع والميادين والأماكن الحَيَوِيَّة من دون خَشْيَةٍ أو خَوْفٍ من أدوات القُوَّة العَسْكَرِيَّة الصَّلْبَة، حَفَّزَ الانقلابِيِّينَ نحو تصعيد الأمر بالانتقال من مرحلة التَّهْدِيد برمزيَّة الســـلاح إلى البَدْء في اســـتخدامه، فبدأت تتوارد أنباء عن استخدام الانقلابِيِّينَ قنابل يدويَّة وإطلاق رصاص ضِدَّ المَدَنِيِّينَ ورجال القُوَّات الخَاصَّة، بالتوازي مع سماع انفجارات بالعاصمة أنقرة، وإطلاق نار في المُجَمَّعِ الرِّئَاسِيّ بالعاصمة أنقرة، وقيام مروحيَّات بإطلاق النار على فندقٍ كان يُقيم فيه الرئيس أردوغان في مرمريس غربي البلاد عَقِب وقتٍ قصيرٍ من مغادرته(1) .

وفي الوقت الَّذِي كان الانقلابيُّونَ يَسْعَوْنَ لِفَرْضِ الأمرِ الواقع بتكثيف الاستخدام الحيّ لقُوَّة السلاح، استمروا في محاولة توظيفهم لأدوات القُوَّة النَّاعِمَة بإعلانهم عبر وسائل الإعلان عن نجاحهم في السَّـــيْطَرَة على مفاصل الدَّوْلَة، في الوقت الَّذِي أجَهَضَت فيه فَعَالِيَّات سِيَاسِـــيَّة تركيَّة، رَسْمِيَّة وغير رَسْمِيَّة، تلك الاسْتِرَاتِيجِيَّة من خلال تصريحات مُضَادَّة نقلتها وســـائل الإعلام الدَّوْلِيَّة يُؤَكِّـــدون فيها أن الرئيس والحكومة المنتخبين ديمقراطياً لا يزالان على رأس السُّلْطَة.

1. شَـــهِدَت العاصمة أنقرة ومدينة إســـطنبول، في وقت متأخِّر، من يوم الجمعة 15 يوليو 2016م، محاولة انقلاب فاشـــلة، نَفَّذَتْهَا عناصر محدودة من الجيش، وفي مســـاء هذا اليوم حاولت مروحيَّات تابعة للقوَّات الانقلابيَّة اســـتهداف الرئيس التركي السَّـــيِّد رجب طيِّب أردوغان خلال وجوده في أحد فنادق قضاء مرمريس في ولاية موغـــلا، لقضـــاء عُطلته، لكنها فشـــلت في ذلك؛ لأن الرئيس أردوغان كان قد غـــادر بالفِعْل، وبعد فترة وجيزة أَنْزَلَتْ هذه المروحيَّات نحو 15 فردًا مُلَثَّماً، بالأسلحة الثقيلة، وفرضوا طَوْقاً على الفندق، وقبل ذلك أطلَّ الرئيس مـــن مرمريـــس عبر قناة «سي إن إن تورك» التُّرْكِيَّة من خـــلال تطبيق «فيس تايم» لدعوة الجماهير التُّرْكِيَّة للاحتشاد في الشوارع لمواجهة الانقلابيِّينَ. للمزيد يُنْظَر الرابط التالي: .https://goo.gl/Hnzkcn

حيث خرج الرئيس التُّرْكِيّ السابق عبدالله غول، الَّذِي طالما ذهبت أذرع إعلاميَّة إِقْلِيمِيَّة مناوئة لتركيا إلى تضخيم الخلافات بينه وبين الرئيس السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان، بتصريح لقناة فضائيَّة تُرْكِيَّة عبر تطبيق للتواصل الاجْتِمَاعِيّ أَكّدَ فيه بلَهْجَةٍ صَارمةٍ أنه لا يمكن القَبُول بأيِّ محاولة انقَلابيَّة، مطالباً الشعب باتِّخَاذ موقف سريع ضِدَّ التَّحَرُّك الانقلابي، مضيفاً أنه على الجميع أن يكون واعياً إزاء هذا الخطر الَّذِي يُحْدِقُ بالبلاد. (1) كما أعلن رئيس الوزراء السابق، مهندس الاسْتراتِيجِيَّة التُّرْكِيَّة الحاليَّة، أحمد داود أوغلو، أن السُّلْطَة عادت إلى قبضة قوات الأمن الشَّرْعِيَّة، واتَّهَمَ جماعة فتح الله جولن بالوقوف خلف المحاولة الانقَلابِيَّة، كما دعا رئيس البرلمان التُّرْكِيّ الجميع إلى الوقوف صفاً واحداً للدفاع عن الديمُقْرَاطِيَّة.(2)

لم يكن هذا المسلك قاصراً على فَعَالِيَّات محسوبة على حزب العدالة والتَّنْمِيَة الحاكم فحسب، بل كان من اللافت كذلك التفاف القُوَى السِّيَاسِيَّة التُّرْكِيَّة المعارضة، على اختلاف أطيافها، حول حكومة العدالة والتَّنْمِيَة والرئيس السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان في رفضها للانقلاب. حتى إن زعيم حزب الشعب الجمهوري المعارض كليجدار أوغلو(3)، قد أدلى بتصريح في ذروة الحدث أكَّد فيه أن تركيا طالما عانت من الانقلابات مطالباً الجميع بالدِّفَاع عن الديمُقْرَاطِيَّة.(4)

1. "عبدالله غول: سَنُحَاكم المشاركين في الانقلاب"، سكاي نيوز عَرَبِيَّة، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 6 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/NzbVMa
2. "كيف بدأت محاولة الانقلاب بتركيا وكيف انتهت؟"، الجزيرة نت، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 6 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/JKc4il
3. كمال كيليتشدار أوغلو، سِيَاسِيّ تركي مشارك في الحياة السِّيَاسِيَّة والاجْتِمَاعِيّة التُّرْكِيَّة ؛ وُلد في 17 ديسمبر 1948م لعائلة من الطائفة العَلَوِيَّة في تركيا، وهو زعيم المعارضة التُّرْكِيَّة في البرلمان التركي. وزعيم حزب الشعب الجمهوري أقوى أحزاب المعارضة الرئيسة في تركيا، وعضو في البرلمان التُّرْكِيّ عن مدينة إسطنبول منذ عام 2002م.
4. "كيف بدأت محاولة الانقلاب بتركيا وكيف انتهت؟"، المرجع السابق.

ومِنْ ثَمَّ فإن إجماع التَّيَّارات السِّيَاسِـيَّة المعارضـة، والحكومة، والكثير من القيادات العَسْـكَرِيَّة على رفض الانقلاب، والتشـديد على الدِّفَاع عن الديمُقْرَاطِيَّة والشَّرْعِيَّة، وخروج ملايين المواطنين الأتراك إلى الشوارع والساحات والمطارات، قد عَجَّل بإفشال المحاولة الانقَلابِيَّة، ليخرج في نهاية الليلة العصيبة رئيس الوزراء التُّرْكِيّ بن علي يلدرم مـن جديد ليُؤَكِّد أن الانقلاب قد فشـل، وأن الاعتقالات جارية في صفوف العناصر الانقَلابِيَّـة جنوداً وضباطاً، قبل أن تعلن قناة "تي.آر.تي" الرَّسْـمِيَّة التُّرْكِيَّة بعد عودة بثها الَّذِي انقطع لساعات أثناء محاولة الانقلاب، أنها اضْطَرَّتْ لقراءة البيان العَسْكَرِيّ الانقلابيّ؛ لأنَّ العاملين بها كانوا تحت تهديد السلاح.(1)

وقد جاء وصول الرئيس السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان إلى إسطنبول صبيحة ليلة الانقلاب في 16 يوليو 2016م ليكون طَيّاً لصفحة الانقلاب؛ حيث تَجَمَّعَ حوله الآلاف من الأتراك؛ وعَقَـدَ مؤتمراً صَحَفِيّاً بمطار أتاتورك الدَّوْلِيّ أكَّد فيه انتهاء ذلك الكابوس الَّذِي قام به مجموعة ممن يكرهون تركيا القَوِيَّة، مهنئاً الشعب وشاكراً إياه في ذات الوقت على نجاحـه في الدِّفَاع عن الديمُقْرَاطِيَّـة، ورفضه لارتداد تركيا نحو زمن الانقلابات من جديد. وسرعان ما لبثت حملة اعتقالات واسعةٍ بِحَقِّ المشاركين في الانقلاب(2)، بالتَّوَازِي مع حملات تطهير وتوقيف طالت كافَّة المسـتويات والقطاعات الحَيَوِيَّة؛ للقضاء على أيِّ نواة محتملة قد تنزع إلى توظيف أدوات القُوَّة الصَّلْبَة، مُمَثّلة في اسـتدعاء الجيش وانقلاباته، للقضاء على اسْتِرَاتِيجِيَّة الحُكْم الرشيد في تركيا، الَّذِي يستند بالأساس إلى مُحَفِّزَات القُوَّة النَّاعِمَة الَّتِي حسمت معركة الوعي خلال استحقاقات الليلة التَّارِيخِيَّة الفارقة من عمر البلاد.

1. كيـف بـدأت محاولة الانقـلاب بتركيا وكيف انتهت؟"، الجزيرة نت، 16 يوليـو 2016 م، تاريخ الزيارة 6 يوليو 2017 م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/JKc4i
2. بول كيربي، "لماذا فشـل الانقلاب العسـكري في تركيا؟"، بي بي سي، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 17 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/OsE42y

إنَّ دور القُوَّة النَّاعِمَة الحاسم والبرهنة على جدواها في تحويل ثِقَل موازين القُوَّة العَسْكَرِيَّة لإجهاض التجربة التُّركِيَّة المُتَمَيِّزَة إلى إجهاضات مُتَكَرِّرَة لحسابات المناوئين في الخارج قبل الداخل، حتى إنَّ جريدة ذات ثِقَل إعلامي عالمي من صنف "لوموند" الفرنسيَّة في عنوانها افتتاحيتها: "دروس الانقلاب الفاشل" ليوم 18 يوليو 2016م، لم يَتَوَرَّعْ مُحَلِّلُوهَا جملةً وتفصيلاً عن قول: إنَّ التَّهْدِيد الرئيس للحُرِّيَّات في تركيا اليوم، هو غطرسة رئيس وقائد كاريزمي للحزب (أردوغان) (1)، فاز تقريبا منذ عام 2002م بجميع الانتخابات. وأعلن نفسه كضامن ضِدَّ تمدُّد الفوضى والإرهاب، على خَلْفِيَّة تجدُّد الصِّرَاع مع التمرُّد الكُرْدِيّ والهجمات على الدَّوْلَة الإِسْلامِيَّة في سوريا. وهذا الاختبار الجديد يُعَزِّزُه ويُقَوِّيه، بما أن جميع الأطراف بما فيها الحلفاء الغربيُّونَ المنتقدون، قد أبدت مساندتها له.

وتضيف، بأنَّ ما تُسَمِّيه "الانجراف الاستبداديّ" للرئيس أردوغان يُخَاطِر بأن يصبح أكثر رسوخاً، مقابل اللَّعِب بورقة التآمر الَّتِي لم يَتَوَقَّفْ أبداً عن استعمالها، والتنديد بمخاطرها. وقد تمَّت بالفعل آلاف الاعتقالات ليس في أوساط الجنود فحسب، بل أيضاً في أوساط الموظفين الحكوميِّينَ والقضاة أيضاً، مما يُمَهِّد لانتشار رُقْعَة القمع، واستعمال ورقة الحفاظ على مكتسبات الديمُقْرَاطِيَّة، وحماية مكاسب القُوَى المَدَنِيّة لتسريع مشاريعه الرِّئَاسِيَّة، وأيضاً تأمين المزيد من السُّلْطَة الَّتِي لا تقبل المشاركة ولا الاقتسام.

وما سيق من تبريرات ومخاوف، تناقلت سياقاتها المعاكسة أغلبيَّة المنابر الغَرْبِيَّة، لا يعكس أبداً مخاوف الديمُقْرَاطِيَّة، وحماية النُّظُم المَدَنِيّة، وحقوق الإنسان، بل تَحَوَّلَتْ التعليقات والقصاصات إلى إدانة كاملة لنظام نابع من إرادة الناخبين ونتائج صناديق الاقتراع! رغم أن هذه الأخيرة أفرزت وعياً كبيراً بضرورة حماية

1. Turquie : les leçons d'un putsch manqué موقع صحيفة "lemonde" الفرنسية، 18 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 15 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/M1Y6CP.

المكاسب الديمُقْرَاطِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة والاقتِصَادِيَّة، وجَد تعليله في آلاف المواطنين الَّذين واجهـــوا دَبَّابَات الانقِلابِيِّينَ بصدورٍ مفتوحةٍ، لكن رغم ذلك لم يكن الأمر ليروق للآلة السِّيَاسِيَّة والإِعْلاَمِيَّة الغَرْبِيَّة، الَّتِي كان لها رأي آخر. وبدل أن ترى نجاحاً آخر لتطبيق الديمُقْرَاطِيَّة الأكيدة بفضل ميزات القُوَّة النَّاعِمَة، وإمكانيَّة تعايش العقيدة الإِسْـــلامِيَّة والمبادئ العَلْمَانِيَّة، جاءت عناوين باقي المنابر قويَّة مُنَدِّدَة، من قبيل مقال "ليبراسيون Liberation" الفرنسيَّة منتصف ديسمبر 2016م، بعنوان: "ضِدَّ الشُّموليَّة في تركيا(1).

فالأكثر إثارة للانتباه في الانقلاب الفاشل في تركيا، هو ردّ الشعب. وقد اتَّبَع المتآمرون الإجراء الكلاسيكيّ؛ الاستيلاء على مَحَطَّات الإرسال، وإرسال كوماندوز لقتل الرئيس، وقُوَّات حصار متمركزة في مختلف النقاط الحاســـمة، وإخراج الدَّبَّابَات إلى الشوارع. لقد تَمَّ حســـاب كُلّ شيء بدِقَّةٍ، باستثناء رَدِّ الفعل الشَّعْبِيّ، فبمُجَرَّد أن نجا الرئيس من الهجوم، أطلق رســـالة قصيرة من هاتفه المحمول إلى الأُمَّة التُّركِيَّة، مما حثَّ الشـــعب على الخروج طواعيَّة إلى الشوارع للدفاع عن قراره ومستقبله بنفسه.

والحقيقة أنه على مدى السنوات القليلة الماضِيَة، بدأ الجيش يفقد شرعيته في مواجهة حكومـــة خرجت مـــن صناديق الاقتراع، وهي في الأصل صانـــع المعجزة الاقتِصَادِيَّة التُّركِيَّة، وحتى مواقف الرئيس أردوغان من الثورات العَرَبِيَّة وخياراته الاسْـــتِرَاتِيجِيَّة الضاربة في عمق الشرق والغرب، والتَّدَخُّل في الصِّرَاعات الإِقْلِيمِيَّة السُّـــورِيَّة وغيرها، لم تُضعِف صورة ووزن حزب العدالة، بل زادت شَـــعْبِيَّته في أوســـاط ناخبيه وغيره، رغم تعميم المناوئين والغربيِّينَ لمزاعم كثيرة حول إرادة اســـتعمال الديمُقْرَاطِيَّة الثابتة والهادئة ظاهريّاً إلى حُكْم إسلاميّ قاسيّ ومُطَبَّق.

1. Contre le totalitarisme en Turquie موقع صحيفة "liberation" الفرنســية، 13 ديســمبر 2016م، تاريخ الزيارة 15 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/rjSxLG.

المبحث الرابع

النموذج التُّرْكِيّ..

تأثيرات كبرى على الحواضن العَرَبِيَّة والإسْلاَمِيَّة

لقد كشـــفت ليلة الانقلاب على السُّـــلْطَة الشَّرْعِيَّة أن الصِّرَاع لم يكن لينتهي بتلك الصورة المأســـاويَّة الكلاســـيكيَّة الَّتِي تعودناها على امتداد العقود الماضِيَة، وأيضاً خارطة الانقلابات الموســـومة بالدَّم والالتفاف على إرادة الديمُقْرَاطِيَّة؛ حيث الْغَلَبَةُ وَالْحَسْـــمُ لذوي الأحذية الثقيلة والفُوَّهَات المُصَوَّبَة إلى صدور المعارضين، بل كانت معركة وعي بامتياز، ودرساً من دروس القُوَّة النَّاعِمَة الَّتِي لا يمكن تجاوزها والدَّوْس عليها بجنازير المصفَّحات.

فالوعي المكتَسَـــب عبر تطبيق حكومة حزب العدالة والتَّنْمِيَة لنموذجها المســـتمدّ من مفاهيم وأســـس القُوَّة النَّاعِمَة، والَّتِي اتَّبَعَهَا، داخِلِيّـــاً، لتغيير منظومة البنَى العَقَديَّة والمُدْرَكات والتصوّرات السِّيَاسِيَّة الَّتِي طالما غَذّاها الحُكْم العَسْكَرِيّ في نفوس وعقول الشـــعب التُّرْكِيّ على مدار عقود خَلَت، تجاوزت حدود الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة باتِّجَاه حواضن عَرَبِيَّة وإسلاميَّة، شَـــعْبِيَّة عريضة، شَكَّلت هي الأخرى تجَلّياً واضحاً على مدى النُّفُوذ المعنوي الَّذِي تُمَثِّلُه تركيا في عقول وقلوب الشُّـــعُوب العَرَبِيَّة والإسْـــلاَمِيَّة، وربما من المناســـب في هذا الســـياق أن نرصد بعضاً من تقرير إخباريٍّ نشرته وكالة الأناضول الإخباريَّة التُّرْكِيَّة عن تعاطي الشُّعُوب العَرَبِيَّة والإسْلامِيَّة مع حدث المحاولة الانقَلابِيَّة الَّتِي تابعها الملايين على الهواء مباشرة في شهر يوليو 2016م بعنوان: "سقَطَ الانقلاب فَعَلَتْ أسهم القُوَّة النَّاعِمَة لتركيا في العالمين العَرَبِيّ والإسْلاَمِيّ"(1).

1. "ســقط الانقلاب فعَلَت أســهم القُوَّة النَّاعِمَة لتركيا في العالمين العربي والإسلامي"، وكالة الأناضول، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 18 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/KpgUUY

ينطلق التقرير من حقيقة مَفَادُهَا أن تعاطف الشُّــعُوب العَرَبِيَّة والإِسْلامِيَّة الكبير، مع تركيا، والبهجة الَّتِي أظهرتها تلك الشُّــعُوب عَقِب فشــل الانقلاب العَسْكَرِيّ، قد كشف عن عمق تأثير القُوَّة النَّاعِمَة التُّرْكِيَّة، في المنطقة العَرَبِيَّة والإِسْــلاَمِيَّة. ونَقَلَ التقرير حادثتين طريفتين أولهما للمواطن الكويتي "أبو يوســف الشــمري"، بأنه أوفى بنَذْرٍ قَطَعَه على نفسه، بذبح خروفين، في حال فشل الانقلاب في تركيا؛ حيث نشر صوراً تُوَثِّق العَمَلِيَّة، على صفحته الخَاصَّة بموقع "تويتر". وثانيهما لمواطن سعودي، لم ينشر اسمه، واكتفى بنشر فيديو لذبح "جَمَلٍ"، وإذاعة كلمات قال فيها:" عشنا لحظات عصيبة أمس في تركيا، هذا بمناسبة فشل الانقلاب، اللهم تقبَّل".

ويشــير التقرير إلى أنه رغم طرافة الحدثين، إلا أنهما لم يبتعدا كثيراً عن مشــاعر ملايين العرب والمسلمين، الَّذِين حَبَسُوا أَنْفَاسَهُمْ؛ تَرَقُّباً لما ستؤول إليه عَمَلِيَّة الانقلاب الَّتِي حدثت في تركيا مساء 15 يوليو 2016م. حيث أبدت الشُّعُوب العَرَبِيَّة والإِسْلاَمِيَّة، تعاطفــاً كبيراً، مع القيادة الشَّرْعِيَّة التُّرْكِيَّة، ورفضاً للانقلاب عليها، من خلال مظاهر ومظاهرات عفويَّة.

ورصَد التقرير مشاهد كثيرة، عكست مدى التعلُّق الوجدانيّ للعرب بتركيا وشعبها وحكومتها ورئيســها، تَجَلَّى ذلك من خلال مشاركة سُورِيِّينَ في التَّوَجُّه إلى مطار أتاتورك الدَّوْلِيّ بإســطنبول والالتحام مع الأتراك الَّذِي وقفوا بصدور عارية أمام دبابات الانقِلابِيِّينَ وأجبروها على التراجع، كما رُفِعَت أعلام "الثورة السُّــورِيَّة"، برُفْقَةِ الأعلام التُّرْكِيَّة في ساحات إسطنبول الَّتِي خرجت لنصرة الشَّرْعِيَّة الديمُقْرَاطِيَّة في مواجهة الانقِلابِيِّينَ.
وَوَفْقاً للتقرير فقد قُتِلَ في ميدان تقســيم وســط إسطنبول شَابٌّ مَغْرِبِيٌّ، كان يَسْتَعِدُّ للعودة إلى بلاده مع عروســه التُّرْكِيَّة، لكنه التحم ليلة الانقلاب مع الجماهير التُّرْكِيَّة الرافضة للانقلاب، وأصابته رصاصات الانقِلابِيِّينَ، فأردته شهيداً.
ثم انتقل التقرير إلى رَصْد مظاهر الفرح الَّتِي شــهدتها حواضِرَ عَرَبِيَّة عِدَّة إِثْر فشل الانقلاب، بدأها من مدينة تعز اليمنيَّة الَّتِي يحاصرها الحوثيون، وقوات الرئيس السابق

علي عبدالله صالح، ويقصفونها بالليل والنهار، ومع ذلك فقد خَرَجَ عشرات الشَّـــبَاب والشَّابَّات للتعبير عن فرحهم لاندحار الانقِلابِيِّينَ وانتصار إرادة الشعب التُّرْكِيّ.
وفي الصومال، فقد رصَد التقرير التحام السِّيَاسِيين بالعلماء والجماهير في مظاهرات مُؤَيِّدَة للرئيس أردوغان وللشرعيَّة الدُّسْــتُورِيَّة، كما احتفل الكثير من سكان دول الخليج العَرَبِيّ بفشـــل الانقلاب، عبر تغريدات على مواقع التواصل الاجْتِمَاعِيّ، وشهدت مدينة القدس المُحْتَلَّة مظاهرات شارك فيها العشرات من علماء الدين والمواطنين، احتفالاً بفشل الانقلاب، أما في غَزَّة المحاصرة فقد جَابَ الفلســـطينيون شوارع مدن القطاع ومُخَيَّمَاته رافعين العَلَمَيْن التُّرْكِيّ والفلســطيني وصوراً للرئيس السَّـــيِّد رجب طَيِّب أردوغان، كما حملوا لافتات كتب عليها "غَزَّة لن تنسى من وقف معها في محنتها وحصارها". (1)

ورصد التقرير كذلك تجمُّع المئات من الأهالي في صيدا اللبنانيَّة أمام المستشفى التُّرْكِيّ الَّذِي افتتحه الرئيس السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان في 2010م، حينما كان رئيساً للوزراء، رافعين لافتات مُؤَيِّدَة للرئيس أردوغان ولحكومته وللشعب التُّرْكِيّ. وَوَفْقاً للتقرير كذلك فقد نَظَّمَ عشرات الشبان في العاصمة الأردنيَّة عَمَّان تظاهرة مُؤَيِّدَة للحكومة التُّرْكِيَّة بعد نجاحها في إفشـــال المحاولة الانقَلابِيَّة بفضل إرادة الشعب التُّرْكِيّ، حسب شعارات رَدَّدَهـــا متظاهرون حَمَلَوا لافتات كُتِبَتْ عليها عبارات تعبِّر عن دعمهم للرئيس التُّرْكِيّ أردوغان، ولتركيا، ضِدَّ محاولة الانقلاب.
وفي الجزائر، أعربت عِدَّة أحزاب سِيَاسِـــيَّة عن ترحيبها بانتصار الشعب التُّرْكِيّ على محاولة الانقلاب العَسْـــكَرِيّ الفاشـــلة، على غِرَار حركة مجتمع السلم، وجبهة العدالة والتَّنْمِيَة، كما عبَّرت أحزاب جزائريَّة، ذات تَوَجُّهَات يساريَّة وشيوعيَّة، من غير المؤيِّدِينَ لتركيا سِيَاسِيّاً، عن رفضها للانقلاب على الحكومة المنتخبة ديمقراطياً.

1. "ســقط الانقلاب فعَلَت أســهم القُوَّة النَّاعِمَة لتركيا في العالمين العربي والإسلامي"، وكالة الأناضول، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 18 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/KpgUUY

أمـــا رئيس حزب الفضيلة المصري، محمود فتحي، فقد رأى في اتصال مع "الأناضول"، أن مـــا قال عنه "انتصار أردوغان" هو انتصار "لكل الشُّـــعُوب العَرَبِيَّة الَّتِي تنظر إلى تركيا وتجربة حزب العدالة والتَّنْمِيَة، على أنها تجربة رائدة ومُلْهِمَة لها، تزداد شَعْبِيَّتها في الأوساط العَرَبِيَّة بشكل مُطَّرِد"؛ حسب تعبيره.
وفي ســـياق مواقف التنديد والاســـتنكار للمحاولة الانقَلابِيَّـــة في تركيا، رَصَدَ تقريرُ وكالة الأناضول شَجْبَ واستنكارَ الأحزاب التونسيَّة "النهضة"، و"التَّيَّار الديمقراطيّ"، و"تونس الإرادة" للحدث، كـــما أن أحزاب المعارضة الموريتانيَّة قد هَنَّأَتْ في بيان لها، الشعب التُّرْكِيّ وحكومته بفشل المحاولة الانقَلابِيَّة الَّتِي اعتبرتها غَادِرة ومُدَانَة، مُؤَكِّدَةً أن الشُّعُوب الَّتِي جَرَّبَتْ الأحكام العَسْكَرِيَّة باتت رافضة للتعايش معها.

وليس أدلَّ من التأييد الشعبي في العالمين العَرَبِيّ والإِسْلاَمِيّ، وَفْقاً للتقرير، مما قاله رئيس الاتِّحَاد العَالَمِيّ للعلماء المســـلمين، الشيخ يوسف القرضاوي، في رسالته مخاطباً الرئيس التُّرْكِيّ "الله معك، وشعوب العرب والمسلمين معك، وكلُّ الأحرار في العالم معك".(1)
ويـــرى خبراء ومراقبون، وَفْقاً للتقريـــر، أن المواقف التُّرْكِيَّة "الأخلاقيَّة"، والقائمة على "المبادئ والمُثُل"، ومساندتها للقضايا العَرَبِيَّة والإِسْلاَمِيَّة، دَفَعَ شعوب المنطقة بشكل تلقائيّ، إلى التعاطف مع "الشَّرْعِيَّة" التُّرْكِيَّة، ورفض محاولة الانقلاب عليها. كما أن تغلغل الثقافة التُّرْكِيَّة للمنطقة، من خلال "الفنون"، وحتى "البضائع"، والسِّـــلَع، بالإضافة إلى المواقف السِّيَاسِيَّة، جَعَلَ من صورة تركيا لدى الشُّعُوب العَرَبِيَّة والإِسْلاَمِيَّة، إِيجَابِيَّة للغاية.

ونقل التقرير عن وزير الدَّوْلَة المصريَّة لشؤون المجالس النيابيَّة الأسبق، محمد محسوب، قوله: إن "موقف الشُّعُوب العَرَبِيَّة الرافض للانقلاب الفاشل أثبت حقيقة كونها ظهيراً

1. "ســـقط الانقلاب فعَلَت أســـهم القُوَّة النَّاعِمَة لتركيا في العالمين العربي والإسلامي"، وكالة الأناضول، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 18 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/KpgUUY

اسْتِرَاتِيجِيّاً لتركيا وشـــعبها"، مضيفاً أن الشُّعُوب العَرَبِيَّة تُشَكِّل إلى جانب تركيا، حالة تكامليَّة تُعَبِّر عن أنَّ كُلّاً منهما يُشَـــكِّل عنصر قُوَّة ناعمة داعمة للآخر"، مشيراً إلى أن "تداخل العلاقات بين العرب والأتراك وتشابكها يُمَثِّل حالة تراكميَّة تَمْتَدّ تاريخِيّاً لأكثر من ســـتة قرون، وبالتَّالِي لا يمكن القفز على هذه الحقيقة وتجاوزها، وهو ما عَبَّرَتْ عنه الشُّعُوب العَرَبِيَّة في موقفها الأخير".

كما يرى الخبير الإعلامي، وأستاذ الصحافة في الجامعة الإِسْلامِيَّة بغَزَّة، جواد الدلو، بحسب ما نقله التقرير أن "القُوَّة النَّاعِمَة لتركيا، تغلغلت في المنطقة العَرَبِيَّة والإِسْلاَمِيَّة، كونها اســـتطاعت أن تَغْرس المُثُل العليا، في ذاكرة شعوب المنطقة، وأن تربط النَّظَرِيَّة بالتطبيق، والقول بالفعل"، مؤكِّداً أن "مواقف تركيا ســـاهمت في صناعة الوعي لدى الإنســـان العربيّ، وصنعت ذاكرة قويَّة، انتفضت أمام ما جرى، وتفاعلت بإِيجَابِيَّة مع القيادة التُّركِيَّة والشـــعب التُّرْكِي"، مُشَدِّداً على أنَّ مواقف تركيا السِّيَاسِيَّة والإِنْسَانِيَّة، تُجَاه كثير من قضايا الأُمَّة بشـــكل عام، والقضية الفلســـطينيَّة بشكل خاص ساهَم في صناعة هذه القُوَّة النَّاعِمَة، كما أنَّ تركيا قد وضعت بَصْمَةً في كافَّة المجالات الاقتِصَادِيَّة والثَّقَافِيَّة، جعلت صورتهـــا إِيجَابِيَّة للغاية، ودفعت كثيرين للتفاعل بقُوَّة معها، ورفض النَّيْل من هذه الصورة".

كما نقل التقرير عن المحامي والنائب الكويتي الســـابق ناصر الدويلة، قوله: "إن تركيا تمتلك مِصْدَاقِيَّة كبيرة لـــدى الجمهور العَرَبِيّ بجميع أطيافه"، وأن "الجمهور العَرَبِيّ ينظر نظرة إعجاب لارتباط القيادة التُّركِيَّة بتَطَلُّعَاتِ شـــعبها التُّرْكِيّ وسعيها الحثيث لتحقيق هذه التَّطَلُّعَات"، مُؤَكِّداً أن "تركيا تمتلك قُوَّة ناعمة، عبَّرت عنها الحالة الوجدانيَّة الَّتِي غمرت نفوس العرب، وانعكســـت على تَصَرُّفَاتهم وردود أفعالهم الرافضة لمحاولة الانقلاب الفاشلة"، مشيراً إلى أن "حماس الإنسان العَرَبِيّ لما يحدث في تركيا ومتابعته للشأن التُّرْكِيّ وثقافة الشعب التُّرْكِيّ جعلته يعرف رموز تركيا وتاريخها بشكل أثار حالة

من القَلَق والإحباط في أوساط التَّيَّار العلماني العربي، الَّذِي لم يجد أيَّ نموذج صالح على السَّاحَة إلا النموذج التُّرْكِيّ بصبغته الراشدة"؛ حسب وصفه.

أما الخبير العَسْكَرِيّ الأردني فايز الدويري، فقد صَرَّح وَفْقاً للتقرير بأنَّ "هذا التفاعل غير المسبوق من الشُّعُوب العَرَبِيَّة والإِسْلامِيَّة مع الحكومة والشعب التُّرْكِيّيْن في رفض الانقلاب، يكشف عن عمق تأثير القُوَّة النَّاعِمَة الَّتِي انسابت في العالم العَرَبِيّ والإِسْلَامِيّ"، مضيفاً أنَّ "المخاوف الَّتِي ساورت الجماهير العريضة في الوطن العَرَبِيّ ليلة الانقلاب في تركيا، تكشف كذلك عن وعي الشُّعُوب بالانعكاسات الخطيرة المحتملة على أزمات العالم العَرَبِيّ حَالَ سقوط الحكومة التُّركِيَّة الحاليَّة، وهو ما يشير بِقُوَّة إلى أنَّ هذه الشُّعُوب باتت تنظر إلى تركيا على أنها مُكَوِّن حَيَوِيّ في الأُمَّة، وأن لها دوراً قياديّاً بارزاً في المنطقة". (1)

وأخيراً؛ فإنَّ تركيا الَّتِي أَلِفَتْ استخدام الانقلابات العَسْكَرِيَّة فيما يُشْبِه التقليد، منذ تأسيس الجُمهورِيَّة في عام 1924م مِن قِبَل مصطفى كمال، وتنصيب الجيش لِقُوَّتِهِ كالضَّامِن الصَّارم للعلمانيَّة، وبالتَّالِي عدم التورُّع عن التَّدَخُّل الصارخ في الشؤون المَدَنِيّة، عبر الإطاحة بالحكومات في سنوات 1960 و 1971 و 1980م، وكانت هذه المَرَّة الأُولَى منذ أكثر من نصف قرن من الزمن الَّتِي فشل فيها الجيش في الإطاحة بحكومة العدالة والتَّنْمِيَة. والَّتِي لا بُدَّ من القول بأن الرئيس الحالي، السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان، تعلَّم واستفاد كثيراً من دروس الماضي؛ حيث استعمل بدهاء وَحِنْكَةٍ كُلّ ورقةٍ متاحةٍ من أوراق القُوَّة النَّاعِمَة، ولعب بعمق بورقة الديمُقْرَاطِيَّة، مستنداً بقُوَّة على ترشيحه لولوج

1. "سقط الانقلاب فعَلَت أسهم القُوَّة النَّاعِمَة لتركيا في العالمين العربي والإسلامي"، وكالة الأناضول، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 18 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/KpgUUY

منظومة الاتِّحَـــاد الأُورُوبيّ، الَّتِي طالما اعتبره أعضاء فيها بطلاً ديمقراطيّاً لإنجازاته في ميدان الحقوق والحُرِّيَّات، ومُتَزَعِّماً في نفس الوقت حملة تطهير شَرِسَة على أعداء الديمُقْرَاطِيَّة، مع الامتناع عن التطرُّق إلى عدد كبير جداً من الإشارات الَّتِي تُغَلِّب جانب الدِّيـــن، ومُتَجَنِّباً الإصلاحات الَّتِي مِـــن المُرَجَّح أن تثير عداوة الجانب الأكثر علمانيَّة مـــن المجتمع التُّرْكِيّ، في مقابل تهميش تامّ لأنصار تيار "الكَمَالِيَّة" في الجيش وغيره. ومـــع الاهتمام التَّام بتطوير الجانب الاقْتِصَـــادِيّ والاجْتِمَاعِيّ (نهضة تُرْكِيَّة كبيرة)، ودغدغة المشاعر القَوْمِيَّة حول إعادة الأمجاد والقُوَّة، أحكمت تطبيقات القُوَّة النَّاعِمَة قبضة نفوذها، وألحقت هزيمة تَارِيخِيَّة بنظيرتها الصَّلْبَة، الَّتِي استبدَّت طويلاً بمصائر الأحداث والشُّعُوب .

لقد نَجَتْ تركيا إذن، بقُوَّتهَا النَّاعِمَة من سيناريوهات كارثيَّة، في حال نجحت المحاولة الانقَلابِيَّة، بفضل حالة الوعي الَّتِي خلَّفها التفاف الشعب التُّرْكِيّ وراء القيادة السِّيَاسِيَّة، مُمَثَّلَة في الرئيس السَّـــيِّد رجب طَيِّب أردوغان؛ إذ كان يمكن أن يُؤَدِّي هذا الانقلاب، حـــال نجاحه، إلى دخول الدَّوْلَة في حالة فوضى لا نهاية لها؛ حيث كانت تلك المحاولة المُعْتَمِدة على كلاسيكيات القُوَّة الخشـــنة للتغيير، عَمَلِيَّة اسْتِرَاتِيجِيَّة شارك فيها أعداء الداخل بالتعاون مع أعداء الخارج، ومِنْ ثَمَّ فإن تركيا لن تكون بعد ذلك اليوم الفارق كما كانت، وســـيكون على القيادة التُّرْكِيَّة مواجهـــة تَحَدِّيَات أخرى قادمة بكثير من الحذر والحيطة، فقد تكون تركيا نجحت في إفشـــال انقلاب عَسْـــكَرِيّ وقع التخطيط له منذ ســـنوات، لكنها ستكون في حاجة إلى التغلُّب على تَحَدِّيَات ومخاطر تُهَدِّد قُوَّتهَا النَّاعِمَـــة داخِلِيّاً وإِقْلِيمِيّاً، للحفاظ على نموذجها الفريد في ســـياق إِقْلِيمِيّ بات يَتَّجِه بعجلة متسارعة نحو المجهول.

الفصل العاشر

دستور ٢٠١٧

استحقاقات النِّظَام الرِّئَاسِيّ

- مقدمة
- المبحث الأول : الطريق إلى الاستفتاء الدستوري.. أجواء ما قبل التصويت
- المبحث الثاني: توتُّر تركيّ أوروبيّ.. السياقات الدَّوْلِيَّة ما قبل الاستفتاء
- المبحث الثالث: تَطَوُّرَات الأزمة السُّورِيَّة السياقات الإِقْلِيمِيَّة لما قبل الاستفتاء
- المبحث الرابع: ما بين «نعم» و«لا» تحليل نتائج التصويت الدستوري
- المبحث الخامس: القُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة قراءة في مواد الدُّسْتُور الجديد

الفصل العاشر

دستور ٢٠١٧

استحقاقات النِّظَام الرِّئَاسِيّ

مقدمة

"إنها لحظةٌ تَارِيخِيَّة؛ تغييرٌ مُهِمّ جداً لمستقبل تركيا.."؛ هكذا قال الرئيس أردوغان في معرض إشادته بنتيجة الاستفتاء الدستوري، أمام حشد الصحافيين في قصر الرئاسة، مساء الأحد 16 أبريل 2017م، والَّذِي شهد انتصار "نعم" المأمولة لتعزيز سلطات الرئيس التُّرْكِيّ(1).

فيما ركزت وسائل الإعلام الغَرْبِيَّة، على إعراب أردوغان عن امتنانه للأمة داعياً الدول والمُؤَسَّسَات الأجنبيَّة إلى احترام النتيجة باعتبارها "قرار الأُمَّة"، داعياً حلفاء تركيا الغربيِّينَ إلى أن يدركوا ما تواجهه بلاده من إشكالِيَّات وتهديدات في حربها ضِدَّ الإرهاب(2).

ففي هذا الصدد أظهرت آخر النَّتَائِج المُؤَقَّتَة الَّتِي نشرتها وكالة أنباء الأناضول بنفس التاريخ المذكور أعلاه، أنه من أصل 99.45% (مجموع الأصوات المُعَبَّر عنها) بـ"نعم" حقَّقَتْ تَقَدُّماً طفيفاً بـ 51.37%، "بعيداً عن الرقم الساحق الَّذِي كان يأمله الرئيس أردوغان. إضافة إلى صعود نِسَب "لا" في المدن الكبيرة مثل أنقرة وإسطنبول، وهيمنة

---

1. تركيا: أردوغان يصف فوز "نعم" في الاستفتاء بـ"التاريخي" والمعارضة ستطعن في النتائج، فرانس 24، 17 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Sbxr9z
2. تركيا: أردوغان يصف فوز "نعم" في الاستفتاء بـ"التاريخي" والمعارضة ستطعن في النتائج، المرجع السابق.

أصوات المعارضة في معاقل الحركة الكُرْدِيَّة جنوب شرق تركيا، وذلك كمُؤَشِّرَات غير مواتية لرئيس الدَّوْلَة. هذه الأخيرة اعتمدتها وسائل الإعلام الغَرْبيّ في تحليلاته حول تآكل هوامش أغلبيَّة الرئيس أردوغان وشـعبيته إلى حدودٍ ضَيِّقَة جداً، والَّتِي تتوافق وتعليق مراد يتكين [1]، مدير صحيفة " حُرِّيَّات ديلي نيوز Hurriyet Daily News"، على شبكة سي إن إن - تركيا: "لا يمكن أن يحدث مثل هذا الإصلاح - يقصد التعديل الدستوري - بأغلبيَّة ضيقة هكذا".

واللافت للنظر في هذه الاسـتحقاقات الحَّساسَـة، أن الأتراك الَّذِين يعيشون في الخارج صَوَّتُوا بأغلبيَّة أكثر لصالح "نعم"، وبشكل خاص في ألمانيا؛ حيث صوَّت أكثر من 63% بنعم (320 ألف تركي) [2]، وفي فرنسـا بلغت النسبة المؤيدة64%، باستثناء الولايات المُتَّحِدَة الَّتِي صوَّت فيها المجتمع التُّرْكِيّ الصغير بأغلبيَّة أكثر من 82% ضِدَّ التعديلات المقترحة.

وبالرجوع إلى تاريخ التعديلات الدُّسْتُورِيَّة، قبل استفتاء 2017 الَّذِي انتقلت به البلاد إلى النِّظَام الرِّئَاسِيّ بدلاً من النِّظَام البرَلْمَانِيّ، مَرّ الدُّسْـتُور التُّرْكِيّ الحالي بسـبع عـشرة حزمة تعديلات، منذ العـام 1987م إبَّان حكم الرئيس تورغوت أوزال وحتى العام 2011م، منها ثلاثة استفتاءات شَعْبِيَّة أعوام (1987، 2007، 2010م)[3]؛ اثنان منها في عهد حزب العدالة والتَّنْمِيَة.

1. صحفي وخبير إعلامي تركي، من مواليد 1959م، له العديد من المؤلفات السِّيَاسِـيَّة من أشـهرها كتاب "السياسة النشطة في حلقة النار- تركيا في مثلث الشرق الأوسط والبلقان والقوقاز". للمزيد يُنْظَر:
MURAT YETKIN, Eisenhower Fellowships, available at: goo.gl/ASeSnY
2. أرقام ودلالات في استفتاء تركيا"، بي بي سي عربي، 18 أبريل 2017م، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/IbAVG
3. استفتاء سبتمبر 1987م، أُجْرِيَ لتعديل المادة الرابعة المُؤَقَّتَة من دستور عام 1982 والمُتَعَلِّقَة بحَظْر النشاط السِيَاسِيّ لبعض الزعماء السِيَاسِـيّين، وأسـفر عن موافقة 50.2% من المشاركين لصالح رفع الحظر عن نشاط السِيَاسِيّين، الأمر الذي أدَّى إلى عودة شخصيَّات سِيَاسِيّة بارزة إلى الحياة العامة من جديد أبرزهم؛ سليمان ديميريل، وبولند أجاويد، ونجم الدِّين أربكان. أما اسـتفتاء 21 أكتوبر 2007م، فكان حول مقترح انتخاب رئيسَ الجمهورية بشـكل مباشر من الشعب بدلاً من البرلمان، حيث صوّت لصالح التعديل الدستوري 68.9% من المشاركين. وأخيراً استفتاء 12 سبتمبر 2010م، فكان يتعلق بحزمة تعديلات دستورية شملت 26 مادة؛ حيث صوَّت نحو 57.9% من المشاركين لصالح التعديلات الدُّسْتُورِيَّة. للمزيد يُنْظَر: "الاستفتاءات الشعبية بتركيا من مندريس لأردوغان"، الجزيرة نت، 26 يناير 2017، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/JyDgkM

وكانت هذه التعديلات تدور حول المشـــاركة السِّيَاسِيَّة، والحُرِّيَّات العَامَّة والخَاصَّة، والشؤون القَانُونيّة والمَدَنِيّة، وعلى الرَّغْم من تعديل أكثر من ثُلُثَي المواد الدُّسْتُورِيَّة، لكنْ لم يجرؤ أحدٌ على المســـاس بمواد تَتَعَلَّق بنظام الحُكْم؛ كما هو حال الاســـتفتاء الحالي؛ وذلك لحســـابات كثيرة، أهَمُّهَا ضلوع المُؤَسَّسَة العَسْكَرِيَّة في الحُكْم، وضَعْف دور الشعب في المعادلة السِّيَاسِيَّة آنذاك.

ومُؤَخَّراً، في عهد رئيس الوزراء السابق أحمد داود أوغلو، شُكِّلت لجنة لصياغة دستور جديد بالتوافق بـــين جميع الأحزاب، لكنَّ اللَّجْنَة لم تنجح في تجاوز الخلافات على موادّ الدســـتور، وذلك ما أدَّى إلى توقُّفها عن مواصلة عملها، وكانت بطبيعة الحال آخر محاولة قبل الاستفتاء الحالي. (1)

ورَغْمَ مجيء هذا التعديل الدُّسْـــتُورِيّ المثير للجدل وسط ظَرْفِيَّة صعبة، تَعُجُّ بالكثير من الســـياقات الدَّوْلِيَّة والإِقْلِيمِيَّة المتضاربة والمشـــتعلة؛ من أزمة سُورِيَّة متصاعدة، وتكالب دَوْلِيّ على المنطقة؛ حيث باتت سوريا مسرحاً لتصارع القُوَى الإِقْلِيمِيَّة المُمَثِّلَة في إيران من جانب والمملكة العَرَبِيَّة السُّـــعُودِيَّة مـــن جانب آخر، بل وأيضاً مسرح صراع واستعراض قُوَّة بين كبار السَّاحَة الدَّوْلِيَّة، خصوصاً بين القطب الرُّوسِيّ العائد من جديد بعد ســـنوات من التراجع على مسرح العلاقات الدَّوْلِيَّة، ونظيره الأمريكي؛ الراغب في تأكيد الهيمنة على منطقة الشرق الأوسط، الَّتِي طالما شكَّلَت منطقة نفوذ تَقْلِيدِيَّة لواشـــنطن. ووسط كُلّ هذا، استطاعت الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة إفراد حَيِّز تَدَخُّلٍ لها، وبموازاة ذلك إقناع الأغلبيَّة من شـــعبها بضرورة إقرار تعديلات دستوريَّة في صالح الرئاســـة التُّرْكِيَّة، للاستمرار في مسيرة النهضة، وإعادة الاعتبار للدور التُّرْكِيّ، الَّتِي بدأت قبل نحو 15 عاماً.

1. "الاستفتاء الدستوري في تركيا.. النتائج والتداعيات"، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، 9 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8mgPl2

ورغـــم ما أثارته تلك التعديلات من لَغَطٍ وَجَدَلٍ بين تركيا والاتّحَاد الأُورُوبيّ، وزيادة في تَوَتُّر العلاقة بين الجانبين، إلا أنها مَرَّتْ بســـلام، وتَمَّ إقرار التعديلات ولو بنسبة بسيطة لتُعِيدَ تأكيد ما ذكرناه من قُدْرَة القُوَّة النَّاعِمَة التُّركِيَّة على تحقيق ما لا تستطيع أيَّة قُوَّة نَوْعِيَّة أخرى تحقيقه.

ويتناول هذا الفصل مســتقبل القُــوَّة النَّاعِمَة التُّركِيَّة في ضوء معركة الاســتفتاء الدستوري، والسياقات، الإقْلِيمِيَّة والدَّوْلِيَّة، الَّتِي تمَّت فيها، وما هو متوقَّع بعد إقرار تلك التعديلات "بنسبة طفيفة". كما يُحَلِّل هذا الفصل من خلال التَّحْلِيلات السِّيَاسِيَّة والاقتِصَادِيَّة الَّتِي تناولت معركة الاستفتاء الدستوريّ، كيف تمَّت؟ وكيف انتهت؟ إلى ذلك يدرس الفصل أيضاً ســياقات النِّظَام الرِّئَاسِيّ الَّذِي تَمَّ اعتماده إثْرَ التصويت لصالح تغيير الدُّسْتُور التُّرْكِيّ، وذلك من خلال عدد من المباحث المختلفة.

وكما ســلف ذكره في الفصول السابقة، فإنَّ تأثير القُوَّة النَّاعِمَة على النمط التُّرْكِيّ، قد أبرز إحدى أوجه قدراته في امتحان التعديل الدُّسْتُورِيّ الأخير، داخِلِيّاً وخارِجِيّاً؛ حيث تغلغلت تأثيراتها بشــكل كبير بين مواطني الدَّوْلَة التُّركِيَّة الحديثة، وسيطرت بشــكل كبير على الوضع الدَّاخِلِيّ، حتى بات الشــعب جيش الدَّوْلَة وحامي النِّظَام، والنِّظَام حامي الشعب والدَّوْلَة والقِيَم الدِّينِيَّة والديمُقْرَاطِيَّة.

المبحث الأول

الطريق إلى الاستفتاء الدستوري.. أجواء ما قبل التصويت

لم تكن إرهاصات ما قبل الاستفتاء على تعديلات الدُّسْتُور التُّركيّ، تشير إلَّا لكثير من المشاكل والأزمات الَّتِي تثيرها تلك التعديلات، فرغم أنَّ الهدف من تلك التعديلات هو تحديث الدستور[1] الَّذِي تمَّتْ كتابتُهُ منذ نحو 37 عاماً خَلَتْ، وبالتحديد في عام 1980م، وهو الدُّسْتُور الَّذِي وضعه الرئيس التُّركيّ الأسبق الجنرال كنعان أيفرين[2]، عَقِب انقلاب عَسْكَرِيّ وقع في 12 سبتمبر 1980م[3]، إلَّا أنَّ البعض رآه تعزيزاً للسلطات الَّتِي يَتَمَتَّعُ بها الرئيس الحالي، والمُتَوَقَّع كذلك، السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان، واتِّجَاه البلاد نحو منزلق الدكتاتوريَّة بتعديلات دستوريَّة وقانونيَّة.

يأتي ذلك على الرَّغْم من وجود الكثير من مواد ذلك الدُّسْتُور تعيق حركة الديمُقْرَاطِيَّة في الأساس، منها مواصلة فَرْض الرقابة والوصاية على أجهزة الدَّوْلَة وهيئاتها المختلفة بعد ترك السُّلْطَة السِّيَاسِيَّة للمدنيِّينَ؛ حيث تَمَّ تأسيس "مجلس الدَّوْلَة الرقابي"، وهو جهاز مستحدَث في دستور 1980م، الغرَض منه التفتيش على الوزارات، ومراقبة رئاسة الوزراء[4].

1. الدُّستور هو مجموعة من القواعد التي تُبَيِّن شكل الدولة وطريقة ممارسة السلطة وانتقالها، والعلاقة بين القابضين عليها، كما يُبَيِّن الحقوق والحُرِّيَّات العامة، بصرف النظر عَمَّا إذا كانت هذه القواعد مكتوبة أو غير مكتوبة. للمزيد يُنْظَر: حنان محمد القيسي، النَّظَرِيَّة العامة في القانون الدستوري، المركز القومي للإصدارات القانونيَّة، 2015م.
2. كنعان إيفرين (17 يوليو 1917- 9 مايو 2015م)، رئيس تركيا خلال الفترة من 12 سبتمبر 1980م إلى 9 نوفمبر 1989م، إثر انقلابٍ قَادَهُ مع فريق من ضباط الجيش التركي، في 12 سبتمبر من عام 1980م. للمزيد يُنْظَر: "تفاصيل ما قام به إيفرين عَقِبَ انقلاب عام 1980 في تركيا"، ترك برس، 10 مايو 2015، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/A4YRNi
3. "محاكمة تاريخية لمُنَفِّذِي انقلاب 1980م في تركيا"، دويتش فيله، 4 أبريل 2012م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/bH38hh
4. طارق عبدالجليل، العسكر والدستور في تركيا، دار نهضة مصر للنشر، القاهرة، 2012م، ص 102.

وشـــهدت المناقشـــات ما قبل الاستفتاء الكثير من المشـــادات اللفظيَّة الَّتِي تحوَّلت في بعض الأحيان إلى مشـــادات كلاميَّة ومشاجرات وتشابك بالأيدي بين المؤيِّدينَ والمعارضين، فأثبتت تلك التعديلات، بلا شَكّ، أنها الأكثر إثارة للجدل منذ عقود؛ حيث تحوَّلت من اســـتفتاء على تعديلات دستوريَّة دائمة، إلى استفتاء على شخص الرئيس أردوغان نفسه.

وبموجـــب تلك التعديلات الَّتِي تَمَّ إقرارهـــا في 16 أبريل 2017م، تَحَوَّلَتْ تركيا من النِّظَـــام البرَلْمَانيّ إلى النِّظَام الرِّئَاسِيّ الَّذِي يَتَمَتَّعُ فيه رئيس الجُمهوريَّة بصلاحيَّات واسعة (أي: أشبه ما يكون بالنِّظَامين الأمْرِيكِيّ والفرنسي).

ومـــن التغييرات الَّتِي تضمنتها التعديلات الجديدة، المســـتفتَى عليها: إلغاء منصب رئيس الوزراء، واستحداث منصبين أو ثلاثة لنُوَّاب الرئيس، الَّذِي سيتحول إلى رئيس للســـلطة التنفيذيَّة إضافة إلى صلاحيَّاته كرئيس للدولة، كما ســـيحتفظ بارتباطاته بحزبه السِّيَاسِي، كما ستصبح لرئيس الجُمهوريَّة صلاحيَّات واسعة منها تعيين الوزراء، وإعداد الميزانيَّة، واختيار كبار القضاة وسَنّ قوانين مُعَيَّنَة بمراسيم رئاسيَّة.

وفي مقابل ذلك سَتَحْرِمُ التعديلاتُ الجديدة البرلمانَ من حَقِّهِ في استجواب الوزراء، أو المطالبـــة بتحقيقات في أدائهم، ولكن ســـيحتفظ بِحَقِّهِ في بـــدء إجراءات تَنْحِيَة الرئيس، أو التحقيق معه بموجب تصويت أغلبيَّة النواب. وستَتَطَلَّب إحالة الرئيس إلى القضـــاء موافقة ثلثي النواب، مع زيادة عدد نواب البرلمان من 550 إلى 600 نائب. ومن بين التعديلات أيضاً، أن تُجْرَى الانتخابات الرِّئَاسِيَّة والنيابيَّة في نفس التاريخ كُلّ 5 سنوات، وتُحَدَّد ولاية الرئيس بفترتين رئاسيتَيْنِ(1).

1. "أهم التعديلات الدُّسْتُوريَّة المُمَهِّدَة للنظام الرئاسيّ في تركيا (إطار)"، وكالة الأناضول للأنباء، 21 يناير 2017م، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/FNHR7x

ويرى المؤيِّدُون لتلك التعديلات، وعلى رأســـهم الحكومة التُّركِيَّة، والرئيس السَّـــيِّد رجب طَيِّب أردوغان على وجه الخصوص، بأنَّ هذه الإصلاحات سوف تعمل على تسهيل عَمَلِيَّة صُنْع القرار، وتُجَنِّبُ البلاد شرور الائتلافات البَرْلَمَانِيَّة الَّتِي قَيَّدَتْ تُقَدِّمهَا في الماضي.(1) ويقـــول مؤيدو التعديلات: إنه بما أن الرئيس لن يُنْتَخَب من قِبَل البرلمان بل مباشرةً مِن قِبَل الشـــعب، لا يجب عليه أن يتنافس مع زعيم منتخَب آخر، وهو رئيس الوزراء، من أجل سَنِّ القوانين كما هو معمول به في النِّظَام الحالي، بل إن تلك التعديلات قد تُقَوِّضُ من حركة الإرهاب الأســـود الَّذِي انتشر في تركيا مُؤَخَّراً، وأوْدَى بحياة 500 شخص في الأشهر الـ 18 الأخيرة(2).

في المقابل، فإنَّ المنتقدين لتلـــك التعديلات يَرُدُّونَ بالقول: إن النِّظَام الرِّئَاسِيّ جيدٌ إذا تَـــمَّ تطبيقه في بلد تعمل فيه أدوات فعَّالة للرقابـــة والتَّحَقُّق كالولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة؛ حيث برهن القضاء المســـتقلّ على استعداده للوقوف بوجه دونالد ترامب، وأثبتت الصحافة الحُرَّة قدرتها على محاســـبته حول سياســـاته المثيرة للجدل، ولكن في تركيا، الَّتِي شـــهدت تدهوراً في اسْتِقْلَالِيَّة القضاء وتقع الآن في المرتبة 155 من 180 بلداً في سُـــلَّم حُرِّيَّة الصحافة(3)، فإنَّ تمرير الدُّسْـــتُور الجديد سيقضي على الديمُقْرَاطِيَّة، لحســـاب تَوَجُّهَات الرئيس السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان السلطويَّة، في إشارة إلى اعتقال أو فصل أكثر من 140 ألف شخص منذ المحاولة الانقَلابِيَّة الفاشلة الَّتِي جرت في يوليو 2016م.(4)

1. "مشاهير تركيا على جبهتين متضادتَيْنِ بسبب الدستور"، صحيفة العرب اللندنيَّة، 28 يناير 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/41ho8G
2. ما هي دوافع إجراء الاستفتاء الدستوري في تركيا؟، موقع bbc العَرَبِيَّة، 13 أبريل 2017م، تاريخ الزيارة 27 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/PlT4G
3. انظر: الموقع الرسمي لمُنَظَّمَة مراسلون بلا حدود، 24 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/UmfoPR
4. Turkey's 18- month state of emergency has led to profound human rights violations – UN report، موقع أخبار الأمم المتحدة "news.un"، 20 مارس 2018م، تاريخ الزيارة 16 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي https://goo.gl/MCxpdu.

ومع هذا التنافر الشـــديد بين المؤيِّدينَ والمعارضين ظهرت الكثير من الأخبار والاجتهادات الصحفيَّة الَّتِي أشارت إلى عَمَلِيَّة تربيطات واسعة قبل إجراء الانتخابات؛ حيث اضطَرَّ حزب العدالة والتَّنْمِيَة الحاكم إلى الاعتماد على دعم حزب الحركة القَوْمِيَّة [1] (MHP) Milliyetçi Hareket Partisi) اليميني من أجل تمرير قانون إجراء الاستفتاء حول الدستور.

وكانت تصريحات ســـابقة في لقاء لرئيس الوزراء بن علي يلدرم مع القناة الإخباريَّة التُّركِيَّة TRT، مســـاء الجمعة 20 يناير 2017م، قد ركَّـــزت على اختلاف نَهْجَيْ كُلٍّ مِـــن الحركة القَوْمِيَّة المُعَارِضَة والعدالة والتَّنْمِيَة الحاكِم، لكنَّ هدفهما واحدٌ في هذه المرحلة؛ إذ يُدَافع كلاهما عن حصول تعديلات في الدُّسْـــتُور التُّركِيّ، واختفاء ما عبرَّ عنه السَّيِّد يلدرم بـ"الانقسام بين السِّيَاسَة والبيروقراطيَّة".

أما المعارضة المُنَاوِئَة لمشروع التعديل الدُّسْتُورِيّ لسنة 2017م، والَّتِي قادها كُلّ مِن حزب الشـــعب الجمهوري [2] (يسار الوسط) وحزب الشُّعُوب الديمقراطي الموالي للأكراد، فكانوا يَرَوْنَ أنَّ إجراء الاستفتاء في ظِلّ قوانين الطوارئ يُعَرِّضُهُ للطعن بعدم النزاهة والحُرِّيَّة، فلن يكون الناخبون أحراراً للتصويت برفض تلك التعديلات. وقبيل ساعات من إجراء الاســـتفتاء، تباينت نتائج استطلاعات الآراء، إلا أنَّ كُلّ المُؤَشِّرَات أكَّدَتْ أنَّ الفارق بين المؤيِّدِينَ والمعارضين سيكون ضئيلاً جداً، وهو ما حَدَثَ بالفعل [3].

1. يعرف أيضاً بحزب العمل القومي، تَأَسَّسَ في 9 فبراير 1969م، ويترأسه حالياً دولت بهجه لي. وكما يشير اسمه، فهو تنظيم سِيَاسِيّ يميني يرتكز على العقيدة والهوية التُّرْكِيَّة القوميَّة؛ إذ يتبنى مواقف متشددة تجاه كل القضايا التي تمسُّ بمرتكزات الانتماء والقوميَّة، بما فيها عملية السلام مع الأكراد، ومسألة انضمام تركيا إلى الاتِّحَاد الأوروبي. للمزيد يُنْظَر: "حزب العمل القومـــي (MHP)"، الجزيـــرة نت، ت، 3 أكتوبر 2004، تاريخ الزيارة: 25 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wKVLmq
2. حزب الشعب الجمهوريّ، حزب قوميّ تُركِيّ تَأَسَّسَ في عام 1923م تحت اسم "الفرقة الشعبيَّة"، أسسه مصطفى كمال أتاتورك مؤســـس الجمهورية التُّرْكِيَّة ، وقد حكم الحزب تركيا منفرداً لنحو 27 عاماً، وهو حالياً من أكبر أحزاب المعارضة في البلاد. للمزيد يُنْظَر: "تعرف على حزب الشعب الجمهوري أكبر أحزاب المعارضة في تركيا"، ترك برس، 9 أكتوبر 2015، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xy52Df
3. مارك لايون، "ما هي دوافع إجراء الاســـتفتاء الدســـتوري في تركيا؟"، بي بي سي عربي، 13 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/GBcgwm

كان الوضع قبل إجراء الاســـتفتاء، رهاناً كبـــيراً على قُوَّة تركيا النَّاعِمَة، وقُدْرَة حزب العدالة والتَّنْمِيَة ورئيســـه ورئيس الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة السَّـــيِّد رجب طَيِّب أردوغان، على إقناع شـــعبه بقدرته على السَّيْطَرَة والحُكْم بنفوذٍ أكبر، في سبيل استمرار الإنجازات الاقتِصَادِيَّة والسِّيَاسِيَّة الَّتِي تَحَدَّثْنَا عنها في فصول سابقة.

وأصبح مســـتقبل تركيـــا رهينةً للتصويت بـ"نعم"؛ حيث إنه في حالة رفض الشـــعب التُّرْكِيّ التعديلات الدُّسْـــتُورِيَّة فهو بمثابة تصويت على إسقاط حُكْم العدالة والتَّنْمِيَة الَّـــذِي دام أكثر من 15 عاماً. وَرَغْمَ تباين الاتِّجَاهات بين المؤَيِّدِينَ والمعارضين، إلا أن الجانبين اتفقا على أن تلك التعديلات الدُّسْـــتُورِيَّة تعيد تركيا إلى سلطنة عثمانيَّة، يرفضها العلمانيون، ويراها المؤَيِّدُونَ "ديمُقْرَاطِيَّة تناســـب الشعب التُّرْكِيّ ذي الإرث التَارِيخِيّ العريق".

وقد شهدت أجواء ما قبل إجراء الاستفتاء عِدَّة ملاحظات رَصَدَها بعض الباحثين والمُحَلِّلِينَ السِّيَاسِيين؛ منها:

- **صعود الخطاب القَوْمِيّ في تركيا**؛ حيث باتت خطابات الرئيس السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان تســـتند على الإرث التَارِيخِيّ للدولة العُثْمَانِيَّة؛ الَّتِي كانت تسيطر على أجزاء واسعة من العالم في القرن الماضي، فنجد أنه استخدم أوراق ضَمّ الموصل(1) العراقيَّة إلى الأراضي التُّرْكِيَّة؛ بِحُجَّةِ أنها كانت تحت السَّيْطَرَة العُثْمَانِيَّة، وأيضاً

1. كانت ولاية الموصل التي تَضُمُّ معظم حواضر شـمال العراق؛ الموصل، ودهوك، وأربيل، والسـليمانيَّة، وكركوك، ولاية تركيَّة، حتى عام 1918 حينما انتهت الحرب العالميَّة الأولى، وحيث تَمَّ توقيع اتفاقية موندروس بين الدولة العُثْمَانِيّة والحلفاء، والتي بموجبها تَمَّ ترسـيم خَطّ وقف إطلاق النار بين الجانبين والذي يبعد عن مدينتي أربيل والموصل حـوالي 50 كيلـو متراً، إلا أن الجيش البريطاني انتهك تلك الاتفاقية وتَقَدَّمَ مُحْتَلّاً المنطقة ليتم اقتطاع الموصل من الأناضول وتصبح تحت النفوذ البريطاني بعد اتفاقية لوزان، عام 1923م، بين تركيا وبريطانيا. للمزيد يُنْظَر: "تركيا: الموصل اقتطعت من أراضينا!"، صحيفة إيلاف الإلكترونيَّة، 22 أكتوبر 2016م، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/WCuGir

حلب(1) السُّـــوريَّة الَّتِي كانت جزءاً من الأراضي العُثْمَانِيَّة، بالإضافة إلى الجُزُرِ الحدوديَّـــة مع اليونان في بحر إيجه (2)، وهـــي أحد أدوات القُوَّة النَّاعِمَة الَّتِي مَهَّدَتْ لتأييد الشـــعب التُّرْكيّ للتعديلات الَّتِي تمنحه السَّـــيْطَرَة على بعضٍ من حدوده الإِقْلِيمِيَّة، وتبرز القُدُرَات والتَّفَوُّق السِّيَاسِيّ للأتراك، خاصةً أنَّ الخطاب الَّذِي كان مفاده أن الاستفتاء يصبُّ في مصلحة البلاد.

- **ارتفاع وتيرة الإرهاب خلال عام 2016م**؛ حيث لم يكن يَمُرُّ شهرٌ من دون وقوع تفجير يُسْفِرُ عن ضحايا من الأتراك والأجانب، كان يتبنَّاها في الغالب ما يُعرَف بتنظيم الدَّوْلَة الإِسْـــلامِيَّة؛ "داعش"، ما أدخل السِّـــيَاحَة التُّرْكِيَّة في مرحلة من الركود جَرَّاء فَرْضِ عِدَّة دول حظراً على الســـفر إلى تركيا؛ باعتبارها دولةً غير آمِنَةٍ، وهو ما اســـتَوْجَبَ معه السَّيْطَرَة على الانفلات الأَمْنِيّ الحاصل في البلاد؛ من خلال تعديلات تمنح الرئيس سلطات أكبر، وتوافُق مُجْتَمَعِيّ خلفه(3).
- **تصاعـــد التَّوَتُّـــرات بين أوروبا وتركيا** على خَلْفِيَّة رفـــض هولندا دخول وزير خَارِجِيَّـــة تركيا أراضيها، وتهديد أنقرة بـــ "عواقب وخيمة"؛ حيث اتخذت على

1. أصبحت حلب ولاية عثمانيَّة منذ عام 1516 بعد معركة "مرج دابق" الشهيرة بين الأتراك والمماليك؛ حيث دخلت قُوَّات السلطان العُثْمَانِيّ سليم الأول المدينة دون مقاومة من أهلها بل بترحيب كبير منهم لتصبح حلب بعدها إحدى أهَمّ ولايات الدولة العُثْمَانِيّة، ولا يقترب منها في المكانة إلا إسطنبول، حاضرة الدولة، والقاهـــرة. للمزيـــد يُنْظَر: كريم عبدالمجيد، "حلب تحت الحكم العُثْمَانِيّ.. هكذا كانت المدينة"، إضاءات، 6 أغسطس 2016، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/BNLBQ3
2. أصبحت كافَّة الجُزُر الواقعة بمنطقة بحر إيجه تحت ســـيادة الدولة العُثْمَانِيّة منذ عام 1718، بموجب معاهدة "باساروفجا" بين كل من الدولة العُثْمَانِيّة من جهة، النمسا وجمهوريَّة البندقيَّة من جهة أخرى، في حين أن تأســـيس الدولة اليونانيَّة الحديثة يرجع إلى عام 1830م. للمزيد يُنْظَر: فاتح أرباش، أزمة "قـــارداق" وادِّعَـــاءَات اليونان الباطلة في بحر إيجة، وكالة الأناضـــول للأنباء، 10 فبراير 2017، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/MXvpXf
3. محمـــد حامد، "اســـتفتاء التعديلات الدُّسْـــتُورِيَّة في تركيـــا والمخاوف من ديكتاتوريَّـــة أردوغان"، مركز المستقبل للدراسات الاسْتِرَاتِيجِيّة، نُشرت بصحيفة الزمان التُّرْكِيَّة ، 15 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/9ckJ0C

الفور عِدَّة إجراءات دُبْلُوماسِـيَّة ضِدَّ هولندا، الَّتِي منعت وزيرة تُرْكِيَّة من دخول قنصليَّة بلادها(1)، وهو ما أثَّرَ على الحملة الَّتِي أطلقتها السلطات التُّرْكِيَّة بين رعاياها في أوروبا من أجل التصويت بالاستفتاء، وبخلاف هولندا، فقد قامت بعض المدن الألمانيَّة بإلغاء تَجَمُّعَات مُؤَيِّدَة للرئيس أردوغان، وهو ما جعَل الأخير يتهم ألمانيا باللُّجُوءِ إلى "ممارسات نازيَّة"(2)، ما أثار غضب برلين وبروكسل، إلا أنَّ المستشارة الألمانيَّة أنجيلا ميركل(3) دعت إلى "ضبط النفس"؛ حيث إن أكبر جالية تُرْكِيَّة في العالم تقيم في ألمانيا(4)، ويصل تعدادها إلى 3 ملايين نسمة (5)؛

1. "حملة الاستفتاء الدستوري تصعّد التوترات بين أوروبا وتركيا"، دويتش فيله، 11 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9aDWI1
2. كانت ولاية بادن- فورتمبيرغ الألمانيَّة، قد ألغت فَعَاليَّات انتخابيَّة كان سيحضرها مسؤولون أتراك خلال حملة التعريف بالتَّعْديلات الدُّسْتُوريَّة التي جرى الاستفتاء عليها في وقت لاحق ونقلت البلاد إلى النِّظَام الرئاسي، الأمر الذي أدَّى إلى تَوَتُّر العلاقات التُّرْكِيَّة الألمانيَّة وخاصَّة بعد تصريحات الرئيس أردوغان التي خاطب فيها الحكومة الألمانيَّة قائلاً "يا ألمانيا! أنتم حتى لا تقفون بالقرب من الديمُقْرَاطِيَّة! تصرُّفاتكم لا تختلف عن تصرُّفات النازيِّينَ في الماضي". للمزيد يُنْظَر: "أردوغان: منع ألمانيا لتَجَمُّع الأتراك لا يختلف عن ممارسات النازيَّة"، روسيا اليوم، 5 مارس 2017، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/iq14rW
3. أنجيلا دوروتيا ميركل: سِيَاسِيَّة ألمانيَّة تشغل منصب المستشارة الألمانيَّة. وهي زعيمة حزب الاتِّحَاد الديمقراطي المسيحي (CDU)، كانت عالمة أبحاث سابقة تحمل شهادة دكتوراه في الكيمياء الفيزيائيَّة، ثم دخلت ميركل السياسة في أعقاب ثورات 1989م، عُيِّنَتْ ميركل بمنصب وزيرة المرأة والشباب في الحكومة الاتِّحَادية تحت قيادة المستشار هيلموت كول في عام 1991م، وبعدها أصبحت وزيرة البيئة في عام 1994م. وفي عام 2005م، عُيِّنَتْ بعد الانتخابات الاتِّحَادية في منصب مستشارة لألمانيا، وهي أول امرأة تَتَوَلَّى هذا المنصب. سُمِّيَتْ مَرَّتَيْن ثاني أقوى شخص في العالم بواسطة مجلة فوربس، وهو أعلى تصنيف من أيِّ وقتٍ مضى حَقَّقَتْه امرأة. للمزيد يُنْظَر: "أنغيلا ميركل: من نادلة إلى أول مستشارة في تاريخ ألمانيا"، دويتش فيله، د. ت، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oRqyqm
4. تعود بدايات تَدَفُّق الأتراك على ألمانيا إلى ستينيَّات القرن الماضي؛ حيث قامت ألمانيا التي كانت تعاني حينها من نقص اليد العاملة الماهرة وحِقْبَة إعادة إعمار ما بعد الحرب العالميَّة الثانية، باستقدام عشرات الآلاف من الأتراك للعمل لديها ضمن ما عُرِفَ وقتها ببرنامج "العمال الضيوف". للمزيد يُنْظَر: "الجالية التُّرْكِيَّة بألمانيا.. أكبر تجمع للأتراك بالخارج"، الجزيرة نت، 18 سبتمبر 2017، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9Ahr44
5. "أتراك ألمانيا والخارج عامل حسم في انتخابات تركيا"، دويتش فيله، 14 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/k5b1uE

منهم 1.4 مليون مُؤَهَّلِينَ للمشـــاركة في الفَعَاليَّات التصويتيَّة التُّركِيَّة (1)، وهو رقـــم مُهِمّ لأنقرة في ظَرْفِيَّتِها هذه؛ بُغْيَةَ اجتذاب أكبر عددٍ منهم للتصويت بنعم في الاستفتاء على تعديل الدســـتور. ونفس الأمر ينطبق على هولندا الَّتِي يعيش فيها نحو 400 ألف شـــخص من أصول تركيَّة(2)، منهـــم نحو 250 ألفاً لهم حَقّ التصويت(3)، إضافة إلى فرنسا، وغيرها من الدول الأُورُوبِيَّة.

وفي مســـارٍ معاكسٍ لمسار الحملة على الاســـتفتاء، أعلنت سويسرا والنمسا مَنْعَ تجمُّعات على أراضيها، يشـــارك فيها أعضاء من حزب العدالة والتَّنْمِيَة الحاكم التُّركِيّ؛ مُعَلِّلَةً ذلك بخشيتها من حدوث اضطرابات أمنيَّة(4).

- **دخول تركيا حالة من عدم الاســـتقرار السِّيَاسِيّ بعد الانتخابات التشرِيعِيَّة في** يونيـــو 2015م، والذهاب إلى انتخابات برلمانيَّة مُبَكِّـــرَة في نوفمبر من العام نفســـه، ثم الانقلاب العَسْكَرِيّ الفاشـــل في يوليو 2017م؛ حيث تَحَرَّكَتْ بعض الآلِيَّات العَسْـــكَرِيَّة، وانتشر الجنود على بعـــض الطرقات، وأُذِيعَ البيان رقم(5) بعزل الرئيس أردوغان، ولكن الأمور عادت سريعاً، بسيطرة السُّلْطَة الشَّرْعِيَّة على مقاليـــد الأمور(6)، إلا أن هذا الانقلاب السريع خلَط الأوراق، وأوجَدَ بيئة جعلت

1. "انتخابات تركيا: المغتربون يلعبون دوراً حاسماً في التصويت لأردوغان"، بي بي سي عربي، 22 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8hW3KZ
2. الجالية التُّرْكِيَّة في هولندا .. من التهميش إلى قاعة البرلمان"، نيو ترك بوســت، د. ت، تاريخ الزيارة: 25 أغســطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LTRaZU
3. "انتخابات تركيا: المغتربون يلعبون دوراً حاسماً في التصويت لأردوغان"، مرجع سابق.
4. "حملة الاســتفتاء الدســتوري تصعّد التوترات بين أوروبا وتركيا"، دويتش فيله، 11 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9aDWI1
5. عمرو أبو الســعود، تامر عرفات، "الزلزال التركيّ.. توابع انقلاب الســاعات السِّــتَّة"، كتاب اليوم، دار أخبار اليوم، القاهرة، أغسطس 2016م، ص 11.
6. المرجع السابق.

مــــن إمكانيَّة التَّحَوُّل إلى النِّظَام الرِّئَاسِيّ ولو ضمن حزمة تعديلات دســـــتوريَّة محــــدودة أمراً ممكناً، خاصة مع التَّحَوُّل الَّذِي حصل لدى حزب الحركة القَوْمِيَّة وانتقاله إلى تأييد الانتقال نحو إدارة الحُكْم الرِّئَاسِيَّة، واستعداده للعمل مع حزب العدالة والتَّنْمِيَة لإنجاز الهدف.(1)

ووسط هذه الأجواء المشـــحونة، انطلقت حملة التأيِّيد للتعديلات الدُّسْتُورِيَّة؛ حيث أظهرت اســـتطلاعات رأي تُرْكِيَّة أن غالبيَّـــة ضئيلة من الأتراك، ما بين 51 - 52%، ســـتُصَوِّت بـ"نعم" في الاســـتفتاء(2)، وعلى صعيد المـــدن التُّرْكِيَّة الكبرى، أظهرت استطلاعات الرأي كذلك أن نسبة التأيِّيد للتعديلات الدُّسْتُورِيَّة في أنقرة بلغت 55%، أما في إسطنبول فقد بلغت 53.7%، أما إزمير فقد أشارت استطلاعات الرأي بها أن نحو 49.6% فقط قد أيّدوا التعديلات الدُّسْتُورِيَّة(3).

وفي داخل حزب العدالة والتَّنْمِيَة نفســـه، كان معظم مؤســـسي الحزب ينظرون إلى الأمر بتحفُّظ، وكذلك مُخَضْرَمُو ومُؤَسِّسُو الحزب، مثل الرئيس السابق عبدالله غول، ونائب رئيس الوزراء الســـابق بولنت أرنتيش، ونائب رئيس الحزب السابق محمد علي شاهين(4)، كانوا مَيَّالِينَ إلى كتابة دستور جديد، وتطوير وتحديث النِّظَام البرَلْمَانِيّ،

1. ماجد عزام، "ملاحظات أساسيَّة حول الاستفتاء الدستوري في تركيا"، عربي21، 13 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/67jueq
2. "اســتطلاعات رأي تركيَّة: تَقَدُّم طفيف لمؤيِّدِي التعديلات الدُّسْــتُورِيَّة"، بي بي سي عربي، 12 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 26 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9r2iUT
3. "اســتطلاع رأي: مدن تركيا الكبرى تُؤَيِّد التعديلات الدُّسْــتُورِيَّة"، تركيا بوســت، 9 فبراير 2017، تاريخ الزيارة: 26 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/TnsLTu
4. رئيس ديوان مؤتمر حزب العدالة والتَّنْمِيَة، نائب رئيس الحزب الســابق للشــؤون السِّيَاسِيَّة والقانونيَّة، ووزير العدل الأســبق، وهو صديق الطفولة للرئيس رجب طَيِّب أردوغان بمنطقة قاســم باشــا، وكان رفيقه في حزب الرفاه منذ عام 1980م.

بينما بدا رئيس الوزراء الســـابق وأبرز شـــخصيات الجيل الثاني للحزب، أحمد داود أوغلو مُتَرَدِّداً، أو مُؤَيِّداً للتعديلات ولكن بدون حماس كبير(1)، ومع مقاربة لافتة ترى أن الوقت غير مناســـب أو على الأَقَلّ أن التَّحَوُّل الدُّسْتُورِيّ لا يمثل أولويَّة قياساً إلى التَّحَدِّيَات الَّتِي يواجهها البلد.

في المقابل فإنَّ حملة معارضة التعديلات بدأت متأخرة ضعيفة، وحاولت التَّرْكِيز على الرئيس أردوغان شـــخصِيّاً، بدلاً من مناقشة فحوى ومضمون التعديلات الَّتِي اتَّضَحَ أن أغلب المعارضين غير مُلِمِّينَ بها، وعَجَزَتْ الحملة بالتَّأْكِيد عن خَلْق حالة اصطفاف وَطَنِيّ معارضة مقابل تلك المُؤَيِّدَة والدَّاعِمَة(2).

1. "رئيـس الوزراء التُّرْكِيّ الســابق أوغلو يعرب عن "مخــاوف" من التعديلات الدُّسْــتُورِيَّة"، صحيفة القدس العربي اللندنيَّة، 18 يناير 2017، تاريخ الزيارة: 26 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LjLS4K
2. ماجد عزام، "ملاحظات أساسيَّة حول الاستفتاء الدستوري في تركيا"، مرجع سابق.

المبحث الثاني

توتُّر تركيّ أوروبيّ..

السياقات الدَّوْلِيَّة ما قبل الاستفتاء

أشرنا في المبحث السابق أنَّ أحد أهمّ إرْهَاصَات ما قبل الاستفتاء الدُّسْتُورِيّ في تركيا، هو حالة التَّوَتُّر الشـــديد بين تركيا ودول الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ، خاصة هولندا وألمانيا والنمســا وبلجيكا، وهو ما ظهر خلال الأيام الأخيرة ما قبل الاستفتاء في طريقة التعاطي الأُورُوبِيَّة تجاه الفَعَالِيَّات الشَّعْبِيَّة الَّتِي كانت ترغب الحكومة التُّركِيَّة في إقامتها لشرح التعديلات الدُّسْتُورِيَّة لأتراك الخارج.

والأمر لم يقتصر على حَظْر إقامة الفَعَالِيَّات الشَّــعْبِيَّة المُؤَيِّدَة للتَّعْدِيلاَت الدُّسْتُورِيَّة، بســبب الدواعي الأَمْنِيَّة، فقد سمحت بعض الدول الأُورُوبِيَّة بإقامة فَعَالِيَّات مُضَادَّة نظَّمَتْها أحــزاب معارضة لحَثّ الأتراك على التصويت بـــ"لا" لهذه التَّعْدِيلاَت(1)، وتخصيص حملات إعلاميَّة وبرامج تلفزيونيَّة تعارض الاستفتاء.
ليس هذا فحسب، بل أعلن الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ، تجميد المساعدات المَالِيَّة المقدَّمة للحكومة التُّركِيَّة(2)، بعد فشلها في تحقيق تقدُّم في المِلَفَات المطلوبة ضمن مفاوضات حصولها

1. في الوقت الذي منعت فيه دول أوروبيَّة عِدَّة فَعَالِيَّات جماهيريَّة للتعريف بالتعديلات الدُّسْـتُورِيَّة كان سـيحضرها مسـؤولون أتراك، احتضنت تلك الدول ومنها ألمانيا فَعَالِيَّات مشـتركة نظَّمَتْهَا أحزابٌ تركيَّة مُعارِضَة في مُقَدِّمتها؛ حزب الشـعوب الديمقراطي، وحزب الشـعب الجمهوري، لِحَثّ الجاليات التُّرْكِيَّة في أوروبا على التصويت برفض تلك التعديلات. للمزيد يُنْظَر: اسـتفتاء تركيا يكشـف زيف حرّية التعبير في أوروبا"، تركيا بوست، 12 مارس 2017، تاريخ الزيارة: 26 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/XZnB4X
2. البرلمـان الأُورُوبِيّ يوافـق على تقليص المسـاعدات المَالِيَّة لتركيا"، يورونيوز، 20 نوفمـبر 2017، تاريخ الزيارة: 26 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/7F7pTX

على عضويَّة كاملة في الاتِّحَاد الأُورُوبيّ، كما أصدر البرلمان الأُورُوبيّ قراراً غير مُلْزِم يُطالِب المفوضيَّة الأُورُوبِيَّة وحكومـــات أعضاء الاتِّحَاد بتجميد مفاوضات انضمام تركيا مُؤَقَّتاً، بســـبب الإجراءات الأَمْنِيَّة، وحملة الاعتقـــالات الَّتِي اتَّخَذَتهَا الحكومة التُّركِيَّة عَقِب محاولة الانقلاب الفاشلة(1).

وبحسب تحليلات تُرْكِيَّة؛ فإن دول الاتِّحَاد الأُورُوبيّ ترفض إقرار تلك التعديلات الَّتِي من شأنها أن تحوِّل تركيا إلى دولة قويَّة بطريقة دستوريَّة، مُصرِّين على تقييد الدور التُّرْكيّ وتحجيمه، وإيواء مُنَظَّمَات إرهَابِيَّة تســـتهدف الشعب التُّرْكِي، وتقديم الدعم المالي واللوجستي والعَسْكَرِيّ لها، وما يدعم هذا الاتِّجَاه خطابات القَوْمِيَّة الَّتِي تَمَسَّك بها الرئيس التُّرْكِيّ خلال فترة ما قبل الاستفتاء من جانب، وجمود الموقف التفاوضي بين تركيا والاتِّحَاد الأُورُوبيّ من جانب آخر؛ حيث تبدو كثير من الموضوعات مُجَمَّدَة أو مُؤَجَّلَة، باستثناءات بسيطة كقانون الشركات، والملكيَّة الفِكْرِيَّة، ومجتمع المعلومات، والضرائب، والبحث العلمي، والبيئة والوقاية الصحيَّة، وكلها موضوعات هامشيَّة، لا تَصُبُّ في لُبِّ الانضمام للاتِّحَاد الأُورُوبيّ(2).

كـــما يُبَرِّر المحَلِّلُون تلك الهجمة الأُورُوبِيَّة؛ بصعود الأحزاب اليمينيَّة المُتَطَرِّفَة في عددٍ من الدول والَّتِي تَسْـــتَغِلّ الأزمات التُّركِيَّة الأُورُوبِيَّة، لتحقيق مكاســـب انتخابيَّة من خلال تصدير تصريحات حادَّة ضِدَّ القيادة التُّركِيَّة، والرئيس التُّرْكِيّ السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان من خلال وصفه بـ"الإِسْلَامِيّ الخطير" الَّذِي يُمَثِّل تهديداً لأوروبا وشعوبها، وأنـــه يَبْتَزُّ الحكومات الأُورُوبِيَّة للحصول عـــلى الأموال مقابل وَقْفِ تدفُّقِ اللَّاجئين، وبالتَّالِي يجب منعه من تعزيز سلطته بأيِّ طريقة كانت، ومهما كان الثمن(3).

1. محمد مكاوي، الاستفتاء التُّرْكِيّ "يزيد الفجوة" بين أنقرة والاتِّحَاد الأوروبي، موقع مصراوي، 17 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/EX3ReU
2. محمد ياس خضير، الدور الأَمْرِيكِيّ في سياســـة تركيا حيال الاتِّحَاد الأوروبي، مركز دراســـات الوحدة العَرَبِيَّة، لبنان، نوفمبر 2010م، ص 211.
3. وســـام الدين العكلة، "الاســـتفتاء الدستوري التُّرْكِيّ يكشـــف الوجه القبيح للديمُقْرَاطِيَّة الأوروبيَّة"، ترك برس، 13 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/0FuEQ4

أضف إلى ذلك أن شـخصيَّة الرئيس أردوغان نفسـه تُمثِّل مصدر قَلَق لبعض الدول الأُورُوبيَّة، الَّتِي ستفعل ما بوسعها للحيلولة دون امتلاكه صلاحيَّات كاملة، وقد باتت الصحف الغَرْبِيَّة تَتَحَدَّث عن المُدَّة المحتملة الَّتِي سـيحكم فيها أردوغان تركيا، وأنه سيستمر حتى العام 2029م.(1)

والمثير في الأمر أنَّ تلك المُقَدِّمَات الَّتِي ظهرت قبل إجراء الاسـتفتاء، تأكَّدَتْ صِحَّتُهَا بعد ظهـور النتيجة بالموافقة على التَّعْدِيلَات؛ حيث بـدأت دول أوروبيَّة في توجيه الانتقادات إلى تركيا، بعد ظهور نتائج الاسـتفتاء واعتبرته يزيد من انقسام الأتراك، وكذلك يخالف الأعراف الأُورُوبِيَّة.

وقد حضَّ الاتِّحَاد الأُورُوبيّ، السُّـلُطَات التُّرْكِيَّة على السعي إلى أوسع توافق ممكن، وقال في بيان: "انطلاقاً من النتيجة المُتَقَارِبَة للاسـتفتاء، والتداعيات البعيدة المدى للتعديلات الدُّسْتُورِيَّة؛ ندعو السلطات التُّرْكِيَّة إلى السعي لأوسع توافق وطني ممكن في تطبيق هذه التعديلات. (2)

ودعت المستشارة الألمانيَّة أنجيلا ميركل، أردوغان إلى السعي لإجراء "حوار قائم على الاحترام" مع كُلّ الأحزاب السِّيَاسِـيَّة، وقالت في بيان مشـترك مع وزير خارجيتها زيجمار جابرييل: إن "الحكومة الألمانيَّة تحترم حَقَّ الأتراك في تقرير دسـتورهم"، مؤكِّدة أنَّ "الفارق الضئيل يَدُلُّ على عمق انقسام المجتمع التُّرْكِي"".(3)

1. Turkey: Erdoğan rule could extend until 2029 under proposal، موقـع صحيفـة "the guardian"، 22 نوفمبر 2016م، تاريخ الزيارة 16 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي https://goo.gl/pABRiR .
2. "لجنة الانتخابات بتركيا تُؤَكِّد سلامة التصويت رغم اعتراض المعارضة"، صحيفة الشرق الأوسط اللندنيَّة، 17 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Fp7cLK
3. مـيركل تَحُـثُّ أردوغان على "حوار قائم على الاحترام" في تركيا، دويتش فيله، 17 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/fgCHr7

أما قصر الرئاسة الفرنسيّ "الإليزيه" فأوضح في بيان رسمي أن النَّتَائِج المُعْلَنَة تُظْهِرُ أنَّ المجتمع التُّرْكِيّ مُنْقَسِــم، وأضاف: "القِيَــم والالتزامات في إطار مجلس أوروبا تفرض عــلى الحكومة التُّركِيَّة إجراء حوار حرّ وصادق مــع كافَّة قطاعات الحياة السِّيَاسِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة(1).

الخلاصة؛ أنه سيكون على أوروبا أن تُواجِه رئيساً ونظاماً سِيَاسِيّاً في تركيا أقوى مما سبَق، كما ستدفع قُوَّة تركيا النَّاعِمَة إلى لَعِب دور محورِيٍّ أكثر في القضايا الإِقْلِيمِيَّة كسوريا والعراق، وسيتاح لها أيضاً إجراء شراكات مع الولايات المُتَّحِدَة وروسيا ودول أخرى كالصين من منطلق التَّمَكُّن والقُوَّة(2).

1. باريس: الاستفتاء على عقوبة الإعدام في تركيا سيكون انتهاكاً للقيم الأوروبيَّة، صحيفة الشروق المصريَّة، 17 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/VPDS8s
2. "ســيناريوهات ما بعد الاســتفتاء على التعديلات الدُّسْــتُورِيَّة في تركيا"، نون بوســت، 16 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/idDibY

المبحث الثالث

تَطَوُّرَات الأزمة السُّورِيَّة

السياقات الإِقْلِيمِيَّة لما قبل الاستفتاء

إذا كنا تحَدَّثْنَا في الفصل الســـابق عن التَّوَتُّر التُّرْكِيّ الأُورُوبِيّ قبل الاســـتفتاء، والمُتَوَقَّـــع له أن يـــزداد خلال الفترة المقبلة، كما ذهبـــت إلى ذلك كثيرٌ من الآراء والتَّحْلِيلات الصحفيَّة، فإنَّ الأزمة السُّورِيَّة كانت بدورها إحدى أبرز الإشكالِيَّات الَّتِي أفرزتها السياقات الإِقْلِيمِيَّة في مرحلة ما قبل الاستفتاء.

وتبدو مشـــكلة سوريا مُعَقَّدَة؛ حيث يُوجَد تضارب في المصالح الإِقْلِيمِيَّة بشكل واضح؛ حيث ترغب دول عَرَبِيَّة عِدَّة في انتصار السُّـــنَّة في سوريا على نظام الأسد المدعوم من إيران وحلفائه، لكنَّ الأمر يختلف بالنســـبة لتركيا؛ فهي تُؤَيِّد المطالب المشروعة للشعب السوري، ولديها رؤية مستقبليَّة لسوريا الديمُقْرَاطِيَّة. من ناحية أخرى، تعمل إيـــران جاهدةً للحفاظ على علاقاتهـــا المتينة بحزب الله في لبنان، الَّذِي يُعدُّ حليفها في «جبهة المقاومة» ضِدَّ إسرائيل منذ فترة طويلة، والقادر على مواصلة السِّيَاسَـــات الإِقْلِيمِيَّة لإيران، بواسطة الأسد أو بدونه.

دَوْلِيّاً، تدعم روســـيا النِّظَام الســـوري، ضِدَّ ما تَعْتَبِرُهُ حملةً غربيَّةً بقيادة الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة للانقضاض على مصالحها الإِقْلِيمِيَّة، فإذا ما سقط النِّظَام السُّورِيّ قد تتعرَّض مصالح روســـيا في البحر الأبيض المتوســـط للخطر، على أقلِّ تقديرٍ، أما الولايات المُتَّحِدَة فلا ترى أيَّة مصالح حيويَّة في ســـوريَّة حتى تَدْخُل في مساومة مع روســـيا. الولايات المُتَّحِدَة لديها مصلحـــة في إقامة نظام ديمقراطيّ بمرحلة ما بعد الأســـد، وأيضاً لها مصلحة في تحجيم النُّفُوذ الإيرانيّ في سوريا، مع ذلك، فالولايات

المُتَّحِدَة شـــديدة الحَذَر بشـــأن شَنِّ عَمَلِيَّة عَسْـــكَرِيَّة، رغم ارتفاع الأصوات الداعية إلى التَّدَخُّل العَسْـــكَرِيّ في ســـوريا بالآونة الأخيرة، لا سِيَّمَا بعد تجاربها في العراق وأفغانستان، الأمر الَّذِي لا تريد تكراره.(1)

على الجانب الآخر، نجد أن العلاقات التُّركِيَّة السُّـــورِيَّة شهدت الكثير من التَحَوُّلاَت، إلا أنه قبل اندلاع الاضْطِرَابَات بوقتٍ قصيرٍ كانت العلاقات جَيِّدَة؛ حيث قام الرئيس الســـوري بشار الأســـد(2) في 6 يناير 2004م بزيارة إلى تركيا(3)، اعتبرها المُحَلِّلُونَ مُؤَشِّراً على تغييرات في نســـق التحالف بين الدولتين، وبداية عهد جديد للعلاقات التُّركِيَّة السُّورِيَّة، وهو ما تَبِعَهُ العديد من الاتِّفَاقيَّات الاقتِصَادِيَّة والأَمْنِيَّة والسِّيَاسِيَّة، ما جعل تركيا الدَّوْلَة الأكثر تَأَثُّراً بالأزمة السُّورِيَّة(4).

1. أرول چـــبچي وقادر أوســـتُـــن، "سياسة تركيا تِجَاه الأزمة السُّورِيَّة"، مجلة رؤية تركيَّة، العدد 3، خريف 2012م، تاريخ الزيارة 25 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8HpdGN
2. وُلِدَ بشار الأسد في 11 سبتمبر 1965م، وهو الابن الأصغر لوالده حافظ الأسد الرئيس السوري السابق، درس الطب في جامعة دمشق، وتَخَرَّجَ منها في العام 1988م، وتَخَصَّصَ في طب العيون ببريطانيا التي عاد منها في العام 1994، لم يكن معروفاً في ســـوريا حتى وفاة أخيه الأكبر باســـل الأســـد في حادث ســـيارة عام 1994م؛ حيث كان باســـل هو الوريث المُقَرَّر لخلافة والده في حُكْم ســـوريا. وبالتالي اتَّخَذَ الأسد الأبُ قراره بإعداد نجله بشار لرئاسة البلاد، وبشكل عاجل، فَتَمَّ إلحاقه بالقُوَّات المُسَلَّحَة في العام 1994م، وتَـــدَرَّجَ فيهـــا بسرعة بالغة فلم يأتِ العام 2000 حتى أصبح قائداً للجيش الســـوريّ. وبعد وفاة الأسد الأب في يونيو 2000م، اجتمع البرلمان السوريّ لتعديل المادة (83) من الدستور التي كانت تُحَدِّد سِنّ الأربعين كشرط للترشح لرئاسة الجمهوريَّة، ليصبح السِّنّ المُحَدَّد هو 34 عاماً، وبالتالي تَرَشَّحَ بشَّار للانتخابات الرِّئَاسِـــيَّة وأصبح رئيســـاً للبلاد في يوليو 2000. وفي عام 2001 تَزَوَّجَ بشَّار الأسد من أسماء الأخرس، وهي مواطنة سوريَّة مولودة في بريطانيا. للمزيد يُنْظَر: "بشار الأسد"، الجزيرة نت، 3 أكتوبر 2004، تاريخ الزيارة: 26 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/sdyfZT
3. "الرئيس السوري في زيارة تاريخية لتركيا"، وكالة الأنباء الكويتية (كونا)، 6 يناير 2004، تاريخ الزيارة: 26 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oduFjG
4. عقيل ســـعيد محفوظ، سوريا وتركيا الواقع الراهن واحتمالات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العَرَبِيَّة، لبنان، أكتوبر 2009م، ص 87.

ومن هنا نجد أنَّ الدور التُّرْكِيّ منذ بداية الأزمة يحاول إقناع النِّظَام السوري بالحلول السلميَّة، خاصةً أن العلاقة بينهما كانت جَيِّدةً، قبل اندلاع الاضطرابات، إلا أن الأخير رفَض، وهو ما خيَّب آمال تركيا، وجعلها تَتَّخِذ موقفاً صارماً ضِدَّ الأسـد، وتستضيف فَعَالِيَّات المعارضة السُّورِيَّة على أراضيها مُبَكِّراً منذ العام 2011(1).

1. بالتَّوَازِي مع إعلان تركيا إغلاق سـفارتها في دمشـق، في مارس 2012م، بسبب تدهور الظروف الأمنيَّة في البلاد، بدأت تركيا تحتضن فَعَالِيَّات رَسْمِيَّة لقُوَى المعارَضَة السُّورِيَّة التي انبثقت عن الثورة السُّورِيَّة التي اندلعت قبل ذلك التاريخ بنحو عام، وقبلها كانت تركيا تسـمح للفَعَالِيَّات السُّـورِيَّة المُعارِضَة بعقد اجتماعاتهـا تحـت مِظلَّة قُوَى ومُنَظَّمَات المجتمـع المدنيّ التركيّ. وعادة ما تحتضـن تركيا اجتماعات ومؤتمرات لقوى المُعارَضَة السُّـورِيَّة لبحث مسـتقبل الثورة ومستقبل الحكم في سوريا ما بعد الأسد، من ذلك مؤتمر المجلس الوطني السُّورِيّ الذي احتضنته تركيا في مارس 2012م، للاتِّفاق على خُطَّة مُوَحَّدَة للإطاحة بالرئيس السُّـوريّ بشَّار الأسد، واجتماع الائتلاف الوطنيّ لقُوَى الثورة والمُعارَضَة السُّورِيَّة، في يناير 2014م، لمناقشـة قرار المشـاركة في محادثات جنيف. للمزيد يُنْظَر: "العلاقات بين سـوريا وتركيا منذ اندلاع الحرب"، بي بي سي عربي، 13 يوليو 2016، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/AtAWZU
أمـا عن الدَّعْم التُّرْكِيّ للمُعارَضَة السُّـورِيَّة فيتَّسِـعُ ليشـمل إلى جانب الدعم السِـيَاسِيّ والدبلوماسيّ والإعلاميّ دعماً لوجستِيّاً وعسكريّاً، ففي فبراير من العام 2015م، أعلن وزير الخَارِجِيَّة التُّرْكِيّ مولود جاويش أوغلو، أن بلاده وقَّعت مع الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة اتفاق "تدريب وتجهيز"، لتدريب وإعداد عناصر من المعَارَضَة السُّـورِيَّة، لمواجهة قُوَّات النِّظَام السوريّ، وتنظيم الدولة الإسْلَامِيَّة "داعش" وكافَّة التَّنْظيمات الإرهابيَّة في سوريا. كما تدفع تركيا باتجاه تحويل الجيش السُّورِيّ الحُرّ إلى جيش نظامي، ففـي فبرايـر 2017م قال الرئيس التُّرْكِيّ رجب طَيِّب أردوغان: إن «الجيش السُّـورِيّ الحُرّ» ينبغي أن يكون هو «الجيش الوطني» لسوريا في المرحلة المقبلة. للمزيد يُنْظَر:
- تركيـا وأمريكا تُوَقِّعَان اتِّفاق تدريب المعَارَضَة السُّـورِيَّة، صحيفـة الشرق القطريَّة، 19 فبراير 2015، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DBzXaZ
- دعم تركي للمُعَارَضَة السُّورِيَّة لتشكيل «الجيش الوطني»، صحيفة الشرق الأوسط اللندنيَّة، 18 فبراير 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/GX5Kvi

ومنذ ذلك الحين تسـعى تركيا إلى لفت أنظار القُوَى الدَّوْليَّة إلى الأزمة في سـوريا، وتُقدِّم الدعم للمُعَارَضَة السُّـورِيَّة داخل تركيا وفي سـوريا، كما تجنَّبَتْ أنقرة القيام بأيِّ عمل عَسْكَرِيّ بمفردها، كما دَعَت تركيا إلى إنشاء مناطق آمنة(1) (ومنطقة حظر جَوِّيّ) داخل الأراضي السُّورِيَّة للحدِّ من تدفُّق أعداد اللَّاجئين القادمين إليها.(2)

1. في فبراير 2016 طَالَبَ نائب رئيس الوزراء التُّرْكِيّ بالتشـين أغدوغان بضرورة إنشـاء منطقة آمنة داخل سوريا لاستقبال اللَّاجئين. للمزيد يُنْظَر: "تركيا تدعو لإقامة منطقة آمنة بسوريا"، سكاي نيوز عَرَبِيَّة، 12 فبراير 2016، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wb7FKs
وعـلى الرغم من شـيوع تعبـير المناطق الآمنـة Safe Zones أو Safe Areas إلَّا أنَّه يُعَدُّ مفهوماً غير رسـميّ، عـلى صعيـد القانون الدَّوْليّ؛ حيث لم يأت ذكـره في اتفاقيات جنيف الأربع لعام 1949م، كما لم يَرِد ذِكره في البروتوكولات الملحقة بها لعام 1977م، بل تَضَمَّنَتْ تلك الاتِّفاقيات والبروتوكولات مصطلحات أخرى تُعَدُّ الأقرب دلاليّاً لمفهوم المناطق الآمنة، أهمُّها المناطق الطِّبِّيَّة Hospital Zones، والمناطق المحايدة Neutralized Zones، والمناطق منزوعة السلاح Demilitarized Zones. وتشير جُلّ هذه المصطلحات إلى جهودٍ تَضْطَلِع بها المُنَظَّمَات الأمميَّة المَعْنِيَّة بحفظ السـلم والأمن الدَّوْلِيَّيْن لإنشـاء وتسـمية مناطق مُحَدَّدَة تكون خارج نطاق الاسـتهداف العسـكريّ والأعمال القتاليَّة لاعتباراتٍ إنسـانيَّة تَتَعَلَّق بحماية المدنيِّينَ ممن لا يسـتطيعون حماية أنفسهم أثناء الحروب والصِّرَاعات المُسَـلَّحَة، وقد اسـتخدم العرف الدَّوْليّ عدداً من السِّـيَاقات المفاهيميَّة عند الحديث عن مثـل هـذه الترتيبات وفقاً لخبرة حقبة الحرب الباردة من قبيل؛ الممرات الهادئة Corridors of Tranquility، والمَمَرَّات الإنسـانيَّة Humanitarian Corridors، والمناطق المحميَّة Protected Areas، والملاذات الآمنة Safe Havens. وبحسـب العُـرْف الـدَّوْليّ، فإن ثمَّة محدِّدَات إجرائيَّة لازمة لإقامـة المناطق الآمنة، بعد صدور قرار بهـذا الصَّـدد مِن قِبل مجلس الأمن الدَّوْليّ، أبرزها: الاتِّفاق بين الأطراف المتنازِعَة على إقامتها، وإزالة الصِّفة العَسْكَرِيَّة عنها بنزع سلاحها وإخراجها من سياق العمليَّات العَسْكَرِيَّة، وإخضاعها كذلك لإدارة مدنيَّة، والتأكيد عـلى عـدم دخول أطراف الصراع في أيِّ ترتيبات دفاعيَّة تَتَعَلَّق بحفظ الأمن داخلها أو على حدودها المسـماة، وتوفير حماية عَسْـكَرِيَّة لها مِن قِبَل قُوَّات الأمم المُتَّحِدَة أو قُوَّات تحالف دوليّ مُكَلَّف مِن قِبَلها، وفرض حَظْر جَوِّيّ لحمايتها، وتوفير مَمَرَّات آمِنَة لإيصال المسـاعدات الإنسـانية للمدنيين، والمكفولة من قبل الأمم المُتَّحِدَة، والتي تضطلع أيضاً برسم خريطة لنطاق وحدود المناطق الآمنة. للمزيد يُنْظَر: مصطفى شفيق علام، مشروطيَّات فاعليَّة "المناطق الآمنة" في مناطق الصراعات بالإقليم، مركز المسـتقبل للأبحاث والدراسـات المُتَقَدِّمَة، أبوظبي، 15 فبراير 2017م، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/GwvyKz
وفي أغسـطس 2018م، كشـف الرئيس التُّرْكِيّ رجب طَيِّب أردوغان، أن أنقرة قد أوشـكت على استكمال استعداداتها لإضافة مناطق آمنة جديدة في سوريا عبر عَمَلِيَّتَيْ "درع الفرات" و"غصن الزيتون". للمزيد يُنْظَر: تركيا بصدد توسيع نطاق المناطق الآمنة في سوريا.. كيف؟"، ترك برس، 13 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DLpftc
2. أرول چـبچي وقادر أوسـتُن، "سياسة تركيا تجاه الأزمة السُّورِيَّة"، مجلة رؤية تركيَّة، مرجع سابق.

وبات نظام الأســـد في سوريا يشكِّل تَحَدِّياً كبيراً بالنسبة لتركيا، وهو ما جعَل التعديل على الاستفتاء أمراً ضرورياً ومُلِحّاً؛ حيث إنه بات الملجأ لتجنُّب المخاطر الأَمْنِيَّة الَّتِي تنتج عن تدفُّق اللَّاجئين وزيادة تحركُّات حزب العمال الكردستانيّ من داخل سوريا، كما يســـاعد تركيا على تعزيز وجودها العَسْكَرِيّ قُرْب الحدود مع سوريا، والاحتفاظ بحقِّها في الرَّدِّ في الوقت الَّذِي تختاره بقُوَّة وسرعة مناسبة(1).

ومن هنا؛ فإن تمرير مثل تلك التَّعديلات الدُّسْتُورِيَّة، قد يُؤَدِّي إلى زيادة قُوَّة علاقات أنقرة مع بعض الدول الفاعلة في المِلَّفَات الإِقْلِيمِيَّة، وأبرزها المِلَفّ السُّوريّ، ما يُؤَدِّي بدوره إلى زيادة في التعاون بينهما باتِّجَاه إيجاد حلول ممكنة للأزمة السُّـــورِيَّة، في الوقت الَّذِي تحولت فيه سياسة ترامب مع سوريا من القضاء على داعش وحسب إلى الدعوة لرحيل الأســـد ونظامه أيضاً، وهي رغبة تتلاقى معها أنقرة الَّتِي ترفض بقاء الأسد، وتدعو لرحيله(2).

كما يرى بعض المُحَلِّلينَ السِّيَاسِـــيين أن تمرير التعديلات الدُّسْـــتُورِيَّة، قد يكون من شأنه فتح الباب واسعاً أمام قرار تركيّ بالتَّدَخُّل العَسْكَرِيّ في سوريا بشكل أكبر رغم ســـنوات من أدبيات رفض "التَّوَرُّط" في الأزمة، أو على الأَقَلّ تهديد النِّظَام السوري بشـــكل أكبر، مع تَغَيُّر أولويَّات الأمن القَوْمِيّ التُّرْكِيّ، والرغبة في وَأد فكرة الدويلة الكُرْدِيَّة في الشمال السُّورِيّ(3).

1. أرول جبچي وقادر أوستُن، "سياسة تركيا تجاه الأزمة السُّوريَّة"، مجلة رؤية تركيَّة، مرجع سابق.
2. جلال ســلمي، "ترامب والأزمة السُّــوريَّة وتركيا"، ترك برس، 21 نوفمبر 2016م، تاريخ الزيارة 29 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6ywpkT
3. ســعيد الحاج، "تركيا والأزمة السُّــوريَّة.. ملامح مرحلة جديدة"، الجزيرة نت، 26 ديسمبر 2016م، تاريخ الزيارة 29 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/0f81nM

المبحث الرابع

ما بين «نعم» و«لا»

تحليل نتائج التصويت الدستوري

إذاً، فهناك إرهاصات وسياقات كثيرة، شهدتها تركيا قبل إجراء الاستفتاء على التعديلات الدُّسْتُورِيَّة الأخيرة، وهو ما أَثَّرَ بشكل مباشر على نتيجة الاستفتاء بالموافقة عليه بفارق طفيفٍ عن المُعَارَضَة؛ حيث أيَّد تلك التعديلات نحو 51.4%(1) من جملة المُصَوِّتين.

في الواقع فإنَّ تحليل النَّتَائِج الَّتِي أفْضَى لها الاستفتاء تُؤدِّي بنا إلى أكثر من اتِّجَاه؛ الأَوَّل، هو الموقف الأُورُوبِيّ من تلك النَّتَائِج، وكيف سيكون رَدُّ فعل الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ بعد تَحَوُّلِ تركيا من النِّظَام البَرْلَمَانِيّ إلى الرِّئَاسِيّ؟ فنجد أن أوروبا قابلت تلك النتيجة بكثير من القلق؛ حيث تحفَّظَ المسؤولون في الاتِّحَاد عن المبادرة بتهنئة الرئيس التُّرْكِيّ السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان الَّذِي فاز بأدوات تقوية سلطاته التنفيذيَّة على حساب البرلمان والقضاء(2).

كما أكَّدت البيانات الصادرة عن الحكومات الألمانيَّة والفرنسيَّة أنَّ هناك قلقاً كبيراً من النَّتَائِج، والانقسام الحاصل في المجتمع التُّرْكِيّ، مطالبين الرئيس التُّرْكِيّ بإجراء حوار بينه وبين المُعَارَضَة.

---

1. نتائج الاستفتاء على الدستور عام 2017"، صحيفة يني شفق التُّرْكِيَّة ، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/zmyJu4
2. «الأوروبيّ» يدعو للتحقيق في «تجاوزات الاستفتاء» ويرفض تهنئة أردوغان، صحيفة الرأي الكويتيَّة، 19 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9xa5aF

وهـــو ما يتوافق مع التَّحْلِيل الأُورُوبيّ، الَّذِي رأى الفوز، أمراً نســـبيّاً؛ لأنَّ معســـكر المعارضين قويٌّ، خاصَّةً أن نســـبة الَّذِين ساندوا التعديلات الدُّسْتُورِيَّة تقع دون نسبة الدَّعْم الَّذِي حَظِيَ به حزب الرئيس في الانتخابات العَامَّة الأخيرة.

وفي السِّياق نفسه نَجِد أن الأحزاب السِّيَاسِيَّة الأُورُوبِيَّة من الوسط واليسار الأُورُوبيّ اعتبرت نتائج الاستفتاء خُطْوَةً إضافيَّة يقطعها الرئيس أردوغان في الوجهة المعاكسة للاتِّحَاد الأُورُوبيّ.

ورأى زعيم الحزب الاشـــتراكي الأُورُوبيّ، ثاني كتلة سِيَاسِـــيَّة في البرلمان الأُورُوبيّ، نتائج الاســـتفتاء "ضربة قاسية أخرى معادية للديمُقْرَاطِيَّة ودولة القانون"، و"خطوة إضافيَّة تُبعِد تركيا عن أوروبا"، حتى إن بعض نواب الاتِّحَاد الأُورُوبيّ اقترحوا "تعليق مفاوضات العضويَّة إذا أقدمت تركيا على تنفيذ التعديلات الدُّسْـــتُورِيَّة الـ18" الَّتِي جرى التصويت عليها. ورأت رئيسة مجموعة نوَّاب حزب الخضر في البرلمان الأُورُوبيّ، رينهارد بوتيكوفر، وزميلتها مونيكا فراسوني أن "نتائج الاستفتاء تُجَسِّد سلطة الحاكم الوحيد، وتجعل من أردوغان دكتاتوراً منتخباً"(1).

كما عبّر رئيس مجموعة النُّوَّاب المحافظين في البرلمان الأُورُوبيّ، عن وجود إحساس جماعي بالقلق إزاء ما اعتبره تراجعاً عن الديمُقْرَاطِيَّة في تركيا بعد الاستفتاء وتوسيع صلاحيات الرئيس(2).

ويرى المُحَلِّلُونَ أنَّ المســـؤولين الأُورُوبِيّين سَـــيُحَلِّلُونَ كافَّة الخطوات الَّتِي سيَتَّخِذُهَا الرئيس التُّرْكِيّ والَّتِي تمسُّ مبادئ دولة القانون من زاوية معايير العضويَّة الأُورُوبِيَّة، على أن يكون أيُّ تراجع عن المعايير المحدَّدة يُبعِد تركيا عن الانضمام للاتِّحَاد الأُورُوبيّ.

---

1. نورالديـــن فريضي، "كيف تقرأ أوروبا نتائج الاســـتفتاء الـــتركي؟"، العَرَبِيَّة. نت، 17 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/E9p2TX
2. تركيـــا تُبْعِـــد عن "أوروبـــا".. إجماع على وقف التَّفَاوُض مع أنقرة، العَرَبِيَّـــة. نت، 27 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/sBr8o1

قبل أن نترك النقطة الأُورُوبِيَّة، يجب الإشارة إلى أنَّ أغلبيَّة المهاجرين الأتراك صوَّتُوا لصالح التعديلات الدُّسْتُورِيَّة الَّتِي دعا إليها الرئيس السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان، وبلغت النسب أقصاها في بلجيكا 75%، تلتها هولندا 70.9%، ففرنسا 64.8%، ثم ألمانيا 63.1%(1)، ذلك رغم الإجراءات الأَمْنِيَّة المشدَّدة الَّتِي قامت بها تلك الدول في سبيل منع الفَعَالِيَّات المُؤَيِّدَة للتَّعديلات الدُّسْتُورِيَّة، خاصة في هولندا؛ حيث بلغ التَّوَتُّر مع قُوَّات الأمن مستوًى كبيراً، بعد قيام السلطات الأَمْنِيَّة الهولنديَّة بحظر دخول وزيرين تُرْكَيِّيْنِ إلى أمستردام للمشاركة في مهرجانات انتخابيَّة مسانِدَة للرئيس أردوغان؛ كما سلف بيانه.

النُقْطَة الثانية الَّتِي يمكن تناولها في تحليل نتائج استفتاء تركيا، هي النُّقْطَة الاقتِصَادِيَّة؛ حيث توقَّع خبراء الاقتصاد، أنَّ تأثير نتائج الاستفتاء ستكون "إِيجَابِيَّة" على المدى القصير، وذلك على افتراض أن المخاطر السِّيَاسِيَّة مُعْتَدِلَة وحزب العدالة والتَّنْمِيَة له مصلحة في التطبيع والعودة إلى الأعمال والاقتصاد.

كما أن البنك المركزي يمكن أن يخفِّض أسعار الفائدة الَّتِي يمكن أن تدعم تدفقات المحفظة الأجنبيَّة، وتساعد اللِّيرَة التُّركِيَّة مَرَّة أخرى، على عكس التصويت بلا؛ حيث حينها سوف تَتَوَقَّعُ الأسواق أن يدفع الرئيس السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان إلى إجراء انتخابات برلمانيَّة مُبَكِّرَة؛ الأمر الذي يعني المزيد من المخاطر السِّيَاسِيَّة، وعدم اليقين السِّيَاسِي، كما أن التصويت بنعم سوف يُؤَثِّر على تَدَفُّقَات رؤوس الأموال الأجنبيَّة والاستثمارات المباشرة بشكل إيجابي خلال الشهور القادمة، باستثناء تأثير تَوَتُّر العلاقات مع الاتِّحَاد الأُورُوبِي(2).

1. نتائج الاستفتاء على الدستور عام 2017"، صحيفة يني شفق التُّرْكِيَّة ، مرجع سابق.
2. محمد بابكر، "اقْتِصَادِيُّونَ تحليل نتائج استفتاء تركيا"، موقع عالمنا، 1 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/s2fNlB

النقطة الثالثة في مجال تحليل نتائج الاستفتاء تَتَعَلَّق بالحالة السِّيَاسِيَّة لتركيا، وهي النقطة الأهم والأخطر في سياق هذا المبحث، فهناك العديد من الدلالات المُهِمَّة في ثنايا نتيجة الاستفتاء على التعديل الدُّسْتُورِيّ في تركيا، الَّذِي نجح بنسبة 51.4%، أكثر من مُجَرَّد التقييم الظاهري لمن فاز ومن خَسِرَ. فمقارنة النَّتَائج بالانتخابات البَرْلَمَانِيَّة الأخيرة في يونيو 2015م(1)، والرِّئَاسِيَّة في أغسطس 2014م(2)، يكشف عن عددٍ لا محدود من الخرائط الاجْتِمَاعِيَّة والسِّيَاسِيَّة والحزبيَّة والأيدُيولوجِيَّة في تركيا، بعضها قديم وبعضها الآخر مُسْتَجَدّ.

الخريطة الأَوَّلى، والقديمة في تركيا، والَّتِي ترسَّخَتْ مع حضور "العدالة والتَّنْمِيَة" القَوِيّ منذ 2002م هي الخَاصَّة بالمحافظات التُّركِيَّة في عمومها في أيّ مناسبة انتخابيَّة؛ حيث تجد ولاءً انتخابيّاً لمناطق وسط الأناضول والبحر الأسود المُؤَيِّدَة للاستفتاء ولـ"العدالة والتَّنْمِيَة" بشكل عام، على عكس ساحل بحر إيجه(3) في الغرب المُؤَيِّد بشكل عام لحزب "الشعب الجمهوريّ" ومناطق جنوب وجنوب شرقي البلاد ذات الأغلبيَّة الكُرْدِيَّة والَّتِي يَتَمَتَّعُ فيها حزب "الشُّعُوب الديموقراطي" بحضور واسع والَّتِي رفضت التعديلات. (4)

1. في الانتخابات البرلمانيَّة التُّرْكِيَّة ، 2015، خسر حزب العدالة والتَّنْمِيَة الأغلبيَّة المطلقة؛ حيث حصل على نحو 41% من الأصوات، بينما حصل حزب الشعب الجمهوريّ المُعارِض على 25% من الأصوات، ثم جاءت الحركة القومية في المركز الثالث بنحو 16% من الأصوات. للمزيد يُنْظَر: انتخابات تركيا: حزب العدالة والتَّنْمِيَة الحاكم يخسر الأغلبية المطلقة، بي بي سي عربي، 8 يونيو 2015، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/egv8J2
2. في الانتخابات الرِّئاسِيَّة التُّرْكِيَّة ، 2014، حصل الرئيس أردوغان على 53.2% من إجمالي أصوات الناخبين التي بلغت 53 مليون ناخب، بينما حصل منافساه الرئيسان آنذاك؛ إحسان أوغلو وصلاح الدين دميرتاس على 38% و9% على الترتيب. للمزيد يُنْظَر: "أردوغان يفوز بالانتخابات الرِّئاسِيَّة في تركيا"، بي بي سي عربي، 10 أغسطس 2014، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8xhcqS
3. تَمَّ التعريف ببحر إيجه في موضع سابق من الكتاب.
4. سعيد الحاج، "تركيا والأزمة السُّورِيَّة.. ملامح مرحلة جديدة"، الجزيرة نت، مرجع سابق.

المستوى الثاني لتحليل نتائج الاستفتاء سِيَاسِيّاً يَتَعَلَّق بمستوى الثقة بالرئيس السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان، والَّتِي تبدو "فوق حزبية"، وتَتَخَطَّى حزب "العدالة والتَّنْمِيَة" الَّذِي أَسَّسه الرئيس أردوغان وقَادَهُ لسنواتٍ طويلةٍ، وعاد لرئاسته بعد الموافقة على التَّعديلات الدستوريَّة.

وعند التدقيق في نتائج التصويت على التعديل الدُّسْتُورِيّ نرى أن حضور الرجل كان العامل الأبرز والأقوى في إقرار النِّظَام الرِّئَاسِيّ، والأنشط في الحملات الانتخابِيَّة (وتُؤَيِّد ذلك بعض استطلاعات الرأي)، فضلاً عن أنه مَن وقَف خلف المشروع منذ البدايَة، بل وغامَر كثيراً في إعادة طرحه بعد تجربة انتخابات يونيو 2015م الَّتِي فقَد فيها الحزب الحاكم أغلبِيَّته البرَلْمَانِيَّة حين قدَّم التَّحَوُّل للنظام الرِّئَاسِيّ شعاراً لحملته الانتخابِيَّة.

ولا نقول ذلك لمُجَرَّد التقارب الشديد بين نسبة التَّصْويت للرئيس أردوغان في انتخابات الرئاسة والنتيجة الأَوَّلِيَّة للاستفتاء، 52% مقابل 51.4%، وإنما باستقراء نتائج التَّصْويت على حِدَة، ومقارنة ذلك بنِسَب التصويت لأحزاب "العدالة والتَّنْمِيَة"، و"الحركة القَوْمِيَّة" وزعيمه دولت بهجلي(1)، و"الشُّعُوب الديمقراطي HDP Halkların Demokratik Partisi".

في الإطار نفسه نجد أن خريطة الأكراد واتِّجَاهَات الرأي لديهم هي أكثر ما يلفت النظر في هذا الاستفتاء؛ حيث حسمت الأصوات الكُرْدِيَّة النتيجة، وضمنت إقرار النِّظَام الرِّئَاسِيّ في مناطق الأغلبيَّة الكُرْدِيَّة؛ في حين ظهر تراجع واضح لتأثير

1. أكاديمي وسِيَاسِيّ تركي، وُلِدَ في الأول من يناير 1948م في محافظة عثمانيَّة لعائلة غنيَّة تنتمي إلى حزب الشعب الجمهوري، غير أن بهجلي اختار في شبابه الانضمام إلى الحركة القوميَّة التي تَزَعَّمَها ألب أرسلان تركش. تخرج في أكاديمية العلوم الاقْتِصَادِيَّة والتجاريَّة بجامعة أنقرة سنة 1971م، وحصل على الدكتوراه في الاقتصاد في معهد العلوم الاجْتِمَاعِيّة بجامعة غازي، وعَمِلَ في الجامعة نفسها أستاذاً محاضراً حتى عام 1987م. وبدعوة من ألب أرسلان تركش زعيم حزب الحركة القوميَّة، انفصل عن الجامعة ليعمل نائباً لزعيم حزب العمل القومي. وبعد وفاة ألب أرسلان تركش في 4 أبريل 1997م تَمَّ انتخابه زعيماً لحزب العمل القومي. للمزيد يُنْظَر: "دولت بهجلي"، الجزيرة نت، 3 أكتوبر 2004، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/auVrp2

"الشُّـــعُوب الديمقراطي" الموالي لحزب العمال الكردســـتاني مع ازدياد ملحوظ في معدل الثقة بالرئيس أردوغان.(1)

أضـــف إلى ذلك أن الحكومة التُّركِيَّة بدأت منذ فترة بعقد لقاءات مع قيادات كرديَّة مُعْتَدِلَـــة من كافَّة المناطق والأطياف، وهي تســـير باتجاه تعزيز العلاقات بما يخدم مصلحة البلاد والأكراد معاً، ومن خلال تلك النتيجة يمكن التوقع أن الحكومة لن تعود لاستئناف عَمَلِيَّة السلام مع حزب العمال الكردستاني، والَّتِي تَوَقَّفَتْ منذ نحو سنتين. كما أن تأييد الأكراد للتعديلات الدُّسْتُورِيَّة يُؤَكِّد أنهم فَقَدُوا الأمل في حزب الشُّعُوب الديمقراطي و"جناحُه المُسَلَّح" حزب العمال الكردستاني، خاصَّة بعد تَخَلِّيه عن الحَلّ السِّـــيَاسِيّ مع الحكومة، ولجوئه لتصعيد الأعمال المُسَلَّحَة في البلاد، وهو ما انعكس إيجاباً على التصويت بنعم على تعديل الدســـتور؛ باعتبار أن الشعب الكُرْدِيّ بمُجْمَلِه مُسَـــالِمٌ، ولا يرى في العُنْفِ طريقاً لِنَيْلِ الحقوق. وهو أيضاً ما سيكون له انعكاساته المســـتقبليَّة بِكُلِّ تأكيدٍ على القضيَّة الكُرْدِيَّة، ولذلك كان لافتاً أنها المنطقة الجُغْرَافِيّة الوحيدة الَّتِي حظيت بإشادة الرئيس أردوغان بعد صدور النَّتَائِج.

الخريطة الأخيرة، ورُبَّمَا الأَهَمّ، تَتَعَلَّق بحزب "العدالة والتَّنْمِيَة" نفسه، ومدى التزامه بقـــرار قيادته، وخيـــار أردوغان بتَأييد التعديل الدســـتوري، وهو الحزب المعروف بانضباطه التنظيمِيّ ووحدة قراراتـــه ومواقفه؛ حيث أظهرت النَّتَائِج أن الحزب لم يكن على قلب رجل واحد في هذا الاقتراع، ويُؤَكِّد أنَّ الأمر غير مُتَعَلِّق فقط بعددٍ من القيادات بل تَخَطَّاهُمْ إلى نِسْبَةٍ لا يمكن تحديدها - ولن تكون كبيرة جِدّاً- من كوادره. ويرى الباحثون أن مخالفة هـــذه الكوادر لتصويت الحزب وقرار الرئيس أردوغان مُتَعَلِّقَة بالتَّحَفُّظ على بعض موادّ التعديل الدُّسْـــتُورِيّ أكثر من رَفْض فكرة التغيير أو

1. سعيد الحاج، "تركيا والأزمة السُّورِيَّة.. ملامح مرحلة جديدة"، الجزيرة نت، 26 ديسمبر 2016م، تاريخ الزيارة 29 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/0f81nM

النِّظَام الرِّئَاسِيّ بحَدِّ ذاته، وهو ما يمكن اعتباره مُؤَشِّراً على حيويَّة وتَنَوُّع داخل أُطُر الحزب، وعدم التســليم تماماً بخيارات قيادته وأردوغان؛ رغم ما يحظى به الأخير من ثقة واحترام وكاريزما وإنجازات، إلا أنها ســتؤدِّي بطبيعة الحال إلى مراجعات جدّيَّة داخل الحزب، وربما تغييرات في بعض المواقع القيادية(1).

في إطار التَّحْلِيل أيضاً لنتائج الاستفتاء تجدر الإشارة إلى نسبة المشاركة في التَّصْوِيت والَّتِي وصلت إلى نســبة 85% مِمَّنْ لهم حَقّ التصويت، وهي نسبة كبيرة جداً، وتَدُلّ على وجود انقسام وحَشْد شَعْبِي واضِح نحو هذا الاستفتاء، وهو ما يجب على القيادة التُّركِيَّة علاجه خلال الفترة المقبلة(2).

1. سعيد الحاج، "خريطة تركيا التي كشفها الاستفتاء"، المرجع السابق.
2. شريف ســيد، "تحليل الاســتفتاء التُّرْكِيّ في أرقام"، موقع صدى البلد، 18 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/FQo01Q

المبحث الخامس

القُوَّة التُّركِيَّة النَّاعِمَة:
قراءة في مواد الدُّسْتُور الجديد

بعد إقرار التعديلات الدُّسْتُورِيَّة رَسْمِيّاً، أصبح هناك واقعٌ جديدٌ تَمَّ رسم ملامحه في تركيا، مع مواد دستور جديدة، تُعَدُّ نَقْلَةً تَارِيخِيَّة وتَحَوُّلاً كبيراً في السِّيَاسَة التُّركِيَّة.

في البداية يجب أن نَتَعَرَّف على أبرز التعديلات الدُّسْتُورِيَّة (1) الَّتِي حدثت في السادس عشر من أبريل 2017م، والَّتِي تَتَضَمَّن 18 مادة، ويُعَدُّ أبرزها: مَنْحُ الرئيس التُّرْكِيّ سلطات تنفيذيَّة معزَّزة؛ حيث سيمتلك تعيين وإقالة الوزراء وكبار الموظفين الحكوميِّينَ، كما أنه أصبح بإمكانه إلغاء منصب رئيس الوزراء الَّذِي يَتَوَلَّاه حالياً بن علي يلدرم، مع تعيين نائب أو أكثر له عِوَضاً عنه.

كما تسمح التعديلات الجديدة للرئيس التُّرْكِيّ بالتَّدَخُّل مباشرة في عمل القضاء؛ حيث يمكن للرئيس التُّرْكِيّ اختيار أربعة أعضاء في المجلس الأعلى للقضاة والمُدَّعِينَ، وهو المجلس القضائي المُهِمّ الَّذِي يَتَوَلَّى التعيينات والإقالات في السِّلْك القضائيّ، فيما يُعَيِّن البرلمان سبعة أعضاء.

1. "دستور تركيا الجديد"، تركيا بوست، 8 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/SrJhcU

كذلك تَنَصُّ التعديلات على إلغاء المحاكم العَسْكَرِيَّة، وَفَرْضِ حال الطوارئ حصراً عند حصول "انتفاضة ضِدَّ الوطن"، أو "أعمال عنف تُهَدِّد بانقسام الأُمَّة"، وحينها سيكون الرئيـــس صاحب قرار فَرْضِ حالة الطـــوارئ قبل عرضه على البرلمان الَّذِي يحقُّ له اختصارها أو تمديدها، أو رفعها عندما يرى ذلك مناسباً. (1)
ويمكنه أيضاً تحديد المُدَّة الأَوَّليَّة لحالة الطوارئ بِستَّة أشهر، ويستطيع البرلمان لاحقاً تمديدها بطلب من الرئيس لأربعة أشـــهر كُلّ مرة، وَوَفْقاً للتعديلات ســـيرتفع عدد أعضاء البرلمان من 550 إلى 600 عضواً، وسَيَتِمُّ خَفْض الحَدّ الأدنى لِسِنِّ النُّوَّاب من 25 إلى 18 سنة، كذلك سَـــيَتِمُّ أيضاً تنظيم انتخابات تشرِيعِيَّة مرة كُلّ خمس سنوات بدلاً من أربع سنوات، وبالتزامن مع الاستحقاق الرِّئَاسِيّ.
وسيحتفظ البرلمان بسلطة إقرار وتعديل وإلغاء القوانين والتشريعات. وستكون لدى البرلمان صلاحيَّات الإشراف على أعمال الرئيس، لكن الأخير سيحظى بسلطة إصدار المراســـيم الرِّئَاسِيَّة حول كُلّ المسائل المُتَعَلِّقَة بســـلطاته التنفيذيَّة، ولا يمكن بالمقابل للرئيس إصدار مراسيم في مسائلَ بتَّ بها القانونُ.
وإذا اتُّهِمَ الرئيس أو حامت حَوْلَه شُبُهاتٌ بارتكاب جريمة، فيجوز للبرلمان أن يطلب فتح تحقيق عـــلى أن يكون ذلك بغالبيَّة ثلاثة أخماس الأعضاء، كذلك يَنُصُّ التعديل على وجوب أن يكون الرئيس مواطناً تُركِيّاً في الـ40 من العمر على الأَقَلّ، ويجيز له الانتماء إلى حزب سِيَاسِيّ.
ويَنُصُّ مشروع الدُّسْتُور على تنظيم الانتخابات الرِّئَاسِيَّة والبرْلَمَانِيَّة المقبلة في وقتٍ واحد بالثالث من نوفمبر في عام 2019م. وسيشغل الرئيس ولاية من خمس سنوات، مع ولايتين كَحَدٍّ أقصى (2).

1. "ما هي أبرز التعديلات الدُّسْتُورِيَّة في تركيا؟"، صحيفة الحياة اللندنيَّة، 10 فبراير 2017م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/szgh0z
2. "ما هي أبرز التعديلات الدُّسْتُورِيَّة في تركيا؟"، المرجع السابق.

وركَّزت العديد من التَّحْلِيلات على الصلاحيَّات الواسعة الَّتِي حصل عليها رئيس الدَّوْلَة التُّركِيَّة مقارنةً بالدُّسْتُور السابق، والَّتِي يُعَدُّ أهَمُّهَا إصدار مراسيم تشريعِيَّة، بالإضافة إلى إلغاء منصب رئاســـة الوزراء ليمارس رئيس الجُمهورِيَّة السُّلْطَة التنفيذيَّة. وهو ما يجعلنا نبدأ قراءة تلك التعديـــلات بالنِّظَام الرِّئَاسِيّ، وهو النِّظَام الَّذِي دعا له كثير من الرؤساء الأتراك السابقين على رأسهم تورغوت أوزال، وسليمان دميرل، وآخرهم الرئيس التُّرْكِيّ السَّيِّد رجب طَيِّب أردوغان(1).

وفي الواقع تحمل تســـميات النُّظُم السِّيَاسِـــيَّة المعمول بهـــا في دول العالم المختلفة دلالات على المُؤَسَّسَة السِّيَاسِيَّة أو المنصب السِّيَاسِيّ الَّذِي يسمو على غيره من مُكَوِّنَات النِّظَام السِّـــيَاسِي؛ فالنِّظَام البَرْلَمَانِيّ يَدُلُّ على سُمُوّ البرلمان على غيره من مُكَوِّنَات النِّظَام السِّيَاسِي، وفي النِّظَام الرِّئَاسِيّ يسمو شخص الرئيس على غيره من المُكَوِّنَات، ويضْطَلِعُ بِمَهَامّ السُّلْطَة التنفيذيَّة، وهكذا في المُسمَّيَات الأخرى (2).

1. "تركيا: تحديد 9 أبريل المقبل كموعد للاســـتفتاء على التعديلات الدُّسْـــتُورِيَّة الجديدة"، تركيا بوست، 31 يناير 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ij7nvM
2. تَتَعَدَّدُ النُّظُم السِّيَاسِيَّة المَعْنِيَّة بالحُكْم وتوزيع السُّلُطَات في الدولة المعاصرة، ويبدو النِّظَامان؛ الرئاسي والبرلماني، عماد التصنيفات التطبيقيَّة لنُظُم الحُكْم في الدولة المعاصرة، إذ يوجد أنواع أخرى من النُّظُم السِّيَاسِيَّة التي تستقي من كلا النِّظَامين أســس ومرتكزات الحُكْم، وبشــكل عام يقوم النِّظَام الرئاسي على أساس الفصل بين السُّلطتين؛ التشريعيَّة والتنفيذيَّة، وعدم الجمع بينهما ومن ثم عدم إمكانيَّة تأثير إحداهما على الأخرى، الأمر الذي يؤدِّي إلى إحداث توازن بينهما بحكم الاستقلاليَّة والفصل وليس بحكم وسائل التأثير والتأثُّر المتبادل (كالنِّظَام البرلماني وسيأتي بيانه)، ويعتبر النِّظَام السِيَاسِيّ الأمْرِيكِيّ المثال التطبيقي المباشر للنظام الرئاسي بتطبيقاته الصارمة. أما النِّظَام البرلماني فهو يقوم على أســاس التوازن بين الســلطتين التشريعيَّة والتنفيذيَّة مع وجود ضوابط مُقَنَّنَة تَحْكُمُ علاقاتهما معاً، على قاعدة الفصل المَرِن أو النســبي بين الســلطتين بحيث تقوم علاقة مســاواة وتعاون بينهما تجعل النِّظَام السِيَاسِيّ يسير وفق آليات الرقابة والمســائلة المتبادلة، ويعتبر النِّظَام السِــيَاسِيّ البريطاني هو المثال التقليدي للنظم البرلمانيَّة حول العالم والتي استقت منه غالبية الدول التي تنتهج النِّظَام البرلماني تقاليد الحكم، لا سيما الدول التي كانت تقع تحت سيطرة الإمبراطوريَّة البريطانيَّة خلال المرحلة الاستعماريَّة. وليس هناك مجال لتفضيل أي من النِّظَامين على الآخر، فالأمر مُتَعَلِّقٌ بطبيعة الحُكْم في الدولة ونظامها السِيَاسِيّ ومُؤَسَّسَاتها الحاكمة، وكذلك السِّيَاق الجغرافيّ والتاريخيّ المنبثقة عنه، ومن ثَمَّ العلاقات بين الحاكم والشــعب والحاكم والمُؤَسَّســات، ونحو ذلك من مُحَدِّدَات، فهناك نُظُم تُطْلِق على نفسها مُسَمَّيّات الديمُقْرَاطِيَّة وهي نُظُم سُلْطَوِيَّة خالصة، فالعبرة بالتطبيق لا الاسم وجوهر الحكم لا مظهره. للمزيد يُنْظَر: كمال المنوفي، أصول النُّظُم السِّيَاسِيَّة المقارنة، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، 1990.

وفي الحالة التُركِيَة؛ فإنَّ التَّحَوُّل نحو النِّظَام الرِّئَاسِيّ ليس وليد الســاعة الحاضرة، ولكنه كان يَتَرَدَّد بين الحين والآخر على أَلْسِنَة قادة حزب العدالة والتَّنْمِيَة منذ إجراء التعديلات الدُّسْــتُورِيَّة الواسعة عام 2007م، وتَمَّ اتِّخَاذ خطوة في هذا الاتِّجَاه عبر تعديل الدُّسْتُور بنقل صلاحيَّات انتخاب رئيس الجُمهورِيَّة من البرلمان إلى الانتخاب المباشر مِن قِبل الشعب عبر صناديق الاقتراع.

والدُّسْتُور التُّرْكِيّ، قبل التعديل، كان يرتكز على النِّظَام البَرْلَمَانِيّ. والَّذِي جعَل من موقع رئيس الدَّوْلَة أقربَ ما يكون إلى المنصب الفخريّ، ويقتصر دوره على تكليف زعيم الحزب الفائز بالانتخابات بتشكيل الحكومة إلى جانب بعض الصلاحيَّات البروتوكوليَّة البسيطة الأخــرى، ولكن في الحالة التُّرْكِيَّة، قبل الانتقــال إلى النِّظَام الرِّئَاسِيّ، فإنَّ الأمر ليس كذلك مطلقاً؛ فالرئيس يَتَمَتَّعُ بصلاحيَّات واسعة في الشؤون الدَّاخِلِيَّة للبلاد من جهة، وله حَقُّ التَّدَخُّل السَّــلْبِيّ ضِدَّ قرارات البرلمان من جهة أخرى؛ فالرئيس لا يُصْدِرُ القوانين، ولكــن له الحَقّ في الاعتراض عليها وإلغائها، وهذه حالة فريدة غير موجودة في النُّظُم البَرْلَمَانِيَّــة الأخرى؛ الأمر الَّذِي يَعُوق عمــل البرلمان من جهة، وعمل الرئيس الشرعيّ المنتخَب من جهة أخرى، كما أنه قد يجعل هناك تنافساً واختلافاً في وجهات النظر بين الجانبين، الأمر الَّذِي قد يُؤَدِّي إلى الفوضى وتضارُب المصالح في بعض الأحيان.

ويرى الباحثون أن دستور 1982م(1) جعل من مُؤَسَّسَة الرئاسة مركزاً جديداً لحماية القِيَم العَلْمَانِيَّة الَّتِي تمْتَدّ إلى المؤسِّــس مصطفى كمال إلى جانب المُؤَسَّسَة العَسْكَرِيَّة

1. عقــب قيام الجيش الــتُّرْكِيّ بانقلاب العام 1980 بقيادة كنعان إفرين، أعلن الأخير تعليق العمل بالدســتور لحين إعداد دستور جديد للبلاد وهو ما تَمَّ بالفعل في العام 1982م، والذي تَمَّ فيه توسيع صلاحيَّات المجلس العســكري الأعلى، ليصبح سـلطة فوق الحكومات المُنْتَخَبَة ومراقِباً على أعمالها نقداً وإلغاءً بشكل تَامّ، وفقاً لقواعد العلمانيَّة الكماليَّة التي أُسِّسَتْ على دعائم تركيا الحديثة عقب إلغاء الخلافة العُثْمَانِيّة، ووفقاً لدستور 1982م تَدَخَّلَ الجيش لقلب الحكومات التي يرى فيها خطراً على قِيَم الجمهورية التُّرْكِيَّة وهذا ما حدث عام 1998م حيث انقلب الجيش، على حكومة حزب الرفاه "نجم الدِّين أربكان" بدعوى مساسها بالأسس العلمانِيَّة لتركيا. للمزيد يُنْظَر: دســتور 1982 "دســتور الانقلاب العســكري الساري في تركيا"، ترك برس، 15 ديسمبر 2015، تاريخ الزيارة: 28 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/REQRGX

والآلة الإِعْلاَمِيَّة؛ فالرئيس له علاقة مباشرة بالسُّلْطَة التشريعِيَّة، من خلال امتلاكه حَقّ الاعتراض على القوانين الَّتِي تصدر عن البرلمان التُّرْكِيّ، وردّها إليه للنظر فيها مَـرَّة أخرى، أيْ: أنَّ الرئيس لا ينخرط في العَمَلِيَّة السِّيَاسِيَّة بصورة مباشرة، مقابل تـرك الحُرِّيَّة للبرلمان والحكومة، وهو ما أدَّى للكثير من المشاكل خلال تلك الفترة البسيطة كان أبرزها اعتراض الرئيس أحمد نجدت سيزر(1) في عام 2005م على مشروع بقانون العقوبات من شأنه خَفْض العقوبات على تعليم مناهج غير مجازة للقرآن الكريم بِمُبَرِّر انتهاكه لعلمانيَّة البلاد(2).

كما أن للرئيس الحقَّ في إحالة القوانين إلى المحكمة الدُّسْتُورِيَّة للبتِّ فيها، كما أنَّ له علاقة مباشرة بالسُّلْطَة التنفيذيَّة؛ من خلال تعيين رئيس الوزراء، والمصادقة على تعيين الوزراء، والرئيس على صلة مباشرة بالمُؤَسَّسَة العَسْكَرِيَّة صاحبة النُّفُوذ الكبير في الحياة السِّيَاسِيَّة حتى عهد قريب عبر تَرَؤُّسِهِ مجلس الأمن القَوْمِيّ الَّذِي كانت تغلب على تشكيلته الصِّبْغَة العَسْكَرِيَّة، وهو ما قد يُؤَدِّي إلى مشاكل بين الجيش ومُؤَسَّسَة الرئاسة، وتداخل في الأعمال بينهما.

ومن هذا المنطلق جاء سعي حزب العدالة والتَّنْمِيَة لإجراء تعديلات جَوْهَرِيّة على الدُّسْتُور الحالي للتَّحَوُّلِ نحو النِّظَام الرِّئَاسِيّ الَّذِي يلغي موقع رئيس الحكومة،

1. أحمد نجدت سيزر (13 سبتمبر 1941م) ، سِيَاسِيّ تركي من أصول شركسيَّة رئيس الجمهوريَّة التُّرْكِيَّة الأسبق. تَخَرَّجَ من جامعة أنقرة كلية القانون في عام 1962م، وبدأ مسيرته كقاضي في أنقرة، ثم حصل على ماجستير في القانون المدني من كلية القانون في جامعة أنقرة في عام 1978م. وتَوَلَّى رئاسة تركيا في الفترة من 16 مايو 2000 إلى 28 أغسطس 2007م. للمزيد يُنْظَر : "نجدت سيزر".. الرئيس العاشر للجمهورية التُّرْكِيَّة ، تركيا بوست، 19 نوفمبر 2015، تاريخ الزيارة: 28 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/efxWBS
2. كان التعديل المُقْتَرَح يَقْضِي بتخفيض عقوبة السجن لمن يفتح أو يدير فصول القرآن من 3-6 سنوات لتصبح العقوبة من 3-12 شهراً، للمزيد يُنْظَر: "سيزر يعترض على تعديل قانون العقوبات التركي"، الجزيرة نت، 3 يونيو 2005، تاريخ الزيارة: 28 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DCrSe1

ويُرَكّز السُّلْطَة التنفيذيَّة بيَدِ الرئيس المنتخب بالاقتراع المباشر، وأبرز مثال على النُّظُم الرِّئَاسِيَّة في العالم النِّظَام الرِّئَاسِيّ في الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة[1].
ويتيح النِّظَام الرِّئَاسِيّ مرونةً كبيرة في التعامل مع القضايا والمستجدَّات؛ نظراً لسهولة الآلِيَّات المُتَّبَعَة في صنع القرار وسرعتها، كما أن هذا النِّظَام يتيح فرصة التخلُّص من حالة عدم الاستقرار السِّيَاسِيّ الَّتِي قد تَتَرَتَّبُ على عَدَم حَسْم أيٍّ من الأحزاب السِّيَاسِيَّة لنتائج الانتخابات بالأغلبيَّة المريحة لتشكيل الحكومة، مِمَّا يُدْخِلُ البلاد في دَوَّامَة الحكومات الائتلافيَّة غير المُسْتَقِرَّة، أو يدفعها إلى الانتخابات المُبَكِّرَة؛ كما حدَث مع تركيا في الانتخابات الأخيرة.

وبالعودة إلى تعديلات الدُّسْتُور نجد أنها ألغت موقع رئيس الحكومة المعمول به في النُّظُم البرَلْمَانِيَّة وشبه الرِّئَاسِيَّة، وأناط السُّلْطَة التنفيذيَّة بموجب المادة 104 منه بالكامل بشخص الرئيس الَّذِي بمقدوره اتِّخَاذ قرارات غير متعارضة مع الدُّسْتُور أو القوانين الَّتِي تسنُّها السُّلْطَة التشريعِيَّة، إلى جانب الحَقّ في تعيين الوزراء منفرداً دون الحاجة لأخذ ثقة البرلمان، كما منحت التعديلات الحَقّ للرئيس بإعلان حالة الطوارئ مُدَّة ستة شهور، وكذلك تمديدها دون الحاجة للرجوع للبرلمان عند حدوث خطرٍ يُهَدِّد البلاد؛ كحرب أو انقلاب عسكري.

1. تَأَسَّسَ النِّظَام الرئاسيّ في الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة بمقتضى الدستور الصادر عام 1787م، والذي أصبح نافذاً من كانون الثاني لعام 1789م، وفيه يكون الرئيس مُمَثِّلاً للشعب، غير منتمٍ للبرلمان (الكونجرس بمجلسيه؛ النواب والشيوخ)، وهو الذي يرسم خطوط السياسة العامَّة للحكومة، ويجمع بين يديه كافة الوظائف التنفيذيَّة بمعاونة عددٍ من الأجهزة التي تكون تحت إشرافه، إلى جانب عدد من السكرتارية "الوزراء"، ويخضع الرئيس وسكرتاريته للمساءلة أمام الكونجرس. وبموجب الدستور الأمْرِيكِيّ فإن الرئيس هو القائد الأعلى للقُوَّات المُسَلَّحَة، له سلطة إرسال قُوَّات إلى خارج البلاد واستخدام القُوَّة العَسْكَرِيَّة عند الضرورة، وإصدار الأمر باستخدام الأسلحة النَّوَوِيّة وغيرها من الصلاحيات الكبرى التي تجعل الرئيس هو محور النِّظَام الأمريكي. للمزيد يُنْظَر: النِّظَام الرئاسي الأمريكي"، الموسوعة السِّيَاسِيَّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 28 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/umU2b8

ولم تحدِّد التعديلات ســـقفاً لذلك بل تركته لتقدير الرئيس وفق رؤيته، ومن القضايا المُسْتَجَدَّة الَّتِي تناولها مشروع الدُّسْتُور الجديد في المادة 101: السماح للرئيس بزعامة حزبه السِّيَاسِيّ في الوقت الَّذِي يُجْبِرُ الدُّسْتُور الحالي رئيس الجُمهورِيَّة على التَّخَلِّي عـــن عضويَّة الأحزاب بصورة مطلقة، مـــادام في هذا المنصب وحتَّى مغادرته، ومن الملاحظات السَّـــلْبِيَّة على مشروع الدُّسْـــتُور الجديد أنه ينصُّ على عقد الانتخابات الرِّئَاسِيَّة والبَرْلَمَانِيَّة في اليوم ذاته، وهذا بنظر مُخْتَصِّينَ قد يُؤَدِّي إلى هيمنة الحزب الَّذِي ينتمي اليه الرئيس على البرلمان مما يخلُّ بالتوازن بين الحُكْم والمعارضة، ويجعل البرلمان أقرب إلى الديكوريَّة من الفَاعِلِيَّة.

ولخَلْقِ نَوْعٍ من التَّوَازُن بين الرئيس والبرلمان، ولإتاحة الفرصة أمام مُمَثِّلي الشـــعب لِلَعِبِ دَوْر فاعِل في النِّظَام السِّـــيَاسِيّ؛ فإنَّ التَّعديلات مَنَحَتَ البرلمان الحقَّ بإقرار انتخابات رئاســـيَّة وبرلمانيَّة مُبَكِّرَة شريطـــة موافقة 60% من أعضائه إلا أنَّه أعطى حَقّاً مماثلاً للرئيس في ذلك؛ إلا أنَّ مراقبين يَرَوْنَ أن المادة الَّتِي تنصُّ على ذلك في المشروع، وهي المادة الثانية عشرة تُمَكِّنُ الرئيس مِن تعطيل البرلمان، وتُمَكِّنُ البرلمان مِن تعطيل ذاته، وتعطيل دور الرئيس؛ بحسب هذه المادة المشار إليها.

ويُتِيحُ مشروع الدُّسْـــتُور المنظور أمام البرلمـــان لرئيس الجُمهورِيَّة تعيين عدد غير مُحَـــدَّد من نُوَّاب الرئيس، وهذا يمكّن الرئيس من اســـتقطاب شـــخصيَّات أو قُوًى سِيَاسِـــيَّة تتفق معه في البرامج والرؤى إلى جانبه عبر هذا المنصب. وتُعفي تعديلات الدُّسْـــتُور الرئيس من مُهِمَّة إطلاع البرلمان على سير البرامج والنشاطات السِّيَاسِيَّة والاقتِصَادِيَّة(1).

---

1. بكـــر محمـــد البدور، "قراءة في مشروع الدســـتور التُّركِيّ الجديد"، ترك بـــرس، 10 يناير 2017، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YMTY3a

في الختـــام لا يمكـــن الحُكْم على تجربة التَّعدِيلاَت الدُّسْــتُورِيَّة التُّركِيَّة من خلال الأوراق والأبحـــاث النقديَّة الَّتِي تَوَقَّعَتْ وَحَلَّلَــتْ الأحداثَ قبل وقوعها؛ إذ لا يمكن الحُكْم على تلك التجربة بالفشـــل والتَّحَوُّل للنظام السُّـــلْطَوِيّ، قبل أن يبدأ تنفيذها بالفعل، ولا يمكن أيضاً الحُكْم على التجربة بالنجاح، وتحقيق الأهداف الَّتِي ســـعى لها حزب العدالة والتَّنْمِيَة ومُؤَيِّدُوه، بمُجَرَّد الموافقة على التعديلات، خاصة وأن نسبة الموافقة طفيفة جداً.

ولكن كُلّ ما يمكن التَّأْكِيد عليه في هذا الإطار أن السِّـــيَاقَات المَحَلِّيَّة المُتَمَثِّلة في حالة الانقلاب الفاشل، وتزايد العمليَّات الإرهَابِيَّة في المدن التُّركِيَّة، بالإضافة إلى الظروف الإِقْلِيمِيَّة المُتَمَثِّلة في الأزمة السُّـــورِيَّة، وتَوَتُّـــر العلاقات مع الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ هيَّأت بشـــكل كبير من أجل إخراج تلك التعديلات إلى النور، كما أنها فرضت على النِّظَام التُّرْكِيّ مثل تلك التعديلات، الَّتِي رآها ضرورة من أجل إصلاح المسار، والعودة بالقطار التُّرْكِيّ إلى طريقة الصحيح.

كما يجب التنويه إلى أن تحليل نتائج الاســـتفتاء تمنح مُـــؤَشِّرَات قويَّة على حدوث تغييرات في الطبيعة السِّيَاسِيَّة التُّركِيَّة، فالأكراد انحازوا أخيراً لحزب العدالة والتَّنْمِيَة، وإسطنبول وأنقرة والمدن الكبرى تراجعت عن تأييدها المطلق للرئيس أردوغان، وحتى كوادر حزبه بدأت في مراجعة نفسها وأفكارها.

وأخيراً؛ فإنَّ قراءة المواد الـ18 المعدَّلة، أكَّدَتْ أنَّ النوايا الصادقة لدى القيادة التُّركِيَّة موجودة، ولكـــن يبقى كَيْفِيَّة تنفيذ تلك التعديلات؛ ليكون الحُكْم النهائي عليها مَحَلّ اعتبار، في مقابل التشـــكيك الكبير من قِبَل القُوَى الغَرْبِيَّة ونظرتها التَّوَجُّسِـــيَّة الَّتِي مفادها أن الفوز بِرهَانِ إصلاح الدُّسْـــتُور ســـوف يُمَكِّن الرئيس أردوغان من حيازة جميع الصلاحيَّات تقريباً؛ فمنصب رئيس الوزراء سوف يختفي، والرئيس سوف يكون

بوسعه إطلاق مرسوم حالة الطوارئ متى ارتأى ذلك، وله أن يمارس الحُكْم بواسطة مرسوم، ويُهَمِّش بذلك البرلمان.

الفصل الحادي عشر

رؤية تركيا ٢٠٢٣..

أردوغان على طريق الفاتح بعد انتخابات ٢٠١٨

- **مقدمة**
- **المبحث الأول: الانتخابات الرِّئَاسِيَّة والبرْلَمَانِيَّة المُبَكِّرَة.. معركة يونيو 2018**
  - مُحَفِّزَات تبكير الانتخابات والتحالف الصعب
  - أردوغان رئيساً.. العدالة والتَّنْمِيَة يفوز مجدداً
- **المبحث الثاني: الرؤية الاقتِصَادِيَّة.. إرادة الإنجاز وتوجُس الغرب**
  - المُخَطَّطات.. للأرقام دور ودلالات
    - » الزراعة في أفق 2023
    - » شبكة السكك الحديدية في أفق 2023
    - » الموانئ التُّركِيَّة في أفق 2023
    - » الطرق التُّركِيَّة في أفق 2023
    - » السِّيَاحَة التُّركِيَّة في أفق 2023
    - » المطارات التُّركِيَّة في أفق 2023
  - قناة إسطنبول
  - العقارات قاطرة دفع للاقتصاد التُّرْكِيّ
- **المبحـــث الثالث: الرؤية الاقتِصَادِيَّة في مواجهة صعوبـــات العجز التِّجَارِيّ والتَّضَخُّم**
  - مسارات الطَّاقَة وأهَمِّيَّة تركيا كنقطة عبور
  - الليرة التُّركِيَّة.. محطات الانخفاض والصعود

- **المبحث الرابع: السِّيَاسَة الخَارجِيَّة.. فنُّ الممكن وتجنُّب الألغام**
  - تركيا والاتِّحَاد الأُورُوبِيّ

- **المبحـــث الخامس: الرؤية الاجْتِمَاعِيَّة.. الرعايـــة الصحيَّة بشَراكة بنَّاءة بين الخاص والعام**
  - منظومة الرعاية الصحية

الفصل الحادي عشر

رؤية تركيا ٢٠٢٣..

أردوغان على طريق الفاتح بعد انتخابات ٢٠١٨

مقدمة

الرئيس أردوغان الَّذي لا يُخْفِي ارتباطَهُ بالإمْبَرَاطُورِيَّة العُثْمَانِيَّة السابقة، يُفْصِحُ عن نوعٍ من الحنين السِّـــيَاسِي، ويلامس وَتَرَ القَوْمِيَّة الحسَّاس عند جزءٍ كبير من المواطنـــين الأتراك، كما يُغَذِّي البحث في أمجاد الماضي عند جميع شرائح المجتمع التُّركِيّ اليوم.

ففي الآونة الأخيرة، وتحديداً في 25 أغسطس 2018، هنّأ الرئيس التُّرْكِيّ رجب طَيِّب أردوغان الشعب بمناسبة الذكرى السنوية الـ947 لمعركة "ملاذغيرت"(1) الَّتِي انتصر فيها السلاجقة الأتراك على الإمْبَرَاطُورِيَّة البيزنطيَّة عام 1071م (2).

وعلى الملصقـــات الَّتِي تُعْلِن عن فَعَالِيَّات الحـــدث العظيم، يمكننا أن نرى الرئيس رجب طَيِّب أردوغان، ويده مُمْسِـــكَة بقوس؛ وفي هذا يقول المؤرخ Edhem Eldem:

1. تُعتبر معركة "ملاذغيرت"، 1071م، من أهم معارك التاريخ الإسـلاميّ، وفيها تمكَّن السـلطان السلجوقيّ، ألب أرسـلان، مـن هزيمة جيش بيزنطـيّ جَرَّار بقيادة الإمبراطور البيزنطيّ رومانـوس ديجانوس، بعددٍ قليلٍ من الفُرْسَـان، وتمَكَّنَ أرسـلان من أَسْرِ الإمبراطور البيزنطيّ، ما فتَح الطريق أمام الأتراك للانتشـار في آسـيا الصغرى. للمزيد يُنْظَر: محمود ثروت أبو الفضل، "معركة ملاذ كرد .. يوم أَسَرَ المسلمون إمبراطور الرُّوم"، شبكة الألوكة، 11 مايو 2015م، تاريخ الزيارة: 29 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8HCMgm
2. أردوغان يهنئ الشعب التُّركِيّ بذكرى انتصار "ملاذغيرت"، تي آر تي العَرَبِيَّة، 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/w6ZGJg

إن الحكومة الحاليَّة تشير باســـتمرار إلى تواريخ الذكرى السنويَّة"، وتستثمر ما هو تَاريخِـــيّ مَلْحَمِيّ لإعطاء دفعة قويَّة ومُتَوَثِّبَة للحـــاضر، لدينا تاريخ 2023م الَّذِي سيوافق الذِّكْرَى المئويَّة لميلاد جُمهوريَّة تركيا(1). ولدينا تاريخ 2053م الَّذِي يشير إلى ستمائة سنة كاملة من يوم فتح القسطنطينيَّة (2)، وأخيراً، هناك تاريخ 2071م الَّذِي يحتفــل بألفيَّة معركة ملاذغيرت المذكورة. ولكن يبقى التســاؤل المُلِحُّ؛ عند البدء في تصريف المستقبل بالماضي، هل يُتَرْجِم ذلك وجود رؤية سديدة للمستقبل من عدمها؟ وتتصدَّر الأهداف الاقتِصَادِيَّة، كمُرْتَكَزٍ للطرح والتَّحْلِيل في هذا المبحث، أحلام القُوَّة والنُّفُوذ لتركيا في أُفُق 2023م، فيما يُشْبِه رأس حَرْبَة لدعم سلاح القُوَّة النَّاعِمَة المُبَشَّر بها منذ صعود العدالة والتَّنْمِيَة إلى سُــدَّة الحُكْم في أنقرة، ومعها نظيرتها الصَّلْبَة الَّتِي احتاج "العثمانيُّون الجُدُد" إلى مفعولها الرَّدْعيّ لمواجهة التَّحَدِّيَات المفروضة والمخاطر المُحْدِقَة، في جوار مشتعل بفعل المواجهة الضمنيَّة والعلنيَّة بين القُوَى الكبرى في السَّاحَة السُّورِيَّة وغيرها.

وبناءً عليه، فإنَّ أهداف حكومة العدالة والتَّنْمِيَة الَّتِي تتزامن ورمزيَّة الاحتفال بمئويَّة تأســيس الجُمهوريَّة التُّركِيَّة على النموذج "الكــماليّ"، تَتَلَخَّص في أربعة تَوَجُّهَات اقْتِصَادِيَّة رئيســة، ســبق وتطرَّق لها الرئيس رجب طَيِّب أردوغان من موقعه كرئيس للحكومة؛ تَتَمَثَّل في وُلُوج نادي العَشَرَة الكبار على مستوى الاقتصادات العَالَمِيَّة، رفع الناتج الدَّاخِلِيّ الخَام لتركيا إلى عَتَبَة 2000 مليار دولار سنوياً(3)، رفع الدخل القَوْمِيّ

1. في 29 أكتوبر من كل عام يحتفل الشعب التُّرْكِيّ بذكرى تأسيس الجمهوريَّة التُّرْكِيَّة ، التي أعلنها البرلمان عام 1923م، كنظام للدولة خَلَفاً للخلافة العُثْمَانِيّة الّتي استمَرَّتْ نحو 624 عاماً؛ حيث كان مصطفى كمال أتاتورك أول رئيس للجمهوريَّة التُّرْكِيَّة، وتبدأ الاحتفالات الوَطَنِيَّة من ظهر يوم 28 أكتوبر إلى مســاء اليوم التالي، في تركيا وجزيرة قبرص التُّرْكِيَّة. وسوف يوافق العام 2023 الذكرى المئوية لقيام الجمهوريَّة التُّرْكِيَّة. للمزيد يُنْظَر: "الجمهوريــة التُّرْكِيَّــة في عيدها الـ94"، دايلي صباح، 29 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 29 أغســطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9TtwrH
2. في مايو من كل عام تَحُلُّ الذكرى السنويَّة لفتح القسطنطينيَّة، المدينة التاريخيَّة التي فتحها السلطان العُثْمَانِيّ الأشــهر محمد الفاتح (محمد الثاني)، عام 1453م، بعد أن كانت عاصمة الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة. للمزيد من التفصيل يُنْظَر: محمد فريد، تاريخ الدولة العليَّة العُثْمَانِيّة، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1983م.
3. يلدريم: نهدف لرفع الناتج الإجمالي إلى 2 تريليون دولار بحلول 2023"، وكالة الأناضول للأنباء، 6 مايو 2017، تاريخ الزيارة: 29 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/PzorYN

الفرديّ إلى أكثر من 20 ألف دولار سنوياً[1]، وإيصال حجم الصادرات التُّركِيَّة إلى 500 مليار دولار سنوياً[2].

في هذا الصدد دائماً، تَتَعَدَّد الشـــهادات وزوايا رؤيـــة 2023م[3]التُّركِيَّة، فالمنظِّر والسِّيَاسِيّ أحمد داود أوغلو (صاحب كتاب " العُمْق الاسْتِرَاتِيجِيّ.. موقع تركيا ودورها في السَّاحَة الدَّوْلِيَّة" 2010م) يقول: "هَدَفُنَا أن نجعل من تركيا مع حلول عام 2023م قُوَّة عَالَمِيَّة، ونحن مصمِّمون أن نحوِّل تركيا الَّتِي استلمناها عام 2002م، وهي على شفا الهاويَّة، إلى دولة قويَّة تصنع دبَّابَاتها، وطائراتها، وسُفنها الحربيَّة، وتمتلك تقنيَّة صواريخ مُتَطَوِّرة".[4]

أما نائب رئيس حزب العدالة والتَّنْمِيَة، سليمان صويلو [5]، فيشير إلى أهَمِّيَّة دور تركيا في المنطقة والعالم، ومُتَوَقِّعاً في الآن نفســـه، بتتويج "تركيا العالم" في عام 2023م، "وستكون قُوَّة عَالَمِيَّة، وسَتَكْبُرُ في عام 2071م لتصبح دولةً شاملةً على صعيد العالم أجمع"[6].

---

1. نصيب الفرد من إجمالي الدخل القومي (بالأسعار الثابتة للعملة المحليَّة)، مُؤَشِّرَات البنك الدَّوْلِيّ، مرجع سابق، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8EoVsJ
2. "وزير تركي: هدفنا رفع الصادرات إلى 500 مليار دولار بحلول 2023"، دايلي صباح، 9 ديسمبر 2017م، تاريخ الزيارة: 29 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ePVrXX
3. إعلان يتكون من 66 مادة تشمل مختلف المجالات، ألقاه السَّيِّد رجب طيِّب أردوغان زعيم حزب العدالة والتَّنْمِيَة السابق بشكلٍ مُفَصَّل خلال الاجتماع الرابع لحزب العدالة والتَّنْمِيَة، المنعقد بتاريخ 23 يناير 2011م.
4. أردوغـــان يهدف لتحويل تركيا إلى مركز رئيسيّ لصناعة السِّـــلاح، موقـــع "reuters" العربية، 27 مايو 2015م، تاريخ الزيارة 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/nj7PVf .
5. وُلِدَ ســـليمان صويلو عام 1969م في إســـطنبول، وَتَخَرَّجَ من كُلِّيَّة إدارة الأعمال بجامعة إسطنبول، وفي عام 1987م بدأ صويلو حياته السِّيَاســـيَّة بتولِّيه الأجنحة الشـــبابيَّة لحزب الطريق القويم. وفي الفترة بين عامي 1987 و1990م نال صويلو عضويَّة مجلس إدارة الأجنحة الشَّبابيَّة لحزب الطريق القويم في أسطنبول، وشَغَلَ منصب رئاسة التنظيم. انْضَـــمَّ إلى حـــزب العدالة والتَّنْمِيَة عام 2012م، وتَمَّ تعيِّينُهُ وزيـــراً للعمل والضمان الاجْتِمَاعِيّ في الحكومة الرابعة والسِّتِّين. وفي العام 2016م تَوَلَّى منصب وزير الداخلية في الحكومة التُّرْكِيَّة . للمزيد يُنْظَر: من هو سليمان صويلو وزير الداخلية الجديد؟، جريدة الزمان التُّرْكِيَّة ، 1 سبتمبر 2016، على الرابط التالي: cutt.us/uVpvZ
6. "تركيا قُوَّة عالميَّة في عام 2023"، ترك برس، 9 فبراير 2015م، تاريخ الزيارة: 29 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/MgcFZU

في حين يرى نائب رئيس الوزراء التُّرْكِيّ السابق "علي باباجان" [1] أن تركيا تمضي قُدُمـــاً وتقترب من تحقيق أهدافها لعـــام 2023م؛ كونها حقَّقت إنجازات كبيرة على الصعيد الاقْتِصَادِيّ منذ عام 2002م، إلى حدود اليوم. وأنها اســـتطاعت أن تَصْمُدَ أمام الأزمات الاقتِصَادِيَّة الَّتِي واجهت الاقتصاد العَالَمِيّ على مدار السنوات الماضية. كما أَكَّدَ عزم تركيا على المُضِيّ قُدُماً في تحقيق أهدافها الاقتِصَادِيَّة لعام 2023م، وأن تركيا قد اقتربت من تحقيق تلك الأهداف"[2].

ورغم المخاطر الإِقْلِيمِيَّـــة والعَالَمِيَّة، الَّتِي تَحُدُّ من إِمْكَانِيَّات نجاح رؤية 2023م، بل وتحاصر تطبيقاتها الواعدة بشَـــتَّى العوائق والمآزق، يُمَثِّل نجاح النموذج التُّرْكِيّ في صيغـــة "القُوَّة النَّاعِمَة" ارتقاءً سريعاً في الاقتصاد والسِّيَاسَـــة والثقافة، وعلى رأس ذلك الممارســـة الديمُقْرَاطِيَّة -رَغْمَ مخاطر الانقلابات- والحدّ من نفوذ العســـكر والحرس العلمانيّ القديم المتحَجِّر. ثُـــمَّ المصالحة مع الذات والانفتاح على المحيط. وأيضاً التوفيق بين المذهبيَّات والقوميَّات، وأخيراً دعم الرَّأْسْـــمَالِيَّة الوَطَنِيَّة في بلدٍ يمتلك إمكانات هائلة، كانت موقوفة لعشرات السنين.

فهل ســـيتحَقَّقَ حلـــم الرئيس أردوغان، بعـــد 562 عاماً من دخـــول محمد الفاتح القسطنطينيَّة، ويُكَرِّس أمجاد سلطنة عثمانيَّة جديدة، تَتَخَطَّى رمزيّتها التَّارِيخِيَّة إلى

1. علي باباجان (9 أكتوبر 1967م) ، وزير الاقتصاد التُّرْكِيّ الســـابق. وقبل أن يتَوَلَّى وزارة الاقتصاد كان وزيراً للخَارِجِيَّة وذلك من 29 أغســـطس 2007م وذلك بعد إعادة انتخاب السَّـــيِّد الرئيس رجب طَيِّب أردوغان رئيســـاً للـــوزراء، وَظَـــلَّ وزيراً للخَارِجِيَّة حتـــى 1 مايو 2009م، وكان أحد المفاوضين في ملـــف انضمام تركيا للاتِّحَاد الأوروبي. وقبلها كان وزيراً للشـــؤون الاقْتِصَادِيّة، وذلك منذ تَسَـــلُّم حزب العدالة والتَّنْمِيَة للحُكْمِ في نوفمبر 2002م. للمزيد يُنْظَر: "الوزير التُّرْكِيّ علي باباجان"، أدويت، د. ت، تاريخ الزيارة: 29 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/e1Ue1x
2. محمود رأفت، "رؤية تركيا 2023.. أردوغان على طريق الفاتح"، صحيفة المقال الإلكترونيَّة، 13 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 13 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/GXizDs

فتوحات اقْتِصَادِيَّة وثَقَافِيَّة وسِيَاسِيَّة، يصل مداها الجهات الأربع للعالم؟ لا سِيَّمَا أن رصيدها من الشَّعْبِيَّة والتأيِّيد ارتفع في عيون المسلمين والعرب؛ حيث باتوا يَرَوْنَ في تركيا نموذج الدَّوْلَة الَّتِي عَرَفَتْ كيف تؤسِّس لقُوَّة ناعمةٍ إِيجَابِيَّةٍ (إضافة إلى القُوَّة الصَّلْبَة)، بناءً على مصادر وفواعل ذاتيَّة مُحَدَّدَة وفي ظرفٍ قياسيٍّ.

وكيف تستثمر جَيِّداً في علاقتها بالعالم الإِسْلاَمِيّ العربي، الَّذِي ترتبط به ارتباطاً وثيقاً من الناحية التَّارِيخِيَّة والحَضَارِيَّة؛ حيث شَكَّل العرب جزءاً أَسَاسِيّاً من التراث العثماني. رغم أن الغرب يَتَوَجَّسُ كثيراً من خطط أردوغان في هذا الاتِّجَاه، وخصوصاً مسألة إغلاق قوس "الكَمَالِيَّة" العَلْمَانِيَّة الاستثنائي في تاريخ تركيا، في سبيل استعادة أمجاد السلطنة العُثْمَانِيَّة وعبر حزب إسلامي، ولو في شكل مختلف.

المبحث الأول

الانتخابات الرِّئَاسِيَّة والبرَلْمَانِيَّة المُبَكِّرَة.. معركة يونيو ٢٠١٨

بشكل مفاجئ، وقبل موعدها بنحو عام ونصف العام، قرَّر الرئيس التركيّ، رجب طيِّب أردوغان، في 18 أبريل 2018م، تنظيم انتخابات رئاسيَّة وتشريعيَّة مُبَكِّرَة، معاً، في 24 يونيو 2018م، وذلك بعد أن كانت تلك الانتخابات مُقَرَّراً لها أن تُجرى في 3 نوفمبر 2019م، على أن تسبقها الانتخابات البلديَّة في مارس من العام ذاته.

وَوَفْقاً لتصريحات الرئيس أردوغان بهذا الشأن، فإن تبكير موعد الانتخابات جاء لحاجته لاتِّخَاذ قرارات اقْتِصَادِيَّة مُهِمَّة، إضافةً إلى السياقات الإقْلِيمِيَّة الحسَّاسَة الَّتِي تَمُرّ بها البلاد، لا سِيَّمَا على صعيد تَطَوُّرَات الأوضاع في سوريا والعراق(1).
حيث ترجع أهَمِّيَّة تلك الانتخابات، وَفْقاً لمُحَلِّلِينَ، بالنظر إلى كونها حاسمة في تاريخ تركيا الحديث، وذلك بعد تَحَوُّل البلاد إلى النِّظَام الرِّئَاسِيّ، على إثْر الاستفتاء على التعديلات الدُّسْتُورِيَّة الَّذِي شَهِدَتْهُ تركيا في أبريل 2017م، الأمر الَّذِي من شأنه أن يتيح للرئيس أردوغان، نظرياً، البقاء في مقعد الرئاسة لولايتين أخريَيْن، مُدَّة كُلّ منهما 5 سنوات، وذلك بعد بقائه في السُّلْطَة لأكثر من 15 عاماً كرئيس للحكومة أولاً، ثم كرئيس للبلاد ثانياً لمدة 4 سنوات.

---

1. "بعد إعلان أردوغان.. تركيا مقبلة على انتخابات رئاسية وبرلمانية مبكرة"، دويتش فيله، 18 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/U43bBX

مُحَفِّزَات تبكير الانتخابات والتحالف الصعب

ثمَّة مُحَفِّزَات عِدَّة عجَّلت من موعد الانتخابات الرِّئَاسِيَّة والتشريعِيَّة في تركيا عن موعدها المقرَّر سلفاً بنحو عام ونصف العام، لَعَلَّ أَهَمَّهَا حاجة البلاد لدرجة عالية من الاستقرار الَّذِي يكفله تطبيق النِّظَام الرِّئَاسِيّ الَّذِي نجم عن الاستحقاق الدُّسْتُورِيّ في أبريل 2017م، وذلك لتمكين القيادة السِّيَاسِيَّة من اتِّخَاذ قرارات سِيَاسِيَّة واقْتِصَادِيَّة بالغة الأَهَمِّيَّة، بما يُجَنِّب البلاد الكثير من المخاطر الدَّاخِلِيَّة والخَارجِيَّة على حَدّ سواء. وقد مثَّل الدافع الاقْتِصَادِيّ حافزاً لتَوَجُّهِ الرئيس أردوغان والحزب الحاكم في تركيا إلى تبكير موعد الانتخابات، فلطالما كان الاقتصاد هو القاطرة الَّتِي استَقَرَّ عليها حُكْم العدالة والتَّنْمِيَة في البلاد منذ مطلع الأَلْفِيَّة الثالثة، من ثَمَّ فإنَّ أيّ اهتزازات أو استهدافات مفاجئة لاقتصاد البلاد حتى يحين الموعد الرَّسْمِيّ للانتخابات في 2019م من شأنها أن تَمَسَّ بالشَّعْبِيَّة الَّتِي يَتَمَتَّعُ بها الرئيس أردوغان وحزبه بين جماهير الأتراك، الأمر الَّذِي قد يُؤَثِّر على نتائج الانتخابات الرِّئَاسِيَّة والتشريعِيَّة الأُولَى بعد تحوُّل البلاد إلى النِّظَام الرِّئَاسِيّ.

كما جاء تبكير موعد الانتخابات استثماراً لنجاح حزب العدالة والتَّنْمِيَة في تمرير التعديلات الدُّسْتُورِيَّة الَّتِي نقلت البلاد من النِّظَام البَرْلَمَانِيّ، الأَقَلّ استقراراً على الصعيد النَّظَرِيّ بشكل عام، إلى النِّظَام الرِّئَاسِيّ، الأكثر استقراراً، بما يتناسب مع التَّحَدِّيَات الجسيمة الَّتِي تحيط بالدَّوْلَة التُّرْكِيَّة، في الداخل والخارج. كما مثَّل تبكير الانتخابات في تركيا استثماراً جَيِّداً من قِبَل الرئيس أردوغان لاستثمار النجاحات العَسْكَرِيَّة الَّتِي حققتها تركيا في معركة غُصْن الزيتون(1) في عِفْرين(2)بسوريا، بما يَحُدُّ من خطورة التنظيمات التُّرْكِيَّة المُسَلَّحَة الَّتِي تَعْتَبِرُهَا أنقرة خطراً بالغاً على أمنها القومي.

---

1. عمليَّة عَسْكَرِيَّة يقودها الجيش التُّرْكِيّ بمشاركة الجيش السوريّ الحُرّ ضِدَّ وحدات حماية الشعب الكرديَّة بمدينة عِفْرين السُّورِيَّة الحدوديَّة. انطلقت رسميّاً في 20 يناير 2018م، بإعلان الرئيس التُّرْكِيّ رجب طَيِّب أردوغان الذي أَكَّدَ أيضاً وقتها أنَّ العمليَّة ستتَوَسَّع لتشمل مدينة منبج، وستستمِرُّ حتى الحدود العراقيَّة، بهدف طرد وحدات حماية الشعب الكرديَّة من تلك المناطق، وتحصين الأمن القومي التركي. للمزيد يُنْظَر: "غصن الزيتون".. معركة لاستعادة عفرين، الجزيرة نت، 22 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/qw48ri
2. مدينة سوريَّة تقع ضِمْنَ محافظة حلب، تقع على ضَفَّتَيْ نهر عفرين في أقصى شمال غربي سوريا، تَحُدُّهَا مدينة إعزاز شرقاً، ومدينة حلب جنوباً، ومحافظة إدلب من الجنوب الغربي، والحدود التُّرْكِيَّة من جهة الغرب والشمال. على الصعيد الجغرافي، تُعْتَبَر عِفْرين منطقة جبليَّة، تَبْلُغ مساحتها نحو 3850 كيلومتراً مربَّعاً، نحو 2% من مساحة سوريا، كما يبلغ عدد سُكَّانها نحو 523،258 نسمة، وفقاً للإحصاءات الرسميَّة السُّورِيَّة لعام 2012م. للمزيد يُنْظَر: لمحة عن منطقة عِفْرين السُّورِيَّة التي تَتَعَرَّض لغارات تركيَّة"، بي بي سي عربي، 20 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/PFz8aR

وعلى الصعيد الدَّاخِلِيّ، رأى مُحَلِّلُونَ أنَّ قرار تبكير الانتخابات الرِّئَاسِيَّة والتشرِيعِيَّة في تركيا جاء بمثابة ضربة ذكيَّة من الرئيس أردوغان لأيِّ نجاحات محتملة للمعارضة التُّركِيَّة، وخَاصَّة حزب الشـــعب الجمهوريّ، الَّذِي جاء القرار بمثابة صَدْمَةٍ لجهوده الرامية إلى إزاحة الرئيس أردوغان، وحزبه من واجهة السِّيَاسَة التُّركِيَّة في الانتخابات، بالنظـــر إلى ضيّق الوقت بين إعـــلان الرئيس أردوغان، والموعد الَّذِي حدَّده لإجراء الانتخابات المُبَكِّرَة؛ الرِّئَاسِيَّة والتشرِيعِيَّة.

وعملياً فقد قلَّص قرار تبكير الانتخابات من فُرَص المعارضة التُّركِيَّة لتوحيد صفوفها أمام الرئيس أردوغان، والقُدْرَة على المناورة السِّيَاسِـــيَّة، واختيار مُرَشَّح تَوَافُقِيّ قَوِيّ تَتَّفِق عليه كافَّة الأحزاب والقُوَى السِّيَاسِـــيَّة المُعَارِضَة لمُنَافَسَةِ الرئيس أردوغان الَّذِي دائماً ما يدعمه الشَّعْب في أيّ استحقاقات تصويتيَّة طوال السنوات الماضية.(1)

وقد نجح الرئيس أردوغان في إقامة تحالف قَوِيّ مع زعيم المعارضة دولت بهتشـــلي، زعيم حزب الحركة القَوْمِيَّة المعارض، الَّذِي أعلن دعمه للرئيس أردوغان في الانتخابات الرِّئَاسِيَّة، وإقامة تحالف انتخابي(2) بين حزبه وحزب العدالة والتَّنْمِيَة في الانتخابات التشرِيعِيَّة، بما يصبُّ في مصلحة تركيا، واستقرارها من ناحية، ومصلحة حزب الحركة القَوْمِيَّة بتحالفه مع شريك انتخـــابي قويّ لا يخسر عادةً في الفَعَالِيَّات التصويتيَّة،

1. منذ صعوده بحزب العدالة والتَّنْمِيَة إلى سُـدَّة الحُكْم في 2002م وعلى مدى 16 عاماً، نجح الرئيس رجب طيِّب أردوغان في كَسْـب ثِقَة الناخبين الأتراك في كافَّة الاستحقاقات التصويتيَّة التي شهدتها البلاد خلال تلك الفترة، ولعل أبرز تلك الجولات التصويتيَّة، قبل انتخابات الرئاسة لعام 2018م، الانتخابات الرِّئَاسِيَّة 2014م، التي فاز فيها الرئيس أردوغان بمنصب رئيس الجمهوريَّة بعد سنوات طويلة قضاها في رئاسة الوزراء، بنحو 53.2% من أصوات الناخبين، للمزيد يُنْظَر: الرابط التالي: https://goo.gl/Wou9Pn.
وكذلك الاســتفتاء الدســتوريّ لعام 2017م، الَّذي نقل البلاد إلى النِّظَام الرئاسيّ بعد عقود من النِّظَام البرلمانيّ، والذي اعتبره البعض استفتاءً على شخص الرئيس أردوغان نفسه؛ حيث صَوَّتَ أكثر من 51% من الأتراك بـ"نعم" لصالح التَّعْدِيلَات الدُّسْتُورِيَّة، للمزيد يُنْظَر الرابط التالي: https://goo.gl/Gzrxyc.
2. في 20 فبراير 2018م، وبعد اجتماع بين الجانبين أعلن الرئيس التُّركِيّ ورئيس حزب العدالة والتَّنْمِيَة رجب طَيِّب أردوغان ورئيس حزب الحركة القومية دولت بهتشـلي عن تشـكيل "تحالف الشـعب" لخوض الانتخابات الرِّئَاسِـيَّة، وكانت بوادر ذلك التحالف قد لاحت بعد أن أعلن بهتشـلي أن حزبه لن يسـمي مُرَشَّـحاً للانتخابات الرِّئَاسِـيَّة لعام 2019، والتي تَمَّ تبكيرها بعد ذلك لتجري في 2018م، وأنه سوف يدعم إعادة انتخاب الرئيس أردوغان في تلك الانتخابات. للمزيد يُنْظَر: أردوغان وبهتشلي يدشنان "تحالف الشعب" لخوض الانتخابات الرِّئَاسِيَّة المقبلة، دايلي صباح، 20 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/14BbF5

إضافـــةً إلى قطع الطريق أمام الحزب الجديد المنشـــقّ عن الحركة القَوْمِيَّة، بقيادة ميرال أكشـــينار(1)، الَّتِي اختلفت مع زعيم الحركة القَوْمِيَّة الَّذِي تحالف مع الرئيس أردوغان.(2)

إذن، فقـــد جاء الإعلان عن تحالف العدالـــة والتَّنْمِيَة وحزب الحركة القَوْمِيَّة، مفيداً لطرفيه، فالحركة القَوْمِيَّة بتحالفه مع العدالة والتَّنْمِيَة يحافظ على وجوده، ويستعيد قُوَّتَـــه الَّتِي تَضَرَّرَتْ كثيراً بفِعْلِ الانشـــقاقات الدَّاخِلِيَّة، كما يحمله هذا التحالف إلى الحُكْم مقاعد الحكم، بدعمٍ من حزب العدالة والتَّنْمِيَة، بعد ســـنوات طويلة قضاها في صفوف المعارضة، في حين أنّ حزب العدالة والتَّنْمِيَة من خلال تحالفه مع حزب الحركة القَوْمِيَّة يحافظ على حظوظه الانتخابِيَّة من خلال كسب أصوات جانب كبير من ذوي التَوَجُّهَات القَوْمِيَّة(3).

أردوغان رئيساً.. العدالة والتَّنْمِيَة يفوز مجدداً

أســـفرت الانتخابات الرِّئَاسِـــيَّة والتشريعيَّة المُبَكِّرَة في تركيـــا، الَّتِي جرت في يونيو 2018م، عن فوز الرئيس أردوغان من الجولة الأَوَّلى، وبدون حاجة إلى جولة إعادة، بحصوله على 52،59% من أصوات الناخبين(4)، فيما حاز الائتلاف الَّذِي يقوده حزب

1. سِيَاسِـــيَّة تُرْكِيَّة مخضرمة وُلِدَتْ في عام 1956 لأبوين مهاجرين من ســـالونيك باليونان، تحمل شهادة الدكتوراه في التاريـــخ، فـــازت بمقعد في البرلمان عام 1994 عـــن حزب الطريق الصحيح. ثم تَوَلَّتْ منصب وزيرة الداخليَّة في حكومة نجم الدين أربكان عام 1996، كما شاركت في تأسيس حزب العدالة والتَّنْمِيَة الحاكم، إلا أنها تركته بدعوى أنه امتداد لحزب الرفاه الاسلامي، ثم انْضَمَّتْ لاحقاً إلى حزب الحركة القوميَّة، ثم طردت منه في العام 2016، لمعارضتها نهج زعيم الحزب الذي اعتبرته تأييداً للرئيس أردوغان. للمزيد يُنْظَر: ميرال أكشـــينار: "المرأة الحديدية" التي تَتَحَدَّى أردوغان، بي بي سي، 26 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 30 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Fk8onL
2. أحمد علي حسن، انتخابات تركيا المُبكّرة.. "ضربة ذكيَّة" تُعبِّد طريق أردوغان الرئاسي، الخليج أونلاين، 18 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QjnUjK
3. محمـــود ســـمير الرنتيسي، "تركيا: مـــن الرابح من التحالف العدالة والتَّنْمِيَـــة أم الحركة القومية؟"، نون بوست، 13 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KhfmD7
4. "إنفوجرافيـــك: تطابـــق النتائج النهائيَّـــة للانتخابات التُّرْكِيَّة مع ما نَشَرَتْـــهُ الأناضول"، وكالة الأناضول للأنباء، 5 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/uyP1YZ

العدالة والتَّنْمِيَة على نسبة 53،66% من الأصوات المشاركة في استحقاق الانتخابات التشريعيَّة(1).

أما المُعَارَضَة، فقد اكتَفَتْ بالوَصَافَة(2)؛ حيث حصل منافس أردوغان الرئيس، القياديّ الاشتراكيّ الديمقراطيّ، مُحَرَّم إنجيه(3)، على نحو 30.64% من أصوات الناخبين في الانتخابات الرِّئَاسِيَّة(4)، في حين حصلت المُعَارَضَة على نحو 34% من جملة الأصوات المُشَارِكَة في الانتخابات التشريعيَّة(5).

وهكذا، فقد حصل الرئيس أردوغان بهـــذه النتيجة وبهذا الفوز الانتخابيّ العريض على تفويض سِيَاسِيّ من الشعب التُّرْكِيّ، ليقود أكبر تحوُّل في تاريخ البلاد منذ قيام الجُمهوريَّة التُّرْكِيَّة على يد مصطفى كمال أتاتورك، ليصبح نظام الحُكْم رئاســيّاً بعد أن ظَلَّ برلمانيّاً لعقود طويلة خَلَتْ؛ حيث جدَّد الناخبون الأتراك ثِقَتهم مَرَّة أخرى في الرئيس أردوغان وحزب العدالة والتَّنْمِيَة، ليســتمِرَّ الرئيس أردوغان في سُدَّة الحُكْم لخمس سنوات أخرى، بعد أكثر من 16 عاماً على بلوغه مقاعد السُّلْطَة، كرئيس للوزراء أولاً، ثم رئيساً للجُمهورِيَّة(6).

---

1. "إنفوجرافيــك: تطابــق النتائج النهائية للانتخابــات التُّرْكِيَّة مع ما نَشَرَتْهُ الأناضــول"، وكالة الأناضول للأنباء، المرجع السابق.
2. الوصيف جمع وُصَفَاء وَوَصَائِف: وهو الشخص المُقَرَّب لدى الآخرين، ووصيف الأمير: تابع له. والمقصود بالوصافة في العصر الحديث هو صاحب المركز الثاني في مختلف المنافسات. للمزيد ينظر: موقع "معاجم"، تاريخ الزيارة 18 أكتوبر 2018م، للمزيد يمكن الاطلاع على الرابط التالي: https://goo.gl/vvvVEN.
3. سِيَاسِيّ تُرْكِيّ مُخَضْرَم من مواليد 4 مايو 1964م، انتُخِبَ نائباً بالبرلمان التُّرْكِيّ عِدَّة مَرَّات مُمَثِّلاً لحزب الشعب الجمهوريّ المُعَارِض، عن محافظة يالوفا، شَــغَلَ منصب نائب رئيس الحزب، كما ســبق له التَّرَشُّح لرئاسة الحزب الشــعب في عام 2014م، ضد رئيســه الحالي كمال قليجدار أوغلو، وفي 4 مايو 2018م ، تَمَّ إعلان إنجيه رســميّاً كمُرَشَّــح رئــاسيّ لحزب الشــعب الجمهوريّ في الانتخابات الرِّئَاسِــيَّة لعام 2018م. للمزيــد يُنْظَر: خليفة كمال أتاتورك.. من هو منافس أردوغان الأقوى في الانتخابات؟"، صحيفة الدستور المصريَّة، 24 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Ss1FFp
4. "إنفوجرافيــك: تطابــق النتائج النهائية للانتخابــات التُّرْكِيَّة مع ما نَشَرَتْهُ الأناضــول"، وكالة الأناضول للأنباء، مرجع سابق.
5. المرجع السابق.
6. "تركيــا: ماذا بعد فوز أردوغان بولاية رئاســيَّة جديــدة؟"، بي بي سي عربي، 24 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/rP1KEz

ويبقى الرئيس أردوغان هو الفائز الأكبر في الانتخابات، فهو كشخص وكقائد سِيَاسِيّ محنَّك، استمَرَّ في نجاحاته التصويتيَّة للمَرَّة الثالثة عشر منذ العام 2002م، ما بين انتخابات برلمانيَّة وأخرى مَحَلِّيَّة، واستفتاءات شَعْبِيَّة، وأخيراً انتخابات رئاسيَّة، وهي الَّتِي حسمها في يونيو 2018م من الجولة الأُوَّلى، وذلك على الرَّغْم من حساسيّتها الكبيرة، وشِدَّة الأجواء التَّنَافُسِيَّة فيها، وعدد المُرَشَّحِينَ الكبير الَّذِي وصل إلى سِتَّة من كبار السِّيَاسِيين الأتراك، ليصبح الرئيس أردوغان أول رئيس تركي منتخَب، وَفْقاً للنظام الرِّئَاسِيّ الجديد الَّذِي أقرَّه الدُّسْتُور بتعديلاته الأخيرة في أبريل 2017م.
ومع تلك الأجواء الاحتفاليَّة الَّتِي سادت البلاد إِثْرَ فوز الرئيس أردوغان وحزب العدالة والتَّنْمِيَة، تبقى استحقاقات ما بعد هذه الفوز العريض قائمة بِشِدَّة، لا سِيَّمَا على صعيد مِلَفَّات كبرى حسَّاسَة تشغل بال المُوَاطِن التُّرْكِيّ والحكومة والرئاسة على حَدّ سواء، وفي مُقَدِّمتها؛ الملف الاقتِصَادِيّ، ملف السِّيَاسَة الخَارجِيَّة، وأخيراً الملف الأَمْنِيّ المتعلق بمحاربة الإرهاب.

فالاقتصاد الَّذِي دائماً ما كان قاطرة فوز العدالة والتَّنْمِيَة في الانتخابات التُّركِيَّة لسنوات سيكون بحاجة كبيرة إلى إجراءات وسياسات واسْتِرَاتِيجِيَّات جديدة لإنعاش الاقتصاد التُّرْكِيّ، ونقله إلى مصافّ القُوَى الكبرى، وَفْقاً لرؤية 2023 الَّتِي تُمَثِّل حُلْم الأتراك وأمل حكومة العدالة والتَّنْمِيَة الَّتِي تعمل على إنجازه منذ سنوات.

أما السِّيَاسَة الخَارجِيَّة التُّركِيَّة، وخَاصَّة ما يَتَعَلَّق بالصِّرَاعات الإِقْلِيمِيَّة، لا سِيَّمَا في سوريا والعراق؛ فإنها ستكون بِصَدَد خُطُوات واسْتِرَاتِيجِيَّات مُبَادِرَة لِحَلْحَلَة تلك الأزمات الَّتِي تُلْقِي بظلالها على الدَّوْلَة التُّركِيَّة، على كافَّة الأصعدة، مع الإقرار بأن حالة الاستقرار الَّتِي من المُتَوَقَّع أن تُخَلِّفَهَا إنجاز تركيا لِتَحَوُّلِهَا السِّيَاسِيّ إلى النِّظَام الرِّئَاسِيّ من شأنها أن تُحرِّر الرئيس أردوغان وحكومته من كثيرٍ من القيود الَّتِي طالما مَثَّلَتْها استحقاقات النِّظَام البَرْلَمَانِيّ لسنواتٍ خَلَتْ.

في حــــين تبقى مكافحـــة الإرهاب الضِّلْع الأكثر إلحاحـــاً في مُثَلَّث المِلَّفَات العاجلة الحـــاضرة بقُوَّة أمام الرئيس أردوغان وحكومة العدالـــة والتَّنْمِيَة، وخَاصَّة في ظِلِّ المكاســـب العَسْـــكَرِيَّة الَّتِي حقَّقَتها القُوَّات التُّرْكِيَّة مُؤَخَّراً في عِفْرِين، وفي محاربة التنظيمات الكُرْدِيَّة المُسَلَّحَة، لا سِيَّمَا في معقل حزب العمال الكردستاني المحظور في جبال قنديل(1).

1. ســعيد الحــاج، "قراءة في نتائج الانتخابــات التُّرْكِيَّة "، إضاءات، 25 يونيــو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Pv9Hhh

المبحث الثاني

الرؤية الاقتِصَادِيَّة..
إرادة الإنجاز وتوجُّس الغرب

تُعْتَبَرَ إرادةُ بناءِ قُوَّة اقْتِصَادِيَّة ضاربة، بموازاة تكريس السُّلْطَة الرِّئَاسِيَّة في النِّظَام، توسيع مهام القُوَّة العَسْكَرِيَّة في تعزيز الدور الإقْلِيمِيّ والعَالَمِيّ لتركيا، والتَّأْثِير العميق في المجتمع "التعددي" عبر ضمِّ الشعب إلى خطوات مرسومة نحو الرَّفَاهِيَّة؛ حجر الزاوية في بناء "رؤية" مفتوحة تُعَدّ بإرساء مُقَوِّمَات زعامة إقْلِيمِيَّة، وتُفْضِي إلى لَعِبِ دور القُوَّة العَالَمِيَّة ضمن نادي الكبار.

في هذا الشأن، لا يُخْفِي الرئيس أردوغان ومعه مُخَطِّطُو سياسات حزب العدالة والتَّنْمِيَة التُّرْكِيّ (Parti AK)، طموحاته الجيوسِيَاسِيَّة والاقتِصَادِيَّة عبر رؤية 2023 الشَّامِلَة، والَّتِي يراهن فيها الحزب الحاكم على إعادة الاعتبار للإرث العُثْمَانِيّ العظيم، وبعث الأمل في إحياء أمجاد الأُمَّة الإسْلامِيَّة أمام غرب متغطرس وظالم. وفي المقابل، ينظر الغرب بعين الريبة والتَّوَجُّس للمشروع الأردوغاني الطَّمُوح جداً، بل ويُصَوِّرُهَا خُطَّة "جنونيَّة" تقود إلى دكتاتوريَّة شمولِيَّة بِاسْمِ أمجادٍ دُفِنَتْ مع الماضي. وفي هذا تتساءل الصحافة الفرنسيَّة، على سبيل المثال: هل يَتَعَلَّق الأمر هنا بحلم إنشاء إمْبَرَاطُورِيَّة تُرْكِيَّة جديدة أو أنه مُجَرَّد جنون من أردوغان! وأمر كهذا تَضْطَرُّ فرنسا إلى التعامل معه بهدوء وفي صمت، حتى لا تضايق تحالفاً هشّاً أوروبيّاً، وتربح المزيد من الوقت في تلافي أزمة لاجئين كارثيَّة أيضاً(1).

---

1. Éric Verhaeghe, Un nouvel Empire turc, ou la dangereuse folie d’Erdogan، Eentreprise, 30 MAI 2016, goo.gl/ZChBkZ

واللافت للنظر في هذه النظرة الفرنسيَّة، ومعها أوروبا عبر وسائل إعلامها المردِّدة لخطر صعود ما تُسَــمِّيه المَدّ الإسْــلاَمِيّ؛ فإنَّ الانتِقَاد والرِّيبَة سيتركان مَحَلّهُمَا عاجلاً أو آجلاً للمواجهة كما يقولون. بل وســيكون عليهم مواجهة صراع كبير مع تركيا. ويضيفون أن كُلّ شيء يحــدث الآن، كما لو اعتاد الغرب على تصريف الكلمات والأوهام؛ لتأخير هذه المواجهــة أكثر وقت ممكن. وعلى الرَّغْم من كُلّ هذا، يُؤَكِّد أردوغان للرأي العام التُّرْكِيّ في غير ما مناسبة، أن بلاده ستكون عضواً في الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ بحلول عام 2023م(1)!

ولعل ما يُفْزِعُ الغرب هنا، هو خطاب أردوغان الَّذِي يقول فيه: إنه بحلول عام 2023، فإننا ســوف نجعل من وريثة "الرجل المريض"(2) لمدة 100 سنة من قبل، واحدة من أكبر عشرة اقتصادات في العالم. مضيفاً "هذا هو ما يناسب أحفاد الفاتح"(3).
إن "جعل تركيا قُوَّة شاملة"، شعارٌ لا يزال يَتَرَدَّدُ على لسان المسؤولين الأتراك(4)، رَغْمَ مرور أربع ســنوات على إعلان رؤية 2023، بإنجازاتها وأزماتها؛ حيث شهدت تركيا تَحَوُّلاً اقْتِصَادِيّاً عميقاً على مدى العقد الماضي بأُسُس اقْتِصَادِيَّة صلبة جداً ومُؤَشِّرَات مشجِّعة؛ حيث احتَلَّ نُمُوّ الاقتصاد التُّرْكِيّ المرتبة الأُولَى بين بلدان مجموعة العشرين، لعام 2017، بنحو 7.4%، في حين جاء في المرتبة الثانية مقارنة ببلدان مُنَظَّمَة التعاون الاقْتِصَادِيّ والتَّنْمِيَة (OECD)، والاتِّحَاد الأُورُوبِيّ(5).

1. "أردوغــان: أوروبا ســتخسر إذا لم تَضُمَّ تركيا بحلول عــام 2023"، رويترز، 31 أكتوبر 2012، تاريخ الزيارة: 30 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DtXR4Z
2. الرجــل المريــض هو لقــب عُرِفَتْ به تركيا في بداية انهيــار الإمبراطورية العُثْمَانِيّة خلال القرن التاســع عشر، وتحديــداً في عــام 1853م، حينما وصف نيقولا الأول قيصر روســيا الإمبراطوريَّــة العُثْمَانِيّة بأنها "رجل أوروبا المريــض"، ومنذ ذلك التاريخ والدبلوماســيَّة الأوروبيَّة تُخَطِّــط وتبحث في كيفية التَّخَلُّص من تلك الإمبراطوريَّة بطريقة لا تكتســب فيها قُوَّة أوروبيَّة واحدة ميزة على حســاب الآخرين، وبما لا يُخِلُّ بالتوازن السِيَاسِيّ لأوروبا. للمزيد يُنْظَر: History of Ottoman Empire، Ottomans، available at: goo.gl/5JqSog
3. مُقْتَطَف من خطاب للرئيس أردوغان بمناســبة الذكرى 563 لســقوط القســطنطينيَّة في سنة 1453م، قالت عنه بعض وســائل الإعلام الغربية: إنه احتفالٌ بانتصار الإســلام على المسيحيَّة، إسطنبول، مايو 2016م. للمزيد حول ذلك الخطاب، يُنْظَر: مهرجان احتفاليّ في ذكرى فتح القسطنطينيَّة وكلمة للرئيس التُّرْكِيّ رجب طَيِّب أردوغان، موقع يوتيوب، مايو 2016، متاح على الرابط التالي: goo.gl/iCBRFd
4. Objectif 2023 : « Faire de la Turquie une puissance globale » , trt.net, 08.02.2015, goo.gl/zDYIxt
5. الاقتصاد التُّرْكِيّ يُحَقِّق أعلى نُمُوٍّ بين دول مجموعة العشرين 2017، وكالة الأناضول للأنباء، 29 مارس 20158م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/b4pq1G

وعلى الرَّغْم من الظروف الصعبة الَّتِي تعيشها المنطقة حالياً، إلا أن تركيا استطاعت أن تَتَقَدَّمَ 9 مراكز دفعة واعدة في تقرير ممارســـة أنشطة الأعمال 2018م، الصادر الثلاثاء عن مجموعة البنـــك الدَّوْلِيّ؛ حيث قفزت تركيا من المركز الـ 69 عَالَمِيّاً في تقرير 2017، إلى المركز 60 عَالَمِيّاً 2018(1). ولكنَّ أهداف 2023، تقتضي مجهودات جبَّارة لبلوغ الإنجازات المَرْجُوَّة منها، والَّتِي نُلقي الضوء هنا على أهمها فيما يلي:

المُخَطَّطات.. للأرقام دور ودلالات:

"مهما يحدث، فإن تركيا لن تَتَخَلَّى عن أهدافها لـ2023"؛ يُؤَكِّد أردوغان في خطاب أُلْقِيَ بمناسبة النسخة الـ24 للقاءاته مع رؤساء البلديَّات في القصر الرِّئَاسِيّ، وذلك في معرض حديثه عن المشــاريع العملاقة الَّتِي تمَيَّزَ رؤية 2023 المستقبليَّة، وبالتَّالِي انتقاد المعارضة الأُورُوبِيَّــة له، ففي أبريل 2018م احتفل الرئيس أردوغان بمشــاركة الرئيس الرُّوسِيّ فلاديمير بوتين ببدء العمل الرَّسْمِيّ لبناء أول محطة للطاقة النَّوَوِيّة في تركيا بتكلفة 20 مليار دولار، في مقاطعة مرســين الجنوبيَّة، وذلك في إطار مشروع التَّنْمِيَة الَّذِي أطلقه الرئيس أردوغان بهدف جعل تركيا إحدى الدول العشر الأغنى في العالم بحلول 2023(2). فعلى رأس هرم السُّلْطَة في تركيا لمدة تزيد عن 16 عاماً، واصل رئيس الوزراء ورئيس الجُمهورِيَّة السَّــيِّد رجب طَيِّب أردوغان، نَحْتَ ملامح تركيا الجديدة، الَّتِي بات الآن في قيادتها إلى حلول ســنة 2023م ذات الحُمُولَة الرمزيَّة القَوِيَّة في ذاكرة الأتراك؛ مــن حيث مصادفتها لمئويَّة الجُمهورِيَّة التُّركِيَّة، وأيضاً موعد افتتاح أهم المشــاريع العملاقة الَّتِي ســتقود تركيا لا محالة إلى الزعامة المنشودة، عبر الاقتصاد وغيره من أدوات القُــوَّة النَّاعِمَة والصَّلْبَة معاً. غير هذا، فالأرقام الدالَّة تَتَوَزَّعُ بين القطاعات التَّنْمَوِيَّة التالية الَّتِي تَتَمَحْوَرُ داخل مُحَدِّدَات رؤية 2023م.

1. تركيا تَتَقَدَّمُ 9 مراكز عَالَمِيّاً في تقرير ممارسة أنشطة الأعمال 2018م، وكالة الأناضول للأنباء، 31 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 31 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wgDhzw
2. "أردوغان وبوتين يضعان حجر الأســاس لأَوَّل محطة نووية في تركيا"، فرانس 24، 4 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Az7kYn

كما أن التخطيط الاقْتِصَادِيّ لمضاعفة بناء السـدود ومحَطَّات الطَّاقَة النَّوَوِيّة ليس فقط لأجل حُبِّ الظهور بمظهر القَوِيّ، كما تُركِّز على ذلك وسائل الإعلام الغَرْبِيَّة، بل لاستيفاء حاجة بِنْيَوِيَّة أساسيَّة وطاقيَّة حقيقيَّة. من جهة أخرى، تأكيد دور تركيا أيضاً كمركزٍ مِحْوَرِيّ لإمدادات الطَّاقَة نحو أوروبا، انطلاقاً من القوقاز وآسـيا الوسطى وإيران. تركيا إذن، هي البلد الَّذِي تُوَزَّعُ عبره الطَّاقَة المُصَدَّرَة من بلدان أخرى، ولكنها في نفس الوقت مسـتهلِكَة لنفس الطَّاقَة. وإذا أرادت تركيا الحفاظ على وتيرة نموها الصناعي، يجب أن تَستَمِرَّ في تحريك وتنمية قدراتها الطاقيَّة.

أما فيما يَخُصّ البِنْيَات التحتيَّة للنقل، فالمطار الثالث المعتزم إنشاؤه في إسطنبول(1)، على سـبيل المثال، له ما يُبَرِّرُه من قَبِيلِ النجاح الاسـتثنائي لشركة الخطوط الجَوِّيَّة التُّركِيَّة، الَّتِي اسـتطاعت في غُضُون سنوات قليلة أن تصبح واحدةً من أكبر شركات النقل الجَوِّيّ في العالم. وإسطنبول بِدَوْرِهَا تحوَّلَت إلى مدينة عبور عملاقة للطيران المَدَنِيّ الدَّوْلِيّ. والفكرة من وراء هذا المطار الثالث ليس منافسة مدن غربيَّة من أمثال أتلانتا الأمْرِيكِيَّة أو فرانكفورت الألمانيَّة، بل هو طموح أكبر من هذا، وبالتَّأْكِيد لا يبدو بعيدَ المنال، بالنظر إلى النجاحات والأرقام القياسـيَّة المحقَّقة على صعيد الاقتصاد التُّرْكِيّ في سنوات معدودة.

1. وضع الرئيس التركي، السَّـيِّد رجب طَيِّب أردوغان، حَجَر الأسـاس لأكبر مطار في العالم في يونيو عام 2014م، في خطوة لدعم التَّوَجُّهَات التُّرْكِيَّة في التطوير ورفع معدلات الاستثمار، وتحسين واقع السياحة ودعم اقتصاد تركيا. وأَدَّتْ التوقعات المرتفعة حوله إلى جعله محور اهتمام لدى الأوروبيِّينَ الذين أبدوا تَخَوُّفـاً مـن تأثيره علي تصنيـف المطارات الأوروبيَّة. ويقع المطار - المتوقـع أن يَتِمّ افتتاحه في أكتوبر 2018م- في القسـم الأُورُوبِيّ من مدنية إسـطنبول، في منطقة "أرناؤوط كوي"، قرب البحر الأسـود، وبحسـب تصريحات المسـؤولين الأتراك، فإنّ التكلفة الكبرى للمشروع تبلغ 10.5 مليار يورو، بما يعادل 14 مليار دولار. للمزيد يُنْظَر: "مطار إسـطنبول الثالث يسـاهم بنسـبة 5% في الناتج القومي الإجمالي لتركيا"، تي آر تي العَرَبِيَّة، 21 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/JNj7PN

- **الزراعة في أفق 2023:**

في تركيــا، تلعب الظروف المُنَاخيَّة، والموقع الملائــم، وإمكانات الأيدي العاملة لصالح العمل الزراعي، علاوةً على أنَّ المواســم المختلفة يمكن أن تكون موجودة في وقت واحد، في مختلف أطراف البلاد. وباســتثناء بعض الفواكه الاستوائيَّة، فكلُّ المنتجات الزراعيَّة يمكن زراعتها هناك. وَوَفْقاً لتقديرات العام 2016م، فإن نحو 20% من السُّــكَّان يعملون في المجال الزراعي، الَّذِي يمثل نحو 6.1% من إجمالي الناتج المَحَلِّيّ للبلاد بما قيمته نحو 52.3 مليار دولار أمريكي(1).
وبنــاءً عليه تُوَفِّرُ الزراعة حاجيَّات الغذاء لتركيا، وتُعْتَبَرَ حجر الزاوية للاقتصاد الــتُّرْكِيّ. وتَتَعَلَّق رؤية 2023 في جانب الزراعة، ببلوغ عدد من الأهداف أهَمُّهَا؛ 8،5 مليون هكتار للاســتغلال الزراعي، 150 مليار دولار كناتج داخلي خَام، بما فيها 40 مليار دولار منتوج الصادرات الزراعيَّة، الارتقاء إلى المرتبة الخامســة بين أوائل القُوَى الكبرى في مجال الزراعة، المرتبة الأُولَى في مصائد الأســماك على الصعيد الأُورُوبِيّ(2).

- **شبكة السِّكَك الحديديَّة في أفق 2023:**

يعتبر تطوير شــبكات السِّــكَك الحديديَّة اليوم، عاملاً رئيســاً في التَّنْمِيَة على الطريقة التُّرْكِيَّة، ســواءً على الصعيدين الوَطَنِــيّ أو المَحَلِّيّ، في أُفُق الاندماج في فضائها الأُورُوبِيّ، وتمتين علاقاتها مع جيرانها وجوارها. ففي بيئة تَتَّسِــم بإكراهات مُقَيِّدَةٍ للميزانيَّة، يَتَصَدَّرُ قطاع النقل كَكُلٍّ البرنامج الوَطَنِيّ للاستثمار العمومي.

1. "زراعة وأغذية"، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، د. ت، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Z5W23M
2. "زراعة وأغذية"، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، المرجع السابق.

ويجذب هذا البرنامج الاســـتثماري العديد من المصنِّعين الأجانب؛ حيث ينبغي أن يســـاعد أيضاً على تصحيح آثار الهيمنة الكاملـــة تقريباً للنقل البَرِّيّ للرُّكَّابِ والبضائع على الطرق. والهدف الرئيس لـ2023، زيادة شـــبكة خطوط الســـكك الحديديَّة، ليصل طولها إلى 25 ألف كيلو متر مُرَشَّـــحَة للزيادة إلى 30 ألف كيلو متر بحلول عام 2035(1).

وفي هذا القطاع تَتَحَدَّد رؤية 2023م في عدد من المنطلقات على رأسها؛ تجديد جميع محطات السِّكَك الحديديَّة التُّركِيَّة مع إنشاء أخرى جديدة، زيادة خطوط سِكَك حديديَّة للقطارات الفائقة السرعة، إلى جانب خطوط سِكَك حديديَّة عابرة للقارات؛ من تركيا إلى أوروبا، آسيا، الشرق الأوسط وإفريقيا.

- **الموانئ التُّركِيَّة في أفق 2023:**

أُمَّـــة بَحْرِيَّة مرجعيَّة جديدة بدأت تظهر في أبواب جنوب شرق أوروبا، بموقعها الجُغْرَافِيّ (مضايق، دولة أوراسية)، وتنميتها الاقتِصَادِيَّة وطموحاتها السِّيَاسِيَّة، تَتَمَرْكَزُ تركيا الآن في قلب العديد من الإشـــكالِيَّات البَحْرِيَّة، مثل مسألة السلامة البَحْرِيَّـــة للمضايق الَّتِي لا تزال قائمة مع نمو المبادلات، وبخاصة حركة ناقلات النفط في البحر الأسود. وهذا يعتبر أحد جوانب البعد البحريّ التُّرْكِيّ الشاسع. حيـــث يتموقع تطوير الاقتصاد الوَطَنِيّ الـــتُّرْكِيّ على مفترق طُرُق عِدَّة مناطق جيوسِيَاسِيَّة وجيواقْتِصَادِيَّة. لذا تريد تركيا إنشاء صناعة بحْرِّيَّة مُهِمَّة، وما يترتب على ذلك من بِنْيَاتٍ تحتيَّة وهياكل صناعيَّة موازية: موانئ حديثة، تسليح بمعايير عَالَمِيَّة، وورش بناء سفن قادرة على المنافسة.

ورؤية 2023 في مجـــال الْبِنْيَاتِ البَحْرِيَّة تَتَوَخَّى هَدَفَيْنِ مُهِمَّيْنِ؛ هما: الدخول إلى قائمة المراتب العشر الأُولَى في العالم، إنشاء ميناءين عالميين بـمدينة إزمير.

1. "تركيـــا تهدف إلى مد خطوط سِـــكَك الحديد بطول 30 ألف كلم بحلـــول 2035"، دايلي صباح، 3 مارس 2017، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/eqQy7u

- **الطرق التُّرْكِيَّة في أفق 2023:**

تُخَطِّط الحكومة التُّرْكِيَّة لبناء العديد من المشاريع الكبرى وخصخصة بعض البِنَى التحتيَّة الخَاصَّة بالطرق. فبعد مشروع الطريق السريع إزمير – إسطنبول(1)، ونفق أوراسيا السَّيَّار تحت مضيق البوسفور(2)، إلى جانب تدشين جسر ثالث في إسطنبول، على مضيق البوسفور، والَّذِي شَيَّدَتْهُ شركة كوريَّة جنوبيَّة بتصميم فرنسيّ – سويسريّ مشترك(3).

وفيما يَتَعَلَّق بالدعوة إلى طلب عروض لخصخصة الجسور والطرق السريعة في تركيا، من قبل وكالة الخصخصة التُّرْكِيَّة (4)(OIB)، فقد فاز بها تحالف تركي ماليزيا (كوك غودزي بيرهاد Köç - Gözde - Berhad) لتدبير إدارة 2000 كم من الطرق السريعة والجسور في إسطنبول، لمدة 25 عاماً، في صفقة بمبلغ 5.7 مليار دولار أمريكي(5)، والَّتِي تُمَثِّل الخصخصة الأكثر تكلفة في تاريخ تركيا بعد تورك تليكوم(6) Türk Telekom في عام 2005م.

1. مشروع طريق سريع يختصر زمن السفر بين إسطنبول وإزمير من 9 ساعات إلى 3 ساعات ونصف فقط، بطول 384 كيلومتراً للطريق السريع و49 كيلومتراً لطريق الوصول. للمزيد يُنْظَر: الطريق السريع "إسطنبول- إزمير" يَخْتَصِرُ الرحلة من تسع إلى ثلاث ساعات ونصف، ترك برس، 12 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/fswqwt
2. نفق أوراسيا يربط بين قارتي آسيا وأوروبا ويَمُرُّ أسفل قاع بحر مرمرة، تَمَّ افتتاحه في ديسمبر 2016 بحضور الرئيس التُّرْكِيّ رجب طَيِّب أردوغان وعدد من الرؤساء والوزراء الأجانب. للمزيد يُنْظَر: أردوغان يفتتح "أوراسيا" أول نفق يصل بين آسيا وأوروبا تحت البحر، ترك برس، 20 ديسمبر 2016، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DQJMbf
3. صور: تدشين الجسر الثالث على مضيق البوسفور، أحد مشاريع أردوغان العملاقة، فرانس 24، 26 أغسطس 2016، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KXWwB7
4. جهاز إداريّ مُسْتَقِلّ، مسؤول عن تنسيق عمليَّات الخصخصة في تركيا، يَتَمَتَّع بمسؤوليَّة كاملة عن عمليات الخصخصة في الدولة، ويَضْطَلِع بتقديم المقترحات للمجلس الأعلى للخصخصة وإعداد خُطَّة خصخصة المُنَظَّمَات المُؤَهَّلَة، وتنفيذ تلك العمليَّة، وإصدار لوائح الهياكل المَالِيَّة والإداريَّة والقانونيَّة للمُنَظَّمَات. للمزيد يُنْظَر: "السلطات التنظيميَّة والرقابيَّة"، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، د. ت، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/dkBZYc
5. "Koc Holding consortium wins Turkey's roads and bridges tender", Reuters، DECEMBER 17, 2012, available at: goo.gl/v2HDzu
6. أول شركة تركيَّة متكاملة تعمل في مجال الاتِّصالات، تَأَسَّسَتْ قبل 177 عاماً، وتَمَّ خصخصتها في العام 2005م بقيمة بلغت 6.5 مليار دولار. للمزيد يُنْظَر: شركة الاتصالات العملاقة "ترك تيليكوم" قد تعود إلى مِلْكِيَّة الحكومة مرَّة أخرى، ترك برس، 18 أكتوبر 2017م، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح عل الرابط التالي: goo.gl/rfH814

- **المطارات التُركِيَّة في أفق 2023:**

يُعْتَبَرَ النقل الجَوِّيّ في تركيا صناعة في قلب النُّمُوّ المتواصل، ما سمح بدخول مُشَغِّلين جُدُد عبر إجراء تحرير جريء للقطاع في أوائل عام 2000م. ويوجد حالياً 8 شركات طيران فاعلة باستمرار، 4 شركات تأجير و3 شركات للشحن. أما الشركات الرئيسة العاملة في القطاع، فنجد بالإضافة إلى الخطوط الجَوِّيَّة التُّركِيَّة Turkish Airlines: بيغاسوس. Pegasus، أطلس جيت، Atlas Jet، وأونور إير Onur Air.

وقد تضاعفت الحركة الجَوِّيَّة ثلاث مَرَّات بين عامي 2003 و2010م بأكثر من 120 مليون مسافر، أما في العام 2017، فقد بلغ إجمالي عدد المسافرين عبر مطاري "أتاتورك" و"صبيحة كوكجن" في إسطنبول نحو 95 مليوناً و113 ألفاً و289 شخصاً، بزيادة قدرها 5 ملايين و29 ألفاً و966 شخصاً عن العام 2016، وَفْقاً لإحصاءات المديريَّة العَامَّة لتشغيل المطارات التُّركِيَّة(1).

وقد بلغ عدد المسافرين على متن الخطوط الجَوِّيَّة التُّركِيَّة، خلال 2017، نحو 68.6 مليون شخص، بزيادة قدرها 9.3% عن العام 2016م، وهي الشركة الَّتِي فازت بجائزة أفضل شركة طيران في أوروبا لـ 6 سنوات متتاليَّة منذ العام 2011(2).

وفقاً لتقديرات تركيَّة، فقد سَجَّلَ مطار صبيحة غوكجن Sabiha Gökçen (إسطنبول الجانب الآسيَوِيّ) حضوراً قَوِيّاً في حركة الملاحة الجَوِّيَّة، بإجمالي مسافرين بلغ نحو 21 مليوناً و56 ألفاً و767 مسافراً على الخطوط الدَّاخِلِيَّة، و10 ملايين و329 ألفاً و79 مسافراً على الخطوط الخَارجِيَّة، خلال العام 2017 (3).

1. "95 مليون مسافر عبروا مطاري إسطنبول خلال 2017"، دايلي صباح، 6 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9bMcAe
2. "الخطوط الجوية التُّرْكِيَّة تنقل 68.6 مليون مسافر خلال 2017"، وكالة الأناضول للأنباء، 9 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/K9DwWF
3. "95 مليون مسافر عَبَرُوا مطاري إسطنبول خلال 2017"، دايلي صباح، مرجع سابق.

أما المطار الرئيس "أتاتورك" بإسطنبول، والَّذِي افتُتِحَ في عام 1924م، فقد حقَّق نُمُوّاً بنسـبة 591% في رحلات العبور بين عامي 2007 - 2017م، ليَحْتَلّ المرتبة الأُولَى أوروبيّاً من حيث النُّمُوّ، ويصبح المطار الأُورُوبيّ الوحيد الَّذِي يدخل قائمة المطارات العشر الأكـثر نُمُوّاً في رحلات العبور عَالَمِيّاً، وَفْقاً للمجلس الأُورُوبِيّ للمطارات(1) (ACI).

وفي **سـياق التَّنْمِيَة القَوِيَّة**، يوفِّر هذا القطاع العديد من الفُرَص. وهكذا، فإنَّ الخطوط الجَوِّيَّة التُّرْكِيَّة الناقل الوَطَنِيّ الرئيس، الَّتِي عملت على تعزيز أساطيلها لتصل إلى 500 طائرة ركاب وشـحن، قد حَقَّقَتْ أعلى ربح لها في تاريخها خلال الربع الثالث من العام 2017م، بصافي أرباح بلغ 620 مليون دولار أمريكي(2).

أما بالنسبة للبِنْيَة التحتيَّة للمطارات فقد باشرت مجموعة مطار باريس (ADP) بإعـادة شراء 38% من حصة الفاعل التُّرْكِيّ للمطارات TAV Havalimanlari القابضة (3) والبالغة 874 مليون دولار أمريكي(4)، والَّتِي مكَّنت ADP من الدخول ضمن الثلاثة الأوائل أصحاب امتياز تسيير المطارات على الصعيد العالمي. وتتوقع رؤية 2023م أن 350 مليون مسافر سيسافرون عبر المطارات التُّرْكِيَّة، إلى جانب بناء أول مطار دَوْلِيّ بقُدْرَة استيعابيَّة كبيرة بإسطنبول.

1. "مطار إسطنبول الأَوَّلُ أوروبيّاً في نُمُوّ رحلات العبور"، تي آر تي العَرَبِيَّة، 19 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/XfPFzj
2. الخطوط الجوية التُّرْكِيَّة تُحَقِّق أرباحاً تفوق التَّوَقُّعَات، ترك برس، 9 نوفمبر 2017، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jdYJZw
3. شركة تركيَّة قابضة مختصَّة بإدارة المطارات تَأَسَّسَتْ عام 1997م، لتصبح بعدها بسنوات قليلة علامة تجاريَّة عالميَّة في مشاريع إنشاء المطارات وإدارتها بفضل خبرتها الفنيَّة ومواردها البشريَّة ذات المهارات العالية والتكنولوجيا المُتَقَدِّمَة. أعادت الشركة تنظيم هيكلها التنظيمي في عام 2006م، لتجمع أنشـطتها "التشـغيليَّة" و"الإنشائيَّة" بهدف تمثيل تركيا بأفضل طريقة ممكنة على الساحة الدَوْلِيَّة. إلى جانب نشاطها الرئيس في إدارة المطارات التُّرْكِيَّة، فإنَّ للشركة حضوراً بارزاً في العديد من المطارات الكبرى حول العالم، وخاصةً في تونس، وكرواتيا، ومقدونيا، والمملكة العَرَبِيَّة السُّعُودِيَّة، وجورجيا. للمزيد يُنْظَر: "History", TAV havalimanlari, available at: goo.gl/DxBrfJ
4. Aeroports de Paris Agrees to Acquire %38 of Turkey's TAV، Bloomberg, March 12, 2012, available at: goo.gl/wVEpnz

قناة إسطنبول:

منذ كان الرئيس التركي السَّيِّد رجب طيِّب أردوغان، رئيساً للوزراء، وتحديداً في العام 2011م كشف للمرة الأولى عن مشروع طَمُوح للغاية، ربما سيكون أضخم عمل سيتم إنجازه في تاريخ الجُمهورِيَّة التُّركِيَّة بأَسْرِهَا، إنَّه مشروع "قناة إسطنبول" الذي يطمح الرئيس أردوغان، لأن يُعزِّز مكانة البلاد في مجال المعابر المائيَّة؛ حيث مِن المُقَرَّر أن يَربط بحر مَرْمَرَة بالبحر الأسود في الشقّ الأوروبيّ من إسطنبول بطول 45 كيلو متراً، ومن جهة أخرى يُخفِّف الضغط على مضيق البوســـفور، والتقليل من خطر الأضرار البيئيَّة التي تُحْدِثُهَا السُّفن الناقلة للمواد الكيميائيَّة(1).

وقد بدأت أعمال التنقيب في مسار هذا المشروع الضَّخْم منذ العام 2017م، وانتهت مطلع العام 2018م، ويتعاون فيه الكثير من الجهات الحكوميَّة التُّركِيَّة؛ مثل: وزارات النقل والمِلاَحة البحريَّة، والبيئة وشـــؤون الغابات والمياه، والأغذية والزراعة والثروة الحيوانيَّة، والطَّاقَة والموارد الطبيعيَّة، وبلدية إســـطنبول، وإدارة الإسكان الجماعي "توكي" التَّابعة لرئاسة الوزراء، كما استعانت الحكومة خلال تعيين مسار القناة بعددٍ كبيرٍ من الخبراء الأتراك والأجانب(2).

وســـيبدأ مسار القناة من بحيرة "كوتشـــوك تشكمجه" في إسطنبول إلى بحر مَرْمَرَة، وتَسْتَمِرُّ شمالاً عبر سَدّ "صازلي دره"، ومِن ثَمَّ تَصِل للبحر الأسود شرق سَدّ "تيرطوس" في قرية "دوروسو" بمنطقة "تشـــاتالجا" بإسطنبول(3)، ومِنَ المُقَرَّر أن تكون القناة

1. تركيا تكشف مسار "قناة إسطنبول" بطول 45 كيلو متراً، موقع "france24"، 15 يناير 2018م، تاريخ الزيارة 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/oqohGd.
2. قناة إســطنبول.. المشروع الأضخم في تاريخ تركيا، موقع "mubasher.aljazeera"، 20 يناير 2018م، تاريخ الزيارة 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/oqohGd.
3. تركيا تكشف عن مسار "قناة إسطنبول"، موقع ".arabic.rt"، 15 يناير 2018م، تاريخ الزيارة 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/5TB2gX.

مُؤَمَّنَة ضِدَّ تداعيات المَدّ البحريّ الزلزاليّ "تسونامي"، وهبوب الرياح لنحو 25 عاماً مُقْبِلَة؛ إذ أُجْرِيَتْ دراسات مُتَعَمِّقَة للعواصف والموجات البحريَّة العميقة في البحر الأسود ومَرْمَرَة، وكذلك تَمَّ تصميم المُخَطَّط الأَوَّليّ للمشروع بحيث لا تتَأَثَّر ضَفَّتَا القناة بالأمواج النَّاجِمَة عن مرور السُّفُن في المَمَرِّ.

وفَوْر الإعلان عن آفاق المشروع، اكتسب الأخير اهتماماً كبيراً مِن قِبَل خبراء السِّيَاحة، الذين يَطْمَحُونَ لأن يكونَ ذا فائدة كبرى للقِطَاع حالما يكتمل، مع تدشين مراكز مؤتمراتٍ ومراسي وفنادق جديدة بالقرب من القناة الجديدة والبوسفور، مُؤَكِّدِين أَنَّ الزخارف السُّلجُوقِيَّة الأناضوليَّة سيكون لها أثرٌ كبيرٌ في جَذْب السُّيَّاح.
وبعد إتمام المشروع سَتَتِمُّ الرحلات البحريَّة بسهولةٍ أكبر، مما يشير إلى أنَّ القناة ستساهم بشكلٍ كبيرٍ في عائدات السِّياحَة بإسطنبول؛ فالسَّائِحُ في هذا النوع من الرَّحَلاَت يُنْفِقُ ثلاث أضعاف ما يُنْفِقُه السَّائِح العاديّ على الأقل.

ويُتَوَقَّعُ أنَّ عائدات المشروع ستبلغ 100 مليار دولار و1.5 مليون وظيفة جديدة ضِمْن خَمْس سنوات، مُؤَكِّداً أنَّ إسطنبول لديها القُدْرَة على استضافة نحو 25 مليون سائح، وأنها استضافت نحو 11 مليون سائح العام 2017م، وفي غُضُون خمس سنواتٍ من بَدْءِ القناة بالعمل، سَيَصِلُ عدد سُيَّاح إسطنبول إلى 50 مليوناً، وهذا ما سيجعل من إسطنبول المدينة الأكثر زيارةً في أوروبا(1).

أمَّا التقارير الرسميَّة التُّرْكِيَّة، فتشير إلى أنَّ القناة الموازية سَتُدِرّ على تركيا نحو ثمانية مليارات دولار سنويّاً، ما يُساهم في تعويضها عن عشرة مليارات دولار حُرِمَتْ منها

1. "قناة إسطنبول" أكبر المشاريع التي تَتَرَقَّبُهَا تركيا، موقع "yenisafak"، 28 فبراير 2018م، تاريخ الزيارة 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/AfzFTm.

بســـبب تسعيرة المرور المنخفضة عن السفن التي تَعْبُرُ مضيق البوسفور، تبعاً لاتفاقية "مونترو"(1)التي وُقِّعَتْ في المدينة الســـويسريَّة في العام 1936م لتنظيم الملاحة في المضائق والمَمَرَّات المائيَّة التُّركِيَّة.

لذلـــك تَنْبُعُ القيمة الأكثر أهَمِّيَّة للقناة من عدم خضوعها لاتفاقيَّة مونترو؛ مما يســـمح لتركيا بتحصيل 5.5 دولارات عن كلّ طَنّ من البضائع وحمولات السُّفُن التي تَعْبُرُهَا يَوميّاً. وتُضِيف البيانات الرســـميَّة أنَّ عائدات القناة الجديدة سَـــتُغَطِّي خلال عامينِ فقط تكاليف المشروع البالغة نحو 15 مليار دولار، وسَتُحَوِّلُ مضيق البوسفور التاريخيّ إلى خَطٍّ ثانوِيٍّ للتِّجَارَة البحريَّة(2).

العقارات قاطرة دفع للاقتصاد التُّرْكِيّ

يتواجد القطـــاع العقاري التُّرْكِيّ، وصناعة البناء المُرْتَبِطَة في قلب نشـــاط مزدهر بتركيا في الســـنوات الأخيرة، بفضل التشريعات المُتَعَلِّقَة بالتَّحَوُّل الحضري في المدن التُّرْكِيَّة الكبرى بدءاً بمدينة إســـطنبول، هذه الطفرة جذبت انتباه مجموعات كبيرة من الاستثمارات العَالَمِيَّة في القطاع أو شركات عارضة في القطاع.
وقد اســـتحوذ القطاع العقاري في تركيا على نحـــو 8.4% من إجمالي الناتج المَحَلِّيّ خلال العقد الماضي، كما بلغت تَدَفُّقَات الاستثمار الأجنبي المباشر في القطاع إلى نحو 10.8 مليار دولار أمريكي؛ حيث استقطبت العقارات وقطاع البناء والتشييد نحو 4.2 مليار دولار أمريكي، في عام 2017م، بما يُمَثِّل نحو 38.8% من إجمالي الاســـتثمار الأجنبي المباشر(3).

1. قناة إسطنبول.. المشروع الذي سَيُدِرُّ على تركيا مليارات الدولارات، موقع "turkeyalaan"، 14 أكتوبر 2017م، تاريخ الزيارة 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/qfRZis.
2. "العقارات"، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، د. ت، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Wix9ut
3. "العقارات"، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، المرجع السابق.

وقد شـــهد العام 2017م بيع 22،234 منزل للأجانـــب في تركيا، بزيادة تقدر بنحو 22.2% عن العام 2016م. حيث حَقَّقَتْ إســـطنبول المرتبة الأُولَى بنحو 8182 منزلاً، تليها أنطاليا بـ 4707 منازل، ثم بورصة بـ 1474 منزلاً، ثم يالوفا بـ 1079 منزلاً(1).

وإجمالاً، يستفيد قطاع العقار التُّرْكِيّ من زيادة الطَّلَب بفضل الموقع الجُغْرَافِيّ المُهِمّ، والنُّمُوّ السُّكَّانِيّ، والزيادة في دخل الفرد، وأشغال التجديد الحَضَرِيّ الواسعة النطاق، وأيضاً برامج التشـــغيل والتَّنْمِيَة، وســـهولة ممارسة أنشطة الأعمال، أي: كُلّ ما يمكن أن يجلب إمكانات اســـتثماريَّة كبيرة لهذا القطاع الرائد في تركيا، وكمثال على ذلك، **نورد المعطيات التالية**(2):

- عدد العقارات المُسَوَّقَة في تركيا عام 2012م بلغ مليون عقار.
- عدد مراكز التَّسَـــوُّق التشـــغيليَّة في تركيا 445 وحدة / إجمالي المساحة القابلة للتأجير يناهز 12.2 مليون متر مربع.
- عدد مراكز التَّسَوُّق في إسطنبول 136 وحدة، بما يناهز 38% من إجمالي مساحة مراكز تسوق في تركيا.
- بحلول العام 2020م فإنه من المُتَوَقَّع أن يصل إجمالي تجهيزات المكاتب من الدرجة الأُولَى إلى أكثر من 7 ملايين متر مربع في المساحة القابلة للتأجير في تركيا.

وعلاوةً على ذلك فإنَّ التطوير ووضع أهداف جديدة لمواصلة أشغال التجديد والمشاريع الحَضَارِيَّة الكبرى لا يزال قائماً، بما في ذلك قناة إسطنبول، وجسر البوسفور الثالث، ومطار إسطنبول الثالث. كما قَرَّرَتْ الحكومة التُّرْكِيَّة، في العام 2015م، أيضاً تجديد المباني الَّتِي توجد في وضعيَّة هشاشـــة وعُرْضَة للكوارث الطَّبِيعِيَّة، والَّتِي تَتَضَمَّن ما

1. "العقارات"، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، المرجع السابق.
2. المرجع السابق.

يقارب 6.5 مليون مسكن، بميزانيَّة قدرها 400 مليار دولار أمريكي[1]. ومع إِمْكَانِيَّاتها الحاليَّة لتنفيذ مشـــاريع ضخمة وأهـــداف طَمُوحَة في إطار رؤية 2023، توفِّر تركيا فرصاً كبيرة للمســـتثمرين في القطاع العقاري، ناهيك عن النُّمُوّ العمراني والإشعاع الحَضَارِيّ.

1. للمزيـد عن ذلك يُنْظَر: الاسـتثمار العقاريّ في تركيا، تركيـا العقاريَّة، 24 فبراير 2015م، تاريخ الزيارة 25 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wmAVdL

المبحث الثالث

الرؤية الاقتِصَاديَّة في مواجهة صعوبات العجز التِّجَارِيّ والتَّضَخُّم

في خِضَـــمِّ الحديث عن نجاحات تركيـــا الاقتِصَادِيَّة، لا يجب إغفال بعض الغيوم السـوداء المُتَجَمِّعَة في الأُفُق؛ إذ تَتَرَبَّص بمُقَوِّمَات ووسـائل تحقيق أهداف رؤية 2023 الموعودة، جملة مشـاكل أَهَمُّهَا مسألة العجز التِّجَارِيّ والتضخُّم. لتستحيل معها أحلام تركيا الورديَّة إلى واقع يَتِمّ الاعتراف بصعوبته، كما جاء على لسان وزير الاقتصـاد التُّركِيّ(1) نهاد زيبكجي(2)، ويُبعد تركيا عن أهدافها المنشـودة في عام الحسم المذكور، أي الموعد المنتظر للالتحاق بركب القُوَى الكبرى في هذا العالم.

ورغـم أن تركيا دولة مُنْتِجَة إلا أنَّ نظام العقود فيها يَكْبَحُ من انطلاقتها الاقتِصَادِيَّة، وعلى مِنْوَال وضعها الحـالي، يُؤَكِّد الوزير زيبكجي بـأنَّ تحقيق حلم تركيا ببلوغ الأهداف المنشـودة للعَقْدِ القادم يبدو صعب المنال، مُشَـدِّداً على أنَّ رفاهيَّة أي بلد ترتبـط ارتباطاً وثيقاً بالنِّظَام التَّعْلِيمِيّ، كما هو عليه الحال في كثير من دول العالم المُتَقَدِّم، مُطالِباً أيضاً بزيادة فوريَّة في متوسط سنوات الدراسة برفعها إلى 12 عاماً.

---

1. تركيـا تواجـه صعوبات في تحقيق الخُطَّة الاقْتِصَادِيَّة، أصداء الأعمال، 23 أكتوبر 2014م، تاريخ الزيارة 13 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/BHIgJP
2. أحد أبرز الوجوه الاقْتِصَادِيّة والسِّيَاسِيَّة بحزب العدالة والتَّنْمِيَة، من مواليد دنيزلي عام 1961م، تَخَرَّجَ في كليـة الاقتصـاد والعلوم الإداريَّة بجامعة مرمرة، وحصل على درجة الماجسـتير في العلاقات الدَّوْلِيَّة بجامعة إسطنبول. عضو في البرلمان التُّرْكِيّ عن محافظة دنيزلي، يَشْغَل حالياً منصب وزير الاقتصاد. للمزيد يُنْظَر: Nihat ZEYBEKCİ, World Economic Forum, available at: goo.gl/sFs9aV

وبالأرقام، أظهرت الموازنة التُّركيَّة لسنة 2016م عجزاً قدره 7.8 مليارات دولار أي ما يناهــز 29.3 مليار ليرة (رقم إيجابي بما يَقِلُّ 430 مليون ليرة عن التَّوَقُّعَات)، مقابل تســجيل ارتفاع في الإيرادات بنسبة 14.8%(1)؛ وهي أرقام اعتُبِرَتْ إيجَابِيَّة في ظِلِّ الآثار السَّلْبِيَّة الناتجة عن المحاولة الانقَلابِيَّة الفاشلة منتصف يوليو 2016م، وتراجع إيرادات السِّــيَاحَة خاصة الرُّوسِيَّة منها، بعد حادثة إســقاط مقاتلة تابعة لموسكو، وأيضاً انخفاض قيمة العُمْلَة المَحَلِّيَّة اللِّيرَة مقابل الدولار، وتنامي الحوادث الإرهَابِيَّة، واستمرار تدفق اللَّاجئين السُّوريِّينَ لتركيا.(2)

أما على صعيــد التضخُّم الاقتِصَادِيّ، فقد فاقت أرقامه كُلّ التوقُّعات، عبر الارتفاع الحادّ في أسعار المواد الغذائيَّة والمشروبات، بنسبة 1.64% في شهر ديسمبر الماضي، مما أجبرَ اللِّيرَة التُّركِيَّة على التراجع(3) صَوْبَ مستويات منخفضة قياسيَّة(4).

مسارات الطَّاقَة وأهَمِّيَّة تركيا كنقطة عبور

تــزداد أهَمِّيَّة تركيا كونها تقع على مســارات الطَّاقَة. فوفقاً لتقرير لإدارة معلومات الطَّاقَة الأمْرِيكِيَّة(5)، يَتَرَدَّدُ اسم تركيا كنقطة عبور مُهِمَّة لتوصيل مصادر الطَّاقَة من

1. "عجــز موازنــة تركيــا في 2016م أفضل من المُتَوَقَّع"، العربي الجديد، 16 ينايــر 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/0N6k4F
2. "عجز موازنة تركيا في 2016م أفضل من المُتَوَقَّع"، العربي الجديد، المرجع السابق.
3. في نهاية العام 2017م، بلغ معدل التَّضَخُّم في تركيا أعلى مُعَدَّل ســنويّ له منذ 14 عاماً، بنســبة تقرب من 13%، وفقاً لبيانات رسميَّة تركيَّة، الأمر الذي أدَّى إلى موجة من ارتفاع الأسعار، ووقوع البنك المركزي التُّرْكِيّ تحــت مزيــدٍ من الضغوط لمنع تدهور اللِّيرَة أمام العملات الأجنبيَّة، وخاصَّة الدولار الأمريكيّ. للمزيد يُنْظَر: التَّضَخُّم في تركيا يبلغ أعلى مُعَدَّلاته منذ 14 عاماً"، بي بي سي عربي، 4 ديســمبر 2017، تاريخ الزيارة: 2 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Pzkr7F
4. ارتفاع التَّضَخُّم في تركيا لمســتوى يفوق التَوَقُّعَات، ســكاي نيوز عَرَبِيَّة، 3 يناير 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/MI2GM2
5. "تقرير أمريكي: لتركيا أهَمِّيَّة استراتيجيَّة في نَقْل الطاقة إلى أوروبا"، تركيا بوست، 4 فبراير 2017م، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/BXxga

آســـيا الوسطى وروســـيا والشرق الأوسط إلى دول أوروبا وباقي العالم. كما لم يُغفل التقرير المذكور الإشارة إلى التَّوَسُّع الكبير الَّذِي شهده الاقتصاد التُّرْكِيّ في السنوات العشر الأخيرة، مما كان له كبير الأثر في زيادة اســـتهلاك النفط وغيرها من أنواع الوقود السائل اللازم لإدارة عجلة التصنيع.

ويعتبر مضيقا البوسفور والدردنيل من ضمن أكثر المضائق العَالَمِيَّة ازدحاماً وحركة عبور، كما يعتبر المضيقان؛ البوسفور والدردنيل، هما المخرج الوحيد للسفن الرُّوسِيَّة من البحر الأسود المغلق؛ حيث تُعْتَبَرَ روسيا من كبرى الدول المُصَدِّرَة للغاز المُسَال في العالم، ما يجعل المضيقين في قلب حركة تجارة الطَّاقَة في العالم(1).

وإلى جانـــب أهَمِّيَّة قطاع النقل البحرِيّ في تركيا، يذكر التقرير المَعْنِيّ بمســـارات الطَّاقَـــة التُّرْكِيّ بأن النفط يُنقل بَرِّيّاً أيضاً، من شـــمال العراق عبر خط أنبوب باكو - تبليـــسي - جيهان. من هنا تبرز أهَمِّيَّة تركيا الاسْـــترَاتِيجِيَّة في نقل النفط والغاز الطبيعي، بِلَعِبِهَا دور الجسر بين أوروبا القاريَّة ثاني أكبر مُسْتَهْلِك للغاز الطبيعيّ في العالَم وبين بحر قزوين والشرق الأوسط.

أيضاً، وفي سياق مشروعات الطَّاقَة، شرعت الحكومة التُّرْكِيَّة في إنشاء ثلاث محطات نووية(2) في أك كويو وسينوب، وأخرى غير معروفة الموقع، وذلك على أساس تخفيف تركيا من فاتورتها الطاقيَّة، والَّتِي تعتمد على الخارج في توفير الطَّاقَة اللازمة لها(3).

1. مضيقا البوســفور والدردنيل: الأهميّة الاسْــترَاتِيجِيّة لتركيا"، تركيا بوست، 8 ديسمبر 2015، تاريخ الزيارة: 2 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/tX1Ayr
2. في عام 2010، وقَّعت تركيا مع روسيا اتِّفَاقِيَّة بتدشين أول محطة للطَّاقَة النَّوَوِيَّة في البلاد بمنطقة أك كويو، جنوب مرسين؛ حيث يمتلك الجانب التُّرْكِيّ 49% من أسهم المحطة الجديدة في حين تملك الشركة الرُّوسِيَّة المُنَفِّذَة "روساتوم Rosatom" 51% من الأسهم. وفي عام 2013، وقَّعَتْ تركيا مع اليابان اتفاقيَّة للبناء والتعاون في إنشاء محطة سينوب للطاقة النَّوَوِيّة، لتصبح ثاني مشروع محطة للطَّاقَة النَّوَوِيّة في تركيا، في حين تُؤَكِّد مصادر أن المَحَطَّة النَّوَوِيّة الثالثة ســيتم بناؤهــا في منطقة "إيغنيادا" بولاية "كيركلاريلي" بالتعاون مع الصــين. للمزيد يُنْظَر: انطلاق بناء أول محطة نوويَّة تركيَّة في أك كويو"، ترك برس، 4 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/W6j4U4
3. "زيادة أَهَمِّيَّة تركيا التي تقع على مسارات الطَّاقَة"، تي آر تي عربي، 3 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/O735Kf

وفي هذا السياق، يمكن استعراض أهم محاور الأهداف الَّتِي أصدرها رئيس وزراء تركيا (الرئيس الحالي) السَّـــيِّد رجب طَيِّب أردوغان ليتزامن مع الذكرى المئويَّة لجُمهورِيَّة تركيا في عام 2023م، حول مســـارات الطَّاقَة(1)، والَّتِي تَتَلَخَّص في الاســـتفادة من طاقة الرياح حتى 2000 ميجا وات، و600 ميجا وات من الطَّاقَة الحراريَّة الجوفيَّة، تقليل اســـتهلاك الطَّاقَة إلى 20% عن مســـتويات عام 2010م من خلال تحســـين الكفاءة، وترشيد الاستهلاك، تشغيل ثلاث مَحطَّات تعمل بالطَّاقَة النَّوَوِيّة.

وكأولى ثمـــرات التهدئة والرجوع إلى أســـلوب "تصفير المشـــاكل"، عـــزَّزت تركيا اسْترِاتِيجِيّتها في مجال الطَّاقَة بدعم التعاون مع روسيا في هذا المجال، عبر مشروع تورك ســـتريم(2) Turk Stream كمثال، ويشمل خَطّ أنابيب الغاز الَّذِي سَيَحُلُّ مَحَلَّ مشروع ساوث ستريم(3) South stream الَّذِي يرجع إلى عام 2007م، والَّذِي وفَّر طريقاً لتســـويق الغاز الرُّوسِيّ في الأســـواق الأُورُوبِيَّة، عبر البحر الأسود، وبالتَّالِي تجاوز مسار أوكرانيا.

1. زيـــاد العالـــول، "رؤية تركيا 2023 وأحلام العرب"، عربي 21، 28 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 13 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QjqUxF
2. في أكتوبر 2016م، وقَّعَتْ تركيا وروســـيا، بحضور الرئيســـين أردوغان وبوتين اتفاقية لبناء خط أنابيب "تورك ستريم" لنقل الغاز الروسي إلى تركيا وأوروبا عبر البحر الأسود، من خلال أنبوبين، بقدرة ضخ سنوية تقدر بنحو 15.75 مليار متر مكعب من الغاز لكل أنبوب منهما؛ بحيث يكون الخط الأول مخصصاً لنقـــل الغاز إلى المســـتهلكين الأتراك، فيما يكون الخط الثـــاني مخصصاً لنقل الغاز الروسي إلى أوروبا. للمزيد يُنْظَر: روسيا وتركيا توقعان مشروع "تورك ستريم" لنقل الغاز عبر البحر الأسود، سي بي إن سي العَرَبِيَّة، 10 أكتوبر 2016، تاريخ الزيارة: 2 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/fCs39G
3. مـــشروع خـــط أنابيب ملغـــى لنقل الغاز الطبيعـــي للاتِّحَاد الروسي كانت تقوم عليـــه شركة "جازبروم" الرُّوسِيَّة بهدف تصدير الغاز الطبيعي الروسي من الأراضي الرُّوسِيَّة، عبر البحر الأسود، إلى دول جنوب ووســـط أوروبا. وقد تَمَّ إيقاف المشروع بســـبب المفوضية الأوروبية التي وظَّفَت القانون في الضَّغْط على دول الاتِّحَـــاد الأُورُوبيّ الموقِّعَـــة على هذا الاتفاق مع روســـيا. للمزيد يُنْظَـــر: القرار الروسي بصدد خَطّ أنابيب "ســـاوث ســـتريم" يُغيِّر المعادلة الإِقْلِيمِيّة، راقب، ســـتراتفور، 4 ديســـمبر 2014، تاريخ الزيارة: 2 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/stpUje

وقد تمَّت الموافقة على هذا المشروع مِن قِبل السلطات الرُّوسِيَّة والتُّركِيَّة، ولكِنَّه واجَهَ مقاومة من قبل الاتِّحَاد الأُورُوبيّ (EU) على خَلْفِيَّة أزمة أوكرانيا، ومناورة روســـيا لحرمان أوكرانيا الَّتِي ارتمت في أحضان الغرب من حِصَّتها في إدارة جزءٍ من خطوط الإمداد بالغاز الرُّوسِيّ، وبالتَّالِي يوفِّر مشروع Turk Stream لتزويد السوق التُّرْكِيّ والأُورُوبِيّ بالغاز الطبيعيّ الرُّوسِيّ من خلال الأراضي التُّركِيَّة، بإجمالي تزويد يصل إلى نحو 32 مليار متر مكعب سنوياً(1).

ويجسِّد المشروع ميزة مزدوجة للطرفين. فمن الجانب الرُّوسِيّ، يتيح المشروع المذكور زيـــادة تغطية الاحتياجات من الغاز نحـــو أوروبا وخصوصاً في جنوب شرق أوروبا، بواسطة العملاق النفطي غازبروم(2) Gazprom. أما من الجانب التُّرْكِيّ، فإنَّ خط الأنابيب المذكور يضمن لها أسعاراً تفضيليَّة، وأيضاً يضمن لها السَّيْطَرَة على جزء من إمدادات الغاز الْحَيَوِيّ لأوروبا. وبناءً عليه، فكلا الطرفين التُّرْكِيّ - الرُّوسِيّ فائزان.

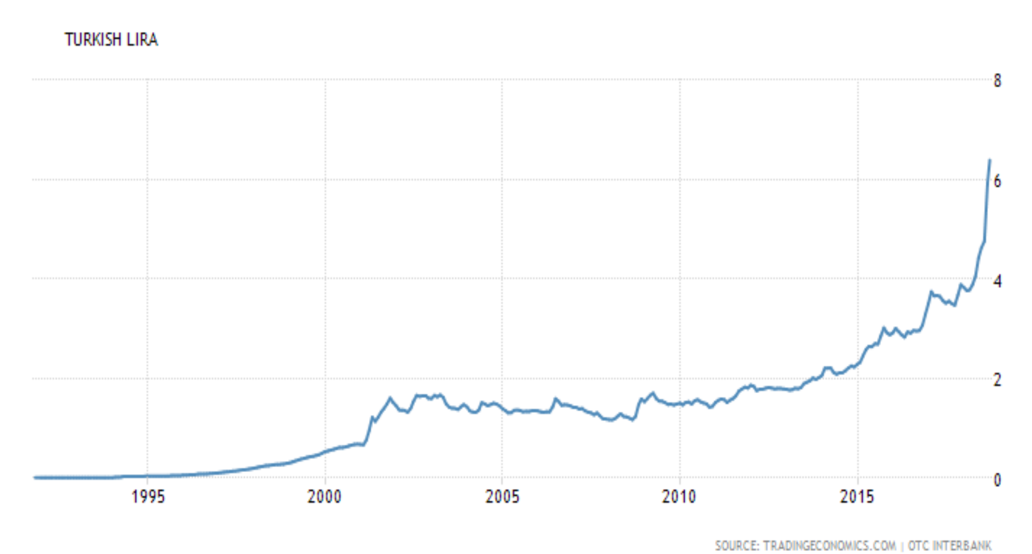
الليرة التُّركِيَّة.. محطَّات الانخفاض والصعود

شَهِدَتْ اللِّيرَة التُّركِيَّة محطَّات من الانخفاض التدريجي أمام الدولار الأمريكي منذ تســـعينيَّات القرن الماضي، فكان الدولار الواحد يساوي أقل من لِيرَتَيْنِ تقريباً، وظلَّ يرتفع وينخفض دون أن يتخطَّى هذا الحاجز حتى العام 2013م(3).

1. روسيا وتركيا توقِّعان مشروع "تورك ستريم" لنقل الغاز عبر البحر الأسود، سي بي إن سي العَرَبِيَّة، 10 أكتوبر 2016، تاريخ الزيارة: 2 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/fCs39G
2. شركـة روســيَّة عالميَّة للطَّاقَة تعمل في مجالات التَّنقيب الجيولوجيّ، والإنتــاج، والنقل، والتخزين، والمعالجة والمبيعــات من الغــاز، ومُكَثَّفَات الغاز والنفط، ومبيعات الغاز كوقود للســيَّارات، فضلاً عن توليد وتســويق الحــرارة والطَّاقــة الكهربائيَّة. وتمتلك غازبروم أكبر احتياطيّ للغاز الطبيعيّ في العالم. وتبلغ حِصَّة الشركة في احتياطيَّات الغاز العالميَّة نحو 17%، والرُّوسِيَّة نحو 72%. للمزيد يُنْظَر: About Gazprom, Gazprom, available at: goo.gl/oZbVre
3. Turkish Lira 1991- 2018 ، موقع tradingeconomics، تاريخ الاطلاع 24 ســبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/MHDDUh.

وخلال الفــترة بين العاميْن 2014 و2016م واصلت اللِّــيرَة انخفاضها بِبُطْءٍ حتى تَخَطَّــى الدولار الأمريكيّ الواحد حاجِزَ الثَّلاث لــيرات تُرْكِيَّة، وفي منتصف العام 2016م اتخذت اللِّيرَة التُّركِيَّة خَطّاً مُعَاكِساً فشَهِدَتْ تحسُّناً طفيفاً، ما لبث أن اختفى مــع حلول العام 2017م؛ فكاد الــدولار يصل حاجز أربع لِيرَات، ومع منتصف العام 2018م ازداد الانخفاض الجنوني لِلِّيرَة، وتخطَّى الدولار حاجِزَ السِّتَّ لِيرَات.

وتُوضِّح الرُّسُــوم البيانيَّة التاليَة تغيُّرات أسعار صَرْف اللِّيرَة التُّركِيَّة مقابل الدولار الأمريكيّ منذ التِّسعينيَّات وحتى العام 2018م: (1)



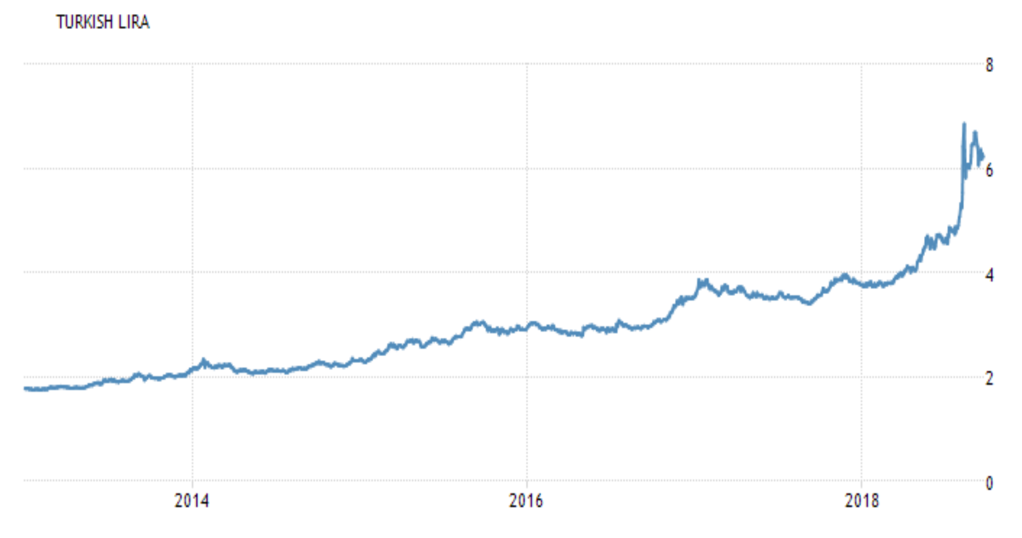
1. Turkish Lira 1991- 2018 ، موقــع tradingeconomics، تاريــخ الاطلاع 24 ســبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/MHDDUh.

TURKISH LIRA

8 6 4 2 0

2010 2012 2014 2016 2018

SOURCE: TRADINGECONOMICS.COM | OTC INTERBANK





وفي صيف 2018م تراجعت قيمة اللِّيرَة التُّرْكِيَّة بسُرْعَةٍ كبيرةٍ، فانخفضت من حاجز 4.5 ليرة للدولار الأمريكي إلى أكثر من 6.5 ليرة، ويعود ذلك للعقوبات الأمريكيَّة التي فَرَضَتْهَا واشنطن على أنقرة، ما أربكت الأخيرة التي فشلت في اتِّخَاذ رَدٍّ سَريعٍ لطَمْأَنَةِ المستثمرين، رغم أنَّ قرار البنك المركزيّ التُّرْكِيّ ضَخّ المزيد من السُّيُولَة أدَّى لتَحَسُّنٍ طفيفٍ في قيمة العُمْلَة الوَطَنِيَّة، لكنَّ ذلك لم يكن كافياً لمواجهة ارتفاع التَّضَخُّم.

ويؤكِّد خبراءُ اقْتِصَادِيُّونَ أنَّ أيَّ دولةٍ تُواجه مِثْلَ هذا التَّدَهْوُر السريع في عُملتها، من المفترض أن تَتَّجِه لرفع أسعار الفائدة، لكنَّ هذا الأمرَ يَرْفُضُه الرئيس التُّرْكِيّ، رجب طيّب أردوغان؛ خوفاً من الخُمُول الاقْتِصَادِيّ(1).

1. محلل اقتصادي يوضح لـ"سبوتنيك" أسباب تراجع قيمة اللِّيرَة التُّرْكِيَّة، موقع arabic.sputniknews, 13 أغسطس 2018، تاريخ الاطلاع 24 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jpT6iH.

وضِمْنَ خُطُواته لمُواجَهَة هذه الأزمَة؛ حثَّ الرئيس التُّرْكيّ رجب طيّب أردوغان - نهاية العــــام 2016م - المواطنين على تحويــــل عملاتهم الأجنبيَّة الَّتي يمْلِكُونَها إلى الذَّهَب أو اللِّــــيرَة التُّركِيَّة؛ من أجل دَعْــــم العُمْلَة الوطنيَّة الآخِذَة في الانخفاض أمام الدُّولَار الأمريكيّ(1)، وقد تكرَّر نداؤه في مايو 2018م بعدما عاوَدَتْ اللِّيرَة هبوطها في الأشهر الأولى من العام الجاري(2)، رغم أنها شهدت تَحَسُّناً طفيفاً منتصف العام 2017م.

وفي أغســــطس 2018م، وبعد أن فَقَدَتْ اللِّيرَة التُّركِيَّة 19% من قيمتها أمام الدولار، بعــــد إعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب مُضاعَفَة الرُّسُــــوم على وَارِدَات الصُّلْب والألمنيــــوم التُّركِيَّة، تجدَّد نداء الرئيس أردوغان للمَــــرَّة الثَّالثة لمواطنيه بتحويل ما يَمْلِكُونه من عُمُلات أجنبيَّة لدعم اللِّيرَة التُّركِيَّة.

1. أردوغان يَحُثُّ الأتراك على استبدال ما لديهم من عملة أجنبية بالذهب أو العملة المحلية، موقع bbc Arabic news، 2 ديسمبر 2016، تاريخ الاطلاع 24 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/apPcpm.
2. أردوغان يدعو الأتراك لتحويل مدخراتهم من اليورو والدولار إلى اللِّيرَة، موقع arabic.rt.، 26 مايو 2018، تاريخ الاطلاع 24 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/nqB7Ps.

المبحث الرابع

السِّيَاسَة الخَارجِيَّة..
فنُّ الممكن وتجنُّب الألغام

دائماً في نفس ســياق رؤية 2023، وبالتزامن مــع احتفالات الذكرى المئويَّة الَّتِي ستصادف نفس التاريخ المذكور، يمكن استعراض أهم محاور السِّيَاسَات الخَارجِيَّة، والَّتِي تَتَمَثَّل فيما يلي(1)؛ العمل على نَيْل تركيا عضويَّة الاتِّحَاد الأُورُوبيّ، لَعِب دَوْر أساسيّ في حلِّ النزاعات والخلافات الإِقْلِيمِيَّة والعَالَمِيَّة، التصنيف ضمن أقوى 10 اقتصادات في العالم بحلول 2023، الســعي لتحقيق التكامل الإِقْلِيمِيّ عن طريق التعاون الأَمْنِيّ والاقتِصَادِيّ.

ويبدو أن تركيا، وإن كانت تســير بثباتٍ نحو بُلُوغ مرتبة دولــة مُتَقَدِّمَة قويَّة، تَتَبَوَّأ مكانتها اللائقة ضمن نادي الدول العظمى في العالم، فإنَّ حقول الألغام، سواءً تلك الَّتِي تُزْرَع في طريقها أو المحيطة بها، تجعل تحقيق مطامحها امتحاناً عســيراً وأمراً صعــبَ المنال. ولهذا تحاول تركيا أردوغــان أن تتفادى كُلّ العوائق، وتعمل على نزع فتيل كُلّ الأزمات (سياسة صفر مشاكل المُنْتَهَجَة في سياسة القُوَّة النَّاعِمَة) الَّتِي تُعطِّل وَتِيرَة تُقَدِّمهَا، وتحاول تحريف طريقها عن القِمَّة المنشــودة، مثل مشكلة فلسطين مع الاحتلال الإسرائيلي، وســوريا والعراق، وخطر "داعــش"، وتزايد التَّهْدِيد الإيراني الشيعي، والتَّدَخُّل الرُّوسِيّ... إلخ.

1. محمــد ياس خضير، "خرائط السياســة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة: السياســة الخَارِجِيَّــة- الفواعل والدوائر"، المعهد المصري للدراســات السِّيَاسِيَّة والاسْــتِرَاتِيجِيّة، 23 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 13 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/i6jW8C

فتركيا خلال العقد الماضي، أضحت سادس قُوَّة اقْتِصَادِيَّة في أوروبا رغم إغلاق باب الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ أمامها، وأصبحت ضمن مجموعة العشرين الَّتِي تسيطر على اقتصاديات العالم، وتمَكَّنَتْ من التَّخَلُّص من عِبْء مديونيتها، لتنطلق دولة دائنة لصندوق النقد الدَّوْلِيّ، في حاجةٍ أكثر من أيِّ وقت مضى لأدوات وأدوار دُبْلُوماسِيَّة مُتَطَوِّرة ومرنة، للتعامل بما يلزم مع العالم الغَرْبِيّ الَّذِي بات يشعر بخطر الدَّوْلَة التُّرْكِيَّة الَّتِي تَتَقَدَّمُ في محيطٍ يعاني كُلّه ركوداً اقْتِصَادِيّاً ومشاكل إرهاب.

وعليه، فالعلاقة مع الدول تُبْنَى على مصالح مشتركة، وليست على العواطف والنوايا. فالولايات المُتَّحِدَة اليوم تتحالف مع إيران العدو التَقْلِيدِيّ لها حتى تستطيع حماية مصالحها في المنطقة، ولا ضَيْرَ إن كانت هذه المصلحة تصبُّ بالحَدِّ الأدنى في خانة العدو، كما أنَّ علاقة تركيا بإسرائيل لن تعود كما كانت في السابق(1).

وقد جعل أحمد داود أوغلو ركيزة السِّيَاسَة الخَارجِيَّة للحكومة التُّرْكِيَّة بناءً على خمسة أسس رئيسة تَتَمَثَّل كما أسلفنا سابقاً في: الموازنة بين تعزيز الحُرِّيَّات في الداخل ومواجهة الأخطار الَّتِي تهدِّدها، حلّ المشكلات مع دول الجوار وتصفير النزاعات، تفعيل سياسة خَارجِيَّة مُتَعَدِّدَة الأبعاد مرتبطة بموقع تركيا على طريق تقاطع القُوَى السِّيَاسِيَّة والمناطق الحَيَوِيَّة في العالم، تطوير أسلوب دبلوماسي جديد في السِّيَاسَة الخَارجِيَّة يقوم على اعتبار أن تركيا مركز المنطقة وليست جسراً بين الشرق والغرب، الانتقال إلى دُبْلُوماسِيَّة منتظمة ومتواصلة، بالتواصل مع المسؤولين على مستويات مختلفة في دول العالم المختلفة.

---

1. مثلاً ما تَمَّ الاتفاق عليه ضمن تسوية قضية ضحايا أسطول الحرية الأتراك كان هو الحَدّ الأدنى الذي يجب أن تُغْلِقَ فيه تركيا هذا الملف، وما أعلن عنه كاتفاق لا يُفصح بالضرورة عن كل شيء، ففي السياسة هناك قاعدة التكتم والبنود السرية تضمن لكل طرف مصالحه الخاصة.

تركيا والاتِّحَاد الأُورُوبِيّ:

في تصريـــحٍ أدْلَى به جان كلـــود جانكـــر Jean - Claude Juncker، رئيس اللجنة الأُورُوبِيَّـــة، ليوميَّة بيلدام ســـونتاغ Bild - am - Sonntag في مارس 2017م، أَكَّدَ أنه "إذا ما تَمَّ إعادة العمل بعقوبة الإعدام في تركيا، فهذا ســـيُؤَدِّي إلى وضع نهاية للمفاوضات"، بل وتَحَدَّثَ عن ما سمَّاه "الخَطّ الأحمر" في سياق شروط الموافقة على انضمام تركيا إلى الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ، الَّتِي يجب عليها الخضوع للمعايير الأُورُوبِيَّة - حســـب قوله دائماً - في ما تَعْتَبِرُه من أساسيات حقوق الإنسان(1). حتى وصل الأمر إلى حَدّ التَّوَتُّر والتَّصْريحات الإعْلاَمِيَّة المُتَشَـــنِّجَة، كما في حالة الأزمة الدُبْلُوماسِيَّة الأخيرة مع كُلّ هولاندا وألمانيا في بحر شهر مارس 2017م(2).

وفي هذا الصَّدَد، لا تكفُّ الدَّوْلَة التُّركِيَّة عن محاولة استغلال قُوَّتهَا النَّاعِمَة لِلانْضِمَام لمنطقة الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ، رَغْم الأزمات وإحســـاس المنظومة الأُورُوبِيَّة بتعاظم دور وَقُوَّة تركيا الَّتِي يجب فرملتها، والعمل على إضعافها. وذلك من خلال تعديل كثير من القوانـــين الدَّاخِلِيَّة، وفتح الباب أمام التبادل التِّجَارِيّ بين أنقرة وكثير من العواصم الأُورُوبِيَّة.

1. المفوضيَّـــة الأوروبيَّـــة: إعادة عقوبة الإعدام في تركيا "خَطّ أحمر" في مســـاعي الانضـــمام للاتِّحَاد، مونت كارلـــو الدَوْلِيَّـــة، 19 مارس 2017م، تاريخ الزيارة: 19 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: /goo.gl SVENGm
2. مَنَعَتْ هولندا وزير الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة مولود تشاوش أوغلو من المجيء إلى روتردام في إطار لقاء مع الجالية التُّرْكِيَّة لدعم الرئيس أردوغان قبيل الاســـتفتاء الشـــعبي الذي أُجْرِيَ يوم 16 أبريل 2017م، وَرَدَّ هذا الأخير بوصـــف هـــذا التَّصَرُّف بـ"النازيَّـــة الجديدة"، والذي نَعَتَ به ألمانيا أيضاً عَقِـــبَ منعها ثلاثة لقاءات في هذا الســـياق أيضاً. للمزيد يُنْظَر: هولندا تمنع طائرة وزير خَارِجِيَّة تركيا.. وأردوغان: "نازيون"، العَرَبِيَّة. نت، 11 مارس 2017، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Qu2pbd

والبداية كانت في 14 أبريل عام 1987م؛ حيث تَقَدَّمَتْ الحكومة التُّركِيَّة بطلب للانضمام لمنطقة اليورو عَقِب توقيع اتِّفَاقيَّة اتِّحَاد جمركي مع الاتِّحَاد الأُورُوبيّ، وفي 12 نوفمبر عام 1999م، تَمَّ الاعتراف بتركيا رسمياً كمُرَشَّحٍ للعضويَّة الكاملة في الاتِّحَاد الأُورُوبيّ. وأهداف تركيـــا لدخول الاتِّحَاد الأُورُوبيّ مُتَعَدِّدَة؛ فتســـعى أنقرة لأن تكون عضواً ضمن المنظومة الأُورُوبِيَّة للحصول على أحدث النُّظُم العَسْـــكَرِيَّة، وضمان حياد القَارَّة العجوز في مشكلة أنقرة مع أثنيا، وقبرص، بالإضافة إلى تقليل الاعتماد على الولايات المُتَّحِدَة الأمْرِيكِيَّة. وبخلاف تلك الأهداف السِّيَاسِـــيَّة، فهناك مجموعـــة من الدوافع الاقتِصَادِيَّة تدفع القيـــادة التُّركِيَّـــة للعمل من أجل الانضـــمام للنادي الأُورُوبيّ، منها: سَـــدّ الفجوة الاقتِصَادِيَّة مع الدول الأُورُوبِيَّة المُتَقَدِّمَة، تحسين كفاءة أدائها الاقتِصَادِيّ، كما ترى تركيا أن السوق الأُورُوبيّ، مجال خِصْبٍ لتصدير الكثير من المنتجات التُّركِيَّة، وضمان حيازة خبرات وتكنولوجيا جديدة، تساعدها في تحديث برنامجها الاقتِصَادِيّ(1).

لكن في مقابل ذلك، هناك بعض العوائق الَّتِي تقف في طريق تركيا نحو هذا الانضمام حيث بلغ عدد ســـكان تركيا 78 مليون نســـمة وَفْقاً لإحصاء عام 2015م، ما جعلها مرشَّحة بقُوَّة لأن تكون العضو الأَوَّل في الاتِّحَاد خلال السنوات القليلة القادمة وَفْقاً لبعـــض التقديرات. مِمَّا يمنحها الحَـــقّ في أن يكون لها أكبر عدد من المُمَثِّلِينَ داخل البرلمـــان الأُورُوبيّ، وهو ما يثير مخاوف سِيَاسِـــيَّة عديدة لدى دول الاتِّحَاد من أن تَتَحَوَّل القضايا الإسْلامِيَّة في تركيا إلى قضايا أوروبيَّة.(2)

على المستوى الاقْتِصَادِيّ يَتَوَقَّعُ البعض أن انضمام تركيا للاتِّحَاد سوف يسمح بتَدَفُّق عددٍ كبيرٍ من المهاجرين الأتراك إلى بعض دول الاتِّحَاد، مثل ألمانيا وفرنسا والمملكة المُتَّحِدَة

1. محمد ياس خضير الغريري، الدور الأمْرِيكِيّ في سياسة تركيا حيال الاتِّحَاد الأُورُوبيّ (1993- 2010م)، مركز الدراسات الوحدة العَرَبِيَّة، 2010م، ص 94.
2. ســامى أحمد، تَخَوُّفَـات أوروبيَّة عديدة تمنع تركيا من الانضمام للاتِّحَـاد الأوروبي، 2 مايو 2017م، دوت مصر، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Uq223L

وغيرها، للبحث عن فُرَص عمل في هـــذه الدول، وهو ما تنفيه المُؤَشِّرَات الاقتِصَادِيَّة التُّركِيَّـــة، والَّتِي تُؤَكِّد على قُدْرَة الاقتصــــاد التُّرْكِيّ على مواجهة الأَزَمَات، والعبور من الشدائد، وهو ما ينفي فكرة أن يلجأ الشباب التُّرْكِيّ إلى أوروبا بحثاً عن عمل.

العوائق الَّتِي تقف في طريق تركيا إذن، تمْتَدّ أيضاً إلى الخلافات السِّيَاسِيَّة التَّارِيخِيَّة مع بعض دول الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ مثل قبرص واليونان، بسبب النزاع التُّرْكِيّ القبرصي عـــام 1974م(1)، والنزاع على جُزُر إيجـــه(2)، واتِّهَام أرمينيا لتركيا بارتكاب مجازر بحق شـــعبها(3)، وتحاول تركيا مواجهة تلك الخلافات بمنطق الأقوياء، فلن ترفض

1. تَتَكَوَّنُ جزيرة قبرص الواقعة في شرق المتوسط من دولتين مُسْتَقِلَّتَيْنِ، منذ عام 1974م؛ إحداهما مُعْتَرَفٌ بها وعضو في الأمم المُتَّحِدَة والاتِّحَاد الأُورُوبِيّ وهي الجمهوريَّة القبرصيَّة وعاصمتها نيقوسيا، والثانية مُسْتَقِلَّة لكنها غير معترف بها ســوى من تركيا، وهي جمهورية شـــمالي قبرص التُّرْكِيَّة، وتســـمى "جمهوريَّة شمالي قبرص التُّرْكِيَّة " وعاصمتها ليفكوشـــه. ويرجع انقســـام قبرص إلى دولتين إلى العام 1974م، حينما تَدَخَّلَتْ القُوَّات التُّرْكِيَّة لحَسْـــمِ النزاع الدائر بين القبارصة الأتراك والقبارصة اليونانيين إِثْرَ قيام ضُبَّاط تابعين لقُوَّات الحرس الوطنيّ من القبارصة اليونانيِّينَ بانقلاب عســـكريّ في قبرص، قبل أن يعلن القبارصة الأتراك بزعامة رؤوف دنكطاش بإعلان المناطق الشـــماليَّة من قبرص منطقة حُكْمٍ ذاتيّ تحت اسم الولايات القبرصيَّة التُّرْكِيَّة الفدراليَّة، ثم أعلنوا في العام 1983م قيام جمهوريَّة شـــمالي قبرص التُّرْكِيَّة التي ســـارعت تركيا للاعتراف بها، لكنها لم تَلْقَ أيّ اعتراف رســـميّ من أيِّ دولة أو من الأمم المُتَّحِدَة حتى الآن؛ حيث أصدر مجلس الأمن الدَّوْلِيّ قراره رقم (541) الذي يقضي بعدم شرعيَّة اســـتقلال شـــمالي قبرص. للمزيد يُنْظَر: قُبرص.. جزيرة الصراع بين تركيا واليونان، تركيا بوست، 18 نوفمبر 2014، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8P4uK2
2. تـُعْتَبَرَ الـجُزُر الموجودة في بحر إيجه، الذي يفصل بين تركيا واليونان، ويربط بين البحرين الأسود والأبيض، من أبرز المَلَفَّات الخلافيَّة بين البلدين، لا سيَّمَا مع النزاع على السيطرة عـلى المـجال البحريّ والـجويّ للمنطقة، والتي عادةً ما تُســـفر عن مناوشـــات بين القُوَّات المُســـلَّحَة للجانبين كادت أن تؤدِّي إلى حرب في العام 1996م، وسط تحذيرات دَوْلِيَّة دائماً ما تُحَذِّر من إمكانية أن تؤدِّي إحدى هذه المناوشات إلى اشتباكات عَسْكَرِيَّة أوسع بين الدولتين. للمزيد يُنْظَر: "الخلاف على الجزر والعداء التاريخي بين تركيا واليونان ما زال قوياً على المســـتويَيْنِ الرســـميّ والشـــعبيّ"، صحيفة القدس العربي اللندنيَّة، 23 مايو 2017، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/c2n2eW
3. يعود العَدَاء التاريخيّ بين الأرمن والأتراك إلى حِقْبَة الحرب العالميَّة الأولى؛ حيث يَتَّهِمُ الأرمن تركيا بالمســـؤوليَّة عن قتـــل مئـــات الآلاف من الأرمن، وفقاً لما يُطلِق عليه بعض المؤرخين الغَرْبِيِّينَ مصطلح "الإبادة الجماعيَّة"؛ حيث ترغب أرمينيـــا باعـــتراف تركيا بارتكابها "إبادة جماعيَّة" بحقِّ الأرمن كشرطٍ لتســـوية الخلاف التاريخيِّ بين الجانبين، وهو الأمـــر الذي طالمـــا رفضتْهُ الحكومات التُّرْكِيَّة المتعاقِبَة، وتَعْتَبِر حكومة العدالة والتَّنْمِيَة والرئيس رجب طَيِّب أردوغان هذه الادعاءات من قبيل الابتزاز السِيَاسِيّ؛ حيث تُؤَكِّد تركيا أَنَّ مَنْ قُتِلَ في الحرب العالميَّة الأولى من الأرمن كانوا من بين جملة ضحايا الجيوش المتقاتلة آنذاك خلال معارك القُوَّات العُثْمَانِيّة مع جيوش بريطانيا وفرنســـا وروســـيا. للمزيـــد يُنْظَـــر: أردوغان: الاتِّهَامات بإبادة الأرمن "ابتزاز" وتركيا "لن تقبلها أبداً"، فرانس 24، 5 يونيو 2016، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/b7n7pL

دول أوروبا انضمام قُوَّة اقْتِصَادِيَّة كبرى مثل تركيا، مهما كانت الخلافات السِّيَاسِيَّة بينهم، فَلُغَة المصلحة تنتصر دائماً(1).

وتشهد تركيا عَمَلِيَّة تحوُّل سِيَاسِيَّة واقْتِصَادِيَّة شاملة، كما يَتِمّ إجراء إصلاحات واسعة النطاق لتحقيق أعلى الضوابط والمقاييس في مجالات الديمُقْرَاطِيَّة وسيادة القانون وحقوق الإنســــان، وذلك وَفْقاً لحاجات الشعب وتَطَلُّعَاتِه. من بين تلك الإصلاحات، المُوَافَقَة على إجراء حُزْمَة التعديلات الدُّسْتُورِيَّة الَّتِي أُقِرَّتْ عبر الاستفتاء الَّذِي جرى بتاريخ 12 سبتمبر 2010م، استمراراً لأعمال الإعداد لدستور تقدُّمي وشامل(2)، وهو ما تَمَّ في اســــتفتاء أبريل من العام 2018؛ حيث وافق غالبيَّة الأتراك على التعديلات الدُّسْتُورِيَّة الَّتِي اقترحتها حكومة العدالة والتَّنْمِيَة لتَتَحَوَّل البلاد إلى النِّظَام الرِّئَاسِيّ بدلاً من النِّظَام البَرْلَمَانِيّ(3).

كما قامت الحكومة التُّركِيَّة بإجــــراء حُزْمَة من الإصلاحات القضائيَّة الَّتِي تَضَمَّنَتْ تعديــــلات جديدة تَتَعَلَّق بتفعيل الخدمات القضائيَّــــة، وبتأجيل الدعاوى والعقوبات الخَاصَّة بالجرائم المرتكَبة عن طريق وسائل الإعلام، وهو ما دخل حَيِّزَ التنفيذ بتاريخ 5 يوليو 2012م. كما أَقَرَّ البرلمان التُّرْكِيّ بتاريخ 12 أبريل 2013م قانون إنشاء مُؤَسَّسَة الرقابة العَامَّــــة (Ombudsman)، والَّتِي تعمل على مراقبة أعمال القضاء، كما تَمَّ تأسيس وزارة مُتَخَصِّصَة في شؤون الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ في عام 2011م(4).

---

1. سامى أحمد، تَخَوُّفَات أوروبية عديدة تمنع تركيا من الانضمام للاتِّحَاد الأوروبي، مرجع سابق.
2. "العلاقــات التُّرْكِيَّــة مع الاتِّحَــاد الأوروبي"، موقع وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّــة ، د.ت، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YV9nlZ
3. اســتفتاء تركيا.. 51.3% صوتوا بنعم على تعديلات الدســتور"، العَرَبِيَّة. نت، 17 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/1RG6MQ
4. "العلاقات التُّرْكِيَّة مع الاتِّحَاد الأوروبي"، موقع وزارة الخَارِجِيَّة التُّرْكِيَّة ، مرجع سابق.

وتشـــهد حالياً المفاوضات بين تركيا وقادة الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ لدخول منطقة اليورو، حالةً من الجمود، وإن كانت مُسْــتَمِرَّة ومتواصلة، بمزيد من ضغوط القُوَّة النَّاعِمَة الَّتِي تفرضها تركيا على دول الاتِّحَاد.

المبحث الخامس

الرؤية الاجْتِمَاعِيَّة.. الرعاية الصحيَّة بشَرَاكة بنَّاءة بين الخاص والعام

تَتَبَنَّى تركيا مشروع بناء قاعدة صحيَّة يستفيد منها مواطن الداخل، وأيضاً جميع بلدان الجوار والمحيط بالمنطقة، وذلك عبر نموذج صحي يستند على شراكة بَنَّاءَةٍ بين القطاعين العام والخاص. فيما المنشـــآت الصحيَّة ســـتأخذ شكل مدن طبيَّة ضخمـــة، مجهَّزة بأحدث التكنولوجيات الطبيَّة وجامعات الطب ومراكز البحوث العلميّ وغيرها. ففي تركيا اليوم، يمارس حوالي 120 ألف طبيب هذه المهنة، وتعتزم الدَّوْلَة رفع عددهم ليصل إلى 200 ألف طبيب في أفق عام 2023م، وذلك بزيادة عدد كليات الطب، إضافة إلى تعميم التأمين الطبي إلى النسبة الكاملة 100%(1).

منظومة الرعاية الصحية(2):

في ميدان الرعاية الصحيَّة، قامت تركيا بإنجاز كبير للغاية تمثَّل في تجاوز الأهداف الَّتِـــي وضعتها مُنَظَّمَة الصِّحَّة العَالَمِيَّة المُحَـــدَّدَة لعام 2025م، من حيث أَمَد العيش المُتَوَقَّع ووفيـــات الرُّضَّع والأُمَّهات. وَوَفْقاً للمعلومات الَّتِـــي أوردتها وزارة الصِّحَّة التُّركِيَّة، ثمَّة تحسُّنٌ كبير في المُؤَشِّرَات الصحيَّة العَامَّة في تركيا، بالموازاة مع "برنامج التغيير في مجال الصِّحَّة"، المعمول به منذ أربعة عشر عاماً في تركيا.

1. محمود رأفت، "رؤية تركيا 2023.. أردوغان على طريق الفاتح"، مرجع سابق.
2. مجلة التأمين الصحي التعاوني، جمادى الآخرة 1434 هـ، مايو 2013م، المجلد 6، العدد 1.

فمنذ عام 2007م، استطاعت تركيا بالفعل تحقيق هدف مُنَظَّمَة الصِّحَّة العَالَمِيَّة، فيما يَخُصّ متوسط العمر المُتَوَقَّع لعام 2025م، والمُحَدَّد بـ75 عاماً. وابتداءً من عام 2015م، ارتفع متوسط العمر المُتَوَقَّع في البلاد إلى 78 عاماً. أما فيما يَتَعَلَّق بمعدل وفيات الرضع، واستهداف مُنَظَّمَة الصِّحَّة العَالَمِيَّة لعام 2025م، عبر نسبة 16 طفلاً لكل 100.000 ولادة حيَّة. ووصلت هذه النسبة عند الأتراك في عام 2007م، إلى رقم 13.9، أما في عام 2015م فقد انخفضت بصورة لافتة إلى نسبة 7.6(1).

وحتى الآن، وفي إطار تجاوز تركيا للأهداف المُحَدَّدَة في هذا الصَّدَد من قِبَل مُنَظَّمَة الصِّحَّة العَالَمِيَّة. سَجَّلَتْ تركيا على مستوى وفيات الأُمَّهَات نسبة 21.2 حالة وفاة لكل 100.000 ولادة حيَّة في سنة 2007م، وانخفضت بدورها إلى غاية رقم 14.7 حالة وفاة في عام 2015م. مقابل الهدف الموضوع من طرف مُنَظَّمَة الصِّحَّة العَالَمِيَّة، المُتَمَثِّل في رقم 25 حالة وفاة لكل 100،000 ولادة حَيَّة. ومقارنة مع البيانات العَالَمِيَّة في مجال الصِّحَّة، أصبحت تركيا أقرب إلى البلدان المُتَقَدِّمَة ذات الدخل المرتفع، والَّتِي وصل متوسط الأعمار المُتَوَقَّعَة فيها إلى 79 سنة، ومعدل وفيات الرُّضَّع إلى نسبة 5.8(2).
تندرج خدمات الرعاية الصحيَّة ضمن منظومة الضمان الاجْتِمَاعِيّ الَّتِي تَتَأَلَّف من ثلاث جهات هي؛ مُؤَسَّسَة التأمينات الاجْتِمَاعِيَّة، وصندوق معاشات التقاعد لموظفي الخدمة المَدَنِيّة، ومُؤَسَّسَة الضمان الاجْتِمَاعِيّ للعاملين لحسابهم الخاص (باغ كور). وتُخَطِّط الحكومة التُّركِيَّة حالياً لوضع كُلّ هذه المُؤَسَّسَات تحت سقف واحد.

1. للمزيد من التفصيل يُنْظَر:
- "مسيرة تركيا خلال 12 عاماً: الحلقة الثالثة عشرة: تَطَوُّر القطاع الصحيّ"، ترك برس، 13 أبريل 2015، تاريخ الزيارة: 2 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/BvYTgx
- تركيا، مُنَظَّمَة الصحة العالميَّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 2 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9U5jgY
2. تركيا، مُنَظَّمَة الصحة العالمية، المرجع السابق.

وفي ظل هذه المنظومة يدفع أصحاب العمل أقســاط التأمين لتغطية إصابات العمل والأمــراض المهنيَّة والوظيفيَّة، أو إجازة الأمومــة، كما أنَّ أصحاب العمل والعاملين يســاهمون، على حَدٍّ سواءٍ، بنِسَــبٍ محددة لتغطية أقساط المرض والتقاعد والعجز والوفاة. وهناك أيضاً مشروع قانون لتوفير الرعاية الصحيَّة للأشــخاص العاطلين عن العمل وفق معايير مُعَيَّنَة.

وتتولى مُؤَسَّسَــة التأمينات الاجْتِمَاعِيَّة مسؤوليَّة توفير الضمان الاجْتِمَاعِيّ للقطاع الخاص، ولمن يســموهم بذوي "الياقات الزرقاء" مــن العاملين في القطاع العام؛ أيْ: موظفــي الدَّوْلَة. ويخوِّل القانون جميع الأشــخاص الَّذين تنطبق عليهم شروط المُؤَسَّسَة الاستفادة من التأمين الاجْتِمَاعِيّ، والحصول على الرعاية الصحيَّة، باستثناء المزارعين، وأصحاب الأعمال الخَاصَّة، والأشــخاص المســاهمين في أحد صناديق المعاشات التقاعديَّة المنصوص عليها في القانون.

ويمكن لوزارة الصِّحَّة التوقيع على عقودٍ خاصَّة مع مستشــفيات مُؤَسَّسَة التأمينات الاجْتِمَاعِيَّة أو المستشــفيات الجامعيَّة أو الخَاصَّة؛ من أجل أن يســتفيد المرضى من خدماتها، على أن يَتِمّ دفع نِسَب مُحَدَّدَة من أسعار بعض العقاقير للمرضى الخَارِجِيّين؛ فالمتقاعد يدفع 10% من الســعر، بينما الموظف يدفع 20%. وتشــمل تأمين التغطية الصحيَّة الَّتِي توفِّرها مُؤَسَّسَــة التأمينات الاجْتِمَاعِيَّــة: إصابات العمل، والأمراض المهنيَّة والوظيفيَّة، والمرض، والعجز، والأمومة. وفي حال وفاة المُؤَمَّنِ عليه، يَتِمّ التكفُّل بنفقات جنازته، كما تحصل زوجته أو أولاده على المعاش التقاعدي الخاص به(1).

1. منظومة الرعاية الصِّحِّيَّة في تـركيـــا، مجلة التأمين الصحي والتعاوني، مايو 2013م، المجلد 6، العدد 1، تاريخ الزيارة 25 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DDNp7C

أما صندوق المعاشـــات التقاعديَّة لموظفي الخدمة المَدَنيّة؛ فهو المُؤَسَّسَة الثانية ضمن منظومة خدمات الرعاية الصحيَّة الَّتِي تُقَدِّمهَا الدَّوْلَة، وتشمل خدماته توفير التأمين الصحي. وبموجب أنظمة الصندوق يدفع موظفو الحكومة المتقاعدون 10% فقط من أســـعار بعض العقاقير الطبيَّة، فيما يَتَكَفَّلُ الصندوق ببقيَّة خدمات الرعاية الصحيَّة. علماً بأنَّ نفقات الصندوق تُمَوَّلُ كاملةً من الحكومة(1).

وضِمْن المنظومة ذاتها توفر مُؤَسَّسَة الضمان الاجْتِمَاعِيّ للعاملين لحسابهم الخاص الرعاية الصحيَّة لمَن لا تشـــملهم تغطية مُؤَسَّسَة التأمين الاجْتِمَاعِيّ، مثل: الْحِرَفِيِّينَ وصغار رجال الأعمال، والتقنيِّينَ والمهنيِّينَ المسجلين للعمل في دائرة أو نقابة مهنيَّة أو مساهمي الشركات الأخرى من التعاونيَّات والشركات المساهمة، والعاملين لحسابهم الخاص في قطاع الزراعة.

ويحصل أعضاء هذه المُؤَسَّسَـــة على خدمات الرعاية الطبيَّة مقابل رسوم تُدفَع على شـــكل أقساط تختلف باختلاف مســـتوى الخدمة المقدَّمة، وتبلغ هذه المستويات 24 مســـتوى، وتغطي المُؤَسَّسَة كُلّ خدمات التشخيص والعلاج، من خلال اتِّفَاقات خاصة مع مقدمي الخدمات الصحيَّة. (2)

وأخيراً، نخلص إلى أنه إذا كانت طريق تركيا أردوغان نحو أهداف 2023، تبدو مُعَبَّدَة ومفروشـــة بالورود، خاصة في السنوات الأُولَى لحكم العدالة والتَّنْمِيَة، وذلك بفضل ثلاثة عوامل رئيسة مُحَدَّدَة؛ الاســـتقرار السِّيَاسِي، السِّيَاسَات الاقتِصَاديَّة المنسجمة، وتَوَسُّع الاقتصاد العالمي، ففي المقابل نجد ثلاثاً أخريات تفسّر خفض سرعة الاقتصاد التُّرْكِيّ؛ الأزمة المَاليَّة لسنة 2008م، المنافسة العَالَمِيَّة الَّتِي أفشلت خطط رفع حصص المنتجـــات التِّكْنُولُوجيَّة ذات القِيمَة المضافة القَوِيَّة على الســـوق الوَطَنِيَّة، والمُؤَثِّرات

1. منظومة الرعاية الصِّحِّيَّة في تـركيـــا، مجلة التأمين الصحي والتعاوني، المرجع السابق.
2. المرجع السابق.

الإِقْلِيمِيَّة في الجوار المشـــتعل، فالمُؤَشِّرَات الاقتِصَادِيَّة لفترة السنوات الأربع الأخيرة، تضع إِمْكَانِيَّات تركيا موضع التســاؤل بل الشـــك، في ظِلِّ ما قيل وما اســـتجدَّ من عوامل سِيَاسِـــيَّة وأمنيَّة مُضْطَرِبَة كذلك، في أن تُحَقِّق كامل أهدافها المُسَطَّرَة حسب رؤية 2023 النيِّرة. بل كانت هناك ضرورة مُلِحَّة لتغيير سياســـات الحكومة في مجال الاقتصاد وحتى الإخلال ظرفِيّاً بسياسة "صفر مشاكل" المعتمدة.

وبوضع تَطَوُّر تركيا وســـيرها الصحيح على طريق 2023 تحت مجهر التَّحْلِيل، لقياس مـــدى إمكانيَّة بلوغ تركيا لأهداف القُوَّة النَّاعِمَـــة في الدرجة الأَوَّلى، والصَّلْبَة عند الضرورة أيضاً، يمكن الوقـــوف عند مرحلتين متمايزتين؛ فترة (2002 - 2008م)، وفيها حقَّقت تركيا إنجازات اقْتِصَادِيَّة كبرى، وفترة (2009 - 2014م)، والَّتِي تمَيَّزَتْ بانخفاض في سرعة نمو الاقتصاد التُّرْكِيّ.

ولتحقيق مشروع "العُثْمَانِيَّة الجديدة" أيضاً، فتركيا أردوغان تُعْتَبَرُ هي الدَّوْلَة الأكثر تَدَخُّلاً في حـــروب ونزاعات المنطقة، من حيث تواجدها في قلب قوس أزمات يَمْتَدّ من أوروبا إلى آسيا، مروراً بالشرق الأوسط وإفريقيا. أما التخمين السائد بأنَّ حكومة العدالة والتَّنْمِيَة تَغُوصُ في مســـتنقع من المآزق أكثر فأكثر بما سينعكس إيجاباً على المنطقة ومصالح اللاعبين الكبار، فذلك قد يُشَكِّلُ خطأً فادحاً.

وَقُبَيْلَ إجراء الاســـتفتاء الدستوري، رأى الغرب أن الرئيس "رجب طَيِّب أردوغان في طريقه إلى إحياء "السلطنة" كما عَنْوَنَتْ يوميَّة لوموند الفرنسيَّة إحدى مقالاتها، ومعها تحاول مجموعة من صحف أوروبا أن تخوض في نفس التَّحْلِيل بالشـــكل الَّذِي يجعل الغرب ينظر بعين الريبة إلى مشروع الإصلاح الدُّسْـــتُورِيّ الَّذِي تَقَدَّمَ به رئيس تركيا القوي بعد انقلاب ليلة 15 و16 يوليوز 2016م الفاشـــل، ووافق عليه الشعب التُّرْكِيّ في أواســـط أبريل 2017م. وقد رأى المُحَلِّلُونَ الغربيُّونَ في الموافقة على التَّعْدِيلاَت الدُّسْـــتُورِيَّة خطوةً لانفراد الرئيس التُّرْكِيّ الحالي بالسُّـــلْطَة التنفيذيَّة بدون سلطة

مضادَّة، تُعْتَبَر من لوازم الممارســـة الديمُقْرَاطِيَّة في الحكم(1)، وهي المخاوف الَّتِي تزايـــدت غربياً عَقِب الفوز العريض الَّذِي حقَّقـــه الرئيس أردوغان وحزب العدالة والتَّنْمِيَة في الانتخابات الرِّئَاسِـــيَّة والتشريعِيَّة المُبَكِّرَة الَّتِي شـــهدتها تركيا في يونيو 2018م، وهي أول انتخابات تشهدها البلاد بعد التَّحَوُّل إلى النِّظَام الرِّئَاسِيّ.

وفي غياب مُعطيات مُؤَكَّدَة بفعل التَّغَيُّرَات الطارئة، وتســـجيل تركيا انعطافة تَارِيخِيَّة بأســـلوب القُوَّة النَّاعِمَة، قبل الاضطرار إلى استعراض واستعمال مثيلتها الصَّلْبَة ولو مُجبَرَةً على ذلك؛ فالمستقبل هو مَن سيجيب على سؤال ليس ببريء (ارتباطاً بمصالح الغرب في وجود تركيا غير قويَّة خارج حدود رقابتها وتفوقها العَسْكَرِيّ والاقتِصَادِيّ)، هل يصبو الرئيس أردوغان إلى الســـير في نفس طريق الفاتح، في انســـجام تامّ مع المبادئ الديمُقْرَاطِيَّة الَّتِي صعد عبرها إلى السُّـــلْطَة؟ أم يَتَطَلَّع إلى سلطة ديكتاتوريَّة تُقَوِّضُ إرْثَ الديمُقْرَاطِيَّة في سبيل زعامة إقْلِيمِيَّة وعَالَمِيَّة، قد تَتَحَقَّقُ في رؤية 2023 أو لا تَتَحَقَّقُ بســـبب وجود زعامات أخرى ومصالح أخرى لن تسمح بقيام تركيا على طريقة "العثمانيِّينَ الجُدُد"؟!

ولَعَلَّ الســـؤال المطروح في قالب ساخر: "تركيا الأُورُوبِيَّة؟ ولماذا لا أوروبا التُّركِيَّة؟"، يُفْصِحُ عن الكثير من الجانب الأُورُوبِيّ المتَوَجِّسُ جداً من النوايا والنجاحات التُّركِيَّة. مما جعَل مســـألة الانضمام إلى المجموعة الأُورُوبِيَّـــة موضع مماطلة مُغَلَّف ورَفْض مُمَنْهَج لما يَقْرُب من الثلاثين عاماً، أي منذ تاريخ 14 أبريل 1987م؛ حيث كانت تركيا مُرشَّحة رسمِيّاً للانضمام إلى المنظومة الاقتِصَادِيَّة الأُورُوبِيَّة، الشكل المُؤَسَّسَاتِيّ، في ذلك الوقت، لِمَا أصبح يُطْلَق عليه حاليّاً الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ. وهي في هذا تمتلك أفضل المُقَوِّمَات على حســـاب دول أخرى وَلَجَتْ البَوَّابَة الأُورُوبِيَّة بســـهولة كبيرةٍ، ولأسباب سِيَاسِيَّة واسْتِرَاتِيجِيَّة لا تمُتُّ للاقتصاد والتكامل والتجانس بصلة!

1. Marie Jégo، Turquie : Recep Tayyip Erdogan en route vers le sultanat، LE MONDE, 11.02.2017, goo.gl/QGVMd8

ومن خلال ترسيخ الهيمنة القَانُونِيّة للرئاسة على النِّظَام الَّذِي قد تحرسه هيئات أمنيَّة وعَسْـــكَرِيَّة منغلقة على كُلّ تغيير، وتكريس مفاهيم المجتمع النافذ والعولمة "الْجَمْعِيَّةِ" (اســـتعمال ضمير الجمع نحن بدل الأنا)، وتفعيل إرادة خَلْق قُوَّة اقْتِصَادِيَّة ضاربة، وأيضاً الانضمام للشـــعب عبر بَوَّابَة تحقيق الرَّفَاهِيَّة والسِّـــلْم الدَّاخِلِيّ.. إلخ، يبدو الرئيس أردوغان منذ أن كان مُجَرَّد مرشَّح في سباق سلطة ديمقراطي "رسول تغيير"، يرســـم برنامجاً مُؤَثِّراً عن ملامح "تركيا الجديـــدة"، والَّتِي يحلم بقيادتها حتى أفق 2023، مستثمراً كُلّ طاقات "القُوَّة النَّاعِمَة"، حتى إنَّ بعض وسائل الإعلام في أوروبا وَصَفَتْ سَيْرَ أردوغان الحثيث وراء حلم تركيا منفتحة وكبيرة كَقُوَّة عَالَمِيَّة، بأنه يسير على خُطَى أتاتورك مؤســـس العَلْمَانِيَّة والحداثة التُّرْكِيَّـــة، ولو مع اختلاف الخَلْفِيَّة العقائديَّة والمَنْهَجِيَّة.

وفي المقابل تُجْبِرُ مشاكل الجوار والعراقيل الغَرْبِيَّة الموضوعة أمام تركيا، على خوض لعبة مصالح اسْتِرَاتِيجِيَّة معقَّدة ورَصّ صَفِّ الوحدة والقَوْمِيَّة الدَّاخِلِيّ قبل التحالفات والشراكات الخَارجِيَّة، أمام تكتُّل غربي لا يتوانى عن استعمال وسائل زعزعة السَّاحَة الدَّاخِلِيَّة للدول، واســـتعمال ودعم ورقة الانفصال كـــما في قضيَّة الأكراد، أو تَبَنِّي عقيدة استعمال القُوَّة الصَّلْبَة، كما في النموذج السوري.

الخاتمة

لقد تناول الكتاب خبرة وتجربة صعود نجم الدَّوْلَة التُّركيَّة في العلاقات الدَّوْليَّة، وتحوُّلهـا إلى قُطْبٍ إقْلِيمِيّ بتوظيف مفـردات القُوَّة النَّاعِمَة؛ حيث تبدو الدَّوْلَة التُّركِيَّة منذ وصول حزب العدالة والتَّنْمِيَة إلى الحُكْم، في مستهلّ الأَلْفِيَّة الثالثة، حالـة بَحْثِيَّة مثيرة للاهتمام على المسـتوى الأكادِيمِـيّ التنظيري في المجتمع البحثـي، كمادة ثَرِيَّة للنقـاش والجَدَل العلميّ حول مفهـوم القُوَّة Concept Power ومُقْتَرَبَات التَّنْمِيَة Development Approaches الرئيسـة الَّتِي سادَتْ في المنظومة الدَّوْليَّة منذ انتهاء الحرب العَالَمِيَّة الثانية.

وتعمَّق الكتاب في جدالات التَّأثير والتَّأَثُّر بين موجة ثورات الربيع المنحسرة والصُّعُود التُّركِيّ، وناقش ما درَج بعض الباحثين العرب على تسميته بـ"النموذج التُّركِي" Turkey's Paradigm، ومدى صلاحيَّة وجدوى ذلك النموذج للتطبيق والاستلهام في واقع البلدان العَرَبِيَّة.

كـما عرج الكتاب على الجدالات العِلْمِيَّة حـول مَاهِيَّة التَّنْمِيَة في تركيا بين مقولات مقاربتي التَّحْدِيث والتَّبَعِيَّة، مـع التطرُّق للتوظيف المعاكس داخِلِيّاً وخارِجِيّاً لخطط حكومة العدالة والتَّنْمِيَة منذ وصولها العام 2002م إلى سُدَّة الحكم.
وسـعى حزب الرئيس أردوغان جاهـداً إلى رفع الأداء الاقْتِصَـادِيّ والاجْتِمَاعِيّ، وبنـاء مُقَوِّمَات دولة تُرْكِيَّة ذات دور ونفـوذ إقْلِيمِيّ ودولي طلائعيّ، عبر التَّوْظِيف الاسْتِرَاتِيجِيّ لِلْقُوَّة النَّاعِمَة Soft Power، في شِبْه قطيعة مَنْهَجِيَّة مع العقيدة الكَمَالِيَّة المُعْتَمِدَة على وسـائل القُوَّة الصَّلْبَة Hard Power؛ من خلال الانقلابات العَسْكَرِيَّة وهيمنة الجيش على الدَّوْلَة والمجتمع على حَدٍّ سـواء، باعتباره حامي العَلْمَانِيَّة وقيم الجُمهورِيَّة التُّركِيَّة الحديثة.

إنـــه بامتياز، الانتقال الهادئ من النموذج التَّحْدِيثي الَّـــذِي تقوده الدَّوْلَة، ويحميه الجيش بناءً على أفكار كمال أتاتورك الْمَبنية على النزعة الحداثيَّة العَلْمَانِيَّة والثَّقَافِيَّة التغريبيَّـــة بصورة راديكاليَّة، إلى نموذج آخر يجمع بين اســـتحقاقات الديمُقْرَاطِيَّة الانتخابِيَّة والعَلْمَانِيَّة المتسامحة غير التَّدَخُّلِيَّة، من جهة، والهُوِيَّة الوَطَنِيَّة المُسْتَنِدَة على جذور حَضَارِيَّة إسْلامِيَّة من جهة أخرى، مُؤَطَّرة بتنمية اقْتِصَادِيَّة واجْتِمَاعِيَّة عملاقة، تحملها العناوين الكبرى لـ "رؤية 2023" الأردوغانيَّة أو ما يسمى "تركيا الجديدة". وأوضح الكتاب خبرة العدالة والتَّنْمِيَة في تركيا الَّتِي قادت البلاد إلى نموذج جديد أو طريق ثالث، يجمع بين مقولات التَّحْدِيث لبلوغ التَّنْمِيَة المُجْتَمَعِيَّة، وينأى بنفســـه عن آثارها السَّلْبِيَّة وَفْقاً لمقولات التَّبَعِيَّة، مُسْتَخْدِماً القُوَّة النَّاعِمَة كإطار إجرائي، للصعود بتركيا كقطب إقْلِيمِيّ واعد في العلاقات الدَّوْلِيَّة.

وطوَّف الكتاب عبر فصوله التســـعة للإجابة عن تســـاؤلات الكَيْفِيَّة الَّتِي وظَّف بها حـــزب العدالة والتَّنْمِيَة مفردات القُوَّة النَّاعِمَة لتركيا في ســـياق التفاعلات الدَّوْلِيَّة والإقْلِيمِيَّة للوصول إلى القُطْبِيَّة الإقْلِيمِيَّة في الشرق الأوســـط، السِّمَات الَّتِي طبعتها كخبرة مُتَفَرِّدَة ونموذج ذي نكهة خاصة باتت مُلْهِمَة لكثير من الدول والشُّـــعُوب، لا سِيَّمَا في الدول النَّامِية والعالم الإسْلاَمِيّ.
واســـتندت مَنْهَجِيَّة الكتاب التأسيسيَّة على مقترب هجين يجمع بين اقتراب دراسة الحالـــة Case Study Approach كمنهـــج وصفيّ، واقتراب قياس قُـــوَّة الدَّوْلَة Measuring State Power Approach، كمنهج تحليليّ، ومِنْ ثَمَّ الجمع بين مقولات المدرستين الكميَّة والكَيْفِيَّة في دراسات القُوَّة؛ الأمر الَّذِي أتاح للكتاب مساحة واسعة للتعاطي الإجرائي مع دراسات القُوَّة بأوجهها المختلفة؛ الصَّلْبَة، النَّاعِمَة، والذَّكِيَّة.

وعلى الصعيد العملي، خَلُصَ الكتاب إلى أنَّ قُوَّة الدَّوْلَة ليســـت معطًى ثابتاً، وليســـت مفهوماً جامداً، لكنها مفهوم ديناميكي يتمركز حول محدِّدين رئيســـين؛ هما: حيازة

مصادر القُوَّة، والقُدْرَة على إدارة وتوظيف تلك المصادر؛ الأمر الَّذِي يعني في الأخير أنَّ حيازة أيٍّ من مصادر القُوَّة لا يكتسب وزناً وتأثيراً بمُجَرَّد وجوده وامتلاكه، فحسب، وإنمــا يرتبط هذا الوزن والتَّأثِير بالتَّدَخُّل تأثــيراً وإدارة ذلك المصدر وتحويله إلى سلوك فعَّال على الصعيد الدَّوْلِيّ.

واتِّسَاقاً مع اسْــتِرَاتِيجِيَّة القُوَّة النَّاعِمَة كمحفِّز رئيس للصعود التُّرْكِيّ الراهن، تعمَّق الكتــاب في تشريح مفهــوم "القُوَّة النَّاعِمَة"؛ ذلك المصطلــح الَّذِي ظهَر في بداية تســعينيَّات القرن الماضي على يَدِ جوزيف ناي، عميد مُؤَسَّسَــة كيندي للدراســات الحُكُومِيَّة بجامعة هارفارد، ورئيس مجلس المخابرات الوَطَنِيّ ومســاعد وزير الدِّفَاع الأَمْرِيكِيّ الســابق. باعتبارها "قُدْرَة دولــة مُعَيَّنَة على التَّأثِير في دول أخرى وتوجيه خياراتها العَامَّة، وذلك اســتناداً إلى جَاذِبِيَّة نظامها الاجْتِمَاعِيّ والثَّقَافِيّ ومنظومة قيمها ومُؤَسَّسَاتها، بدلاً من الاعتماد على الإكراه أو التَّهْدِيد.

كما ناقش الكتاب ولادة مفهوم ثالث من رحم مَفْهُومَيْ القُوَّة الصَّلْبَة والقُوَّة النَّاعِمَة، وهو "القُوَّة الذَّكِيَّة"، وتناول مفهوم تحول القُوَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة؛ باعتباره يشير إلى فقــدان دولة مُهَيْمِنَة لموقعها القيــاديّ لصالح قادم جديد سريع التنامي؛ حيث يَتَعَــيَّن على هذا القادم الجديد أن يحصل عــلى مصادر لِلْقُوَّة أكبر مما لدى الدَّوْلَة المُهَيْمِنَة أو على الأَقَــلّ يُحْدِثُ تعادلاً مع المُقَدَّرَات القَوْمِيَّة للدولة القائد الآفِلَة، وَلَعَلَّ هــذا هو حال القُوَّة التُّرْكِيَّة الَّتِي صعَدت على الصعيد الإِقْلِيمِيّ بشــكل سريع متنامٍ بتوظيف القُوَّة النَّاعِمَة بذكاء وتقليص مســاحة القُوَّة الصَّلْبَة الَّتِي لم تُؤْتِ ثمارها في حِقْبَة تركيا الكَمَالِيَّة.

وعــلى صعيد توزان القوى؛ ذلك المفهوم القادم من أعــماق حِقْبَة الحرب الباردة، والعــالم ثنائي القُطْبِيَّة، خَلُصَ الكتاب إلى أنَّ ميــزان القُوَى باتَ اليوم مختلفاً عن

ذي قبل، من الناحية النَّظَرِيَّة والتَّطْبِيقِيَّة، بدخول مفهوم القُوَّة النَّاعِمَة وأخواته من التفريعـــات المَفَاهِيمِيَّة الجديدة الَّتِي أَلْقَتْ بظلالها على حقل السِّيَاسَـــات الدَّوْلِيَّة، مشـــيراً إلى أن القُوَّة النَّاعِمَة باتت مصدراً من مصادر التغيير على المســـتوى المَحَلِّيّ والدَّوْلِيّ، لا سِيَّمَا مع كونها لم تَعُدْ حِكْراً على الدول المُتَقَدِّمَة، فحسب، بل إنها خرجت عن السَّيْطَرَة الحُكُومِيَّة لِتَصِيرَ شأناً شعبيّاً خالصاً في حالات كثيرة.

وحلَّل الكتاب مفردات القُوَّة النَّاعِمَة في الخبرة التُّرْكِيَّة، مُشَرِّحاً إياها إلى جملة من الاسْـــتِرَاتِيجِيّات تمسُّ جوانب ناعمة - ناعمة، وأخرى ناعمة - صلبة، وثالثة صلبة - ناعمة؛ من خلال التَّوْظِيف الاسْتِرَاتِيجِيّ للاستقرار الدَّاخِلِيّ والصُّعُود الاقْتِصَادِيّ والحوكمة والحكم الرشـــيد كعوامل جَذْبٍ وقَبُولٍ داخليّ للنُّخْبَة الحاكمة الجديدة من جهة، ونموذج جذب على الصعيد الخَارِجِيّ شـــعبِيّاً ورَســـمِيّاً بشكل فعَّال من جهة أخرى.

وبجانب ذلك، فقد أســـهب الكتاب في شرح وتحليل مرتكزات السِّـــيَاحَة، والفنون، والآداب، والدُبْلُوماسِـــيَّة الإغاثيَّة، والشراكة الخيريَّة، والعوامل المُنَاخيَّة، والجُغْرَافِيّة المُتَفَرِّدَة، والإرث الحَضَارِيّ، والجوانب القِيَمِيَّة التَّارِيخِيَّة، كعوامل رئيســـة في خبرة القُوَّة النَّاعِمَة التُّرْكِيَّة، لا سِـــيَّمَا مع إلقاء الكتاب الضوء على خبرات أخرى تطبيقيَّة لِلْقُوَّة النَّاعِمَة حول العالم، لا سِيَّمَا الولايات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة وروسيا.

ولم يُغْفِل الكتابُ إفرادَ جزءٍ من نقاشـــاته حولَ القُوَّة الذَّكِيَّة، وموقف الخبرة التُّرْكِيَّة منها، وما إذا كانت قد اســـتفادت من الخبرة الأَمْرِيكِيَّـــة الَّتِي تُعَدّ الحقل التَّطْبِيقِيّ الأبرز لهذا المفهوم الجديد على صعيد العلاقات الدَّوْلِيَّة، لا سِيَّمَا خلال حِقْبَة الرئيس الأَمْرِيكِيّ السابق باراك أوباما الَّذِي اعتمد مقولات القُوَّة الذَّكِيَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة بشكل رئيس.

وحَلَّل الكتاب دروس الانقلاب الفاشـــل على حكومة العدالة والتَّنْمِيَة منتصف العام 2016م، وما تَبِعَهُ من اســـتحقاقات تطبيقيَّة مسَّـــت النموذج الناعم لِلْقُوَّة التُّرْكِيَّة مُحْضِرَةً إياها نحو أبعاد تطبيقيَّة خَشِـــنَة، ومـــدى تأثير ذلك على النموذج ونتائجه الإِيجَابِيَّة على مدى السنوات الـ15 الماضية.

وخَلُصَ الكتاب إلى أنَّ ما يمكن وصفه بـ"تخشين" القُوَّة النَّاعِمَة التُّرْكِيَّة الناجم عن تأثير الثورات العَرَبِيَّة وعســـكرتها، وخَاصَّة في ســـوريا، وكذلك الناجم عن تأثيرات المحاولة الانقَلابِيَّة الفاشـــلة، لا يُعدُّ انحرافاً عن نموذج القُوَّة النَّاعِمَة التُّرْكِيَّة، بل إنه تأكيد على طبيعتها ونكهتها الخَاصَّة والمُمَيّزَة؛ من خلال تأكيد الكتاب على أن مظاهر هذا الانحراف لن تَسْتَمِرَّ طويلاً، وأن الطبعة النَّاعِمَة لِلْقُوَّة التُّرْكِيَّة سرعان ما ستعود إلى سيرتها الأَوَّلى، وخَاصَّة بعد التجربة الشَّعْبِيَّة الَّتِي عاشها الأتراك خلال المحاولة الانقَلابِيَّة وما تلاها.

ويذهـــب الكتاب إلى أنَّ خبرة المحاولة الانقَلابِيَّة في حَدّ ذاتها تمُثِّل دليلاً على نجاح اسْـــترَاتِيجِيَّة الصُّعُود التُّرْكِيّ الناعم إِقْلِيمِيّاً ودَوْلِيّاً، بما ألجأ مناوئي تلك الخبرة إلى أدوات القُـــوَّة الصَّلْبَة في محاولة لإجهاضها والنَّيْل منها، وهو ما لم يتحقق، ما يعني في الأخير شـــهادة تحصين قويَّة للخبرة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة لتطبيقات القُوَّة تحت حكم العدالة والتَّنْمِيَة.

وقـــدَّم الكتابُ قراءةً جديدة للاقتصاد الـــتُّرْكِيّ في ظِلِّ العدالة والتَّنْمِيَة؛ من خلال رؤيةٍ تَعْتَبِرُ الاقتصاد هو المدخل الجذَّاب لِلْقُوَّة التُّرْكِيَّة النَّاعِمَة، باعتباره قاطرةً قادت الصُّعُود التُّرْكِيّ الناعم خارِجِيّاً وداخِلِيّاً، ومِنْ ثَمَّ أضحى الاقتصاد وَفْقاً لهذا القراءة نتيجة وسبباً، فهو نتاج لِلْقُوَّة النَّاعِمَة من جهة، وقائداً لتفعيل القُوَّة النَّاعِمَة من جهة أخرى، ومِنْ ثَمَّ فإن الاقتصاد أساس قُوَّة وثمرة قُوَّة في آنٍ واحد.

وفي الأخير، كان من المنطقي أن يجنح الكتاب باتجاه المســـتقبل، ليُقدِّمَ قراءة حول مستقبل القُوَّة النَّاعِمَة التُّركِيَّة من خلال تشريح مقولات اسْتِراتِيجِيَّة 2023 التَنْمَوِيَّة، وموقع القُوَّة النَّاعِمَـــة منها على كافَّة الأصعدة والمجالات، مع إلقاء الضوء على أحد أبرز المُتَغَيِّرَات المُؤَثِّرَة في رســـم خريطة سيناريوهات المستقبل التُّركِيّ، والمُتَمَثِّلة في فوز الرئيس أردوغان وحزب العدالة والتَّنْمِيَة في أول انتخابات تشـــهدها البلاد بعد التَّحَـــوُّل إلى النِّظَام الرِّئَاسِيّ، وهي الانتخابات الرِّئَاسِـــيَّة والتشريعِيَّة المُبَكِّرَة الَّتِي شهدتها تركيا في يونيو 2018م.

واعتبر الكتاب أنه على الرَّغْم من المخاطر الإقْلِيمِيَّة والعَالَمِيَّة، الَّتِي قد تُعَرْقِلُ نجاح رؤية 2023، بل وتحاصر تطبيقاتها الواعدة بشتى العوائق والمآزق، فإنَّ نجاح النموذج التُّركِيّ بصيغة "القُوَّة النَّاعِمَة" يُمَثِّل ارتقاءً سريعاً في الاقتصاد والسِّيَاسَـــة والثقافة، والممارسة الديمُقْرَاطِيَّة، والْحَدُّ من نفوذ العسكر والحرس العلماني القديم المتحجر، ثم المصالحة مع الذات والانفتاح على المحيط.

وأيضاً التوفيق بين المذهبيَّات والقوميَّات، وأخيراً دعم الرَّأْسْـــمَالِيَّة الوَطَنِيَّة في بلد يملـــك إمكانات هائلة، كانت موقوفة لعشرات الســـنين؛ كُلّ ذلك يُمَثِّل دعامة مُهِمَّة لاسْـــتِراتِيجِيَّة 2023 الَّتِي تؤصِّل لقُوَّة تركيا النَّاعِمَة دَوْلِيّاً بعد أن دشَّنتها إقْلِيمِيّاً على مدى سنوات حكم العدالة والتَّنْمِيَة.

مراجع الدراسة

- **المراجع العَرَبِيَّة:**

1. القرآن الكريم.

- **الكتب:**

1. ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد الحضرمي)، مقدمة كتاب العبر وديوان المبتـــدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربـــر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الدار التونسيَّة للنشر، 1984م.
2. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب.
3. أحمد حسين، سعد القحطاني، مظهر الصفوي، علي جار الله، القُوَّة النَّاعِمَة في المنطقة العَرَبِيَّة (السُّـــعُوديَّة- إيران- تركيا) دراســـة في الاسْتِرَاتِيجِيّات والتأثير، مركز الفكر الاسْتِرَاتِيجِيّ للدراسات، إسطنبول، تركيا، 2018م.
4. أحمد داود أوغلو، العالم الإسْـــلَامِيّ في مهب التَحَوُّلَات الحَضَارِيَّة، ترجمة إبراهيم البيومي غانم، القاهرة، مكتبة الشروق الدَّوْلِيَّة، 2006م.
5. أحمد داوود أوغلو، العُمْق الاسْـــتِرَاتِيجِيّ موقع تركيا ودورها في السَّـــاحَة الدَّوْلِيَّة، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبدالجليل، الدار العَرَبِيَّة للعلوم ناشرون ومركز الجزيرة للدراسات، الطبعة الثانيَة، 2011م.
6. أحمد عبدالله الطحلاوي، مفهوم تَحَوُّل القُوَّة في نَظَرِيَّات العلاقات الدَوْلِيَّة.. دراســـة الحالة الصِّينِيَّة، رسالة ماجســـتير، جامعة القاهرة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، 2009م.
7. إســـماعيل صبري، العلاقات السِّيَاسِـــيَّة الدَّوْلِيَّة: النَّظَرِيَّة والواقع، جامعة أسيوط: مركز نشر الكتاب الجامعي، أسيوط، الطبعة الرابعة، 2004م.

8. إيان رتليدج، العطش إلى النفط، الدار العَرَبِيَّة للعلوم، بيروت، 2006م.
9. بيتر تيلور، كولن فيلت، الجُغْرَافِيَا السِّيَاسِيَّة لعالمنا المعاصر، ترجمة عبدالسلام رضوان وإسحاق عبيد، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 282.
10. جـــمال زهران، منهج قياس قُوَّة الدَّوْلَة واحتـــمالات تَطَوُّر الصِّرَاع العَرَبِيّ الإسرائيلي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العَرَبِيَّة، 2006م.
11. جهاد عودة، مقدمة في العلاقات الدَّوْلِيَّة المُتَقَدِّمَة، المكتب العَرَبِيّ للمعارف، 2014م.
12. جوزيف ناي، القُوَّة النَّاعِمَة، ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، مكتبة العبيكان 2007م.
13. جوليان لايدر، حول طبيعة الحرب، مركز الدِّرَاسَـــات العَسْـــكَرِيَّة، دمشق، الطبعة الأَوَّلى، 1981م.
14. روبـــرت أ. دال: التَّحْلِيل السِّـــيَاسِيّ الحديث، ترجمة: علا أبو زيد، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأَوَّلى، 1993م.
15. سماح عبدالصبور عبدالحي، القُوَّة الذَّكِيَّة في السِّيَاسَة الخَارجِيَّة، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، 2014م.
16. صالح إبراهيم، الفضـــاء ولغة السرد في روايات عبدالرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2003م.
17. طارق عبدالجليل، العســـكر والدســـتور في تركيا، دار نهضة مصر للنشر، القاهرة، 2012م.
18. عباس فاضل عطوان، العلاقات السُّـــعُودِيَّة التُّرْكِيَّة، القاهرة، العَرَبِيّ للنشر والتوزيع، 2015م.
19. عبداللـــه تركماني، تعاظم الدور الإِقْلِيمِيّ لتركيا، الناشر: دار نقوش عَرَبِيَّة، تونس، الطبعة الأَوَّلى، 2010م.
20. عقيل سعيد محفوظ، سوريا وتركيا الواقع الراهن واحتمالات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العَرَبِيَّة، لبنان، أكتوبر 2009م.

21. كاظم هاشـــم نعمة، العلاقات الدَّوْلِيَّة، وزارة التَّعْلِيم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، كليَّة العلوم السِّيَاسِيَّة، 1987م.
22. كريم أبو حلاوة، سياسات القُوَّة الذَّكِيَّة ودورها في العلاقات الدَّوْلِيَّة، مركز دمشق للأبحاث والدِّرَاسَات، 2015م.
23. كمال المنـــوفي، أصول النُّظُم السِّيَاسِـــيَّة المقارنة، شركـــة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، 1990م.
24. محمد ربيع وإسماعيل صبري مقلد، موســـوعة العلوم السِّيَاسِيَّة، الكويت، جامعة الكويت، 1993م.
25. محمد زاهد جول، التجربة النهضويَّة التُّرْكِيَّة، مركز نماء للبحوث والدِّرَاسَات، الطبعة الأَوَّلى، بيروت 2013م.
26. محمد صادق إســـماعيل، التجربة التُّرْكِيَّـــة من أتاتورك إلى أردوغان، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأَوَّلى، 2013م.
27. محمد وائل القيسي، الأداء الاسْـــتِرَاتِيجِيّ الأَمْرِيكِيّ بعد العام 2008م: إدارة باراك أوباما أنموذجاً، 2016م.
28. محمد ياس خضير الغريري، الدور الأَمْرِيكِيّ في سياسة تركيا حيال الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ (1993 - 2010م)، مركز الدِّرَاسَات الوحدة العَرَبِيَّة، 2010م.
29. مصطفى كامل السيد، دراسات في النَّظَرِيَّة السِّيَاسِيَّة، جامعة القاهرة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، 2006م.
30. مليحة ألت ونيشـــيك، تركيـــا بعيون عَرَبِيَّة، القاهـــرة، مصر: مركز الشرق للدراسات الإِقْلِيمِيَّة والاسْتِرَاتِيجِيَّة، 2010م.

- **الرسائل الجامعية:**

1. أحمد عبدالله الطحلاوي، مفهوم تَحَوُّل القُوَّة في نَظَرِيَّات العلاقات الدَّوْلِيَّة دراســـة الحالة الصِّينِيَّة، رسالة ماجســـتير، جامعة القاهرة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، 2009م.
2. باكينام الشرقـــاوي، قُوَّة الدَّوْلَة وبرامج التكيُّف الهيكلي: دراســـة مقارنة للحالَّتِين التُّركِيَّة والإيرانيَّة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، 2000م.
3. جـــمال على زهران، مناهج قياس قُوَّة الدول مع التطبيق على توازن القوى بين الدول العَرَبِيَّة وإسرائيل، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، 1988م.
4. ســـماح عبدالصبور، القُوَّة الذَّكِيَّة في السِّيَاسَة الخَارجِيَّة: دراسة في أدوات السِّيَاسَـــة الخَارجِيَّة الإيرانيَّة تجاه لبنان منذ 2005م، رســـالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، جامعة القاهرة، 2013م.
5. مصطفى شفيق علام، قياس قُوَّة الدَّوْلَة الإيرانيَّة وتوازن القوى في منطقة الخليج العَرَبيّ 2003 - 2010م، رســـالة ماجســـتير، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، جامعة القاهرة، 2012م.
6. محمـــود الذوادي، حركة التغيير الاجْتِمَاعِـــيّ في فكر ابن خلدون وعلماء الاجتـــماع الغَرْبِيِّينَ الأوائل، ورقة بحثيَّة مُقَدَّمَـــة لمؤتمر: عبدالرحمن بن خلدون قراءة معرفيَّة منهجيَّة، كليَّة الآداب جامعة عين شـــمس، القاهرة، 5-6 أغسطس 2000م.
7. مِنَّة الله محمد طاهر عبدالهادي، القدرات النسبيَّة والصراع الدَّوْليّ.. دراسة للعلاقات الصِّينِيَّة الأمْرِيكِيَّة بعد انتهاء الحرب الباردة ، رســـالة ماجستير، جامعة القاهرة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، 2011م.

- **الدوريات:**

1. جوزيف ناي، اختبار سياسة أوباما الخَارجِيَّة، بروجيكت سنديك، 14 ديسمبر 2009م.
2. رانيـــة طاهر، "الدور الإقْلِيمِيّ التُّرْكِيّ في ظِلِّ ثورات الربيع العربي"، مجلة رؤية تركيَّة، شتاء 2013م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م.
3. سياســـة تركيا الخَارجِيَّة تِجَـــاه منطقة القوقاز، الراصـــد الإقْلِيمِيّ، مركز الدِّرَاسَات الإقْلِيمِيَّة، جامعة الموصل، عدد 55، يناير 2012م.
4. شريف علي محمد، القُـــوَّة الذَّكِيَّة في الفكر الأمْرِيكِيّ "جوزيف ناي: القُوَّة الذَّكِيَّـــة"، مجلة كُلِّيَّة الملك خالد العَسْـــكَرِيَّة الإلكترونيَّة، الرياض، 1 أكتوبر 2009م.
5. مجلة التأمين الصحي التعاوني، جمادى الآخرة 1434ه، مايو 2013م، المجلد 6، العدد1.
6. محمد الأمين مقراوي الوغليسي، "الصُّعُود التُّرْكِيّ في آسيا الوسطى الواقع والآمال"، مجلة البيان اللندنيَّة، 28 ديسمبر 2016م.
7. نظير محمد أمين، "موقـــف تركيا من أحداث التغيير في المنطقة العَرَبِيَّة"، مجلة العلوم القَانُونِيّة والسِّيَاسِيَّة، جامعة ديالى، العراق، العدد الثاني 2013م.

- **التقارير والفَعَالِيَّات:**

1. عبدالرحمـــن بن خلدون قراءة معرفيَّة مَنْهَجِيَّـــة، كلية الآداب جامعة عين شمس، القاهرة، 5 - 6 أغسطس 2000م.
2. عصام فاعور ملكاوي، "تركيا والخيارات الاسْتِرَاتِيجِيَّة المتاحة"، اللِّقاء العلمي حول الرؤى المســـتقبليَّة العَرَبِيَّة والشراكات الدَّوْلِيَّة، الخرطوم / السودان، مايو 2013م.

3. العلاقـــات الاقتِصَاديَّة والتِّجَاريَّة بين مـــصر وتركيا (من عام 2009 حتى النصف الأَوَّل من 2012م)، وزارة الصناعـــة والتِّجَارَة الخَارجيَّة المصريَّة، أكتوبر 2012م.
4. محمـــود الذوادي، "حركة التغيـــير الاجْتِمَاعِيّ في فكر ابن خلدون وعلماء الاجتـــماع الغربيين الأوائل"، ورقة بَحْثِيَّـــة مقدمة لمؤتمر: عبدالرحمن بن خلـــدون قراءة معرفية مَنْهَجِيَّة، كلية الآداب جامعة عين شـــمس، القاهرة، 5 - 6 أغسطس 2000م.

• مواقع الإنترنت:

1. 150 مليون دولار .. صادرات المسلســـلات التُّركِيَّة، تركيا بوســـت، 27 أغسطس 2014، تاريخ الزيارة: 12 أغســـطس 2018م، متاح عـــلى الرابط التالي: goo.gl/75shfL
2. 4 طرق اســـتثماريَّة تُمَكِّنك من الحصول على الجنسيَّة التُّركِيَّة، العَرَبِيَّة. نت، 14 يناير 2017، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/P76dBN
3. 500 مليـــون دولار التبادل التجاري بين البحرين وتركيا، صحيفة أخبار الخليج البحرينيَّة، 16 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/XGqsWx
4. 7 ملايين ســـائح عربي زاروا تركيا في الأعوام الأربعـــة الماضية، ترك برس، 5 فبرايـــر 2015م، تاريخ الزيارة: 21 يونيو 2017، متاح على الرابط التالي: cutt.us/KcMzM
5. 7 مليارات دولار عجز ميزانيَّة تركيا في النصف الأول، صحيفة الشرق الأوســـط اللندنيَّة، 19 يوليو 2017، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/1yhk43
6. 95 مليون مســـافر عبروا مطاري إســـطنبول خلال 2017، دايلي صباح، 6 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9bMcAe

7. إبراهيم إسماعيل كاخيا، اليقظة التُّركِيَّة والموقع الإِقْلِيمِيّ، مجلَّة الدفاع العربي، د. ت، تاريخ الزيارة: 6 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/WYtdLK
8. إبراهيم ياسين الخطيب، الدولة الزنكيَّة في بلاد الشام والجزيرة، دار قنديل للنشر والتوزيع، مصر، 2004م.
9. الاتِّحَاد الأُورُوبِيّ يقر 3 مليارات يورو للاجئين في تركيا، دويتش فيله، 3 فبراير 2016م، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/GfhCWE
10. الاتِّحَاد الأوروبي، أحداث عام 2016، هيومان رايتس ووتش، د. ت، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3JXcYS
11. أتراك ألمانيا والخارج عامل حسم في انتخابات تركيا، دويتش فيله، 14 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/k5b1uE
12. إحسان الفقيه، التدخل في شؤون الدول على الطريقة التُّركِيَّة (مقال تحليلي)، وكالة الأناضول للأنباء، 5 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6CuNnJ
13. إحصاءات التجارة الخَارجِيَّة، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار بالجُمهورِيَّة التُّركِيَّة ، د. ت، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QJvJkC
14. أحمد المصري، كيف تَأَثَّرَتْ السينما التُّركِيَّة بصعود العدالة والتَّنْمِيَة؟ تركيا بوست، 24 نوفمبر 2015م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/SxClV
15. أحمد حرَّاز، أحمد داوود أوغلو الفيلسوفُ الذي لم يخُنْ محبوبته!، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/BwTs8F
16. أحمد حرَّاز، أحمد داوود أوغلو الفيلسوفُ الذي لم يخُنْ محبوبته!، كلمتي، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/BwTs8F

17. أحمد داود أوغلو.. توليفة ناجحة للعلم والسياسة، الجزيرة نت، 7 أغسطس 2012م تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي .goo.gl/ATJuVo
18. أحمد داوود أوغلو، العُمْق الاسْتِرَاتِيجِيّ موقع تركيا ودورها في الساحة الدَوْلِيَّة، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبدالجليل، الدار العَرَبِيَّة للعلوم ناشرون ومركز الجزيرة للدراسات، الطبعة الثَّانِيَة، 2011م، ص ص 232- 234.
19. أحمد داوود أوغلو، العُمْق الاسْتِرَاتِيجِيّ موقع تركيا ودورها في الساحة الدَوْلِيَّة، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبدالجليل، الدار العَرَبِيَّة للعلوم ناشرون ومركز الجزيرة للدراسات، الطبعة الثَّانِيَة، 2011م.
20. أحمد عبدالله الطحلاوي، مفهوم تَحَوُّل القُوَّة في نَظَرِيَّات العلاقات الدَوْلِيَّة دراسة الحالة الصِّينِيَّة، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كليَّة الاقتصاد والعلوم السِّيَاسِيَّة، 2009م، ص ص 24- 29.
21. أحمد علي حسن، انتخابات تركيا المُبكّرة.. ضربة ذكيَّة تُعبِّد طريق أردوغان الرئاسي، الخليج أونلاين، 18 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: /goo.gl QjnUjK
22. أحمد مصري، وادي الذئاب دراما تركية عكست واقعاً معاصراً، تركيا بوست، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/t5K7S2
23. إدارة الهجرة التُّركيَّة تعلن عن عدد السُّوريِّينَ في تركيا حتى يونيو/حزيران 2018م، تي آر تي، 13 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DskDjX
24. ارتفاع أعداد السُّيَّاح العرب في تركيا وخاصَّة من دول الخليج العربيّ، ترك برس، 6 سبتمبر 2017م، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/kmNJBw
25. ارتفاع التَّضَخُّم في تركيا لمستوى يفوق التَوَقُّعَات، سكاي نيوز عَرَبِيَّة، 3 يناير 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/MI2GM2

26. أردوغان .. تركيا تدعم كوسوفو في العالم الإسلامي، وكالة الأنباء الكويتة (كونا)، 3 نوفمبر 2010، تاريخ الزيارة: 4 أغسـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/yBy7Kk

27. أردوغان وبوتين يضعان حجر الأساس لأوَّل محطة نووية في تركيا، فرانس 24، 4 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Az7kYn

28. أردوغان يبدأ جولة في أمريكا اللاتينية، صحيفة الحياة اللندنيَّة، 30 يناير 2016، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/JtsazV

29. أردوغان يتوسّـل مواطنيه تحويل مدخراتهم إلى العملة الوطنية، موقع صحيفة البيان.، 11 أغسـطس 2018، تاريخ الاطلاع 24 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/XH8CXb.

30. أردوغان يَحُثُّ الأتراك على استبدال ما لديهم من عملة أجنبية بالذهب أو العملة المحلية، موقع bbc Arabic news، 2 ديسـمبر 2016، تاريخ الاطلاع 24 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/apPcpm.

31. أردوغان يدعو الأتراك لتحويل مدخراتهم من اليورو والدولار إلى اللِّيرَة، موقع arabic.rt.، 26 مايو 2018، تاريخ الاطلاع 24 سـبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/nqB7Ps.

32. أردوغـان يعلن تقديم 5 مليـون دولار إضافيَّة لمكافحة إيبولا في إفريقيا، ترك برس، 21 نوفمبر 2014، تاريخ الزيارة: 8 أغسـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/eXWqfk

33. أردوغان يغادر دافوس غاضباً بعد مُشَادَّة كلاميَّة مع الرئيس الإسرائيلي، دويتش فيله، 30 يناير 2009م، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QrHWUR

34. أردوغان يهدف لتحويل تركيا إلى مركز رئيسيّ لصناعة السِّـلاح، موقع reuters العربية، 27 مايـو 2015م، تاريخ الزيارة 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/nj7PVf .

35. أردوغان يهنئ الشــعب التُّركِيّ بذكرى انتصار ملاذغيرت، تي آر تي العَرَبِيَّة، 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/w6ZGJg
36. أردوغان يوقّع على اتفاقية لـ50 مشروعاً خلال زيارته للبوســنة والهرسك، تركيا بوســت، 20 مايو 2015، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/UPfNmk
37. أردوغان: أوروبا ستخسر إذا لم تَضُمَّ تركيا بحلول عام 2023، رويترز، 31 أكتوبر 2012، تاريخ الزيارة: 30 أغســطس 2018م، متاح على الرابط التالي: /goo.gl DtXR4Z
38. أرقام ودلالات في اســتفتاء تركيــا، بي بي سي عربي، 18 أبريل 2017م، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/IbAVG
39. أرول جــبجي وقادر أوستُــن، سياسة تركيا تِجَاه الأزمة السُّوريَّة، مجلة رؤية تركيَّة، العــدد 3، خريف 2012م، تاريخ الزيــارة 25 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8HpdGN
40. ازدهار العلاقات التُّركِيَّة الإفريقيَّة، دايلي صباح، 10 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/zicgV9
41. أزمة اللِّيرَة: تركيا تقرر مقاطعة السلع الإلكترونية الأمْرِيكِيَّة بسبب العقوبات التي فرضتها إدارة الرئيس دونالد ترامب، بي بي سي عربي، 14 أغســطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/pDrgC9
42. أســباب الأزمة التُّركِيَّة العراقيَّة وأبعادها، صحيفة دايلي صباح التُّركِيَّة ، د. ت، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6LDJyc
43. الاستثمار العقاري في تركيا، الاستثمارات الخَارجِيَّة في تركيا، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oxaHWa
44. الاســتثمار العقاريّ في تركيا، تركيا العقاريَّة، 24 فبراير 2015م، تاريخ الزيارة 25 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wmAVdL

45. الاســـتثمارات الأجنبيَّة المباشرة في تركيا تتراجع 44 % خلال 10 أشهر، صحيفة الاقْتِصَادِيّة، 24 ديســـمبر 2016، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Uaebqs
46. الاســـتثمارات الأجنبيَّة في تركيا تبلغ 191 مليار دولار منذ تَوَلِّي العدالة والتَّنْمِيَة الحكم، ترك برس، 28 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6t9PLR
47. الاســـتثمارات السوريَّة في تركيا تُشَـــكِّل 14% من الاستثمارات الأجنبيَّة، موقع turkpress، 17 ســـبتمبر 2017م، تاريخ الزيارة 14 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/19HkQd.
48. اســـتثمارات قطر في تركيا تناهز 20 مليار دولار، ترك برس، 17 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3p82Pj
49. اســـتطلاع رأي: مدن تركيا الكبرى تُؤَيِّد التعديلات الدُّسْتُورِيَّة، تركيا بوست، 9 فبرايـــر 2017، تاريخ الزيارة: 26 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/TnsLTu
50. اســـتطلاعات رأي تركيَّة: تَقَدُّم طفيف لمؤيِّدِي التعديلات الدُّسْتُورِيَّة، بي بي سي عربي، 12 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 26 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9r2iUT
51. الاستفتاء الدستوري في تركيا.. النتائج والتداعيات، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، 9 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8mgPl2
52. اســـتفتاء تركيا.. 51.3% صوتوا بنعم على تعديلات الدســـتور، العَرَبِيَّة. نت، 17 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/1RG6MQ
53. إسراء محمود، الاقتصاد التركي: 13 عاماً من النجاح، تركيا بوســـت، 16 أكتوبر 2015م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/iuJ0sK
54. إسراء محمود، الاقتصاد التركي: 13 عاماً من النجاح، تركيا بوســـت، 16 أكتوبر 2015م، متاح على الرابط التالي: http: //goo.gl/iuJ0sK

55. إسرائيل... ومحاولة الانقلاب الفاشل في تركيا، موقع مركز رؤية للتنمية السياسيَّة، 29 يوليـــو 2016م، تاريخ الزيـــارة 15 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/yvFCtK.
56. أســـس توازن القوى، بدون مؤلف، موسوعة مقاتل من الصحراء، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م النص متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/7jFei
57. اعتدال ســـلامة، تركيا.. القُوَّة النَّاعِمَة في الشرق الأوسط، مجلة المجَلَّة، 26 مايو 2013م، تاريـــخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/RvrKk5
58. الإغاثة التُّركِيَّة تواصل توزيع المســـاعدات الإنســـانيَّة في اليمن، تركيا الآن، 26 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/q83BFn
59. الاقتصاد التُّركِيّ أكثر جاذبيَّة للمســـتثمرين مـــع توقُّعات جَيِّدَة بالنمو، صحيفة الوطن الكويتيَّة، 18 نوفمبر 2012م، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LDBYYf
60. الاقتصاد التُّركِيّ خلال عقد العدالة والتَّنْمِيَة، رؤية تركيَّة، 2013م، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/i6NmRJ
61. الاقتصاد التُّركِيّ ومستقبل الاستثمارات الأجنبية في تركيا حالياً حقائق وتوقعات، رمال إنفست، 3 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/21wD6A
62. الاقتصاد الـــتُّرْكِيّ يُحَقِّق أعلى نُمُوٍّ بين دول مجموعـــة العشرين 2017، وكالة الأناضـــول للأنباء، 29 مـــارس 20158م، متاح على الرابـــط التالي: goo.gl/b4pq1G
63. الاقتصاد التُّركِيّ يحقق أعلى نُمُوّ بين دول مجموعة العشرين 2017، وكالة أنباء الأناضول، 29 مارس 2017م، تاريخ الزيارة 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/rSb9ud

64. الإماراتيُّــونَ يملكون 300 ألف قدم مُرَبَّع في تركيا، صحيفة الاتِّحَاد الإماراتيَّة، 24 فبراير 2016، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/vhnvyg

65. الأمم المُتَّحِدَة تشارك في استضافة مؤتمر رفيع المستوى في تركيا لدعم الصومال، أخبار الأمم المُتَّحِـــدَة، مُنَظَّمَة الأمم المُتَّحِدَة، 21 مايو 2010م، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xfbQr8

66. أمنيَّة محسن عمر أحمد الزيات، السياسة الخَارجِيَّة الصِّينِيَّة تجاه إفريقيا 1991-2015م، المركز الديمقراطي العربي، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/rs7NT

67. انتخابات تركيا: المغتربون يلعبون دوراً حاســـماً في التصويت لأردوغان، بي بي سي عربي، 22 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8hW3KZ

68. انتهاء نقل القُوَّات إلى القاعدة التُّركِيَّة في قطر، روســـيا اليوم، 20 يونيو 2017، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/HQkXno

69. انفوجرافيك: أكثر مواطني الدول العَرَبِيَّة شراءً للعقار في تركيا، تركيا بوســـت، 26 فبراير 2017، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/GA9cWa

70. انفوجرافيك: تطابق النتائج النهائيَّة للانتخابات التُّركِيَّة مع ما نَشَرَتْهُ الأناضول، وكالـــة الأناضول للأنباء، 5 يوليو 2018م، متاح عـــلى الرابط التالي: /goo.gl uyP1YZ

71. أنـــور عبدالله الرواحنة، هل ســـتصبح تركيا قُوَّة عظمى في الســـنوات القليلة القادمـــة؟، ترك برس، 18 أكتوبر 2015م، تاريخ الزيارة 16 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: http: //goo.gl/Xnbk3Z

72. أهـــم 5 أخطار تُهَدِّد الاقتصاد التركي، موقـــع العَرَبِيَّة، 20 يوليو 2016م، تاريخ الزيـــارة 23 يوليو 2017م، النص متاح على الرابـــط التالي: /https: //goo.gl p7yi1U

73. أهم التعديلات الدُّسْـــتُورِيَّة المُمَهِّدَة للنظام الرئـــاسيّ في تركيا (إطار)، وكالة الأناضول للأنباء، 21 يناير 2017م، تاريخ الزيارة: 25 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/FNHR7x
74. أورهان توربدار، النشاط التُّرْكِيّ الجديد في غرب البلقان: الطموحات والعوائق، موقع رؤية تركيَّة، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/BzhYMw
75. أورهان توربدار، النشاط التُّرْكِيّ الجديد في غرب البلقان: الطموحات والعوائق، رؤيـــة تركيَّة، صيف 2013، نســـخة رقميَّة متاحة عـــلى الرابط التالي: goo.gl/NaHhA2
76. الأوروبيّ يدعـــو للتحقيق في «تجاوزات الاســـتفتاء» ويرفض تهنئة أردوغان، صحيفة الرأي الكويتيَّة، 19 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9xa5aF
77. أوري بلاو، استرِاتيجِيَّة إسرائيل لتحسين صورتها في العالم، صحيفة الأيَّام، 27 مارس 2017م، تاريخ الزيارة 24/9/2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hY57vr
78. آيَّة عبدالواحد، بينها نور ومهند.. 5 مسلســـلات تركيَّة فَشَـــلَتْ في بلدها وحقَّقَتْ نجاحاً هائلاً في الوطن العربي، هافنجتون بوســـت عربي، 28 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/dZB3Qi
79. إيمـــان مصطفى القُوَّة النَّاعِمَة في السياســـة الخَارجِيَّة، فكر أونلاين، 3 مارس 2016م. متاح على الرابط التالي: goo.gl/G7EZxF
80. أيمن الدسوقي، القُوَّة الذَّكِيَّة وسياسة أوباما الخَارجِيَّة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاسترِاتيجِيَّة، 15 فبراير 2009م، تاريخ الزيارة 6 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/fU9Svn
81. إينـــاس محمد البهيجـــي، تاريخ المغول وغزو الدولة الإسْـــلاَمِيَّة، مركز الكتاب الأكاديمي، 2017م.

82. أيهم أبازيد، تركيا بين الحضارة والاستراتيجيَّة، أورينت. نت، 15 فبراير 2016م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/p9kpNg
83. ب- كريم أبو حلاوة، سياسات القُوَّة الذَّكِيَّة ودورها في العلاقات الدَوْلِيَّة، مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2016م، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/yMZTnU
84. البارزاني يُثَمِّن انفتاح تركيا تجاه الأكراد، الجزيرة نت، 31 أكتوبر 2009، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/mtiSEp
85. باريس: الاستفتاء على عقوبة الإعدام في تركيا سيكون انتهاكاً للقيم الأوروبيَّة، صحيفة الشروق المصريَّة، 17 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/VPDS8s
86. باسل الحاج جاسم، أبعاد التَّحَرُّك التُّرْكِيّ في القَارَّة السمراء وتوقيته، 13 مارس 2016م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/8bwGpt
87. باسل الحاج جاسم، الاقتصاد والدِّين طريقا تركيا إلى القَارَّة السمراء، صحيفة الحياة اللندنيَّة، 13 فبراير 2015م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/UDMIk6
88. بالأرقام.. خارطة توزيع اللَّاجئين السوريِّين في تركيا، تركيا بوست، 13 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ciBYYH
89. بالأرقام: تفاصيل الاستثمارات الخليجيَّة في تركيا، موقع عربي 21، 6 أغسطس 2016م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/UjE6h8
90. البرلمان الأُورُوبيّ يوافق على تقليص المساعدات المَالِيَّة لتركيا، يورونيوز، 20 نوفمبر 2017، تاريخ الزيارة: 26 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/7F7pTX

91. البرلمان التُّركِيّ يوافق على ميزانية 2018م، رويترز، 23 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/pTLBBH
92. البرنامج السِيَاسِيّ لحزب العدالة والتَّنْمِيَة التركي، متاح على موقع الحزب على شبكة الإنترنت، على الرابط التالي: goo.gl/MxvA3l
93. بسمة جابر، مسلسل السلطان عبدالحميد الثاني قصة المسلسل وأبطاله وأسباب إثارته للجدل، نجوم مصريَّة، 9 يوليو 2017م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: cutt.us/KFBpg
94. بعد إعلان أردوغان.. تركيا مقبلة على انتخابات رئاسية وبرلمانية مبكرة، دويتش فيله، 18 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/U43bBX
95. بعشيقة.. بؤرة تَوَتُّر بين العراق وتركيا، الجزيرة نت، 24 ديسمبر 2015م، تاريخ الزيارة: 1 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/S3gWsU
96. بكر محمد البدور، قراءة في مشروع الدستور التُّركِيّ الجديد، ترك برس، 10 يناير 2017، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YMTY3a
97. البلقان، الجزيرة نت، 16 مارس 2016م، تاريخ الزيارة 16 نوفمبر 2017م، النَّصُّ متاح على الرابط التالي: goo.gl/L3WgP4
98. بنك الإمارات دبي الوطني يشتري خامس أكبر بنك في تركيا، ترك برس، 23 مايو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/XsCQCi
99. بوحنيَّة قوي، إفريقيا في الاستِرَاتيجِيَّة التُّركِيَّة الجديدة، مركز القرن العربي للدراسات، 6 أكتوبر 2016م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/huPCr1
100. بول سالم، تركيا هي البلد الوحيد في الشرق الأوسط الذي يتّجه إلى المستقبل، مركز كارنيجي الشرق الأوسط، 24 مايو 2010م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/x0bUPF
101. بول كيربي، لماذا فشل الانقلاب العسكري في تركيا؟، بي بي سي، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 17 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/OsE42y

102.بيان حول المســاعدات التي تُقَدِّمُهَا تركيا لفلسطين، وزارة الخَارجيَّة التُّركِيَّة، الرقم: 198، التاريخ: 19 يونيو 2017، تاريخ الزيارة: 8 أغســطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/exBYzm

103.بيتر تيلور، كولن فيلت، الجغرافيا السِّيَاسِــيَّة لعالمنا المعاصر، ترجمة عبدالسلام رضوان وإسحاق عبيد، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 282، ص73.

104.تأثير المسلســلات التُّركِيَّة في الشرق الأوسط، موقع أورونيوز عربي، 29 يونيو 2012م، تاريــخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح عــلى الرابط التالي: /goo.gl Rh57Va

105.التاريخ، الجُمهورِيَّة التُّركِيَّة : مُؤَسَّسَة الضمان الاجْتِمَاعِيّ، د. ت، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/gf5ZtN

106.تالا حلاوة، المسلســلات التُّركِيَّة وفقاعة الاختراق والتأثير في الوطن العَرَبِيّ، موقع جدليَّة، 26 يونيو 2013م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/K9mWxR

107.تدشــين الجسر الثالث على مضيق البوسفور، أحد مشاريع أردوغان العملاقة، فرانس 24، 26 أغســطس 2016، تاريخ الزيارة: 1 ســبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KXWwB7

108.تدشــين خط أنابيب «باكو ـ تبليــسي ـ جيهان» الخميس المقبل، صحيفة البيان الإماراتيَّــة، 11 يوليو 2006م، تاريخ الزيارة: 4 أغســطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9dGnLH

109.تدهور قُوَّة الاتِّحَاد السوفييتيّ وأسباب الانهيار، موسوعة مقاتل، الرياض، د.ت، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/r9mQNV

110.تركيا الثانية أوروبيّــاً في تراجع معدلات الفقر 2016، وكالة الأناضول للأنباء، 6 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 18 أغســطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/RWdhHm

111.تركيا السادسة عَالَمِيّاً من حيث عدد السُّيَّاح 2017، وكالة الأناضول للأنباء، 23 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jKNAjP

112.تركيا الوجهة الأولى للسُّـــيَّاح العرب، ترك برس، 6 يوليو 2015م، تاريخ الزيارة 21 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/iM2mjV،

113.تركيا تبحث في أمريكا اللاتينيَّة عن بديل لأسواق الجوار المُتَعَثِّرَة، إرم نيوز، 29 يناير 2016م، تاريخ الزيـــارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KtnaDR

114.تركيا تبرز في جذب الاستثمارات- رئيس وكالة دعم وتشجيع الاستثمار التُّركِيَّة ، وكالة دعم وتشـــجيع الاســـتثمار في تركيا، 22 يناير 2015م، تاريخ الزيارة 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/IkdhoV

115.تركيا تُبْعِد عن أوروبـــا.. إجماع على وقف التَّفَاوُض مع أنقرة، العَرَبِيَّة. نت، 27 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/sBr8o1

116.تركيا تَتَقَدَّمُ 9 مراكز عَالَمِيّاً في تقرير ممارســـة أنشطة الأعمال 2018م، وكالة الأناضول للأنباء، 31 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 31 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wgDhzw

117.تركيا ترعى كبار السن في منازلهم، العربي الجديد، 13 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/G1JnXy

118.تركيا تســـعى لتكون الأولى عَالَمِيّاً في مجال تصدير المسلســـلات، تركيا بوست، 5 أبريل 2016، تاريخ الزيارة: 13 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/qu13fP

119.تركيا تســـعى لجذب استثمارات أجنبيَّة بقيمة 15 مليار دولار خلال 2017، تركيا بوست، 31 مارس 2017، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/a1yjyn

120. تركيا تُطَوِّر شـــبكة رعاية اجْتِمَاعِيّة رائدة خلال عقدين، ترك برس، 2 أغسطس 2017، تاريخ الزيارة: 18 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/yV7znA
121. تركيا تعلن التصديق على اتفاقيَّة التجارة الْحُرَّة مع ســـوريَّة خلال انعقاد اللجنة الجمركيَّة العليا المشتركة بين البلدين، وزارة المَالِيَّة- الجُمهوريَّة العَرَبِيَّة السوريَّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 2 أغســـطس 2018م، متـــاح على الرابط التالي: goo.gl/unymNn
122. تركيا تكشف عن مسار قناة إسطنبول، موقع arabic.rt.، 15 يناير 2018م، تاريخ الزيارة 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/5TB2gX.
123. تركيا تكشف مسار قناة إسطنبول بطول 45 كيلو متراً، موقع france24، 15 يناير 2018م، تاريخ الزيـــارة 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/oqohGd.
124. تركيا تنتقد تقريراً للاتِّحَاد الأُورُوبيِّ بشأن محادثات العضويَّة، رويترز، 28 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/x3UvpC
125. تركيا تهدف إلى مد خطوط سِـــكَك الحديد بطـــول 30 ألف كلم بحلول 2035، دايلي صباح، 3 مارس 2017، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/eqQy7u
126. تركيا تواجه صعوبات في تحقيق الخُطَّة الاقْتِصَادِيَّة، أصداء الأعمال، 23 أكتوبر 2014م، تاريـــخ الزيارة 13 أبريل 2017م، متـــاح على الرابط التالي: goo.gl/BHIgJP
127. تركيـــا توافق على نـــشر الدِّرْع الصاروخيَّة لـ«الناتـــو» على أراضيها، صحيفة المصري اليوم، القاهرة، 2 ســـبتمبر 2011م، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3g21ry

128.تركيا ستصبح صاحبة كلمة في الأمم المُتَّحِدَة: قبول عضويَّة تركيا وإستونيا التَّامَّة في فريق دعم المانحين لمكتب الأمم المُتَّحِدَة لتنسيق المساعدات الإنسانيَّة، تي آر تي عَرَبِيَّة، 1 يوليو 2014، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QqHTEU

129.تركيا قُوَّة عالميَّة في عام 2023، ترك برس، 9 فبراير 2015م، تاريخ الزيارة: 29 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/MgcFZU

130.تركيا للعراق: نحن بَوّابتُكُم لأوروبا وأنتم بَوَّابتُنا للخليج، صحيفة الاتِّحَاد الإماراتيَّة، 1 نوفمبر 2009، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/VCtBwD

131.تركيا والبوسنة والهرسك تَتَوَصَّلاَنِ لتفاهم حول تطوير التعاون الدفاعي، تي آر تي العَرَبِيَّة، 4 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/pBuZxs

132.تركيا وأمريكا اللاتينيَّة.. علاقات تاريخيَّة تُحييها مساعي النهضة المشتركة، مرصد أمريكا اللاتينيَّة، 3 فبراير 2016م، تاريخ الزيارة 2 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/gJhTJH

133.تركيا وأمريكا تبدآن تدريب المعارضة السوريَّة المعتدلة، الجزيرة نت، 26 مايو 2015م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jw2sbz

134.تركيا وأمريكا تُوَقِّعَان اتِّفاق تدريب المعَارَضَة السوريَّة، صحيفة الشرق القطريَّة، 19 فبراير 2015، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DBzXaZ

135.تركيا.. ارتفاع عدد السُّيَّاح العرب 34% في النصف الأول من العام الجاري، تركيا بوست، 2 أغسطس 2017، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/s9vnpL

136.تركيا.. تاريخ من الانقلابات، روسيا اليوم، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QlDeZx

137.تركيا.. رقم قِيَاسِيّ في عدد السُّـــيَّاح بالربع الأول من 2018م، دايلي صباح، 27 أبريل 2018م، مُتَاح على الرابط التالي: goo.gl/os8EWp

138.تركيا: أردوغان يصف فوز نعم في الاستفتاء بـالتاريخي والمعارضة ستطعن في النتائج، فرانس 24، 17 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 25 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Sbxr9z

139.تركيا: الشارع يُفْشِل الانقلاب وأردوغان يستعيد السيطرة، دويتش فيله، 16 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 17 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/DM9Uia

140.تركيا: ماذا بعد فوز أردوغان بولاية رئاسيَّة جديدة؟، بي بي سي عربي، 24 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/rP1KEz

141.التَّصنِيف الســـياديّ لتركيا يحافظ على تقدير الجـــدارة الائتمانيَّة في مجال الاســـتثمار، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، 20 أغسطس 2016م، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/BQHYTN

142.تعرف على عقوبة الإعدام في تركيا والعالم عبر 6 أسئلة، صحيفة زمان التُّركِيَّة ، 7 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LD9Gwa

143.تفاصيـــل برنامج المِنَح التُّركِيَّة ، ترك بـــرس، 28 يناير 2015، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ESfEag

144.التقرير الاسْتِرَاتِيجِيّ الارتياديّ، الأُمَّة والخروج من التَّبَعِيَّة، مجلة البيان اللندنيَّة بالتعاون مع المركز العربي للدراســـات الإنسانيَّة بالقاهرة، الإصدار الرابع عشر 1438هـ، ص ص 85- 86.

145.تقريـــر الأمين العام للأمم المتحدة: ســـيادة القانون والعدالـــة الانتقاليَّة في مجتمعـــات الصِّرَاع ومجتمعات ما بعد الصِّرَاع ، موقـــع مُنَظَّمَة الأمم المتحدة، 2004م، تاريـــخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متـــاح على الرابط التالي: https://goo.gl/8BTxmR.

146.تقرير أمريكي: لتركيا أهَمِّيَّة استراتيجيَّة في نَقْل الطاقة إلى أوروبا، تركيا بوست، 4 فبراير 2017م، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/BXxga
147.تواصـــل حملات دعم اللِّيرَة التُّرْكِيَّة في عدد من بلدان العالم، وكالة الأناضول للأنباء، 14 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/58Eych
148.تيكا التُّرْكِيَّة : ترميم مســجد النجــاشي في إثيوبيا يكتمل العام الجاري، وكالة الأناضول للأنباء، 23 فبراير 2017، تاريخ الزيارة: 8 أغســطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YRSHg4
149.الجالية التُّرْكِيَّة في هولندا .. من التهميش إلى قاعة البرلمان، نيو ترك بوســت، د. ت، تاريخ الزيارة: 25 أغســطس 2018م، متاح على الرابط التالي: /goo.gl LTRaZU
150.الجالية العَرَبيَّة في إســطنبول تدعــو إلى دعم اللِّيرَة التُّرْكِيَّة ، وكالة الأناضول للأنباء، 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QRwBSp
151.جدليَّة القُوَّة في العلاقات الدَوْلِيَّة، الموســوعة الجزائريَّة للدراسات السِّيَاسِيَّة والاســتِرَاتيجِيَّة، 4 مارس 2015م، تاريــخ الزيارة: 30 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Wu53P6
152.جلال خشيب، السنيما.. قُوَّة ناعمة فاعلة في السياسة الخَارجِيَّة التُّرْكِيَّة، تاريخ الاطلاع 23 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hnC6fC.
153.جلال خشــيب، قراءة في كتاب: العُمْق الاسْــتِرَاتِيجِيّ: موقع تركيا ودورها في الســاحة الدَوْلِيَّة، 23 مايو 2016م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/3Res9
154.جلال ســلمي، ترامب والأزمة السوريَّة وتركيا، ترك برس، 21 نوفمبر 2016م، تاريخ الزيارة 29 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6ywpkT
155.جهــاد الزيــن، التقدّم المدهش في العلاقة التُّرْكِيَّة- الســوريَّة وضيق الأفق اللُّبنَانِيّ، ناو ميديا، 18 ســبتمبر 2003م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/7eQdJO

156.حادث مرمرة: تركيا وإسرائيل تبحثان الأسـبوع المقبل مسألة التعويضات، بي بي سي عربي، 30 مارس 2013، تاريخ الزيارة: 8 أغسـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6JGtqg

157.حالة الطوارئ في سوريا، المفوضيَّة الساميَّة للأمم المُتَّحِدَة لشؤون اللَّاجئين، 19 أبريل 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KrXuXN

158.حرب العراق بالأرقام، بي بي سي عربي، 15 ديسمبر 2011م، تاريخ الزيارة: 26 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/iQGRZQ

159.حسام الدين سويلم، القُوَّة الشاملة للدولة وكيفيَّة حسابها، مجلة البريَّة، القُوَّات المُسَلَّحَة السُّعُودِيَّة، الرياض، د.ت، تاريخ الزيارة 8 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KK2XIT

160.حسن سلمان، وادي الذئاب: المافيا وسيط في كل حروب الشرق الأوسط، ميدل أيست أونلاين، 8 فبراير 2008م، تاريخ الزيارة 6 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jYKyzd

161.حسني عماد حسني، القُوَّة الصلبة والقُوَّة النَّاعِمَة الرُّوسِيَّتَان، مركز بيروت لدراسات الشرق الأوسط، 6 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/bg617o

162.حسين لعريض، واقع الدور الترُّكِيّ الراهن ضمن أدوار الفواعل الإِقْلِيمِيّة والدَوْلِيَّة تِجَاه النزاع السوري، مركز جيل البحث العلمي، 7 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4qy9Vh

163.حكيم غريب، طبيعة التَّحَوُّل في مفهوم القُوَّة في العلاقات الدَوْلِيَّة، لينكدإن، 24 سبتمبر 2016م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xXZBT6

164.حمزة السلامات، مصطلح القُوَّة الذَّكِيَّة نهج جديد في السياسة الخَارجِيَّة الأَمْرِيكِيَّة خلال رئاسة أوباما، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجِيَّة، 03 نوفمبر 2014م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/852UBI

165.حملة الاستفتاء الدستوري تصعّد التوترات بين أوروبا وتركيا، دويتش فيله، 11 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9aDWI1

166.الحواس تقيه، الصادق الفقيه، قراءتان في كتاب العُمْق الاسْتِرَاتِيجِيّ لأحمد داوود أوغلو، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 5 أكتوبر 2010م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/yXwg5q

167.خالد المطيري، الرياض وأنقرة توقعان 9 اتفاقيات بـ 400 مليون دولار، الخليج الجديد، 15 أبريل 2016م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/1TlOr

168.خالص جلبي، غرامشي والهيمنة الثَقَافِيَّة، صحيفة الاتِّحَاد الإماراتيَّة، 24 ديسمبر 2003م، تاريخ الزيارة: 2 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/p72Um3

169.خطط لزيادة التجارة بين السُّعُودِيَّة وتركيا إلى 20 مليار دولار، سي أن أن بالعَرَبِيَّة، 19 فبراير 2017، تاريخ الزيارة: 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/rPNvE4

170.الخطوط الجوية التُّركِيَّة تُحَقِّق أرباحاً تفوق التَّوَقُّعَات، ترك برس، 9 نوفمبر 2017، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jdYJZw

171.الخطوط الجوية التُّركِيَّة تنقل 68.6 مليون مسافر خلال 2017، وكالة الأناضول للأنباء، 9 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/K9DwWF

172.خليل مبروك، الأتراك ينتصرون لعُمْلَتِهِم في مواجهة الدولار، الجزيرة نت، 9 ديسمبر 2016م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KtacXF

173.خليل مبروك، عوامل داخليَّة وخَارجِيَّة وراء صعود السياحة التُّركِيَّة ، الجزيرة نت، 17 أغسطس 2014م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/CSmG2b

174. د. خليل حســـين، القُوَّة وأثرها في الأحـــلاف الدَوْلِيَّة وصراعاتها، مجلة الدفاع الوطني اللُّبنَانيّ، العدد 65، تموز 2008م، تاريخ الزيارة 17 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/feG4yr

175. الدبلُومَاسِـــيَّة الثَقَافِيَّة لتركيا، ترك برس، 17 ديسمبر 2015م، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/m6bBLJ

176. دراسة يونانية: الدراما التُّركِيَّة قُوَّة ناعمة لتحسين الصورة، عربي 21، 2 ديسمبر 2013، تاريخ الزيارة: 13 أغســـطس 2018م، متاح عـــلى الرابط التالي: goo.gl/2jkxqT

177. الدراما التُّركِيَّة تستهدف عائدات بـــملياري دولار (مقابلة)، وكالة الأناضول للأنباء، 20 أكتوبر 2017، تاريخ الزيارة: 13 أغسطس 2018م، مُتَاح على الرابط التالي: goo.gl/MbRrfQ

178. دســـتور 1982 دســـتور الانقلاب العسكري الســـاري في تركيا، ترك برس، 15 ديســـمبر 2015، تاريخ الزيارة: 28 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/REQRGX

179. دســـتور تركيا الجديد، تركيا بوست، 8 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/SrJhcU

180. دســـتور تركيا الصادر عام 1982م شـــاملاً تعديلاته لغاية عام 2011م، موقع constituteproject، 27 يوليو 2018م، تاريخ الزيارة 14 أكتوبر 2018م، نسخة إلكترونية متاحة على الرابط التالي: https: //goo.gl/dPNTSz.

181. دعم تركي للمُعَارَضَة السوريَّة لتشكيل «الجيش الوطني»، صحيفة الشرق الأوسط اللندنيَّة، 18 فبراير 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/GX5Kvi

182. ديديم تالي، ما سِرُّ شـــعبيَّة المسلسلات التُّركِيَّة في أمريكا الجنوبية؟، بي بي سي عربي، 20 ســـبتمبر 2016م، تاريخ الزيـــارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/5tf9tc

183.راشد الغنوشي، الديمُقْرَاطِيَّة وحقوق الإنسان في الإسلام، (دار المجتهد، تونس، 2015م) ، ط2، ص263- 265.

184.رانيَّـــة طاهر، الدور الإِقْلِيمِيّ التُّرْكِيّ في ظِلِّ ثورات الربيع العربي، مجلة رؤية تركيَّة، شـــتاء 2013م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/AguHLZ

185.رشـــا عبدالوهاب، ثورة الدبلُومَاسِـــيَّة الرَّقَمِيَّة.. 3 تَحَدِّيَات تواجه الحكومات، صحيفة الأهرام المصريَّـــة، 20 يوليو 2015م، تاريخ الزيارة: 29 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9vz23Z

186.الرعاية الصِّحِّيَّة في تركيا؛ مستشـــفيات معاصرة.. وإمكانيات حضاريَّة واسعة، تركيا بوســـت، 22 نوفمبر 2014م، تاريـــخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5T8iFg

187.روزين أبو طيون، اجتياحٌ للعقول بأســـاليب راقيَّة، شـــبكة أصداء الإخباريَّة، 3 مـــارس 2014م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/dlN1g

188.روســـيا وتركيا توقِّعان مشروع تورك ستريم لنقل الغاز عبر البحر الأسود، سي بي إن سي العَرَبِيَّة، 10 أكتوبر 2016، تاريخ الزيارة: 2 ســـبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/fCs39G

189.روسيا.. بوابة تركيا إلى آسيا الوســـطى، مركز دراسات كاتيخون، 22 أغسطس 2016م، تاريـــخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح عـــلى الرابط التالي: goo.gl/jXaNfo

190.روميســـاء نور تشكيجي، الفنون الجميلة الإِسْـــلاَمِيَّة في تركيا، ترك برس، 26 أغســـطس 2017، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YdmDjS

191.الرئاســـة: مباحثات مرسي في تركيا تَرَكَّزَتْ على الجانب الاقْتِصَادِيّ، صحيفة المصري اليوم، 30 سبتمبر 2012م.

192.ريتشـــار فولك، رحلة النجاح لأحمد داود أوغلو، الجزيرة نت، 5 مايو 2016م، تاريخ الزيارة 2 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oBXMXz

193.ريـــم أبو عجيب، نظام التعليم في تركيا، أراجيك، 24 ســـبتمبر 2016م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8pD6WZ

194.الرئيـــس أردوغان يَتَوَجَّه إلى كولومبيا في مُسْـــتَهَلّ جولته اللاتينيَّة، تي آر تي العَرَبِيَّة، 9 فبراير 2015، تاريخ الزيارة: 4 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jrrUa2

195.الرئيس التُّرْكِيّ يزور القاهرة لـ«التضامن مع الثورة المصرية»، صحيفة المصري اليوم، 3 مارس 2011، تاريخ الزيارة: 16 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/MVT6w2

196.رئيس الجُمهورِيَّة أردوغان: العلاقات بين تركيا والبوسنة والهرسك تشهد تَطَوُّراً على مستوىً ممتاز، تي آر تي العَرَبِيَّة، 21 مايو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/7xxVdn

197.الرئيس السوري في زيارة تاريخية لتركيا، وكالة الأنباء الكويتية (كونا)، 6 يناير 2004، تاريخ الزيارة: 26 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oduFjG

198.الرئيـــس الصربي: تركيا أكبر قُـــوَّة في البلقان ورأيها مهم، تي آر تي العَرَبِيَّة، 7 مايو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KNnKPJ

199.الرئيس الفلســـطيني يَصِل أنقرة في زيارة رســـميَّة، تركيا بوست، 27 أغسطس 2017، تاريخ الزيارة: 8 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KhGWwQ

200.رئيس الوزراء التُّرْكِيّ السابق أوغلو يعرب عن مخاوف من التعديلات الدُّسْتُورِيَّة، صحيفة القدس العربي اللندنيَّة، 18 يناير 2017، تاريخ الزيارة: 26 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LjLS4K

201. الرئيس اليمني يشـيد بمواقف تركيا الداعمة لبلاده، تركيا بوسـت، 13 سبتمبر 2017، تاريخ الزيارة: 8 أغسـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ubGPxS

202. رئيـس تيكا التُّركِيَّة هناك مَحَبَّة كبيرة في إفريقيا تِجَاه تركيا، رئاسـة الوكالة التُّركِيَّة للتعاون والتنسـيق، 27 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/zB8DN1

203. رئيس وزراء البوسـنة: سـنمنع أي عمل يضرّ بالعلاقات الودّية مع تركيا، تركيا بوست، 20 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LuY5fq

204. زيـاد العالول، رؤية تركيا 2023 وأحلام العـرب، عربي 21، 28 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 13 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QjqUxF

205. زيادة أَهَمِّيَّة تركيا التي تقع على مسـارات الطَّاقَـة، تي آر تي عربي، 3 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/O735Kf

206. سامى أحمد، تَخَوُّفَات أوروبيَّة عديدة تمنع تركيا من الانضمام للاتِّحَاد الأوروبي، 2 مايـو 2017م، دوت مصر، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Uq223L

207. سـامي الأخرس، لماذا أفلت حزب العدالـة والتَّنْمِيَة التُّرْكِيّ من أنياب المحكمة الدُّسْتُورِيَّة؟ موقع بيتنا، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/RRRFm

208. سـعيد الحاج، اتِّجَاهات السياسـة الخَارجِيَّة التُّركِيَّة بعـد رحيل داود أوغلو، إضـاءات، 23 مايو 2016م، تاريخ الزيـارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: goo.gl/MmNSi2

209. سعيد الحاج، تأثيرات النموذج التُّرْكِيّ على تَحَوُّلات الحركات الإِسْلاَمِيَّة العَرَبِيَّة، موقع الجزيرة نت، 21 سـبتمبر 2016م، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/GwqUCk

210.سعيد الحاج، تركيا والأزمة الســـوريَّة.. ملامح مرحلة جديدة، الجزيرة نت، 26 ديســـمبر 2016م، تاريخ الزيارة 29 أبريـــل 2017م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/0f81nM
211.ســـعيد الحاج، قراءة في نتائج الانتخابات التُّرْكِيَّة ، إضاءات، 25 يونيو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Pv9Hhh
212.ســـعيد عبدالفتاح عاشـــور، مصر والشـــام في عصر الأيوبيِّينَ والمماليك، دار النهضة العَرَبِيَّة، بيروت، الطبعة الأولى، 1972.
213.سقط الانقلاب فعَلَت أسهم القُوَّة النَّاعِمَة لتركيا في العالمين العربي والإسلامي، وكالة الأناضول، 16 يوليـــو 2016م، تاريخ الزيارة 18 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/KpgUUY
214.ســـكينة القتبيوي، هل المطبخ التُّرْكِيّ هو أصل المطبخ الشرق أوسطي؟، 5 فبراير 2016م، المرســـال، تاريخ الزيارة 23 يوليـــو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/Ghheg
215.سماح عبدالصبور، القُوَّة الذَّكِيَّة: أدوات السياسة الخَارجِيَّة الإيرانيَّة تِجَاه لبنان، السياســـة الدَوْلِيَّة، 13 مارس 2014م، تاريخ الزيارة 6 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: 77ExGf/lg.oog
216.سمير صالحة، ماذا فعل أردوغان في كازاخستان؟، ترك برس، 17 أبريل 2015م، تاريخ الزيارة 1 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/TA24XM
217.السنيما.. قُوَّة ناعمة فاعلة في السياســـة الخَارجِيَّة التُّرْكِيَّة ، إدراك للدراسات والاستشارات، 19 يوليو 2016م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/tsyqOM
218.سوريا وتركيا تُؤَكِّدَان الرغبة في تعزيز علاقات التعاون والعمل المشترك، وكالة الأنباء الكويتيَّة (كونا)، 6 مارس 2004، تاريخ الزيارة: 2 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3PTgES

219.سوسن الأبطح، أحمد داود أوغلو يرسم النِّظَام الإِقْلِيمِيّ لمنطقة الشرق الأوسط، صحيفة الشرق الأوسط اللندنيَّة، عدد 11653، 24 أكتوبر 2010م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي goo.gl/zB7v9Z

220.السياســـة التُّركِيَّة حيال أمريكا اللاتينيَّة والكاريبي وعلاقاتها مع دول المنطقة، وزارة الخَارجِيَّة التُّركِيَّة ، د.ت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wW6b8h

221.سيزر يعترض على تعديل قانون العقوبات التركي، الجزيرة نت، 3 يونيو 2005، تاريخ الزيارة: 28 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DCrSe1

222.سيف الدين التركمانيّ، رســـائل من مسلسل قيامة أرطغرل، مدونات الجزيرة، تاريـــخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح عـــلى الرابط التالي: https: //goo.gl/E8yo41

223.سيناريوهات ما بعد الاستفتاء على التعديلات الدُّسْتُورِيَّة في تركيا، نون بوست، 16 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/idDibY

224.السينما التُّركِيَّة .. أشـــواطٌ كبيرة في ذكرى انطلاقتها المئويَّة، تركيا بوست، 15 نوفمبر 2014م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/8un9I

225.شبلي تلحمي، تقرير استطلاع الرأي العام العربي لعام 2011م، معهد بروكنجز، 21 نوفمبر 2011، تاريخ الزيارة: 2 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8uShZT

226.الشيماء عرفات، في مواجهة اللَّاجئين: هل تُفَضِّلُ أوروبا الأمن على الإنسان؟، إضاءات، 21 ينايـــر 2016م، تاريخ الزيارة 6 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/P9lYu3

227.صالحة علَّام، الدراما.. القُوَّة النَّاعِمَة التي غَزَتْ بها تركيا العالم!، الجزيرة نت، 3 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/yLf1ZY

228.صنـــدوق النقد الدولي: تركيا السادســـة على العالم من حيـــث النُّمُوّ ، موقع turkpress، 13 أبريل 2015م، تاريخ الزيارة 16 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/QBAjd2.
229.صورة أمريكا تَتَحَسَّـــن مع أوباما، الجزيرة نت، 24 يوليو 2009م، تاريخ الزيارة 1 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jdSxx4
230.طنطاوي يُؤَكِّد لـــغول الرغبة في الانتقال بالبـــلاد نحو الديمُقْرَاطِيَّة، صحيفة الخليج الإماراتيَّة، 4 مـــارس 2011م، تاريخ الزيارة 5 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ab2Jts
231.طه عبدالمقصود، فتح بلاد ما وراء النهر، موقع قصة الإسلام، 21 سبتمبر 2014، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/31dKLM
232.طوبى ياردمجي، تركيا.. إقبال الســـياح العرب على البحر الأســـود في تصاعد مســـتمر، هابيرلر نيوز الترُّكِيَّة ، 19 ديســـمبر 2016م، تاريخ الزيارة 22 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/oylQm
233.عادل عامر، استعمال القُوَّة في العلاقات الدَوْلِيَّة بين قُوَّة القانون وهيمنة القُوَّة، 8/7/2015م، تاريـــخ الزيارة 16 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: www.adelamer.com/vb/archive/index.php/t- 19037.html
234.عاطـــف العمري، تَغَيُّر مفهوم الأمن القوميّ، صحيفـــة الخليج الإماراتيَّة، 13 أغسطس 2014م، تاريخ الزيارة 8 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/D9HN9L
235.عاطف الغمري، أولويَّة الأمن القومي الاقْتِصَادِيّ، صحيفة الخليج الإماراتيَّة، 18 يوليـــو 2012م، تاريخ الزيارة 21 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: http://cutt.us/1LCTg
236.عبدالحافظ الصاوي، الســـياحة الترُّكِيَّة وسهام السياسة، الجزيرة نت، 9 يناير 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/vgslUf

237.عبدالحافـــظ الصاوي، خرائط القوى الاقْتِصَادِيّة، المعهد المصري للدراســـات الاسْـــتِرَاتِيجِيّة، 20 يونيو 2016م، تاريخ الزيـــارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5FKVlK

238.عبدالحكيم سليمان وادي، بحث قانونيّ بعنوان "الاستثناءات الواردة على مبدأ عدم اللُّجُوء لاســـتخدام القُوَّة في القانون الدوليّ"، موقع "الحوار المُتَمَدِّن"، 10 يونيـــو 2013، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/a5jQks.

239.عبدالمعطي زكي، الأمـــن القومي قراءة في المفهـــوم والأبعاد، المعهد المصري للدراسات السِّيَاسِيَّة والاســـتِرَاتِيجِيَّة، 9 فبراير 2016م، تاريخ الزيارة 8 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/66ZoWB

240.عجـــز موازنة تركيا في 2016م أفضل من المُتَوَقَّـــع، العربي الجديد، 16 يناير 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/0N6k4F

241.العدالة والتَّنْمِيَة 14 عام في خدمة تركيا والأمة.. والمســـيرة مُسْتَمِرَّة، ترك برس، 18 أغسطس 2015م، تاريخ الزيارة 22 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/V5TDEa

242.عدد اللَّاجئين السُّوريِّينَ في تركيا يتجاوز 3.5 مليون، تي آر تي عَرَبِيَّة، 14 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KcVybL

243.عدنـــان مندريس، الجزيرة نت، 13 نوفمبر 2016، تاريخ الزيارة: 5 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/B2VxEi

244.العرب يُنْعِشُونَ قطاع العقارات في تركيا، وكالة أنباء نيو ترك بوست، 3 أغسطس 2017، تاريخ الزيارة: 18 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/XjzuLx

245.عِزَّت شـــحرور، الصين ثاني أعلى ميزانيَّة عَسْـــكَرِيَّة بالعالم، الجزيرة نت، 06 مـــارس 2013م، تاريخ الزيارة، 6 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ML3YEk

246.عـــصر ذهبي للعلاقات: تركيا وغرب البلقان خلال عهد حزب العدالة والتَّنْمِيَة، موقع رؤيـــة تركيَّة، تاريخ الزيارة 21 يوليـــو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/U9hfKd
247.العقارات، وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، د. ت، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Wix9ut
248.العلاقات الاقْتِصَادِيّة والتجارية بين مصر وتركيا (من عام 2009م حتى النصف الأول من 2012م) ، وزارة الصناعة والتجارة الخَارجِيَّة المصريَّة، أكتوبر 2012م، ص2.
249.العلاقات الإيرانية- التُّركِيَّة في ظِلِّ الثورات العَرَبِيَّة، علي حسين باكير، الراصد نت، 3 يوليو 2011م، تاريخ الزيارة 16 نوفمبر 2017م، النص متاح على الرابط التالي : http: //cutt.us/af1w3
250.العلاقات التُّركِيَّة الإسرائيليَّة.. تاريخ من الدبلُومَاسِـــيَّة والأزمات، راديو سوا، 30 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة: 8 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/u9hx5W
251.العلاقات التُّركِيَّة مـــع الاتِّحَاد الأوروبي، موقع وزارة الخَارجِيَّة التُّركِيَّة ، د.ت، تاريخ الزيارة 16 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YV9nlZ
252.العلاقات التُّركِيَّة مع الدول الإفريقيَّـــة، وزارة الخَارجِيَّة التُّركِيَّة ، د.ت، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/5Nd6fb
253.العلاقات التُّركِيَّة مع الـــدول الإفريقيَّة، وزارة الخَارجِيَّة التُّركِيَّة ، د. ت، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/NCL2Uq
254.العلاقات التُّركِيَّة مع دول آســـيا الوسطى، وزارة الخَارجِيَّة التُّركِيَّة ، د.ت، تاريخ الزيارة 20 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4RFn8i
255.العلاقات التُّركِيَّة مع دول البلقان، وزارة الخَارجِيَّة التُّركِيَّة ، د. ت، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ndPCxD

256.علماء الدِّين في القَارَّة الإفريقيَّة يدعون تركيا لإنشــاء مدارس ومســاجد في بلادهــم، وكالة الأنباء الكويتيَّة، 4 نوفمبر 2006م، تاريخ الزيارة: 4 أغســطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/MLpM8j
257.علي حســين باكير، القُوَّة النَّاعِمَة التُّركِيَّة في ميزان التحولات العَرَبِيَّة، إسلام أونلايــن، 18 مــارس 2011م، متاحة على صحفة الباحث الشــخصيَّة، لوجود إشــكاليَّة في مصدر النشر الرئيس، تاريــخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/OTjA1C
258.علي محمد أمنيف الرفيعي، القُوَّة النَّاعِمَة وأثرها في مستقبل الهيمنة الأمْرِيكِيَّة، 2014م، تاريــخ الزيارة 15 يوليو 2017م النص متاح على الرابط التالي: http://cutt.us/yNpzL
259.عــلي محمود، 500 رجل أعمال يقودون العلاقات الاقْتِصَادِيّة بين مصر وتركيا، الأهرام المسائي، 25سبتمبر 2014م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/2bsnqh
260.عمــر بولاط، سِــجِلّ الاقتصاد التُّركِيّ من أين وإلى أيــن، ترك برس، 5 يناير 2015م، تاريــخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متــاح على الرابط التالي: goo.gl/oJqPjY
261.عمرو أبو السعود، تامر عرفات، الزلزال التركيّ.. توابع انقلاب الساعات السِّتَّة، كتاب اليوم، دار أخبار اليوم، القاهرة، أغسطس 2016م، ص 11.
262.فادي عبدالله، تركيا في القرن الحادي والعشرين الوظيفة والدور المُسْــتَجَدَّان في ظِلّ التَّغَيُّرَات الجيوســتراتيجيَّة على صعيد العالم والمنطقة وفي ظِلّ مشروع أمريكا للشرق الأوســط الجديد، الحزب الشيوعي اللُّبْنَانِيّ، 16 أكتوبر 2012م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/j90cHE
263.فادي فراســين، البُعد الإنسانيّ والأخلاقيّ في السياســة الخَارجِيَّة التُّركِيَّة ، صحيفة ديالي صباح التُّركِيَّة ، 29 مايو 2016م، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/SA16Mg

264.فــؤاد العمري، تركيا: مفاعيل الهيمنة والتحكُّم، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/xPTgt

265.فؤاد أوقتاي رئيــس إدارة الكوارث والطوارئ (آفـــاد)، موقع المديريَّة العامَّة للصحافة والإعلام التابعة لرئاســـة الـــوزراء التُّركِيَّة ، متاح على الرابط التالي: goo.gl/W9IejN

266.فـــواز العلمي، مفهومنا الخاطئ للقُوَّة النَّاعِمَة، العَرَبِيَّة نت، 20 أكتوبر 2015م، تاريخ الزيارة 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/PKpMMB

267.قاعدة عَسْـــكَرِيَّة تركيَّة في قطر، صحيفة السفير اللُّبنَانِيّة، 16 ديسمبر 2015م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DzCihy

268.قراءة في كتاب: العُمْق الاسْـــتِرَاتِيجِيّ: موقع تركيا ودورها في الساحة الدَوْلِيَّة، مركز إدراك للدراســـات والاستشارات، 23 مايو 2016م، تاريخ الزيارة 13 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/pXKsOc

269.قراءة في كتاب: العُمْق الاسْـــتِرَاتِيجِيّ: موقع تركيا ودورها في الساحة الدَوْلِيَّة، مركز إدراك للدراســـات والاستشارات، 23 مايو 2016م، تاريخ الزيارة 13 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/pXKsOc

270.قطر تدعم اقتصاد تركيا بـ15 مليار دولار: نَرُدُّ الإحســـان بأَحْسَنَ منه، سي أن أن بالعَرَبِيَّة، 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/JuPXz5

271.قطر تدعم اقتصاد تركيا باستثمارات مباشرة بقيمة 15 مليار دولار، موقع bbc، 16 أغسطس 2018م، تاريخ الزيارة 14 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/ArD7PD.

272.قطر وتركيا.. آفاق اقْتِصَادِيّة واعدة، صحيفة الشرق القطريَّة، 15 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/NLCfNk

273.قناة إســـطنبول أكبر المشاريع التي تَتَرَقَّبُهَا تركيا، موقع yenisafak ، 28 فبراير 2018م، تاريخ الزيـــارة 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/AfzFTm.

274.قناة إسطنبول.. المشروع الأضخم في تاريخ تركيا، موقع mubasher.aljazeera، 20 يناير 2018م، تاريخ الزيـــارة 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/oqohGd.

275.قناة إســـطنبول.. المشروع الذي سَـــيُدِرُّ على تركيا مليـــارات الدولارات، موقع turkeyalaan، 14 أكتوبر 2017م، تاريخ الزيارة 18 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/qfRZis.

276.القُوَّة النَّاعِمَـــة التُّركِيَّة في ميزان التحولات العَرَبِيَّة، 20 مارس 2011م، تاريخ الزيـــارة 15 يوليو 2017م، النص متـــاح على الرابط التالي: https://goo.gl/EtSxA2

277.القُوَّة النَّاعِمَة لتركيا في العالمين العربيّ والإسلاميّ، صحيفة دايلي صباح التُّركِيَّة ، 19 يوليـــو 2016م، تاريخ الزيارة 11 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/WnWpzn

278.القُوَّة النَّاعِمَة لتركيا في العالمين العربي والإسلامي، صحيفة دايلي صباح التُّركِيَّة ، 19 يوليـــو 2016م، تاريخ الزيارة 11 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/WnWpzn

279.القُوَّة النَّاعِمَة وحدود التغيير، 28 يناير 2009م، الســـير سيريل تاونسيند، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/5Vsmx

280.كلمة ألقاها الرئيس التركي، مســـاء يوم الأربعاء 13مايو 2015م، أمام منتدى الأعمال التُّرْكِيّ- الألباني المشترك، بالعاصمة الألبانيَّة تيرانا، متاح على الرابط التـــالي: http: //cutt.us/RB58z، والكلمة متاحة عبر مقطع فيديو على موقع يوتيوب، بتاريخ 13 مايو 2015، تاريخ الزيارة: 19 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oJoVrV

281.كم تَكَبَّدَتْ اللِّيرَة التُّركِيَّة مقابل الدولار في 10 ســـنوات؟- عربي 21، 29 أكتوبر 2016م، تاريخ الزيارة 22 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/GY7DN

282.كيـــف بدأت محاولة الانقـــلاب بتركيا وكيف انتهت؟، الجزيـــرة نت، 16 يوليو 2016م، تاريـــخ الزيارة 17 مايو 2017م، متـــاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/JKc4il

283.اللَّاجئون السُّـــورِيُّونَ- تركيا بوست، 21 يونيو 2017م، تاريخ الزيارة 22 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/usEcn

284.اللجنة الاسْـــتِرَاتِيجِيّة العليا، ســـفارة دولة قطر في أنقرة- تركيا، د. ت، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Fckryu

285.لجنة الانتخابات بتركيا تُؤَكِّد سلامة التصويت رغم اعتراض المعارضة، صحيفة الشرق الأوســـط اللندنيَّة، 17 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Fp7cLK

286.لمى خاطر، بل يمكن للفنّ أن يكون رســـاليّاً. مدونات الجزيرة، 5 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/17qd9A

287.ليزلي جيلب Leslie H. Gelb، قواعد القُوَّة، كيف يُنْقِذُ الاتِّفاق الجمعي السياسة الخَارِجِيَّـــة الأمْرِيكِيَّـــة؟ How Common Seen Can Rescue American Foreign Policy ، ترجمة كمال السيد، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، سبتمبر 2013م، ص 220.

288.مـــا هو التمثيل النســـبي الذي أثار الجدل في تركيا مُؤَخَّراً؟، تركيا بوســـت، 5 ديســـمبر 2014، تاريخ الزيارة: 9 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ByMCHH

289.ما هي أبرز التعديلات الدُّسْتُورِيَّة في تركيا؟، صحيفة الحياة اللندنيَّة، 10 فبراير 2017م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/szgh0z

290.ما هي خُطَّة رؤية تركيا لعـــام 2023؟، موقع صحيفة property- turkey، 13 ديســـمبر 2016م، تاريخ الزيارة 16 أكتوبر 2018، متـــاح على الرابط التالي: https://goo.gl/W63vKA.

291.ما هي دوافع إجراء الاستفتاء الدستوري في تركيا؟، موقع bbc العَرَبِيَّة، 13 أبريل 2017م، تاريخ الزيارة 27 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/PlT4G

292.ماجد عزام، ملاحظات أساسيَّة حول الاستفتاء الدستوري في تركيا، عربي21، 13 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/67jueq

293.ماهي حكومة الأقليَّة، وهل يمكن تأسيسها في تركيا؟، ترك برس، 9 يونيو 2015، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/aDQUKm

294.مجاعة الصومال: أردوغان يزور مقديشو، بي بي سي عربي، 19 أغسطس 2011، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/FCKSr5

295.مجاهد آي ديمير، نظرة عامة على تاريخ السينما التُّركِيَّة، ترك برس، 21 أغسطس 2015م، تاريخ الزيارة: 15 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Lh8Kfe

296.مجلة التأمين الصحي التعاوني، جمادى الآخرة 1434 ه، مايو 2013م، المجلد 6، العدد 1.

297.مجموعة من الباحثين، تركيا بين تَحَدِّيَات الداخل ورِهَانات الخارج، الدَّار العَرَبِيَّة للعلوم ناشرون، بيروت، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، الطبعة الأولى، 2009م.

298.مجموعة مؤلفين، عبدالرحمن منيف، المُؤَسَّسَة العَرَبِيَّة للدراسات والنشر، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2008م.

299.محاكمة تاريخية لمُنَفِّذِي انقلاب 1980م في تركيا، دويتش فيله، 4 أبريل 2012م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/bH38hh

300.محطات مفصليَّة لداود أوغلو.. في الحياة والسياسة، تركيا بوست، 9 مايو 2016، تاريخ الزيارة: 5 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/2unxfJ

301.محطات من صراع تركيا وحزب العمال الكردستاني، الجزيرة نت، 26 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: /goo.gl pC2v3k

302.محلل اقتصادي يوضح لسبوتنيك أسباب تراجع قيمة اللِّيرَة التُّركِيَّة، موقع arabic.sputniknews، 13 أغسطس 2018، تاريخ الاطلاع 24 سبتمبر 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/jpT6iH.

303.محمد الأمين مقراوي الوغليسي، الصعود التُّرْكِيّ في آسيا الوسطى الواقع والآمال، مجلة البيان اللندنيَّة، 28 ديسمبر 2016م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/kfmMfq

304.محمد إلهامي، موجز قِصَّة أردوغان، تركيا بوست، 5 أبريل 2016، تاريخ الزيارة: 5 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/NNQAAE

305.محمد بابكر، اقْتِصَادِيُّونَ تحليل نتائج استفتاء تركيا، موقع عالمنا، 1 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/s2fNlB

306.محمد حامد، استفتاء التعديلات الدُّسْتُورِيَّة في تركيا والمخاوف من ديكتاتوريَّة أردوغان، مركز المستقبل للدراسات الاسْتِرَاتِيجِيّة، نُشرت بصحيفة الزمان التُّرْكِيَّة ، 15 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي:https: //goo.gl/9ckJ0C

307.محمد حسن القدو، الرعاية الاجْتِمَاعِيّة في تركيا، ترك برس، 13 يناير 2015م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/xEklfu

308.محمد خالد، النجاح الاقْتِصَادِيّ والصروح الثَّقَافِيَّة والمساعدات نماذج تأثير فاعلة، جريدة البيان الإماراتيَّة، 6 مايو 2017م، تاريخ الزيارة 24/9/2017م، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/ONTrQ

309.محمد شعبان أيوب، التكافل والإغاثة في الخلافة الأموية، موقع المختار الإسلامي، 11 ديسمبر 2013م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/BIH68P

310. محمد علي الحلبي، قراءة في الفكر الأمريكي، 18 يناير 2008م، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/kZlYp
311. محمد غسان الشبوط، تركيا بين الماضي والحاضر، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجيَّة؛ السِّيَاسِيَّة والاقْتِصَادِيّة، د.ت، تاريخ الزيارة 10 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/8P9jrl
312. محمد مكاوي، الاستفتاء التُّرْكِيّ "يزيد الفجوة" بين أنقرة والاتِّحَاد الأوروبي، موقع مصراوي، 17 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/EX3ReU
313. محمد ياس خضير، خرائط السياسة الخَارجِيَّة التُّركِيَّة : السياسة الخَارجِيَّة- الفواعل والدوائر، المعهد المصري للدراسات السِّيَاسِيَّة والاسْترِاتِيجِيّة، 23 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 13 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: /goo.gl i6jW8C
314. محمود رأفت، رؤية تركيا 2023.. أردوغان على طريق الفاتح، صحيفة المقال الإلكترونيَّة، 13 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 13 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/GXizDs
315. محمود سمير الرنتيسي، تركيا وتفعيل القُوَّة الصلبة: الأبعاد والتداعيات، المعهد المصري للدراسات السِّيَاسِيَّة والاستراتيجِيَّة، 3 أبريل 2016م، تاريخ الزيارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/tAYAg6
316. محمود سمير الرنتيسي، تركيا: من الرابح من التحالف العدالة والتَّنْمِيَة أم الحركة القومية؟، نون بوست، 13 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: .goo gl/KhfmD7
317. مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجِيَّة، عوامل قُوَّة الدولة، 7 نوفمبر 2007م، تاريخ الزيارة 17 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: .http: //cutt us/iiUC3
318. مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجِيَّة، عوامل قُوَّة الدولة، 7 نوفمبر 2007م، تاريخ الزيارة 17 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/iiUC3

319.المســـاعدات والمنح التُّركِيَّة للصومال (2015- 2016م)، مركز مقديشو للبحوث والدراسات، د. ت، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/LvQBfW
320.المسلســـل التُّركيّ عبدالحميد.. أرقام قياسِيَّة وإقبال عالميّ، الجزيرة نت، 2 مايو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/YRRsDV
321.مسلســـل العاصمة، عبدالحميد سينفتح على أوروبا، تي آر تي العَرَبِيَّة، 2 مارس 2017، تاريخ الزيارة: 15 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hfZV6A
322.مسلســـل تركي جديد يثير أزمة مع إسرائيل، إم بي سي. نت، 12 يناير 2010م، تاريخ الزيارة 6 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/b7Dmiz
323.مسلســـل عاصمة عبدالحميد يحصد ملايين المشاهدات، دايلي صباح، 26 مايو 2017، تاريخ الزيارة: 15 أغســـطس 2018م، متاح عـــلى الرابط التالي: goo.gl/4mxxsD
324.مسلســـل قيامة أرطغرل .. المسلسل الأكثر حضوراً ومتابعة وتشويقاً، موقع أقاليم بـــرس، 6 أبريل 2017م تاريخ الزيارة 23 يوليو 217م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/kVGiO
325.مسلســـل قيامة أرطغرل.. رسائل إيجابيَّة وأخرى سلبيَّة، موقع اسكتشات (موقع مختصٌّ بالفنون السمعيَّة البصريَّة)، د. ت، تاريخ الزيارة: 13 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/kTXfYk
326.المسلســـلات التُّركِيَّة ، قُوَّة ناعمة تغزو كل المنطقة بكل اللغات، نون بوســـت، 3 ديســـمبر 2013م، تاريخ الزيارة 11 أبريـــل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9V0TLO
327.المسلســـلات التُّركِيَّة حاضرة بقُوَّة في بيوت 142 دولة (تقرير)، وكالة الأناضول للأنباء، 12 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9GWUjZ

328.مسـيرة تركيا خلال 12 عام: الحلقة الرابعـة عَشْرَةَ: الجهود المبذولة في مجال الضمان الاجْتِمَاعِيّ، ترك برس، 20 أبريل 2015، تاريخ الزيارة: 18 أغسـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/RThhUN

329.مسـيرة تركيا خلال 12 عاماً: الحلقة الثالثة عشرة: تَطَوَّر القطاع الصحيّ، ترك بـرس، 13 أبريل 2015، تاريخ الزيارة: 2 سـبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/BvYTgx

330.مشاهير تركيا على جبهتين متضادتَيْنِ بسبب الدستور، صحيفة العرب اللندنيَّة، 28 يناير 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/41ho8G

331.مشروع جديد لرعاية المُسِـنِّينَ، ترك برس، 1 فبراير 2016، تاريخ الزيارة: 18 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/wrdgae

332.مصطفى النجار، تركيا.. كيف نجحت في توظيف الفنّ لتنشـيط السـياحة؟، صحيفـة الأهرام، 12 أبريل 2012م، تاريـخ الزيارة: 6 يوليو 2017، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hTmGFU

333.مصطفى شـفيق علام، التغلغـل الناعم: إفريقيا في الاسْـترِاتِيجِيّة التُّركِيَّة .. المُحَدِّدَات والسِّيَاقات والتَّحَدِّيَات، مجلة قراءات إفريقيَّة، 8 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 27 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/B1qnqT

334.مصطفى شـفيق علام، تحالفات القوى الإِقْلِيمِيّة وآثارها على مستقبل المنطقة، مجلة البيان اللندنيَّة، 23 يناير 2017، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hWgXcF

335.مصطفى كمال أتاتـورك، الجزيرة نت، 13 نوفمبر 2006م، تاريخ الزيارة: 25 يوليو 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4Mureu).

336.مصطفـى محمد صلاح، الـدور التُّرْكِيّ الجديد في الشرق الأوسـط في ظل مفهوم العُثْمَانِيَّة الجديدة، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاسترِاتيجِيَّة؛ الاقْتِصَادِيّة والسِّيَاسِـيَّة، 26 مايو 2017م، تاريخ الزيارة: 6 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/krvEQH

337.مصطلح القُوَّة الذَّكِيَّة نهج جديد في السياســة الخَارجِيَّة الأمْرِيكِيَّة خلال رئاسة أوباما، مركز الروابط للبحوث الاســترَاتيجِيَّة، 3 نوفمبر 2014م، تاريخ الزيارة 16 نوفمبر 2017م ، النص متاح على الرابط التالي: http: //rawabetcenter.com/archives/977

338.مضيقا البوســفور والدردنيل: الأهميّة الاسْــترِاتِيجِيّة لتركيا، تركيا بوســت، 8 ديسمبر 2015، تاريخ الزيارة: 2 سبتمبر 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/tX1Ayr

339.مطار إسطنبول الأَوَّلُ أوروبيّاً في نُمُوِّ رحلات العبور، تي آر تي العَرَبِيَّة، 19 يناير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/XfPFzj

340.معمار ســنان رجل العمارة العُثْمَانِيَّة الأصيلة، ترك برس، 22 أغســطس 2015، تاريخ الزيارة: 12 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/q6vgYN

341.المفوضيَّــة الأوروبيَّة: إعادة عقوبة الإعدام في تركيا خَطٌّ أحمر في مســاعي الانضــمام للاتِّحَاد، مونت كارلو الدَوْلِيَّة، 19 مارس 2017م، تاريخ الزيارة: 19 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/SVENGm

342.مكتب الإحصــاء الأوروبي: تركيا خامس أكبر شريك تجــاري للاتِّحَاد، وكالة الأناضول للأنباء، 20 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Hq2Gcu

343.ملتقى حَرَّان.. أدب مُتَعَدِّد الثقافات ببلاد الأناضول، الجزيرة نت، 24 ديســمبر 2015، تاريخ الزيارة: 12 أغســطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/emYPGk

344.مليحة ألت ونيشيك، تركيا بعيون عَرَبِيَّة، القاهرة، مصر: مركز الشرق للدراسات الإِقْلِيمِيّة والاسترَاتيجِيَّة، 2010م، ص 8.

345.المُمَثلِيَّات في الخارج، وزارة الخَارجِيَّة التُّركِيَّة ، د. ت، تاريخ الزيارة: 4 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/hr39ug

346.مناهج وأساليب قياس قُوَّة الدولة الشاملة، موسوعة مقاتل من الصحراء، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/F1Br2

347.منظومة الرعاية الصِّحِّيَّة في تـركـيـــا، مجلة التأمين الصحي والتعاوني، مايو 2013م، المجلد 6، العـــدد 1، تاريخ الزيارة 25 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DDNp7C

348.المؤتمر الدَّوْلِيّ للمانحين يُخَصِّص 850 مليون دولار من أجل التَّنْمِيَة في دارفور، دويتـــش فيله، 22 مارس 2010، تاريخ الزيارة: 4 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Hp1ocS

349.مؤتمر وزاري في إســـطنبول لمراجعة الشراكة بين تركيا وإفريقيا تحضيراً لقِمَّة الشراكة الثالثـــة بين الجانبين، صحيفة الشرق الأوســـط اللندنيَّة، 11 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/1JwnLH

350.الموقع الرسمي لمُنَظَّمَة مراسلون بلا حدود، 24 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/UmfoPR

351.مولاي علي الأمغاري، سياسة تصفير المشاكل وعمليَّة السِّلْم والديمُقْرَاطِيَّة، تركيا بوســـت، 15 أغسطس 2015م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: cutt.us/M8q2H

352.مـــيركل تَحُثُّ أردوغان على حوار قائم على الاحــــترام في تركيا، دويتش فيله، 17 أبريل 2017، تاريخ الزيارة: 27 أغســـطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/fgCHr7

353.ناجي شـــلاب، القُوَّة النَّاعِمَة.. الإمارات نموذجاً، تاريخ الزيارة 19/6/2017م متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/Ko3T

354.نبيـــل الهتاري، لماذا نجحت التجربة التُّرْكِيَّة ؟، صحيفة القدس العربي اللَّنْدَنِيَّة، 24 أغســـطس 2013م، تاريخ الزيارة 2 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/PXlTUC

355.نتائج الاســـتفتاء على الدســـتور عام 2017، صحيفة يني شفق التُّرْكِيَّة ، تاريخ الزيارة: 27 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/zmyJu4

356.نحو 30% من الاستثمارات الأجنبية في تركيا.. «خليجيَّة»، موقع الخليج الجديد، 6 أغســطس 2016م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/7erAS

357.نزار الفراوي، الثقافة والقُوَّة النَّاعِمَة، حروب الأفكار في السياســة الخَارجِيَّة، مركز برق للدراسات والأبحاث، تاريخ الزيارة 15 يوليو 2017م النص متاح على الرابط التالي: http: //cutt.us/FsXx7

358.نــزار نبيل الحربــاوي، من أجل فهم أقرب لطبيعة التوجهــات التُّركِيَّة ، نداء الوطن؛ الشبكة الفلسطينيَّة للصحافة والإعلام، 15 أبريل 2016م، تاريخ الزيارة 21 يوليو 2017م، النص متاح على الرابط التالي: https: //goo.gl/sCU3Cf

359.نســبة النُّمُوّ السنوي لإجمالي الناتج المَحَلِّيّ بســعر السوق حسب سعر الدولار الأمْرِيكِيّ عام 2001م، تركيا، مؤشرات البنك الدَّوْلِيّ، 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/XA822p

360.النشاط العسكري التُّرْكِيّ المتزايد وتحفيز التَّحَرُّكَات العَسْكَرِيَّة الرُّوسِيَّة، (TRT) العَرَبِيَّــة، 12 يوليو 2015م، تاريخ الزيــارة 9 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/oUMw9U

361.نظرة عامة على تاريخ السينما التُّركِيَّة ، ترك برس، 21 أغسطس 2015م، تاريخ الزيارة 22 يونيو 2017م، متاح على الرابط التالي: http: //www.turkpress.co/node/11852

362.نظــير محمد أمين، موقف تركيا من أحــداث التَّغَيُّر في المنطقة العَرَبِيَّة، مجلة العلوم القانونيَّة والسِّيَاسِيَّة، جامعة ديالى، العراق، العدد الثاني 2013م، ص 9.

363.نورالدين فريضي، كيف تقرأ أوروبا نتائج الاســتفتاء التركي؟، العَرَبِيَّة. نت، 17 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/E9p2TX

364.الهلال الأحمر التُّرْكِيّ يباشر إنشــاء مُخَيَّمَات لـ170 ألف نازح شمالي سوريا، الفيحاء. نت، 13 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/3KNWYP

365.الهلال الأحمر التُّرْكِيّ يدعم السُّــوريِّينَ بـ 7 آلاف شــاحنة خلال 2017، تركيا بوست، 28 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/4N5f5r

366.الهلال الأحمر التُّرْكِيّ يعتزم إرســال مســاعدات لـ 9 مليون شخص في 3 دول، ترك برس، 23 مايو 2017، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/KVBi6n

367.هيئة الإغاثة التُّرْكِيَّة تقدم مساعدات إنسانيَّة لـ 30 ألف يمني، وكالة الأناضول للأنباء، 26 مارس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/78sBSp

368.وزير الاقتصاد التركي: اقتصادنا سيكون العاشر عَالَمِيّاً والثالث أوروبياً بحلول 2023، ترك برس، 27 أغسطس 2017، تاريخ الزيارة: 11 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/DqbLe4

369.وزير الاقتصاد التركي: تكاليف اللَّاجئين الســوريِّينَ تجاوزت 7 مليارات دولار، ترك برس، 7 أكتوبر 2015، تاريخ الزيارة: 7 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/6eUjFz

370.وزير الاقتصاد التركي: حجم التبادل التجاري مع إفريقيا بلغ 25 مليار دولار، وكالة الأناضول للأنباء، 22 فبراير 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/c5yJZf

371.وزير الخزانة التركي.. ســنجني معاً ثمار كَبْح مستويات التَّضَخُّم، صحيفة يني شــفق، تاريخ الزيارة 16 أكتوبر 2018، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/DS1f7i.

372.وزير الســياحة: تركيا تُحَقِّق المركز الرابع أوروبيّاً في الجَذْب الســياحيّ لعام 2016م، ديــلي صباح، مارس 2017م، تاريخ الزيارة 5 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Xzrpuz

373.وزيــر تركي: هدفنا رفع الصــادرات إلى 500 مليار دولار بحلول 2023، دايلي صباح، 9 ديسمبر 2017م، تاريخ الزيارة: 29 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/ePVrXX

374.وزيرة الأُسرة والسياســات الاجْتِمَاعِيّة التُّرْكِيَّة : المســاعدات التُّرْكِيَّة للاجئين السُّورِيِّينَ تجاوزت 30 مليار دولار، تركيا نيوز، 29 نوفمبر 2017، تاريخ الزيارة: 9 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QD2QjA

375.وســام الدين العكلة، الاســتفتاء الدســتوري التُّرْكِيّ يكشــف الوجه القبيح للديمُقْرَاطِيَّة الأوروبيَّة، ترك برس، 13 مارس 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/0FuEQ4

376.الوقف العُثْــمَانِيّ.. حضارة واقتصاد، رافد بيت الخبرة في الأوقاف والوصايا، 15 أغسطس 2016م، تاريخ الزيارة 12 أبريل 2017م، مُتَاح علت الرابط التالي: goo.gl/xaYXn2

377.وكالة دعم وتشجيع الاستثمار في تركيا، 2018م، متاح على الرابط التالي: .goo gl/cMg9rh

378.الولايات المُتَّحِدَة تُعَيِّن أول سفير لها في الصومال منذ 1991م، صحيفة الوسط البحرينيَّــة، 24 فبراير 2015م، تاريخ الزيارة: 8 أغســطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/QbCwoS

379.يحيى اليحياوي، أوباما وأطروحة القُوَّة الذَّكِيَّة، الجزيرة نت، 18 نوفمبر 2013م، تاريخ الزيارة 6 أبريل 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/Y24c6m

380.يحيى عالم، مسلســل قيامة أرطغرل التركي: وظيفة الســينما الفعَّالة في بناء الوعي بالتاريخ، نون بوست، 23 يونيو 2016م، تاريخ الزيارة 23 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: cutt.us/mkh74

381.يلدريم: محاولة انقلابيَّة لضباط في تركيا، سكاي نيوز عَرَبِيَّة، 15 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 6 يوليو 2017م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/9Schqj

382.يلدريــم: نهدف لرفع الناتج الإجمالي إلى 2 تريليون دولار بحلول 2023، وكالة الأناضول للأنباء، 6 مايو 2017، تاريخ الزيارة: 29 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/PzorYN

383. اليمن: الحرب المنســية، مُنَظَّمَة العفو الدَوْلِيَّة، د. ت، تاريخ الزيارة: 8 أغسطس 2018م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/R8LhgM
384. يمنى ســليمان، القُوَّة الذَّكِيَّة: المفهوم والأبعاد دراســة تَأْصِيلِيَّة، المعهد المصري للدراسات السِّيَاسِيَّة والاستراتيجِيَّة، 12 يناير 2016م، متاح على الرابط التالي: goo.gl/gyr2dw
385. ميشــال نوفل، كتاب "عودة تركيا إلى الشرق"، النــاشر: الدار العربية للعلوم، 2010، تاريــخ الزيارة 3 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/RsQBY5
386. د. إبراهيم البيومي غانم، تحليل ســياسي بعنــوان ""أحمد داود أوغلو" وليس "كيسنجر تركيا"، موقع "أرشيف إسلام أون لاين"، تاريخ الزيارة 5 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/4BsrwE.
387. فراس محمد إلياس، كتاب "تحليل السياســة الخارجيــة التُّرْكِيَّة وفق منظور المدرســة العثمانية الجديدة"، الناشر: دار المنهل، ص224، تاريخ الزيارة 6 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/dNPcCf.
388. عماد يوسف، دراسة "تركيا استراتيجيَّة طموحة وسياسة مقيّدة"، الناشر: مركز الإمارات للدراسات والبحوث، 2015، ص 133، تاريخ الاطلاع 15 يناير 2019.
389. طارق القزم، دراســة "القوة الصلبة التُّرْكِيَّة الرؤي والتطبيقات"، موقع "المركز الديمقراطي العربي"، تاريخ النشر: 15 ســبتمبر 2018، تاريخ الاطلاع 15 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/D8jnph.
390. تركيا تختبر الصاروخ الباليســتي بورا المحلي الصنع"، موقع "الدفاع العربي"، تاريــخ النشر: 13 مايو 2017، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/swUZHX.
391. "محطــة "آق قويو" النووية تُوفِّر آلاف من فرص العمل في تركيا"، موقع "تركيا بوســت"، تاريخ النشر: 11 ديسمبر 2017، تاريخ الاطلاع 15 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/p6NSnx.

392."هل بوسع منظومة "كورال " التُّرْكِيَّة للحرب الإلكترونيَّة إسكات "إس – 400" الروسية؟"، موقع "Arabic rt"، تاريخ النشر: 2 ديسمبر 2015، تاريخ الاطلاع 15 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/ye8kwX.
393."قمر صناعي تركي يرسل أكثر من ألف صورة ومشهد منذ انطلاقه"، موقع " تركيا بوست"، تاريخ النشر: 11 مايو 2017، تاريخ الاطلاع 15 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/gyd2sd.
394."أردوغان يرأس اجتماعًا لدراسة 55 مشروعًا دفاعيّاً بقيمة 9.4 مليار دولار"، موقع " تركيا بوست"، تاريخ النشر: 1 فبراير 2018، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/fL31EF.
395.""أسيلسان" التُّرْكِيَّة تطوّر نظام حماية فولاذي للدبابات والمدرَّعات"، موقع "هيئة الإذاعة والتليفزيون التُّرْكِيَّة "TRT، تاريخ النشر: 9 فبراير 2018، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/ZhC9s6.
396.عادل عامر، ""دلالة اتفاقيَّة الدفاع المشترك بين إثيوبيا وتركيا"، موقع "وكالة أنباء أونا ONA، تاريخ النشر: 7 أبريل 2015، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/pDGsLa.
397.النشاط العسكري التركي المتزايد وتحفيز التحرُّكات العسكريَّة الروسيَّة، (TRT) العربية، 12 يوليو 2015، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/4wzDBx.
398.قاعدة عسكريَّة تركيَّة في قطر: تحالفات جديدة واتفاقيات متعدِّدَة، موقع "تركيا بوست"، 24 ديسمبر 2015، تاريخ الاطلاع 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/hrC9zJ.
399."تركيا تفتتح في الصومال أكبر قواعدها العسكريَّة الخارجيَّة للتدريب"، موقع "BBC عربي"، تاريخ النشر: 30 سبتمبر 2017م، تاريخ الاطلاع 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/qTdKLF.

400."تركيا وتفعيل القُوَّة الصلبة: الأبعاد والتداعيات"، موقع "المعهد المصري للدراسات"، تاريخ النشر: 3 أبريل 2016م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/2iizax.

401."تركيا تقيم نقطة المراقبة قبل الأخيرة في سوريا"، موقع صحيفة "الشرق الأوسط"، تاريخ النشر: 15 مايو 2018م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/1TPfP4.

402."تركيا تسارع إلى بناء قاعدة عسكريَّة جديدة"، موقع "arabic.sputniknews"، تاريخ النشر: 28 أغسطس 2018م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/YnhZxu.

403."أردوغان يعلن بدء عمليَّة عسكريَّة في سنجار شمال العراق"، موقع ".arabic rt."، تاريخ النشر: 25 مارس 2018م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/GqB3pX.

404."وجود القوات التُّرْكِيَّة في الموصل: الدوافع والتداعيات.. وردود الفعل"، موقع "تركيا بوست."، تاريخ النشر: 9 ديسمبر 2015م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/t3GfHW.

405." تركيا تمَدِّد مهمة قوّاتها البحريَّة في خليج عدن"، موقع " "arabic.rtتاريخ النشر: 8 فبراير 2018م، تاريخ الاطلاع 17 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/e2gxhm

406.دراسة "السياسة التُّرْكِيَّة " الخشنة" لرسم خرائط النفوذ بالإقليم"، موقع "مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة"، تاريخ النشر: 22 فبراير 2018م، تاريخ الاطلاع: 17 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/yDzHa7.

407."الدور التركي في أفغانستان: سياسة "القُوَّة الناعمة" لإحلال السلام في أفغانستان"، موقع "قنطرة"، تاريخ النشر: 26 يوليو 2010م، تاريخ الاطلاع: 17 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/41hcng.

408. سفير أنقرة بمقديشو: تركيا "دولة رائدة" في الاستثمار والدعم الإنساني بالصومال، الموقع الرسمي لوكالة "الأناضول" التُّرْكِيَّة، تاريخ النشر 4 سبتمبر 2016، تاريخ الزيارة 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي:.https://goo.gl/9KTMQC

409. دراسة "التغلغل التركي والقطري في دول القرن الإفريقي"، موقع "مركز المزماة للدراسات والبحوث"، تاريخ النشر 5 مارس 2017م، تاريخ الزيارة 16 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/udkkrN.

410. د. زكريا حسين، "الأزمة السُّورِيَّة ـ التُّرْكِيَّة .. إلى أين؟"، موقع أرشيف صحيفة "البيان"، تاريخ النشر: 9 أكتوبر 1998م، تاريخ الاطلاع 20 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/43f31s.

411. علي صالح حمدان حامد، "الأزمة التُّرْكِيَّة . السُّورِيَّة العام 1998، وأثرها على العلاقات الأمريكيَّة- السُّورِيَّة"، مجلة "آفاق فكرية"، العدد الخامس 2016م، نسخة إلكترونيَّة متاحة على الرابط التالي: https://goo.gl/cGKLkb.

412. "القاهرة تسعى إلى تسوية الحد الأدنى بين القاهرة ودمشق"، مجلة "المشاهد السياسي"، العدد 137 ص15، تاريخ النشر: 31 أكتوبر 1998م، تاريخ الزيارة: 20 يناير 2019م، نسخة إلكترونية متاحة على الرابط التالي: https://goo.gl/cGKLkb.

413. "مرور 12 عاما على اعتقال عبدالله أوجلان"، موقع "BBC عربي"، تاريخ النشر: 14 فبراير 2011م، تاريخ الاطلاع 20 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/iEWMta.

414. بيرم بالسي، مقال تحليلي "المعضلة السُّورِيَّة: ردّ تركيا على الأزمة"، موقع "مركز كارنيجي للشرق الأوسط"، تاريخ النشر: 10 فبراير 2012م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/nphAEV.

415. "العلاقات الاقتصادية السُّورِيَّة- التُّرْكِيَّة"، موقع "عنب بلدي"، تاريخ النشر: 17 ديسمبر 2017م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/21HoJX.

416. د/محمد نور الدين، "تركيا في عام 2010.. بين إنجازات تحققت وتحدّيات قائمة"، موقع هيئة الإذاعة والتلفزيون السويسريَّة "swissinfo"، تاريخ النشر: 28 ديسمبر 2010م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/6cVHT4.
417. رنا عبد العزيز خماش، كتاب "العلاقات التُّرْكيَّة-الإسرائيليَّة وتأثيرها على المنطقة العربيَّة"، الناشر: مركز "دراسات الشرق الأوسط- الأردن"، الطبعة الثانية- 2010، ص127، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/AXs2ov.
418. "سوريا وتركيا: انقلاب تاريخي؟"، موقع هيئة الإذاعة والتلفزيون السويسريَّة "swissinfo"، تاريخ النشر: 23 أكتوبر 2009م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/6wYEBZ.
419. "توقيع 50 اتفاقية خلال اجتماعات مجلس التعاون السوري-التركي"، موقع "BBC عربي"، تاريخ النشر: 23 ديسمبر 2009م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/9BLeKo.
420. "دمشق توقِّع اتفاقيات أمنيَّة وعسكريَّة مع أنقرة"، موقع " france24"، تاريخ النشر: 15 أكتوبر 2010م، تاريخ الاطلاع 19 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/Xh1VJq.
421. جلال سلمي، دراسة "السياسة التُّرْكيَّة حيال الأزمة السُّورِيَّة "2011ـ2017""، موقع "المركز الديمقراطي العربي"، تاريخ النشر: 23 يونيو 2017 م، تاريخ الاطلاع 21 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/jYmsRB.
422. "العلاقات التُّرْكيَّة السُّورِيَّة: ما بين الهبوط والصعود"، موقع "الجزيرة" التُّرْكِيَّة، تاريخ النشر: 6 يناير/كانون الثاني 2014، تاريخ الاطلاع 21 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/H47V7q.
423. "الكرملين: موسكو ترغب في عودة العلاقات مع تركيا"، صحيفة العرب، تاريخ النشر: 15 يونيو/حزيران 2016م، تاريخ الاطلاع 22 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/T4mLBY.

424.عملية درع الفرات في 5 أسـئلة، موقع قناة "دويتشه فيله" باللغة العربية، تاريخ النشر: 1 ديسمبر/كانون الأول 2016م، تاريخ الاطلاع 24 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/PCYJML.

425.مصطفى شفيق علام، دراسة "التغلغل الناعم: إفريقيا في الاستراتيجيَّة التُّرْكِيَّة.. المحدّدات والسياقات والتّحدّيات"، موقع مجلة "قراءات إفريقيَّة"، 8 يونيو 2017م، تاريخ الاطلاع 7 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/QxMD7s.

426.العلاقات التُّرْكِيَّة مع الدول الإفريقيَّة، موقع وزارة "الخارجية التُّرْكِيَّة"، تاريخ الاطلاع 7 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/xxeFww.

427.محمود زكريا محمود إبراهيم، دراسة "العلاقات السياسية الإفريقيَّة- التُّرْكِيَّة.. المحدِّدات والقضايا، الناشر: مركز البحوث والدراسات الإفريقيَّة - جامعة إفريقيا العالميَّة، 2015، ص 13 و14، تاريخ الاطلاع 10 يناير 2019م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/YQ8WVb.

428.دراسة "الحُضور التركي في القَارّة الإفريقيَّة- جزء 2"، موقع مركز "الدراسات الاستراتيجيَّة والدبلوماسيَّة"، 3 مايو 2018، تاريخ الاطلاع 8 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/gZCzeh.

429.بوحنية قوي، تقرير "إفريقيا في الاستراتيجية التُّرْكِيَّة الجديدة"، موقع مركز "الجزيرة للدراسات"، 25 أكتوبر 2016، تاريخ الزيارة 9 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/co1DjV.

430.حسن العاصي، قراءة أولية في العلاقات التُّرْكِيَّة- الإفريقيَّة، موقع الحوار المتمدن، 5 مارس 2018م، تاريخ الزيارة 11 أكتوبر 2018م، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/waL3ag.

431.محمد سليمان الزواوي، "أبعاد الدور التركي في إفريقيا وآفاقه"، مجلة "قراءات إفريقيَّة"، (العدد:9، سبتمبر 2011م)، ص 78، تاريخ الاطلاع 12 يناير 2019م.

432.جهاد عمر الخطيب، "ماذا ينتظر النظام السـياسي الصومالي بقيادة فرماجو: دراسـة في بيئة النظام ومعضلاته"، مجلة "قراءات إفريقيَّة"، تاريخ النشر: 22 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/HzQVgx.

433.حسـن محمد علي، "الصومال وتركيا ... نحو بناء علاقة شراكة طويلة الأمد"، مركز "مقديشو للبحوث والدراسـات"، تاريخ النشر: 26 يناير 2015م"، تاريخ الاطلاع 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/1aPFg2.

434."مؤتمر دولي حول الصومال في تركيا"، مركز مقديشـو للبحوث والدراسات، تاريـخ النشر: 21 فبراير 2016م"، تاريخ الاطـلاع 12 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/JZe4vt.

435.سفير أنقرة بمقديشو: تركيا "دولة رائدة" في الاستثمار والدعم الإنساني بالصومال، الموقع الرسـمي لوكالة "الأناضول" التُّرْكِيَّة، تاريخ النشر 4 سبتمبر 2016، تاريخ الزيارة 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي:https://goo.gl/9KTMQC.

436.كلية "الأناضول" بمقديشـو.. تزرع في الشباب ليحصد الصومال، موقع وكالة "الأناضـول" التُّرْكِيَّة، تاريخ النشر 27 سـبتمبر 2016، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/6dTKBS.

437.دعم مدرسـة ضعاف السـمع في الصومال، موقع وكالة "تيكا التُّرْكِيَّة للتعاون والتنسـيق"، تاريخ النشر 19 سبتمبر 2016، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/rfGAAR.

438."تيكا" التُّرْكِيَّة تسلّم الصومال مركزا لتعليم الطيران المدني، موقع "تركيا بوست"، تاريخ النشر 26 سبتمبر 2017، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/dYYgmi.

439."الصومال.. هيئة الإغاثة التُّرْكِيَّة تعتزم حفر 36 بئراً للماء"، موقع "هيئة الإذاعة والتليفزيون التُّرْكِيَّة TRT"، تاريخ النشر 5 مارس 2016، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي:https://goo.gl/5hHVxY .

440."مســـاعدات إغاثيَّة تركيَّة تصل 9 آلاف صومالي من متضرِّري الجفاف"، موقع "يني شفق"، 26 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة 14 يناير 2019، متاح على الرابط التالي:https://goo.gl/oWYpsj.

441."أردوغـــان يصل الصومال في زيارة تاريخيَّة"، موقع "هيبريس"، 2011، تاريخ الزيارة 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي:https://goo.gl/JvMNre.

442."بناء مركز لرعاية الأيتام في الصومال"، موقع "هيئة الإغاثة الإنسانيَّة IHH"، 11 ديسمبر 2017، تاريخ الزيارة 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي:https://goo.gl/DGcGeV.

443.محمود ســـمير الرنتيسي، دراسة "الدور التركي بشرق إفريقيا في ظلّ التنافس الإقليمي"، موقع "الجزيرة"، 27 يناير 2015، تاريخ الزيارة 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/g65Jai.

444."الرئيس التركي يصل إلى مقديشـــو في زيارة رسميَّة للصومال"، موقع "BBC عربي"، 25 يناير 2015، تاريخ الاطلاع 12 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/K99zv8.

445.محمد سعيد مري، "لماذا تهتمّ تركيا بالصومال؟"، موقع "مركز مقديشو للبحوث والدراســـات"، 7 يونيو 2016، تاريخ الاطلاع 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/bMMzxA.

446."أردوغان ونظيره الصومالي يشرفان على حفل توقيع عدد من الاتفاقيات بين بلديهما"، موقع "ترك برس"، 4 يونيو 2016، تاريخ الاطلاع 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/qMG5Vb.

447."الرئيس الصومالي يزور تركيا لبحث ســـبل تعزيـــز العلاقات الثنائيَّة"، موقع "تركيا بوست"، 25 أبريل 2017، تاريخ الاطلاع 13 يناير 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/g4gjcp.

448."أردوغان يستقبل الرئيس الصومالي بمراسم رسمية"، موقع وكالة "الأناضول" التُّرْكِيَّـــة، 26 أبريل 2017، تاريخ الاطلاع 13 ينايـــر 2019، متاح على الرابط التالي: https://goo.gl/yN2ANv.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

1. 2016 TURKISH DEFENSE INDUSTRY PERFORMANCE، The Undersecretariat for Defence Industries (SSM)، Presidency of the Republic of Turkey، available at: goo.gl/46FVCJ
2. About- JCR- VIS Credit Rating Co. Ltd.، available at: goo.gl/UWBuwE
3. ABOUT UNCTAD، United Nations Conference on Trade and Development، available at: goo.gl/mWWnBY
4. About، Fitch Group، available at: goo.gl/YX3WeZ
5. Adam Przeworski and Fernando Limongi، Modernization: Theories and Facts، World Politics، Vol. 49، No. 2 (Jan.، 1997) ، pp. 155- 183
6. Aeroports de Paris Agrees to Acquire %38 of Turkey's TAV، Bloomberg، March 12، 2012، available at: goo.gl/wVEpnz
7. Albert Sorel، Encyclopedia of World Biography، available at: goo.gl/LXLZJ2
8. Angus Stewart، Theories of Power and Domination، London، Sage Publication، 2003، P 12.
9. Contre le totalitarisme en Turquie : liberation: https://goo.gl/rjSxLG.
10. David O. Wilkinson، Comparative Foreign Relation; Framework and Methods، Comparative Foreign Relation Series، Belmont، CA: Dickenson Pub. CO.،1969.
11. David Wilkinson، UCLA Department of Political Science، Los Angeles، available at: goo.gl/56qks1
12. Defiant Turks stood up for democracy – but not necessarily for Erdoğan، theguardian: https://goo.gl/bfhCmR.

13. Editoriel، Turquie : les leçons d'un putsch manqué، LE MONDE، 18 Juillet 2016 :
14. Emeh Ikechukwu Eke Jeffrey، A Discourse on Andre Gunder Frank's Contribution to the Theory and Study of Development and Underdevelopment; Its Implication on Nigeria's development situation، in: Greener Journal of Biological Sciences، Vol. 2 (3) ، November 2012، p. 52- 60.
15. Erdogan: We cannot remain silent on Africa، Daily Sabah، January 27، 2015، available at: goo.gl/ipVSZL
16. Éric Verhaeghe، Un nouvel Empire turc، ou la dangereuse folie d'Erdogan،Eentreprise، 30 MAI 2016، goo.gl/ZChBkZ
17. Fabian Briegel، Turkey: ongoing political instabiliy، RaboResearch- Economic Research، April 25، 2016، available at: goo.gl/Ut6AYK
18. Fabian Briegel، Turkey: ongoing political instabiliy، Op.Cit.
19. Fabian Briegel، Turkey: ongoing political instabiliy، RaboResearch- Economic Research، April 25، 2016 ،available at: goo.gl/Ut6AYK
20. for more details; Bill Hopwood، Mary Mellor and Geoff O'Brien، Sustainable Development: Mapping Different Approaches، Sustainable Cities Research Institute، University of Northumbria، Newcastle on Tyne، UK، 2005، pp. 38- 52.
21. For more details; Russell K. Schutt، Making Sense of the Social World: Methods of Investigation، University of Massachusetts، Boston، 1996.

22. Global humanitarian assistance report 2018، Development Initiatives (DI)، 2018 p. 38.
23. History of Ottoman Empire، Ottomans، available at: goo.gl/5JqSog
24. http: //www.lemonde.fr/idees/article/2016/07/18/turquie- les- lecons- d- un- putsch-
25. Jake Donnelly، Realism and International Relations، Cambridge University Press، 2010، pp. 6- 10.
26. James J. Zogby، What Arabs Think Values، Beliefs and Concerns، Zogby International/The Arab Thought Foundation، 2002.
27. John J. Mearsheimer، Structural Realism، in Tim Dunne، Milja Kurki، and Steve Smith، eds.، International Relations Theories: Discipline and Diversity، 3rd Edition (Oxford: Oxford University Press، 2013) ، pp. 77- 93.
28. Joseph Nye، Smart Power، Huffington Post، May 25، 2011، available at: goo.gl/ZPzQC
29. Joseph S. Nye، Soft Power، Foreign Policy، No. 80، Twentieth Anniversary، Autumn، 1990، Washingtonpost. Newsweek Interactive، LLC pp. 153- 171.
30. Joseph S. Nye، Decline of America Soft Power، Foreign Affairs، New York، May/June 2004، Vol. 83، Iss.3; Pp16- 20.
31. Joseph S. Nye، Soft Power، Hard Power and Leadership، John F. Kennedy School of Government، available at: goo.gl/ggdlU
32. Koc Holding consortium wins Turkey's roads and bridges tender، Reuters، DECEMBER 17، 2012، available at: goo.gl/v2HDzu

33. Lemke، Douglas، The Continuation، of History: Power Transition Theory and The End of The Cold War، Journal of Peace Research، Vo. 34، No. 1، 1997.
34. Limits of American Power، Joseph S. Nye، Jr. The Academy of Political Science https://goo.gl/hXzuac.
35. manque_4971256_3232.html
36. Marie Jégo، Turquie : Recep Tayyip Erdogan en route vers le sultanat، LE MONDE، 11.02.2017، goo.gl/QGVMd8
37. Objectif 2023 : « Faire de la Turquie une puissance globale » ، trt.net، 08.02.2015، goo.gl/zDYIxt
38. Patrick H. O'Neil، The Deep State: An Emerging Concept in Comparative Politics، University of Puget Sound، Washington، August 2013، P. 3.
39. Power Concept، The Physics Hypertextbook، available at: goo.gl/T0vv1g
40. Princeton University، The Princeton Project on National Security، available at: goo.gl/AdswP4
41. Ray S. Cline، World Power Trends and U.S. Foreign Policy for the 1980's، Boulder CO، Westview Press، 1980.
42. Richard L. Armitage and Joseph S. Nye Jr.، Stop Getting Mad، America. Get Smart.، Washington Post، December 9، 2007، available at: goo.gl/1GCczL
43. Richard Little، Balance of power in international relations، Cambridge University Press، 2007.
44. Soft Power Survey- 2012، monocle، November 2012، available at: goo.gl/p6115v

45. Soner Cagaptay ،Ross Wilson، and James F. Jeffrey، Turkey Rising: Challenges and Prospects for the New Administration، The Washington Institute for Near East Policy، POLICYWATCH 2018، January 18، 2013، available at: http: //goo.gl/Hn2cU4
46. Sourse: Global humanitarian assistance report 2018، Development Initiatives (DI)، 2018، p. 38..
47. Stephen M. Walt، The Progressive Power of Realism، American Political Review، Vol 91، No. 4، December 1997.
48. Steven Lukes، Power: A Radical View، London، Macmillan، 1974، P. 25.
49. The World Bank، Turkey's Transitions: Integration، Inclusion، Institutions، Report No. 90509- TR، International Bank for Reconstruction and Development/The World Bank، Washington DC، December 2014، pp. 4- 5.
50. Tourism- Tourism expenditures (Thousand $) (Quarterly)، Turkish Statistical Institute، available at: goo.gl/mYgT2A
51. Tourism، Investment Support and Promotion Agency of Turkey، available at: goo.gl/f6mki4
52. Turkey has stopped registering Syrian refugees، say human rights group، independent: https: //goo.gl/uX5tzK.
53. Turkey makes best use of soft power: Cavusoglu، Andalou Agency، 06.05.2016، available at: goo.gl/859ZXN
54. Turkey: Erdoğan rule could extend until 2029 under proposal، theguardian: https://goo.gl/pABRiR
55. Turkey's 18- month state of emergency has led to profound human rights violations – UN report، news.un: https://goo.gl/MCxpdu

56. Turkish Lira 1991- 2018 ، tradingeconomics: goo.gl/MHD-DUh.
57. Turks See Purge as Witch Hunt of ‘Medieval’ Darkness، nytimes : https://goo.gl/JuJ6rT.
58. Turquie : les leçons d’un putsch manqué : lemonde: https://goo.gl/M1Y6CP.
59. Vincent Ferraro، Dependency Theory: An Introduction، in The Development Economics Reader، Giorgio Secondi، (ed.) ، London، Routledge، 2008، pp. 58- 64.
60. Zero Problems in a New Era، Turkey Ministry of Foreign Affairs، available at: goo.gl/dLZsZm

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر



هذا الكتاب

في دراسته هذه؛ يتناول الباحثُ خِبْرة وتجربة صُعُود نَجْم الدَّوْلَة التُّركِيَّة في العلاقات الدَّوْلِيَّة، وتحوُّلها إلى قُطْب إقْلِيمِيٍّ من خلال توظيف مفردات القُوَّة النَّاعِمَة؛ حيث تبدو الدَّوْلَة التُّركِيَّة منذ وصول حزب العدالة والتَّنْمِيَة إلى الحُكْم، في مستهلِّ الأَلْفِيَّة الثالثة، حالةً بَحْثِيَّةً مُثِيرةً للاهتمام على المستوى الأكادِيمِيِّ التَّنظيريِّ في المجتمع البحثيّ، كمادَّة ثَرِيَّة للنقاش والجَدَل العلميِّ حول مفهوم القُوَّة، ومُقْتَرَبات التَّنْمِيَة الرئيسة الَّتِي سادَتْ